

# الْفُتُوحَاتُ الْإِلَهِيَّةُ

بتوضيحه تفسير الجلالين للدقائق الخفية

تأليف  
الإمام سليمان بن عمر البجلي الشافعي  
الشهير بالمحمل

المتوفى سنة ١٢٠٤هـ

ضبطه وصححه وخرّج آياته  
إبراهيم شمس الدين

الجزء الثالث

المحتوى

من أول سورة الأعراف - إلى آخر سورة هود

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

## جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©  
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت  
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ ( ١ ٩٦١ )  
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الأعراف

مكية إلا ﴿واسألهم عن القرية﴾ الثمان أو الخمس آيات  
وهي مائتان وخمس أو ست آيات

﴿الْمَصِّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿يَكْتُبُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي  
صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿وَمَنْ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِنُنْذِرَ﴾ متعلق بأنزل أي للأنذار ﴿يَوْمَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (الثمان أو الخمس آيات) هذان قولان في المدني منها، فعلى القول الأول ينتهي المدني  
منها بقوله: ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] وعلى الثاني ينتهي بقوله: ﴿وإنه لغفور  
رحيم﴾ [الأعراف: ١٦٧] اهـ شيخنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) حكى الخازن هذا القول بعبارة أوضح من هذه العبارة، ونصه:  
وقيل هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وهي سره في كتابه العزيز اهـ.

قوله: (هذا) أي القرآن، أي القدر الذي كان قد نزل منه وقت نزول هذه الآية، وجملة أنزل صفة  
كتاب مشرفة له ولمن أنزل عليه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ﴾ الخ توجيه النهي إلى الحرج مع أن المراد نهيه عليه السلام عنه، إما  
لما مر من المبالغة في تنزيهه عن وقوع مثل الحرج منه، فإن النهي لو وجه له لأولادهم إمكان صدور  
النهي عنه منه، وإما للمبالغة في النهي فإن وقوع الحرج في صدره سبب لاتصافه به، والنهي عن السبب  
نهى عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له من أصله بالمرة، فالمراد نهيه عما يورث الحرج اهـ أبو  
السعود.

قوله: ﴿منه﴾ متعلق بمحذوف على أنه صفة لحرج، ومن سببية أي حرج بسببه. تقول: خرجت  
منه أي ضقت بسببه، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة له، أي حرج كائن وصادر منه، والضمير  
في منه يجوز أن يعود على الكتاب وهو الظاهر، ويجوز أن يعود على الإنزال المدلول عليه بأنزل، أو  
على الإنذار، أو على التبليغ عليهما بسياق الكلام، أو على التكذيب الذي تضمنه المعنى اهـ سمين.

قوله: ﴿لتنذر به﴾ إنما جر باللام لاختلاف زمنه مع زمن المعلل، إذ الإنزال قد مضى زمنه

وَذَكِّرْهُ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١﴾ به قل لهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾  
 تتخذوا ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢﴾

بالنسبة لزمن الإنذار والتذكير واختلاف الفاعل أيضاً، ففاعل الإنزال هو الله تعالى وفاعل الإنذار هو النبي ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بأنزل) أي وما بينهما اعتراض توسط لتقرير ما قبله وتلهيها لما بعده اهـ أبو السعود.

قوله: (أي للإنذار) أي إنذار الكافرين بدليل ما بعده. قوله: ﴿وَذَكِّرْهُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يجوز أن يكون في محل رفع أو نصب أو جر، فالرفع من وجهين، أحدهما: أنه عطف على كتاب أي كتاب، وذكرى أي تذكرة فهي اسم مصدر، وهذا قول الفراء. والثاني: من وجهي الرفع أنها خبر مبتدأ مضمرة، أي هو ذكرى وهذا قول أبي إسحاق الزجاج. والنصب من ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب على المصدر بفعل من لفظه تقديره وتذكر به ذكرى، أي تذكيراً، والثاني: أنها في محل نصب نسقاً على موضع لتتذر، فإن موضعه نصب فيكون إذ ذاك معطوفاً على المعنى، وهذا كما تعطف الحال الصريحة على الحال المؤولة، كقوله تعالى: ﴿دَعَانَا لِجَنَّةٍ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢] ويكون حيثئذ مفعولاً من أجله كما تقول: لتكرمني وإحساناً إليّ الثالث: قال أبو البقاء: وبه بدأ أنها حال من الضمير في أنزل وما بينهما معترض، وهذا سهو، فإن الواو مانعة من ذلك، وكيف تدخل الواو على حال صريحة. والجر من وجهين، أحدهما: العطف على المصدر المنسبك من أن المقدره بعد لام كي، والفعل والتقدير للإنذار والتذكير. والثاني: العطف على الضمير في به، وهذا قول الكوفيين، والذي حسنه كون ذكرى في تقدير حرف مصدري وهو أن، وفعل ولو صرح بأن لحسن معها حذف حرف الجر فهو أحسن من مررت بك وزيد، إذ التقدير لأن تنذر به وبأن تذكر وللؤمنين يجوز أن تكون اللام مزيدة في المفعول به تقوية له لأن العامل فرع. والتقدير: وتذكر المؤمنين وأن يتعلق بمحذوف لأنه صفة لذكرى اهـ سمين.

قوله: ﴿اتَّبِعُوا﴾ الخ كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين أو خصوص الكافرين كما هو المتبادر من قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بأنزل وتكون من لابتداء الغاية المجازية. والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال إما من الموصول وإما من عائده القائم مقام الفاعل اهـ سمين.

قوله: ﴿مِن دُونِهِ﴾ يجوز أن يتعلق بالفعل قبله، والمعنى لا تعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين والكهان. والثاني: أن يتعلق بمحذوف لأنه كان في الأصل صفة لأولياء، فلما قدم عليه نصب حالاً وإليه يميل تفسير الزمخشري، فإنه قال: أي لا تتلوا من دونه أحداً من شياطين الإنس والجن ليحملوكم على الأهواء والبدع اهـ سمين.

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكر أقل أو زماناً قليلاً تذكرون فهو منصوب على المصدرية أو الظرفية اهـ شيخنا.



بالتاء والياء تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة ﴿وَكَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿مِنْ قَرِيَّةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَاءَهَا بِأَسْنًا﴾

وفي السمين: قليلاً نعت مصدر محذوف، أي تذكر قليلاً تذكرون، أو نعت ظرف زمان محذوف أيضاً، أي: زماناً قليلاً تذكرون، فالمصدر أو الظرف منصوب بالفعل بعده وما مزيدة للتوكيد وهذا إعراب جلي اهـ.

قوله: (بالتاء والياء) ظاهر هذه العبارة الإشارة إلى قراءتين بالتاء وحدها وبالياء وحدها، فالأولى مسلمة لكنها مع فتح الذال المشددة، والثانية لا وجود لها في السبع فحيثذ الأولى حمل عبارته على أنها إشارة إلى قراءة واحدة وهي الياء التحتية ثم التاء الفوقية وصورتها هكذا يتذكرون. وقوله: (وفيه إدغام التاء في الأصل الخ) إشارة لقراءة أخرى وهي تذكرون بالتاء وتشديد الذال وإن لم يذكرها قبل ذلك. وقوله: (وفي قراءة بسكونها) تقدم له مثله وتقدم أنه سهو وأن حقه أن يقول: في قراءة بتخفيفها مفتوحة وهي هكذا: تذكرون بتخفيف الذال المفتوحة. والحاصل: أن القراءات السبعة هنا ثلاث: يتذكرون بالياء ثم التاء، تذكرون بالتاء مع تشديد الذال، تذكرون بالتاء مع تخفيف الذال المفتوحة. فقوله: (بالتاء والياء) إشارة إلى الأولى وإن كانت عبارته موهمة غير المراد. وقوله: (وفيه إدغام الخ) إشارة إلى الثانية وإن لم يصرح بها. وقوله: (في قراءة بسكونها) إشارة إلى الثالثة مع ما في عبارته من الخلل، تأمل. وعبارة الخطيب: قرأ ابن عامر بياء قبل التاء وتخفيف الذال. وقرأ حفص وحزمة بتخفيف الذال من غير ياء قبل التاء. والباقون بتشديد الذال من غير ياء قبل التاء اهـ.

قوله: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيَّةٍ﴾ الخ شروع في إنذارهم بما حصل للأمم الماضية بسبب إعراضهم عن الحق اهـ أبو السعود.

قوله: (خبرية) أي بمعنى كثيراً، ولم ترد في القرآن إلا هكذا، ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستفهامية. وقوله: (مفعول) أي لفعل مقدر يفسره المذكور على حد زيداً ضربته، لكن يجب تقدير الفعل بعدها لتقع في الصدر، أي: وكثيراً من القرى أي من جنسها أهلكنا أهلكتنا اهـ شيخنا.

وفي السمين ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، في كم وجهان، أحدهما: أنها في موضع بالابتداء والخبر الجملة بعدها، ومن قرية تمييز والضمير في أهلكناها عائد على معنى كم وهي هنا خبرية للتكثير. والتقدير: وكثير من القرى أهلكناها. والثاني: أنها في موضع نصب على الاشتغال بإضمار فعل يفسره ما بعده ويقدر الفعل متأخراً عن كم لأن لها صدر الكلام. والتقدير: وكَمْ مِنْ قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَا أَهْلَكْنَاهَا، وإنما كان لها صدر الكلام لوجهين، أحدهما: مشابهتها لكم الاستفهامية. والثاني: أنها نقيضة رب لأنها للتكثير، ورب للتقليل فحمل النقيض على نقيضه كما يحملون النظير على نظيره اهـ.

قوله: (أريد) أي بلفظ القرية، أي: فهي مستعملة في أهلها، فالمجاز مرسل لا بالحذف ولو كان مراده الثاني لاستغنى عن هذه العبارة وقدر المضاف على عادته فيقول: ﴿وَكَمْ مِنْ أَهْلِ قَرِيَّةٍ﴾ اهـ شيخنا.

عذابنا ﴿بَيْنَاتًا لَّيْلًا﴾ أَوْهُمْ قَائِلُونَ ﴿١٠٤﴾ نائمون بالظهيرة والقبيلولة استراحة نصف النهار وإن لم

قوله: (أردنا إهلاكها) جواب عما يقال إن الإهلاك بعد مجيء العذاب، فكيف هذا الترتيب اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (أردنا إهلاكها) أشار إلى الكلام على حذف الإرادة فلا يرد كيف قال: ﴿أهلكناها فجاءها بأسنا﴾ والإهلاك إنما هو مجيء البأس اهـ.

قوله: ﴿بَيْنَاتًا﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها أنه منصوب على الحال وهو في الأصل مصدر، يقال: بات يبيت بيتاً وبيتة وبيتاً وبيتوتة. قال الليث: البيتوتة دخولك في الليل. فقوله: ﴿بَيْنَاتًا﴾ أي باتتين وجوزوا أن يكون مفعولاً له وأن يكون في حكم الظرف. وقال الواحدي: قوله: ﴿بَيْنَاتًا﴾ أي ليلاً، وظاهر هذه العبارة أن يكون ظرفاً لولا أن يقال أراد تفسير المعنى اهـ سمين.

وظاهر عبارة الشارح حيث فسره بقوله: (ليلاً) أنه جعله ظرفاً فيكون جارياً على القول الثالث، لكن يتوقف في عطف قوله: ﴿أَوْهُمْ قَائِلُونَ﴾ على ماذا يعطف إلا أن يقال مراد الشارح حل المعنى أن مراده القول الأول اهـ.

قوله: ﴿أَوْهُمْ قَائِلُونَ﴾ يقال قال يقلل كباع يبيع قليلاً كبيعاً وقائلة وقيلولة فالفه منقلبة عن ياء بخلاف قال من القول فهي منقلبة عن واو اهـ شيخنا.

وهذه الجملة في محل نصب نسقاً على الحال، وأو هنا للتنويع لا لشيء آخر كأنه قيل: أتاهم بأسنا تارة ليلاً كقوم لوط، وتارة وقت القبيلولة كقوم شعيب، وهل يحتاج إلى تقدير واو حال قيل هذه الجملة أم لا خلاف بين النحويين. قال الزمخشري: فإن قلت لا يقال جاء زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله تعالى: ﴿أَوْهُمْ قَائِلُونَ﴾ قلت: قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورجحه الزجاج وقال: لو قلت جاءني زيد راجلاً أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج إلى واو لأن الضمير قد عاد على الأول، والصحيح أنها إذا عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقلاً لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل، فقولك جاء زيد راجلاً أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده. وقال أبو بكر: أضمرت واو الحال لوضوح معناها كما تقول العرب: لقيت عبد الله مسرعاً أو هو يركض، فيحذفون الواو لأنهم اللبس لأن الضمير قد عاد على صاحب الحال من أجل أن، أو حرف عطف والواو كذلك، فاستثقلوا الجمع بين حرفين من حروف العطف فحذفوا الثاني اهـ سمين.

وتخصيص هاتين الحالتين بالعذاب لما أن نزول المكروه عند الغفلة أقطع وحكايته للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة اهـ كرخي.

قوله: (والقبيلولة استراحة النخ) هذا قول ثان في تفسيرها والأول هو ما ذكره أولاً بقوله: (نائمون النخ). وعبارة الخازن: وهي نوم نصف النهار أو استراحة نصفه وإن لم يكن معها نوم اهـ. وهي أصرح في حكاية القولين من عبارة الشارح.

قوله: (استراحة نصف النهار) أي وقت الزوال الفارق بين النصفين، وليس المراد استراحة

يكن معها نوم أي مرة جاءها ليلاً ومرة نهاراً ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْأَلًا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَلَنَسْتَأْذِينَكَ الْذِينَ أَتَيْتَهُمْ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْتَأْذِينَكَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ ﴿فَلَنَقْصَنَّ عَنْهُمْ بَعْلَهُمْ﴾ لنخبرهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا

النصف الذي هو من الطلوع إلى الزوال أو منه إلى الغروب اهـ شيخنا.

قوله: (أي مرة جاءها الخ) أي: فأو للتنوع. وقوله: (جاءها) أي جاء بعضها ليلاً كقوم لوط. وقوله: (ومرة نهاراً) كقوم شعيب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي دعاؤهم واستغاثتهم بربهم أو ادعائهم واعترافهم بالجناية، فالدعوى تأتي بالمعنيين كما في الخازن.. وكلام الشارح محتمل لهما لكن في بعض نسخة هكذا: قولهم وتضرعهم، وهي تعين المعنى الأول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِذَا جَاءَهُمْ بِأَسْأَلًا﴾ أي في الدنيا وإذ منصوبة بدعواهم اهـ سمين.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ الخ يعني إنهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم فكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية تحسراً وندامة وطمعاً في الخلاص اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ﴾ الخ اللام لام قسم ومقدر وهذا بيان لعذابهم الأخروي إثر بيان عذابهم الدنيوي، غير أنه قد تعرض لبيان مبادئ أحوال المكلفين جميعاً لكونه داخلياً في التهويل، والفاء لترتيب الأحوال الأخروية على الدنيوية في الذكر حسب ترتيبها عليها في الوجود اهـ أبو السعود.

قوله أيضاً: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾ الخ أي سؤال توبيخ والمنفي في قوله: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون، إنما هو سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب اهـ أبو السعود.

إن قيل: قد أخبر عنهم في الآية الأولى بأنهم اعترفوا بالظلم في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فما فائدة هذا السؤال؟ قلت: لما اعترفوا بما ذكروا سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم، والمقصود من هذا السؤال التقريع والتوبيخ للكفار، فإن قيل: فما فائدة سؤال الرسل مع العلم بأنهم قد بلغوا، قلت: فائدته الرد على الكفار إذا أنكروا التبليغ بقولهم: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩] فيكون هذا السؤال للتقريع والتوبيخ أيضاً اهـ خازن.

وفي الكرخي: فإن قيل: فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير البتة؟ فالجواب: أنهم إذا بينوا أنهم لم يصدر عنهم تقصير البتة التحق التقصير كاملاً بالأمم، فيتضاعف إكرام الله تعالى للرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير، ويتضاعف الحزي والهوان في حق الكفار بما ثبت أن ذلك التقصير إنما كان منهم اهـ.

قوله: ﴿الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ القائم مقام الفاعل الجار والمجرور. وقوله: ﴿بِعِلْمٍ﴾ في موضع الحال من الفاعل والباء للمصاحبة: أي: لنقصن على الرسل والمرسل إليهم حال كوننا ملتبسين بالعلم، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ اهـ سمين.

قوله: ﴿فَلَنَقْصَنَّ عَنْهُمْ﴾ أي على المرسلين والأمم لما سكتوا عن الجواب، كما دل عليه قوله

عَلَّيْمٌ ﴿٧﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا ﴿وَالْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في حديث، كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ [المائدة: ١٠٩] الآية. وقوله: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ [القصص: ٦٥] أي فلنخبرهم بما فعلوا إيجاباً ناشئاً عن علم منا اهـ شيخنا. قوله: ﴿وما كنا غائبين﴾ أي حتى يخفى علينا اهـ كرخي.

قوله: (والأمم الخالية) أي: وعن الأمم الخالية، أي، التي خلت ومضت بالنسبة ليوم القيامة، فيشمل جميع الأمم، وقوله: (فيما عملوا) في بمعنى عن والجار والمجرور بدل اشتغال اهـ.

قوله: ﴿والوزن يومئذ﴾ الوزن مبتدأ. وفي الخبر وجهان، أحدهما: هو الظرف أي الوزن كائن أو مستقر يومئذ أي يوم إذ يسأل الرسل والمرسل إليهم، فحذفت الجملة المضاف إليها إذ وعوض منها التنوين، هذا مذهب الجمهور خلافاً للأخفش. وفي الحق على هذا الوجه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه نعت للوزن أي الوزن الحق كائن في ذلك اليوم. والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه جواب سؤال مقدر من قائل يقول ما ذلك الوزن؟ قليل: هو الحق لا الباطل. والثالث: أنه بدل من الضمير المستكن في الظرف وهو غريب ذكره مكّي. والثاني: من وجهي الخبر أن يكون الخبر الحق، ويومئذ على هذا فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على الظرف ناصبه الوزن أي يقع الوزن ذلك اليوم. والثاني: أنه مفعول به على السعة، وهذا الثاني ضعيف جداً لا حاجة إليه اهـ سمين.

قوله: (للأعمال أو لصحائفها) هذان قولان، وبقي ثالث وهو أن الموزون هو نفس الأشخاص العاملين، وعبارة الخازن: ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال المكتوب فيها الحسنات والسيئات. وقال ابن عباس يؤتى بالأعمال الحسنة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان، فعلى قول ابن عباس: إن الأعمال تصور صوراً، وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور ثقلاً وخفة. ونقل البغوي عن بعضهم أنها توزن الأشخاص، واستدل لذلك بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة» أخرجاه في الصحيحين، وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الأشخاص في الميزان، لأن المراد بقوله: «لا يزن عند الله جناح بعوضة» مقداره وحرمة لا وزن جسده ولحمه. والصحيح قول من قال: إن الصحائف توزن أو نفس الأعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك. فإن قلت: أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد، فما الحكمة في وزنها؟ قلت: فيه حكم منها إظهار العدل، وأن الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وإقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة، ومنها إظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد في اللوح المحفوظ، وفي صحائف الحفظ الموكلين بيني آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى اهـ.

قوله: (وكفتان) بكسر الكاف وفتحها في المثني والمفرد، وأما الجمع فهو كفف بكسر الكاف لا غير اهـ شيخنا. ومثله في المختار.

وفي المصباح: أن الضم لغة في المفرد، فعليه يكون مثلث الكاف اهـ.

القيامة ﴿الْحَقُّ﴾ العدل صفة لوزن ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٨﴾  
الفائزون ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتصييرها إلى النار ﴿يَمَا كَانُوا

قوله: (صفة الوزن) والمعنى، والوزن الحق ثابت يوم السؤال المذكور اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: فضلاً من الله وقوله: (بالحسنات) يقتضي أن الموازين جمع ميزان وهو وإن كان واحداً لكل الخلق وكل الأعمال فجمعه للتعظيم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي عدلاً منه. قوله: (بالسيئات) أي بسبب ثقل السيئات، فالمعنى أن السيئات أثقل من الحسنات، فلو قال: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالحسنات لكان أوضح كما يدل له المقابل في الشق الأول حيث جعل فيه الثقل للحسنات فهي التي تخفف في الشق الثاني، وعبرة المحلي في سورة القارعة: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦] بأن رجحت حسناته على سيئاته فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه بأن رجحت سيئاته على حسناته اهـ.

قوله: (بأن رجحت سيئاته) أي بسبب زيادتها على الحسنات كما نقل عن المناوي هناك اهـ.

وفي تذكرة القرطبي ما نصه: فصل قال علماؤنا رحمة الله عليهم: الناس في الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبائر لهم، ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر والثالث: الكفار فأما المتقون فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته. وأما الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله تعالى بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وأثامه، وهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن لأن الله تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه وقطع لمن ثقلت موازينه بالفلاح والعيشة الراضية ولمن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر، وأما الذين خلطوا فيبينهم النبي ﷺ فحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار، إلا أن يعفو الله وإن تساوى كان من أصحاب الأعراف، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله. وأما إن كان عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة جداً فإنه يؤخذ من حسناته فيرد على المظلوم وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه ثم يعذب على الجميع، هذه ما تقتضيه الأخبار. وقال أحمد بن حنبل: يبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق: فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة، وفرقة فقراء، وفرقة أغنياء، ثم يصيرون فقراء مفاليس من شأن التبعات. وقال سفيان الثوري: إنك أن تلقى الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد. قلت: هذا صحيح، لأن الله غني كريم وابن آدم فقير مسكين يحتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه حتى يرجح ميزانه فيكثر خيره وثوابه اهـ ملخصاً.

قوله: ﴿يَمَا كَانُوا﴾ متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيطلمون قدم عليه للفاصلة وتعدى

﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ﴾ ﴿بِالْيَأَاءِ﴾  
 أسباباً تعيشون بها جمع معيشة ﴿فَلَيْلًا مَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿فَتَشْكُرُونَ﴾ ﴿عَلَى ذَلِكَ﴾ ﴿وَلَقَدْ

يظلمون بالياء، إما لتضمنه معنى التكذيب نحو كذبوا بآياتنا، وإما لتضمنه معنى الجحد نحو وجحدوا بها أه سمين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ﴾ الخ لما أمر الله أهل مكة باتباع ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيباً في امتثال الأمر والنهي أه أبو السعود.

ومكناكم من التمكين بمعنى التملك. وقيل: معناه جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً وأقدرناكم على التصرف فيها أه خازن.

قوله: ﴿مَعِيشٌ﴾ (بالياء) أي باتفاق السبعة، وإن قرئ شاذاً بالهمز فليس كصحائف، لأن المد فيه زائد، وفي معيشة أصلي لأن أصلها معيشة كمكرمة أو معيشة كمنزلة أو معيشة كمتربة، فالياء أصلية على كل حال. وقد قال في الخلاصة:

والممد زيد ثالث في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد  
 وباء معيشة عين الكلمة، ثم إنه على الوجه الأول: قلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت للعين، وعلى الثاني: نقلت كسرة الياء إلى العين، والوجه الثالث: لا صحة له في التصريف أه من سبعين.

وفي المصباح: عاش عيشاً من باب سار صار ذا حياة فهو عائش، والألفى عائشة وعياش أيضاً مبالغة، والمعيش والمعيشة مكسب الإنسان الذي يعيش به والجمع المعاييش، هذا على قول الجمهور إنه من عاش فالميم زائدة ووزن معاييش مفاعل فلا يهمز، وبه قرأ السبعة، وقيل: هو من معش، فالميم أصلية ووزن معيش ومعيشة فعيل وفعيلة ووزن معاش فعائل فيهمز، وبه قرأ أبو جعفر المدني والأعرج أه.

وفي القاموس: العيش الحياة، يقال: عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشة وعيشة بالكسر وعيشوشة والعيش أيضاً الطعام وما يعاش به والخبز والمعيشة أيضاً ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة وما يعاش به أو فيه، والجمع معاييش والمتعيش من له بلغة من العيش أه.

قوله: (لتأكيد القلة) أي زائدة لتأكيد القلة. وقوله: (على ذلك) أي المذكور من التمكين والجعل أه.

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ الخ تذكير لنعمة عظيمة على آدم سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة أه أبو السعود.

والمراد خلقنا أباكم وصورنا أباكم، ففي الكلام حذف مضاف في الموضعين كما أفاده الشارح. قال أبو السعود: وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد خلق آدم وتصويره إعطاء لمقام الامتنان حقه وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظاً من خلقه وتصويره لأنهما من الأمور السارية إلى ذريته جميعاً أه.

خَلَقْنَكُمْ ﴿ أَيُّ أَبَاكُمِ آدَمُ ﴾ ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ ﴾ أَيُّ صُورِنَاهُ أَوْ أَنْتُمْ فِي ظَهْرِهِ ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

وقال القاري: نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم لأنه أبو البشر اهـ.

قوله: (أي أباكم آدم) أي حين كان طيناً غير مصور، فقوله: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي صورناه حين كان بشراً بتخطيطه وشد حواسه اهـ شيخنا.

قوله: (أي صورناكم وأنتم الخ) نسخة هكذا كما هنا وفي نسخة: (أي صورناه وأنتم) وفي نسخة (أي صورناكم وأنتم الخ) والظاهر أنه على الأولى مراده جوابان، وعلى الثانية يكون لا موقع لقوله: (وأنتم) وعلى الثالثة يكون ذكره متعيناً اهـ شيخنا.

قوله: أيضاً (أي صورناه الخ) مراد بهذا دفع سؤال حاصله أن الأمر سجود الملائكة كان قبل خلق الذرية وظاهر الآية يقتضي العكس اهـ.

قوله: (أو أنتم في ظهره) يشير بذلك إلى جواب عن سؤال وهو أنه أتى بضم الثانية وهي للترتيب مع أن الأمر بالسجود لآدم كان قبل خلقنا وتصويرنا أو على ظاهره، وثم هنا للترتيب الإخباري لا الوجودي، وهذا ما صححه الحاكم أو لتفاوت ما بين نعمتي السجود له وما قبله لأن السجود له أكمل إحساناً وأتم إنعاماً مما قبله اهـ كرخي.

وفي السمين: ﴿لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة﴾ الخ اختلف الناس في ثم في هذين الموضعين، فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيباً وجعلها بمنزلة الواو فإن خلقنا وتصويرنا بعد قوله تعالى: ﴿للملائكة اسجدوا﴾ ومنهم من قال هي للترتيب في الإخبار لا في الزمان ولا طائل تحت هذا، ومنهم من قال هي للترتيب الزماني، وهذا هو موضوعها الأصلي. ومنهم من قال الأولى للترتيب الزماني والثانية للترتيب الإخباري، واختلفت عبارة القائلين بأنها للترتيب في الموضعين. فقال بعضهم: إن ذلك على حذف مضافين، والتقدير: ولقد خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم ثم قلنا، ويعني بآبينا آدم عليه السلام، والترتيب الزماني هنا ظاهر بهذا التقدير. وقال بعضهم: الخطاب في خلقناكم وصورناكم لآدم عليه السلام وإنما خاطبه بصيغة الجمع وهو واحد تعظيماً له، ولأنه أصل الجميع، والترتيب أيضاً واضح. وقال بعضهم: المخاطب بنو آدم، والمراد بهم أبوهم، وهذا من باب الخطاب لشخص والمراد به غيره كقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] وإنما المنجي والذي كان يسام سوء العذاب أسلافهم، وهذا مستفيض في لسانهم، والترتيب أيضاً واضح على هذا. ومن قال إن الأولى للترتيب الزماني والثانية للترتيب الإخباري اختلفت عباراتهم أيضاً، فقال بعضهم: المراد بالخطاب الأول آدم وبالثاني ذريته والترتيب الزماني واضح وثم الثانية للترتيب الإخباري. وقال بعضهم: ولقد خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم في بطون أمهاتكم. وقال بعضهم: ولقد خلقنا أرواحكم ثم صورنا أجسادكم. وهذا غريب نقله القاضي أبو يعلى في المعتمد. وقال بعضهم: خلقناكم نطقاً في أصلاب الرجال، ثم صورناكم في ألحاف النساء وقال بعضهم: ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر، فثم الأولى للترتيب الزماني والثانية لترتيب الإخبار اهـ.

لَا دَمَ ﴿سُجُودٌ تَحِيَّةً بِالْإِنْحِنَاءِ﴾ ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَوْ يَكُنْ مِنْ السَّجِدِينَ﴾ ﴿قَالَ تَعَالَى مَا مَنَعَكَ آلَا﴾ زائدة ﴿فَسَجَدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ

قوله: ﴿فسجدوا﴾ أي قبل دخول الجنة. وعن جعفر الصادق أنه قال: كان أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر اهـ من المواهب.

وقيل: بقيت الملائكة المقربون في سجودهم مائة سنة وقيل خمسمائة سنة اهـ من الشبراملسي عليه.

قوله: (كان بين الملائكة) كان مراده بهذا تقرير كون الاستثناء متصلاً وإلا لو كان مراده الانقطاع لفسر إلا بـ لكن على عادته، وحاصل تقرير الاتصال كما في أبي السعود أنه كان جنيئاً مفرداً مولعاً بحب الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة﴾ الخ ثم استثنى منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لم يكن من الساجدين﴾ هذه الجملة استثنائية لأنها جواب سؤال مقدر، وهذا كما تقدم في قوله في البقرة: ﴿أبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤] وتقدم أن الوقف على إبليس. وقيل: فائدة هذه الجملة التوكيد لما أخرجه الاستثناء من نفي سجود إبليس. وقال أبو البقاء: إنها في محل نصب على الحال أي إلا إبليس حال كونه ممتنعاً من السجود، وهذا كما تقدم له في البقرة من أن أبى في موضع نصب على الحال اهـ سمين.

قوله: ﴿قال ما منعك﴾ ما استفهامية في محل رفع بالابتداء والخبر الجملة بغدها أي أي شيء منعك، وأن في محل نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر إذ التقدير ما منعك من السجود، وإذ منصوب بتسجد، أي: ما منعك من السجود في وقت أمري إياك به؟ وقوله: ﴿خلقتني من نار﴾ لا محل لهذه الجملة لأنها كالتفسير والبيان للخبرية اهـ سمين.

وقال هنا ما منعك وفي سورة الحجر قال: ﴿يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين﴾ [الحجر: ٣٢] وقال في سورة ص: ﴿أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والاستكبار مع تحقير آدم، وقد وبخ على كل واحدة منها، لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر، وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة البقرة والإسراء الكهف وطه اهـ أبو السعود.

قوله: (زائدة) أي لتأكيد معنى النفي في منعك، فهو كما في ص بحذفها وهو الأصل لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً فيصير المعنى أي شيء منعك أن تسجد وأن منسبكة بمصدر أي من السجود والاستفهام للتوبيخ وإظهار معاندته وكفره اهـ كرخي.

قوله: ﴿إذ أمرتك﴾ ظرف لمنعك أو لتسجد اهـ.

قوله: ﴿قال أنا خير منه﴾ الخ استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده اهـ أبو السعود.



وَخَلَقْتُمُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ أي الناس ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى ﴿قَالَ فِيمَا آغُوتِي لِأَقْعُدَنَّ﴾ أي وقت النفخة الأولى

وكان من حق الجواب أن يقول: منعني كذا وكذا، لكن تباعد عن هذا الجواب وأداه باللازم اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ﴾ الخ تعليل لما ادعاه من فضله. وقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما هو من جهة المادة والعنصر اهـ أبو السعود.

قوله أيضاً: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾ الخ أي والنار خير من الطين لأنها جسم نوراني، وقد أخطأ طريق الصواب لأن النار فيها الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب، وأما الطين فشأنه الرزانة والاناة والصبر والحلم والتثبت اهـ خازن.

وأيضاً فالطين سبب للحياة من إنبات النبات، والنار سبب لهلاك الأشياء، والطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفريقها اهـ كرخي.

قوله: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من المخالفة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ لا مفهوم له، يعني: أنه لا يتوهم أنه يجوز أن يتكبر في غيرها، ولما اعتبر بعضهم هذا المفهوم احتاج إلى تقدير حذف معطوف كقوله: تقيكم الجر. قال: والتقدير فما يكون لك أن تتكبر فيها ولا في غيرها، والضمير في يبعثون يعود على بني آدم لدلالة السياق عليهم كما دل على ما عاد عليه الضميران في منها وفيها كما تقدم اهـ سمين.

قوله: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ تأكيد للأمر بالهبوط متفرع على علته. وقوله: ﴿إِنَّكَ الْخَبِيرُ﴾ تعليل للأمر بالخروج اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ في المختار: الصغار بالفتح الذل والضمير وكذا الصغر وقد صغر الرجل من باب طرب فهو صاغر والصاغر الراضي بالضمير اهـ.

قوله: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ الخ لما كره اللعين أن يذوق مرارة الموت طلب البقاء والخلود لأن يوم البعث هو يوم النفخة الثانية ولا موت حينئذ، لأن الموت قد تم عند النفخة الأولى ولم يجب لسؤاله بل غاية ما أمهله الله إلى النفخة الأولى اهـ من الخازن.

قوله: ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ أي يوم النفخة الثانية، والموت مستحيل حينئذ فعرضه الفرار منه اهـ.

قوله: (وفي آية أخرى الخ) يشير إلى أن هذا محمول ما جاء مقيداً بوقت النفخة الأولى حيث تموت الخلق كلهم، لا النفخة الثانية التي يقوم الناس فيها لرب العالمين التي طلبها، وإنما أجيب إلى الإنظار مع أنه إنما طلبه ليفسد أحوال عباد الله لما في ذلك من ابتلاء العباد، ولما في مخالفته من عظيم الثواب اهـ كرخي.

﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ أي بإغوائك لي والباء للقسمة وجوابه ﴿ لَأَقْدَنَّ لَكَ ﴾ أي لبني آدم ﴿ صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي على الطريق الموصل إليك ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ أي من كل جهة فأمّنهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لثلاث يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ مؤمنين ﴿ قَالَ أَخْرَجْنَا آلَهُمْ مِنْهَا وَلَهُمْ مَعِيبٌ

قوله: (أي وقت النفخة الأولى) أي والموت ممكن حينئذ فيموت كغيره. قوله: ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ الخ غرضه بهذا أخذ ثأره منهم لأنه لما طرد ومقت بسببهم على ما تقدم أحب أن ينتقم منهم أخذاً بالثأر اهـ شيخنا.

وفي هذه الباء وجهان، أحدهما: أن تكون قسمية وهو الظاهر، والثاني: أن تكون سببية وبه بدأ الزمخشري قال: ﴿ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم. ثم قال: والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في غرايتهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم اهـ سمين.

قوله: (والباء للقسمة) أي دالة على قسم مقدر ومتعلقة بفعله المقدر وهي كما في قوله فبعزتك لأغوينهم وإغواؤه إياه أثر من آثار قدرة الله تعالى وعزته وحكم من أحكام سلطانه فمآل الأقسام بهما واحد فلعل اللعين أقسم بهما جميعاً فحكى تارة إقسامه بأحدهما وأخرى بالآخر اهـ أبو السعود.

قوله: (أي على الطريق الخ) أشار به إلى أن صراطك منصوب على الظرف، وهو كما قال الزجاج: نحو ضرب زيد الظهر والبطن، أي: عليهما. والمعنى: أحول بينهم وبينه اهـ كرخي والطريق الموصل هو دين الإسلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الخ أي من الجهات التي يعتاد هجوم العدو منها، وهي الجهات الأربع، ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وإنما عدى الفعل إلى الأولين بمن الابتدائية، لأنه منهما متوجه إليهم وعدى إلى الآخرين بحرف المجاوزة، لأن الآتي منهما كالمندحرف المار على عرضهم اهـ أبو السعود.

وإشارة إلى نوع تباعد منه في هاتين الجهتين لعود ملك اليمين وملك اليسار فيهما وهو ينفر من الملائكة اهـ شيخنا.

قوله: (ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم) أي ولا يأتي أيضاً من تحتهم، إما لأنه متكبر فيحب العلو، وإما لأن الإتيان منها ينفر ويفزع المأتي، وهو يحب تأليفه لا تنفيره فلا يأتي إلا من الجهات الأربع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ ﴾ يحتمل أن يكون من الوجدان بمعنى اللقاء والمصادفة فيتعدى لواحد، فشاكرين حال وأن يكون بمعنى العلم فيتعدى لاثنتين وهذه الجملة إما استئنافية وإما معطوفة على قوله: ﴿ لَأَقْدَنَّ ﴾ الخ فتكون من جملة المقسم عليه ويكون اللعين قد أقسم على جملتين مثبتتين وأخرى منفية اهـ من السمين.

وقال: هذا ظناً منه كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ [سبا: ٢٠] لما رأى منهم

أو ممقوتاً ﴿مَنْحُورًا﴾ مبعداً عن الرحمة ﴿لَمَنْ يَخْلِكْ مِنْهُمْ﴾ من الناس واللام للابتداء أو موطئة

أن مبدأ الشر متعدد ومبدأ الخير واحد. وقيل: سمعه من الملائكة. وقيل: رآه في اللوح المحفوظ اهـ من أبي السعد والخازن.

قوله: ﴿قال أخرج منها﴾ أي من الجنة مذووماً بالهمز من ذامة يذامه ذاماً كقطعه يقطعه قطعاً إذا عابه ومقته اهـ شيخنا.

وفي المختار: الذام العيب يهمز ولا يهمز. يقال: ذامه من باب قطع إذا عابه وحقره فهو مذووم اهـ.

وفيه أيضاً: مقته أبغضه من باب نصر فهو مقيت اهـ.

وفيه أيضاً: دحره وطرده وأبعده وبابه قطع اهـ.

وفي السمين: قوله. مذووماً مدحوراً حالان من فاعل أخرج عند من يجيز تعدد الحال لذي حال واحدة، ومن لا يجيز ذلك فمدحوراً صفة لمذووماً أو هي حال من الضمير في الحال قبلها فتكون الحالان متداخلتين، ومذووماً مدحوراً اسماً مفعول من ذامه ودحره، فأما ذامه يذامه فيقال بالهمز ذامه كراسه يرأسه وذامه يذيمه كباعه يبيعه من غير همز، فمصدر المهموز ذام كراس، وأما مصدر غير المهموز فسمع فيه ذام بالالف. وحكى ابن الأنباري فيه ذيماً كبيع قال: يقال ذامت الرجل أذامه وذمته أذيمة ذيماً والذام العيب. وقيل: الاحتقار ذامت الرجل أي احتقرته قاله الليث. وقيل: الذام الذم قاله ابن قتيبة وابن الأنباري والجمهور على مذووماً بالهمز. وقرأ أبو جعفر والأعمش والزهري: مذووماً بواو واحدة بدون همز والدحر الطرد والإبعاد. يقال دحره يدحره دحراً ودحوراً ومنه ﴿ويقدفون من كل جانب دحوراً﴾ [الصفافات: ٨] اهـ.

قوله: (واللام للابتداء) أي داخله على المبتدأ، وهو من الموصولة على هذا الوجه، وجملة تبعك صلتها. وقوله: لأملأن، جواب قسم مقدر بعد قوله: منهم، وهذا القسم المقدر وجوابه المذكور مجموعهما خبر المبتدأ الذي هو من، والرباط متضمن في قوله: منكم، لأنه بواسطة التغليب مشتمل على الناس المعبر عنهم بمن الموصولة، والشارح لم يعرب الآية على هذا الاحتمال، وإنما أعربها على الاحتمال الثاني في كلامه. وقوله: (أو موطئة للقسم) أي دالة على قسم مقدر بجنبها، والتقدير: والله لمن تبعك الخ، ومن شرطية مبتدأ، وجملة تبعك جملة الشرط. وقوله: ﴿لأملأن﴾ الخ جواب القسم المقدر، واللام فيه واقعة في الجواب لمحض التأكيد بخلاف اللام الأولى على ما عرفت، فقول الشارح وهو لأملأن فيه مساهلة، إذ القسم ليس هو هذا بل هو مقدر، وهذا جوابه وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور كما أشار له بقوله: (وفي الجملة الخ) أي جملة جواب القسم. هكذا أوضحه السمين ونصه قوله: لمن تبعك منهم في هذه اللام. وفي من وجهان، أظهرهما: أن اللام لام التوطئة لقسم محذوف ومن شرطية في محل رفع بالابتداء، ولأملأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده. والثاني: أن اللام لام الابتداء ومن موصولة، وتبعك صلتها وهي في محل رفع بالابتداء أيضاً، ولأملأن جواب قسم محذوف، وذلك القسم المحذوف وجوابه في محل رفع خبر لهذا المبتدأ، والتقدير: للذي تبعك منهم والله لأملأن جهنم

للقسم وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية أي من تبعك أعذبه ﴿و﴾ قال ﴿هَآذِهِمُ اسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد ﴿الْجَنَّةَ فُكْلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ

منكم. فإن قلت: أين العائد من الجملة القسمية الواقعة خبراً عن المبتدأ؟ قال: هو متضمن في قوله منكم لأنه لما اجتمع ضميراً غيبية وخطاب غلب الخطاب على ما عرف غير مرة اهـ.

قوله: (أو موطئة للقسم) وسميت موطئة لأنها وطأت الجواب للقسم المحذوف، أي: مهدته له، وتسمى أيضاً المؤذنة لأنها تؤذن بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط اهـ كرخي.

قوله: (أي منك بذريتك) بيان للمخاطبين. قوله: (تغليب الحاضر) وهو إبليس على الغائب وهو الناس. قوله: (وفي الجملة) وهي لأملأن معنى جزاء من أي فهي دالة عليه، وهذا على حد قوله: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت اهـ.

قوله: (معنى جزاء من الشرطية) وذلك لأن قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ الخ قول في المعنى إلى المحذوف، وهو أعذبه، وقد عرفت أن هذا كله على الاحتمال الثاني في كلامه، وأما على الاحتمال الأول فهي موصولة، تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويا آدم﴾ معطوف على أخرج كما أشار إليه الشارح بتقدير العامل، وهذا أدق مما صنعه غيره كالبيضاوي وأبي السعود وغيرهما، وعبرة البيضاوي ﴿ويا آدم﴾ أي: وقلنا يا آدم اسكن الخ اهـ. وقد قلنا ليعلم أن هذه القصة معطوفة على قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿اسكن﴾ أي ادخل وتقدم في سورة البقرة عن شيخ الإسلام ما ينبغي الوقوف عليه فراجع. وعبرة الخازن: اسكن أنت وزوجك أي وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك، وذلك بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه وطرده اهـ.

وتخصيص الخطاب في يا آدم به للإيذان بأصالته في تلقي الوحي وتعاطي الأمور به وتعميمه في قوله: ﴿فكلاً﴾ وقوله: ﴿ولا تقرباً﴾ للإيذان بتساويهما في مباشرة الأمور به وتجنب المنهي عنه، فحواء مساوية فيما ذكر بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيها اهـ أبو السعود.

وفي شرح المواهب للزرقاني ما نصه: واختلفوا في أن حواء خلقت في الجنة، فقال ابن إسحاق: خلقت قبل دخول آدم الجنة لقوله تعالى ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾، وقيل: خلقت في الجنة بعد دخول آدم الجنة، لأنه لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشاً، فلما نام خلقت من ضلعه القصرى من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها. قاله ابن عباس وينسب لأكثر المفسرين، وعلى هذا قيل: قال الله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ بعد خلقها وهما في الجنة. وقيل: خلقها وتوجه الخطاب للمعدوم لوجوده في علم الله تعالى اهـ.

قوله: (ليعطف عليه الخ) أشار به إلى أن أنت تأكيد للضمير المستكن في الفعل ليحسن عطف

الشَّجَرَةَ ﴿بِالْأَكْلِ مِنْهَا وَهِيَ الْحَنْظَلَةُ﴾ ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَوَسَّوْا لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿يَبْدَى﴾

وزوجك عليه كما مر وترك رغداً اكتفاء بما مضى في سورة البقرة وقال فيها: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا﴾ [البقرة: ٣٥] بالواو، وقال ههنا بالفاء والسبب فيه أن الواو تفيد الجمع المطلق، والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب. فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس، ففي سورة البقرة ذكر الجنس وفي سورة الأعراف ذكر النوع، وتقدم نظير هذا في سورة البقرة اهـ كرخي.

قوله: ﴿فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شَتَمَا﴾ في الكلام حذف، أي: فكللا منها أي من ثمارها حيث شتتما اهـ أبو السعود.

فحيث ظرف مكان والمعنى فكللا من ثمارها في أي مكان شتتما الأكل فيه. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ قرب يستعمل لازماً فيكون بضم الراء في الماضي والمضارع، ويستعمل متعدداً كما هنا فيكون بكسرهما في الماضي وفتحها في المضارع ويفتحها في الماضي وضمها في المضارع. وفي المصباح: قرب الشيء ما قرباً أي دنا، إلى أن قال: وقربت الأمر أقربه من باب تعب. وفي لغة: من باب قتل قرباناً بالكسر فعلته أو دانيته اهـ.

قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ مجزوم بالعطف على ما قبله أو منصوب بأن المضمرة بعد الفاء في جواب النهي اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لأنفسكما بدليل ما يأتي. قوله: ﴿فَوَسَّوْا لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ الخ الوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان، يقال: وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً مكرراً وأصله صوت الحلي، فإن قلت: كيف وسوس لهما وآدم وحواء في الجنة وإبليس قد أخرج منها؟ قلت: أجيب عنه بوجوه منها: أنه كان يوسوس في الأرض فتصل وسوسته إلى السماء، ثم إلى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له، وأما ما قيل من أنه دخل في جوف الحية فقصة مشهورة ركيكة، ومنها أنهم بما قربا من باب الجنة وكان هو واقفاً من خارج الجنة على بابها، فقرب أحدهما منه اهـ خازن.

وفي خط بعض الفضلاء، على المواهب ما نصه: قال القاضي أحمد الثوبى رحمه الله في اختصاره لتاريخ الخميس: وروي أن إبليس بعد ما صار ملعوناً رأى آدم وحواء في طيب عيش ونعمة ورأى نفسه في مذلة ونقمة فحسدهما فهو أول حاسد، ثم أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لهما وذلك بعد ما أخرج منها فمنعه الخزنة فجلس على باب الجنة ثلاثمائة سنة من سني الدنيا وذلك بقدر ثلاث ساعات من ساعات الأخرة، وإبليس وإن صار مطروداً من الجنة وممنوعاً من دخولها لكن لم يمنع من السموات، فكان يصعد إلى السماء السابعة إلى زمن إدريس، فلما رفع إدريس إلى السماء السابعة منع إبليس منها وكان لا يمنع من السهوات الآخر إلى زمن عيسى، فلما رفع عيسى إلى السماء الرابعة منع إبليس منها ومما فوقها وكان يصعد إلى الثالثة، فلما أوحى الله إلى نبينا ﷺ منع من الثلاث الآخر أيضاً فصار ممنوعاً من السموات كلها اهـ.

وعبرة السمين: فوسوس لهما أي فعل الوسوسة لأجلهما، والفرق بين ووسوس له وسوس إليه أن وسوس له بمعنى وسوس لأجله كما تقدم، ووسوس إليه ألقى إليه الوسوسة. والوسوسة الكلام

يظهر ﴿هَٰذَا مَا وُورِيَ﴾. فوعل من المواراة ﴿عَنَّهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تِهَمًا وَقَالَ مَا نَهَكَا رَبُّكُمَا عَنِ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾  
كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ﴾ وقرىء بكسر اللام ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها

الخفي المكرر ومثله الوسواس، وهو صوت الحلي، والوسوسة أيضاً الخطرة الرديئة، ووسوس لا  
بتعدى إلى مفعول بل هو لازم، ويقال: رجل موسوس بكسر الواو ولا يقال بفتحها، قاله ابن  
لأعرابي. وقال غيره: يقال موسوس له وموسوس إليه. وقال الليث: الوسوسة حديث النفس  
والصوت الخفي من ريح يهز قضيباً ونحوه كالهمس. قال تعالى: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ [ق:  
١٦]. وقال الأزهري: وسوس ووزوز بمعنى واحد.

وفي القاموس: ورجل موزوز مغرر. قوله: ﴿ليبدي لهما﴾ اللام للعاقبة، فإن غرضه من  
الوسوسة وقوعهما في المعصية ليخرجا من الجنة كما خرج هو، هذا هو غرضه بهذه الوسوسة، ويصح  
أن تكون لليلة، والغرض لجواز أن يكون مقصوده ظهور سوءاتهما زيادة على وقوعهما في المعصية اهـ  
شيخنا.

قوله: ﴿ما ووري عنهما﴾ أي غطي وستر وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر،  
وكان لباسهما نوراً وطفء اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما، فقال ابن عباس: كان لباسهما الظفر، أي  
غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار في اليدين والرجلين تذكرة وزينة  
وانتفاعاً. وقال وهب: كان لباسهما نوراً. وقال مجاهد: كان التقوى. وقيل: كان من ثياب الجنة،  
وهذا أقرب لأن إطلاق اللباس يتبادر فيه اهـ.

قوله: (فوعل) أشار بهذا إلى أن الواو الثانية زائدة، فحينئذ لا يجب قلب الأولى همزة وإنما  
يجب لو كانت الثانية أصلية كما أوضحوه في قول الخلاصة. وهمز أول الواوين رد الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ما ووري﴾ ما موصولة بمعنى الذي، وهي مفعول به ليبدي، أي: ليظهر  
الذي ستر. وقرأ الجمهور: ووري بواوين صريحتين وهو ماض مبني للمفعول أصله وارى كضارب،  
فلما بُني للمفعول أبدلت الألف واواً كضوب، فالواو الأولى فاء الكلمة، والثانية زائدة. وقرأ هب  
الله: أوري بإبدال الأولى همزة وهو بدل جائز لا واجب، وهذه قاعدة كلية وهي أنه إذا اجتمع في أول  
الكلمة واوان وتحركت الثانية أو كان لها نظير متحرك وجب إبدال الأولى همزة تخفيفاً، فإن لم تتحرك  
ولم تحمل على متحرك جاز الإبدال كهذه الآية الكريمة اهـ.

قوله: ﴿وقال ما نهاكما﴾ الخ عطف على وسوس بطريق البيان له، أي: على أنه معطوف ببيان  
له.

قوله: (إلا أن تكونا ملكين) أي: والملائكة تعلم الخير والشر ولا يموتون ولهم المنزل والقرب  
من العرش، فاستشرف آدم لأن يكون منهم لأجل ما ذكر وذلك بمعزل عن الدلالة على أفضلية الملائكة  
عليه، فليس في الآية دليل عليها اهـ خازن بتصرف.

كما في آية أخرى ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ ﴿وَقَسَمَهُمَا﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحِينَ﴾ ﴿٢١﴾ في ذلك ﴿فَدَلَّهُمَا﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا

قوله: ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ أي الذين لا يموتون، أو الذين يخلدون في الجنة اهـ أبو السعود.

والاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله فيقدره البصريون إلا كراهة أن تكونا، ويقدره الكوفيون إلا أن لا تكونا، وقد تقدم غير مرة أن قول البصريين أولى لأن إضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف. والجمهور على ملكين بفتح اللام. وقرأ علي وابن عباس والحسن والضحاك ويحيى بن أبي كثير والزهري وابن حكيم، عن ابن كثير ملكين بكسرهما، قالوا: ويؤيد هذه القراءة قوله في موضع آخر: ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [طه: ١٢٠] والملك يناسب الملك بالكسر اهـ سمين.

وهذه القراءة شاذة كما في الكرخي. قوله: أي وذلك أي أحد الأمرين لازم، أي ناشئ عن الأكل منها، وقضية هذه الآية عدم اجتماع الأمرين، وقضية الآية الأخرى اجتماعهما بالأكل منها، فمن ثم قيل: إن الواو في الآية الأخرى بمعنى اهـ أو كرخي.

قوله: (أي أقسم لهما) أشار به أن المفاعلة ليست على بابها بل للمبالغة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: المفاعلة هنا يحتمل أن تكون على بابها، فقال الزمخشري: كأنه قال لهما: أقسم لكما أي لمن الناصحين، فقالا له: أتقسم بالله أنت إنك لمن الناصحين لنا، فجعل ذلك مقاسمة بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة، وأقسما له بقبولها، أو أخرج قسم إبليس على وزن المفاعلة لأنه اجتهد فيها اجتهد المقاسم. وقال ابن عطية: وقاسمهما أي حلف لهما وهي مفاعلة، إذ قبول المحلوف له وإقباله على معنى اليمين وتقديره كالقسم وإن كان بادي الرأي يعطي أنها من واحد، ويحتمل أن يكون فاعل بمعنى أفعل كباعدته وأبعدته، ذلك أن الحلف لما كان من إبليس دونهما كان فاعل بمعنى أصل الفعل اهـ.

قوله: ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ يجوز في لكما أن يتعلق بما بعده على أن أل معرفة لا موصولة، وهذا مذهب أبي عثمان أو على أنها الموصولة، ولكن تسومح في الظرف وعديله ما لا يتسامح في غيرهما اتساعاً فيهما لدورانهما في الكلام، وهو رأي البصريين. ونصح يتعدى لواحد تارة بنفسه وتارة بحرف الجر، ومثله شكر وكال ووزن، وهل الأصل التعدي بحرف الجر أو التعدي بنفسه أو كل منهما أصل الراجح الثالث. وزعم بعضهم أن المفعول في هذه الأفعال محذوف، وأن المجرور باللام هو الثاني، فإذا قلت: نصحت لزيد فالتقدير نصحت لزيد الرأي، وكذلك شكرت له صنيعه وكلت له طعامه ووزنت له متاعه، فهذا مذهب رابع. وقال الفراء: العرب لا تكاد تقول نصحتك، إنما يقولون نصحت لك وأنصح لك وقد يجوز نصحتك اهـ سمين.

قوله: ﴿فدلاهما﴾ التذلية والإدلاء، إرسال الشيء من الأعلى إلى الأسفل اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: فدلاهما بغرور يعني فخدعهما بغرور. يقال: ما زال فلان يدلي فلاناً بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل. وقال الأزهري: وأصله أن الرجل العطشان يتدلى في

الشَّجَرَةَ ﴿ أَي أَكَلَا مِنْهَا ﴾ ﴿ بَدَتْ لَهَا سَوءُ نَتِجَتَا ﴾ أَي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوءاً لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾ أَخذا يلزقان ﴿ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ لَئِنَّمَا ﴾ ليستترا

البشر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء، فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه، والغرور إظهار النصيح مع إبطان الغش. وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية، لأن التدلي لا يكون إلا من علو إلى أسفل. ومعنى الآية: أن إبليس لعنه الله غرّ آدم باليمين الكاذبة، وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، وإبليس أول من حلف بالله كاذباً، فما حلف إبليس ظن آدم أنه صادق فاغتر به اهـ.

قوله: ﴿ بَغُرُور ﴾ الباء للحال، أي مصاحبين للغرور منه، أو مصاحباً هو للغرور، فهي حال من الفاعل أو المفعول، ويجوز أن تكون الباء سببية، أي: دلاهما بسبب أن غرّهما، والغرور مصدر حذف فاعله ومفعوله، والتقدير: بغروره إياهما اهـ سمين.

قوله: (حطهما عن منزلتهما) ينبغي أن يكون المراد المنزل الحسية وإن كانت عبارته ظاهرة في المعنوية، وذلك لأن آدم لم تنقص رتبته بما وقع له، بل زادت غاية الأمر أنه دلي وأنزل من العلو وهو الجنة إلى السفلى وهو الأرض تأمل. قوله: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ﴾ يعني طعماً من ثمرها وفيه دليل على أنهما تناولا ليسير من ذلك قصداً إلى معرفة طعمه، لأن الذوق يدل على الأكل اليسير. وقوله: ﴿ بَدَتْ النِّخ ﴾ فيه حذف، أي: سقط عنهما لباسهما فبدت لهما سوءاتهما اهـ خازن.

روي في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة، فلذلك نهيا عن أكلها. قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكاً يخاطبه فقال: قل له أي شيء تريد؟ قال آدم: أريد أن أضع ما في بطني من الأذى. فقيل للملك: قل له في أي مكان تضعه أتحث العرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحث ظلال الأشجار؟ هل ترى ههنا مكاناً يصلح لذلك؟ اهبط إلى الدنيا اهـ من الإحياء للغزالي. قوله: (ودبره) أي الآخر. قوله: (يسوء صاحبه) أي يحزنه.

قوله: ﴿ وَطَفِقَا ﴾ أي شرعا وأخذاً يخصفان عليهما، أي على القبل والدبر، أي: جعل كل منهما يستر عورته. والورق قيل: ورق التين، وقيل: ورق الموز. اهـ شيخنا.

وفي المختار: وطفق يفعل كذا، أي: جعل يفعل كذا وبابه طرب. وبعضهم يقول: هو من باب جلس اهـ.

وفيه أيضاً خصف النعل خصفاً خرزها. وقوله تعالى: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ أي: يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتها اهـ.

وفهم منه أن على ليست صلة ليخصفان بل هي في المعنى للتعليل، والمعنى جعلاً ليخصفان الورق بعضه ببعض عليهما، أي لأجلهما، أي: لأجل استتارهما به، فليتأمل. وفي المصباح: خصف الرجل نعله خصفاً من باب ضرب فهو خصاف، وهو فيه كرقع الثوب اهـ. وعبارة البيضاوي: أَخذا يلزقان ويرقعان ورقة فوق ورقة اهـ.



به ﴿وَقَادَهُمَا رَبُّهُمَا آتَرَأَيْتُمَا مَا كُنَّا لَكُمَا الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿٢٢﴾ بين العداوة والاستفهام للتقرير ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَلَا تَرَوْهُوَ تَقَرَّرْنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ أَهَيُّوْا﴾ أي آدم وحواء بما اشتملنا عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾

وفي المصباح: ولزق به الشيء كسمع يلزق لزوقاً، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: ألزقته ولزقته تلزيقاً فعلته من غير إحكام ولا إتقان فهو ملزق أي غير وثيق اهـ.

قوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ تفسير للنداء، فلا محل له من الإعراب أو معمول لقول محذوف. أي: وقال أو قائلاً ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ النخاه أبو السعود.

قال محمد بن قيس: ناداه ربُّه: يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني حواء. قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لما أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس. قال الله: أما أنت يا حواء فلأدمنك كل شهر كما أدमित الشجرة، وأما أنت يا حية فأقطع رجلك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون اهـ خازن.

قوله: ﴿وَأَقْلَ لَكُمَا﴾ النخ أي كما حكى هذا القول في سورة طه بقولنا: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ [طه: ١١٧] الآية. قوله: (بين العداوة) أي حيث أبى السجود وقال: لأعبدن لهم صراطك المستقيم. ومما تقرر علم أنهما كانا عرفا عداوة إبليس لهما وحذرا منها حيث قال لهما في سورة طه ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه: ١١٧] اهـ كرخي.

قوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ هذا خبر من الله تعالى عن آدم عليه السلام وحواء واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك. والمعنى: قالا يا ربنا إنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك، ما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن الأكل منها اهـ خازن.

قوله: (بمعصيتنا) هو إما مأخوذ من قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ [طه: ١٢١] أي قبل النبوة، وإما للاعتراف بكونه ظالماً لكونه ترك الأولى ويدل عليه ما روي في الأثر «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، أو لأن القصد بذلك هضم النفس والنهج على الطاعة على الوجه الأبلغ اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ هذا شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه، أي: ولنن لم تغفر لنا اهـ سمين.

قوله: ﴿قَالَ اهْبُطُوا﴾ أي إلى الأرض. وقوله: (أي آدم) أي ندائية لا تفسيرية اهـ قاري.

قوله: (بما اشتملتما) أي: مع ما اشتملتما الخ، فهبط آدم بسرنديب جبل بالهند وحواء بجدة. وقيل: بعرفة. وقيل: بالمزدلفة وإبليس بالأبلة بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام جبل بقرب البصرة. وقيل: بجدة. والحية أهبطت بسجستان، وقيل: بأصبهان اهـ من شرح المواهب. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ النخ جملة حالية اهـ.

من ظلم بعضكم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مكان استقرار ﴿وَمَتْنَعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَّا جِبُونَ﴾ تنقضي فيه آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي الأرض ﴿تَحْيَوْنَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لُبَاسًا﴾ أي خلقناه لكم ﴿يُورَىٰ﴾ يستو ﴿سَوَاءٌ لَّكُمْ فَرِيضًا﴾ هو

قوله: (من ظلم بعضهم) أي: من أجل. قوله: (مكان استقرار) وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان والقبر الذي يدفن فيه أهـ شيخنا.

قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أعيد الاستئناف إما للإيذان ببعد اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٥٧] أثر قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] بعد قوله: ﴿قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وإما لإظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ الخ أهـ أبو السعود.

وحيي من باب رضي فتحيون أصله تحييون بوزن ترضييون، تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ثم حذفت لالقاء الساكنين، فوزنه تفعون بحذف لام الكلمة أهـ.

قوله: (بالبناء للفاعل) أي: في تخرجون، وأما الفعلان قبله فهما مبنيان للفاعل لا غير أهـ.

قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ الخ هذا تذكير ببعض النعم لأجل امتثال ما هو المقصود الآتي بقوله: ﴿لَا يَفْتَنَنَّكُمُ الْخ﴾ أهـ شيخنا.

قوله: (أي خلقناه لكم) أي بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة منها كالمطر، فهو سبب لنبات القطن والكتان وغيرهما، ولמעيشة الحيوانات ذوات الصوف وغيره، فبهذا الاعتبار كان اللباس نفسه أنزل من السماء، ونظير هذا ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ الخ [الزمر: ٦] ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ الخ [الحديد: ٢٥] أهـ من أبي السعود والخازن.

قوله: ﴿يُورَىٰ سَوَاءٌ لَّكُمْ﴾ أي التي قصد إبليس إبداءها من أبيكم حتى اضطر إلى لزق الأوراق، فأنتم مستغنون عن ذلك باللباس أهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَرِيضًا﴾ يحتمل أن يكون من باب عطف الصفات. والمعنى: أنه وصف اللباس بشيئين: مواراة السواة والزينة وعبر عنها بالريش، لأن الريش زينة للطائر كما أن اللباس زينة للإنسان، ولذلك قال الزمخشري: والريش لباس الزينة استعير من ريش الطائر لأنه لباس وزينته، ويحتمل أن يكون من باب عطف الشيء على غيره، أي أنزلنا عليكم لباساً موصوفاً بالمواراة ولباساً موصوفاً بالزينة وهذا اختيار الزمخشري، فإنه قال: أي أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يوراي سوءاتكم ولباساً يزينكم، لأن الزينة غرض صحيح. قال تعالى: ﴿لَتُرْكَبُوا بِهَا زِينَةٌ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [التخل: ٨]، وعلى هذا فالكلام في قوة حذف موصوف وإقامة صفته مقامه فالتقدير: ولباساً ريشاً، أي إذا ريش والريش فيه قولان، أحدهما: أنه اسم لهذا الشيء المعروف. والثاني: أنه مصدر يقال راشه يريشه ريشاً إذا جعل فيه الريش، فينبغي أن يكون الريش مشتركاً بين المصدر والعين، وهذا هو التحقيق. وقرأ عثمان وابن

ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباساً والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿فَيُؤْمِنُونَ فِيهِ التَّفَاتِ عَنْ الْخَطَابِ﴾ ﴿يَنْبَغِي آدَمَ لَا يَقْنَنَكُمْ﴾ يضلكن ﴿الْقَبْطُنُ﴾ أي لا تتبعوه ففتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبُوَيْكُمْ﴾ بفتنته ﴿مِنَ الْجَنَّةِ بَنَزَعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا لِيَرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا إِنَّهُ﴾ أي

عباس والحسن وغيرهم: ورياشاً وفيها تأويلان، أحدهما: وبه قال الزمخشري أنه جمع ريش فيكون كشعب وشعاب. والثاني: أنه مصدر أيضاً فيكون ريش ورياش مصدرين لراشه الله ريشاً ورياشاً، أي: أنعم عليه. وقال الزجاج: هما اللباس، فعلى هذا هما اسمان للشيء الملبوس، كما قالوا: لبس ولباس. قلت: وجوز الفراء أن يكون ريش جمع ريش، وأن يكون مصدراً فأخذ الزمخشري بأحد القولين وغيره بالآخر اهـ سمين.

قوله: ﴿ولباس التقوى﴾ أي الناشئ عنها أو الناشئة عنه، والإضافة قريبة من كونها بيانية اهـ شيخنا.

قوله: (العمل الصالح) أي الذي يقيكم العذاب، أو هو الصوف والثياب الخشنة، أي: لبس المتواضع المتكشف ما ذكر اهـ كرخي.

قوله: ﴿ذلك خير﴾ الإشارة للباس الثالث على كل من القراءتين، أي: خير من اللباسين الأولين. وقوله: ﴿ذلك من آيات الله﴾ إشارة إلى إنزال اللباس بأقسامه اهـ شيخنا. وإنما كان لباس التقوى خيراً لأنه يستر من فضائح الآخرة اهـ كرخي.

قوله: (دلائل قدرته) أي الدالة على قدرته. قوله: (فيه التفات) أي في قوله لعلمهم، وكان مقتضى المقام لعلمكم اهـ.

قوله: ﴿لا يفتنكن﴾ هو نهى للشيطان في الصورة، والمراد: نهى المخاطبين عن متابعتهم والإصغاء إليهم، وقد تقدم معنى ذلك في قوله تعالى: ﴿فلا يكن في صدرك حرج﴾ [الأعراف: ٢]. وقرأ ابن وثاب وإبراهيم: ﴿لا يفتنكن﴾ بضم حرف المضارعة من أفتنه، بمعنى: حمله على الفتنة. وقرأ زيد بن علي: لا يفتنكنم بغير نون توكيد اهـ سمين.

قوله: (أي لا تتبعوه) أشار بهذا إلى أن المنهي في الحقيقة بنو آدم وإن كان النهي في الظاهر للشيطان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كما أخرج﴾ نعت لمصدر محذوف، أي: ﴿لا يفتنكن﴾ فتنة مثل فتنة إخراج أبيكم اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: كما أخرج نعت لمصدر محذوف، أي: ﴿لا يفتنكن﴾ فتنة مثل فتنة إخراج أبيكم، ويجوز أن يكون التقدير: لا يخرجكنم بفتنته إخراجاً، مثل إخراج أبيكم. وقوله: ينزع جملة في محل نصب على الحال وفي صاحبها احتمالان، أحدهما: أنه الضمير في أخرج العائد على الشيطان. والثاني: أنه لأبوين، وجاز الوجهان لأن المعنى يصح على كل من التقديرين والصناعة

الشيطان ﴿يَرْتَكِبُ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا

مساعدة لذلك، فإن الجملة مشتملة على ضمير الأبوين وعلى ضمير الشيطان اهـ.

وإسناد النزاع إليه لتسببه فيه، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة التي وقعت فيما مضى إهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: يتزع عنهما جيء بلفظ المضارع على أنه حكاية حال لأنها قد وقعت وانقضت، والنزع الجذب للشيء بقوة عن مقره، ومنه: ﴿تتزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ [القمرا ٢٠] ومنه: نزع القوس ويستعمل في الإعراض، ومنه: نزع العداوة والمحبة من القلب، ونزع فلان كذا سلبه، ومنه: ﴿النازعات غرقاً﴾ لأنها تقلع أرواح الكفرة بشدة، ومنه: المنازعة وهي المخاصمة، والنزع عن الشيء الكف عنه، والنزوع الاشتياق الشديد، ومنه: نزع إلى وطنه اهـ.

قوله: ﴿إنه يراكم﴾ تعليل للنهي، أي للتحذير اللازم له، فكانه قيل: فاحذروه لأنه يراكم الخ. وقوله: ﴿إنا جعلنا الشياطين﴾ الخ تأكيد لهذا التعليل اهـ أبو السعود بالمعنى، وهو تأكيد للضمير المتصل ليسوغ العطف عليه، كذا في عبارة بعضهم. قال الواحدي: أعاد الكناية ليحسن العطف كقوله: ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ [البقرة: ٣٥] قلت: ولا حاجة إلى التأكيد في مثل هذه الصورة لصحة العطف، إذ الفاصل هنا موجود وهو كاف في صحة العطف، فليس نظير ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ اهـ. وقوله: ﴿وقبيله﴾ المشهور قراءته بالرفع نسقاً على الضمير المستتر، ويجوز أن يكون نسقاً على اسم إن على الموضع عند من يجيز ذلك، ولا سيما عند من يقول يجوز ذلك بعد الخبر بإجماع، ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر فتحصل في رفعه ثلاثة أوجه. وقرأ اليزيدي: ﴿وقبيله﴾ نصباً وفيها تخريجان، أحدهما: أنه منصوب نسقاً على اسم إن لفظاً إن قلنا إن الضمير عائد على الشيطان وهو الظاهر. والثاني: أنه مفعول، أي: يراكم مصاحباً قبيلة، والضمير في إنه فيه وجهان، الظاهر منهما كما تقدم أنه للشيطان. الثاني أن يكون ضمير الشأن وبه قال الزمخشري، ولا حاجة تدعو إلى ذلك. والقبيل: الجماعة يكونون من ثلاثة فصاعداً من جماعة شتى هذا قول أبي عبيدة: والقبيلة الجماعة من أب واحد، فليست القبيلة تأنيث القبيل لهذه المغايرة اهـ سمين.

وفي المصباح: والقبيل الجماعة ثلاثة فصاعداً من قوم شتى، والجمع قبل بضمين والقبيلة لغة فيه، وقبائل الرأس القطع المتصل بعضها ببعض وبها سميت قبائل العرب الواحدة قبيلة وهم بنو أب واحد اهـ.

فتفسير الشارح له بالجمع بالنظر لمعناه وإن كان لفظه مفرداً. قوله: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ أي: إذا كانوا على صورهم الأصلية، أما إذا تصوروا في غيرها فتراهم كما وقع كثيراً. ومن ابتدائية، أي: رؤية مبتدأة من مكان لا ترونهم فيه اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ من لا ابتداء غاية الرؤية، وحيث ظرف لمكان الرؤية، ولا ترونهم في محل خفض بإضافة الظرف إليه، هذا هو الظاهر في إعراب هذه الآية. والمعنى: فاحذروا من عدو يراكم ولا ترونه، ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي

الشَّيَاطِينَ أَوَّلِيَّةَ ﴿٢٧﴾ أَعْوَانًا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت  
عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ فافتدينا بهم

امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا بل تقيده بقوله: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ أي: من الجهة التي يكونون فيها على  
أصل خلقتهم من الأجسام اللطيفة يقتضي جواز رؤيتهم في غير تلك الجهة، والحق جواز رؤيتهم من  
تلك الجهة كما هو ظاهر الأحاديث الصحيحة وتكون الآية مخصوصة بها، فيكونون مرئيين في بعض  
الأحيان لبعض الناس دون بعض اهـ.

قوله: (للطافة أجسادهم) فأجسادهم مثل الهواء نعلمه ونتحققه ولا نراه، وهذا وجه عدم رؤيتنا  
لهم، ووجه رؤيتهم لنا كثافة أجسادنا، ووجه رؤية بعضهم بعضاً أن الله تعالى قوى شعاع أبصارهم جداً  
حتى يرى بعضهم بعضاً ولو جعل فينا تلك القوة لرأيانهم، ولكن لم يجعلها لنا. وعبرة الخازن: قال  
العلماء رحمهم الله تعالى: إن الله تعالى خلق في عيون الجن إدراكاً يرون بذلك الإدراك الإنس، ولم  
يخلق في عيون الإنس هذا الإدراك فلم يروا الجن. وقالت المعتزلة: الوجه في أن الإنس لا يرون الجن  
لرقة أجسام الجن ولطافتها، والوجه في رؤية الجن للإنس كثافة أجسام الإنس، والوجه في رؤية الجن  
بعضهم بعضاً أن الله تعالى قوى شعاع أبصار الجن وزاد فيها حتى يروا بعضهم بعضاً ولو جعل في  
أبصارنا هذه القوة لرأيانهم، ولكن لم يجعلها لنا. وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس رضي  
الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وجعلت صدور بني آدم  
مساكن لهم إلا من عصمه الله». كما قال تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ [الناس: ٥] فهم  
يرون بني آدم وبني آدم لا يرونهم. قال مجاهد: قال إبليس: جعل لنا أربع نرى ولا نرى، ونخرج من  
تحت الثرى، ويعود شيخنا شاباً. وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد  
المؤونة إلا من عصمه الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿إنا جعلنا الشياطين﴾ أي صيرنا، فهو متعد لاثنيين وذلك الجعل بأن أوجد بينهم مناسبة،  
أو بأن أرسل الشياطين على الذين لا يؤمنون ومكنهم من إغوائهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإذا فعلوا﴾ أي: العرب فاحشة جملة مستأنفة أو معطوفة على الصلة قبلها، والفاحشة:  
الفعلة المتناهية في القبح اهـ أبو السعود. والمراد: الفاحشة شرعاً وإلا فهم يرون فعلهم طاعة اهـ  
شيخنا.

قوله: (كالشرك) أشار به إلى أن المراد بالفاحشة عمومها، وإن كان السبب في نزول الآية هو  
طوافهم بالبيت عراة اهـ شيخنا.

قوله: (وطوافهم) أي: العرب، فكانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار ونساؤهم بالليل، فكان  
أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت ربي فيه. فيقول: من  
يعيرني إزاراً، فإن وجدو وإلا طاف عرياناً، وإذا فرض وطاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه  
وحرّمها على نفسه اهـ خازن.

قوله: ﴿قالوا وجدنا﴾ الخ أي محتجين بأمرين: تقليد الآباء والافتراء على الله اهـ أبو السعود.

﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ أنه قاله استفهام إنكار ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى بالقسط أي قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدراً ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي أخلصوا له

قوله: (أيضاً) أي: كما قالوا المقالة الأولى، أي: قالوا وجدنا الخ، وقالوا الله أمرنا بها فقد اعتذروا بأمرين أهد شيخنا.

قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم) أي ردأ عليهم في المقالة الثانية، ولم يتعرض لرد الأولى لوضوح فسادهما لما هو معلوم أن تقليد مثل الآباء ليس حجة أهد شيخنا.

قوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ الخ هذا من جملة المأمور به، أي: وقل لهم أتقولون الخ أهد شيخنا. يعني: أنكم ما سمعتم كلام الله مشافهة، ولا أخذتموه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وعباده في تبليغ أوامره ونواهيه، لأنكم تنكرون نبوة الأنبياء، فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون أهد خازن.

قوله: (استفهام إنكار) أي: وتوبيخ، وفيه معنى النهي أهد شيخنا.

قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بيان لما أمر الله به حقيقة بعد أن كذبهم فيما قالوه عن الله أهد شيخنا.

قوله: (معطوف على معنى الخ) غرضه بهذا دفع إيراد صرح به غيره، وحاصله: أن أمر إخبار، وأقيموا إنشاء وهو لا يعطف على الخبر، وحاصل الجواب: أنه عطف إنشاء على إنشاء، لكن الإنشاء المعطوف عليه إما أن يؤخذ من معنى الكلام، وإما أن يقدر أهد شيخنا.

قوله: (على معنى بالقسط) أي: مع ضميمة معنى أمر، فإن قوله: (أي قال) بيان لمعنى أمر. وقوله: (أقسطوا) بيان لمعنى بالقسط. وقوله: (أو قبله الخ) التقدير، أو معطوف على فاقبلوا حالة كونه مقدراً قبله، أي: قبل وأقيموا، فأوفى قوله: (أو قبله) داخله على (فاقبلوا)، وقوله: (مقدراً) حال منه. وقوله قبله معمول لمقدر تأمل أهد شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿وَأَقِيمُوا﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه معطوف على الأمر المقدر، أي الذي ينحل إليه المصدر وهو بالقسط، وذلك أن القسط مصدر فهو ينحل لحرف مصدري وفعل، فالتقدير: قل أمر ربي بأن أقسطوا وأقيموا، وكما أن المصدر ينحل لأن، والفعل الماضي نحو عجبت من قيام زيد وخرج، أي: من أن قام وخرج، ولأن والفعل المضارع كقوله: للبس عباءة وتقر عيني أي: لأن ألبس عباءة وتقر كذلك ينحل لأن، وفعل الأمر لأنها توصل بالصيغ الثلاث: الماضي والمضارع والأمر بشرط التصرف، وقد تقدم لنا تحقيق هذه المسألة وإشكالها وجوابها، وهذا بخلاف ما فإنها لا توصل بالأمر، وبخلاف كي فإنها لا توصل إلا بالمضارع، فلذلك لا ينحل المصدر إلى ما وفعل أمر ولا إلى كي وفعل ماض أو أمر ويجوز أن يكون قوله ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوفاً على أمر محذوف تقديره: قل اقبلوا وأقيموا أهد.

سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ عبادوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾

قوله: (سجودكم) أي: صلاتكم، وحينئذ فعطف قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ الخ عطف عام على خاص، هذا ما يناسب صنيعه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ إما مستأنف لبيان بطلان اعتقادهم في إنكار البعث، فبين بطلانه بأن شبه البعث بما هو معروف عندهم وهو المبدأ، أي أن الذي قدر على ابتدائكم ولم تكونوا شيئاً يقدر على إعادتكم، كذلك فقول الشارح: (ولم تكونوا شيئاً) بيان لوجه الشبه بين الإعادة والبدء، أي أن كلاً من عدم لكن بقطع النظر عن المادة وهي النطفة في البدء، وإما تعليل لقوله: ﴿وَأَقِيمُوا﴾ الخ أي: امتثلوا ما ذكر لأنه يعيدكم فيجازيكم بعملكم، تأمل اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: أي يعيدكم أحياء بإعادته فتجزون، فالتشبيه في مجرد الخلق بلا كيفية فلا يرد كيف قال ذلك مع أنه تعالى بدأنا أولاً نطفة ثم علقه الخ والعود ليس كذلك، وإيضاح الجواب أنه تعالى كما أوجدكم بعد العدم كذلك يعيدكم بعده، فالتشبيه في نفس الإحياء والخلق لا في الكيفية والترتيب اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره تعودون عوداً، مثل: ما بدأكم. وقيل تقديره تخرجون خروجاً مثل: ما بدأكم. ذكرهما مكّي، والأول أليق بلفظ الآية الكريمة اهـ.

قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ مستأنف، أو حال من فاعل بدأ وهو الله، وفريقاً الأول معمول لهدى بعده، وفريقاً الثاني معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق في المعنى على حد زيدا مرتتبه، أي: وأضل فريقاً حق عليهم الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ في نصب فريقاً وجهان، أحدهما: أنه منصوب بهدى بعده وفريقاً الثاني منصوب بإضمار فعل يفسره قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ من حيث المعنى والتقدير، وأضل فريقاً حق عليهم وقدره الزمخشري وخذل فريقاً لغرض له في ذلك، والجملتان الفعليتان في محل نصب على الحال من فاعل بدأكم أي: بدأكم حال كونه هادياً فريقاً ومضلاً فريقاً وقد مضرة عند بعضهم، ويجوز على هذا الوجه أيضاً أن تكون الجملتان الفعليتان مستأنفتين، فالوقف على تعودون على هذا الإعراب تاماً بخلاف ما إذا جعلتهما حالين، فالوقف على قوله الضلالة. الوجه الثاني: أن ينتصب فريقاً على الحال من فاعل تعودون، أي تعودون فريقاً مهدياً حاقاً عليه الضلالة، وتكون الجملتان الفعليتان على هذا في محل نصب على النعت لفريقاً وفريقاً، ولا بد حينئذ من حذف عائد على الموصوف من هدى أي فريقاً هداهم، ولو قدرته هداه بلفظ الأفراد لجاز اعتباراً بلفظ فريقاً، إلا أن الأحسن هداهم بلفظ الجمع لمناسبة قوله: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ والوقف حينئذ على قوله: ﴿الضَّلَالَةُ﴾ ويؤيد إعرابه حالاً قراءة أبي بن كعب: تعودون فريقين فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة، وفريقين نصب على الحال وفريقاً وفريقاً بدل أو منصوب بإضمار أعني على

اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴿٣٠﴾ أَيُّ غَيْرِهِ ﴿٣١﴾ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ ﴿يَنبَغِي بِآدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ أي ما يستر عورتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَشَرِبُوا﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من

القطع، ويجوز أن ينتصب فريقاً الأول على الحال من فاعل تعودون، وفريقاً الثاني نصب بإضمار فعل يفسره حق عليهم الضلالة كما تقدم تحقيقه في كل منهما اهـ.

قوله: ﴿حق عليهم الضلالة﴾ أي ثبت في الأزل. وقوله: ﴿إنهم اتخذوا﴾ تعليل لقوله: ﴿حق عليهم الخ﴾ والفريق متعدد في المعنى اهـ شيخنا.

وفي القاموس: والفرقة بالكسر الطائفة من الناس والجمع فرق، والفريق تآشير أكثر منها والجمع أفرقاء وأفرقة وفروق اهـ.

قوله: ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ معطوف على اتخذوا أو حال منه، ودلت هذه الآية على أن مجزء الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين، بل لا بد من الجزم والقطع لأنه تعالى ذم الكفار بأنهم يحسبون كونهم مهتدين، ولولا أن هذا الحساب مذموم لما ذمهم بذلك، ودلت أيضاً على أن كل من شرع في باطل فهو مستحق للذم سواء حسب كونه هدى أو لم يحسب ذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا بني آدم﴾ الخ قال ابن عباس: كان العرب يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهاز والنساء بالليل، يقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنزل ﴿يا بني آدم﴾ وقوله: ﴿وكلوا﴾ الخ قال الكلبي: كانت بني عامر لا يأكلون في أيام حجهم إلا قوتا ولا يأكلون لحماً ولا ذسماً يعظمون بذلك حجهم، فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلهم فنزل: ﴿وكلوا واشربوا﴾ يعني اللحم والدسم اهـ خازن.

قوله: (عند الصلاة والطواف) غرضه تفسير المسجد بالصلاة والطواف كما صرح به غيره، فلو أسقط لفظ عند لكان أوضح اهـ.

قوله: ﴿ولا تسرفوا﴾ أي بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بالإفراط في الطعام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل من حرم﴾ الخ أي قل لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة، والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم اهـ خازن.

قوله: (إنكاراً عليهم) أي وتوبيخاً، وإذا كان للإنكار فلا جواب له إذ لا يراد به استعمال، ولذلك نسب مكى إلى الوهم في زعمه أن قوله: ﴿قل هي للذين آمنوا﴾ الخ جوابه اهـ كرخي.

قوله: ﴿زينة الله التي أخرج﴾ أي من النبات كالقطن والكتان، ومن الحيوان كالحرير والصوف، ومن المعادن كالدرع اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لعباده﴾ (من اللباس) هو ما عليه ابن عباس وأكثر المفسرين، والمراد ما يستر العورة. وقيل: من جميع أنواع الزينة، فيدخل فيه جميع أنواع الملبوس، ويدخل تحته تنظيف البدن من جميع الوجوه، وهذا ناظر إلى عموم اللفظ لا إلى خصوص السبب اهـ كرخي.



اللباس ﴿وَالطَّيِّبَتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم بالرفع والنصب حال ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون فإنهم المنتفعون بها ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرْنَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي جهرها وسرها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَالْبَغْيَ﴾ على الناس ﴿بَغْيَ الْحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَن تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا تَزَيَّرُونَ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَنًا﴾ حجة ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ عنه

قوله: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الضمير عائد على الزينة من الثياب والطيبات من الرزق، لكن على وجه أعم بأن يراد بها الأعم من الدنيوية والأخروية لأجل أن يصح الإخبار عنها بقوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ويقولوه: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ اهـ.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي غير خالصة لهم لأنه يشركهم فيها المشركون وقوله: ﴿خَالِصَةً﴾ أي لا يشركهم فيها أحد، لأنه لا حظ للمشركون يوم القيامة في الطيبات من الرزق ولا من الثياب اهـ خازن.

قوله: ﴿بِالاستحقاق﴾ أي الأصلي، وهذا جواب كيف أخبر عن الزينة والطيبات بأنهما للذين آمنوا في الحياة الدنيا، مع أن المشاهد أنهما لغير الذين آمنوا أكثر وأدوم، وحاصل الجواب: أن في الآية إضمماراً تقديره: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ غير خالصة في الحياة الدنيا ﴿خَالِصَةً﴾ للمؤمنين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فهي لهم أصالة وللكفار تبعاً لقوله ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦] اهـ كرخي.

قوله: ﴿بِالرفع﴾ أي على أنه خبر ثان. وقوله: ﴿حَال﴾ أي من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، أي: هي كائنة لهم في الدنيا حالة كونها خالصة يوم القيامة اهـ خازن.

قوله: ﴿مِثْلُ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ﴾ أي التبيين. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلمون أن الله واحد لا شريك له، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه اهـ خازن.

قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ الخ أي: قل للمشركين الذين يتجردون من ثيابهم في الطواف، والذين يحرمون أكل الطيبات إن الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحله، وإنما حرم الفواحش الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿الْمَعْصِيَةَ﴾ أي: فهو عطف عام على خاص، والثلاثة بعده معطوفة عليه عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَن تَشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ أي تسووا به في العبادة. وقوله: ﴿مَا لَمْ﴾ أي إلهاً أو معبوداً لم ينزل به الخ. قوله: ﴿وغيره﴾ كتحليل ما لم يحل، والإلحاد في صفاته. وقولهم: الله أمرنا بها اهـ.

قوله: ﴿مُدَّة﴾ أي مدة العمر من أولها إلى آخرها. وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ أي آخر هذه المدة، فذلك أظهر لاختلاف الأجل في الموضعين، والأجل يطلق على كل من مدة العمر بتمامها، وعلى الجزء الأخير منها. وفي المصباح: أجل الشيء مدته ووقته الذي يحل فيه وهو مصدر أجل الشيء أجلاً

﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ إِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّهُمْ

من باب تعب، وأجل أجولاً من باب قعد لغة، وأجلته تأجيلاً جعلت له أجلاً، والآجال جمع أجل مثل سبب وأسباب اهـ.

قوله: ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ أي أجل كل واحد اندرج تحت الأمة، وقوله: ﴿ساعة﴾ أي شيئاً قليلاً من الزمان، فهي مثل يضرب لغاية القلة من الزمان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يستأخرون عنه﴾ جواب إذا، والمضارع المنفي بلا إذا وقع جواباً لإذا في الظاهر، جاز أن يتلقى بالفاء وأن لا يتلقى بها. قال الشيخ: وينبغي أن يعتقد أن الفاء والفعل بعدها اسماً مبتدأ فتصير الجملة اسمية، ومتى كانت كذلك وجب أن تتلقى بالفاء، أو إذا الفجائية وساعة نصب على الظرف وهي مثل في قلة الزمان اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا يستقدمون﴾ هذا مستأنف معناه الإخبار بأنهم لا يسبقون أجلهم المضروب لهم، بل لا بد من استيفائهم إياه كما أنهم لا يتأخرون عنه أقل زمان. وقال الحوفي وغيره: إنه معطوف على لا يستأخرون، وهذا لا يجوز لأن إذا إنما يترتب عليها وعلى ما بعدها الأمور المستقبلية لا الماضية، والاستقدام بالنسبة إلى مجيء الأجل متقدم عليه، فكيف يترتب عليه ويصير هذا من باب الإخبار بالضروريات التي لا يجهل أحد معناها، فيصير نظير قولك إذا قمت فيما يأتي لم يتقدم قيامك فيما مضى، ومعلوم أن قيامك في المستقبل لم يتقدم قيامك هذا. وقال الواحدي: إن قبل ما معنى هذا مع استحالة التقدم على الأجل وقت حضوره، وكيف يحسن التقدم مع هذا الأصل؟ قيل: هذا على المقاربة، تقول: جاء الشتاء إذا قرب وقته، ومع مقاربة الأجل يتصور التقدم وإن كان لا يتصور مع الانقضاء، والمعنى: لا يستأخرون عن آجالهم إذا انقضت ولا يستقدمون عليها إذا قاربت الانقضاء. قلت: هذا بناء منه على أنه معطوف على لا يستأخرون، وهو ظاهر أقوال المفسرين اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿ولا يستقدمون﴾ معطوف على الجملة الشرطية لا على جواب الشرط، إذ لا يصح ترتيبه على الشرط واستئناف، لأن إذا الشرطية لا يترتب عليها إلا المستقبل، أي: فلا يترتب على مجيء الأجل إلا مستقبل والاستقدام سابق، فالوجه انقطاع لا يستقدمون عن الجواب استئنافاً كما حققه التفازاني. وقال هنا وفي سائر المواضع بالفاء إلا في يونس فبحذفها لأن مدخولها في غير يونس جملة معطوفة على أخرى مصدرة بالواو وبينهما اتصال وتعقيب، فحسن الإتيان بالفاء الدالة على التعقيب بخلاف ما في يونس اهـ.

وقال أبو السعود: معطوف على الجواب، لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلاً اهـ.

وقال القاري: وحاصل كلام القاضي: أن هذا بمنزلة المثل، أي: لا يقصد من مجموع الكلام إلا أن الوقت تقرر لا يتغير ولا يتبدل اهـ. وهو نظير قولهم الرمان حلو حامض يعني فالجزء مجموع الأمرين لا كل واحد على حدته تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إما يأتيكنم رسل منكم﴾ إنما قال رسل بلفظ الجمع وإن كان المراد به واحداً وهو النبي

رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ مَا نَنْهَى عَنْهُ الشُّرَكَاءُ أَتَقْنُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٣٨﴾ تَكْبَرُوا ﴿٣٩﴾ فَلَمْ يَأْمَنُوا بِهَا ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ فَمَنْ أَتَى أَحَدًا ﴿٤٣﴾ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٤٤﴾ بِنَسْبَةِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿٤٥﴾ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا ﴿٤٦﴾ الْقُرْآنَ ﴿٤٧﴾ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنْهُمُ ﴿٤٨﴾ يَصِيبُهُمُ ﴿٤٩﴾ نَصِيبُهُمْ ﴿٥٠﴾ حَظُّهُمْ ﴿٥١﴾ مِمَّنْ الْكَذِبِ ﴿٥٢﴾ مِمَّا كَتَبَ لَهُمْ فِي اللُّوحِ

ﷺ لأنه خاتم الأنبياء وهو مرسل إلى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم، فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني آدم لأهل مكة ومن يلحق بهم. وقيل: أراد جميع الرسل، وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني آدم عام في كل بني آدم، وإنما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم، لأن الرسول إذا كان من جنسهم كان أقطع لعذرهم وأثبت للحجة عليهم لأنهم يعرفونه ويعرفون أحواله، فإذا أتاهم بما لا يليق بقدرته أو بقدرة أمثاله علم أن ذلك الذي أتى به معجزة له وحجة على من خالفه اهـ خازن.

قوله: ﴿فَمَنْ اتَّقَى﴾ الخ هذه الجملة الشرطية أي مجموع الشرط والجزاء جواب الشرط السابق

اهـ.

وعبارة السمين: قوله: ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ﴾ يحتمل أن تكون من شرطية وأن تكون موصولة، فإن كان الأول كانت هي وجوابها جواباً للشرط الأول وهي مستقلة بالجواب دون الجملة التي بعدها وهي والذين كذبوا، وإن كان الثاني كانت هي وخبرها، والجملة المشار إليها كلاهما جواباً للشرط كأنه قسم جواب، قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيَنكُمْ﴾ إلى متق ومكذب، ولكن لا بد من تقدير رابط بين هذه الجملة وبين الجملة الشرطية. والتقدير: فمن اتقى منكم والذين كذبوا منكم انتهت وما سلكه من التوزيع غير لازم بل يصح جعل مجموع الجملتين جواباً سواء جعلت من شرطية أو موصولة، وقد جرى أبو السعود على أنها شرطية وأن الجواب مجموع الشرطية والحملية ومثله البيضاوي، وإيراد الالتقاء في الأول للإيدان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الالتقاء والاجتناب وإدخال الفاء في الجزء الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد اهـ كرخي.

قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها اهـ.

قوله: ﴿فَلَمْ يَأْمَنُوا بِهَا﴾ إشارة إلى أن قوله عنها على حذف مضاف اهـ.

قوله: ﴿يَنْهَاكُمُ اللَّهُ﴾ أي في الدنيا. قوله: ﴿مِمَّا كَتَبَ لَهُمْ فِي اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ﴾ عبارة الخازن، واختلفوا في ذلك النصيب على قولين، أحدهما: أن المراد به العذاب المعين لهم في الكتاب، ثم اختلفوا فيه، فقال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. وقال ابن عباس في رواية عنه: كيف بمن افترى على الله كذباً أن وجهه اسود. وقال الزجاج: هو المذكور في قوله: ﴿فَأَنْذَرْتَكُمْ نَاراً تَلْظَى﴾ [الليل: ١٤]. وقوله: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] فهذه الأشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم. والقول الثاني: أن المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب، ثم اختلفوا فيه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى عنه: من عمل خيراً جوزي به، ومن عمل شراً جوزي به. وقال قتادة: جزاء

المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا﴾ لهم تبكيئاً ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَابُوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلٰى

أعمالهم التي عملوها. وقيل: معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر. قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس أيضاً. وقال الربيع بن أنس: ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق. وقال محمد بن كعب القرظي: عمله ورزقه وعمره. وقال ابن زيد: ينالهم نصيبهم من الكتاب من الأعمال والأرزاق والأعمار، فإذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم. وصحح الطبري هذا القول الأخير وقال: إن الله تعالى أتبع ذلك بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ فبان أن الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا، فإذا فرغ توفتهم رسل ربهم. قال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى: وإنما حصل الاختلاف لأن لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه. وقال بعض المحققين: حملة على العمر والرزق أولى لأنه تعالى بين أنهم وإن بلغوا ذلك المبلغ العظيم فإنه ليس بمانع أن ينالهم بما كتب لهم من رزق وعمر تفضلاً من الله تعالى لكي يصلحوا ويتوبوا اهـ.

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ حتى هذه غاية وتقدم لك الكلام عليها غير مرة هل هي جارة أو حرف ابتداء. وتقدم عبارة الزمخشري فيها، واختلفوا فيها إذا كانت حرف ابتداء أيضاً هل هي حينئذ جارة وتتعلق بما قبلها تعلق حروف الجر من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، والجملة بعدها في محل جر أو ليست بجارة، بل هي حرف ابتداء فقط غير جارة، وإن كان معناها الغاية خلاف، الأول قول ابن درستويه والثاني قول الجمهور. وقوله: ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ في محل نصب على الحال وكتبت أينما متصلة وحققها الانفصال لأن ما موصولة، إذ التقدير أن الذين تدعونهم ولذلك كتب إن ما توعدون لآت منفصلاً، وإنما الله متصلاً اهـ سمين.

قوله: (أي الملائكة) أي الموكلون بقبض الأرواح أو الملائكة الموكلون بإدخالهم النار، ففي المقام قولان ذكرهما الخازن ونصه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يعني حتى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترقون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم، لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى. قالوا: يعني قال الرسل وهم الملائكة ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيئ لا سؤال استعلام، والمعنى: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم. وقيل: إن هذا يكون في الآخرة، والمعنى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ يعني ملائكة العذاب ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يعني يستوفون عددهم عند حشرهم إلى النار ﴿قَالُوا﴾ أين ما كنتم تدعون يعني شركاء وأولياء تعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله اهـ.

قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي أين الآلهة التي كنتم تدعون، أي تعبدونها من دون الله فيمنعونكم منا اهـ كرخي.

قوله: ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ جواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، وذلك أن السؤال إنما وقع عن مكان الذين كانوا يدعونهم من دون الله، ولو جاء الجواب على نسق السؤال لقليل هم في المكان الفلاني، وإنما المعنى ما فعل معبودكم ومن كنتم تدعونه فأجابوا بأنهم ضلوا عنهم وغابوا اهـ كرخي.

أَنْفُسِهِمْ ﴿عند الموت﴾ ﴿أَتَنْتُمْ كَاثِرًا كَثِيرِينَ﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق بادخلوا ﴿كَلَّمَادَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَعَنْتُ أَخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّى إِذَا أَدَارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ﴾ وهم الأتباع

قوله: (فلم نرهم) أي مع شدة احتياجنا إليهم في هذا الوقت فلم ينفعونا وقت الاحتياج إليهم اهـ شيخنا .

قوله: ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على قالوا فيكون من جملة جواب السؤال، ويحتمل أن يكون استثنافاً لإخباراً من الله تعالى بإقرارهم على أنفسهم بالكفر كذا في البحر، وأورد عليه أنه إذا عطف على قالوا يكون جواباً وهو لا يصح أن يكون جواباً إذ لو كان جواباً لكان من مقولهم ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] لأنهم من طوائف مختلفة، أو في مواقف وأوقات مختلفة اهـ شهاب .

قوله: (عند الموت) يشير به إلى أن المراد بالرسول ملائكة الموت، وقد عرفت من عبارة الخازن أنه أحد قولين اهـ .

قوله: ﴿قال﴾ (تعالى لهم) أي لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وجعلوا له شركاء اهـ خازن .

قوله: ﴿في﴾ (جملة) ﴿أمم﴾ الظرفية مجازية أي ادخلوا حال كونكم في أمم أي في غمارهم وعدادهم، والظاهر أن هذه الحال منتظرة إذ مصيرهم في غمار الأمم إنما هو بعد تمام الدخول، وذلك لأن الأمم المذكورة قد سبقتهم في الدخول فلا يصيرون في غمارها إلا بعد الدخول اهـ شيخنا .

قوله: ﴿في أمم﴾ المراد بهم الجماعات والأحزاب وأهل الملل . وقوله: ﴿قد خلت﴾ وقوله: ﴿من قبلكم﴾ وقوله: ﴿من الجن والإنس﴾ نعوت ثلاثة لأمم كما صرح به السمين . قوله: (متعلق بادخلوا) عبارة السمين : قوله: ﴿في أمم﴾ يجوز أن يتعلق قوله: ﴿في أمم﴾ وقوله: ﴿في النار﴾ كلاهما بادخلوا فيجاء الاعتراض المشهور وهو كيف يتعلق حرفاً جر متحداً اللفظ والمعنى بعامل واحد، فيجاء بأحد وجهين : إما أن في الأولى ليست للظرفية بل للمعية كأنه قيل : ادخلوا في أمم أي مصاحبين لهم في الدخول، وقد تأتي في بمعنى مع كقوله تعالى : ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ [الأحقاف: ١٦] في أصحاب الجنة وإما بأن في النار بدل من قوله: ﴿في أمم﴾ وهو بدل اشتمال كقوله: ﴿أصحاب الأخدود﴾ [البروج: ٤] النار فإن النار بدل من الأخدود كذلك في النار بدل من أمم بإعادة العامل بدل اشتمال، وتكون الظرفية الأولى مجازاً لأن الأمم ليسوا ظروفاً لهم حقيقة، وإنما المعنى ادخلوا في جملة أمم اهـ .

قوله: ﴿لَعَنْتُ أَخْتَهَا﴾ أي في الدين . قوله: (التي قبلها) أي في الدخول، أو في التلبس بذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس اهـ خازن . وقول الشارح لضلالها بها يؤيد الاحتمال الثاني .

قوله: ﴿حتى إذا أداركوا﴾ أي تداركوا، أي تلاحقوا في النار اهـ يضاوي .

﴿لَا أُولَئِهِمْ﴾ أي لأجلهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاقِبْهُمْ عَذَابًا مُّصِيفًا﴾ مضعفاً ﴿عَنِ النَّارِ

قوله: أي تداركوا تفسير له لبيان أصله أي: أصله تداركوا، فادغمت التاء في الدال بعد قلبها دالاً وتسكينها، ثم اجتلبت همزة الوصل. وقوله: (تلاحقوا) بيان لمعناه، أي: لحق بعضهم بعضاً وأدركه اهـ شهاب.

وفي السمين: قال مكي: ولا استطاع اللفظ بوزنها مع ألف الوصل لأنك ترد الزائد أصلياً فيقول أفاعلو فتصير تاء تفاعل فاء لا دغامها في فاء الفعل وذلك لا يجوز، فإن وزنتها على الأصل فقلت: تفاعلو جاز، قلت: هذا الذي ذكره من كونه لا يمكن وزنه إلا بالأصل وهو تفاعلو ممنوع وقوله: لأنك ترد الزائد أصلياً قلنا: لا يلزم ذلك لأننا نزنه بلفظه مع همزة الوصل، وتأتي بناء التفاعل بلفظها نقول وزن أداركوا تفاعلو فتلفظ بالتاء اعتباراً بأصلها لا بما صارت إليه حال الإدغام، وهذه المسألة نصوا على نظيرتها وهي أن تاء الافتعال إذا أبدلت إلى حرف مجانس لما بعدها كما تبدل طاء أو دالاً في نحو: اضطربوا واضطرب وازدجر إذا وزن ما هي فيه قالوا: تلفظ في الوزن بأصل تاء الافتعال ولا تلفظ بما صارت إليه من طاء أو دال، فنقول: وزن اضطرب افتعل لا افطعل ووزن ازدجر افتعل لا اذدعل، فكذا نقول هنا وزن أداركوا افتاعلو لا افاعلو فلا فرق بين تاء الافتعال والتفاعل في ذلك اهـ.

قوله: ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني قال آخر كل أمة لأولها. وقال السدي: قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين. وقال مقاتل: يعني قال آخرهم دخولاً النار وهم الأتباع لأولاهم دخولاً وهم القادة لأن القادة يدخلون النار أولاً اهـ خازن.

وأخراهم وأولاهم يحتمل أن يكون فعلى أنشأ أفعل الذي للمفاضلة والتفضيل على هذا كما قال الزمخشري: أخراهم منزلة وهم الأتباع والسفلة لأولاهم منزلة وهم القادة والسادة والرؤساء، ويحتمل أن تكون أخرى بمعنى آخره تأنيث آخر مقابل أول لا تأنيث آخر الذي للمفاضلة يقول: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام: ١٦٤ والإسراء: ١٥ وفاطر: ١٨ والزمر: ٧] والفرق بين أخرى بمعنى آخره وبين أخرى تأنيث آخر بزنة أفعل للتفضيل. أن التي للتفضيل لا تدل على الانتهاء كما لا يدل عليه مذكرها، ولذلك يعطف أمثالها عليها في نوع واحد تقول: مررت بامرأة وأجري وأخرى كما تقول برجل وآخر وآخر، وهذه تدل على الانتهاء كما يدل عليه مذكرها ولذلك لا يعطف أمثالها عليها، ولأن الأولى تفيد إفادة غير وهذه لا تفيد إفادة غير، والظاهر في هذه الآية الكريمة أنهما ليستا للتفضيل بل لما ذكرت لك اهـ سمين.

قوله: (أي لأجلهم) عبارة السمين قوله: ﴿لأولاهم﴾ اللام للتعليل أي لأجلهم، ولا يجوز أن تكون التي للتبليغ كهي في قولك: قلت لمزيد افعل. قال الزمخشري: لأن خطابهم مع الله لا معهم، وقد بسط القول قبله في ذلك الزجاج فقال: والمعنى قالت أخراهم يا ربنا هؤلاء أضلونا لأولاهم فذكر نحوه، قلت: وعلى هذا فاللام الثانية في قوله أولاهم لأخراهم يجوز أن تكون للتبليغ لأن خطابهم معهم بدليل قوله: ﴿فما كان لكم علينا من فضل فدوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ اهـ.

قَالَ تَعَالَى ﴿لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿وَلَكِنْ لَا تَقْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ بالياء والتاء - ما لكل فريق ﴿وَقَالَتْ أُولَئِكَ لَئِنْ كُنَّا لَنَكْفُرُنَّ بِمَا كُنَّا نَعْبُدُ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء، قال تعالى لهم ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾

قوله: ﴿ضِعْفًا﴾ (مضعفا) أشار به إلى أن المراد بالضعف هنا تضعيف الشيء وزيادته إلى ما لا يتناهى، لا الضعف بمعنى مثل الشيء مرة واحدة اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: ﴿ضِعْفًا﴾ قال أبو عبيدة: الضعف مثل الشيء مرة واحدة. وقال الأزهري: ما قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاري كلامهم، والضعف في كلام العرب المثل إلى ما زاد، ولا يقتصر به على مثلين بل تقول هذا ضعفه أي مثله وثلاثة أمثاله لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة، ألا ترى إلى قول الله تعالى فأولئك لهم جزاء الضعف لم يرد به مثلاً ولا مثلين، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله كقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور اهـ.

قوله: (عذاب مضعف) أي إلى غير نهاية، أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم اهـ كرخي.

قوله: (بالياء والتاء) أي: ولكن لا يعلمون أي الفريقان. وقوله: (والتاء) أي خطاباً لأخراهم اهـ شيخنا.

وفي السمين: قراءة العامة بتاء الخطاب إما خطاباً للسائلين وإما خطاباً لأهل الدنيا، أي: ولكن لا تعلمون ما أعد من العذاب لكل فريق. وقرأ أبو بكر عن عاصم بالغيبة، فيحتمل أن يكون الضمير عائد على الطائفة السائلة تضعيف العذاب أو على الطائفتين، أي: لا يعلمون قدر ما أعد لهم من العذاب اهـ.

قوله: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ﴾ أي مشافهة ومخاطبة لها اهـ.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي في الدنيا علينا من فضل أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا وإياكم سيان في الضلال واستحقاق العذاب اهـ أبو السعود.

فهذا رد لقول الطائفة الأخرى: هؤلاء أضلونا وفي السمين المعنى انتفى ان عليهم للسفلة فضلاً في الدنيا بسبب اتباعهم إياهم وموافقتهم لهم في الكفر، أي: اتباعكم إيانا وعدم اتباعكم سواء لأنكم كنتم في الدنيا عندنا أقل من أن يكون لكم علينا فضل باتباعكم بل كفرتم اختياراً لا أنا حملناكم على الكفر إجباراً اهـ.

قوله: (لم تكفروا بسببنا) أي بل كفرتم باختياركم فلا دخل لنا في كفركم اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى لهم الخ) هذا أحد قولين والآخر أنه من قول القادة للاتباع كما في الخازن ونصه: فذوقوا العذاب هذا يحتمل أن يكون من قول القادة للاتباع والأمة الأولى للأخرى التي بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى. يعني: يقول الله للجميع فذوقوا العذاب الخ اهـ.

تكبروا ﴿عَنَّا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم

قوله: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ﴾ قرأ أبو عمرو ولا تفتح بضم التاء من فوق والتخفيف والأخوان بالياء من تحت والتخفيف أيضاً والباقون بالتأنيث والتشديد، والتأنيث والتذكير باعتبار الجمع والجماعة والتخفيف والتضعيف باعتبار التثنية وعدمه والتضعيف هنا أوضح لكثرة المتعلق وهو في هذه القراءات مبني للمفعول أهدسمن.

قوله: (إذا عرج بأرواحهم) أي أو بأدعيتهم وأعمالهم كما هو شأن أرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم أهدسرخي.

قوله: (فيهبط بها إلى سجين) عبارة المحلي في سورة المطففين لفي سجين قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده وقوله: لفي عليين. قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش أهد.

قوله: (كما ورد في حديث) عبارة القرطبي: جاءت بذلك أخبار صحاح ذكرناها في كتاب التذكرة منها حيث البراء بن عازب وفيه في قبض روح الكافر، قال: ويخرج معها ريح كائن حيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي يسمى بها في الدنيا، حتى يتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ إِذَا دَعَوْا﴾ قاله مجاهد والنخعي انتهت.

قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون، فكذا ما توقف عليه أهد بيبضاوي.

وفي الخازن: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الإبل وسَمَّ الخياط ثقب الإبرة. قال الفراء: الخياط والمخيطة ما يخاط به، والمراد به الإبرة في هذه الآية، وإنما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لأنه أكبر من سائر الحيوانات جسماً عند العرب، فجسم الجمل من أعظم الأجسام وثقب الإبرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الإبرة الضيق محالاً، فثبت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار أن دخول الكفار الجنة مأبوس منه قطعاً. وقال بعض أهل المعاني: لما خلق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق الإبرة كان ذلك نفياً لدخولهم الجنة على التأييد، وذلك أن العرب إذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز استحالة كون ذلك الجائر، وهذا كقولك: لا أتيت حتى يشيب الغراب ويبيض القار أهد.



﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿تَجْزَى الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر ﴿لَمْ يَنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغشية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَلِكَ تَجْزَى

وفي السمين: والولوج الدخول بشدة، ولذلك يقال: هو الدخول في ضيق فهو أخص من مطلق الدخول والوليعة كل ما يعتمه الإنسان، والوليعة الداخل في قوم ليس هو منهم ولا يقال للبعير جمل إلا إذا بدل. وقيل: لا يقال له ذلك إلا إذا بلغ أربع سنين، وأول ما يخرج ولد الناقة ولم تعرف ذكورته أو أنوثته يقال له: سليل، فإن كان ذكراً فهو سقب والأنثى مائل ثم هو حوار إلى الفطام وبعد فيصل إلى سنة، وفي الثانية ابن مخاض وبنت مخاض، وفي الثالثة ابن لبون وبنت لبون، وفي الرابعة حق وحققة، وفي الخامسة جذع وجذعة، وفي السادسة ثني وثنية، وفي السابعة رباع ورباعية مخففة، وفي الثامنة سديس لهما. وقيل: سديسة للأنثى، وفي التاسعة بازل وبازلة، وفي العاشر مخلف ومخلفة وليس بعد النزول والأخلاف سن بل يقال بازل عام أو عامين ومخلف عام أو عامين حتى يهرم فيقال له عود اهـ.

وفي المصباح: ولج الشيء في غيره يلج من باب وعد ولوجاً دخل وأولجته إيلجاً أدخلته اهـ.

قوله: ﴿في سم الخياط﴾ السم مثلث السين لغة لكن السبعة على الفتح، وقرئ شاذاً بالكسر والضم اهـ شيخنا.

وفي المصباح: السم ما يقتل بالفتح في الأكثر وجمعه سموم مثل فلس وفلوس، وسمام أيضاً مثل سهم وسهام والضم لغة لأهل العالية والكسر لغة لبني تميم. والسم ثقب الإبرة وفيه اللغات الثلاث وجمعه سمام اهـ.

وفي السمين: وسم الخياط ثقب الإبرة وهو الخرق وسينه مثله وكل ثقب ضيق فهو سم. وقيل: كل ثقب في البدن. وقيل: كل ثقب في أنف أو أذن فهو سم وجمعه سموم والسم القاتل سمي بذلك للطفه وتأثيره في مسام البدن حتى يصل إلى القلب وهو في الأصل مصدر، ثم أريد به معنى الفاعل لدخوله باطن البدن، وقد سمه إذا أدخله فيه ومنه السامة للخاصة الذين يدخلون في بواطن الأمور ومسامها، ولذلك يقال لهم: الدخل. والسموم الريح الحارة لأنها تؤثر تأثير السم القاتل. والخياط والمخيط الآلة التي يخاط بها فعال ومفعول كإزار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع اهـ.

قوله: ﴿وكذلك﴾ (الجزاء) أي المذكور وهو أمران: عدم فتح أبواب السماء لأرواحهم وعدم دخولهم الجنة أي ونجزي المجرمين كما جزينا المكذبين المستكبرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لهم﴾ أي للذين كذبوا واستكبروا، فهذا بيان لجزاء آخر لهم غير الجزاء السابق اهـ شيخنا.

وهذه الجملة محتملة للحالية وللإستئناف، ويجوز حينئذ في مهاد أن يكون فاعلاً بالجار والمجرور فتكون الحال من قبيل المفردات وأن يكون مبتدأ فتكون الحال من قبيل المحل اهـ كرخي.

قوله: (جمع غاشية) وهو الغطاء كاللحاف ونحوه، ومعنى الآية: أن النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم اهـ خازن.

الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ وقوله ﴿لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها

وفي القاموس: والغاشية الغطاء والغاشية القيامة والنار اهـ.

قوله: (عوض من الياء المحذوفة) هذا بناء على الصحيح من أن الإعلال أي التغير والتصرف بالحذف مقدم على منع الصرف أي حذف التنوين، فإضطره غواشي بتنوين فاستقلت الضمة على الياء فحذفت فاجتمع ساكنان الخ والتنوين فحذفت الياء، ثم لوحظ كونه على صيغة مفاعل في الأصل فحذف تنوين الصرف فخفيف من رجوع الياء فيحصل الثقل فأتى بالتنوين عوضاً عنها، فغواش المنون ممنوع من الصرف لأن تنوينه تنوين عوض كما علمت وتنوين الصرف قد حذفت وإنما كان الراجح تقديم الإعلال لأن سببه ظاهر وهو الثقل، وسبب منع الصرف خفي وهو مشابهة الفعل له شيخنا.

وفي السمين: وللنحاة في الجمع الذي على مفاعل إذا كان منقوصاً بقياس خلاف هل هو منصرف أو غير منصرف فبعضهم قال: هو منصرف لأنه قد زالت منه صيغة متتهن الجموع فصار وزنه وزن جناح وقد زال فأنصرف. وقال الجمهور: هو ممنوع من الصرف والتنوين تنوين هوض واختلف في المعوض عنه ماذا، فالجمهور على أنه عوض من الياء المحذوفة. وذهب الميرد إلى أنه عوض من حركتها والكسر ليس كسر إعراب، وهكذا جوار وموال. وهذا الحكم ليس خاصاً بصيغة مفاعل بل كل غير منصرف إذا كان منقوصاً فحكمه ما تقدم نحو يعيل تصغير يعل وبعض العرب يعرب غواش ونحوه بالحرركات على الحرف الذي قبل الياء المحذوفة، فيقول هؤلاء جوار وقرى ومن فوقهم غواش برفع الشيء وهي كقراءة عبد الله وله الجوار المنشآت برفع الرء، وقد حررت هذه المسألة وما فيها من المذاهب واللغات في موضع غير هذا اهـ.

قوله: ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ أي نجزي الظالمين كذلك أي كالجزاء المذكور للمكذبين المستكبرين، وهو أن لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش، وعبر عن الكفار بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشارة لاتصافهم بالأمرين اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وذكر الجرم في حرمان الجنة والظلم دخول النار تنبيهاً على أن الظلم أعظم الإجرام اهـ.

قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني: والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحي الله إليه وتنزله عليه من شرائع دينه، وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه ﴿لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: لا نكلف نفساً إلا ما يسعها من الأعمال وما يسهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق. قال الزجاج: الوسع ما يقدر عليه، وقال مجاهد: معناه إلا ما افترض عليها. يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه، وقد غلط من قال إن الوسع بذل المجهود، قال أكثر أصحاب المعاني: إن قوله تعالى: ﴿لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر، والتقدير: والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا نكلف نفماً إلا

من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ عند الاستقار في منازلهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَن﴾ مخففة أي إنه

وسعها، وإنما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه من جنس هذا الكلام، لأنه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر أن ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم، وغير خارج عن قدرتهم، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة، وقال قوم من أصحاب المعاني: هو من تمام الخبر والعائد محذوف كأنه قال: لا نكلف نفساً منهم إلا وسعها، فحذف العائد للعلم به اهـ خازن.

قوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم﴾ أي خلقناهم في الجنة على هذه الحالة، وليس المراد أنهم دخلوا الجنة بما ذكر ثم نزع منهم فيها، بل المراد أنهم دخلوها مطهرين منه. قاله أبو حيان اهـ شيخنا.  
قوله: ﴿ما في صدورهم﴾ أي ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ اهـ.

قوله: ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ حال من الضمير. قوله: ﴿هدانا لهذا﴾ أي أرشدنا للعمل الذي هذا ثوابه اهـ خازن.

وهو يؤيد نسخة شارحنا هذه وفي نسخة لهذا العمل هذا جزاؤه بإسقاط الذي وفي أكثر النسخ لعمل هذا جزاؤه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لهذا﴾ (العمل) وهو قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. وقوله: الذي هذا أي جري الأنهار من تحتهم ودخول الجنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما كنا لنهتدي﴾ بواو كما هي ثابتة في مصاحف الأمصار غير الشام، وفيها وجهان، أظهرهما: أنها واو الاستئناف، والجملة بعدها مستأنفة. والثاني: أنها حالية، وقرأ ابن عامر ما كنا بدون واو، والجملة على ما تقدم من احتمالي الاستئناف، والحال وهي في مصحف الشاميين، كذلك فقد قرأ كل بما في مصحفه اهـ سمين.

قوله: (لدلالة ما قبله) وهو: وما كنا لنهتدي عليه، والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا أو لشقينا، وقيل: إن جوابها ما كنا لنهتدي قدم عليها، كما قدم في قوله: إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها، والأول: هو الأكثر في لسان العرب، ومفعول نهتدي وهدانا. الثاني: محذوف لظهور المراد، ولزيادة التعميم، كما أشير إليه. والجملة مستأنفة أو حالية اهـ كرخي.

قوله: ﴿لقد جاءت﴾ هذا إقسام من أهل الجنة. أي والله لقد جاءت رسل ربنا في الدنيا بالحق أي ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب حق وصدق، فقد حصل لنا غيابة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونودوا﴾ اختلف في المنادي، فقليل: هو الله، وقيل: الملائكة اهـ خازن.

أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

قوله: (أي أنه) أي الشأن. قوله: (في المواضع الخمسة) أي جواز الوجهين في المواضع الخمسة أولها: هذا الموضع، وآخرها: أن أفيضوا علينا من الماء أه شيخنا.

قوله: ﴿أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ﴾ أي التي كانت الرسل تعدكم بها في الدنيا أه خازن.

قوله: ﴿أَوْرَثْتُمُوهَا﴾ الجملة حال من الجنة، والعامل معنى اسم الإشارة على أن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ مبتدأ وخبر، أو الجنة صفة والخبر أَوْرَثْتُمُوهَا أه أبو السعود.

قوله: ﴿أَوْرَثْتُمُوهَا﴾ أي من أهل النار بما كنتم تعملون، أي أو حصلت لكم بلا تعب كالميراث، فلا يرد كيف قال ذلك مع أن الميراث هو ما ينتقل من ميت إلى حي، وهو مفقود هنا. وحاصل الجواب أنه على تشبيه أهل الجنة وأهل النار بالوارث والموروث عنه لأن الله خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل منزلة لأهل الجنة، أو لأن دخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله تعالى لا بعمل، فأشبه الميراث وإن كانت الدرجات فيها بحسب الأعمال، وفي فتح الباري: المنفي في الحديث دخولها بالعمل المجرد عن القبول، والمثبت في الآية دخولها بالعمل المتقبل والمقبول، إنما يحصل من الله تعالى تفضلاً أه كرخي.

وفي الخازن: روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما الكافر فإنه يورث المؤمن من الجنة والمؤمن يورث الكافر منزله من النار» زاد في رواية. «فلذلك قوله تعالى: ﴿أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». قال بعضهم: لما سمي الله الكافر ميتاً بقوله: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١] وسمى المؤمن حياً بقوله: ﴿لَيَنْزِلُنَّ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] وفي الشرع أن الأحياء يرثون الأموات فقال: أَوْرَثْتُمُوهَا يعني أن المؤمن حي وهو يرث من الكافر منزله في الجنة، لأنه في حكم الميت، ولا يعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لن يدخل الجنة أحد بعمله وإنما يدخلها برحمة الله تعالى وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال» والله أعلم أه.

وفي القرطبي: وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تنال إلا برحمته، فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته. إذ أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل منه عليهم أه.

قوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ سيأتي مقابله بقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أه شيخنا.

وهذا النداء إنما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. يقول أهل الجنة: يا أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة رسله من الثواب على الإيمان به وبرسله وطاعته حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً يعني من العذاب على الكفر؟ قالوا: نعم. يعني قال أهل النار مجيبين لأهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقاً.

فإن قلت: هل هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار أو من البعض للبعض؟ قلت: ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة النار يفيد العموم والجمع إذا قابل الجمع الرد على الفرد، فكل فريق من أهل

أَصْحَابَ النَّارِ ﴿تَقْرِيراً وَتَبْكِتاً﴾ ﴿أَنْ قَدْ جَعَلْنَا مَا وَعَدْنَاهُمْ﴾ من الثواب ﴿حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبِّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَاذَنْ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَتَوَلَّوْنَ﴾ أي يطلبون السبيل ﴿عِوَجاً﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز قيل هو

الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا .

فإن قلت : إذا كانت الجنة في السماء والنار في الأرض ، فكيف يمكن أن يبلغ هذا النداء أو كيف يصح أن يقع ؟ قلت : إن الله تعالى قادر على أن يقوي الأصوات والأسماع ، فيصير البعيد كالقريب اهـ خازن .

ويحتمل أنه تعالى يقرب إحدى الدارين من الأخرى إما بإزالة العليا وإما برفع السفلى .  
فإن قلت : كيف يرى أهل الجنة أهل النار وبالعكس مع أن بينهما حجاًباً وهو سور الجنة ؟ أجيب باحتمال أن سور الجنة لا يمنع الرؤية لما وراءه لكونه شفافاً كالزجاج ، وباحتمال أن فيه طاقات تحصل الرؤية منها اهـ .

قوله : (تقريراً) أي وتشفيأ منهم وفرحاً . وقوله : وتبكيأ في القاموس بكته ضربه باليد والعصا واستقبله بما يكره كبته ، والتبكيأ التقرير والغلبة بالحجة اهـ .

قوله : ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ هي حرف جواب كأجل وجير وإي وبلى ، ونقيضها لا . ونعم تكون لتصديق الإخبار أو إعلام استخبار أو وعد طالب ، وقد يجاب بها النفي المقرون باستفهام وهو قليل جداً وتبدل عينها حاء وهي لغة فاشية ، كما تبدل حاء حتى عينا اهـ سمين .

قوله : ﴿فَإِذْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ قيل : هو إسرأفيل صاحب السور ، وقيل غيره من الملائكة اهـ خازن .  
قوله : (أسمعهم) تفسير للبينية فمعنى أذن بينهم أسمعهم أن لعنة الخ . قوله : ﴿عِوَجاً﴾ العوج بالكسر في المعاني وفي الأعيان ما لم يكن منتصباً وبالفتح فيما كان منتصباً كالرمح والحائط اهـ أبو السعود .

قوله : (معوجة) عبارته في آل عمران مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق انتهت .

فعوجاً : حال بدليل قوله بمعنى معوجة ، وإن كان يحتمل المفعولية ، وأن المعنى على التعليل أي تبغون لأجلها عوجاً اهـ شيخنا .

وعبارة أبي السعود : هناك تبغونها عوجاً بأن تلبسوا على الناس وتوهموهم أن فيه ميلاً عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول عن وجهها ونحو ذلك اهـ .

وفي الخازن : هنا ويبغونها عوجاً يعني ويحاولون أن يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلوها . وقيل : معناه أنهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله ، وذلك أنهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه الله ، فاخطأوا الطريق وضلوا عن السبيل اهـ .

قوله : (والنار) أي وأصحاب النار ، وفي عبارة غيره التصريح بهذا المضاف اهـ .

سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿يَبَاطُ﴾ استوت حسناتهم وسيناتهم كما في

قوله: (حاجز) أي يجز ويمنع وصول أثر كل من الدارين إلى الأخرى اهـ أبو السعود.

قوله: (قيل هو سور الأعراف) الإضافة بيانية أي سور هو الأعراف، ثم فسر الأعراف بقوله: وهو سور الجنة فاستفيد من مجموع العبارتين أن الحجاب هو الأعراف، ومقابل قوله قيل هو سور الأعراف قد ذكره الخازن بقوله: وبينهما حجاب وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهٗ بَلَابُ﴾ [الحديد: ١٣] الآية. ثم قال: وقال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار اهـ.

وفي السمين: وجعل بعضهم نفس الأعراف هو نفس الحجاب المتقدم ذكره عر عنه تارة بالحجاب، وتارة بالأعراف قاله الواحدي، ولم يذكر غيره، ولذلك عرف الأعراف لأنه عني به الحجاب اهـ.

وقوله: (وهو سور الجنة) هذا أحد أقوال في تفسير الأعراف ذكرها الخازن ونصه: قال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، وقال السدي: إنما سمي الأعراف لأن أخطابه يعرفون الناس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الأعراف الشيء المشرف، وعنه قال: الأعراف سور كعرفت الديك، وعنه أن الأعراف جبل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار اهـ.

وفي القرطبي: وقيل: الأعراف جبل أحد يوضع هناك. وذكر الزهراوي حديثاً أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحداً يحبنا ونحبه وإنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يحبس عليه أقوام يعرفون كلا بسميائهم هم إن شاء الله من أهل الجنة». وذكر حديثاً آخر عن صفوان بن سليم أن النبي ﷺ قال: «إن أحداً على ركن من أركان الجنة» اهـ.

قوله: (رجال استوت حسناتهم وسيناتهم) هذا قول من ثلاثة عشر قولاً في أهل الأعراف ذكر الخازن منها ثمانية، وزاد عليه القرطبي خمسة ونص الأول. واختلف العلماء في أهل الأعراف، فروي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيناتهم، فقصر بهم سيناتهم عن الجنة وخلفتهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله تعالى فيهم. قال بعضهم: إنما جعلوا على الأعراف لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار، فهم لـوا من أهل الجنة ولا من أهل النار. لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضلهم ورحمته، لأنه ليس في الآخرة دار إلا الجنة أو النار. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيناته أكثر بواحدة دخل النار وأن الميزان يخف ويثقل بمقال كل حبة من خردل من إيمان، ومن استوت حسناته وسيناته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم سلام عليكم، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون، فكان الطمع دخولاً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الأعراف سور بين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيناتهم فهم بذلك المكان حتى إذا أراد الله تعالى أن يعافهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافته قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك، فآلقوا فيه حتى تصلح ألوانهم، وتبدو في نحورهم شامة بيضاء

الحديث ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِمَتِهِمْ﴾ بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين

يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة. ذكره ابن جرير في تفسيره. وقال شرحبيل بن سعد: أصحاب الأعراف قوم خرجوا في الغزو من غير إذن آبائهم. ورواه الطبري بسنده إلى يحيى بن شبل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: «هم قوم قتلوا عصاة آبائهم فمَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنِ النَّارِ وَمَنَعَتْهُمْ مَعْصِيَةُ آبَائِهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ» زاد في رواية «هم آخر من يدخل الجنة». وذكر ابن الجوزي: أنهم قوم رضي عنهم أبائهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم. ورواه عن إبراهيم. وذكر عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالاً.

فهذه الأقوال الخمسة تدل على أن أصحاب الأعراف دون أهل الجنة في الدرجات، وإن كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى. وقال مجاهد: أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء، فعلى هذا القول إنما يكون لبثهم على الأعراف على سبيل التزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم، وقيل: إنهم أنبياء حكاه ابن الأنباري، وإنما أجلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزاً لهم على سائر أهل القيامة، وإظهاراً لفضلهم وعلو مرتبتهم، وليكونوا مشرفين على أهل الجنة وأهل النار ومطلعين على أحوالهم، ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار. وقال أبو مجلز: أصحاب الأعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسماهم يعني يعرفون أهل الجنة وأهل النار، فقيل لأبي مجلز: إن الله تعالى قال: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ وأنت تقول إنهم ملائكة، فقال: إن الملائكة ذكور ليسوا بإناث. وضعف الطبري قول أبي مجلز قال: لأن لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق إلا على الذكور من بني آدم دون إناثهم ودن سائر الخلق. وحاصل هذه الأقوال الثلاثة أن أصحاب الأعراف أفضل من أهل الجنة لأنهم أعلى منهم منزلة وأفضل، وقيل: إنما أجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه اهـ.

ونص الثاني وقيل هم الشهداء ذكره المهدي والقشيري، وقيل: هم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة حال الناس، فإذا رأوا أصحاب النار تعوذوا بالله أن يردوا إلى النار، وإذا رأوا أهل الجنة سلموا عليهم. وذكر الثعلبي بإسناده عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ قال: الأعراف موضع عال على الصراط عليه ابن عباس، وحمزة، وعلي بن أبي طالب، وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه. وحكى الزهراوي أنهم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم في كل أمة. واختار هذا القول النحاس وقال: وهو من أحسن ما قيل فيهم فهم على السور بين الجنة والنار. وقيل: هم قوم كانت لهم صفات لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا، وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع في مقابلة صفائهم، وقيل: هم أولاد الزنا ذكره القشيري عن ابن عباس اهـ.

قوله: ﴿بِسِمَتِهِمْ﴾ أي زيادة على معرفتهم بكونهم في الجنة وكونهم في النار، لأن أهل الأعراف يعرفون على أهل الجنة في الجنة فيخاطبونهم، وأهل النار في النار كذلك، فيعرفون كلًّا برويته في الجنة أو في النار وبسيمته اهـ شيخنا.

وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ قال تعالى ﴿لَنَزَيِّنَّهُمْ﴾ أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ﴿١٦﴾ في دخولها قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدونها بهم، وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿يَلْقَا﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ بِمَا لَا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ﴾ من النار ﴿جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٨﴾

قوله: (إذ موضعهم) أي موضع أهل الأعراف، وقوله: عال أي يشرف على الجنة وعلى النار اهـ.

قوله: ﴿ونادوا أصحاب الجنة﴾ سيأتي مقابله في قوله ونادى أصحاب الأعراف الخ، فأهل الأعراف تارة ينادون أهل الجنة، وتارة ينادون أهل النار اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿ونادوا﴾ أي رجال الأعراف، وقوله: (قال تعالى) أشار به إلى أن الوقف على سلام عليكم، وأن قوله لم يدخلوها مستأنف، لأنه جواب سؤال سائل عن أصحاب الأعراف، فقال: ما صنع بهم؟ فقيل: لم يدخلوها وهم أي ولكنهم يطمعون في دخولها أي بفضل الله ورحمته، وقيل: طمع بمعنى علم أي وهم يعلمون أنهم سيدخلونها اهـ كرخي.

قوله: ﴿أن سلام عليكم﴾ أي سلمتم من الآفات، وحصل لكم الأمن والسلام اهـ خازن.  
وفي أبي السعود: أن سلام عليكم أي قولوا ذلك في سبيل التحية والدعاء أو على سبيل الإخبار بنجاتهم من المكاره اهـ.

قوله: ﴿وهم يطمعون﴾ أي بإطماع الله تعالى لهم بدليل كلام الحسن الذي نقله. قوله: (وروى الحاكم الخ) مراده بهذا بيان الكرامة التي في كلام الحسن اهـ.

قوله: (إذ طلع عليهم ربك) أي ظهر لهم بأن أزال عنهم الحجب المانعة لهم من رؤيته فأراه هذا هو المراد اهـ.

قوله: ﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ أي لا عن قصد، لأن المكروه، لا ينظر إليه الإنسان قصداً في العادة. وفي الخازن: وفي عدم التعرض لمتعلق أنظارهم بأصحاب الجنة، والتعبير عن تعلق أبصارهم بأصحاب النار بالصرف إشعار بأن التعلق الأول بطريق الرغبة والميل، والثاني بخلافه اهـ.

قوله: ﴿تلقاء أصحاب النار﴾ يستعمل تلقاء ظرف مكان كما هنا، ويستعمل مصدراً كالتبيان، ولم يجرى من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلال، وعلى كل حال هو ممدود، وقد قرئ هنا بمده وقصره قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رجالاً﴾ (من أصحاب النار) كانوا عظماء في الدنيا فينادونهم على السور بأسمائهم، ويقولون لهم وهم في النار: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا فلان يا فلان اهـ خازن.

قوله: ﴿ما أغنى عنكم﴾ ما استفهامية استفهام توبيخ أي شيء أغنى أي دفع عنكم جمعكم في



أي واستكباركم عن الإيمان ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين ﴿ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ قد قيل لهم ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١١﴾ وقرىء ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة النفي حال أي مقولاً لهم ذلك ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ من الطعام ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا ﴾ منعهما ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٢﴾

الدنيا. أي ليس لكم الآن شي نافع من النار مما كان لكم في الدنيا، ويصح أن تكون نافية اهـ شيخنا.

قوله: (أي واستكباركم عن الإيمان) قدره السمين وكونكم مستكبرين، وهذا هو المناسب، لأن ما بعدها فعلان، فيؤخذ من كل مصدر وإن كان يعبر مكان الثاني باسم الفاعل لأجل صحة الحمل، وكان الشارح جرى على رأي من يقول إن كان لا تدل على الحدث، وإنها لمجرد الربط والدلالة على النسبة، فيؤخذ المصدر مما بعدها لا منها تأمل اهـ شيخنا.

قوله: (مشيرين إلى ضعفاء المسلمين) وذلك لأن أهل النار يرون أهل الجنة، وأهل الأعراف ينظرون إلى الفريقين، فيشير أهل الأعراف لضعفاء المؤمنين الذين كانوا يعذبون في الدنيا، وكان المشركون يستهزئون بهم ويعذبونهم، كصهيب وبلال، وسلمان، وخباب وأشباههم، ويقولون لأهل النار: أهؤلاء الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أهؤلاء﴾ استفهام تقرير وتوبيخ وشماتة اهـ.

قوله: (قد قيل لهم) أي للذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة ادخلوها بفضل الله فهذا بقية كلام أصحاب الأعراف، فهو خبر ثان عن اسم الإشارة أي أهؤلاء قد قيل لهم ادخلوا الجنة، فظهر كذبكم في إقسامكم اهـ شيخنا.

قوله: (وقرىء ادخلوا الخ) وهاتان القراءتان شاذتان على عادته، حيث يعبر في الشاذ بقرىء. وفي السبعي بقوله: وفي قراءة وعليهما فلا يحتاج إلى تقدير القول، لأن الجملة خبرية، فتقع خبراً من غير تأويل، وقوله: فجملة النفي أي جنسها، وإلا فهما جملتان وقوله حال أي من فاعل ادخلوا، وقوله: أي مقولاً لهم ذلك لا يحتاج إليه إلا على القراءتين الشاذتين كما صرح به في السمين، وذلك لأجل أن ترتبط الحال بصاحبها، وحينئذ يكون الحال في الحقيقة هذا المقدر، والجملتان معمولتان له، فكلام الشارح فيه مسامحة اهـ شيخنا.

فقوله فجملة النفي تفريع على قوله وقرىء الخ.

قوله: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ الخ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج عنهم فقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فيأذن لهم فينظرون إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم، وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول: قد احترقت أفض علي من الماء، فيقال لهم: أجيئوهم، فيقولون إن الله حرمهما على الكافرين اهـ خازن.

قوله: (من الطعام) أي الشامل للمشروب والمأكول بتضمين أفيضوا معنى القوا، وأو بمعنى

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَيْسَ وَالِغِيَّةَ الْحَيَوةُ الَّذِينَ يَوْمَ تَمْتُهُمْ ﴿٥١﴾ تَتْرَكُهُمْ فِي النَّارِ ﴿٥٢﴾ كَمَا سَأَلْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴿٥٣﴾ بِتَرْكِهِمُ الْعَمَلِ لَهُ ﴿٥٤﴾ وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا يُبَيِّنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أَيُّ وَكَمَا جَعَلُوا ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ

الواو لقوله: حرمهما أو هي على بابها من اقتضائها لأحد الشيتين إما تخييراً أو إباحة أو غير ذلك مما يليق بها، وعلى هذا يقال: كيف قيل حرمهما، فأعيد الضمير مثني، وكان من حق من يقول إنها لأحد الشيتين أن يعود مفرداً على ما تقرر غير مرة، وأجابوا بأن المعنى حرم كلا منهما أو كليهما اهـ كرخي.

وقوله: يتضمنين أفيضوا الخ، واحتيج لهذا التضمنين ليصح تعلق المعطوف بهذا الفعل، وبعضهم جعله متعلقاً بمحذوف تقديره أو أطعمونا مما رزقكم الله، فهذا التركيب من قبيل قولهم علفتها تبناً وماء بارداً اهـ.

قوله: (منعهما) ﴿على الكافرين﴾ أي فالتحريم مستعمل في لازمه لاقطاع التكليف حيثئذ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذين اتخذوا﴾ يجوز أن يكون في محل جر، وهو الظاهر نعتاً أو بدلاً من الكافرين، ويجوز أن يكون رفعاً أو نصباً على القطع اهـ سمين. وهذه الأوصاف من كلام الله تعالى، وعبارة الخازن: ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال: ﴿فاليوم ننسأهم﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿لهواً ولعباً﴾ اللهو: صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ أي شغلتهم بالطمع في طول العمر وحسن العيش والحياة ونيل الشهوات اهـ خازن.

قوله: ﴿ننسأهم﴾ أي نفعل بهم فعل الناسي بالمشي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً. والفاء في قوله فاليوم فصيحة اهـ أبو السعود.

قوله: (تركهم في النار) أي فالنسيان في حق الله مستعمل في لازمه، بمعنى أن الله لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذللهم، بل يتركهم في النار كما تركوا العمل اهـ خازن.

وفي زاده: فشيء معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسي عبده من الخير ولم يلتفت إليه، وشبه عدم أخطارهم لقاء الله ببالهم وعدم مبالاهم به بحال من عرف شيئاً ونسيه، وكثر مثل هذه الاستعارات في القرآن لأن تعليم المعاني التي في عالم الغيب لا يمكن أن يعبر عنها إلا بما يمثلها من عالم الشهادة اهـ.

قوله: ﴿كما نسوا﴾ الكاف تعليلية، وما مصدرية. قوله: ﴿لقاء يومهم هذا﴾ أي العمل للقاء يومهم، فالكلام على حذف المضاف كما أشار له الشارح اهـ.

قوله: (أي وكما جعلوا) أشار به إلى أن كلمة ما في قوله: وما كانوا مصدرية مجرورة المحل عطفاً على أختها المجرورة بالكاف التي هي في محل نصب على أنها صفة مصدر محذوف أي ننسأهم

يَحْتَنُكُمْ ﴿٥٢﴾ أَي أَهْل مَكَّةَ ﴿يَكْتَسِبُ﴾ قَرَأَن ﴿فَصَلَّنَا﴾ بَيْنَاهُ بِالْأَخْبَارِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ ﴿عَلَىٰ عَمِيرٍ﴾ حَالِ  
أَيِ عَالَمِينَ بِمَا فَصَلَ فِيهِ ﴿هُدًى﴾ حَالِ مِنَ الْهَاءِ ﴿وَنَحْنَهُ لَقَوْمٌ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ بِهِ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ مَا  
يَنْظُرُونَ ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عَاقِبَةُ مَا فِيهِ ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ سَوَّاهُ مِنْ قَبْلُ﴾  
تَرَكُوا الْإِيمَانَ بِهِ ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَةٍ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ﴾ هَلْ ﴿نُرَدُّ﴾ إِلَى الدُّنْيَا

نسياناً كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم منكبين أن الآيات من عند الله، ويجوز أن تكون الكاف للتعليل  
أي فاليوم نتركهم لأجل نسيانهم وجحودهم، والتعليل واضح في المعطوف دون التشبيه اهـ زاده.

قوله: (بيناه بالأخبار الخ) عبارة السمين: والمراد بتفصيله إيضاح الحق من الباطل، أو تنزيله في  
فصول مختلفة كقوله: ﴿وَقَرَأْنَا فِرْقَانَهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وقرأ الجحدري وابن محيصن بالضاد  
المعجمة أي فصلناه على غيره من الكتب السماوية، وقوله: (على علم) حال إما من الفاعل أي فصلناه  
عالمين بتفصيله، وإما من المفعول أي فصلناه مشتقاً على علم ونكر علم تعظيماً. وقوله هدى ورحمة  
الجمهور على النصب وفيه وجهان. أحدهما: أنه مفعول من أجله أي فصلناه لأجل الهداية والرحمة.  
والثاني: أنه حال إما من كتاب، وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف وإما من مفعول فصلناه اهـ.

قوله: (بالإخبار والوعد الخ) أي وكذا بقية الأنواع التسعة التي نظمها بعضهم في قوله:

حلال حرام محكم متشابهه      بشير نذير قصة عظيمة مثل  
فالمراد بالأخبار قصص الماضين اهـ.

قوله: (حال) أي من فاعل فصلناه. قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي أهل مكة. قوله: (عاقبة ما فيه)  
الذي فيه الإخبار بحلول العذاب بهم يوم القيامة، فهذا هو تأويله فتأويل الشيء ما يؤول إليه فشيء لحوقه  
لهم وعدم فرارهم منه بانتظار الشيء وترقبه، وعبر عنه بالانتظار، والمعنى ليس لهم مفر مما وعدوا به  
في القرآن اهـ شيخنا.

وفي زاده: هل ينظرون إلا تأويله أي إلا عاقبة ما وعد الله فيه من البعث والنشور والحساب  
والعقاب ومجازاة كل نفس بما كسبت، فإن هذه الأمور تأويل المواعيد المذكورة في الكتاب من حيث  
إن تلك المواعيد تؤول إليها، فإن تأويل الشيء مرجعه ومصيره أي الذي يؤول ذلك الشيء إليه.  
والمعنى هل ينتظرون ويتوقعون إلا ما يؤول هو إليه.

فإن قيل: كيف يتوقعون وينتظرون ذلك مع جحودهم له؟ أجيب: بأنهم مع جحودهم إياه جعلوا  
بمنزلة المنتظرين له من حيث إنه يأتيهم لا محالة، ويحتمل أن يكون فيهم أقوام يشكون ويتوقعون اهـ.

قوله: ﴿الَّذِينَ نَسَوْهُ﴾ أي التأويل، وقوله: من قبل أي قبل إتيانه. قوله: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا﴾  
أي قد تبين مجيئها في الدنيا بالحق أي قد تبين صدقهم فيما أخبرونا به في الدنيا فيعترفون بذلك  
لمشاهدتهم ومعابنتهم للعذاب الذي أخبروا به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مِنْ شَفَعَاءَ﴾ من مزيدة في المبتدأ ولنا خير مقدم، ويجوز أن يكون من شفعاء فاعلاً ومن  
مزيدة أيضاً وهذا جائز عند كل أحد لاعتماد الجار على الاستفهام. وقوله: فيشفعوا منصوب بإضمار أن

﴿فَعَمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحّد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا، قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي صاروا إلى الهلاك ﴿وَصَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من دعوى الشريك ﴿لَا تَرْكِبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبّت ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْوَرْدِ﴾ هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به ﴿يُعْثَىٰ آلِيلَ النَّهَارِ﴾ مخففاً ومشدداً أي يغطي كلا منهما بالآخر

في جواب الاستفهام فيكون قد عطف اسماً مؤولاً على اسم صريح. أي: فهل لنا شفعاء فشفاعة منهم لنا أهد سمين.

قوله: ﴿أو هل نرد﴾ يشير به إلى أن نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخله معها في حكم الاستفهام وقوله: فنعمل منصوب بإضمار أن في جواب الاستفهام الثاني أهد كرخي.

قوله: (فيقال لهم) أي في جواب الاستفهامين. قوله: (من دعوى الشريك) أي من دعوى نفع الشريك إذ كانوا يدعون أن الأصنام التي ادعوا شركتها لله تشفع لهم عنده أهد شيخنا.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الخ سيأتي في هذا الشارح في سورة فصلت أنه ابتداء الخلق في يوم الأحد، وأنه خلق الأرض في يومي الأحد والاثنين، والسماوات في يومي الخميس والجمعة، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزرع والحيوانات في الثلاثاء والأربعاء لكن يشكل على هذا التوزيع أنه لم يكن ثم أيام لعدم الشمس والقمر حيثئذ، ولا يتعين الأحد ولا غيره من الأيام إلا بوجودها بالفعل تأمل أهد شيخنا.

والجواب الذي ذكره بقوله: أي في قدرها لا يدفع هذا الإشكال كما لا يخفى، وعبرة كثر العمال للكمال الهندي: حديث خلق الله عز وجل الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيها من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات يقين منه، فخلق الله أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال حتى حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الله الإلفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وخلق في الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة رواء مسلم والحاكم عن ابن عباس أهد.

قوله: (لأنه لم يكن ثم الخ) أي واليوم إنما هو الزمان الذي بين طلوع الشمس وغروبها، فوقت خلق السماوات والأرض لم يكن ليل ولا نهار لعدم الشمس والكواكب إذ ذاك أهد شيخنا.

قوله: (والعدول عنه) أي عن الخلق في لمحة، وقوله: التثبّت أي التمهّل في الأمور أهد.

قوله: (هو في اللغة سرير الملك) ويسمى فيها أيضاً مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوه، ويكنى في العرف عن السلطان والمملكة بالعرش هذا، وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها أهد شيخنا.

قوله: (استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه إلى الله بعد صرفه عن

﴿يَطْلُبُهُ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَيْثُ﴾ سريعاً ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بالنصب عطفًا على السماوات والرفع مبتدأ خبره ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعاً

ظاهره وطريقة الخلف التأويل بتعيين محمل اللفظ، فيؤولون الاستواء بالاستيلاء أي التمكن والتصرف بطريق الاختيار. أي ثم استولى على العرش يتصرف فيه بما يريد منه اهـ شيخنا.

قوله: (مخففاً ومشدداً) وعلى هاتين القراءتين فالميل فاعل معنى، والنهار مفعول لفظاً ومعنى، وذلك أن المفعولين في هذا الباب متى صلح أن يكون كل منهما فاعلاً ومفعولاً وجب تقدم الفاعل معنى، لثلا يلتبس نحو: أعطيت زيداً عمراً فإن لم يلتبس نحو أعطيت زيداً درهماً وكسوت عمراً جبة جاز، وهذا كما في الفاعل والمفعول الصريحين نحو ضرب موسى عيسى، وضرب زيداً عمراً، والآية الكريمة من باب أعطيت زيداً وعمراً، لأن كلا من الليل والنهار يصلح أن يكون غاشياً ومغشياً، فوجب جعل الليل في قراءة الجماعة هو الفاعل المعنوي والنهار هو المفعول من غير عكس اهـ سمين.

قوله: (أي يغطي كلا منهما بالآخر) يشير به إلى أن معناها يأتي بالليل على النهار فيغطيه، وفيه محذوف تقديره ويغشى النهار والليل ولم يذكره لدلالة الحال عليه، أو لأن اللفظ يحتملهما بجعل الليل مفعولاً أولاً والنهار مفعولاً ثانياً أو بالعكس. وذكر في آية أخرى فقال: يكور الليل على النهار ويكور النهار على اهـ كرخي.

قوله: ﴿يطلبه﴾ أي يعقبه سريعاً كالمطالب له لا يفصل بينهما شيء اهـ أبو السعود.

والجملة حال من الليل لأنه هو المحدث عنه أي يغشى النهار طالباً له، ويجوز أن تكون حالاً من النهار مطلوباً وفي الجملة ذكر كل منهما اهـ سمين.

ويجوز أن تكون حالاً من كل منهما، وعليه الجلال حيث قال: أي يطلب كل منهما الآخر. قوله: ﴿حَيْثُ﴾ يحتمل أن يكون نعت مصدر محذوف أي طلباً حيثاً، كما أشار له الشارح، ويحتمل أن يكون حالاً من فاعل يطلبه أي حائثاً أو من مفعوله أي محثوثاً. والحث الأعمال والسرعة والحمل على فعل الشيء كالحض عليه، فالحث والحض أخوان يقال: حثت فلاناً فاحتث فهو حيث ومحث اهـ من السمين. وفعله من باب رد كما في المختار.

قوله: (بالنصب) أي نصب الألفاظ الثلاثة، وحيثنذ ينصب مسخرات أيضاً على الحال من هذه الثلاثة، فكان الأنسب للشارح التنبيه على هذا أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: (مذللات) أي لما يراد منها من طلوع وغروب ومسير ورجوع اهـ خازن.

قوله: ﴿بأمره﴾ متعلق بمسخرات، ويجوز أن تكون الباء للحال أي مصاحبة لأمره غير خارجة عنه في تسخيرها اهـ كرخي.

قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ألا: أداة استفتاح وله خبر مقدم، والخلق مبتدأ مؤخر والخلق بمعنى المخلوقات والأمر معناه التصرف في الكائنات، وفي هذه الآية رد على من يقول إن للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم اهـ خازن.

﴿وَالْأَنْزُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظيم ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَيْنِ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللًا ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرًّا ﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ﴾ ﴿٥٥﴾ في الدعاء بالتشديق ورفع الصوت ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي﴾

قوله: ﴿تبارك الله﴾ فعل ماض لا يتصرف أي لم يجيء منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل، وقوله: (تعظم) أي وتمجد وارتفع. وقال الزجاج: تبارك من البركة وهي الكثرة في كل خير اهـ من الخازن.

قوله: ﴿ادعوا ربكم﴾ قيل: معناه اعبدوا ربكم لأن معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى، وهذه صفة العبادة ولأنه تعالى عطف عليه قوله: وادعوه خوفاً وطمعاً. والمعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه. وقيل: المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح، لأن الدعاء هو السؤال وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب، وأنه عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته، وهو قادر على إصبالها إليه، فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدره والكمال، وهو المراد من قوله تضرعاً. يعني: ادعوا ربكم تذللًا واستكانة، وهو إظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال: ضرع فلان لفلان إذا ذل له وخشع، وقال الزجاج: تضرعاً يعني تملقاً، وحقيقته أن تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى اهـ خازن.

ثم قال: وفرغ بعض أبواب الطريقة على قوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ فقال: هل الأفضل إظهار العبادات أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أن إخفاء الطاعات والعبادات أفضل من إظهارها لهذه الآية، ولكونه أبعد عن الرياء وذهب بعضهم إلى أن إظهارها أفضل ليقنني به غير فعمل مثل عمله. وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال: إن كان خائفاً على نفسه من الرياء فالأولى إخفاء العبادات صوتاً لعمله عن البطلان، وإن كان قد بلغ في الصفاء وقوة القيل إلى التمكن بحيث صار مباحيناً لشائبة الرياء كان الأولى في حقه الإظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم إلى أن إظهار العبادات والمفروضات أفضل من إخفائها، فضلاته المكتوبة في المسجد أفضل من صلاته لها في بيته، وصلاة النفل في البيت أفضل من صلاته في المسجد، وكذا إظهار الزكاة أفضل من إخفائها ويقاس على هذا سائر العبادات اهـ.

قوله: (حال) أي من الواو في ادعوا أي متذللين مسرين أو ذوي تذلل وسر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وخفية﴾ أي فالأدب في الدعاء أن يكون سرّاً لهذه الآية. قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً. لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت، فما كان إلا همساً بينهم وبين ربهم اهـ خازن.

قوله: (بالتشديق) هو التوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز كذا في النهاية اهـ قاري  
فحاصله: أن التشديق إدارة الكلام في الشدق من غير وصوله إلى القلب، وفي القاموس: وتشديق لوى شدقه للتفصح اهـ.

الْأَرْضِ ﴿ بِالشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي ﴾ ﴿ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ بِيَعِثُ الرِّسْلَ ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا ﴾ مِنْ عِقَابِهِ ﴿ وَطَمَعًا ﴾ فِي رَحْمَتِهِ ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ الْمُطِيعِينَ وَتَذَكِيرٍ قَرِيبٍ الْمَخْبِرُ بِهِ عَنْ رَحْمَةِ

وفي المصباح: الشدق جانب الفم بالفتح والكسر قاله الأزهري، وجمع المفتوح شقوق مثل فلس فلوس، وجمع المكسور أشدق مثل حمل وأحمال، ورجل أشدق واسع الشدقين، وشدق الوادي بالكسر عرضه وناحيته اهـ. هذه راجع لقوله تضرعاً. وقوله: ورفع الصوت راجع لقوله وخفية اهـ.

قوله: (والمعاصي) عطف عام. قوله: ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ أصل الخوف انزعاج في الباطن يحصل من توقع أمر مكروه يقع في المستقبل والطمع توقع محبوب يحصل في المستقبل. والمعنى، وادعوه خوفاً من عقابه وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه. وقال ابن جريج: معناه خوف العدل وطمع الفضل، وقيل: معناه ادعوه خوفاً من الرياء في الدعاء والذكر وطمعاً في الإجابة.

فإن قلت: قال في أول الآية ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾، وقال هنا: ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ وهذا هو عطف الشيء على نفسه، فما فائدة ذلك؟ قلت: الفائدة فيه أن المراد بقوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ بيان شرطين من شروط الدعاء، ويقول: ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ بيان شرطين آخرين، فالمعنى كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم، ولا تطمعوا أنكم فitem حق الله في العبادة والدعاء وإن اجتهدتم فيهما اهـ خازن بنوع تصرف.

وفي القرطبي: وادعوه خوفاً وطمعاً أمرنا الله تعالى بأن يكون العبد وقت الدعاء في حال ترقب وتخوف وأمل في الله، حتى يكون الخوف والرجاء للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته وإذا انفرد أحدهما هلك الإنسان فيدعو الإنسان خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه. والخوف: الانزعاج لما لا يؤمن من المضار والطمع توقع المحبوب. قاله القشيري. وقال بعض أهل العلم: ينبغي للعبد أن يغلب الخوف طول حياته، فإذا جاء الموت غلب الرجاء قال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى» أخرجه مسلم اهـ.

قوله: ﴿إن رحمة الله قريب﴾ أصل الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، وإذا وصف بها البارئ جل وعز، فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون الرقة، فرحمة الله عز وجل عبارة عن الإفضال والإنعام على عباده، وإيصال الخير إليهم. وقيل: هي إرادة إيصال الخير والنعمة إلى عباده، فعلى القول الأول تكون الرحمة من صفات الأفعال، وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات اهـ خازن.

قوله: ﴿قريب من المحسنين﴾ قال سعيد بن جبير: الرحمة ههنا الثواب، فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ، وقيل: إن تأنيث الرحمة ليس بحقيقي، وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة. وكون الرحمة قريبة من المحسنين لأن الإنسان في كل ساعة من الساعات في إدبار عن الدنيا وإقبال على الآخرة، وإذا كان كذلك كان الموت أقرب إليه من الحياة، وليس بينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة إلا الموت وهو قريب إليه من الإنسان اهـ خازن.

قوله: (وتذكير قريب) جواب عما يقال إن النعت لم يطابق المنعوت، وقوله: لاضافته إلى الله

لإضافتها إلى الله ﴿وَمَوْالَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنَاسِكُ اللَّهِ يُؤْمِنُ بِهِ لَعَلَّهٗ يَرْسِلُ السَّحَابَ الْمَدِينَةَ﴾ أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشراً ومفرد الأولى نشور كرسول والآخر بشير ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿مُتَقَنَّةً﴾ أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِيَكْلِفُنَّ﴾

أي وهو مذكر لفظاً وفي هذا شيء لأن الأدب مع الله أن لا يوصف بذكورة ولا بغيرها، فالأحسن ما علمته من أن التذكير إما باعتبار أن الرحمة مجازية التأنيث، أو باعتبار أن المراد بها الثواب، وهو مذكر فيكون التذكير باعتبار معناها تأمل اهـ.

قوله: ﴿وهو الذي يرسل﴾ عطف على قوله: ﴿إن ربكم الله﴾ الخ. وقوله: ﴿يرسل الرياح﴾ وهي أربعة: الصبا تثير السحاب، والشمال تجمععه، الجنوب تدره، والدبور تفرقه اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: الريح هو الهواء المتحرك يمنة ويسرة، وهي أربعة: الصبا وهي الشرقية، والدبور وهي الغربية، والشمال التي تهب من تحت القطب الشمالي، والجنوب وهي القبلية، وعن ابن عمر أنها ثمان، منها أربعة عذاب وهي: القاصف والعاصف والصرصر والعقيم، ومنها أربعة رحمة وهي: الناشرات والمبشرات والمرسلات والنازعات اهـ.

قوله: (أي متفرقة) أي متعددة مفصلة متنوعة. هذه ما تقتضيه عبارته ولم يوافق عليه غيره من المفسرين أصلاً، فبعضهم فسر قوله نشرأ بكونه ناشرة للسحاب، وبعضهم فسرها بكونها منشورة أي غير مطوية كناية عن اتساعها اهـ شيخنا.

قوله: (تخفيفاً) أي بحذف ضمة الشين اهـ.

قوله: (وفي أخرى بسكونها وفتح النون الخ) وصاحب هذه القراءة يقرأ الريح بالافراد، وأصحاب القراءات الثلاث الآخر بعضهم يقرأ الرياح بالجمع، وبعضهم بالافراد والقراءات الأربع سبعة كما في السمين.

قوله: (مصدراً) أي مؤكداً لعامله، لأن أرسل وأنشر متقاربان اهـ سمين.

قوله: (أي مبشراً) الأولى مبشرات لأنه تفسير للجمع اهـ شيخنا.

قوله: (ومفرد الأولى) أي نشرأ سواء ضمت الشين أو سكنت، فهذا راجع للقراءتين الأوليين، وقوله: والآخر بشير أي فيجمع على بشر بضمين وبشر بضم فسكون، والمراد هنا الثاني اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حتى إذا أقلت﴾ حقيقة أقله جعله قليلاً أو وجده قليلاً، ثم استعمل بمعنى جملة لأن الحامل يستقل ما يحمله ومنه المقل بمعنى الحامل، وحتى غاية لقوله يرسل اهـ شهاب.

وفي الخازن: يقال: أقل فلان شيء إذا حملة واشتقاق الإقلال من القلة، فإن من يرفع شيئاً يراه قليلاً اهـ.

قوله: ﴿سحاباً﴾ اسم جنس جمعي تصح مراعاة لفظه ومراعاة معناه، فالثاني قوله ثقلاً، والأول في قوله سقناه اهـ شيخنا.



لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ كَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾

قوله: (عن الغيبة) أي في قوله: ﴿وهو الذي يرسل﴾. قوله: ﴿بلد ميت﴾ اللام للتبليغ، كقولك: قلت لك. وقال الزمخشري: لأجل بلد فجعلها لام العلة ولا يظهر، وفرق بين قولك سقت لك مالاً وسقت لأجلك مالاً، فإن الأول معناه أوصلته لك وبلغتك، والثاني لا يلزم منه وصوله إليك اهـ أبو حيان.

قوله: (لا نبات به) أي لعدم الماء اهـ كرخي.

قوله: (أي لإحيائها) هكذا في بعض النسخ، وفي بعض آخر لإحيائه والبلد يذكر ويؤنث. وفي المصباح: البلد يذكر ويؤنث والجمع بلدان، والبلدة البلد وجمعها بلاد مثل كلبة وكلاب اهـ.

قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ الضمير يعود لأقرب مذكور وهو بلد ميت، وعلى هذا فلا بد من أن تكون الباء ظرفية بمعنى أنزلنا في ذلك البلد الميت الماء، وجعل الشيخ هذا هو الظاهر، وقيل: الضمير يعود على السحاب، ثم في الباء وجهان، أحدهما: هي بمعنى من أي فأنزلنا من السحاب الماء. والثاني: أنها سببية أي فأنزلنا الماء بسبب السحاب وقيل: يعود على السوق المفهوم من الفعل، والباء سببية أيضاً أي فأنزلنا بسبب سوق السحاب، وهو ضعيف لعود الضمير على كل مذكور مع إمكان عوده على مذكور، وقوله فأخرجنا به الخلاف في هذه الهاء كالذي في التي قبلها ويزيد عليه وجه آخر أحسن منها وهو العود على الماء، ولا ينبغي أن يعدل عنه اهـ سمين.

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ من تبعيضية أو ابتدائية اهـ سمين.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ (الإخراج) التشبيه في مطلق الإخراج من العدم وهذا رد على منكري البعث، ومحصله أن من قدر على إخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على إحياء الموتى من قبورهم اهـ خازن.

قوله: (بالإحياء) وذلك الإحياء بمطر كالمنى اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ الخ لما قال: فأخرجنا به من كل الشجرات تتم هذه المعنى بكيفية ما يخرج من النبات من الأرض الكريمة والأرض السبخة. وفي الكلام حال محذوفة أي يخرج نباته وإقياً حسناً وحذفت لفهم المعنى، ولدلالة البلد الطيب عليها ولمقابلتها بقوله: إلا نكدأ، وبإذن ربه في موضع الحال اهـ من النهر لأبي حيان.

وفي السمين: وقوله: بإذن ربه يجوز أن تكون الباء سببية أو حالية اهـ.

وخص خروج نبات الطيب بقوله بإذن ربه على سبيل المدح والتشريف، وإن كان كل من النباتين يخرج بإذنه تعالى اهـ من النهر لأبي حيان.

وفي أبي السعود: بإذن ربه أي بمشيئته، وعبر به عن كثرة النبات وحسنه وعزارة نفعه، لأنه أوقعه في مقابلة قوله والذي خبت الخ اهـ.

قوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ في القاموس: البلد والبلدة مكة، وكل قطعة من الأرض متحيزة عامرة أو

العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ حسناً ﴿يَأْتِي زَيْدٌ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعدة فينتفع بها ﴿وَالَّذِي خَبَتْ﴾ ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكْدًا﴾ عسراً بمشقة وهذا مثل للكافر ﴿حُكْدًا﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصْرَفُ﴾ نبين ﴿الْأَلَيْتُ لِقَوْمٍ يُشْكِرُونَ﴾ ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ﴾ بالجر صفة لاله والرفع بدل من محله

غير عامرة والتراب والبلد القبر والمقبرة والدار والأثر الخ اهـ.

قوله: (هذا مثل للمؤمن) أي ولعمله، فشبّه المؤمن بالأرض الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الأرض الطيبة، فإذا نزل القرآن انتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وأنواع الأخلاق الحميدة، وشبه الكافر بالأرض الرديئة السيخة التي لا ينتفع بها وإن أطابها، فكذلك الكافر إذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يزيده إلا اعتوا وكفراً، وإن عمل حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة اهـ خازن.

قوله: ﴿وَالَّذِي خَبَتْ﴾ أي البلد الذي خبت، وقوله: إلا نكدًا أي قليلاً عديم النفع ولصبه على الحال. والتقدير: والبلد الذي خبت لا يخرج نباته إلا نكدًا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً. وفي السمين: قوله إلا نكدًا فيه وجهان، أحدهما: أن ينتصب حالاً أي عسراً مبطلاً يقال: منه نكد ينكد نكد بالفتح فهو نكد بالكسر. والثاني: أن ينتصب على أنه نعت مصلر محذوف أي إلا خروجاً نكدًا وصف الخروج بالنكد كما يوصف به غيره اهـ.

وفي المصباح: نكد نكدًا من باب تعب فهو نكد تعسر، ونكد العيش نكدًا اشتد وعسر اهـ.

وفي القاموس نكد عيشهم كفرح اشتد وعسر والبئر قل ماؤها، ونكد زيد حاجة عمرو كنصر منعه أياها، وفلاناً منعه ما سأل أو لم يعطه إلا أوله، وكنتي كثر سؤاله وقل نائله، ورجل نكد ونكد ونكد شوم عسر، وقوم أنكد ومناكيد، والنكد بالضم قلة العطاء ويفتح. والغزيرات اللين من الإبل، والتي لا لبن لها ضد، وعن ابن فارس والتي لا يبقى لها ولد فيكثر لبنها، لأنها لا ترضع. الواحدة نكداء وعطاء منكود نزر قليل اهـ.

قوله: (عسراً بمشقة) أي في استنباته. قوله: (وهذا مثل للكافر) أي ولعمله.

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ الخ المقصود من سياق هذه القصص تسلية النبي ﷺ وقال هنا لقد أرسلنا من غير عاطف، وفي هود والمؤمنون ولقد بعاطف، وأجاب الكرمانى بأنه في هود قد تقدم ذكر الرسول مرات وفي المؤمنون ذكر نوح ضمنا في قوله: وعلى الفلك، لأنه أول من صنعها فحين أن يؤتي بالعاطف على ما تقدم بخلافه في هذه السورة اهـ سمين.

قوله: ﴿نُوحًا﴾ اسمه عبد الغفار، وهو ابن ثملك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس. قال ابن عباس: بعث نوح وهو ابن أربعين سنة، وقيل: وهو ابن خمسين سنة، وقيل: وهو ابن مائتين وخمسين سنة، وقيل: وهو ابن مائة سنة اهـ خازن.

ولبت يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة، وكان عمره ألفاً ومائتين وأربعين سنة اهـ أبو السعود.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين ﴿قَالَ يَنْفُورُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ هي أعم من الضلال فنفيها

وهو أول نبي بعثه الله بعد إدريس، وكان نوح نجاراً وهو الذي صنع السفينة بنفسه في عامين، وسمي نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه. واختلفوا في سبب نوحه فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك، وقيل: لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان. وقيل: لأنه مرّ بكلب مجذوم فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب اهـ خازن.

قوله: ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ في المصباح: قوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد، وقد يقيم الرجل بين الأجانب فيسميهم قومه مجازاً للمجاورة، وفي التنزيل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠] قيل: كان مقيماً بينهم، ولم يكن منهم، وقيل: كانوا قومه اهـ.

قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي وحده اهـ.

قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ الخ استئناف مسوق لتعليل العبادة أو الأمر بها اهـ أبو السعود.

قوله: (بدل من محله) أي فإن محله رفع على زيادة من وإله مبتدأ. ولكم: الخبر كما ذكره الشيخ في سورة المؤمنون اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ الخ الجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها أثر تعليلها ببيان الداعي إليها اهـ أبو السعود.

قوله: (إن عبدتم غيره) أي فالمراد بالخوف الجزم واليقين، لأنه كان جازماً أن العذاب ينزل بهم، إما في الدنيا وإما في الآخرة إن لم يقبلوا الدعوة، وقيل: بل المراد منه الشك، لأنه جوز أن يؤمنوا وأن يستمروا على الكفر، ومع هذا التجويز لم يكن قاطعاً بنزول العذاب، فلهذا قال: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ في المصباح: مهموز أشراف القوم سموا بذلك لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي، أو لأنهم يملأون العيون أبهة والصدور هيبة، والجمع أملاء مثل سبب وأسباب اهـ.

وفي أبي السعود: الملاء الذين يملأون صدور المحافل بأجسادهم، والقلوب بجلالتهن وهيبتهن، والعيون بجمالهن وأبهتهن اهـ.

قوله: ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ لم يقل هنا الذين كفروا من قومه كما قال في قوم هود فيما سيأتي، لأن الملاء من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر، بخلاف الملاء من قوم نوح فكلهم أجمعوا على هذا الجواب، فلم يكن أحد منهم مؤمناً.

فإن قيل: سيأتي في سورة هود تقييد قوم نوح بالذين كفروا. فالجواب أن ما سيأتي في دعائهم إلى الإيمان في أثناء زمن رسالته، فكان من آمن ومن كفر، وأما هنا فهو في أول دعائهم له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الرؤية قلبية ومفعولها الضمير والظرف اهـ أبو السعود.

أبلغ من نفيه ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿أَبْلَغْكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وَسَلَّيْتُ رَفِي وَأَنْصَحُ﴾ أريد الخير ﴿لَكَرَّ وَأَعْلَزْتُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿أ﴾ كذبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾

وجعلوا الضلال ظرفاً له مبالغة في وصفهم له بذلك، وزادوا في المبالغة بأن أكدوا ذلك بأن صدرت الجملة بيان، وفي خبرها اللام. وقوله: ليس بي ضلالة من أحسن الرد وأبلغه، لأنه نفى أن تلتبس به ضلالة واحدة، فضلاً عن أن يحيط به الضلال، ولو قال لست ضالاً لم يؤد هذا المؤدي اهـ سمين.

وفي المصباح: ضلَّ الرجل الطريق وضل عنه يضل من باب ضرب ضلالاً وضلالة زلَّ عنه ولم يهتد إليه، فهو ضال هذه لغة نجد، وهي الفصحى، وبها جاء القرآن في قوله: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ [سبأ: ٥]. وفي لغة لأهل العالية من باب تعب، والأصل في الضلال الغيبة، ومنه قيل للحيوان الضائع ضالة بالهاء للمذكر والمؤنث، والجمع الضوال مثل دابة ودواب اهـ. قوله: (بين) أي واضح بتركك ملة آبائك اهـ كرخي.

قوله: (هي أهم من الضلال الخ) وذلك لأن ضلالة دالة على واحدة غير معينة ونفي فرد غير معين نفي عام بخلاف ضلال، فإنه مصدر يعم الواحد والثنية والجمع، ونفيه لا يقتضي على سبيل القطع النفي العام، فكان قوله ليس بي ضلالة أبلغ في نفي الضلال عن نفسه من قولنا ليس ابن ضلال، وإنما ناداهم بإضافتهم إليه استمالة لقلوبهم نحو الحق اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ﴾ الخ جاءت لكن هنا أحسن مجيء لأنها بين نقيضين، لأن الإنسان لا يخلو من أحد شيئين ضلال وهدي، والرسالة لا تجامع الضلال و ﴿من رب﴾ صفة لرسول، ومن لا ابتداء الغاية المجازية اهـ سمين.

قوله: ﴿أَبْلَغْكُمْ﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل أحكامه، وقيل: صفة أخرى لرسول. وجمع الرسالة لاختلاف أوقاتها وتنوع معانيها، أو لأن المراد بها المرسل به وهو يتعدد اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: أبلغكم يجوز أن يكون جملة مستأنفة أتى بها لبيان كونه رسولاً، ويجوز أن تكون صفة لرسول، ولكنه راعى الضمير السابق الذي للمتكلم فقال أبلغكم. ولو راعى الاسم الظاهر بعده لقال يبلغكم والاستعمالان جائزان في كل اسم ظاهر سبقه ضمير حاضر من متكلم أو مخاطب، فيجوز لك فيه وجهان: مراعاة الضمير السابق وهو الأكثر، ومراعاة الاسم الظاهر فتقول: أنا رجل أفعل كذا ومراعاة لأننا، وإن شئت أنا رجل يفعل كذا مراعاة لرجل، ومثله أنت رجل تفعل ويفعل بالخطاب والغيبة اهـ.

قوله: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ يقال نصحته ونصحت له، كما يقال شكرته وشكرت له، والنصح إرادة الخير لغيره كما يريد لنفسه. وقيل: النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير، وقيل: حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه، والمعنى أنه قال: أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه، وأرشدكم إلى الوجه الأصح والأصوب لكم، وأدعوكم إلى ما دعاني إليه، وأحب لكم

موعظة ﴿ مِنْ رِزْقِكُمْ عَلَىٰ لِسَانِ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ الْعَذَابَ إِن لَّمْ تُؤْمِنُوا ﴾ وَلَسَقُوا اللَّهَ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمُوا زُحُورًا ﴾ ﴿ ٧٦ ﴾ بِهَا ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۖ مِنَ الْغُرُقِ ۖ فِي الْفُلِّ ۖ السَّفِينَةِ ۖ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا

ما أحب لنفسي . قال بعضهم : والفرق بين إبلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أوامر الله ونواهيها ، وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها عليهم . وأما النصيحة فهي أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عذابه إن عصوه اهـ خازن .

قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي من جهته بالوحي ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأمور الآتية أو أعلم من شأنه وبطشه الشديد ما لا تعلمون. قيل: كانوا لم يسمعوا بقوم حلّ العذاب قبلهم، فكانوا غافلين لا يعلمون ما عمله نوح بالوحي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾ استفهام إنكار اهـ.

قوله: ﴿على رجل منكم﴾ أي من جملةكم أو من جنسكم، فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون: لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين اهـ يضاوي .

قوله: ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ علة للمجيء أي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي. وقوله: ﴿وَلِتَقْوَا﴾ علة ثانية مرتبة على العلة قبلها. وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ علة ثالثة مرتبة على التي قبلها اهـ أبو السعود.

وهذا الترتيب في غاية الحسن لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى، ومن التقوى الفوز بالرحمة الهـ خـازنـ .

قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ (بها) أي بالتقوى المفهومة من الفعل أو الموعظة، الأول للكرخي والثاني للقاري. وعبارة الكرخي. ولعلكم ترحمون به أي بسبب التقوى، وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب، وأن التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطة بفضل الله تعالى، وأن المتقي ينبغي ألا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله اهـ.

قوله: ﴿فَكَذِبُوهُ﴾ أي فاستمروا على تكذيبه في دعوى النبوة، وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه إليهم وأنذرهم بما في تضاعيفه، واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعدما كرر عليه الصلاة والسلام عليهم الدعوة مراراً، فلم يزدتهم دعاؤه إلا فراراً حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ [نوح: ٥] الآيات إذ هو الذي يعقبه الإنجاء والإغراق لا مجرد التكذيب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والذين معه﴾ قيل: كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة. وقيل: كانوا تسعة أبناءه الثلاثة وستة من غيرهم اء أبو السعود. والثلاثة: سام وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، وياث وهو أبو الترك اء شيخنا.

قوله: ﴿وفي الفلك﴾ متعلق بالاستقرار في الظرف قبله، أو بفعل الإنجاء على أن في سببية اهـ  
شئنا.

وفي المختار: الفلك: السفينة واحد وجمع تذكر وتؤنث قال الله تعالى: ﴿فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا هُودَا أَلَمْ يَنْتَهِ بِالطُّوفَانِ﴾ [إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَابِدِينَ] ﴿عَنِ الْحَقِّ﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ ﴿إِلَى عَادٍ﴾ ﴿الْأُولَى﴾ ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ قَالَ يَقْوِمُ رَبُّكَ آتِئْتُوا اللَّهَ وَخُدُّوهٖ ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿تَخَافُونَهُ فَمُتُّوهُمُونَ﴾ قَالَ

[يسن: ٤١] فأفرد وذكر، وقال: ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ [البقرة: ١٦٤] فلأنش ويحتمل الأفراد والجمع، وقال: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ [يونس: ٢٢] فجمع وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب فتذكر وإلى السفينة فتؤنث اهـ.

قوله: (السفينة) روي أنه اتخذها في ستين، وكان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين، وسمكها ثلاثين، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في أسفلها الدواب والوحوش، وفي وسطها الإنس، وفي أعلاها الطير، وركبها في عاشر رجب، ونزل منها في عاشر المحرم اهـ يضايوي في سورة هود. قوله: ﴿كذبوا بآياتنا﴾ أي استمروا عليه.

قوله: ﴿عمين﴾ (هن الحق) أي عن فهمه، وعمين جمع عم صفة مشبهة، لكن تصرف فيه بحذف لامه كقاص إذا جمع، فأصله عمين بياءين الأولى مكسورة والثانية ساكنة حذف الأولى تخفيفاً على حد قوله:

واحذف من المقصور في جمع على  
اهـ شيخنا.

وفي السمين: ويقال عم إذا كان أعمى البصيرة غير عارف بأموره، وأعمى أي في البصر، وهذا قول الليث. وقيل: عم وأعمى بمعنى كخضر وأخضر، وقال بعضهم: عم قيه دلالة على ثبوت الصفقة واستقرارها كقصر وضيق ولو أريد الحدوث لقبل عام كما يقال فارح وضائق، وقد قرئ قوماً عامين حكاهما الزمخشري اهـ.

قوله: ﴿وإلى عاد﴾ الخ صرح هنا وفيما سيأتي في صالح وشعيب بتعيين المرسل إليهم دون ما سبق في نوح وما سيأتي في لوط، وذلك لأن المرسل إليهم إذا كان لهم اسم قد اشتهروا به ذكروا به، وإلا فلا. وقد امتازت عاد وثمود ومدين بأسماء مشهورة اهـ أبو السعود.

قوله: (الأولى) سيأتي في سورة النجم أن عاد الأولى هم قوم هود وعاد الثانية قوم صالح وهم ثمود، وبينهما مائة سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أخاهم هوداً﴾ أخاهم نصب بأرسلنا الأولى، كأنه قيل: لقد أرسلنا نوحاً وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، وكذا ما يأتي من قوله. وإلى ثمود أخاهم صالحاً وإلى مدين أخاهم شعيباً ولوطاً، ويكون ما بعد أخاهم بدلاً أو عطف بيان. وأجاز مكي أن يكون النصب بإضمار اذكر، وليس بشيء لأن المعنى على ما ذكرت مع عدم الاحتياج إليه، وعاد اسم للحي، ولذلك صرف، ومنهم من جعله اسماً للقبيلة، ولذلك منعه وعاد في الأصل اسم الأب الكبير، وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فسميت به القبيلة أو الحي، وكذلك ما أشبهه من نحو ثمود إن جعلته اسماً لمذكر صرفته، وإن جعلته اسماً لمؤنث منعت، وقد بوب له سيبويه باباً. وأما هود فقد اشتهر في السنة النحاة أنه عربي وفيه نظر، لأن الظاهر من كلام سيبويه لما عده مع نوح ولوط أنه أعجمي، وهو اسم غابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن

الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِمْ إِنْ لَزَيْتَكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴿٦٦﴾ جِهَالَةٌ ﴿وَأَنَا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ فِي رِسَالَتِكَ ﴿قَالَ يَقُومُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ أَيْلِفُكُمْ بِرَبِّكُمْ وَأَنَا لَكَو نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٩﴾ مَأْمُونٌ عَلَى الرِّسَالَةِ ﴿أَوْ يُحِبُّ أَنْ جَلَّكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى﴾ لِسَانٍ ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ

نوح فليس من أنبياء بني إسرائيل، فمعنى أخاهم أنه منهم، ومن قال إنه من عاد في النسب فالأخوة ظاهرة أه سمين.

وفي التحجير للسيوطي: هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام. وقيل: ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام كان بينه وبين نوح ثمانمائة سنة، وعاش أربعمئة وأربعاً وستين سنة أه.

قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال هنا: قال بدون الفاء وفي قصة نوح فقال بها والسر أن نوحاً كان مواظباً على دعوة قومه غير متوان فيها على ما حكى عنه في سورة نوح، قال: رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فناسبه التعقيب بالفاء، وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء أه خازن.

قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ إنكار واستبعاد لعدم إلتفاتهم العذاب بعد ما علموا ما حلّ بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر. أي ألا تفكرون أو أنغفلون فلا تتقون، وقال هنا: أفلا تتقون، وفي سورة هود أفلا تعقلون، ولعله خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله: ﴿أَنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من القصص أه أبو السعود.

قوله: ﴿إِنَّا لَنُرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ أخبر الله عن قوم نوح أنهم قالوا له في ضلال مبين، وعن قوم هود أنهم قالوا له في سفاهة. والسر في ذلك أن نوحاً لما خوف قومه بالطوفان وشرع في عمل السفينة، فعند ذلك قالوا له إنا لنراك في ضلال مبين، حتى تتعب نفسك في إصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء. وأما هود فإنه لما نهاهم عن عبادة الأصنام ونسب من عبدها إلى السفه، وهو قلة العقل قابله بمثل ما نسبهم إليه فقالوا له: إنا لنراك في سفاهة أه خازن.

قوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ﴾ استدراك على ما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في الغاية القصوى من الرشد، فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك، فكأنه قيل ليس بي شيء مما تنسبونني إليه ولكنني في غاية من الرشد والصدق، ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لا ابتداء الغاية أه أبو السعود.

قوله: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ أتى هود بالجملة الاسمية ونوح بالفعلية، حيث قال: وأنصح لكم وذلك لأن صيغة الفعل تدل على تجدد ساعة بعد ساعة، وكان نوح يكرر في دعائهم ليلاً ونهاراً من غير تراخ، فناسب التعبير بالفعل، وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتاً دون وقت فلهاذا عبر الاسمية أه خازن.

قوله: ﴿أَنْ جَاءَكُمْ﴾ أي من أن جاءكم أه.

يَسْأَلُكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ ﴿٦٩﴾ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٠﴾ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴿٧١﴾ قُوَّةً وَطُولًا وَكَانَ طَوِيلُ يَوْمِهِمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَقَصِيرُ يَوْمِهِمْ سِتِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ ﴿٧٣﴾ نِعْمَةً ﴿٧٤﴾ لَعَلَّكُمْ تَقْلُدُونَ ﴿٧٥﴾ تَفُوزُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّمَ وَنَذَرَ ﴿٧٧﴾ نَتْرُكُ ﴿٧٨﴾ مَا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا فَأَنزَلْنَا بِمَا نَعْبُدُهُمْ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٧٩﴾ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٠﴾ فِي قَوْلِكَ ﴿٨١﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ ﴿٨٢﴾ وَجِبَ ﴿٨٣﴾ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ ﴿٨٤﴾ عَذَابٌ ﴿٨٥﴾ وَعَصَبٌ أَتَجِدُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا ﴿٨٦﴾ أَيْ سَمَّيْتُمْ بِهَا ﴿٨٧﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴿٨٨﴾ أَصْنَامًا

قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ الخ شروع في بيان ترتيب أحكام النصح والأمانة والإنذار وتفصيلها، وإذا منصوب على المفعولية لا الظرفية أي: اذكروا وقت الجعل المذكور وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصود بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها بإيجاب ذكر الوقت، لأن الوقت مشتمل عليها، فإذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً وهو معطوف على قدر، كأنه قيل: لا تعجبوا أو تدبروا في أمركم واذكروا الخ اهـ أبو السعود

قوله: ﴿بَسْطَةً﴾ قرئ في السبع بالسين والصاد، وقوله: (قوة وطولاً) أي وما لا اهدركم، قوله: (وكان طويلهم الخ) سيأتي للمحلي في سورة الفجر أن طويلهم كان أربع مائة ذراع اهـ والمراد بالأذرع في جميع الأقوال أذرعهم وكان رأس الواحد منهم قرن القبة العظيمة وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباب اهـ من الخطيب

وعبارة الكازروني في سورة الفجر: وكان طول الطويل منهم خمس مائة ذراع، وطول القصير ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه اهـ

قوله: ﴿فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ جمع مفردة إلى بكسر الهمزة سكون اللام كجمل وأحمال، أو إلى بضم الهمزة وسكون اللام كقفل وأقفال. أو إلى بكسر الهمزة وفتح اللام كضلع وأضلاع وعنب وأعنان، أو إلى بفتحهما كقفا وأقفا اهـ سمين

قوله: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ الخ أي قالوا ذلك في جواب نصحه لهم والاستفهام للإنكار، فأنكروا عليه مجيئه بتخصيص الله بالعبادة، ومرادهم مجيئه من متعبده أي المكان الذي اعتزل فيه للعبادة أو من السماء على سبيل التهكم، أو مرادهم به القصد والتصدي اهـ أبو السعود

وقوله: (من العذاب) أي المدلول عليه بقوله أفلا تتقون اهـ أبو السعود  
قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ جواب إن محذوف لدلالة المذكور عليه أي فأتت به اهـ كرخي  
وقوله: (في قولك) أي في إخبارك بنزول العذاب اهـ أبو السعود

قوله: (وجب) أي حق وثبت، وقوله: من ربكم أي من جهته، وقوله: (الرجس) الرجس للعذاب من الإرجاس الذي هو الاضطراب والغضب إرادة الانتقام اهـ أبو السعود

قوله: ﴿أَتَجِدُونَنِي﴾ إنكار واستقبح لإنكارهم مجيئه داعياً لهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام، وقوله: ﴿فِي أَسْمَاءٍ﴾ أي عارية عن المسميات إذ ليس فيها من معنى الألوهية شيء اهـ أبو السعود



تعبدونها ﴿تَا تَزَلَّ اللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿فَانْظُرُوا﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم ﴿فَأَنْجَسَتْهُ﴾ أي هوداً ﴿وَأَلْزَيْتَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿يَرْحَمُونََنَا وَقَطَعْنَا دَائِرَ﴾ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي

قوله: ﴿سميتموها﴾ أي اخترعتموها والجملة صفة أولى، وقوله ما أنزل الله الخ صفة ثانية والهاء مفعول ثان، والأول محذوف قدره الشارح بقوله أصناماً وكانت ثلاثة، سماها أحدها صموداً والآخر صمداً والآخر هباً أهـ شيخنا.

قوله: ﴿فانتظروا﴾ مرتب على قوله: قال قد وقع عليكم أهـ أبو السعود.

قوله: (العذاب) أي الذي تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا الخ.

قوله: (فأرسلت عليهم الريح العقيم) وكانت باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها وكان وقت مجيئها في عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم بأن رفعت ذلك في الجو فمزقته أهـ. وسيأتي بسط ذلك في سورة الأحقاف والحقاق. وعبارته في الذاريات ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] وهي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر وهي الدبور أهـ.

وفي الخازن: قال السدي: بعث الله عز وجل الريح العقيم، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها تبادروا إلى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيراً أسود فقلعتهم إلى البحر، فألقتهم فيه. وقيل: إن الله تعالى أمر الريح، فأملت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر أهـ.

قوله: ﴿فأنجيناه﴾ الفاء فصيحة، كما في قوله: فانفجرت أي فوق ما وقع فأنجيناه أهـ أبو السعود.

وقد أشار الشارح إلى هذا بقوله: فأرسلت الخ أهـ.

قوله: ﴿والذين معه﴾ أي في الدين، فالعمية مجاز عن المتابعة أهـ من الشهاب.

وقد أشار الشارح لهذا بقوله: من المؤمنين والذين اتبعوه كانوا شر ذمة قليلة يكتبون إيمانهم أهـ خازن.

ونجاتهم بأن جعلوا في حظيرة ما يصل إليهم من الريح إلا ما يلين عليهم جلودهم وتلتذ به أنفسهم أهـ كرخي.

وبعد ذلك أتوا مكة مع هود فعبدوا الله فيها حتى ماتوا أهـ بياضوي.

استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ عطف على كذبوا ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ بترك الضمير مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَدُكُمْ إِلَهُ مَا لَكُمْ مَلَكُومَ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ حال عاملها معنى الإشارة وكانوا

قوله: (أي استأصلناهم) تفسير لقطع الدابر، لأن الدبر هو الآخر، وإذا قطع الآخر فقد قطع ما قبله فحصل الاستئصال أي الاستيعاب بالقطع اهـ شيخنا.

قوله: (عطف على كذبوا) أي فهم من جملة السفلة وهو عطف علة على معلول أو عطف تأكيد اهـ شيخنا.

فإن قيل: لما أخبر عنهم أنهم كانوا مكذبين لزم القطع بأنهم كانوا غير مؤمنين فما فائدة قوله بعد ذلك ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ فالجواب: أن معناه أنهم مكذبون وعلم الله منهم أنهم لو بقوا لم يؤمنوا أيضاً، فلو علم أنهم سيؤمنون لأبقاهم، وإليه أشار الشيخ في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإلى ثمود﴾ اسم قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر، وهو ثمود بن غابر بن سام بن نوح ﴿أخاهم صالحاً﴾ أي في النسب لأنه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المذكور، فهو من فروعه اهـ أبو السعود.

فليس من أنبياء بني إسرائيل، وكان بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة كما في التعبير.

قوله: (بترك الضمير) أي التثنية وقوله: (مراداً به القبيلة) حال مقيدة لعاملها وهو تركه، فالعامل له من الصرف العلمية والتأنيث المعنوي، فإن لم يرد به القبيلة بل أريد به الحي صرفه، لكنه لم يقرأ بالصرف هنا إلا شذوذاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قد جاءكم﴾ الخ أي وقال قد جاءكم الخ، وهذا القول وقع منه بعد خروج الناقة بالفعل بدليل السياق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بين﴾ المراد بها الناقة اهـ.

وعبارة أبي السعود ﴿قد جاءكم بينة من ربكم﴾ الخ ليس هذا أول خطاب لهم، بل بعدما نصحهم كما قص في سورة هود من قوله: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود: ٦١] الآيات اهـ.

قوله: ﴿هذه ناقة الله﴾ الخ استئناف مسوق لبيان البينة وإضافتها إلى الله ليتعظيم، ولمجيئها من جهته من غير واسطة معتادة ولذلك كانت آية عظيمة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لكم آية﴾ يحتمل أن قوله لكم خبر ثان أو حال أخرى أو معمول للمحذوف أي أعني لكم اهـ شيخنا.

قوله: (عاملها معنى اسم الإشارة) عبارة السمين: والعامل فيها إما معنى التثنية وإما معنى

سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عینوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ بعقر أو ضرب ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ

الإشارة، كأنه قاله أنبهكم عليها أو أشير إليها في هذه الحال، ويجوز أن يكون العامل مضمراً تقديره انظروا إليها في هذه الحال، والجملة لا محل لها لأنها كالجواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا أين آيتك، فقال: هذه ناقة الله وأضافها إلى الله تشريفاً كبيت الله وروح الله، وذلك لأنها لم تتوالد بين جمل وناقة بل خرجت من حجر صلد كما هو المشهور، وقوله: لكم أي أعني لكم وخصوا بذلك لأنهم هم السائلون لها أو المتفعون بها من بين سائر الناس لو أطاعوا، ويحتمل أن يكون قوله: هذه ناقة الله مفسراً لقوله بيّنة لأن البيّنة تستدعي شيئاً يتبين به المدعي، فتكون الجملة في محل رفع على البدل، وجاز إبدال جملة من مفرد لأنها في قوته اهـ.

قوله: (من صخرة عینوها) وكان يقال لها الكائبة وكانت منفردة في ناحية الجبل، فقالوا: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت، وتكون عشراء جوفاء أي ذات جوف واسع وبراء أي ذات وبر وصوف، فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض التتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى. أي كانت عظيمة جداً ثم وقت خروجها ولدت ولدًا مثلها في العظم، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب كما يأتي بسطه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَذَرُوهَا﴾ تفريق على كونها آية من آيات الله، فإن ذلك يوجب عدم التعرض لها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تَأْكُلْ﴾ جواب الأمر وعدم التعرض للشرب، إما للاكتفاء عنه بذكر الأكل أو لتجسيمه له أيضاً، كما في قوله علفتها تبنًا وماء باردًا، وقد ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] اهـ كرخي.

قوله: ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ الظاهر تعلقه بتأكل وقيل: يجوز تعلقه بقوله فذروها وعلى هذا فتكون المسألة من التنازع وإعمال الثاني، ولو أعمل الأول لأضمر في الثاني، فقال: تأكل فيها في أرض الله وانجزم تأكل جواباً للأمر، وقد تقدم الخلاف في جازمه هل هو نفس الجملة الطلبية أو أداة مقدرة وقرأ أبو جعفر تأكل برفع الفعل على أنه حال وهو نظير ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثُنِي﴾ [مريم: ٥] رفعاً وجزماً اهـ سمين.

قوله: ﴿بِسُوءٍ﴾ الظاهر أن الباء للتعدية أي لا توقعوا عليها سوءاً ولا تلصقوه بها، ويجوز أن تكون للمصاحبة أي لا تمسوها حال مصاحبتكم للسوء، وقوله فَيَأْخُذْكُمْ نصب على جواب النهي أي لا تجمعوا بين المس بالسوء وبين أخذ العذاب اياكم، وهم وإن لم يكن أخذ العذاب لهم من صنعهم، إلا أنهم تعاطوا أسبابه اهـ سمين.

وعبرة الكرخي قوله: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾ جواب النهي فالنصب فيه بأن مضمرة بعد الفاء، ونهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الشامل لأنواع الأذى ونكر السوء مبالغة للنهي أي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوءها أصلاً اهـ.

وَبَوَّأَكُمْ ﴿١٧٤﴾ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا ﴿١٧٥﴾ تَسْكُنُونَهَا فِي الصَّيْفِ ﴿١٧٦﴾ وَتَنْجُونَ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتًا ﴿١٧٧﴾ تَسْكُنُونَهَا فِي الشِّتَاءِ وَنَصَبَهُ عَلَى الْحَالِ الْمَقْدَرَةِ ﴿١٧٨﴾ فَأَذْكَرُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٧٩﴾ ﴿١٨٠﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴿١٨١﴾ تَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿١٨٢﴾ لِلَّذِينَ

قوله: (بعقر أو غيره) كالمنع من الرعي.

قوله: ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي أرض الحجر بكسر الحاء مكان بين الحجاز والشام اهـ أبو السعود. كما سيأتي في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ [الحجر: ٨٠].

قوله: ﴿تتخذون﴾ أي تعملون وتصنعون، واتخذ يجوز أن يكون المتعدي لواحد، فيكون من سهولها متعلقاً بالاتخاذ أو بمحذوف على أنه حال من قصوراً. إذ هو في الأصل صفة لها لو تأخر بمعنى أن مادة القصور من سهل الأرض كالطين واللين والآجر، كقوله: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم﴾ [الأعراف: ١٤٨] أي مادته من الحلي، وقيل: من بمعنى في وفي التفسير أنهم كانوا يسكنون في القصور صيفاً، وفي الجبال شتاء، ويجوز أن يكون المتعدي لاثنتين ثانيهما من سهولها اهـ سمين. قوله: ﴿من سهولها﴾ أي السهل منها اللين وهو غير الجبل، وقوله: ﴿قصوراً﴾ إنما سميت بذلك لقصور الفقراء عن تحصيلها وحسبهم عن نيلها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وتنحتون﴾ النحت نجر الشيء الصلب اهـ أبو السعود.

وفي القاموس: نحته ينحته كيضره وينصره ويعلمه براه، والسفر البعير أنضاه وفلاناً صرعه، والنحاة البراة والمنحت ما ينحت به اهـ.

وفي السمين: وتنحتون الجبال بيوتاً، يجوز أن تنصب الجبال على إسقاط الخافض أي من الجبال كقوله: ﴿واختار موسى قومه﴾ [الأعراف: ١٥٥] فيكون بيوتاً مفعول، ويجوز أن يضمن تنحتون معنى ما يتعدى لاثنتين أي وتتخذون الجبال بيوتاً بالنحت أو تصيرونها بيوتاً بالنحت، ويجوز أن يكون الجبال هو المفعول به، وبيوتاً حال مقدرة كقولك: خط الثوب جبه أي مقدار له كذلك، وبيوتاً وإن لم يكن مشتقاً فإنه في معنى المشتق أي مسكونة اهـ.

وإنما كانوا ينحتون بيوتاً في الجبال لطول أعمارهم فإن السقوف أو الأبنية كانت تبلى قبل فتاء أعمارهم اهـ كرخي.

قال الضحاك: فكان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذا كان قوم هود اهـ خطيب في سورة هود.

قوله: (ونصبه على الحال المقدرة) أي لأن الجبال لا تصير بيوتاً إلا بعد نحتها اهـ.

قوله: ﴿قال الملأ الذين﴾ الخ قرأ ابن عامر وحده وقال بواو عطف نسقاً لهذه الجملة على ما قبلها وموافقة لمصاحف الشام، فإنها مرسومة فيها. والباقون بحذفها، إما اكتفاء بالربط المعنوي، وإما لأنه جواب لسؤال مقدر كما تقدم نظيره وموافقة لمصاحفهم، وهذا كما تقدم في قوله: ﴿ما كنا

أَسْتَضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴿٧٥﴾ أَي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا ثَرَّ سَلَمًا مِنْ رَبِّهِ﴾ إِلَيْكُمْ ﴿قَالُوا﴾ نَعَمْ ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿قَالَ الَّذِي أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنَتْمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم فملوا ذلك ﴿فَعَقَرُوا النَّاَقَةَ﴾

لنهتدي ﴿[الأعراف: ٤٣]﴾ إلا أنه هو الذي حذف الواو هناك اه سمين .

قوله: (تكبروا) أي فالسين زائدة وقول به أي بصالح وقوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ اللام للتبليغ

اهـ .

قوله: ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من الذين استضعفوا بإعادة العامل وفيه وجهان، أحدهما: أنه بدل كل من كل إن عاد الضمير في منهم على قومه، ويكون المستضعفون كلهم مؤمنين فقط كأنه قيل: قال المستكبرون للمؤمنين من قوم صالح . والثاني: أنه بدل بعض من كل إن عاد الضمير على المستضعفين، ويكون المستضعفون ضريين مؤمنين وكافرين، كأنه قيل: قال المستكبرون للمؤمنين من الضعفاء دون الكافرين من الضعفاء، وقوله: أتعلمون في محل نصب بالقول، ومن ربه متعلق بمرسل، ومن للابتداء مجازاً، ويجوز أن يكون صفة فيتعلق بحذوف اه سمين .

قوله: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا﴾ الخ قالوا ذلك استهزاء . قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ﴾ الخ حق الجواب أن يقولوا نعلم، أو نعم أنه مرسل من ربه، لكن عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم، وتنبهاً على أن أمر إرساله ظاهراً لا ينبغي أن يسأل عنه، وإنما يسأل عن الإيمان به اه أبو السعود .

قوله: ﴿إِنَّا بِالَّذِي﴾ الخ لم يقولوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ كافرون إظهاراً لمخالفتهم إياهم ورداً لمقاتلتهم اه أبو السعود .

قوله: (لها يوم في الماء) فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتبجح فيحلبون ما شاؤوا حتى يملؤوا أوانيهم، فيشربون ويدخرون اه أبو السعود .

قوله: ﴿فَعَقَرُوا النَّاَقَةَ﴾ أي في يوم الأربعاء فقال لهم صالح: تصبحون غداً وجوهكم مصفرة ثم تصبحون في يوم الجمعة وجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم السبت وجوهكم مسودة، فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم فأيقنوا بالعذاب، ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم، ثم اسودت في يوم السبت فتجهزوا للهلاك، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى، فكفنوا أنفسهم وتحنطوا كما يفعل بالميت، وألقوا بأنفسهم إلى الأرض، فلما اشتد الضحى أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت في ذلك الوقت كل شيء له صوت مما في الأرض، ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعاً اه خازن .

وأما ولد الناقة ففر هارباً فانفتحت له الصخرة التي خرجت منها أمه فدخلها وانطبقت عليه اه أبو السعود . وقيل: إنهم أدركوه وذبحوه اه شيخنا .

عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَعْتَابَنَا بِمَا أَعْتَدْنَا﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ﴾ ﴿بَارِكِينَ عَلَى الرِّكَبِ مِثِينَ﴾ ﴿فَتَوَلَّى﴾ أجروض

قوله: (عقرها قدار) أي ابن سالف، وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً يزعمون أنه ابن زانية، ولم يكن لسالف، ولكنه ولد على فراشه، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه اهـ خازن.

قوله: (بأن قتلها بالسيف) أي فالمراد من قوله فعقروا فنحروا ولما كان العقر سبباً للنحر أطلق العقر على النحر إطلاقاً لاسم السبب على المسبب اهـ كرخي.

وفي السمين: والعقر أصله كشف العراقيب في الإبل، وهو أن يضرب قوائم البعير أو الناقة فيقع، وكانت هذا سنتهم في الذبح، ثم أطلق على كل نحر عقر، وإن لم يكن فيه كشف عراقيب تسمية للشيء بما يلازمه غالباً إطلاقاً للسبب على مسببه هذا قول الأزهرى. وقال ابن قتيبة: العقر القتل كيف كان يقال عقروتها فهي معقورة، وقيل العقر الجرح اهـ.

وفي المصباح: عقره عقراً من باب ضرب جرحه، وعقر البعير بالسيف عقراً ضرب قوائمه به، ولا يطلق العقر في غير القوائم، وربما قالوا عقره إذا نحره فهو عقير وجمال عقري اهـ.

قوله: ﴿وَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ العتو والعتي التتو أي الارتفاع عن الطاعة يقال منه عتا يعتو عتواً وعتياً بقلب الواو ين، والأحسن فيه إذا كان مصدراً تصحيح الواو ين، كقوله: ﴿وَعَتُوا عَتَاً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٢١] وإذا كان جمعاً الإعلال نحو قوم عتي، لأن الجمع أثقل فناسبه الإعلال تخفيفاً، وقوله: ﴿أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَتِيّاً﴾ [مريم: ٦٩] محتمل للوجهين اهـ سمين.

قوله: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وهو ما بلغه لهم صالح من الأمر والنهي اهـ أبو السعود.

فالمراد بأمره حكمه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ﴾ الخ أي قالوا ذلك استهزاء به وتعجيزاً له وقوله: بما تعدنا أي بقولك ولا تمسوها بسوء الخ اهـ كرخي.

والعائد من تعدنا محذوف أي تعدناه، ولا يجوز أن يقدر تعدنا متعدياً إليه بالباء، وإن كان الأصل تعديته إليه بها لئلا يلزم حذف العائد المجزوء بحرف من غير إتحاده متعلقهما لأن بما متعلق بإتيان، وبه متعلق بالوعد اهـ سمين.

قوله: (على قتلها) أي بسبب قتلها. وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي فإن كونك منهم يستدعي صدقك فيما تقول من الوعد والوعيد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ في الآية اكتفاء. أي والصيحة كما ذكره الشارح، وقد وقع التصريح بها في آية أخرى، فكان عذابهم بالرجفة والصيحة، فذكر في كل موضع واحدة منهما اهـ قاري.

قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أي أرضهم، فالمراد بها الجنس، فإن قيل القاء للتعقيب، وقوله

صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ بَنُو قَوْمٍ لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَنصَحُونَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿و﴾

فأخذتهم الرجفة يقتضي أن الرجفة أخذتهم عقيب قولهم اتنا بما تعدنا، وليس الأمر كذلك لقوله تعالى في آية أخرى ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ [هود: ٦٥] فالجواب أن أسباب الهلاك وجدت عقيب قولهم: اتنا، وهو أنهم في اليوم الأول اصفرت وجوههم، وفي اليوم الثاني أحمرت، وفي اليوم الثالث اسودت، فكان ابتداء العذاب متعقباً قولهم اه كرخي.

قوله: ﴿جاثمين﴾ في القاموس جثم لزم مكانه ولم يبرح أو وقع على صدره اه.

وأما قوله: (باركين على الركب) فما أعرف أنه أخذه من اللغة أو من القصة اه قاري.

وجواب هذا التوقف أنه أخذه من اللغة في غير القاموس ففي السمين: وقال أبو عبيد: الجثوم للناس والطير كالبروك للإبل اه.

وفي المصباح: جثم الطائر والأرنب يجثم من بابي دخل وجلس جثوماً وهو كالبروك من البعير، وربما أطلق على الظباء والإبل والفاعل جاثم وجثام مبالغة، ثم استعير الثاني مؤكداً بالهاء للرجل الذي يلزم الحضر ولا يسافر، فقليل: فيه جثامة وزان علامة ونسابة، ثم سمي به ومنه الصعب بن جثامة الليثي اه.

قوله: ﴿فتولى عنهم﴾ يعني فأعرض عنهم صالح، وفي وقت هذا التولي قولان.

أحدهما: أنه تولى عنهم بعد أن ماتوا وهلكوا، ويدل عليه قوله: ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ فتولى عنهم والفاء للتعقيب، فدل على أنه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتهم.

والقول الثاني: أنه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم، ويدل عليه أنه خاطبهم بقوله وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين، وهذا الخطاب لا يليق إلا بالأحياء، فعلى هذا القول يحتمل أن يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وأجاب أصحاب القول الأول عن هذا بأنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخاً وتقريعاً، كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القلب فجعل يناديهم بأسمائهم، الحديث في الصحيح. وفيه: فقال عمر: يا رسول الله ﷺ كيف تكلم أقواماً قد جيفوا؟ فقال ﷺ: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيئون» وقيل: إنما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم، فينجز عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها اه خازن.

قوله: (واذكر) خطاب لمحمد ﷺ أي اذكر هذا الوقت لأجل أن تسلي بما وقع فيه ولم يقدر هنا أرسلنا كما في السابق واللاحق مع أنه المناسب للتصريح فيما سبق في قصة نوح، وذلك لأن الإرسال لم يكن وقت قوله المذكور، فالظرف هنا مانع من تقدير الإرسال اه شيخنا.

وعبرة الكرخي قوله: واذكر لوطاً الخ يشير به إلى أن لوطاً منصوب بالإضمار المذكور، وأن العامل في الظرف بدل من لوطاً بدل اشتغال بمعنى: واذكر وقت إذ قال لقومه، وهذا تبع فيه

اذكر ﴿لوطاً﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الانس والجن﴾ ﴿لَأَنكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية. وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿لَأَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْنِسَاءِ﴾ ﴿لَأَنَّهُ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿مُتَجَاوِزُونَ﴾

الزمخشري وهو مبني على تصرف إذ، وقال أبو البقاء: العامل فيه مقلد تقليده. واذكر رسالة لوط إذ قال فإذا منصوب برسالة اهـ.

ولو نصب لوطاً بأرسلنا كما صنع فيما قبله لكان صحيحاً اهـ.

قوله: ﴿ولوطاً﴾ هو ابن هاران بن تارخ وهو أزر فلوط ابن أخي إبراهيم، وإبراهيم عمه، فليس لوط من أنبياء بني إسرائيل، وكانا بابل بالعراق، فهجروا إلى الشام، فنزل إبراهيم أرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، فأرسله الله إلى أهل سدوم بالذال المعجمة وهي بلد بجمص اهـ من الخازن وأبي السعود.

قوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ استفهام إنكاري توبيخي تقيمي، وقوله: ما سبقكم الخ جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتفريع، فإن مباشرة القبيح قبيحة واختراعه أقيح، فأنكر الله عليهم أولاً فعلها، ثم وبخهم بأنهم أول من فعلها اهـ أبو السعود.

وفي السمين: في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب. والثاني: أنها حال وفي صاحب الحال وجهان، أحدهما: هو فاعل أي مبتدئين بها، والثاني: أنه المفعول أي أتأتونها مبتدأ بها غير مسبوقه من غيركم، وفي الباء في بها وجهان أحدهما: أنها حالية أي ما سبقكم أحد مضاعفاً لها أي ملتبساً بها. والثاني: أنها للتعدية قال الزمخشري الباء المشددة من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله، ومنه قوله عليه السلام «سبقك بها عكاشة» اهـ.

قوله: ﴿من أحد﴾ من زائدة في الفاعل لتوكيد النفي، وقوله: ﴿من العالمين﴾ للتبعض اهـ خازن.

قوله: ﴿أتأتون﴾ الخ توبيخ آخر وهذا أشنع مما سبق لتأكيده بآف وباللام واسمية الجملة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإدخال الألف بينهما﴾ كان الأولى أن يقول وإدخال الألف وتركه أي الإدخال، وقوله: على الوجهين أي التحقيق والتسهيل وصنيعه يقتضي أن القراءات السبعية أربعة، وليس كذلك إذ لم يذهب أحد من السبعة إلى إدخال ألف بين الهمزتين المحققين، فالقراءات ثلاث تحقيقاً بدون ألف بينهما، وتسهيل الثانية بدون ألف بينهما وبإدخالها بينهما اهـ شيخنا.

وبقيت قراءة رابعة سبعة ذكرها السمين بقوله: وقرأ نافع وحفص عن عاصم إنكم بهمة واحدة على الخبر المستأنف، وهو بيان لتلك الفاحشة اهـ.

وفي الخطيب: وقرأ نافع وحفص بكسر الهمزة ولا ياء بينها وبين التون على الخبر، وقرأ ابن كثير بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة مسهلة ولا مد بينهما، وأبو عمر وكذلك إلا أنه يمد بين الهمزتين، وهشام بتحقيق الهمزتين بينهما مدة والباقون بتحقيقهما من غير مدة بينهما اهـ.



الحلال إلى الحرام ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مِنْ قَرَيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَرُونَ﴾ من أدبار الرجال ﴿فَأَعْيَتْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنْ

قوله: ﴿شهوة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه مفعول من أجله أي لأجل الاشتهاه أي لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة لا غير. والثاني: أنها مصدر واقع موقع الحال أي مشتتهين أو باق على مصدريته ناصبه أتأتون لأنه بمعنى أتشتهون، ويقال شهى يشهى شهوة وشها يشهو شهوة اهـ سمين. من بابي تعب وعلا اهـ مصباح.

قوله: ﴿من دون النساء﴾ حال من الرجال أو من الواو في تأتون أي متجاوزين النساء اهـ أبو السعود.

وإنما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل و عمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة موضعاً للنسل، فإذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال، فكأنما أسرف وجاوز واعتدى لأنه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له، لأن أدبار الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة في الإنسان اهـ خازن.

قوله: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ بل للإضراب، والمشهور أنه إضراب انتقالي من قصة إلى قصة، فقل عن مذكور وهو الاخبار بتجاوزهم عن الحد في هذه الفاحشة أو عن توبيخهم وتقريعهم والإنكار عليهم. وقيل: بل للإضراب عن شيء محذوف واختلف فيه، فقال أبو البقاء: تقديره ما عدلتم بل أنتم. وقال الكرمانى: بل أنتم رد لجواب زعموا أن يكون لهم عذر أي لا عذر لكم بل أنتم الخ اهـ سمين.

قوله: ﴿وما كان جواب قومه﴾ العامة على نصب جواب خبراً لكان والاسم أن وما في حيزها وهو الأنصح، إذ فيه جعل الأعراف اسماً وقرأ الحسن جواب بالرفع على أنه اسمها والخبر إلا أن قالوا وقد تقدم ذلك، وأتى هنا بقوله وما، وفي النمل والعنكبوت بقوله: فما والفاء هي الأصل في هذا الباب، لأن المراد أنهم لم يتأخر جوابهم عن نصيحته، وأما الواو فالتعقيب أحد محاملها، فتعين هنا أنها للتعقيب لأمر خارجي، وهو القرينة في السورتين المذكورتين لا أنها اقتضت ذلك بوضعها اهـ سمين.

قوله: ﴿جواب قومه﴾ أي المستكبرين منهم المتصدين للحل والعقد، وقوله: إلا أن قالوا استثناء مفرغ أي ما كان جوابهم شيئاً إلا قولهم المذكور فيقول بعضهم لبعض، وليس المراد أنه لم يصدر منهم جواب عن نصح وموعظة لوط لهم إلا هذه المقالة كما هو المتبادر إلى الأفهام، بل المراد أنهم لم يصدر منهم في المرة الأخيرة من مرات المحاوراة بينه وبينهم إلا هذه المقالة، وإلا فقد صدر منهم قبل ذلك كثير من القباح اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من قريبتكم﴾ وهي سدوم بوزن رسول بالذال المعجمة من قرى حمص بالشام. قوله: ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ قالوا ذلك سخرية واستهزاء بلوط وقومه اهـ أبو السعود.

التَّيْرِينَ ﴿٨٣﴾ الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقُورُ آبَاءَكُمْ وَاللَّهِ

قوله: ﴿وأهلكهم﴾ وهم ابتلاه فلم ينج من العذاب إلا هو وابتلاه لأنهما اللتان أمتتا به أهـ خازن  
فخرج لوط من أرضهم وطوى الله له الأرض في وقته حين نجا ووصل إلى إبراهيم أهـ قرطبي من  
سورة هود.

قوله: ﴿إلا امرأته﴾ أي الكافرة واسمها واهلة، وقوله: كانت من الغابرين استئناف وقع جواباً  
عن سؤال نشأ من استثنائها، كأنه قيل: فماذا كان حالها؟ فقيل: كانت من الغابرين أهـ أبو السعود.  
قوله: (الباقيين في العذاب) في المصباح: غير غبوراً من باب قعد بقي، وقد يستعمل فيما مضى  
أيضاً فيكون من الأضداد. قال الزبيدي: غير غبوراً مكث أهـ.

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ قال أبو عبيد: يقال مطر في الرحمة، وأمطر في العذاب. وقال  
الراغب: ويقال مطر في الخير وأمطر في العذاب قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ [هود: ٨٢  
والحجر: ٧٤] وهذا مردود بقوله تعالى: ﴿عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤] فإنهم إنما عنوا بذلك  
الرحمة وهو من أمطر رباعياً ومطر وأمطر بمعنى واحد يتعديان لمفعول واحد يقال: مطرتهم السماء  
وأمطرتهم، وقوله: وأمطرنا ضمن معنا أرسلنا، ولذلك عدي بعلی، وعلى هذا فمطرأ مفعول به، لأنه  
يراد به الحجارة ولا يراد به المصدر أصلاً إذ لو كان كذلك ل قيل إمطاراً أهـ سمين.

وفي أبي السعود: مطراً أي نوعاً من المطر عجيباً، وقد بينه الله بقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً  
من سجيل﴾ [هود: ٨٢ والحجر: ٧٤] أهـ.

والسجيل: الآجر المحروق، وكانت معجونة بالكبريت والنار كما في الخازن، وعبارة الجلال:  
في سورة هود، فلما جاء أمرنا بإهلاكهم جعلنا عاليها أي قراهم سافلها بأن رفعها جبريل إلى السماء،  
وكانت خمساً وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل طين طيخ بالنار منصود  
متتابع في النزول مسومة معلمة عليها اسم من يرمى بها أهـ.

وقوله: وأمطرنا عليها أي على أهلها الخارجين عنها في الأسفار وغيرها، وقيل بعد ما قلبها  
أمطر عليها أهـ خازن هناك.

قوله: ﴿فانظر كيف كان﴾ الخ يحتمل أن يكون المأمور هو الرسول ﷺ، ويحتمل أن يكون كل  
أحد من المكلفين ليعتبروا بذلك فيزجروا. قاله الأصفهاني في تفسيره أهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: فانظر خطاب لكل من يأتي منه التأمل والنظر تعجباً من حالهم وتحذيراً من  
أعمالهم أهـ.

قوله: ﴿وإلى مدين﴾ هو اسم أعجمي وهو اسم قبيلة سموا باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل،  
وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، فهو أخوهم في النسب وليس من أنبياء بني  
إسرائيل أهـ أبو السعود.

مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَقْبٌ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيِّنَةٌ ﴿٨٥﴾ مَعْجَزَةٌ ﴿٨٦﴾ رَّبِّكُمْ ﴿٨٧﴾ عَلَى صَدَقِي ﴿٨٨﴾ فَأَوْفُوا ﴿٨٩﴾ أْتَمُوا  
 ﴿٩٠﴾ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا ﴿٩١﴾ تَقْصُوا ﴿٩٢﴾ الْكَاسَ أَشْيَاءَ هُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴿٩٣﴾ بِالْكَفْرِ  
 وَالْمَعَاصِي ﴿٩٤﴾ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴿٩٥﴾ بِيَعِثِ الرِّسْلِ ﴿٩٦﴾ ذَلِكُمْ ﴿٩٧﴾ الْمَذْكُورُ ﴿٩٨﴾ حَتَّى لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ مَرِيدِي الْإِيمَانَ فَبَادِرُوا إِلَيْهِ ﴿١٠٠﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٌ ﴿١٠١﴾ تُوعِدُونَ ﴿١٠٢﴾  
 تَخُوفُونَ النَّاسَ بِأَخْذِ ثِيَابِهِمْ أَوْ الْمَكْسِ مِنْهُمْ ﴿١٠٣﴾ وَتَصُدُّونَ ﴿١٠٤﴾ تَصْرِفُونَ ﴿١٠٥﴾ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ دِينَهُ ﴿١٠٦﴾ مَنْ  
 ءَامَنَ بِهِ ﴿١٠٧﴾ بَتَّوَعْدَكُمْ إِيَّاهُ بِالْقَتْلِ ﴿١٠٨﴾ وَتَبْغُونَهَا ﴿١٠٩﴾ تَطْلُبُونَ الطَّرِيقَ ﴿١١٠﴾ عِوَجًا ﴿١١١﴾ مَعُوجَةً

وسياتي أن مدين اسم لقرية شعيب أيضاً فهو مشترك بينها وبين القبيلة وبين أبيها. قوله: ﴿٨٥﴾ قد جاء تكم بينة لم تبين هذه المعجزة في القرآن العظيم كأكثر معجزات نبينا ﷺ. وقيل: إن المراد بها نفسه، وقيل إن المراد بها قوله فأوفوا الكيل الخ، وقيل غير ذلك اهـ من الخازن.

قوله: ﴿٨٩﴾ فأوفوا الكيل والميزان المراد بهما الآلة التي يكال ويوزن بها، وكان عادتهم نقص الكيل والميزان وبخس الحقوق، فلذلك أمرهم بما ذكر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿٩٤﴾ بعد إصلاحها (بيعث الرسل) قال ابن عباس: كانت الأرض قبل أن يبعث الله شعبياً رسولاً تعمل فيها المعاصي، وتستحل فيها المحارم، وتسفك فيها الدماء قال فذلك فسادها، فلما بعث الله شعبياً ودعاهم إلى الله صلحت الأرض، وكل نبي يبعث إلى قومه فهو صلاحهم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿٩٨﴾ (المذكور) أي من إيفاء الكيل والميزان وعدم البخس وعدم الفساد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿١٠٠﴾ (فبادروا إليه) تقدير لجواب الشرط. قوله: ﴿١٠١﴾ بكل صراط أي محسوس بديل ما ذكره، فكانوا يجلسون على الطرق، ويقولون لمن يريد شعبياً إنه كذاب أرجع لا يفتنك عن دينك، فإن آمنت به قتلناك اهـ شيخنا.

والباء يجوز فيها أن تكون على حالها من الإلصاق أو المصاحبة، أو تكون بمعنى في وتوعدون وتصدون وتبغون هذه الجمل أحوال أي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين، ولم يذكر الموعد به لتذهب النفس كل مذهب، ومفعول تصدون من آمن. قال أبو البقاء: من آمن مفعول تصدون لا مفعول توعدون، إذ لو كان كذلك لكانت المسألة من التنازع، وإذا كانت من التنازع وأعملت الأول لأضمرت في الثاني، فكنت تقول تصدونهم، لكنه ليس في القرآن كذلك فدل على أن توعدون ليس عاملاً فيه، وكلامه يحتمل أن تكون المسألة من التنازع ويكون ذلك على إعمال الثاني، وهو مختار البصريين وحذف من الأول، وأن لا تكون وهو الظاهر والضمير في به، إما لكل صراط، وإما لله للعلم به، وإما لسبيل الله، وجاز ذلك لأنه يذكر ويؤنث وعلى هذا فقد جمع بين الاستعمالين حيث قال به فذكر، وقال وتبغونها فأنث، ومثله قل هذه سبيلي اهـ سمين.

قوله: (تخوفون الناس) في القاموس: الوعيد التهديد والتوعد التهديد كالإيعاد اهـ ثم قال: وهذه خوفه اهـ.

قوله: (بأخذ ثيابهم الخ) فكانوا قطاع طريق وكانوا مكاسين اهـ شيخنا.

قوله: (تطلبون الطريق) ﴿١١٠﴾ عوجاً بأن تصفوا للناس أنها معوجة اهـ أبو السعود.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ قبلكم بتكذيبهم  
رسلم أي آخر أمرهم من الهلاك ﴿وَلَنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ  
يُؤْمِنُوا﴾ به ﴿فَأَصْبِرُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ

وكان الأولى للشارح أن يقول تطلبون السبيل، لأن الضمير راجع للسبيل الذي هو الطريق  
المعنوي، وقوله الطريق يوهم أنه راجع للطريق المذكور بقوله بكل صراط، وليس كذلك، فإن ذلك  
حسي وما هنا معنوي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأذكروا﴾ إما أن يكون مفعوله محذوفاً فيكون هذا الظرف معمولاً لذلك المفعول أي  
أذكروا نعمته عليكم في ذلك الوقت، وإما أن يجعل نفس الظرف مفعولاً به قاله الزمخشري اهـ سمين.  
قوله: ﴿وإذ كنتم قليلاً﴾ يحتمل قلة العدد، ويحتمل قلة المال، ويحتمل قلة القوة التي هي  
الضعف، فقوله فكثركم أي كثر عددكم، وكثركم بالغنى بعد الفقر، وكثركم بالقوة بعد الضعف اهـ  
خازن.

قوله: ﴿كيف كان﴾ كيف وما في حيزها معلقة للنظر عن العمل، فيه وملازماتها في محل نصب  
على إسقاط الخافض، والنظر هنا التفكير، وكيف خبر كان واجب التقديم اهـ سمين.  
قوله: ﴿المفسدين﴾ (قبلكم) وأقربهم إليكم قوم لوط، فانظروا كيف أنزل الله عليهم حجارة من  
السماء اهـ خازن.

قوله: (بتكذيبهم رسلم) متعلق بالمفسدين، وقوله أي آخر بالرفع بيان للعاقبة، وقوله من  
الهلاك بيان للأمر اهـ.  
قوله: ﴿بالذي أرسلت به﴾ أي من الشرائع والأحكام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وطائفة لم يؤمنوا﴾ طائفة عطف على طائفة الأولى فهي اسم كان ولم يؤمنوا معطوف  
على آمنوا الذي هو خبر كان عطف اسماً على اسم وخبراً على خبر، ومثله ما لو قلت كان عبد الله ذاهباً  
وبكر خارجاً، فقد عطف المرفوع على مثله، وكذلك المنصوب، وقد حذف وصف طائفة الثانية للدلالة  
وصف الأولى عليه. إذ التقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا وحذف أيضاً متعلق بالإيمان في الثانية للدلالة  
الأول عليه. إذا التقدير لم يؤمنوا بالذي أرسلت به، والوصف بقوله منكم الظاهر، أو المقدر به هو  
الذي سوغ وقوع طائفة اسماً لكان من حيث إن الاسم في هذا الباب كالمتبدأ، والمتبدأ لا يكون نكرة إلا  
بمسوغ تقدم التنبيه عليه اهـ سمين.

قوله: ﴿فأصبروا﴾ يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه، وأن يكون للكافرين منهم، وأن  
يكونوا للفريقين، وهذا هو الظاهر أمر المؤمنين بالصبر ليصل لهم الظفر والغلبة، والكافرون أمروا  
بالصبر لينصر الله عليهم المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿قل تربصوا﴾ [الطور: ٣١] أو على سبيل التنزل  
معهم أي أصبروا فستعلمون من ينصر ومن يغلب مع علمه بأن الغلبة له وحتى بمعنى إلى اهـ سمين.

قوله: ﴿بيننا﴾ صنيع الشارح يقتضي أن هذا الضمير واقع على شعيب فقط، وذلك لأنه قدر

خَيْرَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ أَعْدَلُهُمْ ﴿٨٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴿٨٩﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿٩٠﴾ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴿٩١﴾ تَرْجِعْنَ ﴿٩٢﴾ فِي مَلَأْنَا ﴿٩٣﴾ دِينَنَا وَغَلَبُوا فِي الْخُطَابِ الْجَمْعِ عَلَى الْوَاحِدِ لَأَن

المقابل وهو قوله وبينكم، والأولى أن يكون هذا الضمير راجعاً للفريقين فلا حذف ولا تقدير اهـ شيخنا.

وكان الأولى أن يفسره بأن يقول أي بيني وبينكم. وفي السمين قوله بيننا غلب ضمير المتكلم على ضمير المخاطب إذ المراد بيننا جميعاً من مؤمن وكافر، ولا حاجة إلى ادعاء حذف معطوف تقديره بيننا وبينكم اهـ.

قوله: ﴿وهو خير الحاكمين﴾ يعني أنه حاكم عادل منزّه عن الجور والميل والحيث في حكمه، وإنما قال خير الحاكمين لأنه قد يسمى بعض الأشخاص حاكماً على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة، فلهذا قال: وهو خير الحاكمين اهـ خازن.

قوله: ﴿قال الملأ﴾ الخ استئناف بياني كأنه قيل: فماذا قالوا بعد سماعهم هذه المواعظ من شعيب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿معك﴾ متعلق بالإخراج لا بالإيمان، وتوسط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطفغان، أي والله لنخرجنك وأتباعك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من قريتنا﴾ سيأتي أنها مدين، وأن بيننا وبين مصر ثمانية مراحل، وأنها سميت باسم الذي بناها وهو مدين بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وسيأتي أيضاً شعباً أرسل إلى أهل تلك القرية، وإلى أهل الأيكة وهي غيضة شجر كانت بقرب القرية المذكورة تأمل. قوله: ﴿أو لتعودن﴾ عطف على جواب القسم الأول أي: والله لنخرجنك والمؤمنين أو لتعودن، فالعود مسند إلى ضمير شعيب ومن آمن معه اهـ سمين.

وفي أبي السعود أو لتعودن عطف على جواب القسم. أي والله ليكونن أحد الأمرين البتة ومقصودهم الأصلي هو العود كما يفصح عنه عدم تعرضه لجواب الإخراج، وإنما لم يقولوا أو لنعيدكم على طريقة ما قبله، لأن مرادهم العود بطريق الاختيار اهـ.

قوله: (الجمع) وهم قوم شعيب على الواحد وهو شعيب، وقوله لأن شعبياً لم يكن في ملتهم أي لم يكن تلبس بها فيما مضى قط حتى تصح نسبة العود إليه، وقوله: وعلى نحوه أي نحو التغليب المذكور الواقع منهم، ونحوه هو التغليب الواقع منه، وقوله: (أجاب) أي شعيب فغلب في قوله المقدر، وهو الذي قدره الشارح بقوله أعود فيها، وفي الذي صرح به بقوله قد افترينا، وقوله إن عدنا اهـ شيخنا.

وفي السمين: وعاد لها في لسانهم استعمالان، أحدهما: وهو الأصل أنه الرجوع إلى ما كان عليه من الحال الأول. والثاني: استعمالها بمعنى صار، وحينئذ ترفع الاسم، وتنصب الخبر فلا تكتفي بمرفوع، وتفتقر إلى منصوب واستشكلوا على كونها بمعناها الأصلي أن شعبياً ﷺ لم يكن قط على دينهم، ولا في ملتهم، فكيف يحسن أن يقال أو لتعودن أي ترجعن إلى حالكم الأولى والخطاب له ولأتباعه.

شعبياً لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ﴾ نعود فيها ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ لها استفهام إنكار ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِدْجَعْنَا اللَّهُ مِتْنًا وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رِئْسًا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رِئْسًا كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ومنه حالي

وقد أجيب عن ذلك بثلاثة أوجه، أحدها: أن هذا القول من رؤسائهم قصدوا به التلبيس على العوام والإيهام لهم أنه كان على دينهم وعلى ملتهم. الثاني: أن يراد بعوده رجوعه إلى حاله قبل بعثته من السكوت، لأنه قبل أن يبعث إليهم كان يخفي إيمانه وهو ساكت عنهم بريء من معبوداتهم غير الله. الثالث: تغليب الجماعة على الواحد لأنهم لما أصبحوه مع قومه في الإخراج سجيوا عليه وعليهم حكم العود إلى الملة تغليياً لهم عليه. وأما إذا جعلناها بمعنى صار فلا إشكال في ذلك، إذ المعنى لتصيرن في ملتنا بعد أن لم تكونوا، وفي ملتنا حال على الأول خبر على الثاني، وعدي عاد في ظرفية تنبيهاً على أن الملة صارت لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم اهـ.

قوله: ﴿قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ الهزمة لإنكار الوقوع، وكلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتهاء غيره فيه، بل هي لمجرد الربط مثل أن، وبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم بالإيجاب أو النفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال فيكتفي بالواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها، والجملة في محل النصب على الحال من ضمير الفعل المقدّر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كَارِهِينَ﴾ (لها) أي للعود فيها. قوله: (إن عُدْنَا في ملتكم) شرط حذف جوابه عند الجمهور أي فقد افترينا وحذف لدلالة ما تقدم عليه، وعند أبي زيد والمبرد والكوفيين هو قوله قد افترينا وهو مردود بأنه لو كان جواباً بنفسه لوجب فيه الفاء. وقال أبو البقاء: قد افترينا بمعنى المستقبل لأنه لم يقع، وإنما سد مسد جواب أن وساغ دخول قد هنا لأنهم نزلوا الافتراء عند العود منزلة الوقاع فقرنوه بقد وكان المعنى قد افترينا الآن أن هممنا بالعود، وفي هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها استئناف إخبار فيه معنى التعجب قاله الزمخشري، كأنه قيل: ما أكذبنا على الله إن عُدْنَا في الكفر. والثاني: أنه جواب قسم محذوف حذف اللام منه، والتقدير: والله لقد افترينا، ذكره الزمخشري أيضاً وجعله ابن عطية احتمالاً اهـ سمين.

قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ (ينبغي) أي لا يصح ولا يتصور في حال من الأحوال ووقت من الأوقات إلا في حال وقت مشيئة الله عودنا الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رِئْسًا﴾ في هذا الاستثناء وجهان، أحدهما: أنه متصل. والثاني: أنه منقطع ثم القائلون بالاتصال مختلفون فمنهم من قال هو مستثنى في الأوقات العامة والتقدير: وما يكون لنا أن نعود فيها في وقت من الأوقات إلا في وقت مشيئة الله ذلك، وهذا متصور في حق من عدا شعبياً، فإن الأنبياء لا يشاء الله ذلك لهم، لأنه عصمهم. ومنهم من قال هو مستثنى من الأحوال العامة، والتقدير: ما يكون لنا أن نعود فيها في حال إلا في حال مشيئة الله تعالى اهـ سمين.

قوله: ﴿عِلْمًا﴾ تمييز محول عن الفاعل كما أشار له الشارح. قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَالْخ﴾

وحالكُم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ﴾ احكم ﴿يَبَيِّنَا وَيَبَيِّنْ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ الحاكمين ﴿وَقَالَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿أَتَبِعْتُمْ شُعْبًا إِكْرًا إِذَا لَخِيسْرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا﴾ ﴿٩١﴾ باركين على

إعراض عن مكالمتهم لما ظهر له من شدة عндаهم بحيث لا يتصور منهم الإيمان والإقبال على الله بالدعاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بيننا وبين قومنا﴾ كرر قوله بيننا وبين قومنا، بخلاف قوله حتى يحكم الله بيننا زيادة في تأكيد تميزه ومن معه من قومه وقد تقدم أن الفتح الحكم بلغة حمير، وقيل بلغة مراد اهـ سمين.

قوله: (احكم) أي اقض لأنهم يسمون القاضي الفاتح والفتاح، لأنه يفتح مواضع الحق اهـ كرخي.

قوله: ﴿وبين قومنا﴾ أي الكفار. قوله: ﴿وقال الملأ الذي كفروا﴾ الخ لعل هؤلاء غير أولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة، ويجوز أن يكونوا عين الأولين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنكم إذا لخاسرون﴾ أي في الدين أو في الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وإذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم إن وخبرها، والجملة سادة مسد جوابي الشرط، والقسم الذي وطأت له اللام اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: إنكم إذا لخاسرون هو جواب القسم الموطأ له باللام. قال الزمخشري: فإن قلت: ما جواب القسم الذي وطئ له باللام في قوله لئن اتبعتم شعباً، وما جواب الشرط، قلت: قوله إنكم إذا لخاسرون ساد مسد الجوابين. قال الشيخ: والذي قاله النحويون إن جواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، ولذلك وجب مضي فعل الشرط، فإن عني بأنه ساد مسدهما أنه اجتزى بذكره عن ذكر جواب الشرط فهو قريب، وإن عني من حيث الصناعة النحوية، فليس كما زعم لأن الجملة يمتنع أن لا يكون لها محل من الإعراب، وأن يكون لها محل من الإعراب، وإذا حرف جواب وجزاء، وقد تقدم الكلام عليها مشبعاً وخلاف الناس فيها، وهي هنا معترضة بين الاسم والخبر. وقد ذكر بعضهم أن إذا هذه هي الظرفية في الاستقبال نحو قولك: أكرمك إذا جئتني أي وقت مجيئك، قال: ثم حذفت الجملة المضافة هي إليها والأصل إنكم إذا اتبعتموه لخاسرون، فإذا ظرف والعامل فيه لخاسرون، ثم حذفت الجملة المضاف إليها وهي اتبعتموه وعوض منها التنوين، فلما جيء بالتنوين وهو ساكن التقى لمجيئه ساكتان هو الألف قبله فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فبقي اللفظ إذا كما ترى، وزعم هذا القائل أن ذلك جائز بالحمل على إذ التي للمضي في قولهم حينئذ ويومئذ، فكما أن التنوين هناك عوض عن جملة عند الجمهور فكذلك هذا اهـ.

قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ وهكذا في سورة العنكبوت. وفي سورة هود، ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ [هود: ٦٧] أي صيحة جبريل وصرخته عليهم من السماء، ولعلها أي الصيحة كانت في مبادي الرجفة فأسند هلاكهم إلى السبب القريب تارة وإلى البعيد أخرى اهـ أبو السعود.

الركب ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَانَ﴾ مخففة واسمها مخدوف أي كأنهم ﴿لَمْ يَفْتَنُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْكَافِرِينَ﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق ﴿فَقُولْ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ لَاقُوا قَوْمَهُمْ﴾ استفهام ﴿وَسَلِّتِ رَبِّي وَصَحِّحْ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ آمَنَ﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ استفهام

وفي الخازن: قال ابن عباس وغيره: فتح الله عليهم باباً من جهنم، فأرسل عليهم جراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الأسراب ليجردوا فيها فوجدوها أشد جراً من الظاهر، فخرجوا هاربين إلى البرية. فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فأظلمتهم وبهي الظلة، فوجدوا لها برداً ونسيماً، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض من تحتهم فاحترقوا كاحترق الجراد في المقلَى وصاروا رماداً. وروي أن الله تعالى حسن عنهم الريح سبعة أيام، ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا. وقال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أصحاب الأيكة وإلى أهل مدين، فأما أصحاب الأيكة فاهلكوا بالظلة، وأما أهل مدين، فأخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا جميعاً. وقال أبو عبد الله الجلي: كان أبو جاد وهوز وحطبي وكلمن وسعفص وقوشك ملوك مدين، وكان ملوكهم في يوم الظلة اسمه كلمن، فلما هلك رثته ابنته بشعر اهـ.

قوله: ﴿كَانَ لَمْ يَفْتَنُوا فِيهَا﴾ أي فقد وقعوا فيما تقوهوا به بقولهم لنخرجك الخ فعوقبوا بمقابلته أي استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم أصلاً. أي عوقبوا بقولهم المذكور وصاروا هم المخرجين من القرية إخراجاً لا دخول بعده أبداً اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: غني بالمال يغني غني مثل رضي يرضى رضاً فهو غني، والجمع أغنياء وأغني بالمكان أقام به فهو غان اهـ.

قوله: (مخففة) أي من الثقلة. قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا﴾ الخ استئناف لبيان ابتلائهم بعبودية قولهم وإعادة الموصول والصلة، كما هي لزيادة التقرير والإيذان بأن ما ذكر في سبيل الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اهـ أبو السعود.

قوله: (وغيره) وهو الفعل واللفظ شعيب وضمير الفصل في قوله كانوا هم الخ.

قوله: ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ الخ اختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب بهم أو بعده على قولين سبقاً في قصة صالح اهـ خازن.

وفي أبي السعود: وكان هذا القول بعدما هلكوا، فقال ما ذكر تأسفاً لشدة حزنه عليه ثم أنكر على نفسه ذلك، فقال: فكيف الخ أي هم ليسوا أهل حزن لتسبيهم فيما نزل عليهم اهـ.

قوله: ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أصله آسى بهمزتين قلبت الثانية ألفاً اهـ.

وفي المصباح: وآسى أسا من باب تعب حزن فهو آسى مثل حزين اهـ.



بمعنى النفي ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِالسَّيِّئَةِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّةِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَصْزَعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا﴾ كفرأ للنعمة ﴿قَدْ مَتَّكَ

قوله: ﴿وما أرسلنا في قرية﴾ الخ إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم إثر بيان أحوال الأمم المذكورة تفصيلاً ومن مزيدة لتوكيد النفي اهـ أبو السعود.

والمقصود من هذا السياق تحذير وتخويف كفار قريش وغيرهم من الكفار، لينتزعروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب اهـ خازن.

قوله: (فكذبوه) أشار إلى أن في الكلام حذفاً لأن قوله إلا أخذنا الخ لا يترتب على الإرسال، وإنما يترتب على الذي قدره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال، وأخذنا في محل نصب على الحال، لكن الماضي لا يقع حالاً بعد إلا بأحد شرطين: تقدير قد كما هنا أو ذكرها، كما في قولك ما زيد إلا قد قام، والتقدير: وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء في حال من الأحوال إلا حال كوننا أخذنا الخ. لكن لا على معنى أن ابتداء الإرسال مقارن للأخذ المذكور، بل على معنى أنه مستتبع له غير منفك عنه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضْرَعُونَ﴾ لم يدغم في الإنعام لمناسبة الماضي المذكور هنا بقوله: تضرعوا في أن كلاً منهما جاء على الفلك وهنا لم يذكر الماضي أتى بالمضارع مدغماً على الأصل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ عطف على أخذنا داخل في حكمه اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: ثم بدلنا مكان السيئة أي ابتلاء واختباراً لهم بهذا كالعقوبة السابقة، وذلك لأن ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر. قال أهل اللغة: السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل، فأخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه يؤاخذ أهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج اهـ.

وفي مكان وجهان، أظهرهما: أنه مفعول به لا ظرف، والمعنى بدلنا مكان الحال السيء الحال الحسن، فالحسنة هي المأخوذة الحاصلة ومكان السيئة هو المتروك الذاهب، وهو الذي تصحبه الباء في مثل هذا التركيب لو قيل في نظيره: بدلت زيدا بعمرو فزيداً هو المأخوذ وعمرو وهو المتروك، وقد تقدم تحقيق هذا في البقرة في موضعين، أولهما: ﴿بَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٩] والأعراف: [١٦٢]، والثاني: ﴿وَمَن يَبْدِلْ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١١] فمكان والحسنة مفعولان إلا أن أحدهما وصل إليه الفعل بنفسه وهو الحسنة، والآخر بحذف حرف الجر وهو مكان. والثاني: أنه منصوب على الظرفية، والتقدير. ثم بدلنا في مكان السيئة الحسنة إلا أن هذا ينبغي أن يرد لأنه بدل من مفعولين، أحدهما على إسقاط الباء اهـ سمين.

قوله: (العذاب) أي الحاصل بشدة الفقر والمرض اهـ شيخنا.

﴿إِنَّمَا أَفَرَّتْ وَأَشْزَّزَتْ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المكذبين ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورسولهم ﴿وَأَقْبُوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ عاقبتهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾

وقوله: الغني والصحة ولف ونشر مرتب. قوله: (كثروا) أي عدداً وعدداً من عفا النبات إذا كثرت وتكاثف أهد أبو السعود.

وفي المصباح: وعفا الشيء كثراً، وفي التنزيل حتى عفوا أي كثروا وعفوته كثرت يتعدى ولا يتعدى ويتعدى أيضاً بالهمزة فيقال أعفيتها أهد.

قوله: (كما مسنا) أي ما ذكر من الأمرين، وقوله: وهذه عادة الله الخ هذا من جملة مقولهم، وقوله: فكونوا الخ هذا من قول بعضهم لبعض أهد شيخنا.

قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ الخ وذلك أعظم حسرة، والمراد من ذكر هذه القصة أن يعتبر من سمعها فيترجر أهد خازن.

وعبارة الكرخي: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ قال أبو البقاء: هو عطف على عفواً يريد وما عطف عليه أيضاً أعني أن الأخذ ليس متسبباً عن العفاء فقط، بل عليه وعلى قولهم تلك المقالة الجاهلية، لأن المعنى ليس أنه بمجرد كثرتهم ونمو أموالهم أخذهم بغتة، بل بمجموع الأمرين، بل أظاهر أنه بقولهم ذلك فقط أهد.

قوله: (ورسلهم) في نسخة ورسله. قوله: (والمعاصي) أي ومن جملتها قولهم قد ملئ آباءنا الضراء إلى آخر ما سبق عنهم أهد شيخنا.

قوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بركات السماء المطر، وبركات الأرض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات، وكل ذلك من فضل الله وإحسانه على عباده، وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ويسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض لأنه نشأ من بركات السماء وهي المطر. وقال البغوي: أصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعتهم المطر من السماء والنبات من الأرض، ورفعنا عنهم القحط والجذب أهد خازن.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان أهد.

قوله: ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ (الرسل) أي فلم يؤمنوا بهم ولم يتقوا، وقد اكتفى بذكر الأول لاستلزامه للثاني أهد كرخي.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي من الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد ملئ آباءنا الخ. وهذا الأخذ عبارة عما في قوله فأخذناهم بغتة فهو الأخذ حال السعة والرخاء لا حال الجذب كما قيل، فإنه قد بدل بالسعة أهد أبو السعود.

عذابنا ﴿يَكُنَّا﴾ لَيْلًا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿٧﴾ غافلون عنه ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ

قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ، كما سيأتي في الشارح، والفاء للعطف على أخذناهم بغتة وما بينهما وهو قوله: ولو أن أهل القرى إلى هنا إعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه جيء به للمسارعة إلى بيان أن الأخذ المذكور بما كسبت أيديهم، والمعنى أبعد ذلك الأخذ أمن أهل القرى الخ اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله أفأمن الخ قال الزمخشري: فإن قلت: ما المعطوف عليه ولم عطف الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله: لو أن أهل القرى إلى قوله: بما كانوا يكسبون وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيتهم بأسنا بياتاً، وأمن أهل القرى أن يأتيتهم بأسنا ضحى. قال الشيخ: وهذا الذي ذكره رجوع عن مذهبه في مثل ذلك إلى مذهب الجماعة، وذلك أن مذهبه في الهمزة الداخلة على حرف العطف تقديره معطوف عليه بين الهمزة وحرف العطف، ومذهب الجماعة أن حرف العطف في نية التقديم، وإنما تأخر وتقدمت عليه الهمزة لقوة تصديرها في أول الكلام، وقد تقدم تحرير هذا غير مرة، والزمخشري هنا لم يقدر بينهما معطوفاً عليه، بل جعل ما بعد الفاء معطوفاً على ما قبلها من الجمل، وهو قوله: فأخذناهم بغتة اهـ.

قوله: (المكذبون) فيه إشارة إلى أن أفأمن معطوف على فأخذناهم بغتة وما بينهما اعتراض اهـ كرخي.

قوله: ﴿بَيَاتًا﴾ حال من بأسنا. قوله: ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ حال ضميرهم البارز أو المستتر في بياتاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ الخ إنكار بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ضُحًى﴾ أي وضحوة النهار وهي في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت اهـ أبو السعود.

وفي السمين: الضحى اشتداد الشمس وامتداد النهار، يقال ضحى وضحاء إذا ضمته قصرته، وإذا فتحت مددته، وقال بعضهم: الضحى بالضم والقصر لأول ارتفاع الشمس، والضحاء بالفتح والمد لقوة ارتفاعها قبل الزوال، والضحى مؤنث اهـ.

قوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي يلهون ويشغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ تكرير النكير لزيادة التوبيخ، والمراد بمكر الله اتیان بأسه في الوقتين المذكورين، ولذلك عطف الأول والثالث بالفاء، فإن الإنكار فيهما متوجه إلى ترتب الأمن على الأخذ المذكور، وأما الثاني فمن تمة الأول اهـ أبو السعود. فلذلك عطف بالواو.

قوله: (استدراجه إياهم الخ) والمكر بهذا المعنى مجاز بالاستعارة، لأن المعنى الحقيقي له لا يليق هنا، ففي المختار: المكر الاحتيال والخديعة، وقد مكر من باب نصر فهو مكر ومكار اهـ.



قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفاً بأو ﴿و﴾ نحن ﴿نَطْعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة سماع تدبر ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ

قوله: (في الموضع الأول) أي في موضعي الواو وهو قوله: أو أمن أهل القرى، وقوله عطفاً بأو، وعلى هذا فتكون الهمزة جزءاً من العاطف لا استفهامية وتكون استفهامية في مواضع ثلاثة فقط اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله عطفاً بأو أي يجعلها أو العاطفة التي معناها التقسيم، والمعنى أفأمنوا أتيان العذاب ضحى أو أأمنوا أن يأتيهم ليلاً اهـ.

قوله: ﴿ونطع على قلوبهم﴾ مستأنف كما أشار له الشارح ولا يجوز عطفه على جواب لو، لأنه يؤدي إلى كون الطبع منفياً بمقتضى لو مع أنه ثابت لهم اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: ونحن نطع أشار بتقدير المبتدأ إلى أن ونطع منقطع عما قبله، وهو خبر مبتدأ محذوف، ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا، لأنه في سياق جواب لو لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم، والمراد إثباته وهذا اختيار الزجاج الزمخشري وجماعة اهـ.

قوله: ﴿فهم لا يسمعون﴾ أي أخبار الأمم المهلكة فضلاً عن التدبر والتفكر فيها والاعتبار بها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿تلك القرى نقص﴾ الخ قال الزمخشري: هذا كقوله تعالى: ﴿هذا بعلي شيخاً﴾ [هود: ٧٢] في كونه مبتدأ وخبراً وحالاً يعني تلك مبتدأ مشار بها إلى ما بعدها والقرى خبرها ونقص حال أي قاصين كقوله: ﴿فذلك بيوتهم خاوية﴾ [النمل: ٥٢] قال الزمخشري فإن قلت: ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاماً مفيداً؟ قلت: هو مفيد، ولكن بالصفة كما في قولك: هو الرجل الكريم. ألا ترى أنك لو اقتصررت على هو الرجل لم يكن مفيداً، أو يجوز أن تكون القرى صفة لتلك، ونقص الخبر، ويجوز أن يكون نقص خبراً بعد خبر اهـ سمين.

وتصدير الكلام بذكر القرى وإضافة الأنبياء إليها مع أن المقصود أنبياء أهلها وبيان أحوالهم حسبما يعرف عنه قوله: ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات، لأن حكاية إهلاكهم بالمرّة على وجه الاستئصال بحيث يشمل أماكنهم بالخسف بها أفزع وأشنع اهـ أبو السعود.

قوله: (التي مر ذكرها) وهي قرى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط وقوم شعيب اهـ خازن.

قوله: ﴿نقص عليك﴾ أي لتسلى، وليحذر كفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصاب هذه القرى اهـ خازن.

والمضارع يحتمل أن يكون على معناه والمراد نقص عليك فما سيأتي مفرقاً في السور، كما هو الواقع، فإن القرى المذكورة فيما سبق ستأتي قصصها في السورة الآتية بأبسط مما ذكر هنا، ويحتمل أن يكون بمعنى الماضي ويحتمل أن يكون بالمعنيين اهـ شيخنا.

أَنْبِيَائِهِمْ أَخْبَارُ أَهْلِهَا ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا يَؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي الناس ﴿مِنَ

قوله: ﴿مِنَ أَنْبِيَائِهِمْ﴾ أي من بعض أنبيائها، لأنه إنما قص عليه الصلاة والسلام ما فيه عظة وإنذار دون غيرهما ولها أنباء غيرها لم يقصها عليه، وإنما قص عليه أنباء أهل هذه القرى، لأنهم اعترفوا بطول الإهمال مع كثرة النعم، فتوهموا أنهم على الحق فذكرها الله تعالى لقوم محمد ﷺ ليحذروا عن مثل تلك الأعمال الكرخي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ لام قسم. قوله: ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ اللام زائدة لتوكيد النفي اهـ.

قوله: (عند مجيئهم) أي الرسل أي مجيئهم بالبينات والمعجزات وقوله: ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ أي بالشرائع التي كذبوها وقول الشارح وقبل مجيئهم فيه شيء، لأن التكذيب والكفر قبل مجيء الرسل لا يعتبر ولا يترتب عليه شيء لعدم التكليف إذ ذاك، فلعل معنى قوله قبل مجيئهم قبل مجيئهم بالمعجزات. يعني بعد إرسالهم ودعائهم الخلق يعني أنهم كذبوا في ذلك الوقت واستمروا على التكذيب إلى ما بعد مجيء الرسل بالمعجزات. قوله: (كفروا به) الأولى: تقدير العائد منصوباً لفقد شرط حذف المجرور، وذلك لأن المتعلق مختلف، ولعل الحامل له على تقديره مجروراً بالتصريح به، كذلك في سورة يونس اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: كفروا به يشير إلى أنه هنا لم يذكر متعلق التكذيب، وفي يونس ذكره فقال: بما كذبوا به، والفرق أنه لما حذف في قوله: ولكن كذبوا استمر حذفه بعد ذلك، وأما في يونس فقد أبرزه في قوله فكذبوه فنجيناه كذبوا بآياتنا، فناسب موافقة، قال معناه الكرمانى اهـ.  
قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ (الطبع) أي المذكور بقوله: ويطبع على قلوبهم، وعبارة السمين: قوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ أي مثل ذلك الطبع على قلوب أهل القرى المتتفي عنهم الإيمان يطبع الله على قلوب الكفرة الجائين بعدهم اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿على قلوب الكافرين﴾ أي المذكورين وغيرهم اهـ.

قوله: ﴿لَا أَكْثَرَهُم﴾ الظاهر أنه متعلق بالوجدان، كقولك ما وجدت له مالا أي: صادفت له مالا ولا لقيته، الثاني: أن يكون حالاً من عهد، لأنه في الأصل صفة نكرة. فلما قدم عليها نصب على الحال، والأصل وما وجدنا عهداً لأكثرهم، وهذا لم يذكر أبو البقاء غيره، وعلى هذين الوجهين فوجد متعدد لواحد وهو من عهد ومن مزيدة فيه لوجود الشرطين. الثالث: أنه في محل نصب مفعولاً ثانياً لوجد إذ هي بمعنى علم والمفعول الأول هو من عهد، وقد يترجح هذا بأن وجد الثانية علمية لا وجدانية بمعنى الإصابة، فإذا تقرر هذا، فينبغي أن تكون الأولى كذلك مطابقة للكلام ومناسبة له، ومن يرجح الأول يقول إن الأولى لمعنى والثانية لمعنى آخر اهـ سمين.

قوله: (أي الناس) أي فهذه الجملة اعتراض وقعت في آخر الكلام، فإن الاعتراض في الآخر جائز، فليست مرتبطة بما قبلها ومن جعلها مرتبطة به فسر الضمير بالأمم السابق ذكرها اهـ شيخنا.

عَهْدٌ أَي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَأَن﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاقِينَ﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيْمَهُ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُوا﴾

قوله: (يوم أخذ الميثاق) ظرف لعهدهم بواسطة تقدير الوصف أي المأخوذ عليهم يوم أخذ الميثاق اهـ شيخنا.

قوله: (مخففة) أي وغير عاملة لمباشرتها الفعل، فقد زال اختصاصها بالمقتضي لإعمالها، وقال الزمخشري: وإن الشأن والحديث وجدنا، فظاهر هذه العبارة أنها عاملة وأن اسمها ضمير الأمر والشأن، وقد صرح أبو البقاء بأنها عاملة هنا، وأن اسمها محذوف إلا أنه لم يقدره ضميراً لحديث، بل غيره فقال واسمها محذوف أي إنا وجدنا، وهذا مذهب النحويين أعني اعتقاد إعمال المخففة من هذه الحروف اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَن وجدنا أكثرهم﴾ أي علمنا فهو متعد لاثنتين واللام الداخلة على المفعول الثاني هي الفارقة بين النافية والمخففة على حد قوله:

وخففست إن فقلل العممل وتلزم اللام إذا ما تهمل  
اهـ شيخنا.

قوله: (أي الرسل المذكورين) وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب اهـ خازن.

قوله: ﴿مُوسَىٰ﴾ وعاش من العمر مائة وعشرين سنة وبين يوسف أربع مائة سنة وبينه أي موسى وإبراهيم سبع مائة سنة كما ذكره في التحبير. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ (التسع) أي كما سيأتي التعبير عنها بهذا العدد في سورة الإسراء، وسيأتي للشارح نفسه هناك أنها العصا واليد البيضاء، والسنون المجدبة، والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس. وكلها مذكورة في هذه السورة أي الأعراف إلا الطمس، ففي سورة يونس قد ذكره بقوله: ﴿رَبَّنَا اطمس على أموالهم﴾ [يونس: ٨٨] وسيأتي للشارح أن معناه مسخ أموالهم حجارة، فقد ذكر اثنتان مع التسع هنا بقوله: فألقى عصاه ونزع يده، وواحدة في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] وخمسة في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] الخ اهـ شيخنا.

قوله: (بِآيَاتِنَا التسع) هذا يدل على أن النبي لا بد له من آية ومعجزة يتميز بها عن غيره، وإلا لم يكن قبول قوله أولى من قبول قول غيره اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ كان اسمه قابوس، وقيل الوليد بن مصعب بن الريان، فهو علم شخص ثم صار لقباً لكل من ملك مصر اهـ شهاب.

قال في كتاب التحبير: فرعون اسمه الوليد بن مصعب بن الريان، وكنيته أبو مرة، وقيل: أبو العباس، وهو فرعون الثاني الذي أرسل إليه موسى، وكان قبله فرعون آخر وهو أخوه واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة، ولم يذكر في القرآن، وفرعون إبراهيم النمرود، وفرعون هذه الأمة أبو جهل اهـ فائدة.

كفروا ﴿يَهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ بالكفر من إهلاكهم ﴿وَقَالَ مُوسَى يَفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ إليك فكذبه فقال أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَى أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ

كان ملك فرعون أربعمئة سنة، وعاش ستمائة وعشرين سنة ولم ير مكروهاً قط، ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم، أو حمى ليلة، أو وجع لما ادعى الربوبية اهـ خازن.

قوله: ﴿وملكه﴾ تقدم في أبي السعود أن الملائكة أشرف الناس يملأون المجالس بأجرامهم والعيون بنجماتهم والقلوب بمهابتهم، والشارح فسرهُ بالقوم، فظاهره الإطلاق فيشمل الرقيق والوضيع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فظلموا بها﴾ يجوز أن يضمن ظلموا معنى كفروا فيتعدى بالباء كتعديته هنا، ويؤيده ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] ويجوز أن تكون الباء سببية والمفعول محذوف تقديره فظلموا أنفسهم أو ظلموا الناس بمعنى صدورهم عن الإيمان بسبب الآيات اهـ سمين.

قوله: ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كيف خير لكان مقدم عليها واجب التقديم، لأن له صدر الكلام وعاقبة اسمها وهذه الجملة الاستفهامية في محل نصب على إسقاط حرف إذ التقدير فانظر إلى كذا اهـ سمين.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ الخ كلام مستأنف لتفصيل ما أجمل قبله من كيفية إظهار الآيات، وكيفية عاقبة المفسدين، ولم يكن هذا القول وما بعده جواب فرعون اثر ما ذكره هنا، بل بعدما جرى بينهما من المحاورات المحكية بقوله تعالى: ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ [طه: ٤٩] الآيات. وقوله: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] الآيات فطوى ذكره هنا للإيجاز أبو السعود.

قوله: ﴿أنا﴾ ﴿حقيق﴾ أي فحقيق خبر لمبتدأ محذوف على هذه القراءة كما قدره الشارح، وقوله: أي بأن أي فعلى بمعنى الباء. قوله: ﴿وفي قراءة﴾ أي لنافع بتشديد الباء، وذلك لقلب ألف على ياء وإدغامها في ياء المتكلم المجرورة بها. أي فعلى وقوله: مبتدأ سوغ الابتداء بالتركبة العمل في الجار والمجرور، فإن على متعلق بحقيق اهـ شيخنا.

وفي السمين: وهل حقيق بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول الظاهر أنه يحتمل الأمرين مطلقاً أعني على قراءة نافع وعلى قراءة غيره. وقال الواحدي: ناقلاً عن غيره إنه مع قراءة نافع محتمل للأمرين، ومع قراءة العامة بمعنى مفعول، فإنه قال: وحقيق على هذه القراءة يعني قراءة نافع يجوز أن يكون بمعنى الفاعل. قال شمر: تقول العرب حق علي أي أفعل كذا، وقال الليث: حق الشيء معناه وجب ويحق عليك أن تفعله، وحقيق أن أفعله، فهذا بمعنى قاعل، ثم قال: وقال الليث وحقيق بمعنى مفعول وعلى هذا تقول فلان محقوق عليه أن يفعل، ثم قال: وحقيق على هذه القراءة، يعني قراءة العامة بمعنى محقوق اهـ.

وقرأ أبي بأن لا أقول، وهذه تقوي أن على بمعنى الباء. وقرأ عبد الله والأعمش أن لا أقول دون حرف جر، فاحتمل أن يكون ذلك الجار على كما هو قراءة العامة، وأن يكون الجار الباء كما هو قراءة أبي، والحق يجوز أن يكون مفعولاً به، لأنه يتضمن معنى جملة، وأن يكون منصوباً على المصدر أي القول الحق والاستثناء مفرغ اهـ.



إِلَّا الْحَقَّ ﴿١٠٥﴾ وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ إِلَى الشَّامِ ﴿١٠٦﴾ بَيِّنَاتٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ وكان استعبدهم ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأَيُّهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ فيها ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٨﴾﴾ حية عظيمة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءَ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّازِلِينَ﴾ خلاف ما كانت

قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي خل أمرهم واترك سبيلهم حتى يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم اهـ أبو السعود.

وكان سبب سكنائهم بمصر مع أن آبائهم كان بالأرض المقدسة أن الأسباط أولاد يعقوب جاؤوا مصر إلى أخيهم يوسف فمكثوا وتناسلوا في مصر، فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم في الأعمال الشاقة، فأحب موسى أن يخلصهم من هذا الأسر ويذهب بهم إلى الأرض المقدسة أرض الشام التي هي وطن آبائهم اهـ شيخنا.

قوله: (وكان) أي فرعون استعبدهم أي عاملهم معاملة العبيد الأرقاء في الاستخدام. وفي اللغة استعبده اتخذه عبداً اهـ.

قوله: (على دعواك) أي للرسالة. قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ إذا فجائية، وقد تقدم أن فيها ثلاثة مذاهب: ظرف مكان، أو زمان، أو حرف وقال ابن عطية: وإذا ظرف مكان في هذا الموضع عند المبرد من حيث كانت خبراً عن جثة، والصحيح الذي عليه الناس أنها ظرف زمان في كل موضع. قلت: المشهور عند الناس قول المبرد، وهو مذهب سيبويه، وأما كونها زماناً فهو مذهب الرؤاسي، وعزي لسيبويه أيضاً. وقوله: من حيث كانت خبراً عن جثة ليست هي هنا خبراً عن جثة، بل الخبر عن هي لفظ ثعبان لا لفظ إذا اهـ سمين.

والثعبان هو الذكر من الحيات وصفت هنا بأنها ثعبان، والثعبان من الحيات العظيم الضخم. وفي آية أخرى بقوله: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌ﴾ [القصص: ٣١] والجان الحية الصغيرة، ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم، وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة، وهي الجان. قال ابن عباس: لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاتحة فمها بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت على ذنبها وازدأعت لحييها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب هارباً وأحدث أي تغوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم أربعمئة مرة، واستمر معه هذا المرض وهو الإسهال حتى غرق. وقيل: إن الحية أخذت قبة القصر بين أنيابها وحملت على الناس، فانهزموا وصاحوا، وقتل بعضهم بعضاً فمات في ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفاً، ودخل فرعون البيت، وصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها، وأنا أو من بك، وأرسل معك بني إسرائيل، فأمسكها بيده فعادت عصا كما كانت اهـ خازن. مع بعض زيادة من زاده.

قوله: ﴿مُبِينٌ﴾ أي ظاهر لا يشك في كونه ثعباناً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي اليمين، وقوله: أخرجها من جيبه أي طوق قميصه، وقوله: ذات شعاع

عليه من الأدمة ﴿ قَالَ الْمَلَأْنَا مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَشَرٌّ عَلِيمٌ ﴾ فائق في علم السحر وفي الشعراء أنه من قول فرعون نفسه فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا

أي نور يغلب على ضوء الشمس وقوله: من الأدمة أي السمرة. قوله: ﴿لِلنَّازِلِينَ﴾ متعلق بمحذوف لأنه صفة لبيضاء، وقال الزمخشري: فإن قلت تعلق للنازلين؟ قلت: يتعلق ببيضاء والمعنى فإذا هي بيضاء للنظر، ولا تكون بيضاء للنظر إلا كان بياضها بياضاً عجيباً خارجاً عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه، كما تجتمع النظار للعجائب أدهم.

قوله: (وفي الشعراء أنه) أي: القول المذكور. قوله: (فكانهم قالوه معه الخ) عبارة السمين: قال في هذه السورة قال الملاء فأسند القول إليهم، وفي الشعراء قال الملاء حوله، فأسند القول إلى فرعون، وأجاب الزمخشري عن ذلك بثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون هذا الكلام صادراً منه ومنهم، فحكى هنا عنهم، وفي الشعراء عنه. والثاني: أنه قاله ابتداء وتلقته عنه خاصته فقالوه لأعقابهم. الثالث: أنهم قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيبلغه للخاصة، ثم يبلغوه للعامة، وهذا الوجه قريب من الثاني في المعنى أده.

قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ هذا من بقية الذي قبله أده.

قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ قد تقدم الكلام على ماذا مشعباً في أول هذا التصنيف، والجمهور على تأمرؤن بفتح النون، روي عن نافع كسرهما وعلى كلتا القراءتين يجوز أن يكون ماذا كله اسماً واحداً في محل نصب على أنه مفعول ثانٍ لتأمرؤن بعد حذف الياء، ويكون المفعول الأول لتأمرؤن محذوفاً وهو ياء المتكلم. والتقدير: بأي شيء تأمرؤني. وعلى قراءة نافع لا نقول إن المفعول محذوف، بل هو في قوة المنطوق به، لأن الكسرة دالة عليه، فهذا الحذف غير الحذف في قراءة الجماعة، ويجوز أن تكون ما استفهاماً في محل رفع بالابتداء، وإذا موصول وصلته تأمرؤن، والعائد محذوف، والمفعول الأول أيضاً محذوف على قراءة الجماعة ويقدر العائد منصوب المحل غير معدي إليه بالياء، فتقديره فما الذي تأمرؤني، وقدره ابن عطية تأمرؤني به، وردّ عليه الشيخ بأنه يلزم من ذلك حذف العائد المجزور بحرف لم يجر الموصول قبله، ثم اعتذر عنه بأنه أزد التقدير الأصلي ثم اتسع فيه بأن حذف الحرف فاتصل الضمير بالفعل. وهذه الجملة هل هي من كلام الملاء، ويكونون قد خاطبوا فرعون بذلك وحده تعظيماً له كما يخاطب الملوك بصيغة الجمع، أو يكونون قالوه له ولامرأته، أو يكون من كلام فرعون على إضمار قول أي: فقال لهم فرعون: فماذا تأمرؤن؟ ويؤيد كونها من كلام فرعون قوله قالوا أرجئ، وهل تأمرؤن من الأمر المعهود أو من الأمر الذي بمعنى المشاورة. الثاني: منقول عن ابن عباس. وقال الزمخشري: هو من أمرته فأمرني بكذا أي شاورته، فأشار علي برأي أده سمين.

وفي أبي السعود: فماذا تأمرؤن هذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] أي: فإذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في أمره؟ وقيل: قاله الملاء من قبله بطريق التبليغ إلى العامة، فقوله قالوا أرجئ وأخاه على الأول وهو الأظهر حكاية لكلام الملاء الذين شاورهم فرعون، وعلى الثاني حكاية لكلام العامة الذين خاطبهم الملاء، ويأباه أن الخطاب لفرعون، وأن المشاورة ليست من وظائفهم أده.

تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ آخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿١١١﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِيرٍ﴾ وفي قراءة سحار ﴿عَلِيمٍ﴾ ﴿١١٢﴾ يفضل موسى في علم السحر فجمعوا ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ

قوله: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ فيه ست قراءات، ثلاثة منها بإثبات الهمزة التي بعد الجيم وهي كسر الهاء من غير إشباع وضمها كذلك وبإشباع حتى يتولد منها واو. الثلاثة التي بحذفها أي الهمزة المذكورة ستكون الهاء وكسرهما من غير إشباع، وبه حتى يتولد منها ياء اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: أَرْجِهْ في هذه الكلمة هنا والتي في الشعراء ست قراءات في المشهور المتواتر، ولا التفات لمن أنكر بعضها، ولا لمن أنكر على راويها وضبط ذلك أن يقال ثلاث مع الهمز وثلاث مع عدمه، فأما الثلاث التي مع الهمزة فأولها قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر أَرْجِئْهُوْ بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو. الثانية: قراءة أبي عمرو وأرجئه كما تقدم إلا أنه لم يصلها بواو. الثالثة: قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر أَرْجِئْهُوْ بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير صلة. وأما الثلاث التي بدون الهمز، فأولها قراءة الأخوين أَرْجِهْ بكسر الجيم وسكون الهاء وصللاً ووقفاً. الثانية: قراءة الكسائي وورش عن نافع أَرْجِئْهُوْ بها متصلة بياء. الثالثة: قراءة قالون بهاء مكسورة دون ياء، فأما ضم الهاء وكسرهما فقد عرف بما تقدم، وأما الهمز وعدمه فلفظتان مشهورتان. يقال: أَرْجِئْهُوْ وأَرْجِئْهُوْ أي أخرته، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿تَرْجِيْ مِنْ تَشَاءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] بالهمز وعدمه، وهذا كقولهم: توضأت وتوضيت، وهل هما مادتان أصليتان أم المبدل فرع المهموز؟ احتمالان اهـ.

قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ قيل هي مدائن صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد اهـ أبو السعود.

ومدائن جمع مدينة. ومدينة على وزن فعيلة، فالياء زائدة في المفرد، فلذلك تقلب همزة في الجمع على حد قوله في الخلاصة:

والمـدزـيـد ثـالثاً فـي الـواحـد هـمـزاً يـرى فـي مـثـل كـالـقـلائـد  
والمدينة من مدن يمدن بالمكان إذا أقام به فالفعل من باب نصر اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: في المدائن متعلق بأرسل وحاشرين مفعول به ومفعول حاشرين محذوف. أي حاشرين السحرة بدليل ما بعده، والمدائن جمع مدينة ووزنها فعيلة فميمها أصلية وياؤها زائدة مشتقة من مدن يمدن مدوناً أي أقام اهـ.

قوله: ﴿حَاشِرِينَ﴾ نعت لمحذوف أي رجالاً حاشرين، وقوله: جامعين مفعوله محذوف أي جامعين السحرة، وقوله: يأتوك مجزوم في جواب الأمر.

قوله: (وفي قراءة سحار) أي بالإمالة وتركها فالقراءات ثلاثة اهـ.

قوله: (فجمعوا) أي السحرة وهذا المقدر مصرح به في الشعراء بقوله: ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ [الشعراء: ٣٨] الخ، وكانوا السحرة اثنين وسبعين ساحراً. وقال كعب الأحبار: اثني عشر ألفاً. وقال ابن إسحاق: خمسة عشر ألفاً. وقال عكرمة: سبعين ألفاً. وقال محمد بن المنكدر: ثمانين

﴿وَعَوَتْ قَالُوا إِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا﴾  
 ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّكَ أَنْ تُلْقَى عَصَاكَ

ألفاً. وقال السدي: بضعاً وثمانين ألفاً أهـ خازن.

قوله: (بتحقيق الهمزة الخ) لم يستفد من عبارته إلا التنبيه على قراءتين، فكان الأولى أن يقوله: وتركه لتكون عبارته منبهة على أربع قراءات، وبقي خامسة، وهي إسقاط الهمزة الأولى وكلها سميعة. وفي السمين: وقرأ الحرميان، وحفص عن عاصم إن بهمزة واحدة، والباقون بهزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم من التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينهما وعدمه فقراءة الحرمين على الإخبار، وجوز الفارسي أن يكون على نية الاستفهام يدل عليه قراءة الباقيين وجعلوا ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنها علي﴾ [الشعراء: ٢٢] وقد تقدم تحقيق هذا، وأنه مذهب أبي الحسن وتكرر أجراً للتعظيم. قال الزمخشري: كقولهم إن له لإيلاً وإن له لغنماً أهـ.

قوله: ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ شرط جوابه محذوف للدلالة عليه عند الجمهور، أو ما تقدم عند من يجيز تقديم جواب الشرط عليه، ونحن يجوز فيه أن يكون تأكيداً للضمير المرفوع، وأن يكون فصلاً، فلا محل له عند البصريين، ومحله عند الكسائي والنصب عند الفراء أهـ يمين.

قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ أي: لكم الأجر وإنكم لمن المقربين. أي: ولكم المثولة الرفيعة عندي زيادة على الأجر أي إني لا أقصر لكم على الأجر بل أزيدكم عليه تقريركم مني أهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وإنكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسدّ الجواب كأنه قيل جواباً لقولهم أئن لنا لأجراً إن لكم لأجراً، وإنكم لمن المقربين أراد إني لا أقصر لكم على الثواب، بل أزيدكم عليه، وتلك الزيادة أني أجعلكم من المقربين عندي. قال الكلبي: تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج من عندي، والآية تدل على أن كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبداً ذليلاً مهيناً عاجزاً، وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة، وتدل أيضاً على أن السحرة ما كانوا قادرين على قلب الأعيان، وإلا لما احتاجوا إلى طلب الأجر والمال من فرعون، لأنهم لو قدروا على قلب الأعيان لتقلوا التراب ذهباً، ولتقلوا ملك فرعون لأنفسهم، ولجعلوا أنفسهم ملوك العالم ورؤساءهم. والمقصود من هذه الآيات تنبيه الإنسان لهذه الدقائق، وأن لا يغتر بكلمات أهل الأباطيل والأكاذيب أهـ.

قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ هذه الجملة تنسج على الجملة المحذوفة التي نابت نعم عنها في الجواب. إذ التقدير قال: نعم إن لكم لأجراً وإنكم لمن المقربين أهـ سمين.

قوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ الخ تأدب السحرة مع موسى حيث قدموه على أنفسهم، وإن كانوا راغبين باطنياً في اللقاء بدليل التأكيد بقوله: وإما أن نكون نحن الملقين، وقد جازاهم الله أعلى هذا الأدب حيث من عليهم بالإيمان أهـ خازن.

وفي الكرخي: قالوا يا موسى: أي قالوا ذلك اعتماداً على غلبتهم أو أدباً معه كأهل الصنائع، ولكن كانت رغبتهم في التقدم كما ينبيء عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر، وتوسيط ضمير الفصل، وتأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، لأن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا ممن له قوة وملكة في الأمر الذي

﴿وَلَمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ما معنا ﴿قَالَ الْقَوَّاءُ﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا الْقَوَّاءُ﴾ حبالهم وعصيتهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءَ وَبِسَحَرٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾

يدعيه، فيخبر من يقابله في الابتداء بالعمل والتأخير، فكأنه يقول لا أبالي بفعلك سواء تقدم أو تأخر. قال الواحدي: ولم يقل فقالوا، لأن المعنى لما جاؤوا قالوا: فلم يصح دخول الفاء على هذا الوجه اهـ.

قوله: ﴿إِذَا أَنْ تَلْقَى﴾ إما هنا للتخيير، ويطلق عليها حرف عطف مجازاً، وفي محل أن تلقى، وإما أن تكون ثلاثة أوجه.

أحدها: النصب بفعل مقدر أي افعل إما إلقاءك، وإما إلقاءنا كذا قدره الشيخ، وفيه نظر لأنه لا يفعل اللقاءهم، فينبغي أن يقدر فعل لائق بذلك، وهو اختر أي اختر إما اللقاءك وإما اللقاءنا، وقدره مكى وأبو البقاء فقالا: إما أن تفعل الإلقاء.

الثاني: الرفع على خبر ابتداء مضمّر تقديره أمرك إما القاؤك وإما القاؤنا.

الثالث: أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره إما القاؤك مبدوء به، وإما القاؤنا مبدوء به، وإنما أتى هنا بأن المصدرية قبل الفعل بخلاف قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٦] لأن أن وما بعدها هنا إما مفعول به، وإما مبتدأ والمفعول به والمبتدأ لا يكونان فعلاً صريحاً، بل لا بد أن ينضم إليه حرف مصدري يجعله في تأويل اسم. وأما آية التوبة فالفعل بعدها إما خبر ثان لآخرين، وإما صفة له والخبر والصفة يقعان جملة فعلية من غير حرف مصدري، وحذف مفعول الالتقاء للعلم به، والتقدير إما أن تلقى حبالك وعصيك، لأنهم كانوا يعتقدون أنه يفعل كفعلمهم، أو نلقى حبالنا وعصينا اهـ سمين.

قوله: (أمر للإذن الخ) غرضه بهذا الجواب عن إيراد حاصله كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه، ومحصل الجواب أنه إنما أمرهم لتظهر معجزته لأنهم إذا لم يلقوا قبله لم تظهر معجزته اهـ خازن.

قوله: (توسلاً به) أي بتقديم إلقائهم اهـ.

قوله: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ وهذا هو السحر الذي هو محض تخيل في عين الرائي، والشيء المسحور حقيقته على ما هي عليه لم تنقلب، وأما المعجزة ففيها قلب حقيقة الشيء كالعصا حيث صارت حية، هذا هو الفارق بين السحر والمعجزة اهـ خازن.

قوله: (عن حقيقة إدراكها) في العبارة قلب أي عن إدراك حقيقتها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ يجوز أن يكون استعمل فيه بمعنى أفعال أي ارهبوهم وهو قريب من قولهم قر واستقر وعظم واستعظم، وهذا رأي المبرد، ويجوز أن تكون السين على بابها أي استدعوا رهبة الناس منهم، وهو رأي الزجاج اهـ سمين.

قوله: ﴿بِسَحَرٍ عَظِيمٍ﴾ أي في باب السحر وعند السحرة، وإن كان حقيراً في نفسه، وذلك أنهم

مُوسَىٰ أَنْ أَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴿١١٧﴾ بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ فِي الْأَصْلِ تَبْتَلَعُ ﴿مِمَّا يَأْكُلُونَ﴾ يَقْلِبُونَ

ألقوا حبالاً غلاظاً وأخشاباً طوالاً فإذا هي حبات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً، وذلك أنهم طلبوا تلك الحبال بالزئبق، وجعلوا داخل تلك العصي زئبقاً أيضاً فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض، حتى تخيل للناس أنها حبات، وكانت سعة الأرض ميلاً في ميل فصارت كلها حبات أهـ خازن.

وكانت تلك الواقعة في الإسكندرية أهـ خطيب.

وفي الخازن: قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية، وبلغ ذنب الحية وراء البحر ثم فتحت فاهما ثمانين ذراعاً، فكانت تبتلع حبالهم وعصيتهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل، وقصبت القوم الذين حضروا ذلك المجمع، ففزعوا ووقع الزحام، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى، فصارت في يده كما كانت، فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه من أمر السماء، وليس بسحر، فعند ذلك خروا ساجدين، وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا أهـ.

روي أنه لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصاه، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظام قالت السحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا أهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَأَوْحِنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي على إسان جبريل، وقوله: أَنْ أَلْقَىٰ عَصَاكَ بِجُوزٍ أَنْ تَكُونَ الْمَفْسُورَةُ بِمَعْنَى الْإِيحَاءِ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً فَتَكُونَ هِيَ وَمَا بَعْدَهَا مَفْعُولُ الْإِيحَاءِ أَهـ سمين.

وصريح السياق يقتضي أو إلقاء العصا وانقلابها حية وقع مرتين بحضرة فرعون، الأولى: كانت مسبباً في جمع السحرة، والثانية: بحضرتهم. فالأولى: ذكرت سابقاً بقوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ الخ والثانية هي المذكورة هنا أهـ.

ووقع انقلابها حية أيضاً مرة أخرى قبل هاتين المرتين، ولم يكن حاضراً هناك أحد غير موسى، وقد ذكرت هذه المرة في سورة طه في قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾ [طه: ١٠] إلى قوله: ﴿قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَىٰ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسْحَىٰ﴾ [طه: ٢٠]. قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ يجوز أن تكون الفاء عاطفة، ولا بد من حذف جملة قبلها ليترب ما بعد الفاء عليها والتقدير فآلقاها فإذا هي، ومن جوز أن تكون الفاء زائدة في نحو: خرجت فإذا الأسد حاضر جوز زيادتها هنا، وعلى هذا فتكون هذه الجملة قد أوحيت إلى موسى كالتي قبلها، وأما على الأول أعني كون الفاء عاطفة فالجملة غير موحى بها إليه أهـ سمين.

قوله: ﴿تَلْقَفُ﴾ قرأ العامة تلقف بتشديد القاف من تلقف، والأصل تبتلف بتاءين، فحذفت أحدهما إما الأولى وإما الثانية، وقد تقدم ذلك في نحو تذكرون، والبيز على أصله في إدغامها فيما بعدها فيقرأ فإذا هي اتلقف بتشديد التاء أيضاً، وقد تقدم تحقيقه عن قوله: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وقرأ حفص تلقف بتخفيف القاف من لقف كعلم يعلم وركب يركب يقال: لفت الشيء ألقفه لققاً وتلقفته ألقفه تلقفاً إذا أخذه بسرعة فأكلته أو ابتلعته، ويقال: لقف ولقم بمعنى واحد قاله أبو عبيد أهـ سمين.

بتمويههم ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ من السحر ﴿فَقُلِبُوا﴾ أي فرعون وقومه ﴿هَنَالِكَ﴾ وانقلبوا صغرين ﴿١١٩﴾ صاروا ذليين ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَ سَجِيدِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْمَالَتِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ

قوله: (من الأصل) أي الفعل الماضي الذي هو أصل للمضارع، والتاء في الماضي هي الثانية في المضارع، ففيه تنبيه على أن المحذوفة هي الثانية، وهذا أحد قولين كما تقدم في عبارة السمين. قوله: (تبتلع) الأولى أن يقول تأخذ وتبتلع، وفي المختار لقف من باب فهم، وتلقفته أي تناولته بسرعة اهـ.

قوله: ﴿ما يافكون﴾ أصل الإفك قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذاب أفاك، لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل اهـ خازن.

وفي المصباح: أفك يافك من باب ضرب إفكاً بالكسر، فهو أفوك وأفاك وأفكته صرفته، وكل أمر صرف عن وجهه فقد أفك اهـ.

وما يجوز أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي الذي يافكونه، ويجوز أن تكون مصدرية اهـ سمين.

قوله: ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ أي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله، وإليه أشار الشيخ المصنف، وهذا لا ينافي سجودهم طوعاً، فإن المراد أن معجزة النبي ألجأتهم إلى السجود طوعاً، ويجوز في ما أن تكون موصولة، وأن تكون مصدرية. أي وبطل الذي كانوا يعملونه أو عملهم، وهذا المصدر يجوز أن يكون على بابه، وأن يكون واقعاً موقع المفعول به بخلاف ما يافكون، فإنه يتعين أن يكون واقعاً موقع المفعول به ليصح المعنى. إذ التلقف يستدعي عيناً يصح تسلطه عليها اهـ كرخي.

قوله: ﴿فغلبوا هنالك﴾ هنالك يجوز أن يكون مكاناً أي غلبوا في المكان الذي وقع فيه سحرهم، وهذا هو الظاهر. وقبل: يجوز أن يكون زماناً، وهذا ليس أصله، وقد أثبت له بعضهم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هنالك ابتلى المؤمنون﴾ [الأحزاب: ١١٠] وفي قول الشاعر:

فهناك يعترفون أين المفضزع

ولا حجة فيهما لأن المكان فيهما واضح اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ﴾ الخ أي خرّوا سجداً كأنما ألقاهم ملقٍ لشدة خروجهم. كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم إلى ذلك. قال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني إسرائيل ستمائة ألف اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿ساجدين﴾ حال من السحرة، وكذلك قالوا ألقوا حال كونهم ساجدين قائلين ذلك، ويجوز أن يكون قالوا حالاً من الضمير المستتر في ساجدين، وعلى كلا القولين هم متلبسون بالسجود لله تعالى، ويجوز أن يكون مستأنفاً لا محل له. وجعله أبو البقاء حالاً من فاعل انقلبوا، فإنه قال: يجوز أن يكون حالاً أي فانقلبوا صاغرين قد قالوا، وهذا ليس بجيد للفصل بقوله وألقى السحرة اهـ سمين.

قوله: ﴿رب موسى وهرون﴾ يجوز أن يكون نعتاً لرب العالمين، وأن يكون بدلاً، وأن يكون

﴿فَرَعُونَ أَمْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿يَوْمَ﴾ بموسى ﴿قِيلَ أَنْ مَادَّةَ﴾ أنا ﴿لَكَرِهُنَّ هَذَا﴾

عطف بيان، وفائدة ذلك نفي توهم من يتوهم أن رب العالمين قد يطلق على غير الله تعالى، كقول فرعون: أنا ربكم الأعلى، وقدموا موسى في الذكر على هرون، وإن كان هرون أسن منه لكبره في الرتبة، أو لأنه وقع فاصلة هنا، ولذلك قال في سورة طه ﴿رب هرون وموسى﴾ [طه: ٧٠] لوقوع موسى فاصلة، أو لكون كل طائفة منهم قالت إحدى المقالتين، فنسب فعل البعض إلى المجموع في سورة، وفعل بعض آخر إلى المجموع في أخرى اهـ سمين.

قوله: (لعلمهم الخ) تعليل لقوله قالوا آمنا.

قوله: ﴿قال فرعون أمتهم﴾ الخ أي قال ما ذكر منكراً على السحرة موبخاً لهم على ما فعلوه اهـ

أبو السعود.

فالاستفهام للإنكار ولتوبيخ، وأصل هذا الفعل آمن بوزن آدم، وأصله آمن بهمزتين فقلبت الثانية ألفاً وجوباً على القاعدة، والثانية هي فاء الكلمة الأولى زائدة فهو بوزن أفعل كأكرم ثم أنه دخلت عليه همزة الاستفهام، فاجتمع همزتان صريحتان وبعدهما ألف منقلبة عن همزة في الأصل، فقوله: وإبدال الثانية صوابه الثالثة التي هي فاء الفعل، فمحصل ما ذكره قراءة واحدة وهي تحقيق الهمزتين همزة الاستفهام والهمزة التي بعدها التي هي زائدة في الفعل، وبعدهما ألف منقلبة عن همزة التي هي فاء الكلمة. وبقي قراءات ثلاث غير هذه وهي تسهيل الهمزة الثانية وحذف الأولى التي هي همزة الاستفهام وقلبيها وأوأي الوصل مع تسهيل الثانية، فالقراءات أربع كلها سبعة اهـ شيخنا.

وفي السمين: اختلف القراء في هذا الحرف هنا، وفي طه، وفي الشعراء فبعضهم جرى على منوال واحد، وبعضهم قرأ في موضع شيء لم يقرأ به في غيره. فأقول: إن القراء في ذلك على أربع مراتب:

الأولى: قراءة الأخوين وأبي بكر عن عاصم وهي تحقيق الهمزتين في السورة الثلاث من غير إدخال ألف بينهما وهو استفهام إنكار، وأما الألف الثالثة فالكل يقرؤونها كذلك لأنها هي فاء الكلمة أبدلت لسكونها بعد همزة مفتوحة، وذلك أن أصل هذه الكلمة أأمتنم بثلاث همزات: الأولى للاستفهام، والثانية همزة أفعل، والثالثة فاء الكلمة، فالثالثة يجب قلبها ألفاً لما عرفت أول هذا الموضوع. وأما الأولى فمحققة ليس إلا، وأما الثانية فهي التي فيها الخلاف بالنسبة إلى التحقيق والتسهيل.

الثانية: قراءة حفص وهي أمتنم بهمزة واحدة بعدها الألف المشار إليها في جميع القراءات وهذه القراءة تحتمل الخبر المحض المتضمن للتوبيخ، وتحتمل الاستفهام المشار إليه، ولكنه حذف لفهم المعنى، ولقراءة الباقيين.

الثالثة: قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، والبيزي عن ابن كثير، وهي تحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين والألف المذكورة وهو استفهام إنكار، كما تقدم.

الرابعة: قراءة قبل عن ابن كثير وهي المتفرقة بين السور الثلاث، وذلك أنه قرأ في هذه السورة



الذي صنعتموه ﴿لَمَكَّرْ مَكْرَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَذْجِلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾

حال الابتداء بآمتنم بهمزتين: أولهما محققة والثانية مسهلة بين بين وألف بعدها، كقراءة رفيقه البزي وحال الوصل يقرأ. قال فرعون: وآمتنم بإبدال الأولى واواً وتسهيل الثانية بين بين ألف بعدها، وذلك أن الهمزة إذا كانت مفتوحة بعد ضمة جاز إبدالها واواً، وقد فعل مثل ذلك أيضاً في سورة الملك في قوله: وإليه النشور وآمتنم فأبدل الهمزة الأولى واواً لانضمام ما قبلها حال الوصل، وأما في الابتداء فيحققها الزوال الموجب لقلبها إلا أنه ليس في سورة الملك ثلاث همزات، وسيأتي ذلك في موضعه، وقرأ في سورة طه كقراءة حفص، أعني بهمزة واحدة بعدها ألف وهي في سورة الشعراء، كقراءة رفيقه البزي، فإنه ليس قبلها ضمة فيبدلها واواً في حال الوصل. ولم يدخل أحد من القراء مداً بين الهمزتين هنا سواء في ذلك من حقق أو سهل لثلاث يجتمع أربع متشابهات. والضمير في به عائد على الله تعالى لقوله: ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ ويجوز أن يعود على موسى. وأما الذي في سورة طه والشعراء في قوله آمتنم له فالضمير لموسى لقوله إنه لكبيركم اهـ.

قوله: ﴿قبل أن أذن لكم﴾ أصله أذن وهو فعل مضارع منصوب بأن والهمزة الأولى همزة المتكلم التي تدخل على المضارع والثانية قلبت ألفاً لوقوعها ساكنة بعد همزة أخرى، وأصله أذن على وزن أعلم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن هذا لمكر﴾ الخ يعني أن ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة قبل أن تخرجوا إلى الميعاد. وقوله: إن هذا لمكر وقوله: لتخرجوا الخ هاتان شبهتان ألفاهما إلى أسمع عوام القبط فأراهم أن إيمان السحرة مبني على المواطأة بينهم وبين موسى وأن غرضهم بذلك إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم، ومعلوم أن مفارقة الأوطان مما لا يطاق فجمع اللعين بين الشبهتين تشبيهاً للقطب على ما هم عليه وتهيجاً لعدواتهم لموسى، ثم عقبهما بالوعيد ليريهام أن له قوة فقال فسوف تعلمون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لمكر﴾ أي حيلة وخديعة وقوله: ﴿في المدينة﴾ أي مصر، وقوله: ﴿أهلها﴾ أي القبط. قوله: ﴿فسوف تعلمون﴾ حذف مفعول العلم للعلم به أي تعلمون ما يحل بكم، ثم فسر هذا الإيهام بقوله: لأقطعن جاء به في جملة قسمية تأكيداً لما يفعله. وقرأ مجاهد، وابن جبير، وحמיד المكي، وابن محيصن لأقطعن مخففاً من قطع الثلاثي، وكذا ولأصلبتكم من صلب الثلاثي، وروى ضم اللام وكسرها وهما لغتان في المضارع قال صلبه يصلبه ويصلبه اهـ سمين.

قوله: ﴿من خلاف﴾ يحتمل أن يكون المعنى أنه قطع من كل شق طرفاً فيقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وكذا هو في التفسير، فيكون الجار والمجرور في محل نصب على الحال كأنه قال مختلفة، ويحتمل أن يكون المعنى لأقطعن لأجل مخالفتكم إياي، فتكون من تعليله، وتعلق على هذا بنفس الفعل وهو بعيد وأجمعين تأكيداً أتى به دون كل وإن كان الأكثر سبقه بكل وجيء هنا بـثم، وفي السورتين ولأصلبتكم الواو لأن الواو صالحة للمهلة فلا تنافي بين الآيات اهـ سمين.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْتَ أَمَّا يَا بَنِيَّ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعده بنا لثلاث نرجع بكفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَقَالَ لِلْكَلْبِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَنْتَ ذُرِّيَّةٌ﴾ ترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال أنا ربكم

قوله: (بأي وجه كان) أي سواء كان بقتلك أو لا فلا نبالي بوعيدك لأننا صائرون إلى رحمة ربنا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَمَا نَنْقُمُ﴾ (تنكر) عبارة الخازن: يعني وما تكره منا وما تطعن علينا، وقال عطاء: معناه وما لنا عندك ذنب تعذبنا عليه انتهت.

وفي المصباح: نقت منه عليه أمره ونقمت منه نقماً من باب ضرب ونقوماً ونقمته وأنقمه من باب تعب لغة إذا عبته وكرهته أشد الكراهة لسوء فعله، وفي التنزيل وما تنقم منا على اللغة الأولى أي: وما تطعن فينا وتقذح، وقيل ليس لنا عندك ذنب ولا ركبنا مكروهاً اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ أَمِنَّا﴾ الخ أي والإيمان خير الأعمال وأصل المفاخر، فلا نعدل عنه أصلاً طلباً لمرضايتك، ثم أعرضوا عن خطابه إظهاراً لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقويراً له ففرغوا إلى الله عز وجل وقالوا ربنا أفرغ علينا صبراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ أَمِنَّا﴾ يجوز أن يكون في محل نصب مفعولاً به أي ما تعيب علينا إلا إيماننا، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله أي ما تنال منا وتعذبنا لشيء من الأشياء إلا لإيماننا وعلى كل من القولين فهو استثناء مفرغ اهـ سمين.

قوله: ﴿لَمَّا جَاءَتْنا﴾ يجوز أن تكون ظرفية كما هو رأي الفارسي، وأحد قولي سيبويه، والعامل فيها على هذا أمانة أي أمانة حين مجيء الآيات، وأن تكون حرف وجود لوجود وعلى هذا فلا بد لها من جواب وهو محذوف تقديره لما جاءتنا أمانة بها من غير توقف اهـ سمين.

قوله: (عند فعل ما توعده بنا) في العبارة قلب كما يدل له تعبير غيره وحققها عند فعل ما توعدهنا به اهـ.

قوله: (لثلاث نرجع كفاراً) تعليل لقوله: أفرغ. قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي ثابتين على الإسلام غير مفتونين بالععيد. قيل: فعل بهم فرعون ما توعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَيَذَرُكَ﴾ قرأ العامة ويترك بياء الغيبة ونصب الراء وفي النصب وجهان، أظهرهما: أنه على العطف على ليفسدوا. والثاني: أنه منصوب على جواب الاستفهام كما ينصب في جوابه بعد الفاء، والمعنى كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين، وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك أي لا يمكن وقوع ذلك. وقرأ الحسن في رواية عنه، ونعيم بن ميسرة: ويترك برفع الراء وفيها ثلاث أوجه، أظهرها: أنه نسق على أنتذر أي أنطلق له ذلك. والثاني: أنه استئناف إخبار بذلك. الثالث: أنه

وربها ولذا قال ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ﴿قَالَ سَنَقُولُ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿إِنَّمَا هُمْ﴾ المولودين ﴿وَنَسْتَحْيِي﴾ نستحيي ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وَلَنَا فَوْقَهُمْ قَهْرٌ وَكِبْرٌ﴾ قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿إِنَّكَ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحموده ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله ﴿قَالُوا أُوذِيَائِينَ قَبْلَ

حال ولا بد من إضمار مبتدأ أي وهو يذكرك. وقرأ الجماعة وآلهتك بالجمع، وفي التفسير أنه كان يعبد آلهة متعددة كالبقر والحجارة والكواكب، أو آلهته التي شرع عبادتها لهم وجعل نفسه الإله الأعلى في قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأنس، وجماعة كثيرة وآلهتك وفيها وجهان، أحدهما: أن الآلهة اسم للمعبود ويكون المراد بها معبود فرعون وهي الشمس، وفي التفسير أنه كان يعبد الشمس، والشمس تسمى إلهة علماً عليها، ولذلك منعت الصرف للعلمية والتأنيث. والثاني: أن الآلهة مصدر بمعنى العبادة أي ويذكر عبادتك لأن قومه كانوا يعبدونه. ونقل ابن الأنباري عن ابن عباس أنه كان ينكر قراءة العامة، ويقرأ وإلهتك ويقول: أن فرعون كان يعبد ولا يعبد اه سمين.

قوله: ﴿وَالْهَيْكَلُ﴾ الإضافة لأدنى ملابسة باعتبار أنه صنعها، وأمرهم بعبادتها لتقربهم إليه. وعبارة الخازن: قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري عجلًا. وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصنامًا. وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم: أنا ربكم ورب هذه الأصنام وذلك قوله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] والأقرب أن يقال إن فرعون كان دهرياً منكراً لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب، فاتخذ أصناماً على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها، وكان يقول في نفسه إنه هو المطاع والمخدوم في الأرض، فلهذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ اه.

قوله: (أصناماً صفاراً) أي على صورة الكواكب. قوله: ﴿قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ الخ لما لم يقدر فرعون على موسى أن يفعل معه مكروها لخوفه منه لما رأى منه من المعجزة عدل إلى قومه فقال: سنقتل الخ. وقال ابن عباس: كان ترك القتل في بني إسرائيل بعد ما ولد موسى، فلما جاءه موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان أعاد فيهم القتل اه خازن.

قوله: (بالتشديد) أي مع ضم النون، وقوله: والتخفيف أي مع فتح النون وسكون القاف اه شيخنا.

قوله: (المولودين) أي الصغار. قوله: ونستحيي نساءهم أي للخدمة، وقوله: كفعلنا بهم من قبل أي قبل مجيء موسى.

قوله: ﴿وَلَنَا فَوْقَهُمْ قَهْرٌ وَكِبْرٌ﴾ أي كما كنا اه أبو السعود.

قوله: (ففعّلوا بهم ذلك) أي القتل للأولاد والاستبقاء للنساء. قوله: (فشكا بنو إسرائيل) أي إلى موسى. قوله: ﴿يُورِثُهَا﴾ في محل نصب على الحال وفي صاحبها وجهان، أحدهما: أنه الجلالة أي هي له حال كونه مورثاً لها من يشاؤه. الثاني: أنه الضمير المستتر في الجار أي أن الأرض مستقرة لله

أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا يَنْشَأُ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ كُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ فِيهَا ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بِالْقَحْطِ ﴿وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعْنَهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿يَتَعَطَّوْنَ فِيَوْمَ نُونَ﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ الْخَصْبِ وَالْغِنَى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أَيْ

حال كونها موروثه من الله لمن يشاء من عباده، ويجوز أن يكون يورثها خبراً ثانياً وأن يكون خبراً واحده والله هو الحال ومن يشاء مفعول ثان، ويجوز أن يكون جملة مستأنفة. وقرأ الحسن: ورويت عن حفص يورثها بالتشديد على المبالغة، وقرأ يورثها بفتح الراء مبنياً للمفعول، والقائم مقام الفاعل هو من يشاء والالف واللام في الأرض يجوز أن تكون للعهد وهي أرض مصر، أو للجنس. وقرأ ابن مسعود بنصب العقابة نسقاً على الأرض وللمتقين خبرها، فيكون قد عطف الاسم على الاسم والخبر على الخبر، فهو من عطف الجمل اهـ سمين.

قوله: ﴿قَالُوا أَوْذَيْنَا﴾ أي بالقتل، وذلك أن بني إسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه، وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة نصف النهار، فلما جاء موسى وجرى بينه وبين فرعون ما جرى شدد فرعون في استعمالهم، فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل فيهم اهـ خازن.

قوله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ أي بالرسالة. قوله: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (قِيَهَا) أي في الإصلاح والإفساد.

فإن قيل: إذا حملتم هذا النظر على الرؤية لزم إشكال، لأن الفاء في قوله فينظر للتعقيب، فيلزم أن تكون رؤية الله لتلك الأعمال متأخرة عن حصول تلك الأعمال، وذلك يوجب حدوث صفة الله تعالى: فالجواب: أن المعنى تتعلق رؤية الله تعالى بذلك الشيء، والتعلق نسبة حادثة، والنسب والإضافات لا وجود لها في العيان، فلم يلزم حدوث الصفة الحقيقية في ذات الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم أخذنا أي ابتلينا وهذا شروع في تفصيل مبادئ هلاكهم، وتصدير الجملة بالقسم لإظهار الاعتناء بمضمونها. والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط اهـ أبو السعود.

وقال الخازن: يعني بالجذب القحط. تقول العرب مستهم السنة بمعنى أخذهم الجذب في السنة، ويقال أستوتوا كما يقال أجدبوا، ومنه قوله ﷺ: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» اهـ.

وفي السمين قوله: بالسنين جمع سنة وفيه لغتان، أشهرهما: إجراؤه مجرى جمع المذكر السالم، فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وتحذف نونه للإضافة، واللغة الثانية أن يجعل الإعراب على النون، ولكن مع الياء خاصة نقل هذه اللغة أبو زيد والفراء اهـ.

قوله: (بالقحط) هو احتباس المطر. قوله: ﴿وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يعني وإتلاف الغلات بالآفات اهـ خازن.

وعن كعب الأخبار: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة فيه إلا ثمرة، وقال ابن عباس: إن القحط كان لأهل البادية، ونقص الثمار كان في أنصارهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اهـ أبو السعود.

نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَلَنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جذب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ يتشاءموا ﴿يُمُوسِقُونَ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّنَسْمُرَنَّ بِهَا فَمَا يَخْنُكَ﴾

وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها، وتعلق الإرادة باحداثها، ونكر السيئة، وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها إلا بالتبع وهذا من محاسن علم المعاني اهـ كرخي.

قوله: ﴿يَطَيَّرُوا﴾ الأصل يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء لمقاربتها لها، والتطير التشاؤم وأصله أن يفرق المال ويطير بين القوم فيطير لكل واحد حظه وما يخصه، ثم أطلق على الحظ والنصيب السيء بالغلبة اهـ سمين.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائَرَهُمْ﴾ الخ مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة، وتحقيق الحق وتصديره بكلمة التنبيه لإبراز كمال العناية بمضمونه أي ليس سبب شؤمهم، وهو أعمالهم السيئة إلا عنده تعالى مكتوبة لديه، فإنها التي ساقط إليهم ما يسوءهم اهـ أبو السعود. وإنما أداة حصر اهـ.

قوله أيضاً: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائَرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي سبب خيرهم وشؤمهم عنده، وهو حكمته ومشيتته أو سبب شؤمهم عند الله، وهو أعمالهم المكتوبة عنده فإنها التي ساقط إليهم ما يسوءهم اهـ بيضاوي، وقوله: أي سبب خيرهم الخ ذكر فيه وجهين بناهما على معنيين للطائر، فإنه يقال للحظ والنصيب خيراً كان أو شراً، وللتشاؤم فاستعمل المعنى الأول في الوجه الأول، والثاني في الثاني اهـ زكريا.

وفي الخازن: قال ابن عباس: طائرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله، وفي رواية عنه شؤمهم عند الله، ومعناه أن ما جاءهم بكفرهم بالله. وقيل: الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار اهـ.

وفي المصباح: وطائر الإنسان عمله الذي يقلده وتطير من الشيء واطير منه والاسم الطيرة وزان عنة أو هي التشاؤم اهـ.

وفيه أيضاً: الشؤم الشر. ورجل مشؤوم غير مبارك وتشاءم القوم به مثل تطيروا به اهـ.

قوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه إشعار بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير من جهة الله تعالى وما أصابهم من المصائب إنما هو مما كسبت أيديهم، ولكنه لا يعلمون بمقتضى علمهم عناداً واستكباراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ (أن ما يصيبهم من عنده) أي لأن أكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب المحسوسة ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وقدره، والحق أن الكل من الله لأن كل موجود إما واجب لذاته أو ممكن لذاته، والواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته فكان الكل من الله فإسنادها إلى غير الله تعالى يكون جهلاً بكمال الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ أي آل فرعون مهما تأتانا الخ مهما اسم شرط جازم ومن آية بيان له والضميران

يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٢﴾ فَدَعَا عَلَيْهِمْ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴿١٣٤﴾ وَهُوَ مَاءٌ دَخَلَ بُيُوتَهُمْ وَوَصَلَ إِلَى حُلُوقِ

في به وبها راجعان لهما الأول مراعاة للفظها، والثاني مراعاة لمعناها اهـ شيخنا. وهذا شروع في بيان معنى آخر مما أخذوا به من فتون العذاب التي هي في أنفسها آيات بينات وعدم رجوعهم مع ذلك عما كانوا عليه من العناد أي قالوا بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمار اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَدَعَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: وقال يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية، خازن.

وفي الخطيب: قال سعيد بن جبير: لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي على الشر فتابع الله عليهم الآيات، فأخذهم الله أولاً بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات، وأزاهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى، وقال: يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا، وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة، فبعث الله تعالى عليهم الطوفان وهو الماء، فأرسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشبكة مختلطة، فامتألت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شيء، وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا أن يحرقوا ولا يعملوا شيئاً، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، حتى كان الرجل منهم لا يرى شمساً ولا قمراً ولا يستطيع الخروج من داره، فصرخوا إلى فرعون فاستغاثوا به، فأرسل إلى موسى عليه السلام فقال: اكشف عنا العذاب فقد صار بحراً واحداً، فإن كشفت هذا العذاب عنا آمنا بك، فزال الله تعالى عنهم المطر وأرسل الريح، فحفت الأرض، وخرج من النبات ما لم ير مثله قط، فقالوا: هذا الذي جزعنا منه خير لنا، لكننا لم نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل. وقيل: المراد بالطوفان الجدي وهو بضم الجيم وفتح الدال، وبفتحهما قروح في البدن تنتفخ وتفتح. وقيل: هو الموتان وهو بضم الميم موت في الماشية: وقيل: هو الطاعون فنكثوا العهد ولم يؤمنوا، فأقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل النبات والثمار وأوراق الشجر حتى كان يأكل الأبواب، وابتلى الجراد بالجوع، فكانت لا تشبع، ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك وعظم الأمر عليهم حتى صارت عند طيراتها تغطي الشمس، ووقع بعضها على بعض في الأرض ذراعاً، فضجوا من ذلك وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، فأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام فكشف الله تعالى عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. وفي الخبر: مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم، ويقال: إن موسى عليه السلام برز إلى الفضاء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجعت الجراد من حيث جاءت. وقيل: أرسل الله تعالى ريحاً فاحتمل الجراد فألقاه في البحر، وكان قد بقي من زرعهم وغلاتهم بقية فقالوا: قد بقي لنا ما يكفيننا فما نحن بتاركي ديننا ولم يؤمنوا، وأقاموا شهراً في عافية وعادوا إلى أعمالهم الحبيثة، فأرسل الله تعالى عليهم القمل، واختلقوا في القمل، فعن ابن عباس أنه السوس الذي يخرج من الحنطة، وعن قتادة أنه أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها، وعن عكرمة أنه الحمnan وهو ضرب من القراد، وعن عطاء أنه القمل المعروف، فأكل ما

أبقاه الجراد ولحس الأرض، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملاً، وكان أحدهم يخرج عشرة أجربة إلى الرحي فلا يرد منها إلا شيئاً يسيراً. وعن سعيد بن جبير: كان إلى جنبهم كتيب أحمر فضربه موسى عليه السلام بعصاه فصار قملاً، فأخذت أبشارهم وأشعارهم وأشعار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري ومنعهم النوم والقرار فصاحوا وصرخوا هم وفرعون إلى موسى عليه السلام، وقالوا: إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء، فدعا موسى فرفع الله عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبت أعمالهم، وقالوا: اليوم قد تيقنا أنه ساحر حيث جعل الرمل دواب ولم يؤمنوا، فدعا موسى عليه السلام عليهم بعد ما أقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله تعالى عليهم الضفادع، فامتلات منها بيوتهم وأطعمتهم وآتيتهم، فلا يكشف أحد منهم عن ثوب ولا طعام ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيشب الضفدع في فيه، وكان يشب في قدورهم فيفسد عليهم طعامهم ويطفئ نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاماً حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقة الآخر، ويفتح فاه إلى أكلة فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، ولا يعجن عجينة ولا يفتح قدراً إلا امتلأ ضفادع. وعن ابن عباس أن الضفادع كانت برية، لما أرسلها الله تعالى إلى آل فرعون سمعت وأطاعت، فجعلت تلقي نفسها في القدور وهي تغلي، وفي التناير وهي تفور فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء، فلقوا منها أذى شديداً، فشكوا إلى موسى عليه السلام، وقالوا: ارحمنا هذه المرة فما بقي إلا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود. فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه، فكشف عنهم الضفادع بأن أمانتها وأرسل عليها المطر والريح، فاحتملها إلى البحر بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، ثم نكثوا العهد ولم يؤمنوا وعادوا لكفرهم وأعمالهم الخبيثة، فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهراً في عافية، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياههم كلها دماً، فما يسقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دماً عبيطاً أحمر، فشكوا إلى فرعون وقالوا: إنه ليس لنا شراب، فقال فرعون: سحركم موسى، فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دماً عبيطاً، وكان فرعون لعنه الله تعال يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الأناء الواحد، فيكون ما يلي القبطي دماً وما يلي الإسرائيلي ماء حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش، فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً حتى كانت القبطية تقول للإسرائيلية اجعليه في فيك ثم مجبه في في فتأخذه في فيها ما وإذا مجته في فيها صار دماً، واعتري فرعون العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها صار ماؤها دماً، فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم فأتوا وشكوا إليه ما يلقونه وقالوا: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الذلة، فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فكشفه عنهم، وقيل: الدم الذي سلطه الله عليهم هو الرعاف، فذلك قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿الطوفان﴾ فيه قولان، أحدهما: أنه جمع طوفانة أي هو اسم جنس كقمح وقمح وشعير

الجالسين سبعة أيام ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ السوس أو هو نوع من القراد ففتح ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ في مياههم ﴿مَلَأَتْكُمْ مِّينَاتٍ﴾ مبيئات ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَاثَرُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾

وشعيرة. وقيل: بل هو مصدر كالنقصان والرجحان، وهذا قول المبرد في آخرين، والأولى الأخفش قال: هو فعلان من الطواف لأنه يطوف حتى يعم. وواحدته في القياس طوفانة والطوفان الماء الكثير قاله الليث اهـ سمين.

قوله: (دخل بيوتهم) أي بيوت القبط، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منع أنها كانت في خلال بيوت القبط اهـ شيخنا.

قوله: (سبعة أيام) واستمر عليهم سبعة أيام. قوله: ﴿وَالْجَرَادَ﴾ جمع جرادة الذكر والأنثى فيه سواء يقال. جرادة ذكر وجرادة أنثى، كنملة وحمامة. قال أهل اللغة: وهو مشتق من الجرد قالوا: والاشتقاق في أسماء الأجناس قليل جداً يقال: أرض جرداء أي ملساء، وثوب أجرد إذا ذهب وبره اهـ سمين.

قوله: (كذلك) أي واستمر عليهم سبعة أيام. قوله: ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ قيل هو القردان، وقيل دواب تشبهها أصغر منها، وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل: نوع من الجراد أصغر منه، وقيل: الحمتان الواحدة حمتانة نوع من القردان، وقيل: هو القمل المعروف الذي يكون في بدن الإنسان وثيابه، ويؤيد هذا قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم، فيكون فيه لغتان القمل كقراءة العامة والقمل كقراءة الحسن، وقيل: القمل البراغيث، وقيل الجعلان اهـ سمين. قوله: (هو نوع من القراد) يجمع على قردان كغراب وغربان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَالضَّفَادَ﴾ جمع ضفدع بوزن درهم ويجوز كسر داله فيصير بزنة زبرج، والضفدع مؤنث وليس بمذكر، فعلى هذا يفرق بين مذكره ومؤنثه بالوصف، فيقال: ضفدع ذكر وضفدع أنثى، كما قلنا ذلك في الملتبس بقاء التأنيث نحو حمامة وجرادة وقملة اهـ سمين.

وفي القاموس: الضفدع كزبرج وجعفر وجندب ودرهم، وهذا أقل ومردود الواحدة بهاء والجمع ضفادع وضفادي اهـ.

قوله: ﴿آيَاتٍ﴾ حال من الخمسة المذكورة: ﴿مَفْصَلَاتٍ﴾ أي مبيئات، فكانت كل واحدة منها تمكث عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، وبين كل اثنتين منها شهر اهـ من الخازن.

وعبرة الكرخي قوله: مفصلات حال من المذكورات، وتفضيلها أنه كان كل عذاب يمتد أسبوعاً ثم يسألون موسى الدعاء برفعة ويعدون بالإيمان وإرسال بني إسرائيل، ثم يثبثون أو كان بين كل عذابين شهر، فيكون إلزاماً للحجة عليهم، كما أشار الشيخ المصنف لبعض ذلك في تقريره البالغ غاية الاختصار انتهت.

وفي الخطيب: آيات نصب على الحال مفصلات أي مبيئات لا تشكل على عاقل أنها آيات الله تعالى ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان حالهم إذ كان بين كل آيتين شهر، وكان امتداد كل واحدة



العذاب ﴿قَالُوا يَمْشُوا آدَعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنَّهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾

أسبوعاً كما مرت الإشارة إلى ذلك، وقيل: إن موسى عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة وآمنوا به عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل اهـ.

قوله: ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ الخ هذا موزع على الخمسة المذكورة وهي الطوفان وما بعده إذ كانوا في كل واحدة من الخمس يلتجئون إلى موسى ويطلبون منه ويسألونه أن يطلب لهم كشف ما نزل بهم، ويواعدونه بالإيمان به، وإرسال بني إسرائيل معه، ويدعو الله فيكشف عنهم فيستمروا على الإيمان شهراً، ثم ينكثوا أو ينقضوا فقلوه: قالوا يا موسى الخ معناه أنهم قالوا ذلك في كل من الخمسة المذكورة، وقوله: فلما كشفنا عنهم الرجز أي كل واحد من أقسامه الخمسة. وقوله: إلى أجل متعلق بكشفنا، والمعنى كشفه عنهم إلى أجل وهو مدة الشهر التي كانوا يؤمنون فيها، وقوله: هم بالغوه أي بالغوا نهايته وفراغه وقوله: إذا هم ينكثون جواب لما، والمعنى فاجزؤا النكث عقب انقضاء الأجل المذكور، وقوله: فانتقمنا منهم أي بعد الأنواع الخمسة، وكان كل واحد منها يمكث عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وبينه وبين الذي يليه شهر كما عرفت تأمل. قوله: (من كشف العذاب عنا) بيان لما، وعلى هذا فمعنى عهد عندك أعلمك أي ادع لنا ربك بما أعلمك به وهو كشف العذاب عنا إن آمنا أو معناه وعد أي بما وعدك به، وهو كشف العذاب عنا إن آمنا. وفي البضاوي: بما عهد عندك أي بعهده عندك وهو النبوة، فما مصدرية أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به، فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه، بمعنى ادع الله متوسلاً إليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل: أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو هو قسم مجاب بقوله: لئن كشفت عنا الخ اهـ.

قوله: (لام قسم) أي إيداناً بأن الجواب بعدها مبني على قسم مقدر قبلها لا على الشرط تقديره: والله لئن الخ قال أبو حيان: والجملة في موضع الحال من قالوا أي قالوا ذلك مقسمين لئن كشفت الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلما كشفنا﴾ (بدعاء موسى) أي في كل واحدة من الخمس. قوله: ﴿إلى أجل﴾ يعني الوقت الذي أجل لهم وهو وقت إهلاكهم بالغرق في اليم اهـ خازن.

وعبرة أبي السعود: إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده أي مهلكون اهـ.

قوله: ﴿إذا هم ينكثون﴾ جواب لما. أي: فلما كشفنا عنهم فاجزؤا نكث العهد من غير تأمل وتوقف اهـ أبو السعود.

وأصل النكث من نكث الصوف ليغزله ثانياً فاستعير لنقض العهد بعد إحكامه وإبرامه اهـ زاده.

قوله: (ينقضون عهدهم) أي الذي ذكروه بقولهم لنؤمنن ولنرسلن معك بني إسرائيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي فأردنا أن نتقم منهم لما أسلفوا من المعاصي والجرائم فإن قوله

مِنْهُمْ فَأَعْرِقْتُهُمْ فِي الْيَمِّ ﴿يَأْتُهُمْ﴾ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ وَأَوْثَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴿بِالْأَرْضِ وَمَعْرِبِهَا﴾ بِأَنَّ بَرَكْنَا فِيهَا ﴿بِالْمَاءِ وَالشَّجَرِ﴾ صِفَةً لِلْأَرْضِ وَهِيَ الشَّامُ ﴿وَكَلَّمْتُ رَبِّي﴾ الْخَسْفَ ﴿وَقُلْتُ﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ ﴿الْخ﴾ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا

تعالى: ﴿فَأَعْرِقْنَاهُمْ﴾ عين الانتقام منهم، فلا يصح دخول الفاء بينهما، ويجوز أي يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيره، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ النَّاسَ إِهْرَاسًا﴾ [هود: ٤٥] الخ اه أبو السعود.

قوله: (لا يتدبرونها) أي فالمراد بالغفلة عدم التدبر وهذا مؤاخذ به فيسقط ما يقال بالغفلة لا مؤاخذة بها اه شيخنا.

وفي القاموس: غفل عنه غفولاً تركه وسها عنه اه.

وفي المصباح: وقد تستعمل الغفلة في ترك الشيء إهمالاً وإعراضاً اه.

قوله: ﴿مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ أي جانبها الشرقي والغربي فملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالة وتصرفوا فيها شرقاً وغرباً كيف شاؤوا اه أبو السعود.

وفي الخازن: وأراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها اه.

قوله: (صفة للأرض) فيه ضعف من جهة الصناعة حيث فصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف، فالأولى أنه صفة للمشارق والمغارب اه أبو السعود.

قوله: (وهي الشام) وعلى هذا فالتعبير بالإرث من حيث إنهم أخذوها من غير تعب فأشبهت الإرث الشرعي، والحامل له على هذا التفسير وصفها بقوله التي باركنا فيها وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى، بل يمكن تفسير الأرض بأرض مصر، وهي أيضاً ذات بركة بالنيل وغيره ويؤيد الحمل على هذا ما في آيات أخر، كقوله في الشعراء ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] وقوله: في الدخان ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨] تأمل. وحملها بعضهم على مطلق الأرض كما في الخازن ونصه: وقيل أراد جميع جهات الأرض وهو اختيار الزجاج، قال: لأن داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بني إسرائيل وقد ملكا الأرض اه.

قوله: ﴿كَلَّمْتُ رَبِّي﴾ ترسم هذه بالتاء المجرورة، وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل اه شيخنا.

قوله: (وهي قوله الخ) تفسير لكلمة ربك يعني المراد بالكلمة وعدة تعالى لهم بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَ﴾ [القصص: ٥] الخ وتماه مجاز عن إنجاز اه شهاب.

وقال زاده: ولما كان الإنجاز تماماً للوعد لأن الوعد بالشيء يصيره كالشيء المعلق، وإذا حصل الموعود فقد فقد ثم ذلك الوعد وكمل، كما أنه إذا حصل المعلق عليه يتم المعلق وينقضي اه.

قوله: (الخ) وهو قوله منهم ما كانوا يحذرون. قوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ الباء سببية. قوله:

صَبَرُوا ﴿١٣٧﴾ عَلَىٰ أَذَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴿١٣٨﴾ وَدَمَّرْنَا ﴿١٣٩﴾ أَهْلَكْنَا ﴿١٤٠﴾ مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴿١٤١﴾ مِنَ الْعِمَارَةِ ﴿١٤٢﴾ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٤٣﴾ بِكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان ﴿١٤٤﴾ وَجَوَزْنَا ﴿١٤٥﴾ عَبْرَنَا ﴿١٤٦﴾ بِبَقَىٰ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ قَاتُوا ﴿١٤٧﴾ فَمَرُوا ﴿١٤٨﴾ عَلَىٰ قَوْمٍ يَكْفُؤُونَ ﴿١٤٩﴾ بضم الكاف وكسرهما ﴿١٥٠﴾ عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ ﴿١٥١﴾ يقيمون على عبادتهم

﴿ودمرنا﴾ (أهلكنا) أي وخربنا ما كان يصنع الخ أي الذي كان فرعون يصنعه على أن فرعون اسم كان ويصنع خبرها مقدم، والجملة صلة والعائد محذوف أي يصنعه اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون﴾ يجوز في هذه الآية أربعة أوجه. أحدها: أن يكون فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف والتقدير: ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه.

الثاني: أن اسم كان ضمير عائد على ما الموصولة ويصنع مسند لفرعون، والجملة خبر عن كان والعائد محذوف، والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون.

الثالث: أن تكون زائدة وما مصدرية، والتقدير ودمرنا ما يصنع فرعون أي صنعه، ذكره أبو البقاء.

قلت: وينبغي أن يجيء هذا الوجه أيضاً وإن كانت ما موصولة اسمية على أن العائد محذوف تقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون.

الرابع: أن ما مصدرية أيضاً وكان ليست زائدة بل ناقصة، واسمها ضمير الأمر والشأن والجملة من قوله يصنع فرعون خبر كان فهي مفسرة للضمير اهـ.

قوله: ﴿وما كانوا يعرشون﴾ هذا آخر قصة فرعون وقومه. قوله: (بكسر الراء وضمها) سبعيتان. وقوله: من البنيان كصرح هامان اهـ.

قوله: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل﴾ الخ شروع في قصة بني إسرائيل، وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة بعد أن أنقذهم الله من مهلكة فرعون، والمقصود في سياقها تسلية رسول الله ﷺ، وتنبيه المؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم، وجاوز بمعنى أصل الفعل أي جاز قطعنا بهم البحر اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: يقال جاز الوادي وجاوزه إذا قطعه وخلفه وراء ظهره اهـ. وفي السمين: وقوله جاوزنا ببني إسرائيل هو كقوله: ﴿وإذا فرقنا بكم البحر﴾ [البقرة: ٥٠] من كون الباء يجوز أن تكون للتعدية، وأن تكون للحالية وجاوز بمعنى جاز ففاعل بمعنى فعل اهـ.

قوله: (عبرنا) يقال عبر به البحر إذا بلغ به عبره بضم العين وكسرهما أي جانبه وشطه، وهو من باب دخل ونصر فمصدره العبور كالدخول أو العبر كالنصر اهـ شيخنا. عن المصباح.

قوله: (بضم الكاف وكسرهما) سبعيتان من بابي، قعد وضرب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على أصنام﴾ يعني تماثيل على صور البقر. قيل: كانت من الحجارة، وقيل: كانت بقرأ حقيقة. وهذا مبدأ شأن العجل الذي اتخذه بعد ذلك، وتعلقوا به، وكان القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم اهـ خازن.

﴿قَالُوا يَمْشُوا أَجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ صنماً نعبده ﴿كَمَا لَمْ يَلَمْهَا قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلمتموه ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَّبَرُّونَ﴾ هالك ﴿مَا هُمْ فِيهِ بِخُلَٰلٍ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿قَالَ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ أَبْصِيرَكُمْ إِلَٰهًا﴾ معبوداً وأصله أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ ﴿١٤٠﴾ هي زمانكم بما ذكره.

قوله: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ﴾ الخ قال البغوي: لم يكن شكاً منهم في وحدانية الله، وإنما كان غرضهم إلهاً يعظمونه، ويتقربون بتعظيمه إلى الله وظنوا أن ذلك لا يقدح في الدين، وكان ذلك لشدة جهلهم، وقيل: إن غرضهم عبادة الصنم حقيقة، فيكون ذلك ردة منهم اهـ خازن.

وعلى كل فالقائل للقول المذكور بعضهم لأكلهم إذ كان من جملة من معه السبعون الذين اختارهم موسى للميقات ويبعد منهم مثل هذا القول اهـ كرخي.

قوله: ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلهاً وما موصولة ولهم صلتها أي كالذي ثبت لهم، وآلهة بدل من الضمير المستكن في لهم. والتقدير: اجعل لنا إلهاً كائناتاً كالذي استقر لهم الذي هو آلهة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: الثالث من الوجوه أن تكون ما بمعنى الذي ولهم صلتها وفيه حيثئذ ضمير مرفوع مستتر، وآلهة بدل عن ذلك الضمير. والتقدير: كالذي استقر هو لهم آلهة اهـ.

قوله: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَّبَرُّونَ﴾ هؤلاء إشارة لمن عكفوا على الأصنام، ومتبر فيه وجهان، أحدهما: أن يكون خبراً لأن ما موصولة بمعنى الذي نائب فاعله، وهم فيه جملة اسمية صلتها وعائده والثاني: أن يكون الموصول مبتدأ، ومتبر خبره قدم عليه والجملة خبر لأن، والتبشير الإهلاك ومنه التبشير وهو كسارة الذهب لتهالك الناس عليه، وقيل التبشير التكسير والتحطيم، ومنه التبشير لأنه كسارة الذهب اهـ سمين.

قوله: ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي من الدين الباطل، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي من عبادتها اهـ.

قوله: ﴿قَالَ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ﴾ الخ شروع في بيان شؤون الله الموجبة لتخصيص العبادة به بعد بيان أن ما طلبوا عبادته مما لا يصلح أن يعبد أصلاً، لكونه هالكاً، ولذلك وسط بينهما لفظ قال: مع كون كل منهما كلام موسى، والاستفهام للإنكار والتعجب والتوبيخ وانتصاب غير ما المفعولية، وإلهاً إما تمييز أو حال اهـ أبو السعود.

وفي السمين: الهمزة للإنكار والتوبيخ، وفي نصب غير وجهان، أحدهما: أنه مفعول به لأبغيتكم على حذف اللام تقديره: أبغي لكم غير الله أطلب لكم، فلما حذف الحرف وصل الفعل بنفسه وهو غير منقاس وفي إلهاً على هذا وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنه تمييز لغير، والثاني: أنه حال ذكره الشيخ وفيه نظر. والثاني: من وجهي غير أنه منصوب على الحال من إلهاً وإلهاً هو المفعول به على ما تقرر، والأصل أبغي لكم إلهاً غير الله، فغير الله صفة لإلهاً، فلما قدمت صفة النكرة عليها نصبت حالاً اهـ.

قوله: (وأصله أبغي لكم) أي فحذفت اللام فاتصل الفعل بالكاف اهـ.

قوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾ يجوز أن يكون في محل نصب على الحال إما من الله، وإما من المخاطبين، لأن الجملة مشتملة على كل من ضميريهما، ويجوز أن تكون مستأنفة فلا محل لها اهـ سمين.

في قوله ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ وفي قراءة أنجاكم ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويهيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده وهم ﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿يَسَاءَ كُنتُمْ فِي ذَلِكَ﴾ الانجاء أو العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم ﴿وَوَعَدْنَا﴾ بآلف ودونها ﴿مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ نكلمه عند انتهائها

قوله: ﴿على العالمين﴾ (في زمانكم) وهم القبط فتفضيل بني إسرائيل عليهم بإنجائهم وإغراقهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ هذا مسوق من جهة موسى واذكروا يا بني إسرائيل إذ أنجيناكم وإسناد الإنجاء إليه على هذه القراءة مجاز، وعلى قراءة أنجاكم ظاهر ولا تجوز فيه اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ﴿وإذ أنجيناكم﴾ تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الإنجاء من استعباد فرعون لهم وقوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي من إهلاكهم لكم لا بمجرد تخليصهم من أيديهم، وهم على حالهم في المسكنة والقدرة، بل بإهلاكهم بالكلية اهـ.

قوله: ﴿يسومونكم﴾ حال من آل فرعون. قوله: (وهو) ﴿يقتلون﴾ أي فيقتلون بدل من يسومونكم. قوله: (الإنجاء) راجع لقوله: ﴿وإذ أنجيناكم﴾، وقوله: ﴿أو العذاب﴾ راجع لقوله ﴿يسومونكم﴾ الخ، والبلاء يستعمل في كل من الإنعام والامتحان، فلذلك قال إنعام أو ابتلاء فالأولى للأول، والثاني للثاني. وفي الكرخي: البلاء مشترك بين النعمة والمحنة، فالله يختبر شكر عباده بالنعمة وصبرهم بالمحنة. قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وقال: ﴿نَبْلُوَكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] اهـ.

قوله: (عما قلتم) وهو اجعل لنا إلهاً الخ.

قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾ الخ أي وعده أن نكلمه عند انتهاء ثلاثين ليلة يصومها، وإنما عبّر بالليالي مع أن الصوم في الأيام لما نقله زاده على البيضاوي عن ابن عباس أنه صام تلك المدة الليل والنهار، فكان يواصل الصوم، وحرمة الوصال إنما هي على غير الأنبياء اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال المفسرون: إن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى عليه السلام ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده به بني إسرائيل، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصامها، فلما تمت أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب، وقيل: بل أكل من ورق الشجر، فقالت الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة، وقال: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فكانت فتنة بني إسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام. وقيل: إن الله أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يصوم ثلاثين يوماً ويعمل فيها ما يتقرب به، ثم كلمه وأعطاه الألواح في العشر التي زادها، فلهاذا قال: وأتمناها بعشر، وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾ [البقرة: ٥١] فذكر هناك على الإجماع وذكر هنا على التفصيل اهـ.

بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكروا خلوف فمه فاستاك فأمّره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة ﴿فَكَمْ يَبْقَىٰ زَيْدٌ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيْلَةٍ﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمٍ وَأَصْلَحَ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُ

وفي زاده: ما الحكمة في تفصيل الأربعين هنا إلى الثلاثين والعشر مع الاختصار على الأربعين في سورة البقرة حيث قيل: وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة؟، وتقرير الجواب أن الحكمة في التفصيل هنا الإشارة إلى أن أصل المواعدة كان على صوم الثلاثين، وزيادة العشر كانت لإزالة الخلوف، وما ذكره في سورة البقرة فهو بيان للحاصل، وجمع بين العددين أو يقال فصل الأربعين إلى مدينتين لكون ما وقع في إحدى المدينتين مغايراً لما وقع في الأخرى، فالثلاثون للتقرب والعشر لإنزال التوراة اهـ.

قوله: (أنكر) أي كره خلوف فمه هو ريح الفم من أثر الصوم، وفي المصباح: خلف فم الصائم خلوفاً من باب قد تغيرت ريحه، وأخلف بالآلف لغة. وزاد بعضهم من صوم أو مرض وخلف الطعام تغيرت ريحه أو طعمه اهـ.

قوله: (فاستاك) أي فزال الخلوف بالسواك. قوله: (بخلوف فمه) أي مع بقاء خلوف فمه. قوله: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ في هذا الضمير قولان، أحدهما: أنه يعود على المواعدة المفهومة من واعدنا، أي وأتممنا مواعده بعشر، والثاني: أنه يعود على ثلاثين قاله الحوفي. قال الشيخ: ولا يظهر لأن الثلاثين لم تكن ناقصة فتتم بعشر: وحذف: وحذف تمييز عشر لدلالة الكلام عليه أي وأتممناها بعشر لياله، وفي مصحف أبي تمناها بالتضعيف اهـ سمين.

قوله: ﴿أَرْبَعِينَ﴾ (حال) عبارة السمين: في نصب أربعين ثلاثة أوجه، أحدهما: أنه حال، قال الزمخشري: وأربعين نصب على الحال أي تم بالفعل هذا العدد، قال الشيخ: وعلى هذا لا يكون المحال أربعين، بل الحال هو هذا المحذوف. والثاني: أن ينتصب أربعين على المفعول به. الثالث: أنه منصوب على الظرف. قال ابن عطية: ويصح أن يكون أربعين ظرفاً من حيث هو عدد أزيمة وفي هذا نظر كيف يكون ظرفاً للتمام، والتمام إنما هو بآخر جزء من تلك الأزيمة إلا يتجاوز بعيد، وهو أن كل جزء من أجزاء الوقت سواء كان أولاً أو آخراً إذا نقص ذهب التمام اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ (أمرهم) عبارة الخازن: وأصلح بني إسرائيل وأحلمهم على عبادة الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ أي دم على عدم اتباع سبيل المفسدين.

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ قال أهل التفسير والأخبار: لما جاء موسى لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء، فأنزل الله تعالى ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية، وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض، ونحى عنه الملكين، وكشط له السماء، فرأى الملائكة قِيَاماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقدام على الألواح وكلمه، وكان الجبريل

رَبُّهُ ﴿بَلَا وَاسْطَ كَلَاماً سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جَهَةٍ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ أي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن أرى يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنْ أَسْقَرْتُ﴾ ثبت ﴿مَكَائِمُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَرَبُّهُ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم

معه، فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلام ربه، فاشتاق إلى رؤيته، فقال: رب أرني الخ وإنما سألتها مع علمه بأنها لا تجوز في الدنيا لما هاج به من الشوق، وفاض عليه من أنواع الجلال، واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية. وقال السدي: لما كلم الله موسى عليه السلام غاص عدو الله إبليس الخبيث في الأرض، حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس إليه إن مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى ربه الرؤية اهـ خازن.

قوله: (أي للوقت الخ) وكان يوم الخميس وكان يوم عرفة فكلمه الله فيه، وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه، وليس المراد أنه أنشأ له كلاماً ما سمعه، لأن كلام الله قديم ولم نر في التفاسير هنا بيان ما فهمه موسى من ذلك الكلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَرِنِي﴾ فعل أمر مبني على حذف الياء وياء المتكلم مفعول أول، والثاني محذوف قدره الشارح بقوله نفسك، والمعنى مكني من رؤيتك وهيتني لها، فإن فعلت بي ذلك أنظر إليك فتغاير الشرط والجزاء اهـ شيخنا.

قوله: (يفيد إمكان رؤيته تعالى) أي كما وقت لنبينا ﷺ وعبر بلن تراني دون لن تنظر إلي مع أنه المطابق لقوله أنظر إليك لأن الرؤية هي المقصودة والنظر مقدمتها، وقد يحصل دونها، وأما المطابقة في الاستدراك بقوله ولكن انظر إلى الجبل فواضحة، أي لأن المقصود منه تعظيم أمر الرؤية اهـ كرخي.

وفي الشهاب: ولما كانت الرؤية مسببة عن النظر متأخرة عنه، لأن النظر تقلب الحدة نحو الشيء التماساً لرؤيته، والرؤية الإدراك بالبصرة بعد النظر خطر بالبال أن يقال: كيف جعل النظر جواباً لأمر الرؤية مسبباً عنه، فيكون متأخراً عنها، فأشار إلى توجيهه بأن المراد بالإراءة ليس إيجاد الرؤية بل التمكين منها وهو مقدم على النظر وسبب له اهـ.

فيكون من قبيل اطلاق اسم المسبب وإرادة السبب اهـ.

وفي الخازن: والمقصود من الاستدراك تعظيم أمر الرؤية، وأنه لا يقوى عليها إلا من قواه الله بمعونه. ألا ترى أنه لما ظهر أثر التجلي على الجبل اندك اهـ.

قوله أيضاً: (يفيد إمكان رؤيته تعالى) في زاده: ولكون الرؤية جائزة أجاب الله موسى حيث سأل الرؤية بنفي كونه فاعلاً للرؤية لا بنفي أصل الرؤية ولو لم تكن جائزة لأجابه بنفي أصلها بأن يقول لن أرى اهـ.

قوله: (أي ظهر من نوره) أي نور عرشه وعبرة الخازن: فأمر الله ملائكة السماء السابعة بحمل

﴿لِلْجَبَلِ جَمَلَةٌ دَكَاةٌ﴾ بالقصر والمد أي مذكوكاً مستويّاً بالأرض ﴿وَحَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا﴾ مغشياً عليه

عرشه، فلما بدا نور عرشه انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى، واسم الجبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور. وقال عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار: ما تجلي للجبل من عظمة الله إلا مثل سم الخياط، حتى صار دكاً. ويروى عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً أهـ.

وقوله أيضاً: (أي ظهر من نوره النخ) أشار إلى أن التجلي هو الظهور، والمراد ظهور بعض نوره سبحانه وتعالى، كما في الحديث وهو أنه ﷺ لما قرأ هذه الآية وضع إبهامه على المفصل الأعلى من الخنصر وقال: هكذا فساخ الجبل. وقال ابن عباس وغيره: لما وقع النور عليه تدكدك، أما الظهور الجسماني فمستحيل عليه تعالى أهـ كرخي.

قوله: ﴿جعله دكاً﴾ قرأ الأخوان دكاء بالمد على وزن حمراء، والباقون دكاً بالقصر والتنوين، فقراءة الأخوين تحتل وجهين، أحدهما: أنها مأخوذة من قولهم ناقة دكاء أي منسطة السنام غير مرتفعته، وإما من قولهم أرض دكاء للنشارة. وفي التفسير أنه لم يذهب كله، بل ذهب أعلاه، فهذا يناسبه وأما قراءة الجماعة فدكاً مصدر واقع موقع المفعول به أي مذكوكاً أو مندكاً أو على حذف مضاف أي ذا دك، وفي انتصابه على القراءتين وجهان المشهور أنه مفعول ثان لجعل بمعنى صير. والثاني: وهو رأي الأخفش أنه مصدر على المعنى إذ التقدير دكه دكاً، وأما على القراءة الأولى فهو مفعول فقط أي صيره مثل ناقة دكاء أو أرض دكاء، والدك والدق بمعنى وهو تفتيت الشيء وسحقه. وقيل: تسويتها بالأرض، وقرأ ابن وثاب دكاً بضم الدال والقصر، وهو جمع دكاء بالمد كحمر في حمراء أي جعله قطعاً أهـ سمين.

وقال الكلبي: جعله دكاً يعني كسراً جبالاً صغاراً، وقيل إنه صار ستة أجبل فوق ثلاثة منها بالمدينة وهي أحد، وورقان، ورضوى، ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور، وثبير، وحرأ أهـ خازن.

قوله: (بالقصر والمد) فعلى القصر حذفت الألف لالتقاء الساكنين، وعلى الثاني وزنه حمراء، وهما قراءتان سبعيتان، وقوله أي مذكوكاً يحتمل أنه تفسير لكل من القراءتين، ويحتمل أنه على التوزيع وأن الأول من التفسيرين للمقصود، والثاني للمدود، والثاني صرح به السمين أهـ.

وفي الكرخي: قوله بالقصر أي مع التنوين في قراءة حمزة، والمد أي مع ترك التنوين كحمراء في قراء حمزة والكسائي أهـ.

قوله: ﴿صَعْقًا﴾ حال مقارنة. والخروج: السقوط كذا أطلقه الشيخ، وقيده الراغب بسقوط يسمع له خير. والخير: يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو، والإفاقة رجوع الفهم والعقل إلى الإنسان بعد جنون أو سكر أو نحوهما، ومنه إفاقة المريض وهي رجوع قوته، وإفاقة الحلب وهي رجوع الدر إلى الضرع، يقال: استفق ناقتك أي اتركها حتى يعود لبنها، والفواق ما بين حلبتي الحالب، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى أهـ سمين.



لهول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أومر به ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَسْأَلُكَ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والافراد ﴿وَيَكَلِّمِي﴾ أي تكلمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمي ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ أي ألواح التوراة وكانت من سدر

قوله: (لهول ما رأى) أي من النور. قوله: (تنزيهاً لك) أي من النقائص كلها اهـ خازن أو عن أن ترى في الدنيا.

قوله: ﴿قال يا موسى﴾ الخ هذا تسلية لموسى عليه السلام على ما فاته من الرؤية، فمحصله أنك وإن فاتك الرؤية فقد أعطيتك نعماً كثيرة فاشتغل بذكرها اهـ شيخنا.

قوله: (أهل زمانك) جواب سؤال تقديره كيف قال على الناس مع أن كثيراً من الأنبياء أعطى الرسالة، وأجيب عن ذلك بوجوه، منها: أن موسى اختص بالمجموع أي الرسالة والكلام من غير واسطة، وفيه أن الكلام من غير واسطة وقع لسيدنا محمد ﷺ، فالأحسن الجواب بما قاله الشارح اهـ من الخازن.

وفي الكرخي قوله: من أهل زمانك وهارون لم يكن كليماً ولا ذا شرع، فلا يرد كيف قال: اصطفتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبياً اهـ.

قوله: ﴿برسالاتي﴾ أي وحيي، وقوله: بالجمع أي في قراءة الجمهور، لأن الذي أرسل به ضروب وأنواع، وقوله: والافراد أي في قراءة نافع وابن كثير، والمراد به المصدر أي بإرساله إياك أو على أنه حذف مضاف أي بتبليغ رسالتي اهـ كرخي.

قوله: ﴿وبكلامي﴾ هو محتمل لأن يراد به المصدر أي بتكلمي إياك، فيكون كقوله: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] ويحتمل أن يراد به التوراة وما أوحاه إليه من قولهم القرآن كلام الله تسمية للشيء باسم المصدر، وقدم الرسالة على الكلام لأنها أسبق، أو ليرقى إلى الأشرف، وكرر حرف الجر تنبيهاً على مغايرة الاصطفاء للكلام اهـ سمين.

قوله: (من الفضل) أي ومن الرسالة ومن إعطاء التوراة يوم النحر اهـ كرخي.

قوله: ﴿من الشاكرين﴾ (لأنعمي) جمع نعمة. وفي المصباح: وجمع النعمة نعم كسدره وسدر وأنعم أيضاً مثل أفلس وجمع النعماء أنعم مثل البأساء يجمع على أبؤس اهـ.

وفي القصة أن موسى عليه السلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشى وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات. وقالت له زوجته: أنا لم أرك منذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس، فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة. قال: ذلك لك أن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها اهـ خازن.

قوله: ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة والمعنى: وكتبنا لموسى في

الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً ﴾ تبيناً ﴿ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿ فَخُذْهَا ﴾ قبله قلنا مقدراً ﴿ يَقُولُ ﴾ بجهد واجتهاد ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوَيِّكَ دَارَ الْقَنَسِقِينَ ﴾ فرعون وأتباعه وهي مصر

ألواح التوراة قال البغوي: وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً، وجاء في الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده، وقال الحسن: كانت الألواح من خشب، وقال الكلبي من زبرجدة خضراء، وقال سعيد بن جبير: من ياقوته حمراء، وقال ابن جريج: من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن، وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من النور، وقال الربيع بن أنس: كانت الألواح من زبرجد، وقال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده ثم شقها بأصبعه، وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الأفلام بالكلمات العشرة، وكان ذلك في أول من ذي الحجة، وكان طول الألواح عشرة أذرع على طول موسى. وقيل إن موسى خرَّ صعقاً يوم عرفة، فأعطاه الله التوراة يوم النحر، وهذا أقرب إلى الصحيح. واختلفوا في عدد الألواح، فروي عن ابن عباس أنها كانت سبعة الألواح. وروي عنه أنها اثنان واختاره الفراء قال: وإنما جمعت على عادة العرب في إطلاق الجمع على ما زاد على الواحد، وقال وهب: كانت عشرة الألواح، وقال مقاتل: كانت تسعة، وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي قرأى حمل سبعين بعبراً يقرأ الجزء منها في سنة، ولم يقرأها إلا أربعة وهم موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام. والمراد بقولهم لم يقرأها يعني لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه إلا هؤلاء الأربعة، وقال الحسن: هذه الآية في التوراة بألف آية اهـ خازن.

قوله: (محتاج إليه في الدين) أي دينهم. قوله: (بدل) أي أن قوله موعظة وتفصيلاً بدل من قوله من كل شيء باعتبار محله وهو النصب، وأما قوله لكل شيء فهو معمول لقوله وتفصيلاً أو صفة لها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ فَخُذْهَا ﴾ أي الألواح والفاء عاطفة لمحذوف على كتبنا، والمحذوف هو لفظ قلنا أي: فقلنا خذها فحذف القول وأبقى معموله. هذا ما ذكره بقوله قبله أي قبل لفظ خذها لفظ قلنا مقدراً معطوفاً على كتبنا، وقوله بقوة حال من فاعل خذها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ أي التوراة ومعنى بأحسنها بحسنها. إذ كل ما فيها حسن أو أمروا فيها بالخير ونهوا عن الشر، وفعل الخير أحسن من ترك الشر، وذلك لأن الكلمة المحتملة لمعنيين أو لمعان تحمل على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها إلى الصواب، أو أن فيها حسناً وأحسن كالقود والعفو والانتصار والصبر والمأمور به والمباح فأمروا بما هو الأكثر ثواباً. وقولهم: الضيف أحر من الشتاء أي هو في حره أبلغ من الشتاء في برده هو بالنظر إلى غالب أيام الشتاء وإلا ففي بعضها حر فبالنظر إليه أفعال التفضيل باق على بابه. ونظير هذه الآية ما في الأحقاف من قوله: ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ﴾ [الأحقاف: ١٦] وقد قال الشيخ فيها إن أحسن بمعنى حسن، وقد فات السيوطي التنبيه على ذلك هنا، وحيث فلا يرد السؤال كيف قال بأحسنها مع أنهم مأمورون بجميع ما فيها اهـ كرخي.

لتعتبروا بهم ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ آيَاتِي﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ

وقوله أي في حره أبلغ من الشتاء في برده تحقيق هذا أن تفضيل حرارة الصيف على حرارة الشتاء غير مراد، بل المراد تفضيل كثرة الحرارة وقوتها على كثرة البرودة وقوتها، فلما أريد بأحسنها المأمور لكونه أبلغ في الحسن من المنهي عنه في القبح كان اللازم ألا يجوز الأخذ بالمنهي عنه اهـ زاده .

قوله: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي أريكموها على الحالة التي حدثت لها بعد خروج أهلها منها وهي خرابها ودمارها كما تقدم في قوله: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ [الأعراف: ١٣٧] اهـ شخينا .

وفي الشهاب قوله: سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ تأكيد للأمر بالأخذ بالأحسن عليه فهو في معنى العلة فوضع الإرادة موضع الاعتبار إقامة للسبب مقام مسببه مبالغة، وفيه التفات لأن المراد سَأُرِيكُمْ فلا يفرطوا فيما أمروا به، وجوز فيه التغليب لأن المراد سَأُرِيكُمْ وقومك اهـ .

قوله: (وهي مصر) عبارة البيضواي: هي دار فرعون وقومه بمصر أو منازل عاد وثمود وأضرابهم أو دارهم في الآخرة وهي جهنم، انتهت .

ومعنى الإرادة الإدخال بطريق الارث، ويؤيده قراءة من قرأ سَأُرِيكُمْ بالثاء المثلثة، كما في قوله: ﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] اهـ أبو السعود .

وهذه القراءة ترد القول الثالث وهو أن المراد بدارهم جهنم، والعجب من السيوطي بعد هذا الخلاف المقرر كيف يرده بدعوى التصحيف والتحريف، فإنه قد ذكر في حسن المحاضرة ما نصه .  
فائدة:

اشتهر على ألسنة كثير من الناس في قوله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أنها مصر . وقد أخرج ابن الصلاح وغيره من الحفاظ أن ذلك خلط نشأ عن تصحيف، وإنما الوارد عن مجاهد وغيره من مفسري السلف في قوله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال مصيرهم فصحت اهـ .

وجمهور المفسرين على أن بني إسرائيل بعد ذهابهم إلى الشام رجعوا إلى مصر وملكوا أرض القبط وأموالهم كما سيأتي بسطه في سورة الشعراء، وعبرة القرطبي: هناك كذلك وأورثناها بني إسرائيل، يريد أن جميع ما ذكره الله من الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم أورثه الله بني إسرائيل . قال الحسن وغيره: رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه اهـ .

وفي الكرخي في سورة الدخان: فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون، وهذا قول الحسن: وقيل: إنهم لم يعودوا إلى مصر والقوم الآخرون غير بني إسرائيل وهو قول ضعيف جداً اهـ .

قوله: ﴿سَاصِرُفٌ﴾ الخ استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكير في الآيات التي هي ما كتب في ألواح التوراة أو ما يعمها وغيرها، وقوله: عن آياتي أي عن فهمها بدليل قوله فلا يتفكرون فيها فمعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يفهمونها اهـ من أبي السعود .

قوله: ﴿بَغِيرِ الْحَقِّ﴾ حال من الذين يتكبرون أي حال كونهم ملتبسين بالدين الغير الحق وقوله:

يَغْفِرَ الْحَقُّ ﴿بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها﴾ ﴿وإن يَرَوْا كَلَاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ﴾ طريق ﴿الرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وإن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ الصرف ﴿بأنهم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حِطَّتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلْتُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء

وإن يروا معطوف على يتكبرون فهو من جملة الصلة وقوله: كل آية أي آية كانت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سبيل الرشـد﴾ قرأ الأخوان هنا: وفي الكهف في قوله مما علمت رشداً خاصة دون الأولين فيها بفتحيتين والباقون بضم وسكون، واختلف الناس فيهما هل هما بمعنى واحد، فقال الجمهور: نعم هما لغتان في المصدر كالبلخ والبخل والسقم والسقم والحزن والنحزن، وقال أبو عمرو بن العلاء: الرشـد بضم وسكون الصلاح في النظر ويفتحين الذين قالوا: ولذلك أجمع على قوله ﴿فإن أنستم منهم رشداً﴾ [النساء: ٦] بالضم والسكون، وعلى قوله ﴿فأولئك تحروا رشداً﴾ [الجن: ١٤] بفتحيتين. وروي عن ابن عامر الرشـد بضمين وكأنه من باب الإتياع اهـ سمين.

قوله: (يسلكوه) تفسير ليتخذوه المجزوم جواباً للشرط اهـ.

قوله: ﴿ذلك بأنهم﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه مبتدأ خبره الجار بعده أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم. والثاني: أنه في محل نصب، ثم اختلف في ذلك، فقال الزمخشري: صرفهم الله عن ذلك الصرف بعينه فجعله مصدراً، وقال ابن عطية: فعلنا ذلك فجعله مفعولاً به، وعلى الوجهين فالباء في بأنهم كذبوا، بأنهم متعلقة بذلك المحذوف اهـ سمين.

قوله: ﴿وكانوا﴾ في هذه الجملة احتمالان، أحدهما: أنه نسق على خير أن أي ذلك بأنهم كانوا غافلين عن آياتنا. والثاني: أنها مستأنفة أخبر تعالى عنهم بأن من شأنهم الغفلة عن الآيات وتدبرها اهـ سمين.

قوله: (تقدم مثله) أي في قوله: ﴿فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾. قال الشارح: هناك تفسير الغفلة لا يتدبرونها اهـ.

قوله: ﴿والذين كذبوا﴾ في خبره وجهان، أحدهما: أنه الجملة من قوله ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، و﴿هل يجوزون﴾ خبر ثان أو مستأنف. والثاني: أن الخبر قل يجوزون والجملة من قوله: حِطَّتْ في محل نصب على الحال، وقد مضمرة عند من يشترط ذلك وصاحب الحال فاعل كذبوا اهـ سمين.

قوله: ﴿ولقاء الآخرة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه من باب إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف، والتقدير ولقائهم الآخرة. والثاني: أنه من باب إضافة المصدر للظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة ذكرهما الزمخشري اهـ سمين.

قوله: (لعدم شرطه) أي الثواب وشرطه الإيمان لأنه مقدار من الجزاء يعطى للمؤمنين في مقابلة

﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من التكذيب والمعاصي ﴿ وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلّة عرس فبقي عندهم ﴿ عِجَلًا ﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿ جَسَدًا ﴾ بدل لحماً ودماً ﴿ أَلَمْ حَوَارًا ﴾ أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع

أعمالهم الحسنة، فأعمالهم التي لا تتوقف على نية، وإن نفعتهم في تخفيف العذاب، لكن التخفيف لا يقال له ثواب أه شيخنا.

قوله: ﴿ هل يجوزون ﴾ هذا الاستفهام معناه النفي، ولذلك دخلت إلا ولو كان معناه التقرير لكان موجباً فيبعد دخول إلا أو يمتنع. وقال الواحدي: هنا لا بد من تقدير محذوف أي إلا بما كانوا أو على ما كانوا أو جزاء ما كانوا. قلت: لأن نفس ما كانوا يعملونه لا يجوزونه إنما يجوزون بمقابله وهو واضح أه سمين.

قوله: ﴿ واتخذ قوم موسى ﴾ عطف قصة على قصة.

قوله: (أي بعد ذهابه إلى المناجاة) وقيل: بعدما عهد إليهم أن لا يعبدوا غير الله أه كرخي.

قوله: ﴿ من حلّيتهم ﴾ جمع حلّي كثندي وثدي، وأصله حلوى اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو بالسكون، فقلبت ياء وأدغمت في الياء وكسرت اللام لأجل الياء، فحيث كان عليه أن يقول التي استعاروها، ويقول صاغه لهم منها إلا أن يقال تعبير الشارح مراعاة للجنس فكأنه قال من جنس حلّيتهم الذي استعاروه الخ أه شيخنا.

قوله: (الذي استعاروه) أي قبل الغرق فبقي عندهم بعده ملكاً لبني إسرائيل بحكم الغنيمة أي فاستمر عندهم حتى خرجوا من مصر وغرق فرعون، واستقروا في الشام أه من الخازن.

وعبارة الكرخي: قوله: فبقي عندهم وقد ملكوه بعد المهلكين كما ملكوا غيره من أملاكهم لقوله تعالى: ﴿ كم تركوا من جنات ﴾ إلى قوله: ﴿ وأورثناها بني إسرائيل ﴾ [الشعراء: ٥٩] فلا يرد لم قال من حلّيتهم ولم يكن الحلّي لهم وإنما كان عارية في أيديهم أه.

قوله: ﴿ عِجَلًا ﴾ وهذا العجل قد ذبحه موسى وحرقه وذراه في الهواء، كما سيأتي في سورة طه في قوله: ﴿ لنحرقنه الخ ﴾ [طه: ٩٧] أه شيخنا.

قوله: (صاغه لهم منه السامري) أي لأنه كان صائغاً والسامري هذا كان من بني إسرائيل، وكان منافقاً أه شيخنا.

قوله: ﴿ جَسَدًا ﴾ أتى بهذا البدل لدفع توهم أنه صورة عجل منقوشة على حائط مثلاً، وقوله له خوار، الخوار صوت البقر. قيل: كان يتحرك ويمشي، وقيل: لم يكن فيه شيء من أثر الحياة إلا الصوت أه من الخازن.

وفي السمين: قوله له خوار في محل النصب نعتاً لعجلاً وهذا يقوي كون جسدًا نعتاً، لأنه إذا اجتمع نعت وبدل قدم النعت على البدل، والجمهور على خوار بخاء معجمة وواو صريحة وهو صوت البقر خاصة، وقد يستعار للبعر. والخور الضعف ومنه أرض خواراة وريح خواراة، والخوران مجرى

التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه **وَتَضَعُوهُ** اتخذ الثاني محذوف أي إلهاً **﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾** فكيف يتخذ إلهاً **﴿أَتَتَّخِذُوهُ﴾** إلهاً **﴿وَكَاثُرًا عَلِيمًا﴾** باتخاذ **﴿وَلَا سُقُوطٌ فِي أَيْدِيهِمْ﴾** أي ندموا على عبادته **﴿وَرَأَوْا﴾** علموا

الروث وصوت البهائم أيضاً. وقرأ علي رضي الله عنه، وأبو السماك: له جوار بالجم والهمزة وهو الصوت الشديد اهـ.

قوله: (انقلب) أي الحلي كذلك أي عاجلاً جسداً له خوار، والمراد انقلب العجل كذلك أي له خوار اهـ شيخنا.

قوله: (فإن أثره الخ) وذلك أن السامري لما رأى فرس جبريل كلما وضعت حافرهما على مكان من الأرض اخضر ونبت العشب في هذا المكان لوقته، ففطن لذلك وعلم أن لهذا التراب أثر الحياة، فأخذ شيئاً من هذا التراب الذي وضعت حافرهما عليه، فكان عنده إلى أن وضعت في قم العجل الذي صاغه من الحلي. وواقعة فرس جبريل كانت عند عبور البحر أمام خيل فرعون ليعبونها لكونها كانت أنثى، وكانت خيلهم ذكوراً كما سيأتي بسط ذلك في سورة طه اهـ شيخنا.

قوله: **﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾** الخ تقريع لهم. قوله: **﴿اتَّخِذُوهُ﴾** إلهاً هذا قد سبق وأعيد تأكيداً اهـ.

قوله: **﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾** الخ هذا كناية عن الندم، ومعلوم أن الندم متأخر عن علمهم بالخطأ فتقدمه على الرؤية للمسارعة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعته حتى كأنه ساقب على الرؤية اهـ أبو السعود.

وسقط فعل ماض مبني للمجهول وأصله سقطت أفواههم على أيديهم، ففي بمعنى على وذلك من شدة الندم. فإن عادة الإنسان إذا ندم بقلبه على شيء عض بفيه على أصابعه، فيسقط الأفواه على الأيدي لازم للندم، فأطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية. وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن اهـ شيخنا.

وفي الخازن: والسقوط عبارة عن النزول من أعلى إلى أسفل اهـ.

وفي السمين: قوله: **﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾** الجار والمجرور قائم مقام الفاعل، وفي بمعنى على فمعى في أيديهم. على أيديهم ونقل الفراء والزجاج أنه يقال سقط في يده وأسقط أيضاً إلا أن الفراء قال سقط أي الثلاثي أكثر وأجود، وهذه اللفظة تستعمل في الندم والتحير، وقد اضطربت أقوال أهل اللغة في أصلها، فقال أبو مروان اللغوي: قول العرب سقط في يده مما أعاني معناه، وقال الواحدي: قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن سقط في يده ندم وأنه يستعمل في صفة النادم، فأما القول في أصله ومأخذه فلم أر لأحد من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه فيه إلا ما ذكر الزجاج فإنه قال: قوله تعالى: **﴿سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾** بمعنى ندموا، وهذه اللفظة لم تسمع قبل القرآن ولم تعرفها العرب ولم يوجد ذلك في أشعارهم، وقال أبو عبيدة: يقال لمن ندم على أمر وعجز عنه سقط في يده، وقال الواحدي: وذكر اليد ههنا وجهين.

أحدهما: أنه يقال الذي يحصل وإن كان ذلك مما لا يكون في اليد قد حصل في يده مكروه فتشبه

﴿ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ ﴾ من جهتهم ﴿ أَسِفًا ﴾

ما يحصل في النفس وفي القلب بما يرى العين، وخصت اليد بالذكر لأن مباشرة الذنوب بها فالملامة ترجع عليها لأنها هي الجارحة العظمى، فيسند إليها ما لم تباشره كقوله: ﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾ [الحج: ١٠] وكثير من الذنوب لم تقدمه اليد.

الوجه الثاني: أن الندم حصل في القلب وأثره يظهر في اليد لأن النادم يعرض يده ويضرب إحدى يديه على الأخرى، كقوله: ﴿ فأصبح يقلب كفيه ﴾ [الكهف: ٤٢] فتقلب الكف عبارة عن الندم، وكقوله: ﴿ ويوم يعرض الظالم على يديه ﴾ [الفرقان: ٢٧] فلما كان أثر الندم يحصل في اليد من الوجه الذي ذكرناه أضيف سقوط الندم إلى اليد، لأن الذي يظهر للعيون من فعل النادم هو تقلب الكف وعض الأنامل واليد، كما أن السرور معنى في القلب يستشعره الإنسان والذي يظهر من حاله الاهتزاز والحركة والضحك وما يجري مجراه. وقال الزمخشري: ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ ولما اشتد ندمهم لأن من شأن من اشتد ندمه وحزنه أن يعرض يده غماً فتصير يده مسقوطة فيها، لأن فاه قد وقع فيها. وقيل: من عادة النادم أن يطأ رأسه ويضع ذقنه على يده معتمداً عليها ويصير على هيئة لو نزع يده لسقط على وجهه فكان اليد مسقوطة فيها وفي بمعنى على، فمعنى في أيديهم على أيديهم كقوله: ﴿ ولاصليكنم في جذوع النخل ﴾ [طه: ٧١] واعلم أن سقط في يده عده بعضهم في الأفعال التي لا تنصرف كنعم وبئس. وقرأ ابن السميع ﴿ سقط في أيديهم ﴾ مبنياً للفاعل وفاعله مضمّر أي سقط الندم هذا قول الزجاج، وقال الزمخشري: سقط العض، وقال ابن عطية: سقط الخسران والخيبة، وكل هذه أمثلة. وقرأ ابن أبي عبلة أسقط رباعياً مبنياً للمفعول، وقد تقدم أنها لغة نقلها الفراء والزجاج اهـ باختصار.

قوله: (ذلك) أي قوله: ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ بعد رجوع موسى الخ، وإما قدمه على قوله: ﴿ ولما رجع موسى ﴾ الخ ليتصل ما قالوه بما فعلوه كما أفاده أبو السعود ونصه: وما حكى عنهم من الندامة والرؤية والقول، وإن كان بعد رجوع موسى كما ينطق به ما سيأتي في طه، لكن أريد بتقديمه حكاية ما صدر عنه من القول والفعل في موضع واحد اهـ.

قوله: ﴿ لئن لم يرحمنا ﴾ لام قسم. قوله: (بالياء والتاء فيهما) وعلى قراءة التاء يقرأ ربنا بالنصب على النداء اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: بالياء والتاء فيهما أي قرأ حمزة والكسائي بقاء الخطاب فيهما حكاية لدعائهم، والفاعل مستتر ونصب ربنا على النداء أي لئن لم تغفر لنا أنت يا ربنا والباقون بالياء على الغيبة حكاية لإخبارهم فيما بينهم، أي قال بعضهم لبعض ﴿ لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ﴾ وربنا رفع بالفاعلية اهـ.

قوله: ﴿ غضبان ﴾ أي لما فعلوه من عبادة غير الله، وكان قد أخبره الله بذلك قبل رجوعه كما سيأتي في سورة طه قال: ﴿ فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري ﴾ [طه: ٨٥] اهـ شيخنا.

وغضبان أسفاً منصوبان على الحال من موسى عند من يجيز تعدد الحال وعند من لا يجعل أسفاً

شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿يَسْمَا﴾ أي بشس خلافة ﴿خَلَقْتُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَدِيءٍ﴾ خلافتكم هذه حيث اشركتم ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وألقى الألواح. ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿يَجْرُهُ إِلَى يَدَيْهِ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾ يا ﴿إِبْنِ أُمِّ﴾ بكسر الميم

حالاً من الضمير المستكن في غضبان، فتكون حالاً متداخلة أو يجعلها بدلاً من الأولى، وفيه نظر لغسر إدخاله في أقسام البدل وأقرب ما يقال إنه بدل بعض من كل إن فسرنا الأسف بالشديد الغضب، أو يدل اشتغال إن فسرناه بالحزين يقال: أسف يأسف أسفاً أي اشتد غضباً، ويقال: بل معناه حزن، فلما كانا متقاربين في المعنى صحت البدلية على ما ذكرته لك اهـ.

قوله: ﴿قَالَ بَسْمَا خَلَقْتُمُونِي﴾ بشس فعل ماضٍ لإنشاء الذم وفاعله مستتر تقديره هو وما تمييز بمعنى خلافة وجملة خَلَقْتُمُونِي صفة لما، والرباط محذوف والمخصوص بالذم محذوف أي خلافتكم كل هذا أشار له الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي ميعاده أي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق. يقال: عجل عن الأمر إذا تركه غير تام أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين، وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: العجلة التقدم على الشيء قبل وقته، والمعنى أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له أي أعجلتم وعد ربكم من الأربعين، وذلك أنهم قدروا أنه لما يأت على رأس الثلاثين فقد مات اهـ.

وفي زاده الأمر واحد الأوامر وهو بمعنى المأمور به، وهو أن ينتظروا موسى أربعين يوماً حافظين لعهدهم وما وصاهم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله حتى يأتهم بكتاب الله، وأن العجلة عن الشيء عبارة عن تركه غير تام أنكر عليهم في عدم إتمامهم ما أمرهم الله به من انتظاره إلى أن يجيء من غير أن يغيروا شيئاً مما تركهم عليه وأصل الكلام أعجلتم عن أمر ربكم. وقال الإمام: العجلة التقدم بالشيء قبل وقته، ولذلك كانت مذمومة والسرعة غير مذمومة لأن معناها عمل الشيء في أول أوقاته اهـ. قوله: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾ وكان حاملاً لها فآلقاها من شدة الغضب اهـ خازن.

قوله: (فتكسرت) وكانت سبعة رفع منها ستة وبقي واحد أي رفع ما في الستة من الإخبار بالغيب، وبقي ما في السابع من المواعظ والأحكام، وأما أجرام الألواح فلم ترفع وسيأتي أن الذي رفع قد رد، ورجع في لوحين كما سيأتي في قوله، وفي نسختها هدى ورحمة الخ اهـ شيخنا.

وفي الخازن قال الإمام فخر الدين: وظاهر قوله الآتي: أخذ الألواح يدل على أن الألواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شيء اهـ.

وفي زاده: المراد بالقائمه إنه وضعها في موضع ليفترغ لما قصده من مكالمته قومه لا رغبة عنها، فلما فرغ عاد إليها فأخذها بعينها اهـ.

قوله: ﴿بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ على حذف مضاف كما قدره الشارح وقوله: ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ حال من ضمير موسى في أخذ أي أخذه جاراً إليه اهـ.



وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَنْصِتْ﴾ تفرح ﴿يَا أَيُّهَا الْأَعْدَاءُ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ أشركه في الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة فيه ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾

قوله: ﴿قال﴾ أي هارون. قوله: (بكسر الميم وفتحها) أي قرأ الأخوان، وأبو بكر، وابن عامر هنا، وفي طه بكسر الميم والباقون بفتحها. فأما قراءة الفتح ففيها مذهبان مذهب البصريين أنهما بنيا على الفتح لتركيبهما تركيب خمسة عشر، فعلى هذا فليس ابن مضافاً لأم بل مركب معها فحركتها حركة بناء. والثاني مذهب الكوفيين، وهو أن ابن مضاف لأم وأم مضافة لياء المتكلم، وقد قلبت ألفاً كما تقلب في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم نحو: يا غلاماً ثم حذفت الألف واجتزأ عنها بالفتحة يجتزأ عن الياء بالكسرة، وحيث حذف حركة ابن حركة إعراب، وهو مضاف لأم فهي في محل خفض بالإضافة، وأما قراءة الكسر فعلى رأي البصريين هو كسر بناء لأجل ياء المتكلم بمعنى أنا أضفنا هذا الاسم المركب كله لياء المتكلم فكسر آخره، ثم اجتزأ عن الياء بالكسرة وعلى رأي الكوفيين يكون الكسر كسر إعراب وحذفت الياء مجتزأً عنها بالكسرة كما اجتزأ عنها بالفتحة اهـ سمين.

قوله: (وذكرها) أي الأم أعطف لقلبه. هذا جواب عما يقال إن هارون شقيق موسى، فلم اقتصر في خطابه على الأم وكان هارون أكبر من موسى وكان كثير الحلم، ولهذا كان محبباً في بني إسرائيل اهـ من الخازن.

وفي الكرخي: كان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين اهـ.

قوله: ﴿استضعفوني﴾ أي وجدوني ضعيفاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكادوا يقتلونني﴾ أي لأنني نهيتهم عن عبادة العجل، وعبارة البيضاوي: ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ هذا إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى: بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قلتي، انتهت.

قوله: ﴿فلا تسمت بي الأعداء﴾ أصل الشماتة الفرح ببلية من تعادية وبعاديك يقال: شمت فلان بفلان إذا سر بمكروه نزل به، والمعنى لا يسر الأعداء بما تفعل بي من المكروه اهـ خازن.

وفي المصباح: شمت به يشمت من باب سلم إذا فرح بمصيبة نزلت به والاسم الشماتة وأشمت الله به العدو اهـ.

قوله: ﴿قال﴾ أي موسى ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ الخ، وذلك لما تبين له من عذر أخيه هارون اهـ خازن.

وقوله: (ما صنعت بأخي) أي وفعلت من إلقاء الألواح وقوله: ﴿ولأخي﴾ أي اغفر له تفريطه في عدم منعهم اهـ من البيضاوي.

قوله: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ الخ أقيل ما ذكر قد وقع قبل نزول هذه الآية، فما وجه الاستقبال؟

غَضَبٌ ﴿عَذَابٌ﴾ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿فَعَذَّبُوا بِالْأَمْرِ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وَكَذَلِكَ ﴿كَمَا جَزَيْنَاهُمْ﴾ تَجْرِي الْمَقْدَرَاتِ ﴿١٥٢﴾ عَلَى اللَّهِ بِالْإِشْرَافِ وَغَيْرِهِ ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رَجَعُوا عَنْهَا ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بِاللَّهِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أَيِ التَّوْبَةِ ﴿لَعَنُوكَ﴾ لَهُمْ ﴿رَجِيمٌ﴾ ﴿١٥٣﴾ بِهِمْ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سَكَنَ ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾ الَّتِي أَلْقَاهَا ﴿وَفِي

ووجهه أن هذا الكلام خبر عما أخبر الله به موسى حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل، فالاستقبال بالنظر إلى إخبار الله لموسى أهد من الخازن.

قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متعلق لكل من الغضب والذلة وقوله: فعذبوا الخ نفس ونشر مرتب أهد شيخنا.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي التي جعلتها عبادة العجل أهد.

قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ في هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه، حتى عبر عن سكونه بالسكوت أهد يضاوي.

وقوله: مبالغة وبلاغة الخ هذا إشارة إلى أن في قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ استعارتين استعارة بالكناية بتشبيه الغضب بإنسان ناطق يغري موسى، ويقول له: قل لقومك كذا وكذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك، ثم يقطع الإغراء ويترك الكلام واستعارة تصريحية تبعية بتشبيه السكون بالسكوت أهد زاده وزكريا.

قوله: ﴿وَفِي نَسْخَتِهَا﴾ فعلة بمعنى مفعول أي منسوخها، أي مكتوبها، فالنسخ يطلق على الكتابة كما يطلق على النقل والتغيير والإضافة على معنى في أي المنسوخ والمكتوب فيها. استفيد هذا كله من صنيع الشارح، والمكتوب إما النقوش وهو ظاهر، وإما الألفاظ أو المعاني بواسطة كتابة النقوش الدالية عليهما أهد شيخنا.

وفي الخازن: وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل والتحويل، فإذا نسخت كتاباً من كتاب حرفاً بحرف، فقد نسخت هذا الكتاب فهو نقلك ما في الأصل إلى الفرع، فعلى هذا قيل: أراد بها الألواح، لأنها نسخت من اللوح المحفوظ. وقيل: أراد بها النسخة المكتوبة من الألواح التي أخذها موسى بعد ما تكسرت. وقال ابن عباس، وعمرو بن دينار: لما ألقى الألواح فتكسرت صام أربعين يوماً، فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الأولى بعينه فيكون نسخها نقلها. قال القشيري: فعلى هذا وفي نسختها أي وفيما نسخ في الألواح المتكسرة ونقل إلى الألواح الجديدة، وعلى قول من قال إن الألواح لم تتكسر، وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معني وفي نسختها المكتوب فيها أهد.

قوله: (أي ما نسخ فيها أي كتب) أشار إلى جواب كيف. قال: ﴿وَفِي نَسْخَتِهَا﴾ ولم يقل فيها، وإنما يقال نسخها لشيء كتبه مرة ثم نقله ثانياً، فأما أول مكتوب فلا يسمى نسخة. وإيضاحه ما قيل إن الله تعالى لقن موسى التوراة، ثم أمره بكتابتها فنقلها من صدره إلى الألواح فسميها نسخة، وقيل: لما ألقى الألواح انكسر منها لوحان، فنسخ ما فيهما نسخة أخرى، وكان فيهما الهدى والرحمة أهد كرخي.

تُسَخِّتَهَا أَي ما نسخ فيها أي كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه ﴿وَأَخَذَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبد العجل بأمره تعالى ﴿لِيَقْبَلُوا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم

وقال عطاء: ﴿وفي نسختها﴾ معناه وفيما بقي منها، وذلك أنه لم يبق منها إلا سبعة وذهب ستة أسباعها، ولكن لم يذهب من الحدود والأحكام شيء اهـ قرطبي.

قوله: ﴿هم لربهم يرهبون﴾ هم مبتدأ، وي رهبون خبره، والجملة صلة الموصول، وقوله: ﴿لربهم﴾ متعلق بيرهون واللام زائدة لتقوية العالم لضعفه بالتأخر اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: وأدخل اللام على المفعول أي الذي هو ربهم لتقدمه أي على الفعل لأنه لما تقدم ضعف، فقوي باللام كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]. وقال المبرد: اللام متعلقة بمصدر مقدر أي رهبتهم لربهم، وردّ بأن فيه حذف المصدر وإبقاء معموله، ولا يجوز عند البصريين إلا في الشعر، وأيضاً فهو مخرج للكلام عن فصاحته، وقيل: هي بمعنى من أجل ربهم لا للرياء والسمعة، فمفعول يرهبون على هذا محذوف أي يرهبون عقابه اهـ.

قوله: (أي من قومه) أشار به إلى أن اختار يتعدى إلى مفعولين، أحدهما: بحرف الجر وقد حذف ههنا، والتقدير كما ذكره، والمفعول الأول سبعين أي اختار موسى سبعين رجلاً من قومه، وأعرب بعضهم قومه الأول وسبعين بدلاً منه بدل بعض من كل وحذف الضمير أي سبعين منهم، ويحتاج هذا إلى مفعول ثان وهو المختار منه، وفيه تكلف بحذف رابط البدل والمختار منه اهـ الكرخي.

قوله: ﴿سبعين رجلاً﴾ روي أن الله تعالى أمره أن يأتيه في سبعين رجلاً من بني إسرائيل، فاختر من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال: ليتخلف منكم رجلاً فتشاحوا، فقال: لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع، وذهب معه الباقيون. وروي أنه لم يصب إلا ستين شيخاً، فأوحى الله إليه أن يختار من الشبان عشرة فاخترهم، فأصبحوا شيوخاً فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه اهـ خطيب.

قوله: (ممن لم يعبدوا العجل) وجملتهم اثنا عشر ألفاً. وكان جملة بني إسرائيل الذي خرجوا معه من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفاً، فكلهم عبدوا العجل إلا هذه الشردمة القليلة، وقوله: بأمره تعالى متعلق باختر اهـ شيخنا.

قوله: (أي للوقت الذي وعدناه) أي موسى. قوله: (ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل) أي ليسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم الذين عبدوه اهـ أبو السعود.

فهذا الميقات غير ميقات الكلام السابق في قوله: ﴿وواعدنا موسى﴾ إلخ، فهذا بعد ميقات الكلام ولم يبينوا مدة هذا اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات. فقيل: إنه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسأله فيه الرؤية، وذلك لما خرج إلى طور سيناء أخذ معه هؤلاء السبعين، فلما دنا موسى من الجبل

العجل فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألو الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَلَيْسَ أَتْلِكَ كَلَامًا﴾

وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه، وقال للقوم: ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام، ووقعوا سجداً وسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه أفعَل كذا لا تفعل كذا لا تفعل كذا، فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية.

وقال السدي: إن الله أمر موسى أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً ثم ذهب بهم إلى ميقات ربه ليعتذروا، فلما أتوا إلى ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته فأمرناه، فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ اهـ.

قوله: (فخرج بهم) معطوف على اختار. قوله: ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ اختلفوا هل كان مع الرجفة موت أم لا؟ ومعظم الروايات على أنهم ماتوا بها، وقال وهب: لم يموتوا، ولكنهم لما رأوا الهيئة أخذتهم الرعدة، فلما رأى موسى منهم ذلك خاف عليهم الموت فدعا ربه وبكى، فكشف الله عنهم تلك الرجفة اهـ من الخازن.

وفي القرطبي: وقد تقدم في البقرة عن وهب بن منبه أنهم ماتوا يوماً وليلة اهـ.

قوله: (لم يزايلوا) أي لم يفارقوا قومهم الخ فعقابهم بالرجفة من حيث إقرارهم على المنكر وعدم تجنبهم من فعله. وفي الكرخي: لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل أي ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، وفي هذا إشارة إلى الجواب عما يقال كيف أخذتهم الرجفة وهم لم يعبدوا العجل اهـ.

قوله: (وهم غير الذين سألو الرؤية) أي غير السبعين الذين سألو معه الرؤية أي لأنهم كانوا في ميعاد أخذ التوراة لا في ميعاد الاعتذار عن عبادة العجل. وفي الكرخي: وهم غير الذي سألو الرؤية أي جهرة، بل كانوا سبعين قبل هؤلاء الذين أخذتهم الرجفة، وهم أخذتهم الصاعقة فماتوا اهـ.

قوله: ﴿لو شئت أهلكتهم﴾ مفعول المشيئة محذوف أي لو شئت إهلاكنا. وقوله: ﴿أهلكتم﴾ جواب لو والأكثر الإتيان باللام في هذا النحو، ولذلك لم يأت مجرداً منها إلا هنا وفي قوله: ﴿لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ [الأعراف: ١٠٠] وفي قوله: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾ [الواقعة: ٧] اهـ كرخي.

قوله: (ليعاين بنو إسرائيل ذلك) أي هلاكهم ولا يتهموني أي يقتلهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإياي﴾ معطوف على الهاء في أهلكتم. وقال موسى: هذا تسليم لقضاء الله، وإن كان لم يسبق منه ما يوجب هلاكه اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: ﴿لو شئت أهلكتم﴾ من قبل عبادة العجل وإياي يقتلي القبطي اهـ.

فَعَلَّ السَّفَهَاءَ مِنَّا ﴿ اسْتَغْفَامِ اسْتَغْفَامِ أَي لَا تَعْزِبُنَا بِذَنْبِ غَيْرِنَا ﴾ ﴿ إِنَّا ﴾ مَا ﴿ هِيَ ﴾ أَي الْفِتْنَةُ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا السَّفَهَاءُ ﴿ إِلَّا فِتْنَتَكَ ﴾ ابْتِلَاؤُكَ ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ﴾ إِضْلَالُهُ ﴿ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ هِدَايَتُهُ ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا ﴾ مَتَوَلِّي أُمُورِنَا ﴿ فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ ﴿ وَكَتُبَ ﴾ أَوْجِبَ ﴿ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ حَسَنَةً ﴿ إِنَّا هَذَا ﴾ بَنَا ﴿ إِلَيْكَ قَالِ ﴾ تَعَالَى ﴿ عَذَابٌ أُصِيبَ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ تَعْزِيبُهُ ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ ﴾ عَمَتْ ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

قوله: (أي لا تعذبنا بذنب غيرنا) أشار به إلى أن الاستغفام الذي للاستغفام معناه النفي، ويجوز أن تكون الهمزة لإنكار وقوع الإهلاك ووقوع الإهلاك ثقة بلطف الله تعالى قاله ابن الأنباري اهـ كرخي.

قوله: (أي الفتنة) وهي عبادة العجل. قوله: (ابتلاؤك) أي حيث أوجدت خوار العجل أو أسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية اهـ كرخي.

وفي الخطيب: إن هي ﴿إلا فتنتك﴾ المعنى أن تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن ﴿إلا فتنتك﴾ أي اختبارك وإبتلاؤك، وهذا تأكيد لقوله ﴿أنهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ لأن معناه لا تهلكنا بفعلهم، فإن تلك الفتنة كانت اختباراً منك وإبتلاء أضللت بها قوماً فافتتنوا بأن أوجدت في العجل خواراً فزاعوا به وأسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية وهديت قوماً فعصمتهم منها حتى ثبتوا على دينك، وذلك معنى قوله: ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾ اهـ.

قوله: ﴿واكتب لنا﴾ أي حقق واثبت اهـ أبو السعود. وهذا من جملة دعاء موسى، فأوله أنت ولينا وآخره إنا هدنا إليك اهـ من الخازن. وحيث فلا ينبغي جعل قوله: ﴿واكتب لنا﴾ أول الربع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي ما يحسن من نعمة وطاعة وعافية، وقوله: ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ وهي الجنة اهـ.

قوله: ﴿إنا هدنا إليك﴾ الجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء، فإن التوبة مما يوجب قبوله اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: وهدنا من هاد يهود إذا رجع، وأصل اليهود الرجوع برفق، وبه سميت اليهود، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم وبعده صار اسم ذم وهو لازم لهم اهـ. قوله: (تبنا) أي رجعنا عن المعصية التي جئناك للاعتذار منها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قال عذابي﴾ الخ استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الكلام، كأنه قيل: فلماذا قال الله عند دعاء موسى؟ فقيل: قال عذابي الخ أي وهم ممن تناولته مشييتي، فجعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي كقتل أنفسهم فيها اهـ من أبي السعود.

قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ أي وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي اهـ أبو السعود.

وَيُؤْتُونَكَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ ﴿مُحَمَّدًا ﷺ﴾ ﴿الَّذِي

ولما نزلت هذه الآية فرح إبليس وقال: أنا من ذلك الشيء، فصرفها الله عنه فأنزل ﴿فَسَاكِبْهَا﴾ الخ، فقالت اليهود: نحن نقفي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا، فأخرجهم الله منها، وأثبتها لهذه الأمة، فأنزل ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ الخ اهـ خازن.

وفي الخطيب: ﴿ورحمتي وسعت﴾ أي عمت وشملت كل شيء في خلق في الدنيا ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي، وهذا معنى حديث أبي هريرة في الصحيحين: «إن رحمتي سبقت غضبي» وفي رواية غلبت غضبي وأما في الآخرة فقال تعالى: ﴿فَسَاكِبْهَا﴾ الخ اهـ. قوله: ﴿فَسَاكِبْهَا﴾ أثبتنا في الآخرة أي حال كونها في الآخرة، فالتي في الآخرة خاصة بمن ذكر، والتي في الدنيا عامة للبر والفاجر اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: ﴿فَسَاكِبْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الخ قال بعضهم: قال الله لموسى: أجعل لك الأرض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدرتكم الصلاة، وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلب يحفظها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير. فقال موسى ذلك لقومه، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب، ولا نقرأوها إلا نظراً. قال تعالى: ﴿فَسَاكِبْهَا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. فجعل هذه الأمور لهذه الأمة اهـ.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فيه تعريض بقومه، كأنه قيل لا لقومك لأنهم غير متقين فيكفهم ما قدر لهم من الرحمة، وإن كانت مقارنة للعذاب الدنيوي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ خصها لأنها كانت أشق عليهم، ولعل الصلاة إنما لم تذكر مع إناقتها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالانقضاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بلسرها وترك العيكرات عن آخرها اهـ كرخي.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ في محله أوجه، أحدها: الجر نعتاً لقوله ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. والثاني: أنه بدل منه. الثالث: أنه منصوب على القطع. الرابع: أنه مرفوع على خبر ابتداء مضمرة وهو معنى القطع اهـ سمين.

وقوله: الرسول أي الذي نوحى إليه كتاباً مختصاً اهـ أبو السعود. وفي الخازن: ذكر الإمام فخر الدين الرازي: في معنى هذه التبعية وجهين.

أحدهما: أن المراد بذلك أن يتبعوه باعتقاده نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة، إذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائع قبل أن يبعث إلى الخلق. قال: وفي وقوله: والإنجيل أن المراد سجدونه مكتوباً في الإنجيل، لأن من المحال أن يجده فيه قبل ما أنزل الله الإنجيل.

الوجه الثاني: أن المراد بالذين يتبعون الرسول من أدرك من بني إسرائيل زمان رسول الله ﷺ، فبين تعالى أن هؤلاء المدركين له لا تكتب لهم رحمة الآخرة، إلا إذا تبعوه. قال: وهذا القول أقرب لأن اتباعه قبل أن يبعث لا يمكن، فبين بهذه الآية أن هذه الرحمة لا يفوز من بني إسرائيل إلا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بالآيات في زمن موسى عليه السلام، ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله ﷺ

يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿١٥٧﴾ بِاسْمِهِ وَصَفْتَهُ ﴿١٥٨﴾ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ

وكان مع ذلك متبعاً لرسول الله ﷺ في شرائعه. فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله: ﴿الذين يتبعون الرسول﴾ من بني إسرائيل خاصة، ويكون المراد بالقصر الذي يفهم من هذا التركيب القصر النسبي الإضافي، والمعنى: فسأجعلها خاصة بمن يتبع محمداً من أهل الكتاب دون من بقي على دينه منهم فليس له نصيب في رحمة الآخرة، وهذا لا ينافي أن رحمة الآخرة تعم المؤمنين من سائر الأمم. وجمهور المفسرين على خلاف ذلك، فإنهم قالوا المراد بهم جميع أمته الذين آمنوا به واتبعوه. سواء كانوا من بني إسرائيل أو من غيرهم، وأجمع المفسرون على أن المراد من قوله: ﴿الذي يتبعون الرسول﴾ محمداً ﷺ اهـ من الخازن مع زيادة.

لكن يرد على هذا الاحتمال أن رحمة الآخرة تكون مقصورة على الأمة المحمدية، وأنها لا تتناول سائر الأمم، وهذا غير صحيح تأمل. ثم رأيت في الشهاب على البيضاوي ما نصه: فإن قيل: الرحمة الأخروية لو اختصت ببني إسرائيل الموجودين في زمن محمد ﷺ الذين آمنوا به للزم أن لا تثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك، فالجواب أن الاختصاص إضافي أي لا تتجاوزهم إلى طائفة أخرى وهي من لم يؤمن من بني إسرائيل الموجودين في زمانه ﷺ اهـ.

قوله: ﴿الأمي﴾ نسبة إلى الأمر كأنه باق على حالته التي ولد عليها اهـ أبو السعود.

والمراد به الذي لا يقرأ الخط ولا يكتب، وهذا الوصف من خصوصياته ﷺ، إذ كثير من الأنبياء كان يكتب ويقرأ اهـ كرخي.

والعامة على ضم الهمزة إما نسبة إلى الأمة وهي أمة العرب، وذلك لأن العرب لا تحسب ولا تكتب. ومنه الحديث: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب». وإما نسبة إلى الأم وهو مصدر أم يؤم أي قصد يقصد، والمعنى على هذا أن هذا النبي الكريم مقصود لكل أحد وفيه نظر، لأنه كان ينبغي أن يقال الأمي بفتح الهمزة. وخرجها بعضهم على أنه من تغيير النسب، وسيأتي أن هذه قراءة بعضهم، وإما نسبة إلى أم القرى وهي مكة، وإما نسبة إلى الأم كان الذي لا يقرأ ولا يكتب على حالة ولادته من أمه. وقرأ يعقوب الأمي بفتح الهمزة، وخرجها بعضهم على أنه من تغيير النسب كما قالوا في النسب إلى أمية أموي، وخرجها بعضهم على أنها نسبة إلى الأم وهو القصد أي الذي هو القصد والسداد، فقد تحصل أن كلا من القراءتين يحتمل أن تكون مغيرة من الأخرى اهـ سمين.

قوله: ﴿الذي يجدونه﴾ الظاهر أن وجد هذه متعددة لواحد لأنها بمعنى اللقي، والتقدير: يلقونه أي يلقون اسمه ونعته مكتوباً، لأنه بمعنى وجدان الضالة فيكون مكتوباً حالاً من الهاء في يجدونه. وقال أبو علي: إنها متعددة لاثنتين أولهما الهاء، والثاني مكتوباً قال: ولا بد من حذف مضاف أعني ذكره أو اسمه. قال سيبويه: تقول إذا نظرت في هذا الكتاب هذا عمرو، وإنما المعنى هذا اسم عمرو أو هذا ذكر عمرو، قال: هذا يجوز على سعة الكلام اهـ سمين.

قوله: ﴿عندهم﴾ ذكر هذا الظرف إشارة إلى أن شأنه حاضر عندهم لا يغيب عنهم أصلاً اهـ أبو السعود.

وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴿١٥٧﴾ مِمَّا حَرَّمَ فِي شُرْعِهِمْ ﴿١٥٨﴾ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴿١٥٩﴾ مِنَ الْفَجَةِ وَنَجَسِهَا ﴿١٦٠﴾ وَيَنْقُصُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴿١٦١﴾ ثِقَلَهُمْ ﴿١٦٢﴾ وَالْأَغْلَالَ ﴿١٦٣﴾ الشَّدَائِدَ ﴿١٦٤﴾ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٦٥﴾ كَقَتْلِ النَّفْسِ فِي التَّوْبَةِ وَقَطْعِ أَثَرِ

وهذا الظرف وعديله كلاهما متعلق بيجدون، ويجوز وهو الظاهر أن يتعلقا بمكتوبا أي كتب اسمه ونعته عندهم في توراتهم وإنجيلهم اهـ سمين

وذكر الإنجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر محمد ﷺ، والقرآن قبل مجيئهما اهـ أبو السعود.

قوله: (باسمه وصفته) ذكر الخميس في تاريخه أن لفظ محمد مذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ: المنحما بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم الثانية أو فتحها، والكسر أفصح وبعدها نون مشددة بعدها ألف، ومعنى هذا اللفظ في تلك اللغة هو معنى لفظ محمد، وهو الذي يحمده الناس كثيراً. وذكر أن لفظ أحمد مذكور في الإنجيل بهذا اللفظ العربي الذي هو لفظ أحمد وفيه أيضاً ما نصه: وذكر الحسن بن محمد الدامغي في كتاب شوق العروس وأنس النفوس نقلاً عن كعب الأحبار أنه قال: اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد، وعند سائر الملائكة عبد الحميد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القاهر، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيم، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وفي التوراة موزمود، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي المصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله طه ومحمد ﷺ اهـ بحروفه.

قوله: ﴿يَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ حال من الرسول، وهذا إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ من جملة أوصافه المكتوبة في الكتابين كما يستفاد من عبارة أبي السعود الآية قوله: (مما حرم في شرعهم) وهو لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر اهـ خازن.

قوله: (ونحوها) كالدّم ولحم الخنزير اهـ خازن.

قوله: ﴿وَيُضِعُّ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ يعني ثقلهم، والإصر الثقل الذي يَأْصِرُ صاحبه أي يحبسُه عن الحركة لثقله والمراد بالإصر هنا العهد والميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من الأحكام، فكانت تلك الشدائد والأغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الأثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشرعة، وذلك مثل قتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في يوم السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني إسرائيل شبهت بالأغلال مجازاً، لأن التحريم يمنع من الفعل كما أن الغل يمنع من الفعل. وقيل: شبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق، فكما أن اليد لا تمتد مع وجود الغل، فكذلك لا تمتد إلى الحرام التي نهيت عنه، وكانت هذه الأثقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد ﷺ نسخ ذلك كله اهـ خازن.

وفي المصباح: الغل بالضم طوق من حديد يجعل في العنق اهـ.



النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَأَتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي

قوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ بيان لكيفية اتباعه وبيان لعلو رتبة المتبعين له اهـ أبو السعود.

قوله: (وقروه) أي عظموه، وأصل التعزيز المنع والنصرة، وتعزير الشيء تعظيمه وإجلاله ودفع الأعداء عنه، وهو قوله: ونصروه أي على أعدائه اهـ خازن. يعني أن قوله ونصروه عطف لازم اهـ.

قوله: (أي القرآن) عبّر عنه بالنون المنبئ عن كونه ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره، وقضية كلامه أن معه متعلق باتبعوا أي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه ﷺ بالعمل بسنته، ومما أمر به ونهى عنه واتبعوا القرآن كما اتبعه هو مصاحبين له في اتباعه، وهذا جواب لما يقال القرآن لم ينزل معه بل نزل عليه، وإنما نزل مع جبريل اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: أنزل معه على حذف مضاف أي مع نبوته اهـ.

قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إشارة إلى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للإشعار بعليتها للحكم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الخ لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله، وشرف من اتبعه أمره ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بأهلهم، بل هي شاملة لكل من اتبعه مع اختصاص رسالة كل رسول بقومه، وإرسال موسى إلى فرعون وقومه، مع أنهم غير بني إسرائيل إنما كانت يأمرهم بعبادة الله وإرسال بني إسرائيل من الأسر. وأما العمل بأحكام التوراة فمختص ببني إسرائيل اهـ أبو السعود. وذلك لأن التوراة لم تنزل على موسى إلا بعد غرق فرعون وقومه اهـ.

قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ضمير إليكم. وقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ﴾ يجوز فيه الرفع والنصب والجعر، فالرفع والنصب على القطع وقد سبق غير مرة، والجعر من وجهين: إما النعت للجلالة وإما البدل منها اهـ سمين.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا محل لهذه الجملة من الإعراب. إذ هي بدل من الصلة قبلها وفيها بيان لها، لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة، وكذا قوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ هي بيان لقوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبقت لبيان اختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره قال ذلك الزمخشري اهـ سمين.

قوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال الزمخشري: فإن قلت: هلا قيل فآمنوا بالله وببي بعد قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. قلت: عدل عن المضمهر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقه الالتفات من البلاغة، وليعلم أن الذي يجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائناً من كان أنا أو غيري إظهاراً للنصفة اهـ سمين.

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴿١٥٨﴾ الْقُرْآنَ ﴿١٥٩﴾ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾ تَرْتَدُّونَ ﴿١٦١﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٍ ﴿١٦٢﴾ جَمَاعَةٌ ﴿١٦٣﴾ يَهْتَدُونَ ﴿١٦٤﴾ النَّاسَ ﴿١٦٥﴾ بِالْحَقِّ وَيَدَّيْنَهُمْ يُدْخِلُونَ ﴿١٦٦﴾ فِي الْحَكْمِ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ ﴿١٦٨﴾ فَرَقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٦٩﴾ أَفْئِدَتَيْنِ عَشْرَةَ ﴿١٧٠﴾ حَالَ ﴿١٧١﴾ أَسْبَاطًا ﴿١٧٢﴾ بَدَلَ مِنْهُ أَيِّ قَبَائِلَ ﴿١٧٣﴾ أُمَّةً ﴿١٧٤﴾ بَدَلَ مِمَّا قَبْلَهُ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ سِيقَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ﴿١٧٦﴾ فِي التِّيهِ ﴿١٧٧﴾ أَنْفَ ضَرَبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴿١٧٨﴾ فَضْرِبَهُ ﴿١٧٩﴾ فَالْبَحْسَتْ ﴿١٨٠﴾ أَنْفَجَرَتْ

قوله: (ترشدون) بابه تعب ونصر، وفي المصباح: الرشد الصلاح، وهو خلاف الغي والضلال، وهو إصابه الصواب ورشد رشداً من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد، والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة ورشده القاضي ترشيداً جعله رشيداً اهـ.

قوله: ﴿ومن قوم موسى﴾ الخ استئناف مسوق لدفع ما عسى أن يتوهم من تخصيص كتابة الرحمة بمن يتبع محمداً، وذلك المتوهم هو حرمان قوم موسى من كل خير، وبيانه أنهم ليسوا كلهم يحرمون منها، بل منهم أمة الخ، وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية اهـ أبو السعود.

واختلف في هؤلاء القوم فقيل: هم الذين أسلموا من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس إليه اهـ خازن.

فإن قيل: إن هؤلاء القوم كانوا قليلين في العدد، ولفظ الأمة ينبيء عن الكثرة، فالجواب: أنهم لما أخلصوا في الدين جاز الأمة عليهم كقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ [النحل: ١٢٠] اهـ كرخي.

قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة وهي مع مدخولها في محل الحال من الواو في يهدون أي يهدون الناس حال كونهم ملتبسين بالحق.

قوله: ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة﴾ الظاهر أن قطعناهم متعدد لواحد، لأنه لم يضمن معنى ما يتعدى لاثنتين فعلى هذا يكون اثنتي عشرة حالاً من مفعول قطعناهم، أي فرقناهم معدودين بهذا العدد، وجوز أبو البقاء أن يكون قطعناهم بمعنى صيرناهم، وأن اثنتي عشرة مفعول ثان، وجزم الحوفي بذلك، وتمييز اثنتي عشرة محذوف لفهم المعنى تقديره اثنتي عشرة فرقة وأسباطاً بدل من ذلك التمييز اهـ سمين.

وعشرة بسكون الشين باتفاق السبعة. وسبب تفرقهم اثنتي عشرة أن أولاد يعقوب كانوا كذلك، فكل سبط ينتمي لواحد منهم، والأسباط جمع سبط وهو ولد الولد، فهو كالحفيد هكذا في كتب اللغة، وتخصيص السبط بولد البنت، والحفيد بولد الابن أمر عرفي اهـ شيخنا.

قوله: (أي قبائل) فيه مسامحة، وذلك لأن القبائل تقال لفرق العرب وهم بنو إسماعيل، وأما بنو إسرائيل فيقال فيهم أسباط، ومراده أنهم كالقبائل، في التفرق والتعدد اهـ شيخنا.

قوله: (بدل مما قبله) أي فهو بدل من البديل وهو الأسباط اهـ.

قوله: ﴿إذ استسقاها قومه﴾ أي طلبوا منه السقيا وقد عطشوا في التيه. قوله: ﴿الحجر﴾ وهو الذي فر بثوبه خفيف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان اهـ منه في سورة البقرة.

﴿وَمِنَهُ أُنْثَىٰ عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ في التيه من حر الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ﴾ هما الترنجيبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُونُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا

قوله: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ يجوز في أن تكون المفسرة للإيحاء، وأن تكون المصدرية اهـ سمين.

وقد تقدمت قصة العصا والحجر في سورة البقرة. قوله: ﴿فَانْبَجَسْت﴾ في المصباح: بجست الماء بجساً من باب قتل فانجس بمعنى فجرته فانفجر اهـ.

قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أي العلم الضروري الذي خلقه الله في كل، وأناس اسم جمع واحده إنسان وقيل: جمع تكسير له، وفي المصباح: والإنسان اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، والواحد والجمع والأناس بالضم مشتق من الأنس وقد تحذف همزته تخفيفاً على غير قياس فيصير ناس اهـ. قوله: ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ أي عينهم الخاصة بهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ أي السحاب أي جعلناه بحيث يلقي ظله عليهم ويسير بسيرهم ويسكن بإقامتهم، وكان ينزل لهم بالليل من السماء عمود من نور يسرون بضوئه اهـ أبو السعود.

قوله: (هما الترنجيبين) وهو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل إنسان صاعاً، وكانت الريح الجنوب تسوق الطير السماني عليهم، فيأخذ كل رجل منهم ما يكفيه اهـ أبو السعود والسماني بوزن حيارى. قوله: ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وهو المن والسلوى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ رجوع إلى سنن الكلام الأول بعد حكاية خطئهم، وهو معطوف على جملة محذوفة أي فظلموا بأن كفروا بتلك النعم، وما ظلمونا بذلك الخ اهـ أبو السعود.

ويوضح هذا المقدر ما حكى عنهم في سورة البقرة بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ (اذكر) ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ الخ أي اذكر يا محمد وقت قوله تعالى لأسلافهم ﴿اسْكُونُوا﴾ الخ أي بعد خروجهم من التيه اهـ شيخنا.

قوله: (بيت المقدس) وقيل أريحاء كما تقدم له في سورة البقرة، فالقول المذكور على لسان موسى على الأول قاله لهم قبل أن يموت في التيه أي قال لهم: إذا خرجتم من التيه اسكنوا بيت المقدس الخ، وعلى لسان يوشع على الثاني، وعلى هذا الثاني يكون يوشع قاله لهم بعد أن خرجوا من التيه. قوله: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾ أي من مطاعمها وثمارها حيث شئتم أي من نواحيها من غير أن يراحمكم فيها أحد اهـ أبو السعود.

يَنْهَا حَيْثُ شَعْتُمْ وَقُولُوا ﴿ أَمْرًا ﴾ حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ ﴿ أَيِ بَابِ الْقَرْيَةِ ﴾ سَجْدًا ﴿ سَجُودًا ائْتِنَاءَ ﴾ تَغْفِرُ ﴿ بِالنُّونِ وَالتَّاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ ﴾ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ بِالطَّاعَةِ ثَوَابًا ﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴿ فَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ وَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ ﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْسًا ﴿ عَذَابًا ﴾ مِمَّنِ الْبَكَّةَ بِمَا كَانُوا يَظْلُمُونَ ﴿ وَسَعَلَهُمْ ﴾

قوله: (أمرنا) ﴿حِطَّةً﴾ أي مسألتنا هكذا عبر به الشارح في سورة البقرة حطة أي أن تحط عنا خطايانا. قوله: (سجود ائتنا) أي لا سجوداً شرعياً بوضع الجبهة على الأرض، بل المراد اللغوي وهو الانحناء بأن يكونوا على هيئة الراكعين. قوله: ﴿تغفر لكم﴾ مرتب على قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ و﴿ادخلوا الباب سجداً﴾ قاله أبو حيان اهـ.

قوله: (بالنون) وحيثنذ يقرأ خطاياكم بجمع التفسير بوزن هدايا وجمع السلامة أي خطيئاتكم، وقوله: بالتاء الخ أي تغفر، وحيثنذ يقرأ خطايا بجمع السلامة أي خطيئاتكم أو بالأفراد أي خطيئتك، فعلى التاء لا يقرأ خطايا بوزن هدايا، وعلى الياء لا يقرأ بصيغة الأفراد، فالقراءات أربع وكلها سبعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً﴾ الخ في الكلام حذف لأن بدل يصعد إلى اثنين إلى أحدهما بالياء وهو المتروك، وإلى الآخر بغير الياء، وهو المأخوذ. والتقدير فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولاً غير الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿قولاً غير الذي قيل لهم﴾ أي وبدلوا الفعل أيضاً بدليل ما بعده. قوله: (فقالوا حبة الخ) هذا مجرد هديان منهم قصدهم به أغاظه موسى، وليس له معنى يقابلون به معني القول الذي قيل لهم اهـ شيخنا.

قوله: (على أستاذهم) أي أدبارهم جمع ستة بوزن سبب، وهو الدبر. وفي المصباح: الإست بوزن حمل العجيزة ويراد به حلقة الدبر، والأصل ستة بالتحريك، ولهذا يجمع على أستاذ كسبب وأسباب اهـ.

قوله: (عذاباً) وهو الطاعون ومات به منهم في وقت واحد سبعون ألفاً كما تقدم للشارح في سورة البقرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بما كانوا يظلمون﴾ أي بسبب ظلمهم اهـ.

وفي الخطيب: وهذه القصة أيضاً تقدمت في سورة البقرة لكن ألفاظ هذه الآية تخالف الآية المذكورة في سورة البقرة من وجوه، الأول: أنه قال هناك: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية وهنا قال ﴿إذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ والثاني: أنه قال هناك: فكلوا بالفاء، وقال هنا: وكلوا بالواو. والثالث: أنه قال هناك: رغداً وأسقطه هنا. والرابع: أنه قال هناك: وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، وقال هنا على التقديم والتأخير. والخامس: أنه قال هناك: نخفر لكم خطاياكم، وقال هنا: نخفر لكم خطيئاتكم. والسادس: أنه قال هناك: وسنزيد المحسنين، وهنا حذف الواو. والسابع: أنه قال هناك: فأرسلنا على الذين ظلموا وقال هنا: فأرسلنا عليهم. والثامن: أنه قال هناك: بما كانوا يفسقون، وقال هنا: بما

كانوا يظلمون، ولا منافاة بين هذه الألفاظ المختلفة أما الأول: وهو أنه هناك ادخلوا هذه القرية، وقال هنا: اسكنوا فلا منافاة بينهما، لأن كل ساكن في موضع فلا بد له من الدخول فيه. وأما الثاني: وهو قوله هناك: فكلوا بالفاء، وقيل هنا: وكلوا بالواو، فالفرق بينهما أن للدخول حالة مقتضية للأكل عقب الدخول، فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب، ولما كان السكن حالة استمرار حسن دخول الواو عقب الكسنى، فيكون الأكل حاصلًا متى شاءوا فظهر الفرق. وأما الثالث: وهو أنه ذكر هناك رعداً وأسقطه هنا، فلأن الأكل عقب الدخول ألد وأكمل، والأكل مع السكنى والاستمرار ليس كذلك، فحسن دخول لفظ رعداً هناك دون هنا. وأما الرابع: وهو قوله: هناك ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، وقال هنا على التقديم والتأخير فلا منافاة في ذلك، لأن المقصود من ذلك تعظيم أمر الله تعالى، وإظهار الخضوع والخشوع له، فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير. وأما الخامس: وهو أنه قال هنا خطاياكم وقال هناك خطيئاتكم، فهو إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة، فهي مغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرع. وأما السادس: وهو قوله تعالى هناك: ﴿وسنزيد﴾ بالواو وقال هنا بحذفها.

فالفائدة في حذف الواو أنه تعالى وعد بشيئين بالغفران والزيادة للمحسنين من الثواب، وإسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى، لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل ماذا حصل بعد الغفران؟ فقيل: إنه سيزيد المحسنين. وأما السابع: وهو الفرق بين أنزلنا وبين أرسلنا فلأن الانزال لا يشعر بالكثرة والإرسال يشعر بها، فكأنه تعالى بدأ بإنزال العذاب القليل ثم جعله كثيراً وهو نظير ما تقدم من الفرق بين انبجست وانفجرت. وأما الثامن: وهو الفرق بين قوله تعالى: ﴿يفسقون﴾، وبين قوله تعالى: ﴿يظلمون﴾، فلأنهم لما ظلموا أنفسهم فيما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله فوصفوا بكونهم ظالمين لأجل أنهم ظلموا أنفسهم، وبكونهم فاسقين لأنه خرجوا عن طاعة الله تعالى، فالفائدة في ذكر هذين الوصفين التنبيه على حصول هذين الأمرين. هذا ملخص كلام الرازي رحمه الله تعالى، ثم قال: وتمام العلم بذلك عند الله تعالى اهـ بحروفه.

قوله: ﴿واسألهم﴾ معطوف على اذكر المقدر في قوله: ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا﴾ الخ، وسبب نزولها أن اليهود ادعوا وقالوا لم يصدر من بني إسرائيل كفر ولا مخالفة للرب، وكانوا يعرفون ما وقع لأهل هذه القرية ويخفونه، ويعتقدون أنه لا يعلمه أحد غيرهم، فأمره الله أن يسألهم عن حال أهل هذه القرية، وما وقع لهم توبيخاً وتقريراً لهم بما يعلمون من حال أهلها فذكر لهم قصة أهلها فبهتوا وظهر كذبهم في دعواهم المذكورة، وكانت واقعة أهل القرية المذكورة في زمن داود عليه السلام اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وأسألهم أي أسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقرير وكفر قدمائهم وتجاوزهم لحدود الله وإعلاماً بأن ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها إلا من مارس كتبهم، فقد أحاط به النبي اهـ.

وكون المسؤول اليهود المعاصرين الكائنين في المدينة وما حولها لا ينافية كون السورة مكية لما تقدم في الشارح من أنها مكية إلا ثمان آيات، أولها ﴿واسألهم عن القرية﴾ إلى آخر الثمانية اهـ شيخنا.

يا محمد توبيحاً ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ مجاورة لبحر القلزم وهي أيلة ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَمْدُونُ﴾ يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾ ظرف ليعدون ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ﴾ لا يعظمون السبت أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ يَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا

قوله: ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ لا بد من مضاف محذوف أي عن خبر القرية، وهذا المضاف هو الناصب لهذا الظرف، وهو قوله: ﴿إِذْ يَمْدُونُ﴾، وقيل: هو منصوب بحاضرة. قال أبو البقاء: وسوغ ذلك أنها كانت موجودة ذلك الوقت ثم خرجت. وقدر الزمخشري المضاف أهل، أي عن أهل القرية، وجعل الظرف بدلاً من أهل المحذوف، فإنه قال: إذ يمدون بدل من القرية. والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو بدل اشتغالهم اسمين.

قوله: (وما وقع بأهلها) بدل من القرية. قوله: ﴿إِذْ يَمْدُونُ﴾ ظرف للمضاف المحذوف الذي تقديره عن حالها وخبرها وما جرى لأهلها، أو بدل منه أي من المحذوف اهـ أبو السعود.

قوله: (المأمورين بتركه) أي الصيد فيه أي السبت، فذلك أن اليهود أمرهم الله باتخاذ يوم الجمعة عيداً يعظمونه كما نعظمه، فأبوا واختاروا يوم السبت، فشدد الله عليهم ونهاهم عن الصيد فيه وفيما اختاروه إشاره إلى انقطاعهم عن الخير، إذ السبت في اللغة القطع، فاختاروا ما فيه قطيعتهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونيان لفظاً ومعنى. وقوله: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ مصدر سبتت اليهود إذا عظموا السبت بالتجرد فيه للعبادة، وقيل: إنه اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: وسبت اليهود انقطاعهم عن المعيشة والاكتساب، وهو مصدر يقال سبتوا سبتاً من باب ضرب إذا قاموا بذلك، وأسبتوا بالالف لغة اهـ.

قوله: ﴿شُرْعاً﴾ حال من فاعل تأتيتهم جمع شارع من شرع عليه إذا دنا وأشرف أي تأتيتهم ظاهرة على وجه الماء قرية من الساحل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي لا يراعون أمر السبت، لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر من النظم، بل مع انتفائهما معاً أي لا سبت ولا مراعاة اهـ أبو السعود.

قوله: (ابتلاء من الله) علة لكل من قوله ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ وقوله لا تأتيتهم. قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك البلاء المذكور وهو إتيانها لهم شرعاً في السبت وعدم إتيانها في غيره نبلوهم بلاء آخر بسبب فسقهم المستمر فيهم اهـ أبو السعود.

وفي السمين: ذكر ابن الأنباري والزجاج في هذه الكاف ومجرورها وجهين.

أحدهما: قال أي مثل هذا الاختبار الشديد نخبرهم، فموضع الكاف نصب بنبلوهم، وقال ابن

يَقْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي ﴿وَإِذْ﴾ عطف على إذ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿لَمْ يَعْظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ موعظتنا ﴿مَعَذرة﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ لثلاث

الأنباري: ذلك إشارة إلى ما بعده يريد نبلوهم بما كانوا يفسقون، كذلك البلاء الذي وقع بهم في أمر الحديث، وينقطع الكلام عند قوله لا تأتيهم.

الوجه الثاني: قال الزجاج: ويحتمل على بعد أن يكون ﴿ويوم لا يستبشرون لا تأتيهم﴾ كذلك. أي لا تأتيهم شرعاً، ويكون قوله ﴿نبلوهم﴾ مستأنفاً. قال أبو بكر: وعلى هذا الوجه كذلك راجعة إلى الشروع في وقوله ﴿يوم سيبتهم شرعاً﴾، والتقدير: ﴿ويوم لا يستبشرون لا تأتيهم﴾ كذلك أي شرعاً، وموضع الكاف على هذا نصب بالإتيان على الحال أي لا تأتي مثل ذلك الإتيان، وقوله: ﴿بما كانوا﴾ البلاء سببية وما مصدرية أي نبلوهم بسبب فسقهم اهـ سمين.

قوله: (افترقت القرية) أي أهلها وكانوا نحو سبعين ألفاً اهـ أبو السعود.

قوله: (صادوا معهم) عبارة أبي السعود: ثلث صادوا بدون لفظ معهم، وهي أوضح لأن عبارة الشارح موجبة لصعوبة الفهم.

قوله: (عطف على إذ قبله) أي على إذ يعدون لا على إذ تأتيهم لأنه إما ظرف أو بدل، فيلزم أن يدخل هؤلاء في حكم أهل العدوان وليس كذلك اهـ كرخي. وقوله لمن نهى متعلق بقالت.

قوله: ﴿لم تعظون قوماً﴾ الخ غرضهم بهذا السؤال لوم الناهين في نهيههم حيث وعظوا مع عدم الانتفاع بوعظهم اهـ خازن.

أو أن غرضهم بهذا السؤال بيان الحكمة في الوعظ المذكور كما يستفاد من أبي السعود. قوله: ﴿أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ أي في الآخرة لأنهم لا يتعظون والترديد لمنع الخلق دون منع الجمع، فإنهم مهلكون في الدنيا معذبون في الآخرة وإيثار صيغة اسم الفاعل مع أن كلا من الإهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهم واقعان اهـ كرخي.

قوله: ﴿قالوا معذرة﴾ قرأ العامة معذرة رفعاً على خبر ابتداء مضمراً أي موعظتنا معذرة، وقرأ حفص عن عاصم، وزيد بن علي، وعيسى بن عمر، وطلحة بن مصرف معذرة نصباً وفيها ثلاثة أوجه، أظهرها: أنها منصوبة على المفعول من أجله أي وعظناهم لأجل المعذرة. قال سيبويه: ولو قال رجل لرجل معذرة إلى الله، وإليك من كذا انتصب. الثاني: أنها منصوبة على المصدر بفعل مقدر من لفظها تقديره نعتذر معذرة. الثالث: أن ينتصب انتصاب المفعول به لأن المعذرة تتضمن كلاماً والمفرد المتضمن إذا وقع بعد القول نصب المفعول به، كقلت خطبة. وسيبويه يختار الرفع قال: لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً، ولكنهم قيل لهم: لم تعظون؟ فقالوا: موعظتنا معذرة اسم مصدر وهو العذر، وقال الأزهري: إنها بمعنى الاعتذار والعذر التصل من الذنب اهـ سمين.

قوله: (لثلاث ننسب الخ) فقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروعين في كل الشرائع

ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ﴾ ﴿١٦٦﴾ الصيد ﴿فَلَمَّا سَوْا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ ما وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَنْهَوْنَاهُمْ عَنْ ظُلْمِهِمْ كُنُوا قَرَدًا﴾ صاغرين ﴿١٦٨﴾ فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدري ما فعل بالفرقة

قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ﴾ عطف على المعنى، إذ التقدير موعظتنا للاعتذار ولعلهم الخ: قوله: (تركوا). أي فالمراد بالنسيان لازمه وهو الترك.

قوله: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ﴾ الخ وقوع هذا في حيز الجواب مع أنه لا يترتب على الشرط الذي هو نسيان المعتدين، وإنما يترتب عليه هلاكهم لما أن ما في حيز الشرط شيان: البليان والتذكير، كأنه قيل: فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين اهـ أبو السموذ.

قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾ الباء للتعدي، وقوله: بئس فعيل من بؤس بؤساً إذا اشتدت. وقرأ أبو بكر بئس على وزن فيعل كضيغم، وابن عامر بش بكسر الباء وتكون الهمزة على أن أصله بش كحذر، فخففت عينه بنقل حركتها إلى الفاء كلبد في لبد، ونافع ييس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب، أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسماً، وقرئ ييس كريس على قلب الهمزة ياء ثم إدغامها وييس على التخفيف كهيمن وبئس على وزن فاعل اهـ يضاوي.

قوله: ﴿عَنْ﴾ (ترك) ﴿مَنْهَوْنَاهُمْ﴾ قدر المضاف أعني ترك لأن التكبر والالإباء عن نفس المنهي عنه لا يذم، كما في قوله: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧] أي عن إيمانه وهو مثال لتقدير المضاف مطلقاً لاقتضاء المعنى مع المناسبة بين الأمر والنهي اهـ شهاب.

قوله: ﴿كَانُوا﴾ أمر تكوين لأقول فهو بمعنى الفعل لا الكلام، وقوله: فكانوها أي صورة ومعنى، وقال الزجاج: أمروا بأن يكونوا كذلك بقول سمع فيكون أبلغ. قال ابن الخطيب: وحمل هذا الكلام على الأمر بعيد، لأن المأمور بالفعل يجب أن يكون قادراً عليه والقوم ما كانوا قادرين على أن يقلبوا أنفسهم قردة اهـ كرخي.

قوله: (وهذا) أي قوله ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ الخ تفصيل لما قبله أي قوله: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الخ. روي أن الناهين لما أيسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم، فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروقي، فأصبحوا يوماً ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين، فقالوا: إن لهم شأنًا فدخلوا عليهم، فإذا هم قيود فلم يعرفوا أقاربهم، ولكن القروء كانت تعرفهم فجعلت تأتي أقاربهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم، ثم ماتوا بعد ثلاث. وعن مجاهد: مسخت قلوبهم لا أبدانهم اهـ يضاوي.

ومسخ القلوب أن لا يوفقوا لفهم الحق اهـ شهاب.

قوله: (قال ابن عباس الخ) غرضه بيان حكم الفرقة الساكنة وما حصل لها، وذلك لأن الآية فيها بيان حال فرقتين فقط حيث قيل فيها: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا﴾ الخ تأمل. وعبرة الكرخي: قال ابن عباس: الخ المأثور عنه رضي الله عنه أنه قال: إن الطائفة الساكنة هلكت مع العصاة عقوبة على ترك النهي، أي فكانها راضية بذلك. وقال أيضاً: ما أدري ما فعل بها وهو الظاهر من الآية،



الساکتة وقال عکرمة لم تهلك لأنها کرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ . وروی الحاکم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم

والأصح أن الفرقة الساکتة نجوا . كذا عن ابن عباس بعد توقفه فيه . وهذا ما أشار إليه الشيخ المصنف آخر كلامه . وعبرة الخازن : روى عکرمة ، عن ابن عباس قال : أسمع الله يقول ﴿أُنَجِّنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ﴾ فلا أدري ما فعل بالفرقة الساکتة وجعل يبكي . قال عکرمة : فقلت له جعلني الله فداك ، ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه ، وقالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم ، ولم يقل الله أنجيتهم ، ولم يقل أهلكتهم . قال : فأعجبه قلبي ورضي به ، وأمر لي ببردین فكسانيهما ، وقال : نجت الساکتة . وقال عمار بن ریان : نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون ، والذين قالوا معذرة ، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن . وقال ابن زيد : نجت الناهية وهلكت الفرقتان ، وهذه الآية أشد آية في ترك النهي عن المنكر اهـ .

قوله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ منصوب على المفعولية بمقدر معطوف على المفعولية واسألهم ، والتقدير : واذكر يا محمد لليهود وقت أن تأذن ربك أي أعلم أسلافهم ، وتأذن فيه أوجه ، أحدها : أنه بمعنى أذن أي أعلم . قال الواحدي : وأكثر أهل اللغة على أن التأذن بمعنى الإيذان وهو الإعلام ، وقيل إن معناه حتم وأوجب ، وقال الزمخشري : تأذن عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام ، لأن العازم على الأمر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله ، وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ، ولذلك أجب بما يجاب به القسم وهو ليعثن اهـ سمين .

والمعنى : واذكر يا محمد إذ أعلم الله أسلافهم على السنة أنبيائهم إن غيروا وبدلوا ولم يؤمنوا بأنبيائهم أن يسلط عليهم من يقاتلهم إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية كذا في التيسير اهـ زاده .

قوله : ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي لیسلمن عليهم . وقوله : ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فيه وجهان ، أحدهما : أنه متعلق بليبعثن وهذا هو الصحيح . الثاني : أنه متعلق بتأذن نقله أبو البقاء ، ولا جائز أن يتعلق بيسومهم لأن من إما موصولة أو موصوفة والصفة لا يعملان فيما قبل الموصول والموصوف اهـ سمين .

قوله : ﴿مَنْ يَسُوءُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ أي يذيقهم . قوله : (وبعده بختنصر) علم مركب تركيباً مزجياً كجعلك ، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتركيب المزجي وإعرابه على الجزء الثاني ، والأول ملازم للفتح ، وبخت في الأصل ، بمعنى ابن ونصر اسم صنم فالمعنى ابن هذا الصنم ، وسمي هذا اللعين بهذا الاسم لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند هذا الصنم اهـ شيخنا .

قوله : (فقتلهم) أي قتل المقاتلين منهم ، وقوله : وسباهم أي سبي نساءهم وصغارهم ، وقوله : وضرب عليهم أي على من لم يقاتل منهم اهـ شيخنا .

قوله : (فضربها عليهم) ولا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر حتى ينزل عيسى ابن مريم ، فإنه

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَأِنَّهُ لَشَفِيعٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَجِمَ﴾ بهم ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ فرقانهم ﴿فِي الْأَرْضِ أَمْمًا﴾ فرقاً ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ نَاسٌ﴾ ﴿ذُونَ ذَلِكِ﴾ الكفار والفساقون ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ يَحْسَنَاتٌ﴾ بالنعم ﴿وَالسَّوْغَاتِ﴾ بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم

لا يقبل الجزية ولا يقبل إلا الإسلام اه خطيب.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ أي إذا جاء وقت العقاب، وإلا فهو شديد التحمل لكم قبل منجئكم وقت العذاب اه شيخنا.

قوله: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ أي بني إسرائيل وجعلنا كل فرقة منهم في قطر بحيث لا تخلو ناحية من الأرض منهم، حتى لا تكون شوكة اه أبو السعود.

فلا توجد بلدة كلها يهود ولا لهم قلعة ولا سلطان، بل هم متفرقون في كل الأماكن اه شيخنا.

قوله: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ أي اليهود الذين كانوا قبل زمن النبي، وأما الكاثولون في زمنه فسيأتي ذكرهم في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الخ اه شيخنا.

قوله: ﴿أَمَّا﴾ إما حال من مفعول قطعناهم، وإما مفعول ثان على ما تقام من أن قطع مضمن معنى صير اه سمين.

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من بني إسرائيل الذين كانوا قبل زمن النبي الصالحون أي الكاملون في الصلاح فهم قسمان مؤمن وكافر اه شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ جملة من مبتدأ وخبر صفة لأممًا وكذا قوله: ﴿وَمِنْهُمْ ذُونَ ذَلِكَ﴾ ولما كان لفظ دون لا يصلح للابتدائية قدر له موصوفاً هو المبتدأ وقوله: الكفار والفساقون بيان لهذا المقدر وتعميم فيه، والإشارة في قوله: ﴿ذُونَ ذَلِكَ﴾ راجعة للوصف وهو الصلاح أو الموصوف، وهو الصالحون على لغة قليلة تستعمل ذلك إشارة للجمع اه شيخنا.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ ذُونَ ذَلِكَ﴾ منهم خبر مقدم، ودون ذلك نعت لمنوعات محذوف هو المبتدأ، والتقدير: ومنهم ناس أو قوم دون ذلك. قال الزمخشري: معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحو، وما منا إلا له مقام معلوم. يعني ما منا أحد إلا له مقام معلوم يعني في كونه حذف الموصوف، وأقيمت الجملة الوصفية مقامه كما قام مقامه الظرف الوصفي، والتفصيل بمن يجوز فيه حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه كقولهم منا ظعن ومنا أقام اه سمين.

قوله: (الكفار) أي هم الكفار والفساقون. قوله: ﴿وَيَبْلُونَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ الخ أي عاملناهم معاملة المبتي المختبر بنحو: النعم والخصب والعافية، وبنحو الجذب والشدائد لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة ربهم فإن كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة. أما الحسنات فللترغيب وأما السيئات فللترهيب اه زاده.

وفي المختار: وبلاء جربه واختبره، وبابه عدا وبلاء الله اختبره ببله بلاء بالمد، وهو يكون بالخير والشر وأبلاء إبلاء حسناً وإبلاء كذلك اه.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء أي الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَأِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ يَرْثُوهُ﴾ الجملة حال أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يَأْخُذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عطف على يؤخذ قرؤوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه

قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي جاء من بعد هؤلاء الذي وصفناهم وقسمناهم إلى القسمين خلف وهو القرن الذي يجيء بعد قرن آخر، والخلف بسكون اللام يستعمل في الشر، ويفتحها في الخير، يقال: خلف سوء بسكون اللام وخلف صدق بفتحها اهـ من الخازن.

وفي البيضاوي: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ خلف بدل سوء مصدر نعت به، ولذلك يقع على الواحد والجمع. وقيل: جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير اهـ.  
وفي السمين: والخلف بفتح اللام وإسكانها هل هما بمعنى واحد أي يطلق كل منهما على القرن الذي يخلف غيره صالحاً كان أو طالهاً أو أن الساكن اللام في الطالع والمفتوحة في الصالح خلاف مشهور بين اللغويين. قال الفراء: يقال للقرن خلف يعني ساكناً، ولمن استخلفته خلف يعني متحرك اللام اهـ.

قوله: (عن آبائهم) أي أسلافهم وإن كانوا أجنب منهم، والمراد بإرثه انتقاله إليهم ووقوعه بين أيديهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يَأْخُذُونَ﴾ استئناف مسوق لبيان ما صنعوا في الكتاب بعد أن ورثوه، فكأنه قيل أخذوا الرشا في الحكومات، وأخذوها على تحريفه، وقيل: إن الجملة حال من الواو وفي ورثوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي عرض الدنيا وهو المال سمي عرضاً لأنه متعرض للزوال سريعاً اهـ خازن.

قوله: (أي حطام هذا الشيء الدنيء) الحطام بالضم المتكسر من شدة اليأس، والمراد حقارته وعرضته للزوال فإن العرض بفتح الراء ما لا ثبات له، ومنه استعار المتكلمون العرض لمقابل الجوهر، وقال أبو عبيدة: العرض بالفتح جميع متاع الدنيا غير التقدين وبالسكون المال والقيم، ومنه الدنيا عرض حاضر وظل زائل اهـ شهاب.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إما عطف أو حال. قوله: (أي يرجون المغفرة النخ) أخذ الرجاء من قوله ويقولون، لأن القول فيه بمعنى الاعتقاد أو الظن وفيه إشارة إلى أن الواو في قوله وإن يأتهم للحال أي: والحال أنهم إن يأتهم، وهذا أخذه من كلام صاحب الكشاف، وقال السفاقي: إنه مستأنف اهـ كرخي.

قوله: (استفهام تقرير) أي بما بعد النفي، فالمعنى أخذ عليهم الميثاق، ولا بد فقوله ﴿ودرسوا ما فيه﴾ عطف على المعنى كما رأيت، فكأنه قال: أخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في الكتاب. قوله: ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾ فيه أربعة أوجه، أحدها: أن محله رفع على البدل من ميثاق لأن قول الحق هو ميثاق

مع الإصرار ﴿وَالَّذِينَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّذَيْنِ يَنْتَقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾، بالياء والناء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿وَالْكِتَابِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾ الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر

الكتاب. الثاني: أنه عطف بيان له وهو قريب من الأول. والثالث: أنه منصوب على أنه مفعول من أجله. قال الزمخشري: وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولاً من أجله، ومعناه لئلا يقولوا، وكان قد فسر ميثاق الكتاب بقوله في التوراة من ارتكب ذنباً عظيماً فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة، وأن على هذه الأقوال الثلاثة مصدرية. الرابع: أن مفسرة لميثاق الكتاب لأن بمعنى القول، ولا ناهية وما بعدها مجزوم بها وعلى الأقوال الأول ولا نافية والفعل منصوب بأن المصدرية، والحق يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون مصدرأ، وأضيف الميثاق للكتاب لأنه مذكور فيه أه سمين. قوله: (بمعنى في) أي الميثاق الكائن في الكتاب أه كرخي.

قوله: (عطف على يؤخذ) أي الداخل عليه لم النافية الداخل عليها هجزة الاستفهام التقريري فالمعنى أنهم أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه، لأن الاستفهام التقريري القصد منه اثبات ما بعد النفي أه شيخنا.

قوله: (فلم كذبوا عليه) أي على الله قوله: ﴿وَالَّذِينَ الْآخِرَةُ﴾ مبتدأ وقوله خير الخ خبر قوله: (الياء) أي: في قراءة أبي عمرو مراعاة للغيبة في الضمائر السابقة، وقوله: والناء أي: بالخطاب في قراءة الباقيين التفاتاً لهم، أو يكون خطاباً لهذه الأمة، أي: أفلا تعقلون حالهم أه كرخي.

قوله: (بالتشديد) أي في قراءة الجمهور مضارع مسك بمعنى تمسك، والتخفيف أي في قراءة شعبة مضارع أمسك أه كرخي. وفي المختار: أمسك بالشيء وتمسك واستمسك به كله بمعنى اعتصم به، وكذا مسك بم تمسكاً أه.

وفي المصباح: مسكت بالشيء مسكاً من باب ضرب وتمسكت وامتسكت واستمسكت بمعنى أخذت به، وتعلقت واعتصمت وأمسكته بيدي أمساكاً قبضته باليد عن الأمر كففت عنه أه.

قوله: ﴿بِالْكِتَابِ﴾ أي الكتاب الأول وهو التوراة، فلم يحرفوه ولم يغيروه فأداهم هذا التمسك إلى الإيمان بالكتاب الثاني وهو القرآن أه خازن.

وفي أبي السعود: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قال مجاهد: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام، فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة، وقال عطاء: هم أمه محمد ﷺ أه.

قوله: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ خصها بالذكر مع دخولها فيما قبلها لإظهاراً لمزيتها لكونها عماد الدين، ونهاية عن الفحشاء والمنكر، فلا يرد أن التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة أه كرخي. قوله: (الجملة) أي قوله ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ أه كرخي.

موضع المضممر أي أجرهم ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُ لَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعده الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة

قوله: (وفيه وضع الظاهر الخ) مراده بهذا بيان الرابط وحاصله: أن الرابط حصل بلفظ المصلحين لأنه قائم مقام الضمير أي أجرهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ معطوف على واسألهم باعتبار عامله المقدر، والغرض من هذا إلزام اليهود والرد عليهم في قولهم إن بني إسرائيل لم يصدر منهم مخالفة في الحق اهـ شيخنا.

وقوله: الجبل هو الطور الذي سمع موسى عليه كلام ربه وأعطى الألواح. وقيل: هو جبل من جبال فلسطين، وقيل: هو الجبل عند بيت المقدس. قيل: إن موسى لما أتى بني إسرائيل بالتوراة وقرأها عليهم، فلما سمعوا ما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم، وأبوا أن يقبلوا ذلك، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ اهـ زاده.

فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على خده وحاجبه الأيسر، وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفاً أن يسقط عليهم، ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم اليسرى اهـ خازن.

وكان ارتفاعه على قدر قامتهم فكان محاذياً لرؤوسهم كالسقيفة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من الجبل وهي حال مقدرة لأنه حالة التثاق لم يكن فوقهم بالفعل، بل بالتثاق صار فوقهم. والثاني: أنه ظرف لنتقنا قاله الحوفي وأبو البقاء. قال الشيخ: ولا يمكن ذلك إلا أن يضمن معنى فعل يمكن أن يعمل في فوقهم أي رفعنا بالتثاق الجبل فوقهم، فيكون كقوله ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ [النساء: ١٥٤] والتثاق اختلفت فيه عبارات أهل اللغة، فقال أبو عبيدة: هو قلع الشيء من موضعه والرمي به، ومنه نق ما في الجراب إذا نفضه فرمى ما فيه، وامرأة نائق ومتاق إذا كانت كثيرة الولادة وفي الحديث: «عليكم بزواج الأبقار فانهن أنتن أرحاماً وأطيب أفواها وأرضى باليسير». وقيل: التثاق الجذب بشدة، ومنه نتقت السقاء إذ جذبته بشدة لتقلع الزبدة من فمه، وقال الفراء: هو الرفع، وقال ابن قتيبة: هو الزعزعة وبه فسر مجاهد، وكل هذه معان متقاربة، وقد عرفت أن فوقهم يجوز أن يكون منصوباً بتثاق لأنه بمعنى رفع وقلع اهـ سمين. ونثق من باب نصر كما في المختار.

قوله: ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ في محل نصب على الحال من الجبل أيضاً فتعدد الحال، وقال مكّي هي خبر مبتدأ محذوف أي هو كأنه ظلة وفيه بعد اهـ سمين.

وفي البيضاوي: كأنه ظلة أي سقيفة وهي كل ما أظلك اهـ.

وفسر الظلة بالسقيفة مع أن الظلة كل ما أظلك لأجل حرف التشبيه. إذ لولاه لم يكن لدخولها وجه اهـ شهاب.

قوله: ﴿وَظَنُّوا﴾ فيه أوجه، أحدها: أنا في محل جر نسقاً على نتقنا المخفوض بالظرف تقديرأ.

وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ الَّذِينَ﴾ بالعمل به ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَلَا يَكُونُوا مِثْلَ الَّذِينَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتغال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب آدم نسلًا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة نصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قال

والثاني: أنه حال وقد مقدرة عند بعضهم، وصاحب الحال إما الجبل أي كأنه ظلّة في حال كونه مظلوناً وقوعه بهم، ويضعف أن يكون صاحب الحال هم من فوقهم. والثالث: أنه مستأنف فلا محل له، والظن هنا على بابه، ويجوز أن يكون بمعنى اليقين والياء على بابها أيضاً. قيل: ويجوز أن تكون بمعنى على اهـ سمين.

قوله: (لثقلها) أي بسبب مشاق التكليف التي ليها اهـ شيخنا.

قوله: (وقلنا لهم) ﴿خُذُوا﴾ الخ عطف على ثقتنا، وهذا التقدير لا بد منه ليرتبط النظم اهـ شهاب.

قوله: ﴿مَنْ بَنَى آدَمَ﴾ أي وكذا من آدم، فالأخذ منه لازم للأخذ منهم، لأن الأخذ منهم بعد الأخذ منه ففي الآية الاكتفاء باللازم عن الملزوم اهـ شيخنا.

قوله: (بدل اشتغال مما قبله) أي من قوله من بني آدم وتبع في ذلك الكواشي، والذي في الكشف أنه بدل بعض من كل. قال الجلي: وهو الظاهر كقولك ضربت زيداً ظهره وقطعته يده لا يعرف هذا أحد بدل اشتغال، وإيثار الأخذ على الإخراج للاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الأنباء عن اختيار الاصطفاء، وهو السبب في إسناده إلى الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي، وإضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام للتشريف اهـ كرخي.

قوله: (بأن أخرج بعضهم من صلب بعض الخ) هذه طريقة السلف في تقرير الآية. وللخلف طريقة أخرى محصلها أنه لا إخراج ولا قول ولا شهادة بالفعل، وإنما هذا كله في سبيل المجاز التمثيلي، فشبّه حال النوع الإنساني بعد وجوده بالفعل بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة له الدالة على ربوبية الله المقتضية لأن ينطق ويقر بمقتضاها بأخذ الميثاق عليه بالفعل بالإقرار بما ذكر، فنصب الأدلة بالفعل إنما هو على طريقة الخلف، فلذلك قال القاري في قول الشارح ونصب لهم دلائل على ربوبيته تليق، لأن نصب الأدلة إنما هو طريقة الخلف كما علمت، وقوله: بأن أخرج الخ طريقة السلف كما علمت اهـ شيخنا.

وقد ذكر البيضاوي القولين ونصه: وأشهدهم على أنفسهم ألسنتهم بربكم معناه ونصب لهم دلائل ربوبيته، وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها، حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ﴿ألسنتهم بربكم﴾؟ قالوا: بلى، فزّل تمكينهم من العلم بها وتمكينهم منه منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل، ويدل عليه قوله: ﴿قالوا بلى شهدنا﴾ الخ. وقيل: لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياءهم وجعل لهم العقل والنطق، وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه، وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصايب. والمقصود من إيراد الكلام هنا إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام

بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم، والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية، ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال: وكذلك نفصل الآيات الخ اهـ.

قوله أيضاً: (بأن أخرج بعضهم من صلب بعض الخ) فأخرج أولاً ذرية آدم من ظهره، فأخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، ثم أخرج من هذا الذر الذي أخرجه من آدم ذريته ذراً، ثم أخرج من الذر الآخر ذريته أو هكذا إلى آخر النوع الإنساني، وانحصر الجميع قدام آدم ونظر لهم بعينه وخلق فيهم العقل والفهم والحركة والكلام، وبَيَّنَّ مسلمهم من كافرهم بأن جعل الذر المسلم أبيض والكافر أسود، وخاطب الجميع بقوله: ﴿ألسنت بريكم﴾؟ فقال الجميع: بلى. أنت ربنا ثم أعاد الجميع إلى ظهر آدم، هكذا في الخازن. ولعله أعاد الجميع على التدرج كما أخرجهم كذلك، فيكون أعاد الذرية الأخيرة إلى أصولها وأعاد أصولها إلى من قبلهم، وهكذا حتى انحصر الأمر في ذرية آدم لصلبه فأعادها إلى ظهره، وإلا فاعادة الذر جميعة إلى ظهر آدم من غير تداخل لا يعقل لأن يعقل لأن ذر النوع الإنساني إذا اجتمع ربما ملأ أماكن واسعة، فكيف يسعه ظهر آدم، وانظر هل هذا الذر استحالة منياً أو تخرج ذرة كل إنسان في منيه الذي يتخلق منه والله أعلم بحقيقة الحال اهـ شيخنا.

ثم رأيت للقطب الشعراني في رسالة سماها القواعد الكشفية في الصفات الإلهية ما نصه: وقد ذكر العلماء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية اثني عشر سؤالاً، ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به.

الأول: أين موضع أخذ الله تعالى هذا العهد؟ والجواب: أن الله تعالى أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان وهو واد بجانب عرفة قاله ابن عباس وغيره. وقال بعضهم: أخذه بسرنديب من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة، وقال الكلبي: كان أخذ العهد بين مكة والطائف. وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان أخذ العهد في الجنة، وكل هذه الأمور محتملة ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد.

الثاني: كيف استخرجهم من ظهره؟ والجواب: ورد في الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر، ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا الوجهين بعيد والأقرب كما قيل إنه استخرجهم من مسام شعر ظهره، إذ تحت كل شعرة ثقب دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط في النفوذ لا في السعة، فتخرج الذرة الضعيفة منها، كما يخرج الصبيان من العرق السائل، وهذا غير بعيد في العقل، فيجب اعتقاد اخراجها من ظهر آدم كما شاء الله، ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماساة. إذ لا اتصال بين الحادث والقديم.

الثالث: كيف أجابوه تعالى ببلى هل كانوا أحياء عقلاء أم أجابوه بلسان الحال؟ والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء. إذ لا يستحيل في العقل أن الله تعالى يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم، فإن بحار قدرته تعالى واسعة وغاية وسعنا في كل مسألة أن نثبت الجواز ونكل علم كيفيتها إلى الله تعالى.

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك والشهاد لـ ﴿أَنْتَ﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ بالياء والثاء في

الرابع: فإذا قال الجميع بلى فلم قبل تعالى قوماً ورد آخرين؟ والجواب: كما قاله الحكيم الترمذي إن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة منه، فلم يك ينفعهم إيمانها فكان إيمانهم كإيمان المنافقين، وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم. وقال الشيخ أبو طاهر القزويني: الصحيح عندي أن قول أصحاب بلى كان على وفق السؤال وذلك أن الله سبحانه وتعالى سألهم عن تربيتهم ولم يسألهم عن إلههم ولم يكونوا يومئذ في زمان تكليف، وإنما كانوا في حال التخليق والتربية وهي الفطرة فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾ ﴿قَالُوا﴾ بلى، لأن تربيتهم إذ ذاك كانت مشهورة لهم، فصدقوا كلهم في ذلك، ثم لما انتهوا إلى زمان التكليف وظهر ما قضى الله تعالى في سابق علمه لكل أحد من السعادة والشقاوة كان منهم من وافق اعتقاده في قبول الإلهية إقراره الأول، ومنهم من خالف، ولو أنه تعالى كان قال لهم: ألسنت بواحد؟ لقالوا كلهم نعم. ولم يشرك به أحد، فتأمل ولا يخفى ما فيه من فوات صورة الاحتجاج بالآية كما سيأتي قريباً.

الخامس: إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلا شيء لا نذكره اليوم؟ والجواب: أننا لم نتذكر هذا العهد لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها بمرور الزمان عليها في أصلا بـ الآباء وأرحام الأمهات، ثم استحال تصويرها في الأطوار الواردة عليها من العلة والمضغة واللحم والعظام، وهذا كله مما يوجب النسيان. وكان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إني لأذكر العهد الذي عهد إليّ ربي، وكذلك كان سهل بن عبد الله التستري يقول وزاد بأنه يعرف تلاميذه من ذلك اليوم، وأنه لم يزل يريهم في الأصلا بـ حتى وصلوا إليه، وإنما أخبر تعالى بأنه أخذ الميثاق منا إلزاماً للمحنة علينا وتذكراً لنا، فهذا هو فائدة ذكر العهد.

السادس: هل كانت تلك الذوات مصورة بصورة الإنسان أم لا؟ والجواب: لم يبلغنا في ذلك دليل إلا أن الأقرب للقول عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الإنسان، إذ السمع والنطق لا يقتصران إلى الصورة، بل يقتضيان محلاً حياً لا غير، فإذا أعطاه الله الحياة والسمع جاز أن يخلق به السمع والنطق، وإن كانت القدرة على ذلك لا تنقيذ بصورة الإنسان، إذ البنية عندنا ليست بشروط، وإنما اشترطها المعتزلة، ويحتمل أن يكونوا مصورين بصورة الإنسان لقوله تعالى: ﴿مَنْ ظَهَرُوا مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ ولم يقل ذراتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين.

السابع: متى تعلقت الأرواح بالذرات التي هي الذرية هل قبل خروجها من ظهرة أم بعد خروجها منه؟ والجواب: قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء لأنه سماهم ذرية، والذرية هم الأحياء لقوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١] فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم في ظلمات ظهر أبيهم، ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم، ثم أدخلها مرة ثانية وهم في ظلمات بطون الأرض، هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقاً.

الثامن: ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم؟ والجواب: أن الحكمة في ذلك إقامة الله الخجة على من لم يوف بذلك العهد كما تقدمت الإشارة إليه، وكما وقع نظير ذلك أيام التكليف على السنة الرسل وسائر الدعاة إلى الله تعالى.



التاسع: هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتاً؟ والجواب: أن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهرة قبض أرواحهم قياساً على ما يفعله بهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت، فإنه يقبض أرواحهم ويعيدهم فيها.

العاشر: أين رجعت الأرواح بعد رد الذرات إلى ظهرة؟ والجواب: أن هذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر العقلي عندي بأكثر من أن يقال رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في الذرات كما سيأتي في الجواب بعده فمن رأى في ذلك شيئاً فليحقه بهذا الموضع.

الحادي عشر: قوله وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم والناس يقولون إن الذرية أخذت من ظهر آدم. والجواب: أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه، ثم أخرج بني بنيه من ظهور بنيه، فاستغنى عن ذكر إخراج بني آدم بقوله من بني آدم. إذ من المعلوم أن بني بنيه لا يخرجون إلا من بنيه، ومثال ذلك من أودع جوهرة في صدقة، ثم أودع الصدقة في خرقة، ثم أودع الخرقة مع الجوهرة في حقه، ثم أودع الحقة في درج، ثم أودع الدرج في صندوق، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه.

الثاني عشر: في أي مكان أودع كتاب العهد والميثاق؟ والجواب قد جاء في الحديث أنه مودع في باطن الحجر الأسود أن للحجر الأسود عينين وفماً ولساناً. فإن قال قائل: هذا غير متصور في العقل. فالجواب: أن كل ما عسر على العقل يكفيناه فيه الإيمان به ورد معناه إلى الله تعالى. ثم ذلك بعون الله وتوفيقه اهـ بحروفه.

قوله: (وأشهدهم على أنفسهم) أي قررههم ببروبيته لما تقدم أن شهادة المرء على نفسه هي الإقرار، وقوله: ﴿ألست بربكم﴾ بيان للإشهاد الذي هو التقرير. أي طلب الإقرار، ولذا قال الشارح قال: ألست بربكم تأمل. قوله: ﴿قالوا بلى﴾ (أنت ربنا) أشار إلى أن بلى حرف جواب وتختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجرداً أم مقبوضاً بالاستفهام التقريري كما هنا، ولذلك قال ابن عباس وغيره: لو قالوا نعم كفروا من جهة أن نعم تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب، فكأنهم أقروا بأنه ليس ربهم هكذا ينقلونه عن ابن عباس اهـ كرخي.

وفي الخازن: روي أن الله تعالى قال لهم جميعاً اعلّموا أنه لا إله غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً فإنني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي وإني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزل عليكم كتباً فتكلموا جميعاً. وقالوا: شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك، فأخذ بذلك موثقهم، ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم عليه الصلاة والسلام، فرأى منهم الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب هلأ سويت بينهم؟ فقال: إني أحب أن أشكر، فلما قررههم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض، ثم أعادهم إلى صلبه، فلا تقوم الساعة حتى بولد كل من أخذ منه الميثاق اهـ.

قوله: ﴿شهدنا﴾ (بذلك) فيه قولان، أحدهما: أنهم لما أقروا قال تعالى للملائكة: ﴿اشهدوا﴾ فقالوا: ﴿شهدنا﴾ أي على إقرارهم، فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله: ﴿بلى﴾، لأن كلام

الموضعين أي الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التوحيد ﴿غَفْلِينَ﴾ لا نعرفه ﴿أَوْ قَوْلُوا إِنَّمَا  
 أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقصدنا بهم ﴿أَفَتُلْكُمُهَا﴾ تعذبنا ﴿يَا قَوْمَ  
 الْمُظِلُّونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهدهم على  
 أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس ﴿وَكَذَلِكَ  
 نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم ﴿وَأَقْبَلْ﴾ يا  
 محمد ﴿طَائِفَهُمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره كما تخرج

الذرية قد تم وانقطع، وقوله: ﴿شهدنا﴾ مستأنف من كلام الملائكة. والقول الثاني: أنه من كلام  
 الذرية، والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الإقرار، وعلى هذا القول لا يحسن الوقف على بلى، لأن  
 مقولهم لم يتم ولم ينقطع اهـ خازن. وكلام الشارح جار على القول الثاني كما يستفاد من القاري.

قوله: (والإشهاد لثلاث الخ) أشار بهذا إلى أن قوله أن يقولوا تعليل لقوله وأشهدهم لا لقوله  
 شهدنا. قوله: (في الموضعين) أي هذا والآتي بعده، وكان الأولى تأخير هذا عن الذي يأتي اهـ.

قوله: ﴿أو يقولوا﴾ أي ولثلاث يقولوا. قوله: ﴿ففاقصدنا بهم﴾ أي فالمواخذة إنما هي عليهم. قوله:  
 (بتأسيس الشرك) متعلق بمبطلون. قوله: ﴿والتذكير به﴾ الخ جواب عن سؤال. ونص عبارة الخازن:  
 فإن قلت: ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم، وكيف يذكرونه يوم القيامة حتى  
 يحتج عليهم به؟ قلت: لما أخرج الذرية من ظهر آدم ركب فيهم العقول، وأخذ عليهم الميثاق، فلما  
 أعيدوا إلى صلبه بطل ما ركب فيهم، فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الإلهية نسيانهم له،  
 ثم ابتداءهم بالخطاب على السنة الرسل وأصحاب الشرائع، فقام ذلك مقام الذكر. إذ هذه الدار دار  
 تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتهت المحنة والتكليف، فقامت الحجة عليهم لإنذارهم بالرسل  
 وإعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم، فقامت الحجة عليهم بذلك أيضاً يوم القيامة لإخبار الرسل إياهم  
 بذلك الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولا تسقط الحجة عليهم بنسيانهم بعد إخبار  
 الصادق وتذكيره لهم اهـ.

قوله: (مثل ما بينا الميثاق) أي فصلناه. قوله: ﴿ولعلمهم يرجعون﴾ معطوف على ما قدره  
 الشارح. قوله: ﴿واتل عليهم﴾ الخ عطف على المقدر العامل في إذ أخذ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ وهي علوم الكتب القديمة والتصرف بالاسم الأعظم، فكان يدعو  
 به حيث شاء فيجيب بعين ما طلب في الحال. وفي القرطبي: وكان يلهم من بني إسرائيل في زمن  
 موسى عليه السلام، وكان بحيث إذا نظر رأى العرش وهو المعنى بقوله: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتينا  
 آياتنا﴾ ولم يقل آية، وكان في مجلسه اثنا عشر ألف مجبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، ثم صار بحيث  
 كان أول من صنف كتاب أن ليس للعالم صانع قال مالك بن دينار: بعث بلعم بن باعوراء إلى ملك  
 مدين ليدعوه إلى الإيمان فأعطاه وأقطع فاتبع دينه وترك دين موسى، فنزلت هذه الآيات وكان بلعم قد  
 أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة اهـ.

وفي الخطيب: وقصته على ما ذكره ابن عباس وغيره أن موسى عليه السلام لما قصد قتال

الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فأدركه فصار قرينه

الجبارين، ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إليه وكان عنده اسم الله الأعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وإنه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويخليها لبني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله تعالى أن يردهم عنا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، فكيف ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي. فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أوامر ربي، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فأمر ربه في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم. فقال لقومه: إني قد أمرت ربي وإني نهيت أن أدعو عليهم، فأهدوا إليه هدية فقبلها وراجعوه، فقال: حتى أوامر ربي فأمر فلم يؤمر بشيء، فقال: قد أمرت ربي فلم يأمرني بشيء، فقالوا له: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسانان، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت فضربها، وهكذا مراراً فأذن الله تعالى لها في الكلام فأنطقها له، فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي ويحك تذهب إلى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم. فلم ينزجر فخلى الله تعالى سبيل الأتان، فانطلقت به حتى أشرف على جبل حسانان، فجعل يدعو عليهم فلا يدعو بشر إلا صرف الله تعالى به لسانه إلى قومه، ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله تعالى به لسانه إلى بني إسرائيل، فقالوا له قومه: يا بلعم أتدري ما تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا. فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب عليه، فاندلع لسانه فوق على صدره، فقال لهم: الآن قد ذهب مني الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمر لكم وأحتال احملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى عسكر بني إسرائيل يبعثنها فيه، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بني إسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى، وقال: إني أظنك أن تقول هذه حرام عليك، قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها. قال: فوالله لا نطيعك ثم دخل بها فبته، فوقع عليهم فأرسل الله تعالى عليهم الطاعون في الوقت، فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار اهـ.

وفي المصباح: وربضت الدابة وربضاً من باب ضرب وربوضاً مثل برك الإبل اهـ.

قوله: (وأهدي إليه شيء) أي أهده له جماعته السائلون له في الدعاء اهـ شيخنا.

قوله: (فانقلب عليه) أي انقلب عليه دعاؤه وقوله: واندلع لسانه على صدره. في القاموس: دلع لسانه كمنع أخرجه كأدله فدلعه كمنع ونصر دلعاً ودلوغاً واندلع بطنه عظم، واسترخى، والسيف في غمده انسل، واللسان خرج كأدلع على افتعل اهـ.

قوله: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي فصار هو قدوة ومتبوعاً للشيطان على سبيل المبالغة اهـ شيخنا.

﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَتَشَلَّمْهُ﴾ صفة ﴿كَمَثِلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثُ﴾ يدلغ لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَرُكْهُ﴾

وفي السمين: فأتبعه الشيطان الجمهور على أتبعه رباعياً وفيه وجهان، أحدهما: أنه متعدد لواحد أدركه ولحقه وهو مبالغة في حقه حيث جعل إماماً للشيطان، ويحتمل أن يكون متعدداً لاثنتين لأنه منقول بالهمزة من تبع، والمفعول الثاني محذوف تقديره فأتبعه الشيطان خطواته أي جعله تابعاً لها، ومن تعديته لاثنتين قوله تعالى: ﴿اتَّبَعْتُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِلَيْمَانٍ﴾ [الطور: ٢١]. وقرأ الحسن وطلحة بخلاف عنه فأتبعه بتشديد التاء وهل تبعه واتبعه بمعنى أو بينهما فرق؟ قيل: بكل منهما وأبدى بعضهم الفرق بأن تبعه. معناه مشى في أثره واتبعه إذا وازره في المشي، وقيل: اتبعه بمعنى استتبعه، والانسلاخ التعري من الشيء، ومنه انسلاخ جلد الحية وليس في الآية قلب، إذ لا ضرورة تدعو إليه، وإن زعمه بعضهم وأن أصله فانسلاخت منه اهـ.

قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي لا بمحض مشيئتنا من غير أن يكون له دخل في ذلك أصلاً، فإنه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الجزاء بالأفعال الاختيارية للعباد، بل مع مباشرة للعمل اهـ أبو السعود.

قوله: (إلى منازل العلماء) أي رتبهم وقوله: ﴿بِهَا﴾ أي الآيات أي بسببها وقوله: بأن نوفقه للعمل أي بالآيات. قوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الإخلاق إلى الشيء الميل إليه مع الاطمئنان به اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: خلد بالمكان خلوداً من باب قعد أقام وأخلد بالالف مثله، وخلد إلى كذا وأخلد إليه ركن اهـ.

قوله: (أي الدنيا) عبارة الخازن: والأرض هنا عبارة عن الدنيا، لأن الأرض عبارة عن المفاز، وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات، ومنها يستخرج ما يتعيش به في الدنيا، فالدنيا كلها هي الأرض انتهت.

قوله: (في دعائه) أي الهوى أي دعاء الهوى إياه أي أن الهوى دعاء بلعام إلى الدنيا فالمصدر مضاف لفاعله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كَمَثِلِ الْكَلْبِ﴾ أي هو أخس الحيوانات. قوله: ﴿إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرُكْهُ يَلْهَثُ﴾ أي إن شددت عليه وأجهدته لهث أو تركته على حاله لهث، لأن اللهث طبيعة أصلية فيه، فكذلك حال الحريص على الدنيا إن وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه، وإن تركته ولم تعظه فهو حريص أيضاً لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة، كما أن اللهث طبيعة لازمة للكلب اهـ خازن.

وفي السمين: يقال: لهث يلهث بفتح العين في الماضي والمضارع لهثاً ولهثاً بفتح اللام وضمها، وهو خروج لسانه في حال راحته وإعيائه وأما غيره من الحيوان فلا يلهث إلا إذا أعيأ أو عطش اهـ.

يَلْهَثُ ﴿١٧٦﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك وجعلنا الشرط حال أي لاهثاً ذليلاً بكل حال والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقريته قوله ﴿ذَلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ يتدبرون فيها فيؤمنون ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ بالكذب ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ

وفي المختار ومثله القاموس: لهث الكلب أخرج لسانه من العطش أو التعب، وكذا الرجل إذا أعبا وبابه قطع ولهثاً أيضاً بالضم اهـ.

قوله: (يدلع لسانه) أي يخرج. قوله: (وليس غيره من الحيوان كذلك) أي يلهث في الحالتين، بل غيره لا يلهث إلا عند الإعياء أو التعب اهـ.

قوله: (بترتب ما بعدها) وهو الإنسلاخ وقوله: ومن الميل إلى الدنيا الخ بيان لما قبلها اهـ.

قوله: (وبقرينة قوله ذلك المثل الخ) يشير إلى أن المثل في الصورة وإن ضرب لواحد، فالمراد به كفار مكة كلهم لأنهم صنعوا مع النبي ﷺ بسبب ميلهم إلى الدنيا من الكيد والمكر ما يشبه بلعم مع موسى، وحينئذ فلا يرد أن هذا تمثيل لحال بلعم، فكيف قال بعده ساء مثلاً القوم الخ، ولم يضرب إلا لواحد اهـ كرخي.

قوله: ﴿مثل القوم﴾ وهم اليهود حيث أوتوا في التوراة ما أوتوا من نعوت النبي، فكانوا يبشرون الناس باقتراب مبعثه، وكانوا يستفتحون به، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا عن حكم التوراة اهـ.

قوله: ﴿فاقصص القصص﴾ القصص: مصدر بمعنى اسم المفعول والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إذا تحققت أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين، فاقصصه عليهم حسبما أوحى إليك ليعلموا أنك علمته من جهة الوحي وجملة الترجي في محل نصب على أنها حال من ضمير المخاطب، أو على أنها مفعول له أي فاقصص القصص راجياً لتفكرهم أو رجاء لتفكرهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أي مثل القوم﴾ إنما قدر المضاف ليكون التمييز، والفاعل والمخصوص بالذم كلها متحدة معنى. وفي السمين: والمخصوص بالذم لا يكون إلا من جنس التمييز، والتمييز مفسر للفاعل فهو هو، فلزم أن يصدق الفاعل والتمييز والمخصوص شيء واحد. إذا عرفت هذا فقوله: القوم غير صادق على التمييز والفاعل، فلا جرم أنه لا بد من تقدير محذوف إما من التمييز وإما من المخصوص، فالأول يقدر ساء أصحاب مثل أو أهل مثل القوم، والثاني يقدر ساء مثلاً مثل القوم، ثم حذف المضاف في التقديرين، وأقيم المضاف إليه مقامه اهـ.

قوله: ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ جوز البضاوي فيه أن يكون داخلاً في الصلة معطوفاً على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعاً عنها بمعنى ما ظلّموا بالتكذيب إلا أنفسهم، فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول اهـ والأول أفيد اهـ كرخي.

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُخْسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصير اعتبار ﴿وَلَهُمْ أَلْصِقَةٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْفُسِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَطْمَلُ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النبل معاملة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ﴾ ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث

قوله: ﴿فهو المهتدي﴾ بإثبات الباء وصلًا ووقفًا ليست من ياءات الزوائد بخلاف ما في الكهف والإسراء اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ راعى لفظ من فأفرد وراعى معناها في قوله: ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ فجمع. وياء المهتدي ثابتة عند جميع القراء لثبوتها في الرسم؛ وسيأتي لك خلاف في التي في الإسراء وبحشها. وقال الواحدي: ﴿فهو المهتدي﴾ يجوز إثبات الباء فيه على الأصل، ويجوز حذفها استخفافاً اهـ.

قوله: ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ متعلق بذرأنا وهذه اللام للعلة، وذلك لأنه لما كان مآلهم إليها جعل ذلك سبباً على طريق المجاز، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من كثيراً، لأنه في الأصل صفة له لو تأخر ولا حاجة إلى ادعاء قلب، وأن الأصل ذرأنا جهنم لكثير لأنه ضرورة أو قليل، ومن الجن صفة لكثيراً، ولهم قلوب جملة في محل نصب إما صفة لكثيراً أيضاً، وإما حال من كثيراً، وإن كان نكرة لتخصيصه بالوصف أو من الضمير المستكن في من الجن لأنه تحمّل ضميراً لوقوعه صفة، ويجوز أن يكون لهم على حدته هو الوصف أو الحال وقلوب فاعل به، فيكون من باب الوصف بالمفرد وهو أولى اهـ سمين.

قوله: (بصر اعتبار) الأولى إبصار اعتبار. قوله: (في عدم الفقه) أي الفهم: قوله: (وتهرب) بضم الراء من باب طلب، كما في المختار، وقوله وهؤلاء يقدمون في القاموس، وقدم كنصر وعلم وأقدم وتقدم واستقدم كلها بمعنى اهـ.

قوله: ﴿والله الأسماء الحسنى﴾ ذكر ذلك في أربع سور في القرآن: أولها هذه السورة، وثانيها في آخر بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا قلله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١٠]، وثالثهما في أول طه وهو قوله: ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ [طه: ٨]، ورابعها: في آخر الحشر في قوله: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى﴾ [الحشر: ٢٤] اهـ خطيب.

قوله: (الوارد بها الحديث) رواه الترمذي. قال النووي: اتفق العلماء على أنه هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه تعالى، وليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، والمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في حديث آخر: «أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك». وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أن الله تعالى ألف اسم وقوله ﷻ: «من أحصاها دخل الجنة» قال

الأحسن ﴿فَادْعُوهُ﴾ سموه ﴿يَهَيَّأْ وَذَرُّوْا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألد و لحد يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْمَلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ كما في الحديث ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن

البخاري: من حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الأخرى من حفظها دخل الجنة، وقيل معناه من أخطر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلوها. وقوله ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر» والوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا نظير اه خطيب.

قوله: (والحسنى مؤنث الأحسن) أشار به إلى أنه الحسنى فعلى مؤنث الأحسن كالكبرى والصغرى. قيل: الحسنى مصدر وصف به كالرجعى، وأفرده كما أفرد وصف ما لا يعقل في قوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ [طه: ١٨] ولو طوبق به لكان التركيب الحسن كقوله من أيام آخر اه كرخي. قوله: (سموه بها) أي أجروها عليه واستعملوها فيه دعاء ونداء وغير ذلك، فلا تسموه بغيرها مما لم يرد إطلاقه عليه تعالى. قوله: ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ قرأ حمزة هنا، وفي النحل، وحس السجدة يلحدون بفتح الياء والحاء من لحد ثلاثياً، والباقون بضم الياء وكسر الحاء من ألد قليل هما بمعنى واحد، وهو الميل والانحراف، ومنه لحد القبر لأنه يمال بحفره إلى جانبه بخلاف الضريح، فإنه يحفر في وسطه اه سمين.

وفي المختار: ألد في دين الله أي جاد عنه وعدل ولحد من باب قطع لغة فيه، وقرىء لسان الذي يلحدون إليه والتحد مثله اه.

قوله: (يميلون عن الحق) تفسير للقراءتين. قوله: (حيث اشتقوا منها أسماء النخ) وقال أهل المعاني الإلحاد في أسمائه تعالى هو أن تسمية بما لم يسم الله به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسمائه تعالى كلها توقيفية، فيجوز أن يقال يا جواد، ولا يجوز أن يقال يا سخي، ويجوز أن يقال يا عالم، ولا يجوز أن يقال يا عاقل، ويجوز أن يقال يا حكيم، ولا يجوز أن يقال يا طبيب اه خطيب.

قوله: (وهذا) أي قوله ﴿وذروا﴾ النخ قبل الأمر لقتال أي فهو منسوخ.

قوله: ﴿وممن خلقنا أمة﴾ من يجوز أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة ويهدون صفة لأمة وفيه إشارة إلى قتلهم اه كرخي.

قوله: ﴿وبه﴾ أي بالحق خاصة. يعدلون أي يجعلون الأمور متعادلة لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي، ولا نقص لأننا وفقناهم، فكشفنا عن أبصارهم حجاب الغفلة التي ألزمتها أولئك المتقدمين واستدل بذلك على صحة الإجماع، لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة، وأكثر المفسرين أنهم أمة محمد ﷺ لقوله ﷺ: «لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله» رواه الشيخان. وعن معاوية رضي الله عنه وهو يخطب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله» وهم على ذلك إذ لو اختص بعهد الرسول

من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم

أو غيره لم يكن لذكره فائدة، فإنه معلوم. وعن الكلبي: هم من آمن من أهل الكتاب، وقيل: هم العلماء والدعاة إلى الدين اه خطيب.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه مبتدأ وخبره الجملة الاستقبالية بعده. والثاني: أنه منصوب على الاشتغال بفعل مقدر تقديره سنستدرج الذين كذبوا الخ اه سمين.

قوله: ﴿سنستدرجهم﴾ الاستدرج هو النقل درجة بعد أخرى من علو إلى أسفل وبالعكس، ومعناه هنا نقلهم وتقريبهم إلى العقوبة بواسطة النعم التي اغتروا بها. وعبرة البيضاوي: سنستدرجهم سنستدنيهم إلى الهلاك قليلاً قليلاً، وأصل الاستدرج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة اه.

وقال في التحرير: الاستدرج استفعال من الدرج بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفلى إلى علو، فيكون استصعاداً أو بالعكس فيكون استنزالاً، أي تقريبهم إلى الهلاك بأمهالهم وإدراج النعم عليهم، حتى يأتيهم وهم غافلون لاشتغالهم بالترفيه، ولذا قيل: إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته، فاعلم أنه مستدرج له اه شهاب.

وفي السمين: والاستدرج التقريب منزلة منزلة والأخذ قليلاً قليلاً من الدرج، لأن الصاعد يرفى درجة درجة، وكذلك النازل. وقيل: هو مأخوذ من الدرج، وهو الطي، ومثله درج الثوب إذا طواه ودرج الميت مثله، والمعنى نظوي آجالهم. وقرأ بعضهم سيستدرجهم بالياء، فيحتمل أن يكون الفاعل البارى تعالى وهو التفات من التكلم إلى الغيبة وأن يكون الفاعل ضمير التكذيب المفهوم من قوله: ﴿كذبوا﴾. ويقال: درج الصبي إذا قارب بين خطاه، ودرج القوم مات بعضهم أثر بعض اه.

قوله: ﴿نأخذهم قليلاً قليلاً﴾ التقليل في الحقيقة ليس في الأخذ أي الإهلاك، وإنما هو في مقدماته وأسبابه والمعنى قرب لهم أسباب الهلاك بإدراج النعم عليهم إلى أنه يهلكوا. قوله: ﴿من حيث لا يعلمون﴾ أي من حيث لا يعلمون أنه استدراج، فكلما جدوا معصية زيدوا نعمة ونسوا الشكر اه كرخي.

وفي الخطيب: وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغبطون به ويركون إليه، ثم يأخذهم على غرة أغفل ما يكونون، وقيل: لأنهم كانوا إذا أتوا بذنب فتح الله تعالى عليهم من أبواب الخير والنعم في الدنيا فيزدادوا بذلك تمادياً في الغي والضلال، ويتدرجوا في الذنوب والمعاصي بسبب ترادف النعم يظنون تواتر النعم يقرب من الله تعالى، وإنما هي خذلان منه وتبديد، فهو استدراج الله تعالى فيأخذهم الله تعالى أخذة واحدة أغفل ما يكونون عليه اه.

قوله: ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ﴾ جوز أبو البقاء فيه أن يكون خبر مبتدأ مضمرة أي: وأنا أملي، وإذا يكون مستأنفاً، وأن يكون معطوفاً على سنستدرجهم، وفيه نظر إذ كان من الفصاحة لو كان كذا ونملي لهم بنون العظمة، ويجوز أن يكون هذا قريباً من الالتفات والإملاء والإمهال والتطويل اه سمين.



﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ محمد ﷺ ﴿يَنْ جَنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الانذار ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِي﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيه ﴿و﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي أنه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار فيبادروا

قوله: ﴿إِنْ كِيدِي﴾ أي أخذي ﴿متين﴾ المراد به استدراجهم حتى أهلكتهم. وقال ابن عباس: إن مكري شديد اهـ.

وفي المختار: الكيد المكر اهـ.

وفي الكرخي: وسمي الأخذ كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان اهـ.

قوله: (شديد لا يطاق) في السمين: المتين القوي، ومنه المتن وهو الوسط لأنه أقوى ما في الحيوان، وقد متن بالضم يمتن مائة أي قوي اهـ.

قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ هذه الجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا فهو عامل فيها محلاً لا لفظاً لوجود المعلق له عن العمل، وهو ما النافية، والشارح جعل الجملة سادة مسد مفعولين لفعل محذوف تقديره، فيعلموا مع أنه لا حاجة إلى ذلك وهو مبني على مرجوح، وهو أن تفكر لا يعلق عن العمل اهـ شيخنا.

و ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ مبتدأ، ومن مزيدة فيه ويجوز أن يكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، ثم ابتدأ كلاماً آخر إما استفهام إنكار وإما نفياً اهـ سمين.

وفي زاده: قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ يجوز أن تكون ما استفهامية في محل الرفع بالابتداء، والخبر بصاحبهم أي أي شيء استقر بصاحبهم من الجنون، وأن تكون نافية حثهم عن التفكير في شأنه، ومكارم أخلاقه أولاً ثم ابتدأ كلاماً آخر، ثم قصره على الإنذار المبين تأكيداً لتكذيبهم، ثم وبخهم على ترك النظر فيما يدل على صدقه وصحة ما يدعوهم إليه من وحدة صانع العالم وكمال قدرته لتطمئن قلوبهم بنبوة الداعي فإن النظر في أمر النبوة متفرع على النظر في دلائل التوحيد اهـ.

وفي الخطيب: روي أنه ﷺ صعد على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم: إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، فنزلت هذه الآية. ومعنى يهوت يصوت يقال هيت به وهوت به أي: صاح، قاله الجوهري. وإنما نسبوه إلى الجنون وهو بريء منه لأنه ﷺ خالفهم في الأقوال والأفعال لأنه كان معرضاً عن الدنيا ولذاتها مقبلاً على الآخرة ونعيمها مشتغلاً بالدعاء إلى الله تعالى وإنذار بأسه، ونقمته ليلاً ونهاراً من غير ملال ولا ضجر، فعند ذلك نسبوه إلى الجنون، فبرأه الله من الجنون وهو بريء منه اهـ.

قوله: (وفي أن أي أنه إلخ) أشار إلى أن الجملة في محل خفض عطفاً على ما قبلها، وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن كما مر، وخبرها عسى ومعمولها اقترب اهـ كرخي.

وفي السمين: وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الأمر والشأن، وعسى وما في حيزها في

إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدُ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَاءَ مَا يَزِيدُهُمْ﴾ بالياء والنون مع الرفع استئنافاً والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيراً ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَلَهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عَلَيْهَا﴾

محل رفع خبر لها، إن في محل جر نسقاً على ملكوت أي أو لم ينظروا في أن الأمر والشأن عسى أن يكون وأن يكون فاعل عسى، وهي حيثئذ لأنها متى رفعت أن وما في حيزها كانت تامة، ومثلها في ذلك أوشك واخولق، وفي اسم يكون قولان، أحدهما: هو ضمير الشأن ويكون قد اقترب أجلهم خبراً لها والثاني: أنه أجلهم وقد اقترب جملة من فعل وفاعل وهو ضمير أجلهم، ولكن قدم الخبر وهو جملة فعلية على اسمها اهـ.

قوله: (قرب) ﴿أجلهم﴾ أشار به إلى أن افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب والمعنى قرب وقت أجلهم اهـ كرخي.

قوله: (فيموتوا كفاراً فيصبروا إلى النار) معطوفان على يكون منصوب، بان وقوله: فيبادروا جواب الاستفهام من حيث تسلطه على وأن عسى، فهو منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء اهـ شيخنا.

قوله: (فبأي حديث) متعلق بـ يؤمنون وهو جملة استفهامية سقت للتعجب. أي وإذا لم يؤمنوا بهذا الحديث، فكيف يؤمنون بغيره؟ والهاء في بعده يحتمل عودها على القرآن أو على الرسول، ويكون الكلام على حذف مضاف أي: بعد خبره، وقصته، ويحتمل عودها على أجلهم أي: أنهم إذا ماتوا وانقضى أجلهم فكيف يؤمنون بعد انقضاء أجلهم. وقال الزمخشري: فإن قلت بما تعلق قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؟ قلت: بقوله: ﴿عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الموت، وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق، وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا. يعني التعلق المعنوي المرتبط بما قبله لا الصناعي وهو واضح اهـ سمين.

قوله: (الرفع) أي مع الياء والنون، وأما الجزم فمع الياء لا غير، فالقراءات ثلاثة وعلى قراءة النون يكون فيه التفات وعلى قراءة الرفع يكون خبر مبتدأ محذوف أي ونحن أو وهو الخ اهـ شيخنا.

قوله: (على محل ما بعده الفاء) وذلك المحل جزم لأن جملة لا هادي له في محل جزم جواب الشرط وهو من اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ الخ استئناف مسوق لبيان بعض أحكام ضلالهم وطغيانهم أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها، إما لوقوعها بغتة، أو لسرعة ما فيها من الحساب، أو لأنها ساعة عند الله مع طولها في نفسها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أَيَّانَ مَرَسَاهَا﴾ أي ارساؤها واستقرارها وحصولها، وكأنه شبهها بالسفينة العائمة في البحر، وقال الطيبي: الرسو إنما يستعمل في الأجسام الثقيلة، وإطلاقه على الساعة تشبيه للمعاني بالأجسام اهـ زكريا.

متى تكون ﴿عِنْدَ رَبِّ لَا يَجْلِبُهَا﴾ يظهرها ﴿لَوْفَهَا﴾ اللام بمعنى في ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾ عظمت ﴿فِي السَّمَوَاتِ

وفي أبي السعود: ﴿أَيَّانَ مَرَسَاهَا﴾ أي متى أرساؤها أي اثباتها وتقديرها، فإنه مصدر ميمي من أرساه إذا أثبته وأقره ولا يكاد يستعمل إلا في الشيء الثقيل كقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢] ومنه مرسة السفن اهـ.

وفي المختار: رسا الشيء ثبت، وبه عدا ورسست السفينة وقفت عن الجري، وبابه عدا وسما اهـ.

قوله: ﴿أَيَّانَ مَرَسَاهَا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن أيان خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر. والثاني: أن أيان منصوب على الظرف بفعل مضمر ذلك الفعل، رافع لمرساها بالفاعلية وهو مذهب أبي العباس، وهذه الجملة في محل نصب لأنها بدل من الساعة بدل اشتمال، وحيث كان ينبغي أن يكون في محل جر لأنها بدل من مجرور، وقد صرح بذلك أبو البقاء فقال: والجملة في موضع جر بدلاً من الساعة تقديره يسألونك عن زمان حلول الساعة، إلا أنه منع من كونها مجرورة المحل أن البدل في نية تكرار العالم، والعامل هو يسألونك، والسؤال تعلق بالاستفهام وهو متعدد بعن فتكون الجملة الاستفهامية في محل نصب بعد إسقاط الخافض، كأنه قيل: يسألونك أيان مرسى الساعة، فهو في الحقيقة بدل من موضع عن الساعة، لأن موضع المجرور نصب ونظيره في البدل على أحسن الوجوه فيه عرفت زيدا أبو من هو. وأيَّان ظرف زمان لتضمنه معنى الاستفهام ولا يتصرف، ويليه المبتدأ والفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى فإنها يليها النوعان اهـ سمين.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ مصدر مضاف للمفعول، والظرف خبره، وقوله: متى يكون بدل من الهاء في عملها ويشير به إلى تقدير مضاف في قوله ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ أي علم إرسائها علم زمنه ووقته اهـ شخينا.

قوله: ﴿لَا يَجْلِبُهَا لَوْقَتَهَا﴾ الخ بيان لاستمرار تلك الحالة إلى حين قيامها، والمعنى: لا يكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها إلا هو بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين اهـ أبو السعود.

قال المحققون: والسبب في إخفاء الساعة على العباد هو أن يكونوا على حذر، فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية، فإنه متى علمها المكلف تقاصر عن التوبة وأخرها، وكذلك أخفى الله ليلة القدر ليجتهد المكلف في كل ليالي الشهر في العبادة وكذلك أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ليكون المكلف مجتهداً في الدعاء في كل اليوم اهـ كرخي.

قوله: (عظمت على أهلها) أي لأن فيها فناءهم، وذلك يثقل على القلوب. وقيل: يثقل بسبب أنهم يصيرون بعده إلى البعث والحساب، والسؤال والخوف اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَفِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن تكون في معنى على أي: على أهل السموات أو هي ثقيلة على نفس السموات والأرض لانشقاق هذه زلزال ذي. والثاني: أنها على بابها من الظرفية والمعنى حصل ثقلها وهو شدتها أو المبلغة اخفاء في هذين الطرفين اهـ سمين.

والمراد أنها ثقلت وشقت على العالم العلوي والسفلي من الآن لعلمهم بأحوالها إذا وقعت

وَالْأَرْضِ ﴿ عَلَى أَهْلِهَا لَهولها ﴾ ﴿ لَا تَأْتِيكَز إِلَّا بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ ﴾ مبالغ في السؤال ﴿ عَنَّا ﴾ حتى علمتها ﴿ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ تأكيد ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ ١٨٧ ﴾ أن علمها عنده تعالى ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ﴾ أجلبه ﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾ أذفعه ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ ﴾ ما غاب

وحصلت، فهم قبل وقوعها يخافون منها، وليس المراد أنها ثقلت في وقت وقوعها وحصولها. وعبارة أبي السعود: ثقلت في السموات والأرض استئناف مقرر لمضمون ما قبله. أي: كبرت وثقلت على أهلها من الملائكة والتقلين كل منهم أهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول. وقيل: عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدتها وأحوالها، وقيل: ثقلت فيها إذ لا يطيقها، منها وما فيها شيء أصلاً، الأول، وهو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله: ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ فإنه أيضاً استئناف مقرر لمضمون ما قبله، فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء أي لا تأتكم إلا فجأة على غفلة اهـ.

قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ ﴾ الخ استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال إلى رسول الله ﷺ. بناء على زعمهم أنه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه، والجملة التشبيهية في محل نصب على أنها حال من الكاف جيء بها بياناً لما يدعوههم إلى السؤال على زعمهم وإشعاراً بخطئهم في ذلك أي يسألونك مشبهاً حالك عندهم بحال من هو حفي عنها أي مبالغ في العالم فاعيل من حفا، وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها، فإن ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما أن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحکم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ ﴾ هذه الجملة التشبيهية في محل نصب على الحال من مفعول يسألونك، وفي عن وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بيسألونك، وكأنك حفي معترض وصلتها بمحذوفة تقديره حفي بها، وقال أبو البقاء: في الكلام تقديم وتأخير، ولا حاجة إلا ذلك لأن هذه كلها مغلفات للفاعل، فإن قوله: ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ ﴾ حال كما تقدم. والثاني: أن عن بمعنى الباء كما أن الباء بمعنى عن في قوله: ﴿ فاسأل به خبيراً ﴾ [الفرقان: ٥٩] ويوم تشق السماء بالغمام لأن حفي لا يتعدى بمن، بل بالباء كقوله: ﴿ كان بي حفياً ﴾ [مريم: ٤٧] أو يضمن معنى شيء يتعدى بمن أي كأنك كاشف بحقاوئك عنها والحفي المستقصي عن الشيء المهتل به المعنني بأمره. وقال الأعشى: والإحفاء الاستقصاء ومنه إحفاء الشوارب. والحافي لأنه حفيت قدمه في استقصاء السير، والحفاوة البر واللفظ، وقرأ هجد الله: حفي بها وهي تدل لمن ادعى أن عن بمعنى للباء، وحفي فاعيل بمعنى مفعول أي محفو، وقيل: بمعنى فاعل أي: كأنك مبالغ في السؤال عنها ومتطلع إلى علم مجيئها اهـ.

قوله: (تأكيد) أي قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾. تأكيد للجواب السابق، لأنه عينه، وعبارة أبي السعود: أمر عليه السلام بإعادة الجواب الأول تأكيداً للحكم وإشعاراً بعلته انتهت.

قوله: ﴿ لِنَفْسِي ﴾ وفيه وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بأملك. والثاني: أنها متعلقة بمحذوف على أنها حال من نفعاً لأنه في الأصل صفة له لو تأخر، ويجوز أن يكون لنفسي معمولاً بنفعاً، واللام زائدة في المفعول به تقوية للعامل، لأنه فرع إذ التقدير لا أملك أن أنفع ولا أن أضرها وهو وجه أحسن اهـ سمين.

عني ﴿لَا سَتَكُنَّ تَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناّب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿الَّذِي﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿أَيَّ آدَمَ﴾ وَجَعَلَ ﴿خَلَقَ﴾ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴿حَوَاءَ﴾ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴿وَيَالْفَهَا﴾ فَلَمَّا

قوله: (أجلبه) من بابي ضرب وطلب، كما في المختار ومن باب قتل أيضاً كما في المصباح.  
قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي تمكيني منه فإني أملكه بأن يلهمني، وقيل إنه منقطع، وبه قال ابن عطية، والمعنى لكن ما شاء الله من ذلك كائن، وهذا أبلغ في إظهار العجز اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ﴾ الخ لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الشخص عالماً بالغيب، لكن لا يقدر على دفع السراء والضراء إذ العلم بالشيء لا يستلزم القدرة عليه كما في قصة أحد، فإنه ﷺ كان عالماً بانكسار المسلمين لرؤيا رآها، كما في كتب السير مع أنه لم يقدر على رد ما قدره الله وأجيب بأن استلزام الشرط للجزاء لا يلزم أن يكون عقلياً ولا كلياً، بل يجوز أن يكون في بعض الأوقات اهـ كازروني.

فإن قلت: قد أخبر ﷺ عن المغيبات، وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك، وهو من أعظم معجزاته ﷺ، فكيف الجمع بينه وبين قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنَّ تَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ﴾؟ قلت: يحتمل أن يكون قاله على سبيل التواضع والأدب والمعنى، لا أعلم الغيب إلا أن يطلعني الله عليه ويقدره لي، ويحتمل أن يكون قاله ذلك قبل أن يطلعه الله عز وجل على علم الغيب، فلما أطلعه الله أخبره به كما قال، فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول أو يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم، ثم بعد ذلك أظهره الله تعالى على أشياء من المغيبات، فأخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته ﷺ اهـ خازن.

قوله: ﴿وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ عطف على قوله: ﴿لَا سَتَكُنَّ تَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ﴾، فليست اللام داخلية على المعطوف، لأن جواب المنفي لا يقترن باللام بخلاف المثبت اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: ﴿وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ أي سوء يمكن التقصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما، فإن منه ما لا مدفع له اهـ.

قوله: (اجتنب المضار) كان الظاهر أن يقول باجتناّب الأسباب. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي كتب في الأزل أنهم يؤمنون، فإنهم المنتفعون به، فلا ينافي كونه بشيراً ونذيراً للناس كافة، واللام في قوله لقوم من باب التنازع، فعند البصريين تتعلق ببشير لأنه الثاني: وعند الكوفيين بالأول لسبقه، ويجوز أن يكون المتعلق بالندارة محذوفاً أي نذير للكافرين ودل عليه ذكر مقابله كما تقدم اهـ كرخي.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الخطاب لأهل مكة. قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ أي من النفس المذكورة التي هي آدم، والتأنيث باعتبار لفظ النفس، وقوله: ﴿لِيَسْكُنَ﴾ أي آدم فالضمير راجع للنفس، وتذكيره باعتبار المعنى، وقوله: ﴿إِلَيْهَا﴾ أي إلى زوجها، وهو حواء وقوله: ﴿فَلَمَّا تَفَشَّاهَا﴾ آدم زوجته، فالضمير في تغشي يرجع لآدم المعبر عنه بالنفس، والضمير البار لزوجته. وقوله: وَيَأْلَفَهَا عطف تفسير، وعبرة الخازن: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أي ليأنس بها ويأوي إليها اهـ.

تَفْسَلْنَهَا ﴿جَامِعَهَا﴾ حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا ﴿هُوَ النَّطْفَةُ﴾ فَمَرَّتْ بِهِ ﴿ذَهَبَتْ وَجَاءَتْ لَخْفَتِهِ﴾ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴿بِكَبْرِ الْوَلَدِ فِي بَطْنِهَا وَأَشْفَقَا أَنْ يَكُونَ بِهِيمَةً﴾ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَاكَ وَلَدًا ﴿صَلِيلًا﴾ سَوِيًّا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْفَكِرِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾ لَكَ عَلَيْهِ ﴿فَلَمَّا آتَيْنَاهَا﴾ وَلَدًا ﴿صَلِيلًا جَمَلًا لَمْ يَشْرَكَهُ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ بَكْسِرِ الشَّيْنِ وَالتَّنْوِينِ أَيِ شَرِيكَاً ﴿فِيمَا آتَيْنَاهَا﴾ بِتَسْمِيَتِهِ عَبْدَ الْحَرِثِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَبْدًا إِلَّا

قوله: ﴿حَمَلًا خَفِيفًا﴾ المشهور أن الحمل بالفتح ما كان في بطن أو على شجرة، والحمل بالكسر خلافه، وقد حكى في كل منهما الكسر والفتح، وهو هنا إما مصدر فينتصب انتصاب المفعول المطلق أو الجنين المحمول فيكون مفعولاً به، ونضفته إما عدم التأذي به كالحوامل أو على الحقيقة في ابتدائه وكونه نطفة لا تثقل البطن اهـ شهاب.

قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي ترددت في أغراضها من غير مشقة ولا كلفة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ أي صارت ذات ثقل كقولهم ألبن الرجل وأتمر أي صار ذا لبن وتمر، وقيل: دخلت في الثقل كقولهم أصبح وأمسى أي دخل في الصباح والمساء، وقرئ: أثقلت مبنياً للمفعول اهـ سمين.

قوله: (بكبر الولد) الباء سببية اهـ.

قوله: (وأشفقا) أي خافا على آدم وحواء أن يكون أي الولد الذي في بطنها بهيمة، فخافا أن يكون كلباً أو قرداً وغير ذلك، وذلك لأنهما لم يكونا مجربين لهذا الأمر، ولم يكونا عالمين بحقيقة الحال خصوصاً وقد جاءها إبليس وقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت: لا أدري، فقال لها يحتمل أن يكون كلباً أو حماراً أو غير ذلك، ويحتمل أن يخرج من عينك، أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه، فخوفها بهذا كله فعرضت الأمر على آدم فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ متعلق الدعاء محذوف لدلالة الجملة القسمية عليه، أي دعواه في أن يؤتيهما ولداً صالحاً. وقوله: ﴿لئن آتينا﴾ هذا القسم وجوابه فيه وجهان، أظهرهما: أنه مفسر لجملة الدعاء كأنه قيل فما كان دعاؤهما فقيل: كان دعاؤهما كيت وكيت، ولذلك قلت إن هذه الجملة دالة على متعلق الدعاء. والثاني: أنه مفعول لقول مضمّر تقديره، فقالا: لئن آتينا، ولنكونن جواب القسم وجواب الشرط محذوف على ما تقرر: وصالحاً تقيه قولان، أظهرهما: أنه مفعول ثانٍ أي ولداً صالحاً. والثاني: وبه قال مكّي إنه نعت مصدر محذوف أي إيتاء صالحاً، وهذا لا حاجة إليه لأنه لا بد من تقرير المؤتى لهما اهـ سمين.

قوله: (سويّاً) أي مستوى الأعضاء خالياً عن العرج وغير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: (عليه) أي علي إيتائه.

قوله: ﴿جَمَعَلَهُ شَرَكَاءَ﴾ المراد بالجمع هنا المفرد بدليل القراءة الأخرى التي نبه عليها الإشارح وهو شرك بوزن علم، وقوله: أي شريكاً تفسير لكل من القراءتين اهـ.

قوله: (أي شريكاً) هو إبليس، فجعله شريكاً لله في ذلك الولد حيث سمياه عبد الحارث الذي هو إبليس، مع أن الولد عبد الله. فصار إبليس مشاركاً لله في ملك ذلك الولد. وسنأدته عليه، فقول

لله وليس إشراك في العبودية لعصمة آدم، وروى سمرة عن النبي ﷺ قال «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»، رواه الحاكم وقال صحيح، والترمذي وقال حسن غريب ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا

المفسر أي شريكاً تفسير على كل من القراءتين، أما على الثانية فظاهر، وأما على الأول فللتعبير عن المفرد، وهو إبليس بالجمع على سبيل المبالغة اهـ شيخنا.

قوله: (بسميته) أي الولد الذي آتاهما عبد الحارث والحراث. كان إذ ذاك من أسماء إبليس، فلما أشفقاً من أن يكون الحمل بهيمة، وخافا عليه أيضاً من الموت قال إبليس لها: أنا بمنزلة من الله وقرب، فأطيعيني وسميه عبد الحارث، وهو يعيش، وغرض اللعين بذلك التوصل لكون الولد عبده، فيكون شريكاً لله في مالكية الخلق اهـ شيخنا.

قوله: (وليس بإشراك) أي ليس الجعل المذكور بإشراك الله، وقوله: في العبودية كان الأولى أن يقول في العبادة أو في المعبودية أي بل هو إشراك في التسمية، وهذا لا يقتضي الكفر اهـ شيخنا.

قوله: (وروى سمرة الخ) غرضه بذلك الرد على المفسرين حيث سلخوا في هذا المقام وجوهاً من التفاسير لا تطابق مقتضى الحديث، فلذلك قال: رواه الحاكم وقال الخ اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وقصد الشيخ المصنف بسياق الحديث التلويح بالرد على البيضاوي وغيره أن هذا الكلام لا يليق بالأنبياء، وقد روي كما قال الواحدي أن النبي ﷺ قال: «خدعهما إبليس مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض» اهـ.

قوله: (وكان لا يعيش لها ولد) وذلك أنها ولدت قبل ذلك عبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، فأصابهم الموت. قال ابن عباس: لما ولد آتاه إبليس، فقال: سأصبح لك في شأن ولدك هذا سميه عبد الحارث، وكان اسمه في السماء الحارث فقال آدم: أعوذ بالله من طاعتك إني أطعتك في أكل الشجرة فأخرجتني من الجنة، فلن أطيعك. فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر، فقال: أطعني وإلا مات كما مات الأول. فعصاه فمات ولده، فقال: لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ الآية اهـ خازن.

قوله: (من وحي الشيطان) أي وسوسته. قوله: (والجملة) أي قوله: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يَشْرَكُونَ﴾ مسيبة الخ والتقدير. ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾، ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يَشْرَكُونَ﴾، ويكون في قوله: يشركون التفات وما بينهما وهو قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله مسيبة عطف على خلقكم أي وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلاً ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركان كقوله دعوا الله ربهما. قال ابن الجزري في كتابه النفيس: قد تأتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها، وفي القرآن يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا قول الملائكة. قال فرعون: فماذا تأمرون اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يَشْرَكُونَ﴾ قيل هذه جملة استثنائية، والضمير في يشركون

يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أي أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض  
 ﴿أَيُّشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا  
 أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ ﴿وَلَا  
 تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْتُهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ

يعود على الكفار والكلام قد تم قبله، وقيل يعود على آدم وحواء وإبليس، والمزاد بالإشراك تسميتهما  
 الولد الثالث بعبد الحارث، ويؤيد الوجه الأول قراءة السلمي عما تشركون ببناء الخطاب، وكذلك  
 أتشركون ببناء الخطاب أيضاً وهو التفتات.

قوله: ﴿أَيُّشْرِكُونَ﴾ أي أهل مكة، وقوله: ﴿مَا لَا يَخْلُقُ﴾ ما واقعة على الأصنام، وأفرد الضمير  
 في يخلق نظراً للفظ ما وجمع في وهم يخلقون، ولا يستطيعون إلى آخر الضمائر نظراً لاعتنائها، والتعبير  
 عن الأصنام بضمير العقلاء بالنظر لما يلزم زعمهم فيها من الألوهية المستلزمة للعقل اهـ شيوخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾ يجوز أن يعود على ما من حيث المعنى، والمراد بها  
 الأصنام وعبر عنهم بها لاعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه في العقلاء، أو لأنهم يخلطون بمن عبد من  
 العقلاء كالسيح وعزير، أو يعود على الكفار أي والكافرون ومخلوقون فلو تفكروا في ذلك لآمنوا  
 اهـ.

قوله: (أي لعابديهم) أي عبدتهم. قوله: (من أراد بهم) أي الأصنام سوءاً. قوله: (والاستفهام)  
 أي في قوله: ﴿أَيُّشْرِكُونَ﴾.

قوله: ﴿وَأَن تَدْعُوهُمْ﴾ الخ بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفي عنها، وأيسر وهو  
 مجرد الدلالة على المطلوب من غير تحصيله للطالب، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن  
 مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيك اهـ أبو السعود وقوله: ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ أي لكم أي إن تدعوهم إلى  
 أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله اهـ يضاوي.

وفي السمين: قوله: ﴿وَأَن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ الظاهر أن الخطاب للكفار وضمير النصب  
 للأصنام، والمعنى وإن تدعوا آلهتكم إلى طلب هدى ورشاد كما تطلبونه من الله لا يتابعوكم على  
 مرادكم، ويجوز أن يكون الضمير للرسول والمؤمنين والمنصوب للكفار أي: وإن تدعوا أنتم هؤلاء  
 الكفار إلى الإيمان، ولا يجوز أن يكون تدعوا مستنداً إلى ضمير للرسول فقط والمنصوب للكفار أيضاً،  
 لأنه كان ينبغي أن تحذف الواو لأجل الجازم، ولا يجوز أن يقال قدر حذف الحركة وثبت حرف العلة،  
 ويكون مثله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصْبِرُ﴾ [يوسف: ٩٠] ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦] ﴿لَا تَخَفْ  
 دُرُكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧] لأنه ضرورة وأما الآيات فمؤولة اهـ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءة ثان سبعيتان. قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الخ استئناف مقرر  
 لمضمون ما قبله أي سواء عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم، فإنه لا يتغير حالكم في  
 الحالتين، كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية، وقوله: ﴿أَمْ أَنْتُمْ﴾ الخ جملة اسمية في معنى الفعلية  
 معطوفة على الفعلية، لأنها في قوة أم صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته  
 للسكوت الذات المستمر اهـ أبو السعود.



أَتَدْعُونَ<sup>(١٩٣)</sup> عَنْ دَعَائِهِمْ وَلَا يَتَّبِعُوهُ لَعَدَمِ سَمَاعِهِمْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿يَنْدُونَ اللَّهَ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿فِي أَنَّهَا آلَهُ ثُمَّ بَيْنَ غَايَةِ عَجْزِهِمْ وَفَضْلِ عَابِدِيهِمْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ﴾ أَلَهُمْ أَزْجَلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ ﴿بَلْ أ﴾ لَهُمْ أَتَدْعُونَ ﴿يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بَلْ أ ﴿لَهُمْ أَتَدْعُونَ يَمْشُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكاري أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أنتم حالاً منهم ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَدْعَاؤُكُمْ شِرْكٌ لَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ تمهلون فإنني لا أبالي بكم ﴿إِنْ وَلِيَّ

وفي السمين: وإنما أتى في الآية بالجملة الثانية اسمية، لأن الفعل يشعر بالحدث، ولأنها رأس فاصلة، والصمت السكوت يقال منه صمت يصمت بالفتح في الماضي، والضم في المضارع، ويقال صمت بالكسر يصمت بالفتح، والمصدر الصمت بضم الصاد اهـ.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ الخ تقرير لما قبله. قوله: (مملوكة) إشارة إلى جواب ما يقال كيف يحسن وصف الأصنام بأنها عباد أمثالهم مع أنها جمادات. ولفظ العباد إنما يطلق على الأحياء العقلاء، وكيف عبر عنها بضمير العقلاء في قوله: ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ وإيضاح الجواب أن المشركين لما اعتقدوا ألوهيتها ألزمهم كونها حية عاقلة، وإن كان خلاف الواقع فوردت هذه الألفاظ فيها على مقتضى اعتقادهم اهـ زاده.

وفي أبي السعود: عباد أمثالكم أي لا من كل وجه، بل من حيث إنها مملوكة لله مسخرة لأمره عاجزة عن النفع والضرر. وقوله: ﴿فادعوهم﴾ الخ تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم أي فادعوهم في جلب نفع أو كشف ضرر اهـ.

قوله: (وفضل عابديهم) أي بزيادتهم عليهم بهذه الأعضاء المذكورة ومنافعها اهـ.

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ﴾ الخ أم بمعنى بل والهمزة معاً، كما صنع الشارح والإضراب المفاد ببل انتقالي من توبيخ إلى توبيخ آخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ في المصباح: بطش بطشاً من باب ضرب، وبها قرأ السبعة، وفي لغة من باب قتل وبها قرأ الحسن البصري، وأبو جعفر المدني. والبطش: هو الأخذ بعنف، وبطشت اليد إذا عملت فهي باطشة اهـ.

قوله: (استفهام إنكار) أي في المواضع الأربعة. قوله: (أي ليس لهم شيء من ذلك) أي المذكور من الأعضاء الأربعة ومنافعها، وقوله: مما هو لكم بدل من ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي واستعينوا بهم في عداوتي، ثم كيدوني فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون تمهلون، فإنني لا أبالي بكم لاعتمادي على ولاية الله وحفظه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ثُمَّ كِيدُونِي﴾ قرأ أبو عمرو كيدوني بإثبات الياء وصلّاً وحذفها وقفاً، وهشام بإثباتها في الحالتين والباقون بحذفها في الحالتين. وفي القرآن فكيدوني ثلاثة ألفاظ هذه، وقد عرف حكمها وفي

اللَّهُ ﴿مَتَوَلَّى أُمُورِي﴾ ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ ﴿الْقُرْآنَ﴾ ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ﴿بِحِفْظِهِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَلْظِمُونَ فِتْرَتَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَهْضُمُونَ﴾ ﴿فَكَيْفَ أَبَالِي بِهِمْ﴾ ﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ﴾ ﴿أَيَّ الْأَصْنَامِ إِلَى الْهَدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ﴾ ﴿أَيَّ الْأَصْنَامِ يَا مُحَمَّدُ﴾ ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ ﴿أَيَّ يَقَابِلُونَكَ كَالنَّاظِرِ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ﴿أَيَّ الْيَسْرِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَلَا تَبْحَثْ عَنْهَا﴾ ﴿وَأَسْرَ بِالْعَرَفِ﴾ ﴿الْمَعْرُوفِ﴾

هود فكيدوني جميعاً أثبتنا القراء كلهم في الحالتين، وفي المرسلات: فإن كان لكم كيد فكيدون حذفها الجميع في الحالتين، وهذا نظير ما مرّ لك من لفظ واخشون، فإنها في البقرة ثابتة للكل وصلاً ووقفاً ومحذوفة في أولى المائدة، ومختلف فيها في ثانيها اهـ سمين.

وأما ياء فلا تنظرون فكلهم يحذفونها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ﴾ العامة على تشديد ولي مضافاً لياء المتكلم المفتوحة، وهي قراءة واضحة أضاف الولي إلى نفسه. وقرأ أبو عمرو في بعض طرقه: إن ولي بياء واحدة مشددة مفتوحة اهـ سمين.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ الخ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم اهـ يضاوي فهو معطوف على قوله ﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ﴾ أي لأن ولي الله، ولأن الذين تدعون الخ وغرضه بهذا رفع توهم التكرار مع ما سبق، ولذا قيل: إنما مر للفرق بين من تجوز عبادته وغيره، وهذا جواب ورد لتخويفهم لهم بأنهم اهـ شهاب.

وفي أبي السعود: ﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ﴾ تعليل لعدم المبالاة بهم المفهوم من السوق فهماً جلياً اهـ. فلذلك قدر الشارح المعلل بقوله: فإنني لا أبالي بكم اهـ.

قوله: ﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي وإن تدعوا أيها المشركون أصنامكم إلى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم، ويحتمل أن تكون الآية في صفة المشركين، والمعنى: وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين لا يسمعوا أي لا يقبلوا ذلك بقلوبهم، فلا يجيبوكم وتراهم يا محمد ينظرون إليك بأعينهم وهم لا يبصرونك بقلوبهم اهـ زاده.

قوله: ﴿لَا يَسْمَعُوا﴾ أي لا يسمعوا دعاءكم فضلاً عن المساعدة والإمداد، وهذا أبلغ من نفي الاتباع، وقوله: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الخ بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع، وبه يتم التعليل فلا تكرر أصلاً، ورأى بصرية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ حال من المفعول. قوله: ﴿أَيَّ يَقَابِلُونَكَ كَالنَّاظِرِ﴾ أي لأنهم مصورون بالعين والأنف والأذن اهـ كرخي.

قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أي اقبل العفو ولما ذكر من أباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق حمله أمره عليه السلام بمكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الْيَسْرِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ﴾ هذا أحد قولين في معنى العفو، والآخر أن المراد به ما يقيصر من المال. وفي الخازن: العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة، والمعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم يستقصوا عليك، فتولد العداوة والبغضاء. وقال مجاهد: يعني خذ العفو

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلا تقابلهم بسفهمهم ﴿وَلِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط

من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار منهم، وترك البحث عن الأشياء. والعفو: المساهلة في كل شيء، وقال ابن عباس: يعني خذ ما عفي لك من أموالهم فما أتوك به من شيء فخذ، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه. وقال السدي: ﴿خذ العفو﴾ أي الفضل من المال نسختها آية الزكاة. قال بعضهم: أول هذه الآية وآخرها منسوخان، وأوسطها محكم. يريد بنسخ أولها أخذ الفضل من الأموال فتنسخ بفرض الزكاة والأمر بالمعروف محكم والإعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال اهـ.

قوله: (ولا تبحث عنها) أي الأخلاق. قوله: ﴿وأمر بالعرف﴾ يعني وأمر بكل ما أمرك الله به، وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل، وكل ما يعرف في الشرع حسنه اهـ خازن.

قوله: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ قيل: لما نزلت سأل النبي جبريل عن معناها فقال: لا أدري حتى أسأل ربي فذهب ثم رجع، فقال: يا محمد ربك أمر أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك. وروي أنه لما نزلت قال عليه السلام: «كيف يا رب بالغضب»، فنزل ﴿وَلِمَّا يَنْزَعُكَ﴾ الخ اهـ السعود.

قوله: (فلا تقابلهم بسفهمهم) هذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية اهـ كرخي. فإن فسر الجاهلون بضعفاء الإسلام وجفاة الأعراب كانت الآية محكمة، لأن المراد بالإعراض عنهم أن لا يعرفهم ولا يقابلهم بمقتضى غلظتهم في القول والفعل، وإن فسروا بالكفار كانت الآية منسوخة، ويكون المراد بالإعراض عنهم تركهم على ما هم عليه، وإقرارهم على كفرهم، وقد أشار القرطبي للقولين، وما ذكره الشارح يتبادر في القول الأول وما تقدم عن الخازن صريح في القول الثاني.

قوله: ﴿وَلِمَّا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي ينخسك منه نخس أي وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكرة، والتزع والتنع والنخس والغرز شبه وسوسته الناس إغراء لهم على المعاصي وازعاجاً بغرز السائق لما يسوقه، فاستعذ بالله إنه سميع يسمع استعاذتك عليهم يعلم ما فيه صلاح أمرك، فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليهم بأفعاله فيجازيه عليها مغنياً لك عن الانتقام ومتابعة الشيطان اهـ بضاوي. والغرز بغين معجمة وراء هملة وزاي إدخال الإبرة وطرف العصا وما يشبه في الجلد كما يفعله السائق لحث الدواب اهـ شهاب.

وقوله: شبه وسوسته النخ أي ففي الآية استعارة تبعية حيث شبه الإغراء على المعاصي بالتزع، واستعير التزع للإغراء ثم اشتق منه ينزعك اهـ زكريا.

قوله: ﴿وَلِمَّا يَنْزَعُكَ﴾ الخ المعنى وإما يصيبك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة أو نخسة، فاستعذ بالله يعني فاستعجر بالله والجأ إليه في دفعه عنك اهـ خازن.

وجواب الأمر محذوف يدفعه عنك ﴿إِنَّهُمْ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالفعل ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَائِفٌ﴾ وفي قراءة طائف أي شيء ألم بهم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَلَكَرُّوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْتَعَرُونَ﴾ المحق من غيره فيرجعون ﴿وَلِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿فِي الْغَيِّ ثَمَّ﴾ هم ﴿لَا يَقْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصر كما

قوله: (عما أمرت به) أي من العفو والأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهلين، وقوله: صارف كالغضب. قوله: (وجواب الأمر) وهو فاستعذ.

قوله: ﴿طَيْفٌ﴾ بوزن يبع يقال: طاف بطيف طيفاً كباع يبيع بيعاً فوزنه فعل ويحتمل أنه مخفف طيف كميته مخفف ميت فوزنه فيل لأن عينه وهي الياء الثانية محذوفة اهـ شيخنا.

قوله: (أي شيء النخ) تفسير للقراءتين أي شيء قليل من وسوسة الشيطان ألم بهم أي نزل بهم، فإذا وسوس لهم بفعل المعاصي أو بترك المطلوبات، فذكروا عقاب الله على الأول وثوابه على الثاني، فرجعوا لترك المعاصي وفعل المطلوبات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ آل فيه جنسية فيصدق بالجمع، فلهذا أعيد الضمير عليه جمعاً في قوله: ﴿وإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونَهُمْ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (من الكفار) بيان للإخوان وقوله: ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ خبر جرى على غير من هو له، لأن الواو التي هي فاعل عائدة على الشياطين، فالرابط للخبر بالمبتدأ هو الهاء البارزة، فكانه قيل: والكفار الذين هم إخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ في هذه الآية أوجه.

أحدها: أن الضمير في إخوانهم يعود على الشياطين لدلالة لفظ الشيطان عليهم، أو على الشيطان نفسه، لأنه لا يراد به الواحد، بل الجنس، والضمير المنصوب في يمدونهم يعود على الكفار، والمرفوع يعود على الشياطين، أو الشيطان كما تقدم. والتقدير: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين وعلى هذا الوجه فالخبر جار على غير من هو له في المعنى. ألا ترى أن الإنداد مستند إلى الشياطين وهو في اللفظ خبر عن إخوانهم، وهذا التأويل الذي ذكرته هو قول الجمهور، وعليه هامة المفسرين. قال الزمخشري: هو أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا.

الثاني: أن المراد بالإخوان الشياطين وبالضمير المضاف إليه الجاهلون، أو غير المتقين لأن الشيء يدل على مقابله، والواو تعود على الإخوان، والضمير المنصوب يعود على الجاهلين أو غير المتقين، والمعنى: الشياطين الذين هم إخوان الجاهلين أو غير المتقين يمدون الجاهلين، أو غير المتقين في الغي، والخبر في هذا الوجه جار على من هو له لفظاً ومعنى، وهذا تفسير قتادة.

الثالث: أن يعود الضمير المجزور والمنصوب على الشياطين، والمرفوع على الإخوان، وهم الكفار. قال ابن عطية: ويكون المعنى وإخوان الشياطين في الغي بخلاف الاخوة في الله تعالى يمدونهم أي بطاعتهم لهم وقبولهم منهم. وقرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم، من أحد،

تبصر المتقون ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ أي أهل مكة ﴿وَيَايَا﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ أنشأتها من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ حجج ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر

وبالباقي بفتح الباء وضم الميم من مد، وقد تقدم الكلام على هذه المادة هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق في أوائل هذا الموضوع اهـ.

قوله: (ثم) ﴿هم﴾ أي الإخوان وقوله: يكفون عنه أي: الغي. قوله: (بالتبصر) في المختار: التبصر التأمل، والتعرف والتبصير التعريف والإيضاح اهـ.

قوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ أي إذا تباطأت عليهم بظهور الخوارق على يدك قالوا الخ اهـ.

قوله: (بما اقترحوا) أي طلبوا. قوله: ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ لولا تحضيضية، فالكلام على معنى الطلب أي: اجتبيها واخترعها من عند نفسك، كما هو شأنك وعادتك. وفي الخازن: لولا اجتبيتها يعني افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك. تقول العرب: اجتبيت الكلام إذا اختلقته وافتعلته، وقال الكلبي: كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعتاً، فإذا تأخرت اتهموه، وقالوا: لولا اجتبيتها يعني هلا أحدثتها وأنشأتها من عندك اهـ.

قوله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من جملة المقول، وأصل البصيرة ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الإنسان، فيهدي به، فأطلق على القرآن لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب اهـ كرخي.

وفي المختار: البصيرة الحجة والاستبصار في الشيء وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] قال الأخفش: جعله هو البصيرة، كما تقول للرجل أنت على حجة في نفسك اهـ.

وقوله: (حجج) أي مشتملة على حجج اهـ.

قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ الخ يحتمل أنه من عند الله مستأنف، ويحتمل أنه من جملة المقول المأمور به، وقوله: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ له متعلق باستمعوا على المعنى لأجله، والضمير للقرآن. وقال أبو البقاء: يجوز أن يكون بمعنى لله أي لأجله، فأعاد الضمير على الله وفيه بعد، ويجوز أيضاً أن تكون اللام زائدة أي فاستمعوه، وقد عرفت أن هذا لا يجوز عند الجمهور إلا في موضعين: إما عند تقديم المعمول، أو كون العامل فرعاً، ويجوز أيضاً أن تكون بمعنى إلى ولا حاجة إليه اهـ سمين.

قوله: (نزلت في ترك الكلام في الخطبة) أي فالأمر للوجوب وقوله: لاشتمالها عليه أي فهو مجاز مرسل وقوله: وقيل في قراءة القرآن مطلقاً أي فالأمر للندب. هذان قولان في بيان سبب نزولها وبقي قولان آخران حكاهما الخازن ونصه: واختلف العلماء في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له إذا قرأ لأن قوله: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ أمر، وظاهر الأمر الوجوب، فمقتضاها أن يكون الاستماع والسكوت واجبين، وللعلماء في ذلك أقوال.

عنها بالقرآن لاشتغالها عليه وقيل في قراءة القرآن مطلقاً ﴿وَأَذْكُرْكَ فِي قَفِيلِكَ﴾ أي سرّاً ﴿تَضَرَّعاً﴾ تذلاًّ ﴿وَحَيْفَةً﴾ خوفاً منه ﴿و﴾ فوق السر ﴿دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي قصداً بينهما

القول الأول: وهو قول الحسن وأهل الظاهر أن فحوى هذه الآية على العموم ففي أي وقت وفي أي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت.

القول الثاني: أنها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم، فأمروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن، وقال عبد الله: كان يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان سلام على فلان. قال: فجاء القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾.

القول الثالث: أنها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات، وهم خلف رسول الله ﷺ. وعن أبي سعيد أنه سئح ناساً يقرأون مع الإمام، فلما انصرف قال: أما أن لكم أن تفقهوا ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ كما أمركم الله. وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار.

القول الرابع: أنها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء، قال مجاهد: الانصات للإمام يوم الجمعة، وقال عطاء: وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن، وعند الإمام وهو يخطب، وهذا القول قد اختاره جماعة، وفيه بعد لأن الآية مكية والخطبة إنما وجبت بالمدينة اهـ.

وقوله: وفيه بعد الخ هذا البحث ذكره أيضاً غيره كالقرطبي والخطيب اهـ.

وكون الأمر بالانصات للوجوب على إرادة الخطبة لا يلاقي مذهب الشافعي الجديد، لأن استماع الخطيب سنة نعم يتمشى على مذهبه القديم وعبارة المنهاج مع شرحها للبحلي، واسماع أربعين كاملين، والجديد إنه لا يحرم عليهم الكلام فيها ويسن الانصات لها، والقديم يحرم الكلام، ويجب الانصات لها، واستدل له بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ ذكر في التفسير أنها نزلت في الخطبة، وسميت قرآناً لاشتغالها عليه، والأمر للوجوب وعلى الأول الأمر في الآية للاستحباب اهـ.

قوله: (أي سرّاً) أي أسمع نفسك وهو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتلهيل، وغير ذلك لأن الاخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلى حسن التفكير اهـ كرخي.

قوله: ﴿تَضَرَّعاً وَحَيْفَةً﴾ في نصبهما وجهان، أظهرهما: أنهما مفعولان من أجلهما لأنه يتسبب عنهما الذكر. والثاني: أن يتنصبا على المصدر الواقع الحال أي متضرعين خائفين، أو ذوي تضرع وحيقة اهـ كرخي.

وحيفة أصله خوفة فوقعت الواو ساكنة اثر كسرة، فقلبت ياء فهو واوي من الخوف كما قال الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ أي على ما يفهم منه من كون المراد به

﴿يَا قُدُّوسُ وَالْأَصَلُّ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون له ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَمْ يَسْجُدُوا﴾ أي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

سراً كما صنع الشارح اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: وفوق السر دون الجهر أشار به إلى أن دون الجهر صفة لشيء محذوف هو الحال كما قدره الزمخشري، وفيه الرد على أبي البقاء في جعله معطوفاً على تضرعاً، والتقدير: مقتصدین لضعفه لأن دون ظرف لا يتصرف على المشهور اهـ.

قوله: ﴿من القول﴾ كأن هذا حال من دون أي حال كون الدون كائناً من القول، أو أن من متعلقة بالجهر على أنها بمعنى الباء أي الجهر بالقول تأمل. قوله: (أي قصداً بينهما) أي توسطاً بينهما. قوله: ﴿بالغدو﴾ وجمع غدوة بضم الغين وسكون الدال، وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والآصال جمع أصيل، وهو من العصر إلى الغروب اهـ شيخنا.

وإنما خص هذين الوقتين بالذكر، لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الميت فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل. وأما وقت الآصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل للنوم الذي هو أخو الموت فيستحب له أن يشغله بالذكر لأنها حالة تشبه الموت، ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل. وقيل: إن أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره، فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر، ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى الغروب، فاستحب له الذكر في هذين الوقتين، ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر. وقيل: لما كانت الصلاة بعد الصبح وبعد العصر مكروهة استحب للعباد أن يذكر الله في هذين الوقتين، ليكون في جميع أوقاته مشغلاً بما يقربه إلى الله عز وجل من صلاة أو ذكر اهـ خازن.

قوله: ﴿عند ربك﴾ المراد بالعندية القرب من الله بالزلفى والرضا لا المكانية، أو المراد عند عرش ربك اهـ شهاب.

وفي القرطبي: ومعنى العندية أنهم في مكان لا ينفذ فيه إلا حكم الله، وقيل: لأنهم رسل الله كما يقال عند الخليفة جيش كثير، وقيل: هذا على جهة التشريف لهم، وأنهم بالمكان المكرم، وهو عبارة عن قربهم في الكرامة لا في المسافة اهـ.

قوله: ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ نفي الاستكبار يجزى للطاعة وهي إما قلبية وإما بدنية، فأشار للأولى بقوله: ويسبحونه، لأن التسبيح التنزيه أي اعتقاد تنزهه تعالى عما لا يليق به. وإلى الثانية بقوله: ﴿وله يسجدون﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (أي يخصونه الخ) أخذ هذه من تقديم المعمول، وقوله: بالخضوع تفسير للسجود، وقوله: والعبارة تفسير للخضوع، فالمراد بالسجود العبادة من حيث هي لا خصوص السجود المعروف اهـ شيخنا.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الأنفال

مدنية أو إلا ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ الآيات السبع فمكية  
وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان هي لنا لأننا باشرنا القتال وقال الشيوخ  
كنا ردءاً لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفتتم إلينا فلا تستأثروا بها نزل ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد  
﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيث شاء فقسمها ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (سورة الأنفال) مبتدأ أخبر عنه بخبرين الأول قوله مدنية، والثاني قوله خمس الخ وقوله  
مدنية أي كلها وهو الأصح كما في الخازن، وإن كانت الآيات السبع المذكورة في شأن الواقعة التي  
وقعت بمكة إذ لا يلزم من كون الواقعة في مكة أن تكون الآيات التي في شأنها كذلك، فالآيات  
المذكورة نزلت بالمدينة تذكيراً له بما وقع في مكة، فقوله: أو إلا الخ هذا القول ضعيف اهـ شيخنا  
قوله: (الآيات السبع) آخرها قوله: بما كنتم تكفرون. قوله: (وقال الشيوخ) أي الذين أخذوا  
يرسل الله ﷺ وقعدوا عنده خوفاً عليه من العدو. قوله: (كنا ردءاً لكم) أي عوناً أبرأنا وتديرها وثباتنا  
لكم تحت الرايات. وفي المصباح: والردء مهموز وزان حمل المعين وأردأته بالالف أعتته اهـ.  
قوله: (ولو انكشفتم) أي انهزمتم لفتمم إلينا أي لرجعتم إلينا اهـ.

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي سؤال استفتاء لأن هذا أول تشريع الغنيمة، وفاعل السؤال يعود على  
معلوم، وهو من حضر بدر، أو سأل تارة يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول فيتعدى بمن كهذه  
الآية، وقد يكون لاقتضاء مال نحوه فيتعدى لاثنتين نحو سألت زيداً مالاً، وقد ادعى بعضهم أن السؤال  
هنا بهذا المعنى، وزعم أن عن زائدة. والتقدير: يسألونك الأنفال، وأيد هذا بقراءة سعد بن أبي  
وقاص، وابن مسعود، وعلي بن الحسين وغيرهم، يسألونك الأنفال بدون عن، والصحيح أن هذه  
القراءة على إرادة حرف الجر، وقال بعضهم: عن بمعنى من وهذا لا ضرورة تدعو إليه اهـ سمين.

قوله: ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ جمع نفل بفتح النون والفاء كفرس وأفراس، والمراد بها الغنائم كما قال  
الشارح، وسميت أنفالاً. والنفل هو الزيادة لزيادة هذه الأمة بها على الأمم السابقة اهـ شيخنا.  
وفي المصباح: النفل الغنيمة، والجمع أنفال مثل سبب وأسباب والنفل مثل فلس مثله اهـ.



بينهم على السواء، رواه الحاكم في المستدرک ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١﴾ حقاً ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ﴾

قوله: ﴿الله والرسول﴾ هذا فيه نوع إجمال بينه ما سيأتي في قوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ [الأنفال: ٤١] الآية فهذه الآية محكمة على التحقيق لا منسوخة، غاية الأمر أنها مبينة بما يأتي اهـ شيخنا.

فعلى هذا معنى قوله: ﴿الله والرسول﴾ أنها لهما من حيث القسمة، وليس المراد أنها للرسول من حيث الاستقلال بالملك. وعبرة أبي السعود: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ أي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه الصلاة والسلام كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد اهـ.

والقول بأنها منسوخة مبني على أن المراد من قوله هنا لله والرسول كان بملكها يتصرف فيها كيف يشاء اهـ.

قوله: (أي حقيقة ما بينكم) أي نفس ما بينكم، والذي بينهم هو الوصلة الإسلامية، فالبين هنا بمعنى الاتصال كما تقدم في قوله: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤]، وتقدم هناك أن البين يطلق على الضدين الاتصال والفراق، وذات هذا البين هي بحاله أي الأمور التي تحققه كما قال بالمودة وترك النزاع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ جوابه كما ذهب إليه أبو العباس المبرد وغيره، أطيعوا الله السابق إذ يجوز عندهم تقديم الجواب على الشرط. والصحيح ما ذهب إليه سيويه، وهو أنه محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه تنشيط للمخاطبين، وحث لهم على المسارعة إلى الامتثال اهـ كرخي. وسكوت الشارح عليه حيث لم يقدره يشعر بأنه جرى على القول الأول.

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الخ لما أمر بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بين في هذه الآية صفات المؤمنين وأحوالهم. وفي أبي السعود: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر أوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث، وفيه مزيد ترغيب لهم من الامتثال بالأوامر المذكورة أي: إنما الكاملون في الإيمان المخلصون فيه اهـ.

قوله: (الكاملون الإيمان) أي فيه فهو منصوب على نزع الخافض. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ الخ وصل الذين بصلات ثلاثة كلها ترجع للعبادات القلبية، ثم وصفهم بقوله ﴿الَّذِينَ يقيمون الصلاة﴾ الخ، ووصل هذه الثانية بصلتين، إحداها ترجع إلى العبادات البدنية، والأخرى ترجع إلى العبادات المالية، ثم قال ﴿أُولَئِكَ﴾ أي الموصوفون بالصفات الخمس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَجِلَتْ﴾ (خافت) ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عبارة البيضاوي: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، فزعت لذكره استعظماً وتهيباً من جلاله، وقيل: هو الرجل يريد المعصية ويهم بها، فيقال له: اتق الله فيفرغ منه خوفاً من عقابه اهـ.

إِيمَانًا ﴿تَصَدِيقًا﴾ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ بِهِ يَثْقُونَ لَا بَغْيَ لَهُ ﴿الَّذِينَ يُقْسِمُونَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ يَأْتُونَ بِهَا بِحَقِّهَا ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذَكَرَ ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صَدَقَ بِلَا شَكٍّ ﴿لَهُمْ دَرَجَاتُ﴾ مَنَازِلُ فِي الْجَنَّةِ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

وفي السمين: يقال وجل بالكسر في الماضي يوجل بالفتح، وفيه لغة أخرى قرىء بها شاذاً وجلت بفتح الجيم في الماضي وكسرها في المضارع، فتحذف الواو كوعد يعد، ويقال في المشهورة: وجل يوجل بإثبات الواو في المضارع اهـ.

فإن قيل: قد قال في آية أخرى ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال هنا ﴿وجلّت قلوبهم﴾، فكيف الجمع بينهما؟ قلت: الاطمئنان بذكره بصفات الجمال والوجل المذكور هنا إنما هو بذكره ووعيده كما قال الشارح، كذا يستفاد من الخازن. قوله: ﴿آيَاتِهِ﴾ أي القرآن. قوله: (تصديقاً) يشير به إلى أن نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق النير بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات، ويقين آحاد الأمة. ويؤيد ذلك قول علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً، وكذا بين ما قام عليه دليل واحد، وما قامت عليه أدلة كثيرة، لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه، وأثبت لقدمه، وعليه يحمل ما نقل عن الشافعي من أنه يقبل الزيادة والنقص، فلا يرد كيف قال ذلك مع أن حقيقة الإيمان عند الأكثر لا تزيد ولا تنقص كالألوهية والوحدانية اهـ كرخي.

قوله: ﴿وعلى ربهم﴾ صلة ثالثة. وأشار الشارح إلى أن على بمعنى الباء، وأن يتوكلون بمعنى يثقون، وأن تقديم المعمول للحصر اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ التقديم يفيد الاختصاص أي عليه لا على غيره، وهذه الجملة يحتمل أن يكون لها محل من الإعراب، وهو النصب على الحال من مفعول زادتهم، ويحتمل أن تكون مستأنفة، ويحتمل أن تكون معطوفة على الصلة قبلها فتدخل في حيز الصلات المتقدمة، وعلى هذين الوجهين فلا محل لها من الإعراب اهـ.

قوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ صفة للذين قبله وقوله: (بحقوقها) الباء للملازمة أي ملتبسة بحقوقها اهـ.

قوله: ﴿ينفقون﴾ أي النفقة الواجبة والمندوبة.

قوله: (بما ذكر) أي من الصفات الخمس. قوله: ﴿حقاً﴾ يجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي ﴿هم المؤمنون﴾ إيماناً حقاً، ويجوز أن يكون مؤكداً لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله حقاً والعامل فيه على كلا القولين مقدر أي أحقه حقاً، ويجوز وهو ضعيف جداً أن يكون مؤكداً لمضمون الجملة الواقعة بعده وهي لهم درجات، ويكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿هم المؤمنون﴾ ثم ابتدء بحقاً ﴿لهم درجات﴾، وهذا إنما يجوز على رأي ضعيف أعني تقديم المصدر المؤكد لمضمون جملة عليها اهـ سمين.

قوله: ﴿لهم درجات﴾ أي لهم هذه الأمور الثلاثة: قوله: ﴿عند ربهم﴾ يجوز أن يكون متعلقاً بدرجات لأنها بمعنى أجور، وأن يتعلق بمحذوف لأنه صفة لدرجات أي استقرت عند ربهم، وأن يتعلق

كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي الْجَنَّةِ ﴿٢﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴿٣﴾ متعلق بأخرج ﴿٤﴾ وَإِنَّ قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٥﴾ الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال

بما تعلق به لهم من الاستقرار اهـ سمين .

قوله: ﴿ورزق كريم﴾ أي دائم مستمر مقرون بالإكرام والتعظيم اهـ شيخنا .

قوله: ﴿كما أخرجك﴾ ما مصدرية كما أشار له الشارح أي: أخرجك من المدينة لتأخذوا العير التي مع أبي سفيان أي لتغنمها، فأصل خروج النبي والمؤمنين لأجل أن يغنموا القافلة، فلم يكن في خروجهم كراهة، وإنما عرضت لهم الكراهة بعد الخروج قريب بدر، لما أخبروا أن العير نجت منهم، وأن قريشاً أتوا إلى بدر، وأشار عليهم النبي بأن يمضوا إلى قتال قريش الذين خرجوا ليدبوا المسلمين عن القافلة، فكره المسلمون القتال لا عصياناً، بل بالطبع حيث خرجوا من غير استعداد للقتال لا بعدد ولا بعدد، وإنما كان أصل خروجهم لأخذ الغنيمة، قوله: ﴿وإن فريقاً﴾ الخ حال مقدرة لما علمت أن الكراهة لم تقارن الخروج اهـ شيخنا .

قوله: ﴿من بيتك﴾ أي المدينة أو بيتك الذي بها اهـ شيخنا .

قوله: (متعلق بأخرج) عبارة السمين قوله: ﴿بالحق﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بالفعل أي بسبب الحق أي: أنه إخراج بسبب حق يظهر وهو علو كلمة الإسلام والنصر على أعداء الله . والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من مفعول أخرجك أي ملتبساً بالحق أي الوحي اهـ سمين . قوله: ﴿لكارهون﴾ فيه مراعاة معنى الفريق اهـ .

قوله: (وكما خبر مبتدأ محذوف) أي: لأن الكاف مثل . وعبارة السمين: قوله: ﴿كما أخرجك ربك﴾ فيه عشرون وجهاً، أحدها: أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره الانفال ثابتة لله ثبوتاً كما أخرجك أي ثبوتاً بالحق لإخراجك من بيتك بالحق، يعني أنه لا مرة في ذلك . الثاني: أن تقديره ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ إصلاحاً كما أخرجك، وقد التفت من خطاب الجماعة إلى خطاب الواحد . الثالث: تقديره ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ طاعة ثابتة محققة كما أخرجك أي كما أن إخراج الله إياك لا مرة فيه ولا شبهة . الرابع: تقديره يتوكلون توكلأً حقيقياً ﴿كما أخرجك ربك﴾ . الخامس: تقديره ﴿هم المؤمنون حقاً﴾ كما أخرجك فهو صفة لاحقاً إلى أن قال الخامس عشر: أنها في محل رفع على أنها خبر ابتداء مضمرة تقديره: هذه الحال كحال إخراجك بمعنى أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب . السادس عشر: أنها صفة لخبر مبتدأ، وقد حذف ذلك المبتدأ وخبره، والتقدير: قسمك الغنائم حق كما كان إخراجك حقاً . السابع عشر: أن التشبيه واقع بين إخراجين أي إخراج ربك إياك من بيتك وهو مكة وأنت كاره للخروج وكان عاقبة ذلك الإخراج النصر والظفر، لإخراجه إياك من المدينة، وبعض المؤمنين في أنه يكون عقيب ذلك الخروج الظفر والنصر والخير كما كانت عقيب ذلك الخروج الأول اهـ .

قوله: (أي هذه الحال) أي القصة والواقعة وهي حكم الله بأن ﴿الأنفال لله والرسول﴾، وقسمتك لها بينهم على السوية مع كون شبانهم يكرهون ذلك، ويحبون أن يستأثروا بها كما سبق، فكراهمتهم

في كراحتهم لها مثل إخراجك في حال كراحتهم وقد كان خيراً لهم فكذاك أيضاً وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليزبوا عنها وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيلاً لأبي جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور ﷺ أصحابه وقال إن الله وعدني إحدى الطائفتين فوافقوه

لقسمة الغنيمة على السوية مثل كراحتهم لقتال قريش. والحاصل أنه وقع للمسلمين في وقعة بدر كراحتان: قسمة الغنيمة على السوية، وهذه الكراهة من شبانهم فقط وهي بداعي الطبع، ولتأولهم بأنهم باشروا القتال دون الشيوخ. والكراهة الثانية كراهة قتال قريش وعذرهم فيها أنهم خرجوا من المدينة ابتداءً لقصد الغنيمة، ولم يتهيؤوا للقتال، فكان ذلك بسبب كراحتهم للقتال، فشبه الله إحدى الحالتين بالأخرى في مطلق الكراهة اهـ شيخنا.

قوله: (مثل إخراجك) أي مثل إخراج الله لك في حال كراحتهم للخروج، وقد علمت أن الحال مقدرة، لأن الكراهة لم تكن وقت الخروج تأمل اهـ شيخنا.

قوله: (وقد كان خيراً لهم) الجملة حالية أي: وقد كان الخروج خيراً لهم لما ترتب عليه من النصر والظفر، وقوله: ﴿فكذاك﴾ أي فهذه الحالة التي هي قسمة الغنيمة على السوية مثل الخروج في أن الكل خير لهم تأمل اهـ شيخنا.

فلفظ كذلك خبر مبتدأ محذوف أي: فهذه الحالة مثل ذلك أيضاً أي في أن كلاً خير، وقوله: أيضاً هو في الحقيقة بيان لوجه الشبه، فأيضاً معناها أن كلاً خير تأمل. قوله: (وذلك) أي إخراجهم مع كراحتهم للخروج، وقوله: أن أبا سفيان قدم بعير أي إبل حاملة تجارة، وكان فيها أموال كثيرة ورجال قليلة نحو الأربعين، وقوله: فخرج أبو جهل الخ أي بعد أن أخبره جبريل بهذه القافلة وبحالها من كثرة المال وقلة الرجال، وبعد إخباره هو للمسلمين بذلك اهـ شيخنا.

قوله: (فعلمت قريش) أي بإخبار ضمضة بن عمرو الغفاري الذي اكترأه أبو سفيان ليذهب إلى قريش، ويعلمهم بخروج محمد لأخذ القافلة، وأبو سفيان علم بذلك من السفر المازين في الطريق اهـ شيخنا.

قوله: (ومقاتلو مكة) وكانوا ألفاً إلا خمسين، وقوله: وهم النفير أي أهل مكة هم النفير اسم لكل عسكر مجتمع اهـ شيخنا.

لكنه في اللغة مقيد بكونه من الثلاثة إلى العشرة، كما في المختار والقاموس فإطلاقة على عدد قريش المراد هنا مجاز. قوله: (وأخذ أبو سفيان) أي عدل عن الطريق المعتاد التي تمر على المدينة، وسار في طريق أخرى بساحل البحر. وقوله: فنجت أي من المسلمين اهـ شيخنا.

قوله: (فقيلاً لأبي جهل) أي فقال له بعض من معه؟ ارجع أي إلى مكة اهـ شيخنا.

قوله: (فأبى وسار إلى بدر) أي لقتال محمد وأصحابه، وقوله: فشاور ﷺ الخ أي شاورهم في المضي إلى بدر لقتال أبي جهل وأصحابه، وهذه المشورة وقعت في محل قريب من بدر، وهي وقت

على قتال النفيـر وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ القتال

كراهتهم للقتل، وقوله: (فوافقوه) أي بعد التوقف من بعضهم معللاً بأنهم لم يخرجوا متهيئين للقتال، وقوله: (وكره بعضهم) أي قبل الموافقة وإلا انحط الأمر على اتفاق الكل على الخروج على ما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقال إن الله وعدني﴾ أي بالوحي، وهذا الوعد وقع في مكان المشورة الذي هو قريب بدر، وأما في المدينة فإنما أمره الله تعالى على لسان الوحي بالخروج لأخذ الغنيمة، وقوله: (إحدى الطائفتين) أي العير التي معها المال، والطائفة الأخرى كفار قريش، فلما نجت العير وعده الله الظفر بالفرقة المقاتلة اهـ شيخنا.

وفي البضاوي: وكان رسول الله ﷺ إذ بوادي دقران بدال مهملة وقاف وراء مهملة بوزن سلمان واد قريب من الصفراء، فنزل عليه جبريل بالوعد بإحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال، حتى نتأهب له إنما خرجنا للعير فرد عليهم، وقال: إن العير مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو، فغضب رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا في القول، ثم قام سعد بن عباد فقال: انظر أمرك فامض فيه، فوالله لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض كما أمرك الله فأنا معك حيث ما أحببت، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون، فتبسم رسول الله ﷺ قال: «أشيروا علي أيها الناس» وهو يريد الأنصار وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم براء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فتخوف أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه أي هجم عليه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: «أجل». قال: إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله، ثم قال ﷺ: «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم» اهـ.

قوله: ﴿يجادلونك﴾ أي بقولهم لم نستعد للقتال، فقدم الشارح التفسير على المفسر، ولذلك قال كما قال تعالى الخ اهـ شيخنا.

وهذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة إخباراً عن حالهم بالمجادلة، ويحتمل أن تكون حالاً ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك، ويحتمل أن تكون حالاً من الضمير في لكارهون أي لكارهون في حال الجدال، والظاهر أن الضمير المرفوع يعود على الفريق المتقدم. ومعنى المجادلة قولهم كيف نقاتل ولم نستعد للقتال ويجوز أن يعود على الكفار وجدالهم ظاهر اهـ سمين.

﴿بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿إِلَيْهِ عَيَانًا فِي كَرَاهَتِهِمْ لَهُ﴾ ﴿وَذَكَرَ﴾ ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهُمَا لَكُمْ وَوَدَّوْنَ﴾ تريدون ﴿أَنَ عَمَرَ ذَاتِ الشُّوَكَةِ﴾ أي البأس والسلاح وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة عددها وعددها بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَتَيْهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله: ﴿بعد ما تبين﴾ منصوب بالجدال وما مصدرية أي بعد تبينه ووضوحه وهو أقبح من الجدال في الشيء قبل اتضاحه. وقرأ عبد الله بين مبنياً للمفعول من بيته أي أظهرته، وقوله: ﴿وهم ينظرون﴾ حال من مفعول يساقون اهـ سمين.

قوله: (ظهر لهم) أي ظهر لهم الحق الذي هو القتال أي ظهر لهم أنه الصواب واللائق بإعلامك لهم أنهم ينصرون أينما توجهوا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كأنما يساقون﴾ متعلق بقوله: ﴿لكارهوم﴾ أي: كأنهم مثل من يساق إلى الموت أي القتال، وهو ينظر بعينه أسبابه، والجامع بينهما الكراهة في كل، فقوله في كراهتهم له بيان لوجه الشبه، فهو متعلق بالمشابهة الدال عليها الكاف اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿كأنما يساقون﴾ الكاف في محل نصب على الخالية من الضمير في لكارهوم. أي: حال كونهم مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل اهـ.

وعبارة البيضاوي: أي يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه، وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم إذ روي أنهم كانوا رجاله، وما كان فيهم إلا فرسان وفيه إيماء إلى أن مجادلهم إنما كانت لفرط فرعهم ورعهم اهـ.

قوله: (في كراهتهم له) أي الخروج.

قوله: ﴿إحدى الطائفتين﴾ أي الظفر بإحدى الخ فالظفر بالعير بغنمها والنفير بالنصرة عليهم قتلاً وسبباً كما وقع، فقبل نجاة العير وعده الله بأحدهما على الإبهام، فلما نجت علم أن النصرة الموعود بها تعين أن تكون على النفير اهـ شيخنا.

قوله: (العير) بدل من إحدى فیتعين العطف بأو، أنها لكم بدل من إحدى أيضاً. قوله: ﴿أن غير ذات الشوكة﴾ أي أن الفرقة التي هي غير الفرقة صاحبة الشوكة، وتلك الغير هي العير وصاحبة الشوكة هي النفير، وقوله: (أي البأس) تفسير للشوكة، وقوله: (وهي العير) الضمير راجع لغير ذات الشوكة، وأنت الضمير مراعاة لمعنى غير وهو الفرقة كما عرفت. قوله: (بخلاف النفير) أي فإنه كثير العدد والعدد اهـ.

قوله: (يظهره) جواب عما يقال الحق الشيء الثابت وتحقيقه تشبیه فهو تحصيل الحاصل، فأجاب بأن المراد بإحقاقه إظهاره، وكذا يقال في قوله: ﴿ليحق الحق﴾، وفي قوله: ﴿ويبطل الباطل﴾ أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم اهـ من الخازن.

قوله: ﴿بكلماته﴾ لعله أراد بها أسباب النصر، وقوله: (السابقة) أي السابق علمه بأنها يحصل

آخَرَهُمْ بِالْاِسْتِصْصَالِ فَأَمَرَكَم بِقِتَالِ النَّفِيرِ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾ يَمْحَقُ ﴿الْبَاطِلَ﴾ الْكُفْرَ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ الْمَشْرُكُونَ ذَلِكَ اذْكَرُ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تَطْلُبُونَ مِنْهُ الْغُوثَ بِالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ

بها النصرة مثل نزول الملائكة، وقوله: (بظهور الإسلام) لعله متعلق بالسابقة ولا يظهر تعلقه بقوله أن يحق لتعلق قوله: (بكلماته) به اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: بكلماته أي بآياته المنزلة في هذا الشأن أو بأوامره للملائكة بالامداد أو بما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر اهـ.

قوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ لا يقال أن هذا مكرر، لأن المراد بالأول تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني تقوية الدين وإظهار الشريعة، لأن الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قتلهم ومن قهر الكافرين مع كثرتهم كان سبباً لإعزاز الدين وقوته، ولهذا قرنه بقوله: ﴿وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ الخ لا تكرر إذ المراد بالحق الإيمان وبالباطل الشرك، فلا يقال فيه تحصيل الحاصل، ومعنى إحقاق الحق إظهار حقيقته لا جعله حقاً بعد أن لم يكن كذلك، وكذا حال إبطال الباطل، كما أشار إليه الشيخ المصنف في تقريره، وفائدة تكرار ﴿يُحِقُّ الْحَقَّ﴾ هنا مع قوله: قيل ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ﴾ الخ أن الأولى للفرق بين الإرادتين إرادة الله تعالى وإرادتهم، والثاني لبيان الداعي على حملة عليه الصلاة والسلام على اختيار ذات الشوكة ونصره، لأن الذي وقع من المؤمنين يوم بدر بالكافرين كان سبباً لإعزاز الدين وقوته، وذلك في مقابلة الحق الذي هو الدين والإيمان اهـ.

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تذكير لهم بنعمة أخرى فهو في المعنى معطوف على قوله: ﴿وَإِذْ يَعْذُرُكُمْ اللَّهُ﴾ الخ، والمقام للماضي لأن الاستغاثة قد وقعت منهم لما توافقوا على القتال وخافوا من العدو، فاستغاثوا الله وقالوا يا رب انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا، وإنما عبّر بالمضارع حكاية للحال الماضية، ولذلك عطف فاستجاب لكم بصيغة الماضي على مقتضى الواقع اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أي تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر. وفي المستغيثين قولان، أحدهما: أنهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه قاله الأزهري. والقول الثاني: أنه رسول الله ﷺ وحده، وإنما ذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم. روى مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ فأمدّه الله بالملائكة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. وروي أنه ﷺ نام نومة وهو في العريش ثم انتبه، فقال: «يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنياه النقع». وروى البخاري عن

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي باني ﴿مُيَدِّكُمْ﴾ معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلًا﴾ ﴿٩﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً وعدهم بها أولاً ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران وقرىء بألف كأفلس جمع ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرًا لِلْعَاطِمِينَ بِمَدَدٍ قَلْبُهُمْ وَبِالْبَصُرِ الْأَمِينِ عِنْدَ الْغَوَاثِ﴾

ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب» يعني آلة الحرب اهـ.

قوله: (تطلبون منه الغوث) أي فالسين والتاء في تستغيثون للطلب، وأما في قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فزائدتان. قوله: ﴿أَنِّي﴾ (أي باني) بامداد أي بوعدني أياكم بالامداد، وذلك لأنه وقت الإجابة لم يحصل الإمداد بالفعل، لأن الدعاء واستجابته كانا قبل وقوع القتال اهـ شيخنا. وفي الخازن: أني ممدكم الأصل باني ممدكم أي مرسل إليكم مدداً ردوا لكم اهـ.

وفي السمين: قوله ﴿أَنِّي﴾ العامة على فتح الهمزة بتقدير حذف حرف الجر أي فاستجاب باني. وقرأ عيسى بن عمر تروى عن أبي عمرو أيضاً إني بكسرها، وفيها مذهبان: مذهب البصريين أنه على إضمار القول أي: فقال إني ممدكم، ومذهب الكوفيين أنها محكية باستجاب أجراء له مجرى القول لأنه بمعناه اهـ.

قوله: ﴿مَدَّكُمْ بِأَلْفٍ﴾ نزل جبريل بخمسمائة وقاتل بها في يمين العسكر، وفيه أبو بكر، ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش وفيه علي، وتقدم إيضاح هذه القصة في هذا الشارح في سورة آل عمران عند قوله قد كان لكم آية في فتنين التقتا، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا في بدر، وأما في غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين، ولا تقاتل كما وقع في حنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَرْدِفِينَ﴾ قرأ نافع، ويروى عن قبل أيضاً: مردفين بفتح الدال والباقون بكسرها، وهما واضحتان، لأنه يروى في التفسير أنه كان وراء كل ملك ملك رديفاً له فقراءة الفتح تشعر بأن غيرهم أردفهم لركوبهم خلفهم، وقراءة الكسر تشعر بأن الراكب خلف صاحبه قد أردفه، فصح التعبير باسم الفاعل تارة واسم المفعول أخرى، وجعل أبو البقاء مفعول مردفين يعني بالكسر محذوفاً أي مردفين أمثالهم ويجوز أن يكون معنى الإرداف المجيء بعد الأوائل أي جعلوا ردفاً للأوائل اهـ سمين. قوله: (يردف بعضهم بعضاً) أي يعقبه في المجيء وبابه سمع ونصر اهـ قاموس.

قوله: (وعدهم بها أولاً الخ) غرضه بهذا الجمع ما هنا وما في آل عمران من التعبير بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف، وكانت هي في الواقع خمسة آلاف، فكيف يقال بألف؟ وحاصل الجواب: أنها كانت ألفاً في ابتداء الأمر، ثم صارت ثلاثة، ثم خمسة أي ثم صارت بعد الوعد بالألف ووقوع القتال بالفعل ومقالة الألف معهم صارت الألف بزيادة الله عليها ألفين ثلاثة آلاف، ثم صارت الثلاثة بزيادة ألفين عليها خمسة اهـ شيخنا.

قوله: (وقرىء) أي شاذاً على عادته من التعبير بقرىء في الشاذ، وفي السجعية بقوله: وفي قراءة وألف أصله ألف قبلت الهمزة الثانية ألفاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا بُشْرًا﴾ مفعول لأجله مستثنى من أعم العلل، وقوله: ﴿وَلَتَنْظُمَنَ﴾ معطوف عليه



اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ اذْكُرْ ﴿١١﴾ إِذْ يَغْشِيَكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً ﴿١٢﴾ أَمْنًا مِمَّا حَصَلَ لَكُمْ مِنَ الْخَوْفِ ﴿١٣﴾ مِمَّنْهُ ﴿١٤﴾ تَعَالَى ﴿١٥﴾ وَيَزِيلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴿١٦﴾ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ ﴿١٧﴾ وَيَذْهَبَ عَنْكُم رِّجَزٌ

وجر باللام لفقد شرط النصب من اتحاد الفاعل كما لا يخفى اهـ شيخنا .

قوله: ﴿١٠﴾ إلا من عند الله ﴿١١﴾ أي لا يتوقف على التأهل والتهيز بالعدد كما تعللتم بذلك حين كرهتم القتال اهـ شيخنا .

وفي الخازن: ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ يعني أن الله ينصركم أيها المؤمنون فتقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدتكم وشدة بأسكم، وفيه تنبيه على أن الواجب على المسلم ألا يتوكل إلا على الله في جميع أحواله، ولا يثق بغيره، فإن الله تعالى بيده الظفر والإعانة اهـ .

قوله: ﴿١٢﴾ إذ يغشاكم النعاس ﴿١٣﴾ فيه ثلاث قراءات سبعة يغشاكم كيلقاكم من غشيه إذا أتاه وأصابه . وفي المصباح: غشيته أغشاه من باب تعب أتيته ويغشيك من أغشاه أي أنزله بكم وأوقعه عليكم، ويغشيك من غشاه تغشيه غطاه أي يغشيك الله النعاس، أي يجعله عليكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم، والنعاس على الأولى مرفوع على الفاعلية، وعلى الأخيرتين منصوب على المفعولية، وقوله: ﴿١٤﴾ أمانة ﴿١٥﴾ حال أو مفعول لأجله اهـ شيخنا .

وفي السمين: قوله ﴿١٢﴾ أمانة ﴿١٣﴾ فيها وجهان، أحدهما: أنها منصوبة على أنها واقعة موقع الحال إما من الفاعل، فإن كان الفاعل النعاس، فنسبة الأمانة إليه مجاز، وإن كان البارئ تعالى كما هو في القراءتين الأخيرتين فالنسبة حقيقية، وإما من المفعول على المبالغة أي جعلهم نفس الأمانة أو على حذف مضاف أي جعلهم ذوي أمانة . الثاني: أنه مفعول من أجله، وذلك إما أن يكون على القراءتين الأخيرتين أو على الأولى . فعلى القراءتين الأخيرتين أمرها واضح، وذلك أن التغشية أو الإغشاء من الله تعالى، والأمانة منه أيضاً فقد اتحد الفاعل فصح النصب على المفعول له . وأما على قراءة الأولى ففاعل يغشى النعاس وفاعل الأمانة البارئ تعالى، ومع اختلاف الفاعل يمتنع النصب على المفعول له لا على المشهور، وفيه خلاف . اللهم إلا أن يتجاوز فيجوز اهـ .

وفي الخازن ما نصه: ﴿١٢﴾ إذ يغشاكم النعاس أمانة منه ﴿١٣﴾ أي واذكروا إذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمانة منه أي أماناً من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم . قال عبد الله بن مسعود . النعاس في القتال أمانة من الله وفي الصلاة من الشيطان، والفائدة في كون النعاس أمانة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم، فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلاً على الأمن وإزالة الخوف . وقيل: إنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعطشوا عطشاً شديداً ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة، وزال عنهم الظم والعطش، وتمكنوا من قتال عدوهم، فكان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيفاً بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله إليهم، وقدروا على دفعه عنهم . وقيل في كون هذا النوم كان أمانة من الله أنه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة، فناموا كلهم مع كثرتهم، وحصول النعاس لهذا الجمع الكثير مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل إن ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لأنه أمر خارق للعادة اهـ .

قوله: (من الخوف) بيان لما . قوله: ﴿١٥﴾ ماء ﴿١٦﴾ أي مطراً . قوله: ﴿١٧﴾ ليطهركم ﴿١٨﴾ (من الأحداث)

الشَّيْطَانِ ﴿ وَسُوسَتُهُ إِلَيْكُمْ بِأَنْكُمْ لَوْ كُنتُمْ عَلَى الْحَقِّ مَا كُنتُمْ ظَمَائَ مُحَدِّثِينَ وَالْمَشْرُكُونَ عَلَى الْمَاءِ ﴾ وَلِيَرْبِطَ ﴿ يَحْبِسُ ﴾ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴿ بِالْيَقِينِ وَالصَّبْرِ ﴾ وَوَيْتَتْ بِهَ الْأَقْدَامَ ﴿ أَنْ تَسْوِخَ فِي الرَّمْلِ ﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿ الَّذِينَ أَمَدَ بِهِمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أَيَّ ﴿ أَيَّ ﴾ بَأْنِي ﴿ مَعَكُمْ ﴾ بِالْعَمَلِ

وذلك أنهم وقعوا في كتيب رمل يشق المشي عليهم فيه للينه ونعومته، واشتد عليهم الخوف من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة، فالتقى الله عليهم النعاس وهو النوم الخفيف، فاحتلم معظمهم ففاقوا فوجدوا أنفسهم محتاجين إلى الماء لعطشهم وحديثهم، وقد كانت قريش سبقتهم على الماء الذي في بدر فوسوس لهم الشيطان بما ذكره الشارح فرد الله كيده بأن أنزل عليهم مطراً كثيراً فشبوا وتطهروا وملؤوا قربهم وتلبد الرمل وجمد حتى سهل المشي عليه، فتوهم في هذا الوقت الشديد الخوف من أعظم معجزات النبي ﷺ، وقوله: والجنابات عطف خاص على عام أهـ شيخنا.

قوله: (وسوسته إليكم الخ) الرجز في الأصل العذاب الشديد، وأريد به هنا نفس وسوسة الشيطان مجازاً لمشتقتها على أهل الإيمان كما قيل: كل ما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجزهـ كرخي.

قوله: (بأنكم لو كنتم على الحق الخ) عبارة الخطيب: فوسوس لهم الشيطان، وقال لهم: تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله ﷺ وأنتم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين، فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة، فحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا، فأنزل الله مطراً سال منه الوادي الخ أهـ.

قوله: (ما كنتم ظمأ) جمع ظمآن كعطاش جمع عطشان أهـ شيخنا.

قوله: ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ الربط الشد، يقال لكل من صبر على أمر ربط على قلبه أي قواه وشده وعدى بعلى للإيذان بأن قوة قلوبهم بلغت في الكمال إلى أن صارت مستولية على القلوب، حتى صارت كأنها علت عليها وارتفعت فوقها أي فتفقد التمكن في القوة، وفي الوسيط على صلة أي زائدة. والمعنى: وليربط قلوبكم بما أنزل ولا تضطرب بوسوسة الشيطان أهـ زاده.

وقوله: يحبس أي يقويها ويعينها باليقين أهـ.

قوله: ﴿ وَوَيْتَتْ بِهِ ﴾ أي بالماء الأقدام أي أقدامكم حتى يسهل المشي على الرمل، لأن العادة أن المشي في الرمل عسر، فإذا نزل عليه الماء وجمد سهل المشي عليه، ولم يبق فيه غبار يشوش على الماشي فيه، وقوله: أن تسوخ أي عن أن تسوخ أي تغوص وتذهب في الرمل أهـ شيخنا.

وفي المصباح: ساخت قوائمه في الأرض سوخاً وتسبخ سيخاً من بابي قال وباع وهو مثل الغرق في الماء أهـ.

قوله: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ ﴾ معمول محذوف أي اذكر وكان الشارح لم يقدره انكالا على تقديره فيما سبق، وقوله ﴿ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ أل للعهد الذكرى أي المذكورين فيما سبق بقوله: ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ بِالْفِئَةِ ﴾ كما أشار إليه الشارح أهـ شيخنا.

والنصر ﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ أَمْتُوا﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي أطراف اليدين والرجلين

قوله: ﴿أني معكم﴾ من هنا إلى قوله: ﴿كل بنان﴾ جملة الموحى إليهم، فحيث كان الأولى للشارح إسقاط الباء من قوله أي بأني فإن المعية نفسها أوحاها الله اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿أني﴾ معكم مفعول يوحى أي يوحى كوني معكم بالغلبة والنصر، وقرأ عيسى بن عمر بخلاف عنه إني معكم بكسر الهمزة وفيها وجهان، أحدهما: أن ذلك على إضمار القول وهو مذهب البصريين. والثاني: إجراء يوحى مجرى القول لأنه بمعناه وهو مذهب الكوفيين اهـ.

قوله: ﴿فتبينوا الذين آمنوا﴾ أي قوا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت، ف قيل: كما أن الشيطان له قوة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر، فكذلك للملك قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة، وما يلقي الملك لمة وإلهاماً، فهذا هو التثبيت. وقيل: إن ذلك التثبيت هو حضورهم القتال معهم ومعونتهم لهم أي ثبتوهم بقتالكم معهم للمشركين. وقيل: معناه بشروهم بالنصر والظفر، فكان الملك يمشي في صفة رجل أمام الصف، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم عليهم اهـ خازن.

قوله: ﴿سألتني﴾ الخ كال تفسير لقوله: ﴿أني معكم﴾، وقوله: ﴿فاضربوا﴾ الخ كال تفسير لقوله: ﴿فتبينوا﴾ الخ فهو لف ونشر مرتب اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: ﴿سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ أي الخوف فلا يكون لهم ثبات، وكان ذلك نعمة من الله تعالى على المؤمنين حيث ألقى الخوف في قلوب المشركين اهـ.

قوله: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ الخ كانت الملائكة لا تعرف قتال بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿فوق الأعناق﴾ مفعول به، ومعناه الرؤوس كما قال الشارح، فقوله أي الرؤوس تفسير للفظ فوق، وقد توسع فيه حيث استعمل مفعولاً به في معنى غير المكان، وإن كان أصله أنه ظرف مكان ملازم للظرفية فتوسع فيه من وجهين: خروجه على النصب على الظرفية واستعماله في غير المكان اهـ شيخنا.

وهذا أحد قولين: وقيل أن فوق زائدة، وقد أشار له الشارح بقوله: (يقصد ضرب رقبة الكافر الخ)، فقد أشار إلى القولين. وعبرة السمين: قوله: ﴿فوق الأعناق﴾ فيه أوجه، أحدها: أن فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف أي فاضربوهم فوق الأعناق علمهم كيف يضربونهم. والثاني: أن فوق مفعول به على الاتساع لأنه عبارة عن الرأس كأنه قيل فاضربوا رؤوسهم، وهذا ليس بجيد، لأن فوق لا يتصرف، وزعم بعضهم أنه يتصرف، وأنك تقول فوقك رأسك برفع فوق، وهو ظاهر قول الزمخشري، فإنه قال فوق الأعناق أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح التي هي مفاصل. الثالث: وهو قول أبي عبيدة أنها بمعنى على أي على الأعناق ويكون المفعول محذوفاً تقديره فاضربوهم على الأعناق، وهو قريب من الأول. الرابع: قال ابن قتيبة هي بمعنى دون. قال ابن عطية: وهذا خطأ بين وغلط فاحش،

فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه ورماهم بما يقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿يَأْتُهُمْ شَاقُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاكْرَبَ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ﴾ له ﴿ذَلِكَ﴾

وإنما دخل عليه اللبس من قوله تعالى ﴿بِعَوْضَةٍ فَمَا فوقها﴾ [البقرة: ٢٦] أي فما دونها، وليست فوق هنا بمعنى دون، وإنما المراد فما فوقها في القلة والصغر. الخامس: أنها زائدة أي اضربوا الأعناق وهو قول أبي الحسن، وهذا عند الجمهور خطأ، لأن زيادة الأسماء لا تجوز اهـ.

قوله: ﴿كل بنان﴾ يعني الأطراف وهي جمع بنانة. وفي المصباح: البنان الأصابع، وقيل أطرافها والواحدة بنانة اهـ.

وفي السمين: والبنان قيل الأصابع وهو اسم جنس الواحد بنانة، وقول أبو الهيثم: البنان المفاصل، وكل مفصل بنانة، وقيل البنان الأصابع من اليدين والرجلين، وقيل: الأصابع من اليدين والرجلين وجميع المفاصل من جميع الأعضاء اهـ.

قوله: (فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر الخ) عبارة الخازن: روي عن أبي داود المازني وكان شهد بديراً قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري. وعن سهل بن حنيف قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أجدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف اهـ.

وفي الكرخي: وكانوا يعرفون قتيل الملائكة بضرب فوق الأعناق، وعلى البنان مثل سمة نار قد احترق بها اهـ.

قوله: (بقبضة من الحصى) في المختار: القبضة بالضم ما قبضت عليه من شيء. يقال: أعطاه قبضة من سويق أو تمر أي كفاً منه، وربما جاء بالفتح اهـ.  
قوله: (إلا دخل في عينيه) أي وفي فمه وأنفه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك﴾ (العذاب) أي من إلقاء الرعب في قلوبهم والقتل والأسر، وقوله: ﴿بأنهم﴾ الباء سببية ﴿شاقوا الله﴾ يعني بسبب أنهم خالفوا الله ورسوله، والمشاقة المخافة، وأصلها من المجانية لأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانيهم، وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون، أو شاقوا دين الله اهـ من الخازن.

قوله: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ (له) يعني أن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة اهـ خازن.

وهذا إما نفس الجزء وحذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه أي شديد العقاب له أو تعليل للجزء المحذوف أي يعاقبه الله، فإن الله شديد العقاب، وأياً ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتكرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني، كأنه قيل: ذلك العقاب الشديد بسبب مشاققتهم لله تعالى ورسوله، وكل من يشاقق الله ورسوله كائن من كان فله بذلك عقاب شديد، فإذا لهم بسبب مشاققتهم لهما عقاب شديد اهـ أبو السعود.

العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَيْسَ لَهُمُ الْبُزْءُ الَّذِي كَفَرُوا زَحَفًا﴾ أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تَوَلَّوْهُمْ

قوله: ﴿ذلكم﴾ (العذاب) مبتدأ خبره محذوف، وهو الذي قدره الشارح بقوله العذاب، وقوله: ﴿فذوقوه﴾ منقطع عما قبله من حيث الإعراب فهو مستأنف، فالوقف يتم على قوله ﴿ذلكم﴾ اهـ شيخنا.

وفي السمين: ذلكم فذوقوه يجوز في ذلكم أربعة أوجه، أحدها: أن يكون مرفوعاً على خبر ابتداء مضمّر أي العقاب ذلكم أو الأمر ذلكم. الثاني: أن يرفع بالابتداء والخبر محذوف أي ذلكم العقاب، وعلى هذين الوجهين فيكون قوله فذوقوه لا تعلق له بما قبله من جهة الإعراب. والثالث: أن يرتفع بالابتداء والخبر قوله فذوقوه، وهذا على رأي الأخفش، فإنه يرى زيادة الفاء مطلقاً أعني سواء تضمن المبتدأ معنى الشرط أم لا، وأما غيره فلا يجيز زيادتها إلا بشرط أن يكون لمبتدأ مشبهاً لاسم الشرط. الرابع: أن يكون منصوباً بفعل مضمّر يفسره ما بعده ويكون من باب الاشتغال اهـ.

وأشار بالتعبير بالذوق إلى أن عذاب الدنيا يسير بالنسبة لعذاب الآخرة اهـ.

قوله: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه، والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة، ووضع الظاهر فيه موضع المضمّر للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما، وقرئ: وإن بالكسر على الاستئناف اهـ يضاوي.

وفي السمين قوله: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ الجمهور على فتح أن وفيها تخريجات، أحدها: أنها وما في حيزها في محل رفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره استقرار عذاب النار للكافرين محتم. الثاني: أنها خبر مبتدأ محذوف أي المحتم أو الواجب أن للكافرين عذاب النار. الثالث: أن يكون عطفاً على ذلكم في وجهيه، قاله الزمخشري: ويعني بقوله في وجهيه أي وجهي الرفع، وقد تقدم. الرابع: أن يكون في محل نصب على المعية. قال الزمخشري: أو نصب على أن الواو بمعنى مع، والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة، فوضع الظاهر موضع المضمّر يعني بقوله: وضع الظاهر موضع المضمّر أن أصل الكلام فذوقوه، وأن لكم، فوضع الكافرين موضع لكم شهادة عليهم بالكفر، وتنبهاً على العلة. الخامس: أن يكون في محل نصب بإضمار واعلموا. قال الفراء: ويجوز نصبه من وجهين، أحدهما: على إسقاط الباء أي بأن للكافرين. والثاني: على إضمار اعلموا اهـ.

قوله: ﴿زحفاً﴾ حال من المفعول به، وهو الذين، فهو مؤول بالمشتق أي حال كونهم زاحفين، والمعنى على التشبيه أي حالة كونهم كالزاحفين على أدبارهم في بطن السير، وذلك لأن الجيش إذا كثر والتحم بعضهم ببعض يترأى أن سيره بطيء، وإن كان في نفس الأمر سريعاً، فالمقصود من هذه الحال بعد كون المراد التشبيه ما يلزم هذه المشابهة وهو الكثرة لقول الشارح أي مجتمعين بيان للمعنى المراد، وقوله: ﴿كأنهم الخ﴾ بيان لمقتضى التركيب اهـ شيخنا.

وفي المصباح: زحف القوم زحفاً من باب نفع وزحواً، ويطلق على الجيش الكثير زحف تسمية الفتوحات الإلهية/ ج ٣/ م ١٢

الْأَذْكَارَ ﴿١٥﴾ مِنْهُمْ يَوْمَ لِقَائِهِمْ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أَي يَوْمَ لِقَائِهِمْ ﴿دُبُرُهُمْ أَلَا مُحَرَّفَاتٌ﴾ مِنْعَطْفًا ﴿وَالْقِتَالُ﴾ بِأَن

بالمصدر، والجمع زحوف مثل فلس وفلوس، والصبي يزحف على الأرض قبل أن يمشي، وزحف البعير إذا أعبأ فجر فرسه وأزحف بالآلف لغة، ومنه قيل: زحف الماشي وأزحف أيضاً إذا أعبأ. قال أبو زيد: ويقال لكل شيء معي سميئاً كان أو مهزولاً زحف اهـ.

قوله: ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْكَارَ﴾ يطلق الدبر على مقابل القبل، ويطلق على الظهر، وهو المراد هنا والمقصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام، فهذا اللفظ استعمل في ملزوم معناه، فقول الشارح منهزمين بيان للمراد اهـ شيخنا.

وفي السمين: الأدبار مفعول ثان لتولوهم وكذا دبره مفعول ثان ليولهم، وقرأ الحسين دبره بالسكون كقولهم عنق في عنق، وهذا من باب التعريض حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها فأتى بلفظ الدبر دون الظهر لذلك، وبعض أهل علم البيان يسمي هذا النوع كناية وليس بشيء اهـ.

قوله: ﴿أَي يَوْمَ لِقَائِهِمْ﴾ هذا حل معنى وإلا فمقتضى كون التنوين في إذ عوضاً عن جملة أن يقول أي يوم لقيتموهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا مُحَرَّفَاتٌ لِقِتَالٍ﴾ في نصبه وجهان، أحدهما: أنه حال. والثاني: أنه استثناء، وقد أوضح ذلك الزمخشري فقال: فإن قلت: بم انتصب إلا متحرفات؟ قلت: على الحال أو على الاستثناء من ضمير المؤمنين، أي ومن يولهم إلا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيزاً. والتحيز والانضمام وتحوزت الحية انطوت وحزت الشيء ضمته، والحوزة ما يضم الأشياء، ووزن متحيز متفعل، والأصل متحيز فاجتمعت الواو والياء وسيقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء اهـ سمين.

وقوله: لقتال اللام للتعليل أي إلا متحرفاً لأجل قتال أي لأجل التمكن منه اهـ.

قوله: ﴿بَأَن يَرِيَهُمُ الْفِرَّةَ﴾ بفتح الفاء وهي المرة من الفر بمعنى الفرار أي الهرب. وعبرة البيضاء: ﴿إِلَّا مُحَرَّفَاتٌ لِقِتَالٍ﴾ يريد الكر بعد الفر وتغريز العدو، فإنه من مكاييد الحرب اهـ.

وفي المصباح: فر من عدوه يفر من باب ضرب فراراً هرب، وفر الفارس فرأ أوسع الجولان للانعطاف، وفر إلى الشيء ذهب إليه اهـ.

وفيه أيضاً: كاده يكيده كيداً من باب باع خدعه ومكر به، والاسم المكيدة اهـ.

وفيه أيضاً: والكرة الرجعة وزناً ومعنى اهـ.

وفي المختار: والكرة المرة من الرجوع يقال: كريكركرد يرد إذا رجع والكر الرجوع، والمكنر بفتح الميم اسم لمكان الحرب، وبكسر الميم اسم للفرس والكر بضم الكاف مكان الطعام ومنه الكرار اهـ.

وفي الخازن: ﴿إِلَّا مُحَرَّفَاتٌ لِقِتَالٍ﴾ يعني إلا منعطفاً إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام، وقصده طلب الكرة على العدو والعود إليه، وهذا أحد أبواب الحرب وخدعها ومكائدها اهـ.

يريههم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة ﴿أَوْ مَتَحِينَزًا﴾ منضمًّا ﴿إِلَيْكَ فِتْنًا﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَكَاهُ﴾ رجع ﴿يَغْضَبُ رَبَّكَ اللَّهُ وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَسْكُ الْمَصِيدُ﴾ المرجع هي وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿وَلَكِنَّكَ اللَّهُ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿وَلَكِنَّكَ اللَّهُ رَمَى﴾ بإيصال ذلك إليهم فعل ذلك

قوله: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ﴾ جواب الشرط وهو من، والباء للملابسة أي ملتبساً ومصحوباً بغضب.  
قوله: (وهذا) أي قوله ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ يُولُوهُمْ﴾ مخصوص بما إذا لم يزد الكفار أي مقصور على ما إذا لم يزدوا الخ.

قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر فرحاً، فكان الواحد منهم يقول أنا قتلنا كذا، أنا أسرت كذا، فعلمهم الله الأدب بقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي تزهقوا أرواحهم، ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ﴾ أي أزهق أرواحهم، أو المراد فلم تقتلوهم بقوتكم، كما قال الشارح أي فلم تؤثر قوتكم في قتلهم، ولكن التأثير لله اهـ شيخنا.

وفي السمين: في هذه الفاء وجهان، أحدهما وبه قال الزمخشري أنها جواب شرط مقدر أي إن افتخرتم بقتلهم، فلم تقتلوهم. قال الشيخ: وليست جواباً بل لربط الكلام ببعضه ببعض اهـ.

قوله: ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ﴾ قرأ الأخوان وابن عامر: ولكن الله قتلهم، ولكن الله رمى بتخفيف لكن، ورفع الجلالة، والباقون بالتشديد ونصب الجلالة، وقد تقدم توجيه القراءة بين مشبعاً في قوله: ولكن الشياطين كفروا. وجاءت هنا لكن أحسن مجيء لوقوعها بين نفي وإثبات. وقوله: وما رميت هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، لأن المضارع المنفي بلم في قوة الماضي المنفي بما، فإنك إذا قلت لم يقم كان معناه ما قام، ولم يقل هنا فلم تقتلوهم إذ قتلتموهم، كما قال إذ رميت مبالغة في الجملة الثانية اهـ سمين.

قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ظاهره التناقض حيث جمع بين المنفي والاثبات، والجواب أن النفي الرمي بمعنى إيصال الحصى لأعينهم والمثبت فعل الرمي، وهذا الجواب هو ما أشار له الشارح بقوله بإيصال ذلك إليهم اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ﴾ الخ فيه إشارة إلى جواب عن سؤال، وهو أن يقال كيف نفى عن المؤمنين قتل الكفار مع أنهم قتلوه يوم بدر، ونفى عن النبي رميهم مع أنه رماهم يوم بدر بالحصى في وجوههم؟ وحاصل الجواب: نفى الفعل عنهم وعنه باعتبار الإيجاد إذ الموجد له حقيقة هو الله تعالى وإثباته لهم باعتبار الكسب والصورة، فقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ أي آتيت بصورة الرمي اهـ.

قوله: (لأن كفاً) أي ملء الكف. قوله: ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ رَمَى﴾ أي أوصل، وقوله: بإيصال ذلك أي الحصى إليهم أي إلى أعينهم اهـ.

ليقهر الكافرين ﴿وَلِيَسْلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلَيْهِ﴾ بأحوالهم ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾ مضعف ﴿كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ أيها الكفار أي تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم

قوله: (فعل) أي الله ذلك أي القتل والرمي، وقوله: ليقهر الخ قدره ليعطف عليه وليبلي، وتقدم أن الإبلاء يستعمل في الخير والشر على حد، وبلوناهم بالحسنات والسيئات، والمراد هنا الخير أي ولينعم على المؤمنين بالغنيمة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿منه﴾ أي الإبلاء، وقوله: بلاء البلاء اسم مصدر لأبلى، والمراد هنا المبلو به أي المعطى بدليل تبيينه بالغنيمة. وعبارة البيضاوي: ﴿وليبيلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾. أي ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات اهـ.

وأشار بذلك إلى أن البلاء هنا محمول على النعمة، فإن البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لأن أصله الاختبار، وذلك كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر يكون بالنعمة أيضاً لإظهار الشكر، والاختبار من الله أظهار ما علم كما علم لا تحصيل علم ما لم يعلم اهـ زاده.

قوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ مبتدأ وخبره محذوف كما قدره الشارح، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ معطوف على المبتدأ فهو مبتدأ ثان وخبره محذوف يقدر مثل ما قدر في الأول أي وتوهين الله كيد الكافرين حق، وقوله: الإبلاء أي وما قبله من القتل والرمي، فالإشارة واقعة على الثلاثة وإن اقتصر الشارح على الأخير منها اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإشارة به إلى القتل والرمي والإبلاء، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على ذلکم، فيحكم على محله بما حكم به على محل ذلکم وقد تقدم وأن يكون في محل نصب بفعل مقدر أي: واعلموا أن الله. وقال الزمخشري أنه معطوف على وليبلي يعني. أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين. وقرأ ابن عامر والكوفيون: موهن بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن كأكرم، ونون موهن غير حفص. وقرأ الباقر موهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، فكيد منصوب على المفعول به في قراءة غير حفص، ومخفوض في قراءة حفص، وأصله النصب، وقراءة الكوفيين جاءت على الأكثر اهـ.

قوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم، لأنهم الذين وقع بهم الهلاك والذلة، وقوله: أي القضاء أي حكم الله فيكم بهلاككم، وقوله: حيث قال أبو جهل: أي وغيره من قريش حين أرادوا الخروج إلى بدر وتعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا اللهم انصر أعلى الجنتين، وأهدى الفشتين، وأكرم الحزبين ودعوا بما ذكر، وهو في نفس الأمر دعاء عليهم، وإن أرادوا به الدعاء على محمد وحزبه اهـ من البيضاوي.

ثم قال: وقيل الآية خطاب للمؤمنين، والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وإن تنتهوا عن التكاثر في القتال والرغبة عما يختاره الرسول فهو خير لكم، وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالالكار أو تهيج العدو، ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر، فإنه مع الكاملين في إيمانهم ويؤيد



اللهم أينما كان أقطع للرحم وأنانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة أي أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾  
 القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَلِإِنْ تَنْتَهُوا﴾  
 عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَلِإِنْ تَعُدُّوا﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدُّ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾  
 تدفع ﴿عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ﴾ جماعاتكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر إن استئنافاً وفتحها  
 على تقدير اللام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره  
 ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواظ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع  
 تدبر واتعاط وهم المنافقون أو المشركون ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ﴾ عن سماع الحق  
 ﴿الْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ﴾ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق

ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ٥٩] الخ اهـ.

قوله: (أي القضاء) أي الحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل، وقوله: أينما أي الفريقين يعني نفسه ومن معه ومحمداً ومن معه، وهو يزعم أن محمداً هو القاطع للرحم حيث خرج من بلده وترك أقاربه تأمل اهـ شيخنا.

قوله: (فأحنه الغداة) في المختار: الحين بالفتح الهلاك وقد حان الرجل أي هلك وبابه باع، وأحانه الله أهلكه اهـ.

قوله: (من هو كذلك) أي أقطع للرحم. قوله: ﴿شَيْئًا﴾ أي من الضرر. قوله: (وفتحها على تقدير اللام) عبارة السمين: قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالفتح، والباقون بالكسر، فالفتح من أوجه، أحدها: أنه على لام العلة والمعلل تقديره، ولأن الله مع المؤمنين كان كيت وكيت. والثاني: أن التقدير ولأن الله مع المؤمنين امتنع عنادهم. والثالث: أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أن الله مع المؤمنين، وهذا الوجه الأخير يقرب في المعنى من قراءة الكسر لأنه استئناف اهـ.

قوله: (بمخالفة أمره) أي الرسول وأسد التولي له فقط، لأنه لا يكون إلا عنه، والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معاونته في الجهاد اهـ خازن.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ حال.

قوله: ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي قالوا ذلك ادعاء والمنفي عنهم السماع المطابق للواقع من التدبر والإتعاظ كما قال الشارح فلا تنافي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ الخ قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد ﷺ، فقتلوا جميعاً يوم بدر، وكانوا أصحاب اللواء، ولم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير، وسويط بن حرملة اهـ خازن.

واطلاق الدابة على الإنسان حقيقي لما ذكروه في كتب اللغة من أنها تطلق على كل حيوان ولو آدمياً، وفي المصباح: الدابة كل حيوان في الأرض مميزاً أو غير مميز اهـ.

﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُقِرُّوْنَ﴾ ﴿٧٣﴾ عن بقوله عناداً وجحوداً ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ

قوله: ﴿ولو أسمعهم﴾ (فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم) جواب ما يقال إن الاستدلال بالآية على هيئة قياس اقتراني، وهو ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا ينتج لو علم الله فيهم خيراً لتولوا، وهذا محال لأن الذي يحصل منهم بتقدير أن يعلم الله فيهم خيراً هو الانقياد لا التولي. وحاصل الجواب أن الوسط مختلف، لأن الإسماع الأول المراد به الإسماع المفهم الموجب للهداية، والإسماع الثاني هو الإسماع المجرد وأجيب أيضاً بأنه ليس المراد من الآية الاستدلال، بل بيان السببية على الأصل في لو، أي: أن سبب انتفاء إسماعهم هو انتفاء العلم بالخير فيهم، وحينئذ فالكلام قد تم عند قوله: ﴿لأسمعهم﴾، ويكون قوله: ﴿ولو أسمعهم﴾ مستأنفاً أي أن التولي لازم بتقدير الإسماع، فكيف بتقدير عدمه، فهو من قبيل لو لم يخف الله لم يعصه اهـ زكريا.

والأولى في تقرير الآية أن الشرطية الأولى إشارة إلى قياس استثنائي حذفت صفراء ونتيجته ولو فيها امتناعية على الغالب فيها وتمام القياس هكذا، لكنه لم يسمعهم سماع تفهم، فلم يعلم فيهم خيراً يعني علم أن لا خير فيهم. وأما لو في الشرطية الثانية فلا يصح أن تكون امتناعية لأنه يصير المعنى انتفى توليهم لانتهاء إسماعهم، وهذا خلاف الواقع، فحينئذ هي لمجرد الربط بمعنى أن على خلاف الغالب فيها، لكن يرد ما يقال إن المقدم قد علم انتفاؤه بمقتضى الشرطية الأولى، فكيف يثبت ويوضع في الثانية، ويعلق عليه الجزاء؟ وقد أجاب الشارح عن هذا بقوله: فرضاً أي لو فرض أنه أسمعهم سماع تفهم لتولوا الخ، وحينئذ يرد على التركيب أن التعليق غير صحيح، لأنه لو فرض وأسمعهم سماع تفهم لأجابوا وأقبلوا. وقد أجاب الشارح عن هذا بقوله: وقد علم أن لا خير فيهم، وهذا القيد قد علم من الشرطية الأولى لأنه نتيجة القياس التي أشارت إليه وبملاحظة هذا القيد يصح التعليق ويصير المعنى، وإن فرض أنه أسمعهم سماع تفهم مع علمه أن لا خير فيهم فإنهم يعرضون ولا يقبلون، إذ لو قبلوا ولم يتولوا لكانوا من أهل الخير فيلزم انقلاب العلم جهلاً فليتأمل.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول﴾ السين والتاء زائدتان يعني أجبوهما بالطاعة والانقياد لأمرهما إذا دعاكم يعني الرسول ﷺ، وإنما وحد الضمير في قوله: ﴿إذا دعاكم﴾ لأن استجابة الرسول ﷺ استجابة لله تعالى، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد اهـ خازن.

قوله: ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ أي لما فيه حياتكم. قال السدي: هو الإيمان لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان، وقال قتادة: هو القرآن لأنه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين، وقال مجاهد: هو الحق، وقال محمد بن إسحاق: هو الجهاد لأن الله أعز به بعد الذل، وقيل: هو الشهادة، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون اهـ خازن.

قوله: ﴿بين المرء وقلبه﴾ العامة على فتح الميم، وقرأ ابن إسحاق بكسرها على اتباعها لحركة الهمزة، وذلك أن في المرء لغتين أفصحهما فتح الميم مطلقاً، والثانية إتباع الميم لحركة الإعراب،

وَقَلْبِهِ ﴿فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته﴾ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ فيجازيكم بأعمالكم

فتقول هذا مرة بضم الميم ورأيت مرةً بفتحها ومررت بمرء بكسرهما . وقرأ الحسن والزهري بين المرء يفتح الميم وتشديد الراء وتوجيهها أن يكون نقل حركة الهمزة إلى الراء ثم شدد الراء وأجرى الوصل مجرى الوقف اهـ سمين .

قوله : (فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته) هذا القول هو الذي دلّت عليه البراهين العقلية ، لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواع وإرادات ، وتلك الإرادات لا بدّ لها من فاعل مختار وهو الله تعالى ، فثبت ذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى فمعنى بين المرء وقلبه أنه يحول بين المرء وخواطر قلبه ، أو وإدراك قلبه ، بمعنى أنه يمنعه من حصول مراده أو يمنعه من الإدراك والفهم . وفي الشهاب : أصل الحول كما قال الراغب تغير الشيء وانفصاله عن غيره ، وباعتبار التغير قيل : حال الشيء يحول ، وباعتبار الانفصال قيل : حال بينهما ، فحقيقة كون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يفصل بينهما وهو غير متصور في حقه فهو مجاز مع غاية القرب من العبد ، لأن من فصل بين شيئين كان أقرب إلى كل منهما من الآخر لاتصاله بهما ، وهو إما استعارة تبعية فمعنى يحول يقرب أو تمثيلية ، وقيل : مجاز مرسل اهـ .

وفي البضاوي : ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ هذا تمثيل لغاية قربه من العبد ، كقوله : ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق : ١٦] وتنبيه على أنه مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها ، أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل إدراك المنية ، فإنها حائلة بين المرء وقلبه أو تصوير وتخيل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ، ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته ويبدله بالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً وما أشبه ذلك من الأمور العارضة المفلوة للفرصة اهـ .

قوله : ﴿واتقوا فتنة﴾ خطاب للمؤمنين مطلقاً صلحائهم وغيرهم ، وقوله : ﴿فتنة﴾ المراد بها العذاب الدنيوي كالقحط والغلاء وتسلب الظلمة وغير ذلك ، والكلام على حذف المضاف كما أشار له الشارح أي اتقوا سبب فتنة ، وقوله : ﴿لا تصيبين﴾ مضارع منفي بلا النافية مؤكّد بالنون في جواب شرط مقدر . ومذهب البصريين تقديره من مادة الأمر المذكور ، فتقديره هنا إن تتقوها لا تصيبين الخ ، ولما كان هذا التقدير مفسداً للمعنى كما لا يخفى سلك الشارح مذهب الكوفيين ، وهو أنه يقدر من حيث المعنى ، وإن لم يكن من مادة الأمر ، فلذلك قدره الشارح من مادة الجواب اهـ شيخنا .

وفي السمين قوله : ﴿لا تصيبين﴾ ، في لا وجهان ، أحدهما : أنها ناهية ، وعلى هذا فالجملة لا يجوز أن تكون صفة لفتنة لأن الجملة الطلبية لا تقع صفة ، ويجوز أن تكون معمولة لقول ذلك القول هو الصفة أي فتنة مقولاً فيها لا تصيبين والنهي في الصورة المصيبة وفي المعنى للمخاطبين . والثاني : أن لا نافية والجملة صفة لفتنة ، وهذا واضح من هذه الجهة إلا أنه يشكل عليه تأكيد المضارع في غير قسم ولا طلب ولا شرط ، وفيه خلاف هل يجري النفي بلا مجرى النهي ؟ فمن الناس من قال نعم ، فإذا جاز أمر أو صفة لفتنة ، فإذا كان جواباً فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين خاصة ، بل تعمكم . وقيل لا

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعميم وغيرهم واتقوا بها بإنكار موجبها من المنكر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَكِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ

أن يؤكد المنفي بلا مع انفصالة، فلأن يؤكد المنفي غير المفصول بطريق الأولى. إلا أن الجمهور يحملون ذلك على الضرورة، وقال الزمخشري: لا تصنيف لا يخلو إما أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بعد تصنيف جواب قسم محذوف، والجملة القسمية صفة لفتنة أي فتنة والله لا تصنيف ودخول النون أيضاً قليل لأنه منفي اهـ.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ أي اتقوا ذنباً يعمكم أثره كإقرار المنكر بين أظهركم، والمداينة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة، وظهور البدع، والتكاسل في الجهاد اهـ بياضوي.

قال ابن عباس: أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقرأوا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم. وروى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة». والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدي بن عميرة الكندي أن النبي ﷺ قال: «إذا علمت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» أخرجه أبو داود، عن جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدر أن يغيروا عليه ولم يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا» أخرجه أبو داود. وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً.

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من تشرف لها تبتشرقه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذه به» اهـ خازن.

وفي الكرخي: واستشكل هذا بقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] والإسراء: ١٥ وفاطر: ١٨ والزمر: ٧ وأجيب بأن الناس إذا تظاهروا بالمنكر، فالواجب على كل من رآه أن يغيّره إذا كان قادراً على ذلك، فإذا سكت عليه، فكلهم عصاة هذا بفعله وهذا برضاه، وقد جعل الله تعالى بحكمته الراضي بمنزلة العامل، فانتظم في العقوبة، وهذا شرح لما أشار إليه المصنف في تقريره كما دل ذلك الحديث اهـ.

وعلاوة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي، فلا يتحقق كون الإنسان كارهاً له إلا إذا تألم للخلل الذي يقع في الدين، كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده، فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمنكر، فتعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار، هكذا قرره القسطلاني على البخاري. قوله: ﴿خاصة﴾ منصوبة على الحال من الفاعل المستكن في قوله: ﴿لا تصنيف﴾، وأصلها أن تكون صفة لمصدر محذوف تقديره إصابة خاصة اهـ سمين.

قوله: (إنكار موجبها) أي سببها أي بالنهي عن المنكر، وكان مقتضاه أن يقول بالنهي عن

المنكر.

سُتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿ أَرْضُ مَكَّة ﴾ ﴿ تَخَافُونَ أَنْ يَخْطِفَكُمُ النَّاسُ ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿ فَتَأْوِيَكُمْ ﴾ إلى المدينة ﴿ وَآتِدَّكُمْ ﴾ قواكم ﴿ يَصْرَهُ ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ الغنائم ﴿ لَمَلَكْكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمه . ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني

قوله: ﴿واذكروا إذ أنتم﴾ الخ خطاب للنبي والمؤمنين بتذكير نعمة الله عليهم بالحماية من أعدائهم حيث آواهم في المدينة ونصرهم ببدر، وهذه الآية نزلت بعد بدر، وقوله: ﴿إذ أنتم﴾ إذ بمعنى وقت، وأنتم مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار بعده اهـ شيخنا.

قوله: (أرض مكة) وأطلقها في الآية لأنها لعظمها كأنها هي الأرض كلها، أو لأن حالهم كان في بقية البلاد كحالهم فيها أو قريباً من ذلك، ولهذا عبر بالناس في قوله: ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: مستضعفون في الأرض أي في أرض مكة تحت أيدي قريش، والخطاب للمهاجرين أو تحت أيدي فارس والروم، والخطاب للعرب كافة مسلمهم وكافرهم، فإن العرب كانوا أذلاء تحت أيدي الطائفتين اهـ.

قوله: (يأخذكم الكفار بسرعة) في المصباح: خطفه يخطفه من باب تعب استلبه بسرعة وخطفه خطفاً من باب ضرب لغة، واختطف وتخطف مثله، والخطفة مثل تمررة المرة، ويقال لما اختطفه الذئب ونحوه من حيوان هي خطفة تسمية بذلك اهـ.

قوله: ﴿فأواكم﴾ (إلى المدينة) أي جعلها لكم مأوى تتحصنون فيه من عدوكم اهـ أبو السعود.

قوله: (مروان بن عبد المنذر) وقيل اسمه رفاعه كما في الخطيب اهـ.

قوله: (وقد بعثه ﷺ الخ) عبارة المواهب: قال ابن إسحاق: حاصروهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وعند ابن سعد خمس عشرة، وعند ابن عتبة بضع عشرة ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا فقال لهم: يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وأنا عرض عليكم خصالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا. فقال: إذا أبيتم على هذه فهل تم نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف أي مجردين السيوف من أغمادها لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه، فقالوا: أي عيش لنا بعد أبناءنا ونسائنا؟ فقال: إن أبيتم على هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن أبعث لنا أبا لبابة وهو رفاعه بن عبد المنذر نستشيره في أمرنا، فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وفرغ إليه النساء والصبيان يكون في وجهه، فرق لهم وقال: يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار إلى حلقة أنه الذبيح. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى

قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ لا ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ﴾ ما ائتمتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ

عرفت أنني خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه وسلك طريقاً أخرى، فلم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبداً، وقال: لا أرى بلداً خنت الله ورسوله فيه أبداً. فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وقد كان استبطأه قال: «أما لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه». قال ابن هشام: وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال تأتبه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة، ثم تعود فتربطه بالجذع. وقال أبو عمر: روى ابن وهب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه، فما كاد يسمع وكاد يذهب بصره، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة، أو أراد أن يذهب لحاجة، فإذا فرغ أعادته. وعن عبد الله بن قسيط أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة، فقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، فقلت: مم تضحك، أضحك الله سنك؟ قال: «تیب على أبي لبابة»، قالت: قلت أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: «بلى إن شئت». قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة أبشرك فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مر عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه، ولما اشتد الحصار ببني قريظة أطاعوا وأتقوا أن ينزلوا على ما يحكم به رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله في خيمة في المسجد الشريف لأمراة من أسلم يقال لها ربيعة، وكانت تداوي الجرحى حسبة، فلما حكمه أتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطؤوا له بوسادة من آدم، لأنه كان جسيماً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام: «قوموا إلى سيدكم» فقاموا إليه فقالوا: إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك أي حلفائك لتحكم فيهم، فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسبى الذراري والنساء، فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» والرقيع السماء سميت بذلك لأنها رقت بالنجوم، وفي رواية فمحمد بن صالح: «لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات» انتهت.

قوله: (انه الذبح) أي بأنه الذبح، والإشارة بيده فأشار بها نحو حلقومه مفهماً لهم بهذه الإشارة أن الذي قدامهم هو الذبح اهـ.

قوله: (لأن عياله وماله فيهم) أي عندهم.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فاعل نزل. قوله: ﴿وَلَا تَخُونُوا﴾ أعاد النهي إشارة إلى أن المنهي عنه كل واحد من الأمرين، فليست الواو للمعية، وفي السمين قوله: ﴿وَتَخُونُوا﴾ يجوز فيه أن يكون منصوباً بإضمار أن على جواب النهي أي لا تجمعوا بين الخيانتين، وأن يكون مجزوماً نسقاً على الأولى، وهذا الثاني أولى لأن فيه النهي عن كل واحد على حدته بخلاف ما قبله، فإنه نهى عن الجمع بينهما ولا يلزم من النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته بخلاف ما قبله، فإنه

تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَكُمْ فَتَنَةٌ﴾ لكم صادة عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ونزل في توبته﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفُوا اللَّهَ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يوثقوك

نهى عن الجمع بينهما ولا يلزم من النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته، وقد تقدم تحرير هذا في قوله: ﴿وتكتموا الحق﴾ [البقرة: ٤٢] أول البقرة. وأماناتكم على حذف مضاف أي أصحاب أماناتكم، ويجوز أن يكونوا نهوا عن خيانة الأمانات مبالغة كأنها جعلت مخونة، وقرأ مجاهد أمانتكم بالتوحيد والمراد الجمع اهـ.

قوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾ الواو للحال والمفعول محذوف أي تعلمون أن ما وقع منكم خيانة اهـ شيخنا.

قوله: (صادة) أي مانعة عن أمور الآخرة. قوله: (فلا تفوتوه الخ) أي لأن سعادة الآخرة خير من سعادة الدنيا، لأن سعادة الآخرة لا نهاية لها وسعادة الدنيا تفنى وتنقضي اهـ كرخي.

قوله: (لأجلهم) أي الأموال والأولاد.

قوله: ﴿يجعل لكم فرقانا﴾ أي نجاة مما تخافون، كما يشير له بقوله: فتنجون، فلو فسر الفرقان من أول الأمر بالنجاة لكان أسهل اهـ شيخنا.

وفي البضاوي: ﴿فرقانا﴾ أي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصراً يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، أو مخرجاً من الشبهات أو نجاة مما تحذرون في الدارين اهـ.

قوله: ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا﴾ لما ذكر الله تعالى المؤمنين نعمه عليهم بقوله: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ [الأنفال: ٢٦] الخ ذكر نبيه محمداً ﷺ نعمه عليه فيما جرى له بمكة من قومه، لأن هذه السورة مدنية، وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة، والمعنى: واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا والمكر الاحتيال في إيصال الضرر للغير.

وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعاً: إن قريشاً عرفوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاخم أمر رسول الله ﷺ ويظهر، فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكان رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو ربيعة، وأبو جهل وأبو سفيان، وطعمة بن عدي والنضر بن الحرث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف، واعترضهم إبليس في صورة شيخ، فلما رأوه قالوا له: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً. فقالوا: ادخل، فدخل، فقال أبو البختري: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت

مقيداً وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها متاعه وشرابه وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء. فصرخ عدو الله إبليس وهو الشيخ التجدي وقال: بشس الرأي رأيتم لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فيوشك أن يشوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم. فقالوا: صدق الشيخ التجدي. فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه. فقال إبليس: ما هذا لكم برأي تتمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقته وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين، ثم يسير بهم إليك فيخرجكم من بلادكم، فقالوا: صدق الشيخ التجدي. فقال أبو جهل: والله لأشirin عليكم برأي ما أرى غيره، إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسطاً فتياً ثم نعطي كل فتى سيفاً صانماً، ثم يضربونه جميعاً ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وأنهم إذا رأوا ذلك قالوا العقل فتؤديه قريش. فقال إبليس اللعين: صدق هذا الفتى هو أجودكم رأياً والقول ما قال لا أرى غيره. ففترقوا على قول أبي جهل وهم مستمعون لله عليه، فأتى جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ، وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيشبهوا عليه، فأمر عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب أن يبيت في مضجعه، وقال: «تسبح ببردتي، فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه»، ثم خرج رسول الله ﷺ من الباب على الصحيح لا من الخائط، وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ إِلَى قَوْلِهِ: «فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» [يس: ٩] ثُمَّ انصرفت عليه الصلاة والسلام حيث أراد فأثامهم أت ممن لم يكن معهم، فقال: أي شيء تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً. قال: قد خيبتكم الله قد والله يخرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، فما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب. وفي رواية ابن أبي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس: فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً، وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ﴾ اهـ من الخازن، ومتن المواهب. وفي شرح المواهب ما نصه: قال السهيلي: ذكر بعض أهل السير أنهم هموا بالولوج عليه، فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض: والله إنها لسبة في العرب أن يتحدثوا عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا سر حرمتنا، فهذا الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا اهـ.

قوله: (بدار الندوة) أي بالدار التي تقع فيها الندوة أي: الاجتماع والتحدث، فالندوة مصدر. وفي المصباح: ندا القوم ندواً من باب قتل اجتماعوا، ومنه النادي وهو مجلس القوم ومتحدثهم، والندى مثقل والمتندى مثله، ولا يقال فيه ذلك إلا والقوم مجتمعون فيه، فإذا تفرقوا زالت عنه هذه الأسماء، والندوة المرة من الفعل ومنه سميت دار الندوة بمكة التي بناها قصي، لأنهم كانوا يندون فيه.



وَيَحْبِسُوكَ ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كلهم قتل رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمَكِّرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمَكِّرُ اللَّهُ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْصِرِينَ﴾ أعلمهم به ﴿وَلِإِذْ أَنْتَلَّى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ شَاءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النضر بن

أي يجتمعون ثم صار مثلاً لكل دار يرجع إليها، ويجتمع فيها، وجمع النادي أندية اهـ.

وهي أول دار بنيت بمكة، فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم، ثم صارت كلها بالمسجد الحرام، وهي في جانبه الشمالي اهـ زرقاني على المواهب.

قوله: ﴿لَيَبْشُوكَ﴾ أي ليحبسوك ويوثقوك، لأن كل من شد شيئاً وأوثقه فقد أثبته لأنه لا يقدر على الحركة، وهذا إشارة لرأي أبي البختري بفتح الباء وسكون الخاء المعجمة. وقوله: ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ أي كلهم قتل رجل واحد، وهذا إشارة لرأي أبي جهل الذي صوّبه صديقه إبليس لنعنهما الله. وقوله: ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ أي من مكة منفياً، وهذا إشارة لرأي هشام بن عمرو اهـ من شرح المواهب.

قوله: ﴿وَيَمَكِّرُونَ﴾ (بك) يعني ويحتالون ويتدبرون في أمرك وأصل المكر احتيال في خفية ويمكر الله يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم، فسمي الجزاء مكرّاً لأنه في مقابلته. وقيل: معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم، والمكر هو التدبير، وهو من الله التدبير بالحق، والمعنى أنهم احتالوا في إبطال أمر محمد ﷺ، والله تعالى أظهره وقواه ونصره عليهم، فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره اهـ خازن.

وعبارة البيضاوي: ﴿وَيَمَكِّرُ اللَّهُ﴾ يرد مكرهم عليهم، أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر، وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا اهـ.

وقوله: يرد مكرهم الخ لما كان معنى لمكر حيلة يجلب بها مضرة إلى الغير، وهو مما لا يجوز في حقه تعالى أشار إلى تأويله بوجهه، أولها: أن المراد بمكر الله رد مكرهم أي عاقبته ووخامته عليهم، فأطلق على الرد المذكور مكر لمشابهته له في ترتب أثره عليه، فيكون استعارة تبعية. وثانيها: أن المراد بمكر الله مجازاتهم على مكرهم بجنسه على سبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية والمشاكلة تزيده حسناً على حسن، ويصح فيه الاستعارة أيضاً لأنهم لما أخرجوه ﷺ أخرجهم الله تعالى، فإذا كانت المجازاة من جنس العمل كان بينهما مشابهة أيضاً. وثالثها: أن يكون استعارة تمثيلية بتشبيه حالة تقليل المسلمين في أعينهم الحامل لهم على هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال بإظهار خلاف ما يظن أو أنه مشاكلة صرفة، فالوجه أربعة اهـ شهاب.

قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ إن قلت: كيف قال والله خير الماكرين، ولا خير في مكرهم؟ قلت: يحتمل أن يكون المراد والله أقوى، فوضع خير موضوع أقوى، وفيه تنبيه على أن كل مكر يبطل بفعل الله. وقيل: يحتمل أن يكون المراد أن مكرهم فيه خير بزعمهم، فقال تعالى في مقابلته: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، وقيل: ليس المراد التفضيل، بل إن فعل الله خير مطلقاً اهـ خازن.

قوله: ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ أي مثل هذا القرآن وهو التوراة والإنجيل، وقد تنازع هذا العامل مع

الحِثِّ لَأَنَّهُ كَانَ يَأْتِي الْحِيرَةَ يَتَجَرَّ فَيَشْتَرِي كُتُبَ أَخْبَارِ الْأَعَاجِمِ وَيُحَدِّثُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿٣١﴾ مَا ﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا أَسْطِيرٌ﴾ أَكَاذِيبُ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَلِذَاقَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ﴾ الَّذِي يَقْرُؤُهُ مُحَمَّدٌ ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ الْمُنَزَّلُ ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَكَ مِنَ السَّمَاءِ لِأَتَيْنَا بِعَدَائِكَ الْيَوْمَ﴾ مَوْلَمَ عَلَى إِنكَارِهِ قَالَهُ النَّضْرُ وَغَيْرُهُ اسْتَهْزَاءً وَإِيهَاماً أَنَّهُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَجَزْمٍ بِيُطْلَانِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ﴾ بِمَا سَأَلُوهُ ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لِأَنَّ الْعَذَابَ إِذَا نَزَلَ عَمَّ وَلَمْ تَعَذِّبْ أُمَّةً إِلَّا بَعْدَ

قوله: لقلنا في قوله: مثل هذا، كما يستفاد من الخازن. قوله: (كان يأتي الحيرة) بكسر الحاء المهملة بلدة بقرب الكوفة. قوله: (أخبار الأعاجم) كالفرس والروم. قوله: ﴿إِلَّا أَسْطِيرٌ﴾ جمع أسطورة كأحدثه، وأحاديث ما سطر وكتب أي ما سطره وكتبه من القصص والأخبار اهـ من البيضاوي والشهاب.

قوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ العامة على نصب الحق وهو خير الكون وهو فصل، وقد تقدم الكلام عليه مشعباً. وقال الأخفش: هو زائد ومراده ما تقدم من كونه فصلاً. وقرأ الأعمش وزيد بن علي برفع الحق، ووجهها ظاهر برفع هو بالابتداء والحق خبره، والجملة خبر الكون، وقال ابن عطية: ويجوز في العربية رفع الحق على خبر هو، والجملة خبر لكان. قال الزجاج: ولا أعلم أخذاً قرأ بهذا الجائز. قلت: قد ظهر من قرأ به وهما رجلان جليلان اهـ شمين.

قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ استعارة أو مجاز لأنزل اهـ شهاب.

قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ صفة حجارة فيتعلق بمحذوف، ولو جعل متعلقاً بقوله أمطر لم يبق لقوله: من السماء فائدة، لأن المطر لا يكون إلا من السماء، وفائدة توصيف الحجارة بقوله: من السماء الدلالة على أن المراد بالحجارة السجيل، وهي حجارة مسومة أي معلمة معدة لتعذيب قوم من العصاة، روي أنها حجارة من طين أحميت بنار جهنم مكتوب عليها أسماء القوم، فلا بد من ذكر السماء لتعيين أن المراد من الحجارة السجيل اهـ زاده.

قوله: (على إنكاره) أي لأجل إنكاره أي إنكارنا كونه من عندك اهـ شيخنا.

قوله: (قَالَ النَّضْرُ) حكاه مجاهد وابن جبير. وقوله: أو غيره، وهو أبو جهل حكاه عنه أنس بن مالك اهـ كرخي.

قوله: (استهزاء) أي بإطلاق الحق عليه وجعله من عند الله اهـ شيخنا.

قوله: (وَجَزْمٍ) عطف تفسير.

قوله: ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ أي مقيم بأرض مكة، فلا يرد تعذيبهم ببلد والنبي فيهم، لأنه إنما كان بعد خروجه من مكة، فإن قيل: لما كان حضوره مانعاً من نزول العذاب بهم، فكيف قال: قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم؟ فالجواب: أن المراد من الأول عذاب الاستئصال، ومن الثاني: العذاب الخاصل بالمحاربة والمقاتلة اهـ كرخي.

وهذا الإيراد الثاني لا يرد بعد الجواب عن السؤال الأول، لأن تعذيبهم بأيدي المسلمين إنما كان

خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهَ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَفُونُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ﴾

بعد خروج النبي من مكة. قوله: (منها) أي الأمة أي من بينها. قوله: (وقيل هم المؤمنون) أي المستغفرون هم المؤمنون أي فالضمير عائد على المؤمنين، وأشار به إلى الخلاف في مرجع الضمير في قوله: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فقيل: هو للكافرين المستغفرين، وقيل: للمؤمنين، والمعنى لم يعذب الكافرين لوجود المؤمنين فيهم مستغفرين لأنه ﷺ لما خرج بقي بمكة بقية من المسلمين، وفيهم من يستغفر ممن لم يستطع الهجرة من مكة اهـ كرخي.

قوله: (لو تزيلوا) أي المؤمنين أي لو تميزوا عن الكفار لعذبنا الذين كفروا الخ.

قوله: ﴿وما لهم﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا مانع من تعذيب الله لهم خصوصاً مع قيام مقتضية، وهو قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: وما اسم استفهام مبتدأ ولهم خبره، وقوله: ﴿أن لا يعذبهم﴾ الله على تقدير الجار المتعلق بما تعلق به الطرف الواقع خبراً، والمعنى وأي شيء ثبت واستقر لهم في أن لا يعذبهم الله أي في عدم تعذيبه. أي أي مانع منه أي لا مانع منه بعد زوال هذين المانعين، وهما كون النبي فيهم، وكون الضعفاء يستغفرون وهم مستضعفون فيما بينهم، فلما زال هذا المانعان وجب عليهم العذاب، ولم يبق له مانع اهـ.

قوله: (وعلى القول الأول) هو كون الضمير عائداً على الكفار، والقول الثاني كونه عائداً على ضعفاء المؤمنين المشار له سابقاً بقوله: ﴿وقيل هم المؤمنون﴾ الخ. وقوله: هي أي قوله: ﴿وما لهم أن لا يعذبهم الله﴾ ناسخة لما قبلها، وهو قوله: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ لأنه على هذا قد وجب عذابهم ونزل بهم مع كونهم يستغفرون اهـ شيخنا. وهذا ما جرى عليه عكرمة. وعن آخرين أنها ليست بمنسوخة لأنها خبر والخبر لا يتوجه نحوه النسخ اهـ كرخي.

قوله: (أن يطوفوا) أي النبي والمسلمون، وهذا بدل من المسجد الحرام، وقوله: ﴿وما كانوا﴾ حال من الواو في يصدون. قوله: ﴿وما كانوا أولياءه﴾ أي مستحقين ولاية أمره مع شركهم، وهذا رد لما كانوا يقولونه: نحن ولاية البيت والحرم، فنصد من نشاء وندخل من نشاء. إن أوليائه إلا المتقون عن الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره. وقيل: الضمير ان الله، وقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾، كأنه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم اهـ بياضوي.

قوله: ﴿وما كان صلاتهم﴾ الخ كالتعليل لقوله ﴿وما كانوا أولياءه﴾. قوله: ﴿إلا مكاء وتصدية﴾

الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاةً ﴿٣٥﴾ وَتَصَدِيَةً ﴿٣٦﴾ تصديقاً أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بيدر ﴿يَمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْفِقُونَ أَمُورَهُمْ ﴿٣٨﴾ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُؤْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ ندامة لفواتها

أي ما كان شيء مما يعدونه صلاة وعبادة إلا هذين الفعلين، وهما المكاء والتصدية أي: إذا كان لهم صلاة فلم تكن إلا هذين، والمكاء مصدر مكا يمكو مكوأً من باب عدا، ومكاء أيضاً صفره والمكاء بالضم كالبكاء، والصراخ. والتصدية فيها قولان، أحدهما: أنها من الصدى وهو ما يسمع من رجوع الصوت في الأمكنة الخالية الصلبة يقال منه صدى يصدي تصدية، والمراد بها هناك ما يسمع من صوت التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى. وفي التفسير أن المشركين كانوا إذا سمعوا رسول الله ﷺ يصلي ويتلو القرآن صفقوا بأيديهم وصفروا بأفواههم ليشغلوا عنه من يسمعه ويخلو عليه قراءته، وهذا مناسب لقوله: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، وقيل مأخوذ من التصدد وهو الضجيج والصياح والتصفيق، فأبدلت إحدى الدالين ياء تخفيفاً، ويدل عليه قراءة إذا قومك منه يصدون بالكسر أي يضحجون ويلغظون. والثاني: أنها من الصد وهو المنع، والأصل تصددة بدالين أيضاً فأبدلت ثانيتهما ياء، ويؤيد هذا قراءة يصدون بالضم أي يمنعون اه سمين.

وقوله: صفيراً الصفير الصوت الخالي عن الحروف، كما في المصباح، وفي القاموس: صفر يصفر من باب ضرب صفيراً وصفير أيضاً بالتشديد وصفر بالحمز دعاه إلى الماء اه.

قوله: (صفيراً) فكان الواحد منهم يشبك أصابع إحدى كفيه بأصابع الأخرى ويضمهما وينفخ فيهما فيظهر من ذلك صوت، وقوله: تصديقاً أي ضرباً لإحدى اليدين على الأخرى، وقوله: أي جعلوا ذلك الخ يعني أنهم فوتوا ما حقهم أن يشتغلوا به في ذلك المكان من الصلاة وشغلوه بهذا اللعب والخراف والهوس اه شيخنا.

وفي الكرخي قوله: أي جعلوا ذلك الخ جواب ما قيل المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة، فكيف يجوز له استثناءهما من الصلاة. وأجيب أيضاً بأنهم كانوا يعتقدون أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة فخرج هذا الاستثناء على حسب معتقدهم اه.

وفي زاده: لما كان من المكاء والتصدية ليس من جنس الصلاة اللغوية ولا الشرعية. فينبغي ألا يصح أشار إلى توجيه الاستثناء بأن المراد بالصلاة الصلاة الشرعية، واستثنى المكاء والتصدية مع أنهما ليسا من جنسها تقريراً للمشركين بتركهم ما أمروا به في المسجد الحرام، وجعلهم فيه المكاء والتصدية، فإن ما لا يدخل تحت الشيء قد يستثنى منه لمصلحة وغرض، كقصد المدح والذم اه.

فعلى هذا يكون التقدير وما كان موضع صلاتهم أي عوضها إلا مكاء.

قوله: ﴿فَسَيُؤْفِقُونَهَا﴾ أي فسيعلمون عاقبة إنفاقها من الخيبة وعدم الظفر بالمقصود فحصلت المغايرة اه شيخنا.

قوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾ (في عاقبة الأمر) وهي عدم وصولهم لمقصودهم. قوله: ﴿حَسْرَةٌ﴾ يقال

وفوات ما قصدوه ﴿ثُمَّ يُنْزِلُوكَ﴾ في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ يساقون ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿اللَّهُ الْخَبِيرُ﴾ الكافر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراماً بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُنْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم

حسر يحسر كطرب يطرب بمعنى ما ذكره الشارح، ويقال حسر كحه عن ذراعه من باب ضرب يضرب، ويقال حسر بصره كلّ وتعب من باب جلس، فالأول والأخير لا زمان والأوسط متعدّد اهـ شيخنا. هذا ما في المختار.

وفي المصباح: حسر عن ذراعه حسراً من بابي ضرب وقتل، وحسرت المرأة ذراعها وخمارها من باب ضرب كشفته فهي حاسر بغير هاء وحسر البصر حسوراً من باب قعد كل ل طول المدى، وحسرت على الشيء حسراً من باب تعب والحسرة اسم منه اهـ.

قوله: (وفوات ما قصدوه) أي من نصرتهم على محمد. قوله: ﴿يُحْشَرُونَ﴾ من بابي ضرب ونصر، كما في المصباح اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بتكون) أي أو يغلبون أو يبحشرون، وعلى الأول يفسر الخبيث بالمال المنفق في عداوة النبي والطيب بالمال المنفق في نصرته، وعلى الأخيرين يفسر الخبيث والطيب بالكافر والمؤمن، فما سلكه الشارح تلفيق اهـ شيخنا.

قوله: (التخفيف والتشديد) سبعيتان.

قوله: ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ﴾ أي الكافر فيه وفي قوله: ﴿بَعْضُهُ﴾، وقوله: ﴿فَيَرْكُمُهُ﴾، وقوله: ﴿فَيَجْعَلُهُ﴾ مراعاة لفظ الخبيث، وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فيه مراعاة المعنى، لأن الضمير راجع على الخبيث اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الهاء في قوله: ﴿فَيَرْكُمُهُ﴾، أو توكيد لها وقوله: (يجمعه متراماً) مجموع الفعل، والحال تفسير ليركمه. يقال ركمه إذا جمعه وضم بعضه إلى بعض اهـ شيخنا.

وفي المختار: ركم الشيء إذا جمعه وألقى بعضه إلى بعض وبابه نصر وارتكم الشيء وتراكم اجتمع والركام الرمل المتراكم والسحاب ونحوه اهـ.

قوله: ﴿بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي لازدحامهم.

قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ﴾ الجار والمجرور متعلق بقل واللام للتبليغ أمر أن يبلغهم بالجملة المحكية بالقول سواء أوردتها بهذا اللفظ أم بلفظ آخر مؤد لمعناها. وقال الزمخشري: هي لام العلة أي قل لأجلهم هذا القول إن انتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقليل إن انتهوا يغفر لكم اهـ كرخي.

قوله: (من أعمالهم) أي من الكفر وغيره من سائر ذنوبهم اهـ شيخنا.

﴿وَلَا يَعُودُوا﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي سنتنا فيهم بالإهلاك فكذا نفعل بهم ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وحده ولا يعيد غيره ﴿فَإِنْ أَنتَهُوا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْلَمُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم به ﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَا﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نَعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿نَعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي الناصر لكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ يأمر فيه بما

قوله: ﴿وَلَا يَعُودُوا﴾ العود يشعر بسبق التلبس بالشئ الذي حصل العود إليه، فالمعنى وإن يرددوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، ويرجعوا للكفر وقتال النبي، وجواب الشرط محذوف تقديره ننتقم منهم بالعقاب والعذاب يشير إليه قول الشارح، فكذا نفعل بهم. وقوله: ﴿فَقَدْ مَضَتْ﴾ الخ تعليل للمحذوف، ولا يصح للجوابية كما لا يخفى اهـ شيخنا. ويصح تفسير العود بالاستمرار على الكفر كما ذكره الخازن. قوله: ﴿فَقَدْ مَضَتْ﴾ أي سبقت واستقرت سنت الأولين الإضافة على معنى في كما أشار له الشارح وترسم سنت هذه بالتاء المجرورة، وكذا الثلاثة التي في فاطر، وكذا التي في آخرها غير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ معطوف على قل للذين، لكن لما كان الغرض من الأول التلطف بهم وهو وظيفة النبي وحده جاء بالافراد، ولما كان الغرض من الثاني تحريض المؤمنين على القتال جاء بالجمع، فخطبوا جميعاً اهـ.

قوله: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ﴾ أي العبادة، قوله: ﴿بِمَا يَعْلَمُونَ بَصِيرٌ﴾ بالياء التحتية باتفاق السبعة، وقرأ بالفوقية يعقوب من العشرة اهـ من السمين.

قوله: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾ جوابه محذوف أي فلا تخشوا بأسهم، لأن الله مولاكم الخ، قوله: ﴿نَعْمَ الْمَوْلَى﴾ (هو) أي لأنه لا يضيع من تولاه ﴿وَنَعْمَ النَّصِيرُ﴾ لأنه لا يغلب من نصره اهـ يضاوي.

قوله: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ ما موصولة، وكان القياس فصلها في الرسم من أن لكن ثبت وصلها في خط المصحف الإمام، وعائد الموصول محذوف أشار له الشارح اهـ شيخنا.

وقوله: لكن ثبت وصلها في خط المصحف الإمام أي في بعض المصاحف، وثبت فصلها أيضاً في بعضها على القياس، كما ذكره ابن الجزري في قوله:

وخلف الأنفال ونحل وقعا

قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ في محل نصب على الحال من عائد الموصول المقدر، والمعنى ما غنمتموه كائناً من شيء أي قليلاً كان أو كثيراً اهـ سمين.

وقوله: قهراً أي بطريق القتال. أما ما أخذ منهم من غير قتال فهو فيء كالحزبية، وعشر التجارة، وتركه المرتد، والكافر المحضوم الذي لا وارث له، وحكمه معلوم من كتب الفروع. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ خَمْسَهُ﴾ علة فتح أن هذه أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره فحكمه أن الله خمسه والنجار والمنجروز يجوز أن

يشاء ﴿وَالرَّسُولَ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَأَلْيَتَيْنِ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَأَرْبَ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿وَمَا﴾ عطف على بالله ﴿أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَاللَّهُ

وظاهرها أنه يقسم ستة أقسام، وبه قال أبو العالية فقال: إن الذي لله يصرف إلى الكعبة، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ منه قبضة، فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة أقسام، وقيل: سهم الله لبيت المال، وقيل: مضموم إلى سهم الرسول، والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم، وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين، فكانه قيل فإن خمسه لله بمعنى أنه أمر بقسمته على هؤلاء الخمسة المعطوفين، فقول الجلال يأمر فيه بما شاء، وقد شاء قسمته على هؤلاء الخمسة فأمر بها اهـ ملخصاً من البيضاوي.

قوله: (من بني هاشم) من بيانية. قوله: (المنقطع في سفره) أي المحتاج في سفره. قوله: (أي يستحقه النبي الخ) تفسير لقوله: ﴿فَأَن لَّهِ خَمْسَةٌ﴾، وقال: أي يستحقه النبي الخ، ولم يقل أي يستحقه الله والنبي الخ إشارة إلى أن اسم الله إنما ذكر تبركاً به، لا أن لله بعض الخمس، وإنما هو للخمسة المذكورين بالعطف اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وبعد وفاة النبي ﷺ يصرف خمس الخمس الذي كان له إلى مصالح المسلمين، وهذا مذهب الشافعي، وقال مالك: الرأي فيه إلى الإمام، وقال أبو حنيفة: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته، وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية اهـ.

قوله: (على ما كان يقسمه) أي على الوجه والقسم الذي كان يقسمه، وقوله: من أن لكل أي من الأصناف الخمسة اهـ شيخنا.

قوله: (والأخماس الأربعة الخ) بيان لمفهوم قوله: ﴿خَمْسَةٌ﴾، وربما دلَّت الآية على الحكم المذكور بالمفهوم من حيث إنها إنما حكمت بإخراج خمس الغنيمة للأصناف الخمسة، فيكون الباقي للغانمين بحكم الإضافة لهم في قوله: ﴿غَنِمْتُمْ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (فاعلموا ذلك) أشار به إلى أن جواب الشرط محذوف وقدره من مادة ما قبله، وقدره بعضهم بقوله: فامتثلوا ذلك أي لأنه ليس المراد بالعلم العلم المجرد، بل المراد العلم المقترن بالعمل والطاعة لأمر الله، لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر اهـ كرخي.

قوله: (عطف على بالله) أي على مدخول الباء من الله ففيه مسامحة اهـ شيخنا.

قوله: (الفارق بين الحق) أي بإظهاره وقوله: والباطل أي باخماده. قوله: ﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ﴾ بدل من يوم الفرقان.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم ﴿إِذْ﴾ بدل من أيوم ﴿أَنْتُمْ﴾ كائنون ﴿يَا مَعْذُورَةُ الدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي ﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ﴾ البعدى منها ﴿وَالرَّكْبُ﴾ العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوْ

قوله: ﴿إِذْ﴾ (بدل من يوم) أي: الأول أو الثاني، وهذا تذكير لهم بنعمة الله عليهم حيث خرجوا إلى هذا المكان لا لقصد القتال، بل لقصد أخذ العير، واجتمعوا على عدوهم وغير ذلك مما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا﴾ متعلق بمحذوف كما قدره، لأنه خبر المبتدأ، والباء بمعنى في كقولك زيد بمكة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعدوة بكسر العين فيهما، والباقون بالضم فيهما وهما لغتان في شط الوادي، وشفيره سميت بذلك لأنها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوزها أي منعت. وقرأ الحسن وزيد بن علي وقتادة وغيرهم بالفتح وكلها لغات بمعنى واحد هذا هو قول جمهور اللغويين اهـ سمين.

وفي المختار: العدوة بضم العين وكسرها جانب الوادي وحافته، وقال أبو عمر: وهي المكان المرتفع اهـ.

قوله: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ﴾ الخ حال من الظرف وهو قوله بالعدوة القصوى، وهذا الركب هو الذي كان معه أبو سفيان، وهو الذي خرج المسلمون لغنمه، وقوله: ﴿أَسْفَلَ﴾ ظرف منصوب على الظرفية في محل رفع على الخبرية، وكان الركب على ثلاثة أميال من بدر بحيث لو استغاث العدو به لأغاثة اهـ شيخنا.

وفي القاموس: والركب ركبان الإبل، وهو اسم جمع لراكب أو جمع له وهم العشرة فصاعداً، وقد يكون للخيول والجمع أركب وركوب اهـ.

قوله: (كائنون بمكان) ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أشار إلى أن الظرف وهو أسفل وقع مع متعلقة خبراً، وإيضاحه أن الركب مبتدأ وأسفل أفعل تفضيل استعمل بمعنى صفة لمكان محذوف أقيم مقامه فهو مع متعلقه خبر، والجملة حال من الظرف الذي قبله يعني بالعدوة اهـ كرخي.

وفي السمين قوله: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ الأحسن في هذه الواو والواو التي قبلها الداخلة على هم أن تكون عاطفة ما بعدها على أنتم، لأنها مبدأ تقسيم أحوالهم وأحوال عدوهم، ويجوز أن يكونا واوي حال وأسفل منصوب على الظرف النائب عن الخبر، وهو في الحقيقة صفة لظرف مكان محذوف، أي والركب في مكان أسفل من مكانكم اهـ.

قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أي أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال لاختلقتم في الميعاد، أي لتخلفتن عن الميعاد أي التواعد. بمعنى أنكم لم توفوا بما أعلمتكم به، بل تتخلفون عن الخروج، فالميعاد معناه التواعد، وفي المختار: والميعاد المواعدة ووقتها بمكانها اهـ ومثله في القاموس اهـ.



تَوَاعَدْتُمْ ﴿ أَنْتُمْ وَالنْفِيرَ لِلْقِتَالِ ﴾ ﴿ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ ﴾ ﴿ جَمَعَكُمْ بِغَيْرِ مِيعَادٍ ﴾ ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ﴿ فِي عِلْمِهِ وَهُوَ نَصْرُ الْإِسْلَامِ وَمَحَقُّ الْكُفْرِ فَعَلْ ذَلِكَ ﴾ ﴿ لِيَهْلِكَ ﴾ ﴿ يَكْفُر ﴾ ﴿ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ ﴿ أَيُّ بَعْدِ حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ قَامَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ قُلْتِهِمْ عَلَى الْجَيْشِ الْكَثِيرِ ﴾ ﴿ وَيَخَيَّ ﴾ ﴿ يُؤْمِن ﴾ ﴿ مَنْ حَتَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ اذْكُر ﴾ ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَائِكَ ﴾ ﴿ أَيُّ نَوْمِكَ ﴾ ﴿ قَلِيلًا ﴾ ﴿ فَأَخْبَرَتْ بِهِ أَصْحَابُكُمْ فَسَرَوْا ﴾ ﴿ وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفُشِلْتُمْ ﴾ ﴿ جَبْتُمْ ﴾ ﴿ وَلَنَنْزَعْنَهُ ﴾ ﴿ اخْتَلَفْتُمْ ﴾ ﴿ فِي الْأَمْرِ ﴾ ﴿ أَمْرُ الْقِتَالِ ﴾ ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾ ﴿ كَمَ مِنَ الْفُشْلِ وَالتَّنَازُعِ ﴾

قوله: ﴿ لاختلفتم في الميعاد ﴾ أي فلم تخرجوا، وفي أبي السعود: أي: ﴿ لو تواعدتم ﴾ أنتم وهم للقتال ثم علمتم حالهم وحالكم لاختلفتم أنتم في الميعاد هية منهم ويأساً من الظفر عليهم اهـ.  
قوله: (في علمه) أي سبق في علمه أنه يكون ولا بد اهـ.

قوله: (فعل ذلك) ﴿ ليهلك ﴾ الخ فيه إشارة إلى أنه متعلق بقوله مفعولاً. وفي السمين قوله: ﴿ ليهلك ﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه بدل من قوله ليقضي بإعادة العامل فيتعلق بما تعلق به الأول. الثاني: أنه متعلق بقوله مفعولاً أي فعل هذا الأمر لكيك وكيك، الثالث: أنه متعلق بما تعلق به ليقضي على سبيل العطف عليه بحرف عطف محذوف تقديره: وليهلك، وحذف العاطف قليل جداً اهـ.

واستعير الهلاك والحياة للكفر والإيمان، والمعنى: ليصدر كفر من كفر عن وضوح وبيان، لا عن مخالفة شبهة ليصدر إسلام من أسلم عن وضوح وبيان، لا عن مخالفة شبهة اهـ كرخي.

قوله: ﴿ ليهلك ﴾ أي يدوم على الهلاك أي الكفر، وقوله: ﴿ ويحيي ﴾ أي يدوم على الحياة أي الإيمان: قوله: ﴿ من حي ﴾ قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير بالإظهار، والباقون بالإدغام والإظهار، والإدغام في هذا النوم لغتان مشهورتان اهـ سمين.  
وقوله: عن بيته وهي نفس الأولى التي ذكرها الشارح.

قوله: ﴿ قليلاً ﴾ مفعول ثالث، لأن رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همزة، فإذا دخل عليها الهمز نصبت ثلاثة، والمضارع بمعنى الماضي، لأن نزول الآية كان بعد الإراءة، وأشار لهذا حيث قال فأخبرت به أصحابك فسروا اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿ قليلاً ﴾ أي مع كثرتهم تشجيعاً للمؤمنين وتثبيتاً لهم، وهذه المخالفة لا تقدر في أن رؤياه حق إذ معناه أنها معتبرة لا أضغاث أحلام، أو لعله تعالى أراه البعض دون البعض، فحكم الرسول عليه الصلاة والسلام على أولئك الذين أريهم بأنهم قليل، والله تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهذا إشارة إلى دفع سؤال، وهو أن رؤيا الأنبياء حق، فكيف يراهم قليلاً مع كثرتهم، وعلى هذا الجواب تفسر قلتهم بضعفهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿ لفشلتهم ﴾ يقال فشل فشل فشلاً كطرب يطرب طرباً كذا في المختار. قوله: ﴿ ولتنازعتم ﴾ عطف سبب على مسبب، وسيذكر مقدماً في قوله الآتي: ولا تنازعوا فتفشلوا. قوله:

﴿لَأَنَّمْ عَلَيْكَ بَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٢﴾ بما في القلوب ﴿وَلَا تُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذْ أَلْقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا﴾ نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم ﴿وَيَقُلُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدّموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم مثلهم كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أُمُورًا كَانَ مَفْعُولًا وَالْبَاقِيَ اللَّهُ يَرْجِعُ﴾ نصير ﴿الْأُمُورَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الذِّبَابُ﴾ أمموا إذا لم يستر فكة جماعة كافرة ﴿فَأَنبِئُوهُمْ﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْزَحُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّعُوا﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَنَفْشَلُوا﴾ نجبنوا

﴿بَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بالخطرات التي تقع في القلوب

قوله: ﴿أيها المؤمنون﴾ تفسير للكاف، وقوله: ﴿إِذْ أَلْقَيْتُمْ﴾ أي وقت وقوله: ﴿فِي أَعْيُنِكُمْ﴾ أي فهي رؤية بصرية وهي تنصب مفعولاً واحداً بلا همز، واثنين مع الهمز، قليلاً هنا منصوب على الحال من المفعول الثاني الذي هو الهاء اه شيخنا.

قوله: ﴿نحو سبعين﴾ الخ. بدل من قليلاً، وقوله: ﴿وهم ألف﴾ أي في نفس الأمر، وقوله: ﴿لتقدموا عليهم علة لقوله﴾ ﴿وَلَا تُرِيكُمُوهُمْ﴾ الخ.

قوله: ﴿وَلَا يَرْجِعُوا عَنْ قِتَالِكُمْ﴾ أي فسلموا لو رجعوا. قوله: ﴿وهذا﴾ أي قوله: ﴿وَيَقُلُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ قوله: ﴿أراهم﴾ أي الكفار إياهم أي المسلمين مثلهم أي مثلي الكفار، وكانوا القاء، فأروا المسلمين قدر ألفين لتضعف قلوبهم، ويتمكن المسلمون منهم اه شيخنا.

قوله: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أُمُورًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلن به إذ الفعل المعلن به أولاً اجتماعهم بغير ميعاد، وثانياً تقليل المؤمنين قبل الالتحام، ثم تكثيرهم في أعين الكفار، أو أن المقصود ثم إن الله تعالى فعل تلك الأفعال ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول اه كرخي.

قوله: ﴿أُمُورًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ هو نصر المؤمنين، وقوله: ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي في علمه تعالى اه شيخنا.

قوله: ﴿نصير﴾ هذا على قراءة فتح التاء وأما على قراءة ضمها فمعناه ترد، وهما قراءتان سبعيتان اه شيخنا.

قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ أي حاربتم جماعة ولم يصف الفئة بالكفر، لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء مما غلب في القتال اه بيضاوي.

وفي المصباح: الفئة الجماعة، ولا واحد لها من لفظها، وتجمع على فئات، وقد تجمع بالواو والنون جبراً لما نقص منها اه.

قوله: ﴿ادعوه بالنصر﴾ وبعض المفسرين أبقي الذكر على إطلاقه وعمومه، ومنه ما يقع حال القتال من التكبير اه شيخنا.

قوله: ﴿تَفْزَحُونَ﴾ أي يبرادكم من النصر والثواب اه بيضاوي.

﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿وَأَصِيرُوا إِنْ أَلَّهَ مَعَ الصَّانِرِينَ﴾ بالنصر والعون ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ حيث قالوا

قوله: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي في أمر القتال وغيره.

قوله: (تختلفوا فيما بينكم) أي من أمر الحرب، وأما المنازعة بالحجة لظاهر الحق فجازة كما قال: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥] بل هي مأمور بها بشروط منها قصد إظهار الحق على لسان أي الخصمين كان، وعلامته أن يفرح لظهوره على لسان خصمه اهـ كرخي.

قوله: ﴿فتفضلوا﴾ الظاهر أنه منصوب في جواب النهي، ولذا عطف عليه منصوب وهو قوله: ﴿وتذهب﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿وتذهب ريحكم﴾ في القاموس والمختار: أن الريح يطلق. ويراد به القوة والعلية والرحمة والنصرة والدولة اهـ.

وقوله: دولتكم بفتح الدال في دولة الحرب المرادة هنا، وتجمع على دولة بكسر الدال، وأما الدولة في المال فبضم الدال وتجمع على دول بضمها اهـ شيخنا.

وفي المختار: الدولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدولة، والجمع دول بكسر الدال، والدولة بالضم في المال يقال صار المال دولة بينهم يتداولونه يكون دولة لهذا ودولة لهذا اهـ.

وفي القاموس: الدولة بالفتح انقلاب الزمان والعقبة في المال ويضم أو بالضم فيه وبالفتح في الحرب أو هما سواء، أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا والجمع دول مثله اهـ.

وفي الخازن: والريح هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد، وقال قتادة وابن زيد: هي ريح النصر، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو، ومنه قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور» اهـ.

وفي البيضاوي: والريح هنا مستعار للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفاذها اهـ.

قوله: ﴿ولا تكونوا﴾ أي في البطر والاستكبار فيصيبكم مثل ما أصابهم، وهو أبو جهل ومن معه. وقوله: ﴿من ديارهم﴾ أي مكة وقوله: ليمنعوا غيرهم أي ليمنعوا المسلمين عنها. وقوله: ولم يرجعوا معطوف على خرجوا أي بل ماتوا وأسروا. وفي البيضاوي: وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان وقال لهم: ارجعوا فقد سلمت غيركم. فقال أبو جهل: لا والله حتى نقدم بدرًا ونشرب بها الخمر الخ اهـ.

وقوله: بطراً مصدر وقع حالاً أي حال كونهم بطرين، وكذا قوله: ورثاء الناس. والبطر: الطغيان بالنعمة وعدم شكرها، وقوله: حيث قالوا لا نرجع الخ أي قالوا ذلك في جواب من قال لهم منهم حيث سلمت العير ارجعوا بنا إلى مكة، فقالوا في الجواب ما ذكر. وقوله: القيان جمع قينة بفتح القاف

لا نرجع حتى لشرب الخمر ونحر الجزور وتضرب علينا القيان بيدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ ﴿٤٧﴾ علماً فيجازيهم به ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا

وسكون الياء وهي الجارية المغنية على حد قوله:

فعل وفعله فعال لهما

وفي نسخة القينات أي حتى تضرب على رؤوسنا بالدخوف الجواري المغنيات إظهاراً للفرح والسرور وقوله: يبدل متعلق بالأفعال الثلاثة قبله، وقوله: فيسمع الناس أي القبائل فيها بونا ويخشوا سطوتنا لما يرون ما نحن فيه من السرور، وقد بدلهم الله شرب الخمر بشرب كأس الموت، وبدل ضرب القيان بنوح النائح، ونحر الجزور بنحر رقابهم، حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون أهـ شيخنا.

قوله: (ولم يرجعوا بعد نجاتها) أشار بذلك إلى أن الآية نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر ولهم بغى وفخر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إن قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها لمعارضة دينك ومحاربة رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني» أهـ كرخي.

قوله: ﴿بَطْرًا﴾ أي فخراً وأشراً أهـ بيضاوي.

والبطر والأشر بفتحيتين الطغيان في النعمة بترك شكرها وجعلها وسيلة إلى ما لا يرضاه الله، وقيل: معناهما الفخر بالنعمة ومقابلتها بالتكبر والخيلاء والفخر بها أهـ زاده. وشهاب.

والرثاء مصدر رأى كقاتل قتالاً والأصل رياءاً فالهزمة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة، والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة، لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة، والمفاعلة في رثاء على بابها أهـ سمين من سورة البقرة.

وظاهر النظم الكريم أن قوله بطراً متعلق بخروجوا وهو لا يوافق الواقع، لأن خروجهم كان لغرض مهم وهو المنع عن غيرهم، فلذا جعله الشارح متعلقاً بمحذوف وقدر لخروجاً علة أخرى حيث قال: خرجوا من ديارهم ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها بطراً فجعله علة لهذا المقدر، وهو قوله: ولم يرجعوا، والمعنى عليه واضح ولم يسلك هذا المسلك غيره ممن رأيناه من المفسرين. قوله: (فيتسامع بذلك الناس) أي فيثنوا علينا بالشجاعة والسماحة أهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ معطوف على بطراً إن جعل مصدراً في موضع الحال، وكذا إن جعل مفعولاً له، لكن على تأويل المصدر أهـ بيضاوي. أي وصدا عن سبيل الله، وإنما أوله بما ذكر، لأن الجملة لا تكون مفعولاً له. ونكتة التعبير بالاسم أولاً ثم الفعل أن البطر والرثاء كانا دأبهم بخلاف الصد فإنه تجدد لهم في زمن النبوة أهـ شهاب.

قوله: (بالياء والتاء) سبق قلم من الشارح، إذ لم يعرف من السبعة ولا من العشرة أحد قرأ هنا بالتاء الفوقية، بل كلهم أجمعوا على القراءة بالياء التحتية أهـ شيخنا.

قوله: (بأن شجعهم) أي قواهم. قوله: (لما خافوا الخروج) الخروج ظرف لخافوا على حذف

الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ من كنانة وكان أتاها في صورة سراقه بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ﴾ التقت ﴿الْفِتْنَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحرث بن هشام ﴿تَكَصَّ﴾ رجع ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له أنخذلنا على هذا الحال ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿إِذْ

مضاف أي خافوا حين الخروج من أعدائهم أي حين خروجهم من مكة لقتال المسلمين خافوا أن يأتيهم أعداؤهم الذين هم بنو بكر، وقوله بني بكر بدل من أعدائهم، وأعداؤهم بنو بكر هم قبيلة كنانة، وكانت قرية من قریش وبينها وبينهم الحروب الكثيرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ معطوف على زين، وقوله: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ الجار والمجرور خبر لا وليس متعلقاً بغالب، ومن الناس خبرها، إذ لو كان كذلك لوجب نصب غالب وتنوينه لأنه حيثئذ شبهه بالمضاف، وقوله: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ أي كنانة وغيرها اهـ شيخنا.

وهذا بيان لجنس الغالب وقيل: هو حال من الضمير في لكم لتضمنه معنى الاستقرار، ومنع أبو البقاء أن يكون من الناس حالاً من الضمير في غالب قال: لأن اسم لا إذا عمل فيما بعده أعرب والأمر كذلك اهـ سمين.

قوله: ﴿وَإِنِّي جَارٌ﴾ أي مجير ومعين وناصر لكم. وقوله: من كنانة أي التي هي بنو بكر اهـ شيخنا.

قال ابن عباس: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقه بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (سيد تلك الناحية) أي ناحية كنانة أي جهتها اهـ.

قوله: (ورأى الملائكة) أي رآهم نازلين من السماء، وقوله: وكان يده اليد مؤنثة كما في كتب اللغة ولعل التذكير باعتبار العضو اهـ شيخنا.

قوله: (رجع) ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي رجع القهقري يمشي إلى ظهره اهـ شيخنا.

قوله: (أنخذلنا) أي أترك نصرتنا في هذه الحال، فعلى بمعنى في اهـ شيخنا.

وفي المختار: خذله يخذله بالضم خذلاناً بالكسر ترك عونه ونصرته اهـ.

قوله: (من جواركم) أي حفظكم ونصركم، والذب عنكم، وقوله: ﴿إِنِّي أَرَى﴾ أي لأنني أرى الخ. قوله: (أن يهلكني) أي بتسليط الملائكة عليَّ اهـ خازن.

وأشار الشارح بذلك إلى جواب كيف، قال الشيطان ذلك مع أنه لا يخافه، وإلا لما خالفه وأضل عبيده. وإيضاحه أنه لما رأى نزول الملائكة على صور لم يرها قط خاف من قيام الساعة، فيحل به العذاب الموعود به، وقال قتادة: صدق عدو الله في قوله: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾، وكذب في قوله:

يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضَعَفَ اعْتِقَادُ ﴿عَرَهَؤُلَاءِ﴾ أَيِ الْمُسْلِمِينَ ﴿وَيَهُتُمُ﴾ إِذْ خَرَجُوا مَعَ قُلْتِهِمْ يِقَاتِلُونَ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ تَوْهَمًا أَنَّهُمْ يَنْصُرُونَ بِسَبِيهِ قَالَ تَعَالَى فِي جَوَابِهِمْ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يَتَّقْ بِهِ يَغْلِبْ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ يَتَوَكَّلُ﴾ بِالْإِياءِ وَالتَّاءِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَتَنَزَّلُونَ﴾ حَالُ ﴿وَجُوهَهُمْ

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ وَهُوَ وَاضِحٌ، وَلَا يَنْكُرُ كَذِبَهُ بَلْ يَنْكُرُ صِدْقَهُ أَهْ كَرَّخِي.

قوله: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ معطوف على معمول القول قاله الشيطان بسطاً لَعَدْرَهُ أَوْ مُسْتَأْنَفٍ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى تَهْدِيداً لِإِبْلِيسَ أَهْ كَرَّخِي.

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ أَيِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ هُمْ ضَعْفَاءُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَقُوا إِسْلَامَهُمْ، الْكَائِنُونَ بِمَكَّةَ خَرَجُوا مَعَ قَرِيشَ، فَلَمَّا رَأَوْا الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةَ الْكَفَّارِ ارْتَدَوْا وَرَجَعُوا لِلْكَفْرِ وَمَاتُوا عَلَيْهِ، لَكِنِ الْمُنَافِقُونَ لَمْ يَخْرُجُوا مَعَ النَّبِيِّ إِلَى بَدْرٍ إِذْ لَمْ يَحْضُرْ وَقَعَتْهَا مُنَافِقٌ إِلَّا وَاحِدٌ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَهْ شَيْخِنَا.

وَالْعَامِلُ فِي إِذَا إِمَّا نَكْصٍ وَإِمَّا أَذْكَرَ مُقَدَّرًا وَإِمَّا شَدِيدَ الْعِقَابِ أَهْ سَمِينُ.

قوله: ﴿دِينَهُمْ﴾ فَاعِلُ غَرَّ. قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ: وَإِنَّمَا لَمْ تَدْخُلِ الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ وَدَخَلَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمْ﴾، لِأَنَّ قَوْلَهُ: وَإِذْ زَيْنَ عَطَفَ لِلتَّزْنِينِ عَلَى حَالِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ فَلَيْسَ فِيهِ عَطْفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ بَلْ هُوَ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مُنْقَطِعٍ عَمَّا قَبْلَهُ أَهْ كَرَّخِي.

قوله: (تَوْهَمًا) معمول لخروجوا وقوله: بِسَبِيهِ أَيِ دِينِهِمْ. قَوْلُهُ: (يَتَّقْ بِهِ) تَفْسِيرٌ لِيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَقَوْلُهُ يَغْلِبُ تَقْدِيرٌ لَجَوَابِ الشَّرْطِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ الْخُ تَعْلِيلُ هَذَا الْمَحْذُوفِ. وَعِبَارَةُ الْكَرَّخِي قَوْلُهُ: يَغْلِبُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ جَوَابَ مَنْ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ وَهَذَا جَوَابُ لَهُمْ مِنْ جِهَتِهِ تَعَالَى وَرَدَ لِمَقَالَتِهِمْ أَهْ.

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ بَصْرِيَّةٌ وَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ أَيِ الْكُفْرَةِ أَوْ حَالِهِمْ أَهْ بِيضَاوِي.

وَإِذَا ظَرَفَ لَتَرَى أَيِ وَلَوْ تَرَى الْكُفْرَةَ أَوْ حَالِ الْكُفْرَةِ حِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَنْدَرُ، وَتَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ لِلْإِهْتِمَامِ بِهِ أَيِ وَلَوْ رَأَيْتَ فَإِنَّ لَوْ الْإِهْتِمَاعِيَّةَ تَرَدُّ الْمَضَارِعِ مَاضِيًا، كَمَا أَنَّ تَرَدُّ الْمَاضِيِ مُضَارِعًا أَهْ أَبُو السَّعُودِ.

قوله: (بِالْإِياءِ وَالتَّاءِ) يُشِيرُ بِهِ إِلَى قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ بِتَاءٍ تَأْنِيثٍ مُسْنَدًا إِلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَفْظُهَا مُؤَنَّثٌ أَوْ بِتَأْوِيلِ الْجَمَاعَةِ وَبَاقٍ بِالتَّذْكِيرِ عَلَى مَعْنَى الْجَمْعِ أَيِ جَمْعِ مَلِكٍ، وَلِأَنَّ التَّأْنِيثَ غَيْرَ حَقِيقِي أَهْ كَرَّخِي.

قوله: ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ أَيِ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ وَتَقُولُ لَهُمْ فِي حَالَةِ قَبْضِ الْأَرْوَاحِ ذُوقُوا النَّخَّ، وَتَقُولُ أَيْضًا ذَلِكَ بِمَا قَدَمْتَ النَّخَّ، وَتُضْرَبُ وَجُوهَهُمْ أَيِ جِهَةَ الْأَمَامِ وَأَدْبَارِهِمْ أَيِ جِهَةَ الْخَلْفِ مِنَ الظَّهْرِ وَالْإِسْتَاءِ، فَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ مَلَائِكَةَ الْمَوْتِ عِنْدَ قَبْضِهَا لِرُوحِ الْكَافِرِ تُضْرَبُ بِمَا ذَكَرَ، وَتَقُولُ لَهُ مَا ذَكَرَ، وَإِنْ كُنَّا مُحْجُوبِينَ عَنِ رُؤْيَا ذَلِكَ وَسَمَاعِهِ أَهْ شَيْخِنَا.



﴿ كَذَابٍ ﴾ كعادة ﴿ مَا لَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ﴾ بالعقاب ﴿ يَذُوقُونَهُمْ ﴾ جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ ﴾ على ما يريده ﴿ شَرِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿ بَأْتٍ ﴾ أي بسبب أن ﴿ اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعْتَرِضًا بَيْنَهُمْ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ ﴾ مبتدأ لها بالنقصة ﴿ وَحَقٌّ يُغْنُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث

بل بمعنى ذي ظلم، بل لا يريده أصلاً، كما في آية ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ [غافر: ٣١] وقال بعضهم: التعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً، والجملة اعتراض تذييلي مقرر مضمون ما قبلها اهـ.

قوله: (دأب هؤلاء) أي دأب كفار قريش فيما فعلوه من الكفر، وما فعل بهم من العذاب كدأب الأمم الماضية المكذبة فيما فعلوا وفعل بهم كما فسر ذلك بقوله: ﴿ كفروا بآيات الله ﴾ هذا بيان لفعلهم، وقوله: ﴿ فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ هذا بيان لما فعل بهم. وفي الكرخي قوله: دأب هؤلاء الخ أشار به إلى أن الكاف في كدأب متعلقة بما قبلها، وأن محلها الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، والجملة استئناف مسوق لبيان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم اهـ.

وفي الخازن: وأصل الدأب في اللغة إدامة العمل يقال فلان يدأب في كذا إذا دام عليه وأتعب نفسه فيه، ثم سميت العادة دأباً، لأن الإنسان يداوم على عادته ويواظب عليها. قال ابن عباس: معناه أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه الصلاة والسلام نبي الله تعالى فكذبوه، فكذلك حال هؤلاء لما جاءهم محمد ﷺ بالصدق كذبوه، فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزلها بآل فرعون اهـ.

قوله: ﴿ بذنوبهم ﴾ أي بسببها. قوله: (وما بعدها) وهو قوله ﴿ فأخذهم الله بذنوبهم ﴾، وقوله: لما قبلها وهو الدأب والعادة أي عادة الأمم الماضية المكذبة أن يكفروا فيأخذهم الله بذنوبهم اهـ شيخنا.

قوله: (أي تعذيب الكفرة) أي تعذيبهم بما قدمت أيديهم بأن الله الخ، فهذا تغليل لمجموع المعلول وعلته السابقين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ ذلك بأن الله ﴾ مبتدأ وخبر أي ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله الخ، وقوله: ﴿ لم يك ﴾ بحذف نون يكن تخفيفاً على حد قوله:

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم فهو مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفاً، وقوله: ﴿ وأن الله سميع عليم ﴾. الجمهور على فتح أن نسقاً على أن قبلها أي: وبسبب أن الله، ويقرأ بكسرها على الاستئناف اهـ من السمين مع زيادة.

قوله: (يبدلوا نعمتهم) أي يبدلوا حقها وما يجب لها وهو شكرها بالانقياد للحق كفراً. أي: بكفرها وعدم شكرها وعدم القيام بحقها. وفي الخازن: يعني أن الله تعالى أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف، وبعث إليهم محمداً ﷺ فقابلوا هذه النعم بأن تركوا شكرها، وكذبوا رسوله محمداً ﷺ، وغيروا ما بأنفسهم، فسلبهم الله تعالى النعمة، وأخذهم بالعقاب. قال



النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٣﴾  
 ﴿كَذَّابٌ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه  
 معه ﴿وَكُلٌّ مِنَ الْأُمَمِ الْمَكْذُوبَةِ﴾ ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ ونزل في قريظة ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ

السدي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله إلى الأنصار اهـ.

قوله أيضاً: (يبدلوا نعمتهم كفرا الخ) أي يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ منه، فلا يرد أن قريشاً لم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة اهـ يضاوي.

وقوله: إلى حال أسوأ منه إشارة إلى دفع ما يقال من أن آل فرعون ومشركي مكة لم يكن لهم حال مرضية حتى يقال أنهم غيروها إلى حال مسخوطة، فغير الله نعمته عنهم إلى النقمة وتقرير الدفع أن قوله: ﴿ما بأنفسهم﴾ يعم الحال المرضية والقيحة، فكما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة كذلك تغير الحال المسخوطة إلى ما هو أسوأ منها. وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول كفرة عبدة أصنام، فلما بعث النبي بالآيات البينات كذبوه وعادوه وتحزبوا على إراقة دمه، فغير الله نعمة إمهالهم بمعاجلتهم بالعذاب. هذا حاصل ما في الكشف اهـ زاده.

قوله: (كتبديل كفار مكة إطعامهم الخ) أي كتبديل واجب هذه النعم وهو شكرها، والقيام بحققها بالانقياد لأوامر الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿كَذَّابٌ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ الخ كرره لأن الأول إخبار عن عذاب لم يمكن الله أحداً من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزاع أرواحهم. والثاني إخبار عن عذاب مكن الله الناس من فعل مثله، وهو الإهلاك والإغراق، وقيل غير ذلك اهـ كرخي.

وفي الخازن: فإن قلت: ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية؟ قلت: فيها فوائد. منها: أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول، لأن الآية الأولى فيها ذكر أخذهم، والثانية فيها ذكر إغراقهم، فذلك تفسير للأول.

ومنها: أنه ذكر في الآية الأولى ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، وفي الآية الثانية ﴿أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، ففي الآية الأولى إشارة إلى أنهم كفروا بآيات الله وجحدوها، وفي الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها.

ومنها: أن تكرير هذه القصة للتأكيد. وفي قوله: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق، وفي ذكر الإغراق بيان الأخذ بالذنوب اهـ.

قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ يعني أهلكنا بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالحجارة، وبعضهم بالريح، وبعضهم بالمسخ، كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف اهـ خازن.

قوله: ﴿وَكُلٌّ كَانَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ﴾ أي لأنفسهم بالكفر ولأنبيائهم بالتكذيب اهـ شيخنا.

وجمع الضمير في كانوا وفي ظالمين مراعاة لمعنى كل، لأن كلاً متى قطعت عن الإضافة جاز مراعاة لفظها تارة ومعناها أخرى، وإنما اختير هنا مراعاة المعنى لأجل الفواصل، ولو روعي اللفظ

كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٥﴾ ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أَنْ لَا يَعِينُوا الْمُشْرِكِينَ ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عَاهَدُوا فِيهَا ﴿وَقَدْ لَا يَنْقُوتُ﴾ ﴿اللَّهُ فِي غَدْرِهِمْ﴾ ﴿فَإِنَّمَا﴾ فِيهِ ادْغَامُ نَوْنٍ إِنْ الشَّرْطِيَّةُ فِي مَا الْمَزِيدَةُ ﴿تَثَقُّفُهُمْ﴾ تَجِدْنَهُمْ ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ﴾ فَرَّقَ ﴿يَهْدِمَنَّ خَلْفَهُمْ﴾ مِنَ الْمُحَارِبِينَ بِالتَّكْيِيلِ بِهِمْ

فقط . فقيل : وكل كان ظالمًا لم تتفق الفواصل اه سمين .

قوله : (ونزل في قريظة) ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ الخ قال المفسرون إن رسول الله ﷺ كان عاهد يهود بني قريظة أَنْ لَا يَحَارِبُوهُ وَلَا يَعَاوِنُوا عَلَيْهِ ، فَنَقَضُوا الْعَهْدَ وَأَعَانُوا مُشْرِكِي مَكَّةَ بِالسَّلَاحِ عَلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالُوا نَسِينَا وَأَخْطَأْنَا فَعَاهَدَهُمُ الثَّانِيَةَ فَنَقَضُوا الْعَهْدَ أَيْضًا ، وَمَالَوْا الْكَفَّارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وَرَكِبَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ إِلَى مَكَّةَ فَحَالَفَهُمْ عَلَى مُحَارَبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَازَنَ .

قوله : ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ بعدما شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان أحوال الباقين منهم وتفصيل أحكامهم ، وقوله : ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي في حكمه وقضائه ، وقوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَلَجُوا فِيهِ جَعَلُوا شَرَّ الدَّوَابِّ لَا شَرَّ النَّاسِ إِيْمَاءً إِلَى أَنَّهُمْ يَمْعَزُونَ مِنْ مَجَاسْتِهِمْ ، وَإِنَّمَا هُمْ مِنْ جِنْسِ الدَّوَابِّ وَمَعَ ذَلِكَ هُمْ شَرٌّ مِنْ جَمِيعِ أَفْرَادِهَا حَسْبَمَا نَطَقَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ . بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان : ٤٤] وقوله : ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢ و ٢٠] هذا حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من أهل المطيع لا يلويهم صراف ولا يشينهم عاطف أصلاً جيء به على وجه الاعتراض ، لا أنه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل اه أبو السعود .

قوله : ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ يجوز فيه أوجه : أحدها الرفع على أنه بدل بَعْضُ مِنَ الْمَوْصُولِ قَبْلَهُ أَوْ عَلَى النَّعْتِ لَهُ أَوْ عَظْفُ الْبَيَانِ وَالنَّصْبُ عَلَى الذَّمِّ وَالرَّفْعُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَالْخَيْرُ قَوْلُهُ : ﴿فَإِنَّمَا تَثَقُّفُهُمْ﴾ بمعنى من تعاهد منهم أي الكفار ثم ينقضون عهدهم ، فإن ظفرت بهم فاصنع كيت وكيت ، فدخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط اه سمين .

وضمن عاهدت معنى أخذت فعدي بمن أن الذين أخذت منهم العهد : وقيل : تبعضية ، وقيل : زائدة اه شهاب .

قوله : (أَنْ لَا يَعِينُوا الْمُشْرِكِينَ) أي كفار مكة فنقضوا وأعانواهم بالسلاح ، وقالوا نسينا العهد ثم عاهداهم فنكثوا ومالواؤهم عليه يوم الخندق إلى آخر ما تقدم اه بياضوي .

قوله : (في غدرهم) أي نقض العهد اه .

قوله : ﴿فَإِنَّمَا تَثَقُّفُهُمْ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي : فإذا كان حالهم كما ذكر ، فإنما تصادفهم وتظفرون بهم الخ اه أبو السعود .

وفي المصباح : ثقفت الشيء ثقفاً من باب تعب أخذته ، وثقفت الرجل في الحرب أدركته ، وثقفته ظفرت به ، وثقفت الحديث فهمته بسرعة ، والفاعل ثقيف ، وبه سمي حي من اليمن اه .

قوله : ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ﴾ الباء سببية ، وفي الكلام وتقدير أشار له الشارح أي بسببهم أي بسبب

والعقوبة ﴿لَمَّا هُمْ﴾ أي الذين خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون بهم ﴿وَلَمَّا تَخَافَتْ مِنْ قُوَّةِ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمانة تلوح لك ﴿فَأَنْبِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال أي

تنكيلك بهم وعقوبتك لهم. وقوله: ﴿من خلفهم﴾ مفعول شرد، والمراد بمن خلفهم كفار مكة أي إذا فعلت بقرينة التنكيل والعقوبة شردت وفرقت شمل قريش إذ يهابونك ويخافون أن تفعل بهم مثل ما فعلت بحلفائهم وهم قريظة أهد شيخنا. والتشريد تفريق مع ازعاج واضطراب أهد بيضاوي.

ومعنى الآية إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلاً من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد، حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن أهد.

قوله: (بالتنكيل بهم) في المصباح: نكل به ينكل من باب قتل نكلة قبيحة أصابه بنزلة ونكل به بالتشديد مبالغة والاسم النكال أهد.

قوله: ﴿من خلفهم﴾ مفعول شرد، وقرأ الأعمش بخلاف عنه، وأبو حيوة من خلفهم جاراً ومجروراً والمفعول على هذه القراءة محذوف أي فشرّد أمثالهم من الأعداء أو ناساً يعملون بعملهم، والضميران في لعلمهم يذكرون الظاهر عودهما على من خلفهم أي إذا رأوا ما حل بالناقضين تذكروا أهد سمين.

قوله: (يتعظون بهم) أي بما يقع لهم.

قوله: ﴿وَلَمَّا تَخَافْنَ﴾ فيه ما تقدم من الإدغام، وقوله: ﴿من قوم﴾ عاهدوك وهم قريظة. قوله: (بأمانة تلوح لك) أي كما ظهرت من بني قريظة والنضير أهد خازن.

قوله: ﴿فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ النبذ الطرح، وهو مجاز عن إعلامهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم، فشبه العهد بالشيء الذي يرمى لعدم الرغبة فيه، وأثبت النبذ له تخيلاً ومفعوله محذوف وهو عهدهم أهد شهاب.

قوله: (حال) أي من الفاعل والمفعول معاً أي فاعل الفعل وهو ضمير النبي ومفعوله وهو المجرور بإلى أي حال كونكم مستوين في العلم بنقض العهد، فعلمك أنت به لأنه فعل نفسك وعلمهم به بإعلامك إياهم، فكانه قيل في الآية: ﴿فَأَنْبِذْ﴾ عهدهم وأعلمهم بنبذه، ولا تقاتلوهم بغتة لئلا يتهموك بالعدو، وليس من شأنك ولا من صفاتك أهد شيخنا.

وفي الخازن: على سواء يعني على طريق ظاهر مستو، يعني أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يتوهم أنك نقضت العهد أولاً بنصب الحرب معهم. وحكم الآية كما قال أهل العلم أنه إذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الإمام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض استغنى الإمام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب، وإن ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتضح له من غير أمر مستفيض، فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم بالحرب، وأما إذا ظهر نقض العهد ظهوراً مقطوعاً به فلا حاجة للإمام إلى نبذ العهد، بل يفعل كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله ﷺ، فلم يرعهم إلا وجيش رسول الله ﷺ بمر الظهران، وذلك على أربع فراسخ من مكة أهد.

مستوى أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ ونزل فيمن أفلت يوم بدر ﴿وَلَا يَحْشَايَنَّ﴾ يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ الله أي فاتوه  
﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ لا يفوتونه وفي قراءة بالتحثانية فالمفعول الأول محذوف أي أنفسهم وفي  
أخرى بفتح أن على تقدير اللام ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقتالهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ «هي الرمي»

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ تعليل للأمر بالنبد والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه  
بالحال على طريقة الاستئناف اهـ بياضوي.

قوله: (ونزل فيمن) أي في الكفار الذين خلصوا وهربوا وفروا يوم بدر، وهم من عدا من أسر  
وقتل من كفار قريش، وقوله: أفلت يقال أفلت بفتح الهمزة وانفلت بمعنى واحد أي هرب وفر،  
والمراد أنهم فروا ولم يتمكن منهم المسلمون بأسر ولا قتل اهـ شيخنا.

وفي المصباح: أفلت الطائر وغيره إفلتاً تخلص وأفلته إذا أطلقته وأخلصته يستعمل لازماً  
ومتعدياً. وفلت فلتماً من باب ضرب لغة وفلته أنا يستعمل أيضاً لازماً ومتعدياً وانفلت خرج بسرعة اهـ.

قوله: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ﴾ (يا محمد الخ) على هذه القراءة يكون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعولاً أول وجملة  
سبقوا مفعولاً ثانياً، وأما على قراءة الياء فالذين كفروا فاعل والمفعول الأول محذوف كما قال  
الشارح، والثاني جملة سبقوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي من قريش. قوله: (أي فاتوه) أي فاتوا عذابه وخلصوا ونجوا منه.  
قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ يعني أنهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم، إما في الدنيا بالقتل،  
وإما في الآخرة بعذاب النار، وفيه تسلية للنبي ﷺ فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم، فأعلمه الله  
أنهم لا يعجزونه اهـ خازن.

قوله: (لا يفوتونه) أي الله يقال أعجزه الشيء فاته اهـ شهاب.

قوله: (فالمفعول الأول محذوف) أي والذين كفروا فاعل، وهذا الاعراب لا فرق فيه بين كسر إن  
وفتحها. وقوله: وفي أخرى الخ أي مع الياء التحثانية لا غير، فالقراءات ثلاثة لا أربعة، كما يوهمه  
كلام الشارح، فمع كسر إن يجوز في تحسين الياء والتاء، وعلى فتحها لا يجوز إلا الياء اهـ شيخنا.

قوله: (أي أنفسهم) والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ أي لناقضي العهد كما يقتضيه السياق، أو للكفار مطلقاً كما يقتضيه ما بعده  
اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ في محل نصب على الحال، وفي صاحبها وجهان، أحدهما: أنه الموصول.  
والثاني: أنه العائد عليه. إذ التقدير ما استطعتموه حال كونه بعض القوة، ويجوز أن تكون من لبيان  
الجنس اهـ سمين.

وفي الخازن: وفي المراد بالقوة أقوال، أحدها: أنها الحصون. والثاني: الرمي، وقد جاءت  
مفسرة به عن النبي ﷺ فيما رواه عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:  
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي ثلاثاً أخرجه مسلم. الثالث: أن المراد بالقوة

رواه مسلم ﴿وَمَنْ رَبَّاطُ الْخَيْلِ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تَرْهَبُونَ﴾ تخوفون ﴿يَهُ﴾ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَلْمِزُوهُمْ اللَّهُ يَلْعَنُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان به في الجهاد، فهو من جملة القوة المأمور بإعدادها، وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ﴾ لا ينفي كون غير الرمي ليس من القوة، فهو كقوله ﴿الحج عرفة﴾ وقوله: ﴿النَّدَمُ تَوْبَةٌ﴾ فهذا لا ينفي اعتبار غيره، بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود، وأجله فكذا هنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال في الحرب، وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية. كل ذلك مأمور به لأنه من فروض الكفايات اهـ.

قوله: (مصدر) أي سماعي لأن فعلاً لا يكون مصدراً قياسياً إلا إذا كان الفعل يقتضي الاشتراك كقاتل وخاصم، وهنا ليس كذلك كما قال الشارح بمعنى حبسها اهـ شيخنا.

وفي السمين: وقال الزمخشري: والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المراقبة، ويجوز أن يكون جمع ربيط بمعنى مربوط، كفصيل وفصال، والمصدر هنا مضاف لمفعوله اهـ.

وفي المصباح: ربطته ربطاً من باب ضرب ومن باب قتل لغة شددته، والرباط ما تربط به القرية وغيرها، والجمع ربط مثل كتاب وكتب، ويقال للمصباح ربط الله على قلبه بالصبر، كما يقال أفرغ الله عليه الصبر أي ألهمه، والرباط اسم من رباط مرابطة من باب قاتل إذا لازم ثغر العدو، والرباط الذي يبني للفقراء مولد، ويجمع في القياس على ربط بضميتين ورباطات اهـ.

قوله: ﴿تَرْهَبُونَ﴾ يجوز أن يكون حالاً من فاعل أعدوا أي حصلوا لهم هذا حال كونكم مرهبين، وأن يكون حالاً من مفعوله وهو الموصول أي أعدوه مرهباً به، وجاز نسبته لكل منهما، لأن في الجملة ضميريهما اهـ سمين.

قوله: (أي كفار مكة) خصوا باسم العدو، وإن كان سائر الكفار أعداء لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة. وقوله: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي من دون العدو وجمع الضمير باعتبار معناه، ودون بمعنى غير اهـ من أبي السعود.

قوله: (وهم المنافقون) أورد على هذا القول أن المنافقين لا يقتلون لإظهار كلمة الإسلام، فكيف يخوفون بإعداد القوة ورباط الخيل؟ وأجيب عن هذا الإيراد بأن المنافقين إذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلانهم وأسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم، فكان ذلك إرهابهم اهـ خازن.

وقوله: (أو اليهود) أو مانعة خلو. قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ أي لا تعلمون بواطنهم وما انطوا عليه من النفاق وعلم عرفانية فتنبص مفعولاً واحداً اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ في هذه الآية قولان، أحدهما: أن علم هنا متعدية لواحد لأنها بمعنى عرف، ولذلك تعدت لواحد. والثاني: أنها على بابها فتتعدى لاثنتين، الفتوحات الإلهية/ ج ٣/ ١٤م

تتقصون منه شيئاً ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾ بكسر السين وفتحها الصلح ﴿فَاجْتَنَحْ﴾ وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿بِالْعَمَلِ﴾ ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ

والثاني محذوف أي لا تعلمونهم فازعين أو محاربين . ولا بد هنا من التنبيه على شيء . وهو أن هذين القولين لا يجوز أن يجري في قوله : الله يعلمهم ، بل يجب أن يقال إنها المتعدية إلى اثنين وأن ثانيهما محذوف لما تقدم لك من الفرق بين العلم والمعرفة ، منها : أن المعرفة تستدعي سبق جهل ، ومنها : أن متعلقها الذات دون النسب ، وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يطلق ذلك . أعني الوصف بالمعرفة على الله تعالى اهـ .

وهذا لا يرد لأنه ليس في الآية إطلاق اسم العارف عليه تعالى ، وإنما فيها إطلاق اسم العلم ، وإن كان بمعنى العرفان تأمل . قوله : ﴿وما تنفقوا من شيء﴾ الخ هذا عام في الجهاد ، وفي سائر وجوه الخيرات اهـ كرخي .

قوله : ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ (تتقصون منه شيئاً) والتعبير عنه بالظلم مع أن الأعمال غير موجبة للثواب ، حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلماً لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح ، وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه تعالى اهـ كرخي .

قوله : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ من باب دخل وخضع ، فالمصدر الجنوح والضمير عائد على الكفار مطلقاً أو على خصوص قريظة . فعلى الأولى يتمشى القول بالنسخ ، وذلك لأن من جملة الكفار مشركي العرب ، وهم لا كتاب لهم ، فلا يصح الصلح معهم بعقد الجزية . وعلى الثاني لا نسخ لأن قريظة يهود ، وهم أهل كتاب فيصح عقد الجزية لهم ، فقول الشارح : (قال ابن عباس الخ) مبني على تفسير الضمير أي الواو اهـ شيخنا .

وهذا كله مبني على أن المراد بالصلح هو عقد الجزية ، أما لو أريد غيره من العقود التي تفيدهم الأمن وهي الهدنة والأمان فلا نسخ مطلقاً ، إذ يصح عقدهما لكل كافر اهـ .

والجنوح الميل ، وجنحت الإبل أمالت أعناقها ، ويقال : جنح الليل أقبل . قال النضر بن شميل : جنح الرجل إلى فلان ولفلان إذا خضع له ، والجنوح الاتباع أيضاً لتضمنه الميل ، ومنه الجوانح للأضلاع لميلها على حشوة الشخص والجناح من ذلك لميلانه على الطائر اهـ سمين .

قوله : (بكسر السين وفتحها) قراءتان سبعيتان . قوله : ﴿فاجنح لها﴾ الضمير يعود على السلم لأنها تذكر وتوث اهـ سمين .

وفي المصباح : والسلم بكسر السين وفتحها ويذكر ويؤنث الصلح اهـ .

قوله : (مخصوص بأهل الكتاب) أي مقصور على أهل الكتاب اهـ .

قوله : ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ جواب الشرط محذوف أي فصالحهم ولا تخش منهم ، لأن حسبك الله الخ . وفي الخازن : ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ يعني يغدروا بك ، قال مجاهد : يعني بني

يَخَذُوكَ ﴿٦٢﴾ بِالصَّلَاحِ لِيَسْتَعْدُوا لَكَ ﴿٦٣﴾ فَإِنَّ حَسْبَكَ ﴿٦٤﴾ كَافٍ ﴿٦٥﴾ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾  
 ﴿وَأَلْفٌ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوَأْنَقَّتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُمْ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته  
 ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ ﴿وَحَسْبُكَ﴾ ﴿مَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ﴾ حث

قريظة . والمعنى إن أرادوا بإظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم ، ﴿فإن حسبك الله﴾ يعني فإن الله كافيك بنصره ومعونته اهـ .

قوله : ﴿فإن حسبك الله﴾ أي في كفاية ودفع خديعتهم ، وقوله فيما يأتي : ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ أي كل شيء وكل مهم فلا تكرر اهـ شيخنا .

قوله : ﴿وبالمؤمنين﴾ هم الأنصار أي الأوس والخزرج ، وكانت بينهما إحن أي فتن وحروب منذ مائة وعشرين سنة اهـ شيخنا .

فإن قلت : إذا كان الله قد أيد بنصره ، فأى حاجة إلى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين ؟ قلت : التأييد والنصر من الله عز وجل وحده ، لكنه يكون بأسباب باطنة غير معلومة ، وبأسباب ظاهرة معلومة ، فأما الذي يكون لأسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي أيدك بنصره ، لأن أسبابه باطنة بغير وسائل معلومة ، وأما الذي يكون بالأسباب الظاهرة ، فهو المراد بقوله وبالمؤمنين ، لأن أسبابه ظاهرة بوسائل معلومة ، وهم المؤمنون ، والله تعالى هو مسبب الأسباب وهو الذي أقامهم لنصره اهـ خازن .  
 وقوله : ﴿بين قلوبهم﴾ الضمير للمؤمنين .

قوله : ﴿وألف بين قلوبهم﴾ الخ وذلك أن العرب كان فيهم من الحمية الشديدة والأنفة العظيمة والأنفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء ، حتى لو أن رجلاً من قبيلة لطم لطمه واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم ، فلما بعث رسول الله ﷺ فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة ، فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم ، وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله ، واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصاراً لرسول الله ﷺ وأعواناً يقاتلون عنه ويحمونه ، وهم الأوس والخزرج . وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ، ثم زالت تلك الحروب وحصلت الألفة والمحبة ، وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، وصار ذلك معجزة لرسول الله ﷺ ظاهرة باهرة دالة على صدقه ، ومنه قوله : ﷺ : «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟» وفي الآية دليل على أن القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد ، وإنما ذلك لأن تلك الألفة والمحبة إنما حصلت بسبب الإيمان واتباع الرسول ﷺ اهـ خازن .

قوله : (بعد الإحن) بوزن عنب جمع إحنة اهـ شيخنا .

وفي المصباح : أحن الرجل يأحن من باب تعب حقد ، وأضمر العداوة والإحنة اسم منه ، والجمع إحن مثل سدره وسدر اهـ .

قوله : ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الخ نزلت في بدر بالبيداء أي الصحراء قبل نصب القتال ،

﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَلَنْ يَكُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

فالمراد بالمؤمنين هنا المهاجرون والأنصار، إذ المؤمنون الذين حضروها وبعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ الخ روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في إسلام عمر بن الخطاب. قال سعيد بن جبير: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية. فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله ﷺ، وقيل: إنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، فعلى هذا القول يكون أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين أهل غزوة بدر، وقيل: أراد بقوله: ﴿وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنصار، وتكون الآية نزلت بالمدينة، وقيل: أراد جميع المهاجرين والأنصار اهـ.

قوله: ﴿حُرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ التحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة الترغيب وتسهيل الخطب فيه، كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو الهلاك اهـ خازن.

وفي البيضاوي: الحرض أن ينهكه المرض حتى يشرف على الموت اهـ. وفي المصباح: حرض حرصاً من باب تعب أشرف على الهلاك، فهو حرض بفتح الراء تسمية بالمصدر مبالغة وحرصته على الشيء تحريضاً اهـ.

وفي المختار: والتحريض على القتال الحث والاحماء عليه اهـ.

قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ﴾ الخ وقعت مادة الكون هنا خمس مرات آخرها قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ وحاصل ما يتعلق بها من القراءات أن الأول والرابع بالياء التحتية لا غير، وأن الثاني والثالث والخامس بالياء والتاء يفهم هذا كله من صنيع الشارح حيث سكت عن موضعين، وهما الأول والرابع. ونبه في ثلاثة على أنها بالياء والتاء اهـ شيخنا.

ويكن في هذه المواضع يجوز أن تكون التامة، فمنكم إما حال من عشرون لأنها في الأصل صفة لها، وإما متعلق بنفس الفعل لكونه تاماً، وأن تكون الناقصة فيكون منكم الخبر والمرفوع الاسم وهو عشرون ومائة ألف اهـ سمين.

قوله: ﴿صَابِرُونَ﴾ أي فيهم قوة وشجاعة، فالمقاومة مدارها على العدد مع مراعاة المعنى، لا على العدد وحده كما هو مقرر في الفروع. وفي الآية احتباك حيث أثبت في الشرطية الأولى هذا اللقيد وحذفه من الثانية، وأثبت في الثانية قيداً وهو قوله: ﴿مَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وحذفه من الأولى اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وأثبت في الشرط الأول قيداً وهو الصبر، وحذفه من الثاني، وأثبت في الثاني قيداً وهو كونهم من الكفرة وحذفه من الأول. والتقدير مائتين من الذين كفروا ومائة صابرة فحذفه من كل منهما ما أثبت في الآخر وهو غاية الفصاحة اهـ.



وهذا خبر بمعنى الأمر أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة الألف ويثبتوا ثم نسخ لما كثرُوا بقوله ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِنْ يَكُنْ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ﴾ مِنْكُمْ يَأْتِي صَابِرَةً يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ مِنْهُمْ ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه . ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر ﴿مَا كَانَتْ لِئِنْ أَنْ يَكُونَ﴾ بالناء والياء ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِرَ فِي

وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد اهـ  
بيضاوي .

وقوله : وتكرير المعنى الواحد أي وجوب ثبات الواحد للعشرة في الأول، وثبات الواحد للاثنتين في الثاني، فكفاية عشرين لمائتين تغني عن كفاية مائة لألف، وكفاية مائة لمائتين تغني عن كفاية ألف لألفين، ووجهه بأنه للدلالة على عدم تفاوت القلة والكثرة، فإن العشرين قد لا تغلب المائتين اهـ شهاب .

وفي الخطيب : فان قيل : حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد يثبت للعشرة، فما الفائدة في العدول إلى هذه العبارة المطولة؟ أجيب : بأن هذا إيماء ورد على وفق الواقعة، فكان رسول الله ﷺ يبعث السرايا، والغالب أن تلك السرايا ما كان ينقص عددها عن العشرين، وما كانت تزيد على المائة، فلهذا المعنى ذكر الله هذين العديدين اهـ .

قوله : (بالتاء والياء) سبعيتان . قوله : ﴿بأنهم قوم﴾ متعلق بيغلبوا في الموضعين . أي بسبب أنهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتساباً وامتنالاً لأمر الله تعالى، واعلاء لكلمته، وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون، وانما يقاتلون للحمية الجاهلية، واتباع خطوات الشيطان، فلا يستحقون إلا القهر والخذلان . وأما ما قيل : من أن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد، فالسعادة عنده ليست إلا هذه الحياة الدنيوية فيشبع بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل إلى ما فيه السلامة فيفر فيغلب، ومن أن من اعتقد أن لا سعادة في هذه الحياة الفانية، وانما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزناً، فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح، فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام اهـ أبو السعود .

قوله : (ويثبتوا لهم) أي وليثبتوا لهم . قوله : (لما كثرُوا) أي المسلمون .

قوله : ﴿ضعفًا﴾ أي في الأبدان لا في الدين، وقوله : بضم الضاد وفتحها سبعيتان . قوله : (بالياء والناء) سبعيتان . قوله : ﴿مائة صابرة﴾ فيه ما تقدم من مراعاة المعنى ومن الاحتياك . قوله : ﴿وإن يكن منكم ألف﴾ بالياء باتفاق السبعة . قوله : ﴿بإذن الله﴾ متعلق بيغلبوا في الموضعين . قوله : (لما أخذوا الفداء) بكسر الفاء، وحينئذ يجوز مده وقصره وفتحها مع القصر لا غير أي المال، وكان فداء الأسرى يوم بدر أربعين أوقية من الذهب عن كل واحد، والأوقية أربعون درهماً، فيكون مجموع ذلك ألفاً وستمائة درهم عن كل واحد اهـ خطيب .

وسياتي عن القرطبي أن الفداء كان أربعين أوقية من الذهب عن كل واحد من الأسرى، إلا العباس فكان فداؤه مضعفاً أي ثمانين أوقية من الذهب.

روي عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسارى فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم وتأن بهم لعل الله يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار. وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم بضرب أعناقهم، مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكني من فلان نسب لعمر فاضرب عنقه، ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر. وقال ابن رواحة: انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً، فقال له العباس: قطعت رحمك. فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه، ثم دخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقاله ناس: يأخذ بقول ابن رواحة. ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [إبراهيم: ٣٦] ومثل عيسى قال: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨] ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ [نوح: ٢٦] ومثل موسى قال: ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾ [يونس: ٨٨] الآية، ثم قال رسول الله ﷺ: «اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو بضرب عنقه». قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل ابن بيضاء فإنه سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل ابن بيضاء»، قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب: فهو رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد جثت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعداً يكيان. قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك: فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي الذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة منه ﷺ، فأنزل الله عز وجل: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» الآية أخرجه الترمذي مختصراً وقال في الحديث قصة وهي هذه التي ذكرها البغوي اهـ خازن.

قوله: (بالتاء والياء) لكن على قراءة التاء الفوقية تتعين الإمامة في أسرى، وعلى قراءة الياء التحتية تجوز الإمامة وتركها اهـ شيخنا.

قوله: «حتى يثخن في الأرض» من الشخانة وهي الغلظة والصلابة، فاستعمل هنا في لازم المعنى الأصلي وهو القوة اللازمة لما ذكره بقوله: يبالغ الخ، أي حتى تظهر شوكته وقوة المسلمين وذل الكفار، فلا يخشى منهم. وأما قبل هذه الحالة كما كان في وقعة بدر، إذ كانت قبل ظهور الإسلام وقوة شوكته فلا يخشى عدم صولة الكفار خصوصاً إذا أطلقت الأسرى اهـ شيخنا. فكان اللائق قتلهم اهـ وعبرة الخازن: والمعنى ما كان لنبي أن يحبس كافراً قادراً عليه وصار في يده أهيراً للفداء والمن اهـ.

﴿الَّذِينَ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿قُرْيُوتُ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله ﴿فَإِذَا﴾ منا بعد وإما فداء ﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقٌ﴾ باحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾

وفي المصباح: وأتخن في الأرض إثناناً سار إلى العدو وأوسعهم قتلاً وأثختته أوهنته بالجراحة وأضعفته اهـ.

قوله: (يبالغ في قتل الكفار) أي وأنت لم تبالغ إذ ذاك، فقتلهم حينئذ أولى وأليق. قوله: (حطامها) بالضم أي حقيرها، أي ما تكسر من أجل ييسه عبّر عن منافع الدنيا بالحطام لقلة قدرها، وسميت منافع الدنيا عرضاً لأنها لا ثبات لها ولا دوام، فكانها تعرض ثم تزول، ولذا سمي المتكلمون الأعراض أعراضاً، لأنها لا إثبات لها، فإنها تطراً على الأجسام ثم تزول عنها اهـ زاده.

قوله: ﴿والله يريد الآخرة﴾ المراد بالإرادة هنا الرضا وعبّر بها للمشاكلة فلا يرد أن الآية تدل على عدم وقوع مراد الله، وهو خلاف مذهب أهل السنة اهـ شهاب.

قوله: (وهذا) أي ما استفيد مما سبق، وهو تحريم فداء الأسرى وتعين قتلهم منسوخ بقوله الخ انظر لم لم يجعل النسخ بقوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقُ﴾ الخ خصوصاً قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ الخ، إذ قرر أنه شامل للفداء. على أن بعضهم قال: لا تظهر دعوى النسخ من أصلها، إذ النهي الضمني كما هنا مقيد ومغلب بالاثخان أي كثرة القتال اللازمة لها قوة الإسلام وعزته، وما في سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الإسلام بكثرة القتال فلا تعارض بين الآيتين. إذ ما هناك بيان للغاية التي هنا اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال ابن عباس: كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليلون، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الآسارى: ﴿فَإِذَا مَنَّا بَعْدَ وَإِذَا فَدَاءُ﴾ [محمد: ٤] فجعل الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالخيار إن شأؤوا قتلهم، وإن شأؤوا استعبدهم، وإن شأؤوا قادوهم، وإن شأؤوا أعتقوهم. قال الإمام فخر الدين: إن هذا الكلام يومهم أن قوله: ﴿فَإِذَا مَنَّا بَعْدَ وَإِذَا فَدَاءُ﴾ يزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها، وليس الأمر كذلك، لأن كلتا الآيتين متوافقتان، وكلاهما يدلان على أنه لا بد من تقديم الاثنان ثم بعده أخذ الفداء اهـ.

قوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ﴾ أي حكم مكتوب ومثبت في اللوح المحفوظ، وقوله: باحلال متعلق بكتاب من حيث أن فيه معنى الحكم كما علمت وهو مبتدأ، وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ صفة وكذا قوله: ﴿سَبَقُ﴾ والخبر محذوف وجوباً أي موجود على حد قوله:

وبعد لولا غالباً حذف الخبر محتم

اهـ شيخنا

وهذا عتاب له ﷺ على ترك الأولى. إذ كان الأولى له تدارك كثرة القتل فيهم لا الفداء وليس عتاباً على ترك محرم تنزيهاً لمنصب النبوة عن ذلك اهـ كرخي.

قوله: (باحلال الغنائم) أي من جعلتها الفداء المأخوذ من الأسرى. وفي الخطيب: روي أنه لما نزل قوله تعالى ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقُ﴾ الآية كفّ رسول الله ﷺ والمؤمنون أيديهم أن يأخذوا من

من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ﴾ وفي قراءة الأسرى ﴿إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً

الفداء، فنزل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ أي من الفداء، فإنه من جملة الغنائم حلالاً طيباً، فأحل الغنائم بهذه الآية لهذه الأمة اهـ.

وفي أبي السعود: روي أنهم أمسكوا عن الغنائم، فنزل ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ فالفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف أي: قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم، وقيل: ما هيأه عن الفداء، فإنه من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسبقه اهـ.

قوله: ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ أي بسبب ما أخذتم. قوله: ﴿حَلَالًا﴾ نصب على الحال إما من ما الموصولة أو من عاقبتها إذا جعلناها اسمية، وقيل: هو نعت مصدر محذوف أي: أكلًا حلالاً اهـ سمين. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تعليل لقوله: ﴿فَكُلُوا﴾ وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اعتراض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ﴾ الخ نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة إلى يثرب، وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها إذا جاءت نوبته، فكانت نوبته يوم الواقعة ببدر، فأزاد أن يطعم ذلك اليوم فاقترضوا فلم يطعم شيئاً وبقيت العشرون أوقية من ذهب معه، فلما أسر أخذت منه، فكلم رسول الله ﷺ أن يحسب العشرون أوقية من لدائه، فأبى رسول الله ﷺ وقال له: «أما شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا تتركه لك؟» وكان العباس قد فدى ابني أخيه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحرث، فقال العباس: يا محمد تتركني أتكفف قريشاً ما بقيت، فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته لأم الفضل وقت خروجك من مكة، وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث، فهذا المال لك ولعبد الله، ولعبيد الله، وللفضل، وقثم». يعني بين بنيه فقال العباس: وما يدريك يا ابن أخي؟ قال: «أخبرتني به زبي». فقال العباس: «أنا أشهد أنك صادق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنت عبده ورسوله، فإني أعطيتها إياه في سواد الليل، ولم يطلع عليه أحد إلا الله، وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فأسلما، فذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ﴾ يعني الذين أسرتهم وأخذتم منهم الفداء ﴿إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ يعني إيماناً وتصديقاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾. يعني من الفداء، ﴿وَيُغْفِرْ لَكُمْ﴾ يعني ما سلف منكم قبل الإيمان ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾، يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه ﴿رَحِيمٌ﴾، يعني بأهل طاعته. قال العباس: فأبدلني الله خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بصال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفاً مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا انتظر المغفرة من ربي عز وجل اهـ خازن.

وفي القرطبي: وذكر النقاش وغيره أن فداء كل واحد من الأسارى كان أربعين أوقية إلا العباس، فإن النبي ﷺ قال: «ضعفوا الفداء على العباس»، وكلفه أن يفدي ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث، فأدى عنهما ثمانين أوقية، وعن نفسه ثمانين أوقية، وأخذ منه عشرون أوقية وقت الحرب كما تقدم اهـ.

﴿يُؤَيِّدُكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَلَنْ يُرِيدُوا﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَكَّنْ مِنْهُمْ﴾ بيدر قتلاً وأسراً فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار ﴿أُولَئِكَ بِمَعْصِهِمْ أُولَئِكَ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ الْكُرْهِ وَلَيْتُمُ﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿مِنَ

فجملته ما أخذ منه مائة وثمانون أوقية. قوله: ﴿مِنَ الْأَسَارَى﴾ بالإمالة لا غير، وقوله: وفي قراءة الخ، وعليها تجوز الإمالة وتركها، وأسارى جمع أسرى فهو جمع الجمع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَإِخْلَاصاً﴾ أي مع إخلاص. قوله: ﴿مِنَ الْفِدَاءِ﴾ بيان لما. قوله: ﴿خِيَانَتَكَ﴾ أي بنقض العهد الذي عاهدوك عليه، وهو أن لا يحاربوك ولا يعاونوا عليك المشركين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بِمَا أَظْهَرُوا مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي قولهم نرضى بالإسلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَأَمَكَّنْ مِنْهُمْ﴾ أي أمكنك. قوله: ﴿فَلْيَتَوَقَّعُوا﴾ هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله: ﴿وَلَنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ اهـ.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ أي سبقوا للهجرة بأن هاجروا قبل العام السادس عام الحديبية بدليل قوله فيما يأتي: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ الخ بأن هاجروا بعد عام الحديبية وقبل الفتح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا النَّبِيَّ﴾ أي والمهاجرين أي أسكنوهم منازلهم وبذلوا لهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة اهـ كرخي.

قوله: ﴿أُولَئِكَ بِمَعْصِهِمْ﴾ خبر إن. قوله: ﴿فِي النَّصْرَةِ وَالْإِرْثِ﴾ أي فالمهاجري ينصر الأنصاري وبالعكس، وإن كانا أجنبيين. وقوله: ﴿وَالْإِرْثُ فَكَانَ أَوَّلًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِسَبَبِ الْهَجْرَةِ وَالْمُؤَاخَاةِ الَّتِي عَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا﴾ فكان المهاجري يرث الأنصاري الذي آخاه وبالعكس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلَمْ يَهِاجِرُوا﴾ بأن أقاموا بمكة. قوله: ﴿مِنَ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من شيء مبتدأ مؤخر على زيادة من، ومن ولايتهم حال منه مقدمة عليه، ولكم خبر المبتدأ مقدم، والتقدير ما شيء كائن لكم حال كونه كائناً من ولايتهم اهـ.

وقوله: بكسر الواو وفتحها قيل: هما لغتان، وقيل المكسور مصدر تشبيهاً بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة اهـ بياضوي.

يعني أن فعالة بالكسر في المصادر إنما يكون في الصناعات، وما يزاو كالكتابة، والإمارة والزراعة والحراثة، والخياطة، والولاية ليست من هذا القبيل إلا على التشبيه اهـ زكريا.

والمفتوح معناه الموالاة في الدين وهي النصرة اهـ من السمين.

﴿ثَوْبٌ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّى يَهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر النسخة ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَمَلِكُكُمْ النَّصْرُ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَئِكَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَئِكَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي تولى المسلمين وقطع الكفار ﴿تَكُنْ فِيْ سُنَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿بِقُوَّةِ الْكُفْرِ وَضَعْفِ الْإِسْلَامِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا فِي جِهَادِنَا فِي﴾

قوله: (فلا إرث بينكم) أي أيها المهاجرون والأنصار وبينهم أي الذين لم يهاجروا بأن كان بينكم وبينهم قرابة وعصوبة وأما النصرة فقد ذكرت بقوله: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الخ فأثبت للمقسمين الأولين النصرة والإرث ونفى عن هذا القسم الإرث وأثبت له النصرة اهـ شيخنا.

قوله: (ولا نصيب لهم في الغنيمة) الأولى إسقاط هذه العبارة لما هو معلوم أن الغنيمة إنما تستحق بقتال الكفار، وهؤلاء لم يقاتلوا اهـ شيخنا.

قوله: (وهذا) أي ما سبق من إثبات الإرث بالإيمان والهجرة بين المهاجرين والأنصار، ومن نفيه بين المهاجرين والأنصار، وبين من لم يهاجر منسوخ الخ، فالإثبات بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، والنفي بقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (بآخر السورة) هو قوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ اهـ.

قوله: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ الوار عائدة على الذين آمنوا ولم يهاجروا. قوله: ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ﴾ الخ أي من الكفار وهم أهل مكة، وقوله: وتنقضوا عهدهم أي صلح الحديبية الذي عقدتموه لهم على ترك القتال عشر سنين اهـ شيخنا.

قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم) هذا مفهوم من قوله: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وكان عليه أن يقول ولا نصرة بينكم وبينهم، فإنه يفهم من الآية نفي الأمرين معاً اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ آخر، ومنهم أي في الميراث وفي المأزرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والمأزرة بينهم وبين المسلمين، وإيجاب المباحة والمصارمة وإن كانوا أقارب اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ إن شرطية أدغمت في لا النافية وتفعلوه فعل الشرط مجزوم بإن، وتكن جواب الشرط مجزوم بها. أي: ان انتفى تولى المسلمين أي موالاتهم وقطع الكفار بأن قاطعتم المسلمين وواليتم الكفار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ هذان القسمان عتق ما ذكر أولاً بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ ولا تكرار لما أن الأولى لإيجاد التفاضل بينهم. وزعم بعضهم أن هذه الجملة تكرار للتي قبلها وليس كذلك، فإن التي قبلها تضمنت ولاية بعضهم لبعض، وتقسيم المؤمنين إلى أقسام ثلاثة، وبيان حكمهم في ولايتهم وتناصرهم، وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص، وما آل إليه حالهم من المغفرة والرزق الكريم اهـ كرخي.

سَبِيلَ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ فِي الْجَنَّةِ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ﴾ أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القربابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٥﴾

قوله: ﴿وجاهدوا في سبيل الله﴾ لم يقل بأموالهم وأنفسهم اكتفاء بما سبق اهـ شيخنا .

قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ يعني لا شك في إيمانهم، ولا ريب لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد، وبذل النفس والمال في نصر الدين اهـ خازن .

وقوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم، وقوله: ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة أي: لا تبعة فيه ولا منة اهـ بياضوي .

قوله: (أي بعد السابقين) بأن هاجروا بعد قضية الحديدية في السنة السادسة، وقبل الفتح، والسابقون من هاجروا قبلها. وفي الخازن: اختلفوا في قوله: ﴿من بعد﴾، فقيل: من بعد صلح الحديدية، وهي الهجرة الثانية، وقيل: من بعد نزول هذه الآية، وقيل: من بعد غزوة بدر، والأصح أن المراد بهم أهل الهجرة الثانية لأنها بعد الهجرة الأولى، لأن الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكة، لأنها صارت دار إسلام بعد الفتح اهـ .

قوله: ﴿فأولئك منكم﴾ يعني أنهم منكم وأنتم منهم، لكن فيه دليل على أن مرتبة المهاجرين الأولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة، لأن الله تعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم معهم، وذلك معرض المدح والشرف، ولولا أن المهاجرين الأولين أفضل وأشرف لما صح هذا الإلحاق اهـ خازن .

وفي القرطبي ﴿والذين آمنوا من بعد﴾ أي: من بعد الحديدية وبيعة الرضوان، وذلك أن الهجرة من بعد ذلك كانت أقل رتبة من الهجرة الأولى والهجرة الثانية هي التي وقع فيها الصلح، ووضعت الحرب أوزارها نحو عامين، ثم كان فتح مكة، ومعنى منكم أي مثلكم في النصر والموالة اهـ .

ولم ينبهوا هنا على حكم التوارث بالهجرة الثانية هل هو ثابت كما في الهجرة الأولى أو غير ثابت لانحطاط رتبة أهل الثانية عن رتبة أهل الأولى إلا ما رأيته في الخطيب، ونصه: فأولئك منكم أي جملتكم أيها المهاجرون والأنصار، فلهم ما لكم وعليكم ما عليهم من الموارث والغنائم وغيرهما اهـ .

قوله: (من التوارث بالإيمان) متعلق بأولى، وقوله: المذكور أي التوارث بالإيمان. قوله: ﴿في كتاب الله﴾ يجوز أن يتعلق بنفس أولى أي: أحق في حكم الله أو في القرآن أو في اللوح المحفوظ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمرة أي أي هذا الحكم المذكور في كتاب الله اهـ سمين .

وفي الخازن: في كتاب الله يعني في حكم الله، وقيل: أراد به اللوح المحفوظ، وقيل: أراد به

ومنه حكمة الميراث.

القرآن وهو أن قسمة الموارث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله، وهو القرآن وتمسك أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية في توريث ذي الأرحام، وأجاب عنه الشافعي بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء من قسمة الموارث، وإعطاء أهل الفروض فروضهم، وما بقي فللمعصبات اهـ.

قوله: (ومنه حكمة الميراث) أي التولوث بمقتضى الإيمان والهجرة، ولو بدون قرابة الذي قد نسخ والتوارث بمقتضى القرابة ولو بدون مشاركة في الهجرة أو النصرة اهـ شيخنا  
والله سبحانه وتعالى أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة التوبة

مدنية أو إلا الآيتين آخرها . وهي مائة وثلاثون أو إلا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سميت بذلك لاشتغالها على ذكر التوبة في قوله: ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ [التوبة: ١١٧] الخ . وعبارة البيضاوي: ولها أسماء: سورة براءة، سورة التوبة، والمقشقة، والبحوث، والمبعثرة، والمنقرة، والمثيرة، والحافرة، والمخزية، والفاضحة، والمنكلة، والمشردة، والمدممة، وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين . والمقشقة من النفاق لأنها تبرئ منه، والبحث عن حال المنافقين وإثارة حالهم، والحفر عنها أي البحث وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم أي يهلكهم، انتهت .

والأسماء كلها بصيغة اسم الفاعل إلا البحوث فبفتح الباء صيغة مبالغة اهـ .

وفي القاموس: قششوا قشوشاً صلحوا بعد الهزال والرجل أكل من ههنا وههنا، ولف ما قدر عليه ونفض الخوان والشيء جمعه ومشى مشى المهزول وأكل ما تلقىه الناس . وفي المختار: والقشي رديء النخل، كالدقل ونحوه، والقشيش كأمير اللقطة كالقشاش بالضم، وأقش من الجدرى برىء منه كتقشش، والمقشقتان قل يا أيها الكافرون، والاخلاص أي المبرئتان من النفاق والشرك اهـ .

قوله: (مدنية) روي عن النبي ﷺ: «ما أنزل عليّ القرآن إلا آية آية وحرفاً حرفاً إلا سورة براءة، وسورة قل هو الله أحد فانهما أنزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة» اهـ من أبي السعود من آخر السورة .

قوله: (أو إلا الآيتين آخرها) هما: لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها أي فهما مكيتان، وقوله: آخرها حال، وقوله: مائة وثلاثون خبر ثان . قوله: (لأنه ﷺ لم يأمر بذلك الخ) أي لأنه لا مدخل لرأي أحد في الإثبات والترك، وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف، فحيث لم يبين النبي ﷺ ذلك تعين ترك التسمية، لأن عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم اهـ كرخي .

وفي الخازن: وقد اختلفت الصحابة في أن سورة الانفال، وسورة براءة هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فقال بعضهم: سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال، ومجموعهما مائتان وخمس آيات، فكان

مجموعهما هو السورة السابعة من السبع الطوال، وقال بعضهم: هما سورتان. فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا فرجة بينهما على قول من يقول انهما سورتان، ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم على قول من يقول هما سورة واحدة اهـ.

وفي القرطبي ما فقه: اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة في أول هذه السورة على خمسة أقوال.

الأول: أنه قيل كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين بعث بها النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأها عليهم في الموسم، ولم يسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك التسمية.

القول الثاني: ما رواه النسائي عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة، وهي من المثين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال، فما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذه السورة التي فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقضى رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فظننت أنها منه، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، وخرجه أبو عيسى الترمذي وقال حديث حسن.

القول الثالث: ما روي عن عثمان أيضاً، وقال مالك: فيما رواه ابن وهب، وابن القاسم، وابن عبد الحكم إنه لما سقط أولها سقطت بسم الله الرحمن الرحيم معه. وروي ذلك عن ابن عجلان أنه بلغه أن سورة براءة كانت تعدل البقرة أو قربها، فذهب منها أولها، فلذلك لم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم. وقال سعيد بن جبير: كانت مثل سورة البقرة.

القول الرابع: قاله خارجه وأبو عصرة وغيرهما قالوا: لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان اختلف أصحاب رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: براءة والأنفال سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان، وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة. فرضي الفريقان معاً وثبتت حجتهم في المصحف.

القول الخامس: قال عبد الله بن عباس: سألت علي بن أبي طالب لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان، وروي معناه عن المبرد قال: ولذلك لم يجمع بينهما، فإن بسم الله الرحمن الرحيم رحمة، وبراءة نزلت بسخطه، ونحوه عن سفيان. قال سفيان بن عيينة: إنما لم يكتب في صدر هذه السورة بسملة، لأنها نزلت في المنافقين، وبالسيف، ولا أمان للمنافقين، والصحيح أن التسمية لم تكتب، لأن جبريل عليه

ولم تكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي أن البسملة أمان وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء أنها آخر سورة نزلت. هذه ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ واصلة ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله ﴿فَسِيحُوا﴾ سيروا آمين أيها المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾

السلام ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري. وفي قول عثمان: قبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبينه، وإن براءة وحدها ضمت إلى الأنفال من غير عهد من النبي ﷺ لما عاجله من الحمام قبيل تبينه ذلك، وكانتا تدعيان القريتين، فوجب أن يجمعا فتضم أحدهما إلى الأخرى للوصف الذي لزمهما من الاقتران، ورسول الله ﷺ حي اهـ.

قوله: (وأخرج) أي الحاكم. أي نقل عن علي، وعن حذيفة في معناه، أي عدم الكتب أي في حكمته. وأخرج فيه معنى القول، أي حكى ونقل، فإن بعده مكسورة اهـ شيخنا.

قوله: (وهي) أي السورة نزلت، وقوله: بالسيف متعلق بنزلت. قوله: (وروى البخاري الخ) مراده بهذا الإعلام بهذه الفائدة فهو مستأنف. قوله: (هذه) أي الآيات الآتية التي أمر علي بالنداء بها في الموسم، وسيأتي أنها أربعون آية تنتهي إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. وقوله: ﴿براءة﴾ أي ذات براءة أي دالة على البراءة، أي التبري والتباعد من الله ورسوله، أي انقطاع الوصلة بينهما وبين المشركين. ومن ابتدائية أي تبرؤ وتباعد مبتدأ من الله ورسوله من المشركين أي من الوفاء بعهودهم إذا نقضوها، فحذف من المبدأ اكتفاء بذكره في المنتهى وفراراً من التكرار في اللفظ اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة، ولم يبق بيننا علاقة، وقيل: معناها هنا التباعد مما تكره مجاورته اهـ.

قوله: ﴿من المشركين﴾ بيان للموصول. قوله: (ونقض العهد) راجع للصور الثلاث قبله، والمعنى إلى المشركين الناقضين للعهد المطلق أو المقيد بدون الأربعة أو فوقها. أي العهد الصادر من المسلمين للمشركين، فهو معطوف على قوله: ﴿عاهدتم﴾، فهو من جملة الصلة، فالمعنى ﴿إلى الذين عاهدتم﴾ وقد نقضوا العهد، والأظهر أنه حال. وعلى كل حال، فهذا القيد مأخوذ من الاستثناء الآتي، فيفهم منه أن الكلام هنا في الناقضين للعهد. قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك، فكان المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمِ خِيَانَةٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] الآية ففعل رسول الله ﷺ ما أمر به ونبذ لهم عهودهم. قال الزجاج: أي قد برىء الله ورسوله من وفاء عهودهم إذا نكثوا اهـ خازن.

قوله: (بما يذكر في قوله) أي بالاباحة التي تذكر في قوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ الخ، فإنه أمر بإباحة، والبراء للملابسة، متعلقة ببراءة. أي: هذه براءة وتباعد من الله ورسوله عن المشركين مصحوبة بإباحة عقد الأمان لهم أربعة أشهر بعد نقضهم له بصوره الثلاث اهـ شيخنا.

وقد عقده علي لهم في الموسم، وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾، فجددوا لهم أماناً واعقدوا لهم عهداً أربعة أشهر، وقد جددته علي في الموسم.

قوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ على تقدير القول أي: فقولوا أيها المسلمون للمشركين سيحوا الخ، وهذا القول كناية عن عقد الأمان لهم أربعة أشهر أي: يباح لكم أن تعقدوا لهم أماناً أربعة أشهر بعد نقضهم العهد المطلق أو المقيد بدونها أو فوقها. أي: فبمجرد نقضهم العهد لا يمتنع تجديد عهد لهم، بل يباح تجديده بصورة الثلاث، وإنما قيد في الآية بالأربعة موافقة لما كان وقع من المسلمين إذ ذاك، فلا مفهوم له اهـ شيخنا.

وإنما اقتصر على الأربعة لقوة المسلمين إذ ذاك بخلاف صلح الحديبية، فإنه كان على عشر سنين لضعف المسلمين إذ ذاك. فالحاصل: أن المقرر في الفروع أنه إذا كان بالمسلمين ضعف جاز عقد الهدنة عشر سنين فأقل، وإذا لم يكن بهم ضعف لم تجز الزيادة على أربعة أشهر. وفي الخازن: واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين برى الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فقال مجاهد: هذا التأجيل من الله للمشركين، فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر فمدته إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدته أكثر حط إلى الأربعة أشهر، ومن كان عهده بغير أجل محدود حذ بأربعة أشهر، ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان. وقيل: إن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو القتل، فيصير هذا داعياً لهم إلى الدخول في الإسلام، ولئلا ينسب المسلمون إلى الغدر ونكث العهد، وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك خمسون يوماً. وقال الزهري: الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، والقول الأول أصوب وعليه الأكثر. قال الكلبي: إنما كانت الأربعة أشهر عهداً لمن كان له عهد دون الأربعة أشهر فتتم له الأربعة أشهر، وأما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله: ﴿فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾. وقيل: كان ابتداءها في العاشر من ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء، ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة، وفيها حج رسول الله ﷺ وقال: «إن الزمان قد استدار» الحديث، وقال محمد بن إسحاق ومجاهد وغيرهما: نزلت في أهل مكة، وذلك أن رسول الله ﷺ عاهد قريشاً يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة فقاتلوا منهم وأعاتتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «لا نصرت إن لم أنصركم» وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة، فلما كان سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج فقبل له: المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة، فقال: «لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك»، فبعث أبا

أولها شوال بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَزَّيْزُ اللَّهِ﴾ أي فإتني عذابه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ ﴿مَذْلُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْآخِرَىٰ بِالنَّارِ﴾ ﴿وَأَذَّنَ﴾ إعلام ﴿يَتَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم

بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقوم للناس الحج، وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقراها على أهل الموسم، ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله ﷺ من كل شرك، ولا يطوف بالبيت عريان. فرجع أبو بكر، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ فقال: «لا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنت معي على الحوض؟» فقال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميراً على الحاج، وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة، فلما كان قبل يوم التروية يوم قام أبو بكر رضي الله تعالى عنه فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على معاهدتهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فأذن في الناس بالذي أمر به، وقرأ عليهم أول سورة براءة. وقال يزيد بن تبيع: سألتنا علياً بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: بعثت بأربع: لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج. ثم حج رسول الله ﷺ سنة عشر حجة الوداع اهـ.

قوله: (أيها المشركون) فيه التفات. قوله: (بدليل ما سيأتي) دليل لقوله أولها شوال، ووجه الدلالة أن آل في قوله: فإذا انسلخ الأشهر الحرم للعهد الذكري أي الأشهر المذكورة في قوله: ﴿فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، ولا يتأتى أن تكون أربعة حرماً متوالية إلا بضم شوال لها، ويكون في الكلام تغليب، لأنه إذا كان أولها شوالاً كان الحرام منها ثلاثة: ذا القعدة وذا الحجة والمحرم، وأيضاً إنما كان أولها شوالاً، لأن هذه البراءة نزلت فيه في السنة التاسعة اهـ شيخنا.

وقيل: هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر، لأن التبليغ كان يوم النحر اهـ يضاوي.

قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَزَّيْزُ اللَّهِ﴾ الخ أي فلا تغتروا بعقد الأمان لكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَذَّنَ﴾ رفع بالابتداء ومن الله إما صفته أو متعلق به وإلى الناس الخبر، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: وهذه أي الآيات الآتي ذكرها إعلام والجاران متعلقان به كما تقدم في براءة. قال الشيخ: ولا وجه لقول من قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في زيد قائم وعمرو قاعد وهو كما قال: وهذه عبارة الزمخشري. ويوم منصوب بما تعلق به الجار في قوله: ﴿إِلَى النَّاسِ﴾، وزعم بعضهم أنه منصوب بأذان وهو فاسد من وجهين، أحدهما: وصف المصدر قبل عمله، والثاني: الفصل بينه وبين معموله بأجنبي وهو الخبر اهـ سمين.

قوله: (يوم النحر) سمي يوم الحج لأن أعمال الحج يتم فيه معظمها، ووصف الحج بالأكبر

﴿رَسُولٌ﴾ بريء أيضاً وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة وهي سنة تسع فأذن يوم النحر بمشي بهذه

اجترأ عن العمرة فهي الحج الأصغر، لأن أعمالها أقل من أعمال الحج، إذ يزيد عليها بأمور كالرمي والمبيت، فكان أكبر بهذا الاعتبار أهد شيخنا.

قوله: ﴿بريء من المشركين﴾ أي الناقضين للعهد، فقوله: وعهودهم عطف تفسير أي بريء من الوفاء بعهودهم. قوله: ﴿من المشركين﴾ متعلق بنفس بريء كما يقال برئت منه، وهذا بخلاف قوله: ﴿براءة من الله﴾، فإنها هناك تحتل هذا، وتحتل أن تكون صفة لبراءة أهد سمين.

قوله: ﴿ورسوله﴾ بالرفع باتفاق السبعة، وقرئ شاذاً بالجر على المجاورة أو على أن الواو للقسم، وقرئ شاذاً أيضاً بالنصب على أنه مفعول معه أهد شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ورسوله﴾ الجمهور على رفعه، وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ والخبر محذوف أي ورسوله بريء منهم، وإنما حذف للدلالة عليه. والثاني: أنه معطوف على الضمير المستتر في الخبر، وجاز ذلك للفصل المسوخ للعطف، فرفعه على هذا بالفاعلية. الثالث: أنه معطوف على محل اسم أن، وهذا عند من يجيز ذلك في المفتوحة قياساً على المكسورة. وقرأ عيسى بن عمر وزيد بن علي وابن أبي إسحاق ورسوله بالنصب وفيه وجهان، أظهرهما: أنه عطف على الجلالة. والثاني: أنه مفعول معه. قال الزمخشري: وقرأ الحسن ورسوله بالجر وفيها وجهان، أحدهما: أنه مقسم به أي ورسوله أن الأمر كذلك وحذف جوابه لفهم المعنى. والثاني: أنه على الجوار كما أنهم نعتوا وأكدوا على الجوار وقد تقدم تحقيقه. وهذه القراءة يبعد صحتها للإيهام، حتى أنه يحكى أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ورسوله بالجر، فقال الأعرابي: إن كان الله بريء من رسوله فأنا بريء منه. فلبيه القارئ إلى عمر رضي الله عنه فحكى الأعرابي الواقعة، فحينئذ أمر عمر بتعليم العربية. وتحكى هذه أيضاً عن أمير المؤمنين علي وأبي الأسود الدؤلي، قال أبو البقاء: ولا يكون عطفاً على المشركين لأنه يؤدي إلى الكفر وهذا من الواضحات أهد.

قوله: (وقد بعث النبي ﷺ الخ) أي بعثه من المدينة إلى مكة ليجتمع بالناس في منى ويعلمهم جهاراً بما سيأتي، وقال ﷺ: «لا يبلغ هذا الأمر إلا رجل مني» أي من أقاربي، وكان في هذه السنة أمر النبي ﷺ أبا بكر على الحج، ولم يحج النبي في تلك السنة، لكن بعث أبا بكر أميراً وعلياً ليلبغا ما ذكر. وقوله: فأذن أي أعلم الناس بأعلى صوته أهد شيخنا.

وخرج أبو بكر قبل علي ولحقه علي رضي الله عنه بالعرج بفتح العين وسكون الزاء قرية جامعة بينها وبين المدينة ستة وسبعون ميلاً، وأجاب العلماء عن بعث رسول الله ﷺ علياً ليؤذن في الناس ببراءة، ولم يكتف بأبي بكر في ذلك بأن عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه إلا سيد القبيلة وكبيرها، أو رجل من أقاربه، وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي ﷺ من أبي بكر، لأنه ابن عمه ومن رهنه، فبعثه النبي ﷺ ليؤذن ببراءة إزاحة لهذه العلة، لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها أهد خازن.

قوله: (من السنة) أي في السنة التي نزلت فيها هذه السورة. قوله: (بهذه الآيات) وهي ثلاثون أو

الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان رواه البخاري ﴿فَإِنْ بُشْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَاتَّبَعُوا إِلَهُهُمْ عَهْدُهُمْ إِلَى﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ باتمام العهود ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾ خرج ﴿الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ وهو آخر مدة التأجيل ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾

أربعون آية من هذه السورة. وقوله: وأن لا يحج أي وأذن أيضاً بأن لا يحج، وبأن لا يطوف النخ، فكان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا تطوف في ثوب عصينا الله فيه اهـ شيخنا.

وآخر هذه الآيات: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ اهـ من شرح المواهب.

قوله: (فهو) الضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل، أي المتاب أو التوب أو التوبة خير أي أخير، وأحسن من بقائكم على الكفر هو خير في زعمكم أو التفضيل ليس على بابه، والمعنى فهو خير لكم لا شر اهـ شيخنا.

قوله: (أخبر) ﴿الذين كفروا﴾ أي فعبر عن الإخبار بالبشارة تهكماً بهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وهم بنو ضميرة حي من كنانة أمر الله رسوله ﷺ باتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد اهـ خازن.

وهذا مستثنى من المشركين في قوله: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾، ويجوز كونه منقطعاً. والتقدير: لكن الذين عاهدتم فأتوا إليهم عهدهم، وهذا أولى لما يرد على الأول من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بجمل كثيرة اهـ من السمين.

ومن المعلوم أن الاستثناء المنقطع بمعنى لكن، فكأنه قيل: لكن الذين لم ينكثوا فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافي كالغادر اهـ خازن.

قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ شَيْئًا﴾ الجمهور على ينقضون بالصاد المهملة وهو يتعدى لواحد ول اثنين، ويجوز ذلك فيه هنا، فالكاف مفعول وشيئاً إما مفعول ثان وإما مصدر أي شيئاً من النقصان أو لا قليلاً ولا كثيراً من النقصان. وقرأ عطاء بن السائب الكوفي، وعكرمة، وأبو زيد ينقضون بالضاد المعجمة وهي على حذف مضاف أي ينقضوا عهدهم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. قال الكرمانى: وهي مناسبة لذكر العهد أي أن النقص يطابق العهد وهي قريبة من قراءة العامة، فإن من نقض العهد، فقد نقض من المدة إلا أن قراءة العامة أوقع لمقابلتها التمام اهـ سمين.

قوله: (التي عاهدتم عليها) أي عاهدتموهم عليها.

قوله: (خرج) ﴿الْأَشْهُرَ﴾ أي انقضت كما في عبارة غيره، وهي أحسن، وأل في الأشهر الحرم

في حل أو حرم ﴿وَعُدُّوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا إن القتل أو الإسلام ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض ﴿وَإِنْ تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجْرُهُ﴾ آمنه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أُبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي موضع آمنه وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر

للعهد الذكري في قوله: ﴿فسبحوا في الأرض أربعة أشهر﴾، وقد تقدم أنها شوال والثلاثة بعده، وفي قوله: ﴿الحرم﴾ تغليب كما سبق اهـ شيخنا.

قوله: (وهي آخر مدة التأجيل) أي نهاية مدة التأجيل، أي المدة التي توجل لهم أي لا تجوز الزيادة عليها، لكن هذا عند قوتنا أما عند ضعفنا فيجوز الزيادة إلى عشر سنين بحسب الحاجة، فالجملة حالية أو مستأنفة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حيث وجدتموهم﴾ أي في حيث وهي هنا ظرف مكان، ولذا قال في حل أو حرم اهـ.

قوله: (حتى يضطروا) أي يلجؤوا. قوله: ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ أي لثلا يتشربوا في البلاد يعني على كل طريق، والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشيء أرصدته إذا ترقبته، والمعنى كونوا لهم رسداً حتى تأخذوهم من أي وجه توجهوا، وقيل: معناه اقمعدوا لهم بكل طريق إلى مكة حتى لا يدخلوها اهـ خازن.

قوله: (على نزع الخافض) والخافض المقدر هو على أو الباء الظرفية أو في اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ إنما اكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رأسي العبادات البدنية والمالية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من المشركين﴾ أي الناقضين للعهد الذي أمرت بالتعرض لهم اهـ بياضوي. أي فهم المعهودون في قوله: ﴿فإذا انسلكوا الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾.

قوله: ﴿فأجره﴾ في القاموس: وجار واستجار طلب أن يجار وأجاره أنقذه وأعاده اهـ.

وفي المصباح: واستجاره طلب منه أن يحفظه فأجاره اهـ.

وقوله: (آمنة) بالمد كما يقتضيه صنيع المصباح أو بالقصر مع التشديد كما يؤخذ من القاموس.

قوله: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ يصح أن تكون للغاية وللتعليل، وفي الخطيب: حتى يسمع كلام الله أي القرآن بسماع التلاوة الدالة عليه، فيعلم بذلك ما يدعو إليه من المحاسن ويتحقق أنه ليس من كلام الخلق، ثم إن أراد الانصراف ولم يسلم أبلغه مأمنه أي الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه لينظر في أمره، ثم بعد ذلك يجوز لك قتلهم وقتالهم من غير غدر ولا خيانة. قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة اهـ.

والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة إلى شيء آخر في الفهم لكونهم من أهل الفصاحة اهـ

كرخي.



في أمره ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَأْتِهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ وهم كفارون بهما غادرون

وروي عن علي رضي الله عنه أنه أتاه رجل من المشركين فقال: إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل لسماع كلام الله تعالى أو لحاجة هل يقتله أو لا؟ فقال علي: لا، لأن الله تعالى قال: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره﴾ الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (إن لم يؤمن) راجع لقوله ثم أبلغه، وقوله: لينظر متعلق بقوله: ﴿حتى يسمع﴾ الخ. قوله: (لينظر في أمره) كلام الخازن يقتضي أن هذا مرتبط بقوله: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، بين أمره بقوله: ويعرف ما له من الثواب إن آمن وما عليه من العقاب إن أصر على الشرك اهـ.

قوله: (المذكور) أي من الأمرين، وهما قوله ﴿فأجره﴾ الخ، ثم أبلغه الخ. وعبرة البيضاوي: ذلك أي الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمّن بأنهم قوم لا يفقهون ما الإيمان، وما حقيقة ما تدعوهم إليه، فلا بد من أمانهم بقدر زمان يسمعون فيه ويتدبرون. وقوله: بأنهم أي بسبب أنهم الخ. قوله: (ليعلموا) أي ليعلموا ما لهم من الثواب إن أسلموا وما عليهم من العقاب إن لم يسلموا اهـ.

قوله: ﴿كيف يكون﴾ الخ شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة وأحكامها المتفرعة عليها، وتبيين الحكمة الداعية إلى ذلك، والمراد بالمشركين الناكثون، لأن البراءة إنما هي في شأنهم اهـ أبو السعود.

قوله: (أي لا) ﴿يكون﴾ أشار إلى أن كيف اسم استفهام تعجب بمعنى النفي، ولهذا حسن بعده إلا والاستثناء بعده متصل، والظاهر أن كيف في موضع الخبر وقدم للاستفهام، والمعنى ليس من لم يف بعهد أن يفى الله ورسوله له بالعهد اهـ كرخي.

ويصح أن تكون تامة، فكيف في محل نصب على الحال اهـ.

قوله: (وهم كفارون بهما غادرون) أي فهذه الآية مرتبطة في المعنى بقوله: ﴿براءة من الله ورسوله﴾ الخ. إذ هي مسوقة في الناقضين للعهود كما تقدم، وقوله: وهم قريش المستثنون من قبل أي في قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً﴾ الخ، وقوله: وقد استقام ﷺ الخ هذا السياق كله مروي عن ابن عباس، وهو مشكل لأن هذه الآيات نزلت في شوال في السنة التاسعة، وقريش كانت قد نقضت في السابعة، ووقع الفتح في الثامنة، فلا يصح هذا التفسير ولا يستقيم، فلذلك قال الخازن بعد أن ساق هذا التفسير ما نصه: والصواب من ذلك قول من قال إنهم من قبائل بني بكر وهم خزيمية، وبنو مدلج من ضميرة، وبنو الدليل وهم الذين كانوا قد دخلوا على عهد قريش يوم الحديبية، ولم يكن نقض العهد إلا قريش، وبنو الدليل من بني بكر، فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بني ضميرة، وإنما كان الصواب هذا القول، لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد، وذلك قبل فتح مكة لأنه بعد الفتح كيف يقال لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، وإنما هم الذين قال الله فيهم: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً﴾ كما نقضتكم قريش ﴿ولم يظاهروا عليكم أحداً﴾ كما ظهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله ﷺ اهـ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل ﴿فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء به وما شرطية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَلَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلَّا﴾

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ إلا بمعنى لكن فالاستثناء منقطع، والذين مبتدأ خبره جملة الشرط وهي قوله: ﴿فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ﴾ الخ اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: في هذا الاستثناء وجهان، أحدهما: أنه منقطع أي لكن الذين عاهدتم فإن حكمهم كيت وكيت. والثاني: أنه متصل وفيه حيثنظ احتمالان، أحدهما: أنه منصوب على أصل الاستثناء من المشركين، والثاني: أنه مجرور على البدل منهم، لأن معنى الاستفهام المتقدم نفى، أي ليس يكون للمشركين عهد إلا للذين لم ينكثوا، وقياس قول أبي البقاء فيما تقدم أن يكون مرفوعاً بالابتداء والجملة من قوله: ﴿فَمَا اسْتَقِيمُوا﴾ خبره اهـ.

قوله: ﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المراد به جميع الحرم كما هي عادته في القرآن إلا ما استثنى، وقوله: يوم الحديبية وكان في السنة السادسة، والحديبية بئر بينه وبين مكة ستة فراسخ، فالعندية في قوله ﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ على حذف مضاف أي عند قرب المسجد الحرام، وقوله: المستثنون من قبل أي من قبل ما هنا أي من قبل هذا الاستثناء، فقد استثنوا في قوله: ﴿سَابِقاً إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (وما شرطية) أي ظرفية زمانية وعائدها محذوف، والتقدير: فأى زمان استقاموا لكم فيه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ يجوز في ما أن تكون مصدرية ظرفية وهي في محل نصب على ذلك. أي: فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم. ويجوز أن تكون شرطية وحيثنظ ففي محلها وجهان، أحدهما: أنها في محل نصب على الظرف الزماني والتقدير: أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم، ونظره أبو البقاء بقوله تعالى ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]. والثاني: أنها في محل رفع بالابتداء وفي الخبر الأقوال المشهورة. وقوله: ﴿فَاسْتَقِيمُوا﴾ جواب الشرط، وهذا نحا إليه الحوفي، ويحتاج إلى حذف عائد أي أي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم، وقد جوز ابن مالك في ما المصدرية الزمانية أن تكون شرطية جازمة، قال أبو البقاء: ولا يجوز أن تكون نافية لفساد المعنى، إذ يصير المعنى استقيموا لهم لأنهم لم يستقيموا لكم اهـ.

قوله: (باعانة بني بكر) مصدر مضاف لمفعوله أي باعانتهم بني بكر وهم كنانة حلفائهم على خزاعة حلفائه ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كَيْفَ﴾ (وإن يظهروا عليكم الخ) هذا راجع لقوله: ﴿كَيْفَ﴾ يكون للمشركين عهد فهو زيادة ترق في استبعاد بقاء عهد لهم. وعبرة البيضاوي: هذا تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة اهـ.

قِرَابَةٌ ﴿وَلَا ذِمَّةٌ﴾ عَهْدًا بَلْ يُوْذِكُمْ مَا اسْتَطَاعُوا وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ حَالٌ ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بِكَلَامِهِمُ الْحَسَنِ ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ الْوَفَاءُ بِهِ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ نَاقِضُونَ الْعَهْدَ ﴿أَشْتَرَوْا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ﴾

وفي الخازن: كيف وإن يظهروا عليكم قيل: هذا مردود على الآية الأولى تقديره كيف يكون لهم عهد، وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلّا ولا ذمة. وقال الأخفش: معناه كيف لا تقتلونهم وهم إن يظهروا عليكم أي يظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا أي لا يحفظوا. وقيل: معناه لا ينتظروا. وقيل: معناه لا يراعوا فيكم إلّا الخ اهـ.

قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ مجزوم بحذف النون جزاء للشرط. قوله: ﴿إِلَّا﴾ منصوب بفتحة ظاهرة على المفعولية وجمعه ألal كقدح وأقداح اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: إلّا مفعول به يرقبوا. وفي الإل أقوال لأهل اللغة، أحدها: أن المراد به العهد قاله أبو عبيدة، وابن زيد، والسدي. الثاني: أن المراد به القرابة، وبه قال الفراء. الثالث: أن المراد به الله تعالى أي هو اسم من أسمائه. الرابع: أن الإل الجوار وهو رفع الصوت عند التحالف، وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا جأروا بذلك جواراً. الخامس: أنه من أل البرق لمع ويجمع الإل في القلة على آل، والأصل ألل بزنة أفلس فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً لكونها بعد أخرى مفتوحة، وأدغمت اللام في اللام، وفي الكثرة على إلال كذئب وذئاب، والأل بالفتح قيل شدة القنوط. قال الهروي: وفي الحديث «عجب ربكم من إلكم وقنوطكم» اهـ.

وفي القاموس: الإل بالكسر العهد والحلف وموضع والجوار والقربة والمعدن والحقد والعداوة والربوبية، واسم الله تعالى، وكل اسم آخره إل أو إيل، فمضاف إلى الله تعالى والرضا والأمان والجزع عند المصيبة. ومنه ما روي: «عجب ربكم من إلكم»، فيمن رواه بالكسر ورواية الفتح أكثر اهـ.

قوله: ﴿وَلَا ذِمَّةٌ﴾ الذمة قيل العهد فيكون مما كرر لاختلاف لفظه إذا قلنا إن الإل العهد أيضاً فهو كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧] وقيل الذمة الضمان يقال هو في ذمتي أي في ضمانني وبه سمي أهل الذمة لدخولهم في ضمان المسلمين، ويقال: له ذمة وذمام ومذمة وهي الذم، قال ذلك ابن عرفة. وقال الراغب: الذمام ما يذم الرجل على إضاعته من عهد، وكذلك الذمة والمذمة والمذمة يعني بالفتح والكسر، وقيل: لي مذمة فلا تهتكها، وقال غيره: سميت ذمة لأن كل حرمة يلزمك من تضييعها الذم يقال لها ذمة. وقال الأزهري: الذمة الأمان، وفي الحديث: «يسعى بذمتهم أدناهم» اهـ سمين.

قوله: ﴿يُرْضَوْنَكُمْ﴾ مستأنف لبيان حالهم عند عدم الظفر فهو مقابل في المعنى لقوله: ﴿وإن يظهروا عليكم الخ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ يقال أبي يأبى، أي اشد امتناعه فكل إباء امتناع من غير عكس ولم يصب من فسرهم بمطلق الامتناع ومجيء المضارع منه على يفعل بفتح العين شاذ، ومنه قل يلقى في لغة اهـ سمين.

القرآن ﴿فَمَنْ قَالِيَ﴾ من الدنيا، تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دونه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ بَشَرٌ﴾ ما كانوا يعملون ﴿٩﴾ به عملهم هذا ﴿لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتِهِمْ﴾ ولا ذمته وأقليلك هم الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوَانُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿فِي الَّذِينَ نَقُصِّلُ بَيْنَهُمْ﴾ الَّذِينَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يتدبرون ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ مَوَاقِفَهُمْ﴾ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ عابوه ﴿فَقَتِّلُوا أَهْلَ الْكُفْرِ﴾ رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع

قوله: (أي تركوا اتباعها) تفسير لا شتروا، وأشار به إلى أن الباء داخله على المتروك، وقوله: للشهوات اللام للتعليل، وفي الكلام حذف المضاف أي لأجل تحصيل الشهوات والهوى، أي: ما تهواه النفس والشهوات، والهوى تفسير للثمن القليل اهـ شيخنا.

وكانت شهواتهم أكلة أطعمها لهم أبو سفيان حملتهم على نقض العهد اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يجوز في ساء أن يكون على يابه من التصرف والتعدي ومفعوله محذوف أي ساءهم الذي كانوا يعملونه أو عملهم، وأن يكون جارياً مجرى بئس، فيحول إلى فعل بالضم ويمتنع تصرفه ويصير للذم، ويكون المخصوص بالذم محذوفاً كما يقرر غير مرة اهـ سمين.

قوله: (عملهم هذا) أي ما مضى من صدهم عن سبيل الله وما معه اهـ شهاب.

قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتِهِمْ﴾ كرر ذلك بإبدال الضمير بمؤمن، لأن الأول وقع جواباً لقوله ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ مَوَاقِفَهُمْ﴾ والثاني وقع خبراً عن تقييح حالهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ الخ كرره لاختلاف جزاء الشرط، إذ جزاء الشرط في الأول تخلية سبيلهم في الدنيا، وفي الثاني أخوتهم لنا في الدين، وهي ليست عين تخليتهم بل سببها اهـ كرخي.

قوله: (أي فهم إخوانكم) أشار إلى أن قوله: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة الاسمية في محل جزم على أنها جواب الشرط اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَأِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ مقابل قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ الخ. وفي أبي السعود: وإن نكثوا عطف على قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ أي: وإن لم يفعلوا ذلك، بل نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم الموثق بها وأظهروا ما في ضمائرهم من الشر وأخرجوه من القوة إلى الفعل حسماً ينيء عنه قوله تعالى: ﴿وَأِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْجُوا﴾ [التوبة: ٨] الآية وثبتوا على ما هم عليه من النكث لا أنهم ارتدوا بعد الإيمان كما قيل اهـ.

قوله: ﴿وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عطف وطعنوا على ما قبله مع أن نقض العهد كاف في إباحة القتل لزيادة تحريض المؤمنين على قتالهم، وقيل: معناه وإن نكثوا أيمانهم بطعنهم في دينكم فيكون عطف تفسير اهـ زاده.

قوله: ﴿أَهْلَ الْكُفْرِ﴾ بهمزتين، ولا يجوز إبدال الثانية ياء قراءة، وإن جاز عربية ولغة اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿أَهْلَ الْكُفْرِ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمر وأهله بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ولا ألف بينهما، والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير إدخال ألف بينهما

المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة بالكسر ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ ﴿١٢﴾ عن الكفر ﴿أَلَا﴾ للتحضيض ﴿تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَّذَرْنَا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَكُومًا بِإِخْرَاجِ﴾ الرَّسُولِ ﴿من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة﴾ وَهُمْ بِكَدِّكُمْ ﴿بِالْقِتَالِ﴾ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

وهشام كذلك، إلا أنه أدخل بينهما ألفاً هذا هو المشهور بين القراء السبعة. ونقل الشيخ عن نافع قارئ أهل المدينة، وابن كثير قارئ أهل مكة، وأبي عمرو بن العلاء رأس النحاة البصريين أنهم يدلون الثانية ياء صريحة، وأنه قد نقل عن نافع المد بينهما أي بين الهمزة والياء، ووزن أئمة أفعلة لأنها جمع إمام كحمار وأحمر، والأصل أئمة، فالتقى ميمان فأريد إدغامهما فنقلت حركة الميم الأولى للسكان قبلها، وهو الهمزة الثانية، فأدى ذلك إلى اجتماع همزتين ثانيتهما مكسورة، فالبصريون يوجبون إبدال الثانية ياء وغيرهم يحقق أو يسهل بين بين، ومن أدخل الألف فللخفة حتى يفرق بين الهمزتين اهـ.

قوله: (رؤساءه) خصهم بالذكر لأنهم الأصل في النكت والطعن في الدين اهـ كرخي.

قوله: (فيه وضع الظاهر موضع المضمر) أي فمقتضى المقام أن يقال فقاتلوهم، وكان مقتضى العدول للظاهر أن يقال فقاتلوا الكافرين، فعدل عنه إلى التعبير بالأئمة إشارة إلى تقييحهم بكونهم رؤساء في هذا الوصف الذميمة اهـ.

قوله: (عهود) ﴿لَهُمْ﴾ وسمي العهد يمينا لاشتماله عليه غالباً، وهذا في قراءة الفتح جمع يمين بمعنى الحلف، والمعنى لا أيمان بارة لهم، وإن وجدت صورة ويمين الكافر شرعية عندنا، والاستدلال به على أن يمين الكافر ليست يميناً ضعفه ظاهر، لأن المراد نفي الوثوق بقرينة، وإن نكثوا أيمانهم لا يقال الكلام باعتبار اعتقادهم، لأن المخاطب هم المؤمنون اهـ كرخي

قوله: (وفي قراءة) أي لابن عامر بالكسر مصدر أعطاه الأمان. أي: لا يعطون أماناً بعد نكثهم وطعنهم اهـ كرخي.

وفي المصباح: وآمنت الأسير بالمد أعطيته الأمان فأمن هو اهـ.

وتحتمل هذه القراءة أن يراد بالإيمان ضد الكفر. وعبرة البيضاوي: وقرأ ابن عامر لا إيمان لهم بالكسر بمعنى لا أمان أو لا إسلام اهـ.

قوله: ﴿أَلَا﴾ (للتحضيض) وهو الطلب بحث وإزعاج، فالمعنى قاتلوا قوماً اجتمعت فيهم أسباب ثلاثة كل منها يقتضي قتالهم، فما بالكم باجتماعها وهي نقض العهد وإخراج الرسول وقتل حلفائكم، وهذا التحضيض لا يخلو من معنى التوبيخ كما يؤخذ من قول الشارح الآتي فما يمنعكم أن تقتلواهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ لكن لم يخرجوه، بل خرج باختياره بإذن الله له في الهجرة، وتقدم أنهم هموا بأحد أمور ثلاثة: قتله وحبسه وإخراجه كما فصل في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وإنما اقتصر منا على الهمم بالإخراج، لأنه هو الذي وقع أثره في الخارج بحسب الظاهر. وقوله: بدار الندوة تقدم أنها مكان اجتماع القوم للتحدث،

حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿أَفَشَوْثُمْ﴾ اتخافونهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿يَأْتِيْكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ مما فعل بهم هم بنو خزاعة ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بالإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا

وكان قد بناها قصي، وقد أدخلت الآن في المسجد فهي مقام الحنفي الآن اهـ شيخنا.

قوله: (حيث قاتلوا خزاعة الخ) عبارة غيره حيث أعانوا عليهم بإعطاء السلاح، وتقديم في هذا الشارح أيضاً ما نصه: حيث نقضوه بإعانة بني بكر على خزاعة اهـ.

وقال أبو السعود: الإعانة على القتال تسمى قتالاً مجازاً اهـ.

فما مر في الشارح على سبيل الحقيقة وما هنا على سبيل المجاز اهـ شيخنا.

قوله: (فما يمنعكم الخ) توبيخ للمسلمين. قوله: ﴿أَفَشَوْثُمْ﴾ أي أتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم اهـ بيضاوي.

وقوله: ﴿فَاللَّهُ﴾، مبتدأ، وأحق خبر، وقوله: ﴿أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ بدل اشتماله من المبتدأ أي فخشية الله أحق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَاتِلُوهُمْ﴾ الخ ذكر في جواب هذا الأمر خمسة أمور. وقوله: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ مستأنف

اهـ.

وعبارة الكرخي: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ مستأنف ولم يجزم، لأن توبته على من يشاء ليست جزءاً على

قتال الكفار اهـ.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي مع التوبيخ، والحق أنها بمعنى بل والهمزة معاً كما تقدم له غير

مرة، وبل التي في ضمنها للإضراب الانتقالي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَنْ تُتْرَكُوا﴾ أي إن يترككم الله بدون تكليفكم بالقتال الذي شتمتموه، وقوله ﴿وَلَمَّا﴾ الخ

جملة حالية اهـ شيخنا.

قوله: (علم ظهور) جواب عما يقال كيف ينفي علم الله سبحانه وتعالى، شع أنه متعلق بكل شيء

كان أو لم يكن، فالمعنى ولم يظهر الله الذي جاهدوا منكم مع الإخلاص. أي: لم يميزهم عن غيرهم

ممن جاهدوا بدون إخلاص اهـ شيخنا.

قوله: (بإخلاص) أي مع إخلاص. قوله: ﴿وَلِيَجْءَ﴾ الوليجة من الولوج، وهو الدخول وكل

شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة، ويكون للمفرد وغيره بلفظ واحد، وقد يجمع على ولائج

اهـ شهاب.

الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴿١٦﴾ بطانة وأولياء المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع بدخوله

ولليجة الرجل من يداخله في باطن أموره اهـ زاده .

وفي المصباح: ولج الشيء في غيره يلج من باب وعد ولوجاً دخل، وأولجته إيلاجاً أدخلته، والوليعة: البطانة اهـ .

وفي السمين قوله: ﴿ولم يتخذوا من دون الله﴾ يجوز في هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها داخلية في حيز الصلة لعطفها عليها أي الذين جاهدوا ولم يتخذوا. الثاني: أنها في محل نصب على الحال من فاعل جاهدوا أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليعة، وليعة مفعول ومن دون الله إما مفعول ثان إن كان الاتخاذ بمعنى التصيير، وإما متعلق بالاتخاذ إن كان على باب. والوليعة: فعيلة من الولوج وهو الدخول، والوليعة من يداخلك في باطن أمورك. وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليعة، والرجل في القوم وليس منهم يقال له وليعة: ويستعمل بلفظ واحد للمفرد والمتنوع والمجموع، وقد يجمع على ولائج وولج كصحيفة وصحائف وصحف اهـ .

قوله: (المعنى ولم يظهر) أي يتميز. وقوله: بما ذكر وهو قوله جاهدوا ولم يتخذوا بطانة، فغيرهم من لم يجاهد أو جاهد مع اتخاذ البطانة اهـ شيخنا .

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي ما ينبغي ولا يصح للمشركين أن يعمرؤا مسجد الله بدخوله والقعود فيه وخدمته، فإذا دخل الكافر بغير إذن المسلم عزز، وإن دخل بإذنه لم يعزر، لكن لا بد من حاجة، فيشترط للجواز الإذن والحاجة. ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالإذن أن النبي ﷺ شذ ثمانية بن أثال إلى سارية من سوارى المسجد وهو كافر. وقوله: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ حال من الواو في يعمرؤا أي ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته اهـ خطيب .

وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء قریش أسروا يوم بدر منهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يعيرونهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرن مساوئنا وتكتمون محاسننا؟ فقليل له: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم نحن أفضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة، أي نخدمها، ونسقي الحجيج، ونفك العاني يعني الأسير، فنزلت هذه الآية اهـ خازن .

قوله: ﴿أَنْ يَعْمُرُوا﴾ اسم كان والجار والمجرور خبرها مقدم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو مسجد الله بالإفراد وهي تحتل وجهين أن يراد به مسجد بعينه، وهو المسجد الحرام لقوله تعالى ﴿وعمرارة المسجد الحرام﴾ [التوبة: ١٩]، وأن يكون اسم جنس فيندرج فيه سائر المساجد، ويدخل المسجد الحرام دخولاً أولاً، وقرأ الباقر مساجد بالجمع وهي أيضاً محتملة للأمرين، ووجه الجمع إما لأن كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد، وإما لأنه قبله لسائر المساجد، فصح أن يطلق عليه لفظ الجمع لذلك اهـ سمين .

والقعود فيه ﴿شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ فَمَسَّوْا أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿أَجْمَلْتُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ

قوله: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ قال ابن عباس: شهادتهم على أنفسهم بالكفر بسجودهم للأصنام، وذلك لأن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد، وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام، فلم يزدادوا بذلك من الله إلا بعداً. وقال الحسن: إنهم لم يقولوا نحن كفار، ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم اهـ خازن.

كقولهم في الطواف: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه، وما ملك مع قولهم نحن نعبد اللات والعزى اهـ كرخي.

قوله: ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ أي التي عملوها من أعمال البر واقتروا بها مثل العمارة والحجابة والسقاية وفك العاني، لأنها مع الكفر لا تأثير لها اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ بالجمع لا غير، والمراد بها هنا ما يعمر المسجد الحرام وغيره. وقوله: ﴿من آمن﴾ الخ أي من جمع الأوصاف الأربعة المذكورة اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ جمهور القراء من السبعة وغيرهم على الجمع. وقرأ الجحدري، وحamad بن أبي سلمة، عن ابن كثير بالإنفراد والتوجيه يؤخذ مما تقدم، والظاهر أن الجمع هنا حقيقة، لأن المراد جميع المؤمنين العامين لجميع مساجد أقطار الأرض اهـ.

وفي الكرخي: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ أي ينجو البناء والتزيين بالفرش والسرج وبالعبادة، وترك حديث الدنيا اهـ.

في المصباح: عمرت الدار عمراً من باب قتل بنيتها، والاسم العمارة بالكسر اهـ.

وفي المختار: وعمرت الخراب عمراً من باب كتب فهو عامر أي معمور اهـ.

قوله: ﴿فعسى أولئك﴾ أي الموصوفون بالصفات الأربع.

قوله: ﴿أجعلتم﴾ الخ استئناف خوطب به المشركون التفاتاً عن الغيبة في قوله: ﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سقاية الحاج﴾ قال: في المجمع السقاية هي المحل الذي يتخذ فيه الشراب في الموسم، كان يشتري الزبيب فينبذ في ماء زمزم ويسقى للناس، وكان يليها الغباس جاهلية وإسلاماً، وأقرها النبي ﷺ له فهي لآل العباس أبداً، فلا يجوز لأحد نزعها منهم ما بقي منهم اهـ مناوي على الجامع الصغير.

وقوله: هي المحل الخ الظاهر أن هذا المعنى لا يظهر هنا، بل المراد بها هنا المصدر أي إسقاء الحجاج وإعطاء الماء لهم. وعبرة أبي السعود: السقاية والعمارة مصدران اهـ.



الْمَسْجِدَ الْحَرَامِ ﴿١٩﴾ أَيُّ أَهْلِ ذَلِكَ ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِنَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْفَضْلِ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢١﴾﴾ الكافرين نزلت رداً على من قال ذلك وهو العباس أو غيره ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ الظافرون بالخير ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٢٣﴾ دائم ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدٌ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا

وفي القرطبي: والسقاية مصدر كالسعاية والحماية اهـ. قوله: (أي أهل ذلك) أي المذكور من السقاية والعمارة، وغرضه بهذا دفع ما يقال كيف يشبه المصدر وهو السقاية والعمارة بالعقلاء في قوله: ﴿كَمَنْ آمَنَ الْخ﴾، وحاصل الجواب أن المشبه أهل السقاية، والعمارة فالكلام على حذف المضاف اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ الجمهور على قراءتهما مصدرين على فعالة كالصيانة والوقاية والتجارة، ولم تقلب الياء لتحصنها ببناء التأنيث بخلاف رداء وعباءة لظرو تاء التأنيث فيهما، وحينئذ فلا بد من حذف مضاف، إما من الأول وإما من الثاني ليتصادق المفعولان. والتقدير: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن﴾، أو أ جعلتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن أو كعمل من آمن اهـ.

قوله: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ استئناف مؤكد لما علم من إبطال المساواة بالتوبيخ المستفاد بالاستفهام أي لا يستوي الفريقان وقوله: ﴿والله لا يهدي﴾ الخ تعليل في المعنى لنفي المساواة. قوله: (على من قال ذلك) أي المساواة، وقوله: وهو العباس أو غيره أو بمعنى الواو كما في عبارة غيره.

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ الخ أي جمعوا بين الصفات الثلاثة المذكورة. قوله: (من غيرهم) يدخل في الغير أهل السقاية والعمارة من الكفار، ويدخل فيه المؤمن الذي لم يجمع بين الأوصاف الثلاثة المذكورة، بل اقتصر على واحد أو اثنين منها. وقوله: ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ أي المحصلون لأصل الفوز بالنسبة لكون الغير أهل السقاية والعمارة، والمحصلون لأكماله بالنسبة لكون الغير من لم يجمع الأوصاف المذكورة اهـ شيخنا.

قوله: (دائم) يعني أن المقيم استعارة الدائم. قال أبو حيان: لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات: الإيمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث، وبدأ بالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقفها عليه، وثنى بالرضوان الذي هو نهاية الإحسان في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل الأنفس والأموال، ثم ثلث بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان إشارة إلى أنهم لما أثروا تركها بدلهم داراً عظيماً دائمة وهي الجنات اهـ شيخنا.

قوله: (لأجل أهله) أي أصوله وفروعه وحواشيه وزوجاته كما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ﴾ الخ قال مجاهد: هذه الآية متصلة بما قبلها، نزلت

﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قَدْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَقْرَبَاؤُكُمْ فِي قِرَاءَةِ عَشِيرَاتِكُمْ﴾ ﴿وَأَتَوَلَّوْا أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾ اِكْتَسَبْتُمُوهَا

في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك بالله أن لا تضيعنا، فترك لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم، وأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة. قال بعضهم: حمل هذه الآية على الهجرة مشكل، لأن هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي آخر القرآن نزولاً، والأقرب أن يقال إن الله تعالى لما أمر بالتبزي من المشركين قالوا: كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه؟ فذكر الله تعالى أن مقاطعة الرجل أهله وأقاربه في الدين واجبة، فالمؤمن لا يوالي الكافر، وإن كان أباه وأخاه وابنه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [التوبة: ٢٣] يعني إن اختاروا للكفر وأقاموا عليه، وتركوا الإيمان بالله ورسوله ومن يتولاهم منكم، فأولئك هم الظالمون يعني: ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد، فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين. ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إنه نحن هاجرتنا ضاعت أموالنا وزهبت تجارتنا وخربت ديارنا وقطعت أرحامنا، فأنزل الله تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ﴿إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿وإخوانكم﴾ أي أقاربكم اهـ.

وقوله: أولياء أي أصدقاء، والمراد النهي لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاة فرد من أفراد المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد إلى الآحاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠] لا عن موالاة طائفة منهم، فإن ذلك مفهوم من للنظم دلالة لا عبارة اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا﴾ أي الآباء والإخوان.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ فيه مراعاة لفظ من، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الخ فيه مراعاة معناها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَبَاؤُكُمْ﴾ هذا وما عطف عليه من الأمور السبعة اسم كان وخبرها أحب إليكم، وقوله:

﴿وإخوانكم﴾ أي حواشيكم، ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أي زوجاتكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعشيرتكم﴾ قرأ الجمهور عشيرتكم بالافراد، وأبو بكر عن عاصم عشيراتكم جمع سلامة، ووجه الجمع أن لكل من المخاطبين عشيرة فحسن الجمع، وزعم الأخفش أن عشيرة لا تجمع بالألف والتاء إنما يجمع تكسيراً على عشائر، وهذه القراءة حجة عليه، وهي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي وأبي رجا. وقرأ الحسن: عشائركم، قيل: وهي أكثر من عشيراتكم، والعشيرة هي الأصل الأدنون، وقيل: هم أهل الرجل الذين يتكثرون بهم، أي يصيرون بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشيرة هي العدد الكامل فصارت العشيرة اسماً لأقارب الرجل الذين يتكثرون بهم سواء بلغوا العشيرة أم فوقها.

﴿وَتَجِدَنَّ تَخْتَفُونَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفاقها ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم لن نغلب اليوم

وقيل: هي الجماعة المجتمعة بنسب أو عقد أو وداد كعقد العشرة اه سمين.

وعبارة البيضاوي: وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة، وقيل: من العشرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة اه. فبين الاشتقاقين نوع مناسبة.

قوله: (عدم نفاقها) بفتح النون أي رواجها. وفي المصباح: نفقت السلعة والمرأة من باب كتب نفاقاً بالفتح كثر طلابها وخطابها اه.

قوله: ﴿ترضونها﴾ أي تحبونها أي تحبون الإقامة فيها. قوله: ﴿من الله ورسوله﴾ أي من الهجرة إليهما.

قوله: (لأجله) أي لأجل ما ذكر من الأمور الثمانية، أو لأجل حبها اه شيخنا.

قوله: ﴿فتربصوا﴾ مفعول محذوف كما يفهم من الغاية أي انتظروا عذاب الله. قوله: ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فتح مكة، وقيل: وهو عقوبة عاجلة أو آجلة اه أبو السعود.

قوله: (تهديد) أي هذا الأمر، وهو قوله: ﴿فتربصوا﴾ أمر تهديد أي تخويف، وفي المختار: التهديد والتهدد التخويف اه.

وإنما كان تهديداً لكونهم آثروا لذات الدنيا على الآخرة، وهذا أقل من يتخلص منه، وهذه الآية تدل على أنه إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين، وبين مهمات الدنيا وجب ترجيح الدين على الدنيا ليبقى الدين سليماً اه كرخي.

قوله: ﴿لقد نصركم الله﴾ الخ تذكير للمؤمنين بنعمه عليهم. قوله: ﴿في مواطن كثيرة﴾ أي أماكن، وقوله: كبدر هذا مكان، وقوله: وقريظة والنضير ليسا مكانين، فيحتاج بالنسبة إليهما لتقدير كما لا يخفى اه شيخنا.

وفي المصباح: الوطن مكان الإنسان ومقره، والجمع أوطان مثل سبب وأسباب والموطن مثل الوطن والجمع مواطن كمسجد ومساجد، والموطن أيضاً المشهد من مشاهد الحرب اه.

قوله: ﴿ويوم حنين﴾ في الكلام حذف المضاف، كما أشار له الشارح، وتسمى هذه الغزوة غزوة حنين وغزوة هوازن اه.

والشارح جعل الظرف معمولاً لمقدر كما ترى، ويصح أن يكون معطوفاً على محل. قوله: ﴿في

من قلة وكانوا اثني عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاعَتْ عَلَيْكُمْ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ما مصدرية أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدة ما  
لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ منهزمين وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس  
معه غير العباس وأبو سفيان أخذ بركابه ﴿ثُمَّ أَوَّلَّ اللَّهُ سَيِّئَتَهُمْ﴾ طمأنينته ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَحَلَّى  
الْمُؤْمِنِينَ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُودًا لِّرُؤْسِهِ﴾ ملائكة

مواطن ﴿عطف ظرف الزمان من غير واسطة في على ظرف المكان المجرور بها، ولا غرابة في نسق  
ظرف زمان على مكان أو بالعكس تقول: صرت أمامك ويوم الجمعة إلا أن الأحسن أن يترك العاطف  
في مثله اهـ سمين.

ثم قال: لكن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر، وسبب ذلك أن  
قوله: ﴿إِذَا أُعْجِبْتُمْ﴾ بدل من حنين، فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح، لأن كثرتهم لم تعجبهم  
في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرين في جميعها، فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به اهـ.

قوله: (واد بين مكة والطائف) بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً كما في الخازن. قوله: (هوازن)  
وهم قبيلة حليلة السعدية، وقوله: أي في شوال أي عقيب رمضان الذي وقع فيه الفتح اهـ.

قوله: (من قلة) أي من أجلها، وهذا في حيز النفي، وظاهر هذا القول الافتخار بكثرتهم ونفي  
الغلبة لانتفاء القلة أي نحن كثيرون فلا تغلب اهـ شيخنا.

قوله: (وكانوا اثني عشر ألفاً) عشرة من المهاجرين والأنصار الذين فتحوا مكة، وألفان من مكة  
أسلموا بعد فتحها في هذه المدة السيرة اهـ شيخنا.

قوله: (والكفار) أربعة آلاف، الذي في شرح المواهب أنهم كانوا أكثر من عشرين ألفاً، وقتل من  
المسلمين أربعة، ومن المشركين أكثر من سبعين اهـ.

قوله: ﴿فَلَمْ تُغْنِ﴾ أي لم تدفع الكثرة. قوله: (ما مصدرية الخ) أشار به إلى أن الباء بمعنى مع،  
ومحل الجار والمجرور حال أي ملتبسة برحبها أي بسعتها، كقولك: دخلت عليه بشباب السفر اهـ  
كرخي.

وفي المختار: الرحب بالضم السعة يقال منه: فلان رحيب الصدر. والترحب: بالفتح الواسع  
وبابه ظرف وقرب والمصدر رحابة كظرافة ورحب كقرب اهـ.

قوله: (وليس معه غير العباس الخ) وكان العباس أخذاً بلهجام البغلة. وقوله: (وأبو سفيان) وهو  
ابن عمه، إذ هو ابن الحرث بن عبد المطلب، وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح اهـ شيخنا.

وفي سيرة الشامي أن الذين ثبتوا معه في حنين مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون  
من الأنصار اهـ.

قوله: (فردوا) أي ارتدوا أي رجعوا كرة واحدة كالفصيل الثائه عن أمه إذا وجدها، وقوله: لما  
ناداهم العباس وكان صيحاً أي عالي الصوت يسمع صوته من نحو ثمانية أميال اهـ شيخنا.

﴿وَعَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

قوله: ﴿لم تروها﴾ قيل: كانوا خمسة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفاً، والصحيح أنهم لم يقاتلوا على ما تقدم من أنه لم يثبت قتال الملائكة إلا في يوم بدر، وإنما نزلوا لتقوية قلوب المسلمين، وإن كانوا لا يرونهم، فقد قيل: إن الكفار كانت تراهـم. وفي المواهب: وروى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ قال: فتلقنا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شأهت الوجوه ارجعوا، قال: فانهزما وركبوا أكتافنا، وفي سيرة الديماطي قال: كان سيماء الملائكة يوم حنين عمائم حمراً أرخوها بين أكتافهم اهـ.

وروي أن رجلاً من بني النضير قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم إلا كهية الشامة، وما قتلنا إلا بأيديهم، فاخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: تلك الملائكة اهـ خطيب.

قوله: (والأسر) أي لسته آلاف من نسائهم وصبيانهم، ولم تقع غنيمة أعظم من غنيمتهم، فقد كان فيها من الإبل اثنا عشر ألفاً، ومن الغنم ما لا يحصى عدداً، ومن الأسرى ما سمعته، وكان فيها غير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد تعذيبهم. قوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ أي فيتجاوز عنهم ويفضل عليهم. روي أن ناساً منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، وقالوا له: يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس، وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا، فقال: «إن عندي ما ترون أن خير القول أصدقه اختاروا إما ذرايكم ونساءكم، وإما أموالكم»، قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، والحسب ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه كنوا بذلك عن اختيار الذراري والنساء على استرجاع الأموال، لأن تركهم في ذل الأسر يفضي إلى الطعن في أحسابهم، فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال، فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً، فمن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه، ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا، أي: بمنزلة القرض حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه»، فقالوا: رضينا وسلمنا، فقال: «إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا، أي: فليعلمونا» فرفعت إليه العرفاء أنهم قد رضوا اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنما المشركون نجس﴾ أي: ذوو نجس، لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، أو أنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات، فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسات بعينها مبالغة في وصفهم بها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير. وعن الحسن رحمه الله تعالى: من صافح مشركاً توفضاً، وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين، والنجس مصدر يستوي فيه الفتوحات الإلهية/ ج ٣/ ١٦٣

قذر لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿مَتَدَاعِيهِمْ هُنَذَا﴾ عام  
تسع من الهجرة ﴿وَلَوْ خَفِئَتْ عَيْلَةٌ﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُعْزِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ

المذكر والمؤنث والتثنية والجمع اه خطيب.

وفي القاموس: النجس بالفتح وبالكسر وبالتحريك وككتف وعضد ضد الطاهر، وقد نجس  
كسمع وككرم اه.

وفي المصباح: أنه من تعب وفي لغة من باب قتل اه.

قوله: (الخبث باطنهم) أي فهو مجاز عن خبث الباطن وفساد العقيدة فهو استعارة لذلك اه  
شهاب.

قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي لنجاستهم، وإنما نهوا عن الاقتراب للمبالغة في المنع  
من دخول الحرم، ونهي المشركين أن يقربوا راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم من ذلك اه أبو  
السعود.

قال العلماء: وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام.

أحدها: الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال ذمياً كان أو مستأناً لظاهر هذه الآية، وإذا جاء  
رسول من دار الكفر إلى الإمام والإمام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم، بل يخرج إليه الإمام، أو  
يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم، وجوز أبو خنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم.

القسم الثاني: من بلاد الإسلام الحجاز، فيجوز للكافر دخوله بالإذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة  
أيام لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود  
والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً» وأجلهم عمر في خلافته، وأجل لمن قدم منهم  
تاجراً ثلاثة، وجزيرة العرب من أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول، وأما في العرض فمن جدة وما  
والأها من ساحل البحر إلى أطراف الشام.

والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان، لكن لا يدخل  
المساجد إلا بأذن مسلم لحاجة اه خطيب.

قوله: (عام تسع) وهو عام نزول السورة. قوله: ﴿وَلَوْ خَفِئَتْ عَيْلَةٌ﴾ في المصباح: العيلة بالفتح  
الفقر وهي مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة، وهو في تقدير فعله مثل كافر وكفرة،  
وعيلان بالفتح اسم رجل، ومنه قيس بن عيلان. قال بعضهم: ليس في كلام العرب عيلان بالعين  
المهملة إلا هذا اه.

وفي المختار: وعيال الرجل من يعولهم وواحد العيال عيل كجيد، والجمع عيائل كجيانده،  
وأعال الرجال كثر عياله فهو معيل، والمرأة معيلة. قال الأخفش: أي صار ذا عيال اه.

قوله: (بانقطاع تجارتهم عنكم) عبارة الخطيب: ولما أمر رسول الله ﷺ علياً أن يقرأ على  
المشركين مشركي مكة أول براءة، وينبذ إليهم عهدهم، وأن الله بريء من المشركين ورسوله قال

شكاً ﴿وقد أغناهم بالفتوح والجزية﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿فَتِلْكَ الْأَیَّتُ الْذِیْنَ لَا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْیَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿وَلَا لَأَمْنُوا بِالنَّبِیِّ ﷺ﴾ ﴿وَلَا یَحْزَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ﴿كَالْخَمْرِ﴾ ﴿وَلَا یَدِیْنُونَ دِیْنَ الْحَقِّ﴾ ﴿الثَّابِتِ النَّاسِخَ لِغَیْرِهِ مِنَ الْأَدِیَانِ وَهُوَ دِیْنُ الْإِسْلَامِ﴾ ﴿مِنْ﴾ ﴿بِیَانِ لِلذِّیْنِ﴾ ﴿الَّذِیْنَ أَوْشُوا

أناس: يا أهل مكة ستعلمون ما تلقون من الشدة لانقطاع السبيل وفقد الحمولات، وذلك أن أهل مكة كانت معاشهم من التجارات، وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون، فلما امتنعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة الفقر وضيق العيش، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأمر الله تعالى ﴿وإن خفتهم عيلة﴾ أي فقراً وحاجة (بانقطاع تجارتهم عنكم) ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ أي من عطائه وتفضله. ومن وجه آخر وقد أنجز تعالى وعده بأن أرسل المطر عليهم مدراراً، فكثر خيرهم وأسلم أهل جدة وصنعاء وتبالة وجرش، وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة، فكفاهم الله تعالى ما كانوا يخافون. وتبالة: بفتح التاء، وجرش بضم الجيم وفتح الراء وشين معجمة قريتان من قرى اليمن، وقيد ذلك بقوله إن شاء لتقطع الآمال إليه تعالى ولينبه على أنه متفضل في ذلك، وأن الغنى الموعود به يكون لبعض دون بعض، وفي عام دون عام اهـ.

قوله: ﴿قاتلوا الذين﴾ الخ لما فرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله: ﴿براءة من الله﴾ إلى هنا أخذ يتكلم على أهل الكتابين اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال مجاهد: نزلت هذه الآية حين أمر النبي ﷺ بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك. وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين، وهذا خطاب للنبي ﷺ وأصحابه المؤمنين، والمعنى: قاتلوا أيها المؤمنون الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الخ اهـ.

قوله: ﴿وَلَا لَأَمْنُوا بِالنَّبِیِّ﴾ جواب عما يقال إن أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكيف نفت الآية عنهم الإيمان بهما؟ ومحصل الجواب أن إيمانهم بهما باطل لا يفيد دليل أنهم لم يؤمنوا بالنبي ﷺ، فلما لم يؤمنوا به كان إيمانهم بالله واليوم الآخر كالعدم، فصح فيه في الآية. وفي كلام الشارح إشارة إلى قياس استثنائي فقوله: ﴿وَلَا لَأَمْنُوا بِالنَّبِیِّ﴾ إشارة إلى الشرطية، وصريحها هكذا لو آمنوا بهما لآمنوا بالنبي، والاستثنائية محذوفة تقديرها لكنهم لم يؤمنوا بالنبي فلم يؤمنوا بهما، فكانه قال واللازم باطل، فكذا الملزوم.

وعبارة الخازن: فإن قلت: اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكيف أخبر الله عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر؟ قلت: إن إيمانهم بالله ليس كإيمان المؤمنين، وذلك أن اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه، والنصارى يعتقدون الحلول، ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله، بل هو مشرك بالله، وقيل: من كذب رسولاً من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الأنبياء فليسوا بمؤمنين بالله، وأما إيمانهم باليوم الآخر فليس كإيمان المؤمنين، وذلك أنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد، ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينجسون، ومن اعتقد ذلك فليس إيمانه كإيمان المؤمنين وإن زعم أنه مؤمن اهـ.

قوله: (الثابت الناسخ الخ) تفسير للحق الذي هو من حق الشيء ثبت، وعلى هذا يكون التركيب

الْمَكْتَبِ ﴿٢٩﴾ أَي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الْخَرَجُ الْمَضْرُوبُ عَلَيْهِمْ كُلِّ عَامٍ ﴿عَنْ يَدَيْهِمْ﴾ حَالُ أَي مُنْقَادِينَ أَوْ بِأَيْدِيهِمْ لَا يُوَكِّلُونَ لَهَا ﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾ أَذِلَّةٌ مُنْقَادُونَ لِحُكْمِ الْإِسْلَامِ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ﴾ عِيسَى ﴿أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ

من إضافة الموصوف لصفته . وأما كون الحق هنا من أسمائه تعالى ، فهو وإن قال به بعضهم لكنه لا يلاقي كلام هذا المفسر . وفي الخازن : يعني ولا يعتقدون صحة الإسلام الذي هو دين الحق . وقيل : الحق هو الله تعالى ، ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الإسلام بدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران : ١٩] وقيل : معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم اهـ .

قوله : ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ غَايَةُ فِي الْقِتَالِ ، وَالْمَرَادُ بِإِعْطَائِهَا التَّزَامُّهَا بِالْعَقْدِ ، وَإِنْ لَمْ يَجِءَ وَقْتُ دَفْعِهَا اهـ شَيْخُنَا .

قوله : (الخراج المضروب عليهم الخ) أي نظير كفنا القتال عنهم وكفنا عنهم من يعاديهم مأخوذة من المجازاة لكفنا عنهم ، وقيل : من الجزاء بمعنى القضاء قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة : ٤٨] أي لَا تَقْضِي اهـ خَطِيب .

قوله : (أي منقادين) تفسير للآزم المعنى ومآله ، وقوله : (أو بأيديهم) معطوف على حال فعن علي هذا بمعنى الباء فالظرف لغو والتفسير الثاني لا يوافق مذهب الشافعي من صحة توكيلهم في كل من عقدها ودفعها اهـ شَيْخُنَا .

وفي زاده : اليد قد تجعل كناية عن الانقياد ، يقال أعطى فلان بيده إذا سلم وانقاد ، لأن من أبي وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ، كأنه قيل : قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن طيب النفس وانقياد دون أن يكرهوا عليه ، فإذا احتيج في أخذها منهم إلى الإكراه لا يبقى عقد الذمة اهـ .

قوله : (لا يوكلون بها) أي فيها أي في عقدها ودفعها اهـ شَيْخُنَا .

قوله : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ إِنَّمَا قَالَه بَعْضُهُمْ مِنْ مُتَقَدِّمِيهِمْ أَوْ مِمَّنْ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ بِالتَّنْوِينِ أَي تَنْوِينِ الصَّرْفِ وَتَرْكِهِ قِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ ، فَالْأُولَى بِنَاءٌ عَلَى أَنَّهُ عَرَبِيٌّ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا عِلَّةٌ ، وَالثَّانِيَةُ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّهُ أَعْجَمِيٌّ فِيهِ الْعِلَّتَانِ وَعَلَى كُلِّ هُوَ مُبْتَدَأٌ ، وَابْنُ اللَّهِ خَبَرٌ ، فَلِذَلِكَ ثَبَتَ الْأَلْفُ فِي ابْنٍ لِأَنَّهُ لَا تَحْذُفُ مِنْهُ إِلَّا إِنْ كَانَ صِفَةً اهـ شَيْخُنَا وَفِي الْخَازِنِ .

وروى عطية الغوفي عن ابن عباس أنه قال : إِنَّمَا قَالَتِ الْيَهُودُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ عُزَيْرًا كَانَ فِيهِمْ ، وَكَانَتِ التَّوْرَةُ عَنْدهُمْ وَالتَّابُوتُ فِيهِمْ ، فَأَضَاعُوا التَّوْرَةَ وَعَمَلُوا بِغَيْرِ الْحَقِّ ، فَزَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ التَّابُوتَ وَأَتَسَاهَمُ التَّوْرَةَ وَمَسَحَهَا مِنْ صُدُورِهِمْ ، فَدَعَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَابْتَهَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ التَّوْرَةَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَصْطَلِي مُبْتَهِلًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَزَلَ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ فَدَخَلَ جَوْفَهُ فَعَادَتْ إِلَيْهِ ، فَأَذَّنَ فِي قَوْمِهِ وَقَالَ : يَا قَوْمُ قَدْ آتَانِي اللَّهُ التَّوْرَةَ وَرَدَّهَا عَلَيَّ فَعَلُّوا بِهِ يَعْلَمُهُمْ ، ثُمَّ مَكَثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ إِنْ التَّابُوتُ نَزَلَ بَعْدَ ذَهَابِهِ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا التَّابُوتَ عَرَضُوا مَا كَانَ يَعْلَمُهُمْ عُزَيْرٌ عَلَى مَا فِي التَّابُوتِ فَوَجَدُوهُ مِثْلَهُ ، فَقَالُوا : مَا أَوْتِيَ عُزَيْرٌ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : إِنْ بَخْتَنَصَرَ لِمَا غَزَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَظَهَرَ عَلَى بَنِي



قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿ لا مستند لهم عليه بل ﴾ يُضَكُّهُنَّ ﴿ يشابهون به ﴾ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن

إسرائيل، وقتل من قرأ التوراة، وكان عزيز إذ ذاك صغيراً فلم يقتله لصغره، فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيزاً ليجدد لهم التوراة، ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة سنة. قال: فأناه ملك بإناء فيه ماء فشرب منه، فمكثت التوراة في صدره، فلما أتاهم قال: أنا عزيز فكذبوه، وقالوا: إن كنت كما تزعم فاتل علينا التوراة، فكتبها لهم من صدره، ثم إن رجلاً منهم قال: إن أبي حدثني عن جدي، أن التوراة جعلت في خابية ودفتت في كرم، فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزيز فلم يجدوه غادر حرقاً، فقالوا إن الله لم يقذف التوراة في قلب عزيز إلا لأنه ابنه، فعند ذلك قالت اليهود عزيز ابن الله. فعلى هذين القولين إن هذا القول كان فاشياً في اليهود جميعاً، ثم أنه انقطع واندرس، فأخبرهم الله عنه وأظهرهم عليهم ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك، فإن خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من إنكارهم. وأما قول النصارى المسيح ابن الله، فكان السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة يصلون إلى القبلية، ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم قال بولص لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة، فإني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا، ثم أنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة، ووضع التراب على رأسه ثم أنه أتى إلى النصارى فقالوا له: من أنت. قال: أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء أنه ليست لك توبة حتى تنتصر، وقد تبت وأتيتكم، فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتاً فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل، ثم خرج وقال: قد نوديت إن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم، ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال اسم واحد نسطور، والآخر يعقوب، والآخر ملكان، فعلم نسطور أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة، وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان وأنه ابن الله، وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال، فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له: أنت خالصتي وادع الناس لما علمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني، وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة، فذهب واحد إلى الروم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس إليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس ففارقوا واختلفوا ووقع القتال، فكان ذلك سبب قولهم ﴿المسيح ابن الله﴾ اهـ.

قوله: ﴿بأفواههم﴾ فائدته مع أن القول لا يكون إلا بالفم الإعلام بأن ذلك مجرد قول لا أصل له مبالغة في الرد عليهم، كما أشار إليه الشيخ المصنف، لأن إثبات الولد للإله مع أنه منزّه عن الحاجة والشهوة والمضاجعة والمباذعة قول باطل ليس له تأثير في العقل، ونظيره قوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ [آل عمران: ١٦٧] اهـ كرخي.

قوله: ﴿يضاهون﴾ قرأ العامة يضاهون بضم الهاء بعدها واو، وقرأ عاصم بهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو، فقليل: هما بمعنى واحد وهو المشابهة، وفيه لغتان ضاهأت وضاهيت

قِيلَ ﴿مَنْ آبَائِهِمْ تَقْلِيداً لَهُمْ﴾ ﴿قَسَلَهُمْ﴾ لَعْنَهُمْ ﴿اللَّهُ أَتَى﴾ كَيْفَ ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ ﴿يَصْرَفُونَ﴾  
عن الحق مع قيام الدليل ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرَهْبَانَهُمْ﴾ عباد النصارى  
﴿أَرْكَبَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾

بالهمزة والياء، والهمزة لغة ثقيف. وقيل: الياء فرع عن الهمزة كما قالوا: قرأت وقرئت وتوضأت وتوضيت وأخطأت وأخطيت اهـ سمين.

وفي المصباح: ضاهاه مضاهأة مهموز عارضه وباراه، ويجوز التخفيف فيقال ضاهيته مضاهاة وهي مشاكلة الشيء بالشيء، وفي الحديث: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله» أي يغارضون بما يعملون، والمراد المصورون اهـ.

قوله: ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال قتادة والسدي: معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم، فقالوا ﴿المسيح ابن الله﴾، كما قالت اليهود عزيز ابن الله، وقال مجاهد: معناه يضاهون قول المشركين من قبل، لأن المشركين كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله، وقال الحسن: شبه الله كفر اليهود بكفر الذين مضوا من الأمم الخالية الكافرة، وقال القتيبي: يريد أن من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولهم اهـ خازن.

قوله: (تقليداً لهم) تعليل لقوله يضاهون. قوله: (لعنهم) ﴿اللَّهُ﴾ عبارة البيضاوي: قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك، فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم اهـ.

قوله: ﴿أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾ استفهام تعجب، وهذا التعجب راجع إلى الخلق، لأن الله تعالى لا يتعجب من شيء، ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم، فالله تعالى عجب نبيه ﷺ من تركهم الحق وإصرارهم على الباطل اهـ خازن.

قوله: ﴿اتَّخَذُوا﴾ أي اليهود والنصارى. قالوا: وواقعة على مجموع الفريقين، وقوله: أحبارهم راجع لليهود، وrehبانهم راجع للنصارى، فهو لف ونشر مرتب كما يستفاد من صنيع الشارح. قوله: ﴿أحبارهم﴾ في المختار. الحبر الذي يكتب به، وموضعه المحبرة بالكسر والتخبر أيضاً الأثر. وفي الحديث: «يخرج رجل من النار قد ذهب خبره وسبره». قال الفراء: أي لونه وهيشه، وقال الأصمعي: الجمال والبهاء وأثر النعمة: وتخجير الخط والشعر وغيرهما تحسينه، والحبر بالفتح الحبور وهو السرور وحبره أي سره وبابه نصر، وحبرة أيضاً بالفتح، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] أي يسرون وينعمون ويكرمون، والحبر بالفتح والكسر واحد أحبار اليهود والكسر أفصح، لأنه يجمع على أفعال دون فعول، وقال الفراء: هو بالكسر، وقال أبو عبيد: هو بالفتح، وقال الأصمعي: لا أدري أنه بالفتح أو بالكسر، وكعب الحبر بالكسر منسوب إلى الحبر الذي يكتب به، لأنه كان صاحب كتب، والحبرة كالعنبة برد يمانى والجمع حبر كعنب وحبرات بفتح الباء اهـ.

قوله: ﴿أَرْبَاباً﴾ أي كالأرباب جمع رب، وهو الإله وبين وجه الشبه بقوله: حيث اتبعوهم الخ اهـ شيخنا.

مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾ أَي بَأَن يَعْبُدُوا ﴿إِلَّهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شَرْعُهُ وَبِرَاهِينِهِ ﴿بِأَقْوَاهِمَ﴾ بِأَقْوَالِهِمْ فِيهِ ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَن يُنَمَّ﴾ يَظْهَرُ ﴿نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ بِعَلِيهِ

قوله: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ معطوف على أحبارهم، والمفعول الثاني بالنسبة إليه محذوف أي رباً، وهذا التقدير هو مقتضى السياق، لكن المراد به قولهم فيه إنه ابن الله أو أن الله حل في جسده. وعبرة الخازن: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ يعني اتخذه إلهاً، وذلك لأنهم لما اعتقدوا فيه النبوة والحلول اعتقدوا فيه الإلهية اهـ.

وانظر لم ثبتت الألف في ابن هنا مع أنه صفة بين علمين لأن المسيح لقب، وهو من أقسام العلم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أمروا﴾ أي والحال. قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ صفة ثانية لإلهها أو استئناف مقرر للتوحيد اهـ كرخي.

قوله: ﴿أن يطفئوا﴾ أي ليطفئوا نور الله. قوله: (شرعه وبراهينه) يشير إلى أن المراد بنور الله سبحانه وتعالى شرائعه التي من جملتها ما خالفوه من أمر الحل والحرمة، وبراهينه حججه النيرة الدالة على وحدانيته وتنزيهه عن الشركاء والأولاد، وسميت الدلائل نوراً لأنه يهتدى به إلى الصواب اهـ كرخي. كما يهتدى بالنور إلى المحسوسات.

وفي الخازن: يعني يريد هؤلاء إبطال دين الله الذي جاء به محمد ﷺ بتكذيبهم إياه. وقيل: المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته ﷺ وهي أمور، أحدها: المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي ﷺ الدالة على صدقه. وثانيها: القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الأبد دالة على صدقه. وثالثها: أن دينه الذي أمر به وهو دين الإسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لأمره ونهيه، واتباع طاعته، والأمر بعبادته والتبري من كل معبود سواه، فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد ﷺ، فمن أراد إبطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله اهـ.

قوله: (بأقوالهم) أي قولهم إنه زور وبهتان اهـ خازن.

قوله: ﴿إلا أن يتم﴾ (يظهر) ﴿نوره﴾ أي دينه باعلاء كلمته، وإنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما أشير إليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى: ﴿يريدون﴾، وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الإرادة أي لا يريد شيئاً من الأشياء إلا إتمام نوره، فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلاً عن الإطفاء اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولو كره الكافرون﴾ جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه اهـ بيضاوي.

والتقدير: ولو كره الكافرون تمام نوره لأتمه ولم يبال بكرهاتهم اهـ شهاب.

﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك ﴿يَتَّبِعُوا الَّذِينَ﴾  
 ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كالرشا في

وفي أبي السعود: جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة معطوفة على جملة قبلها  
 مقدرة، وكلتاها في موضع الحال أي: لا يريد الله إلا إتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه  
 أي: على كل حال مفروضة، وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً للدلالة الثانية عليها دلالة  
 واضحة، لأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى، وعلى هذا السر يدور ما في أن  
 ولو الوصليتين من التأكيد اهـ.

وكذا يقال فيما بعده، وقوله: ذلك أي إتمام نوره.

قوله: ﴿بالهدى﴾ أي القرآن الذي هو هدى للمتقين اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿ودين الحق﴾ أي الإسلام، وفائدة ذكره مع دخوله في الهدى قبله بيان شرفه وتعظيمه  
 كقوله: ﴿والصلاة والوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨] اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليظهره﴾ (يعليه الخ) قال ابن عباس: الهاء في ليظهره عائدة على الرسول ﷺ، والمعنى  
 ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها، حتى لا يخفى عليه شيء منها. وقال غيره من المفسرين: إنها  
 راجعة إلى الدين الحق، والمعنى: ليظهر دين الإسلام على الأديان كلها، وهو أن لا يعبد الله إلا به.  
 قال أبو هريرة والضحاك: هو ذلك عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا  
 في الإسلام، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث نزول عيسى  
 عليه الصلاة والسلام. قال النبي ﷺ: «وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام» اهـ خازن.

قوله: (جميع الأديان المخالفة له) أي بنسخه لها حسبما تقتضيه الحكمة، والجملة بيان وتقرير  
 لمضمون الجملة السابقة، ووصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على أنهم غلبوا الكفر بالرسول  
 إلى الكفر بالله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولو كره المشركون﴾ (ذلك) أي الاظهار. وهذا آخر الآيات التي أمر علي بالتأذين بها في  
 موسم الحج؛ تأمل.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ شروع في بيان حال الأحبار والرهبان في اغوائهم لأراذلهم إثر  
 بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أرباباً يطيعونهم في الأوامر والنواهي، واتباعهم لهم فيما يأتون  
 وما يذرون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن كثيراً من الأحبار والرهبان﴾ قد تقدم معنى الأحبار والرهبان، والأحبار من اليهود،  
 والرهبان من النصارى، وفي قوله: ﴿إن كثيراً﴾ دليل على أن الأقل من الأحبار، والرهبان لم يأكلوا  
 أموال الناس بالباطل، ولعلمهم الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ، وعبر عن أخذ الأموال بالأكل في  
 قوله: ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾، لأن المقصود الأعظم من جمع المال الأكل، فسمي الشيء  
 باسم ما هو أعظم مقاصده. واختلفوا في هذا السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل، فقيل:

الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْتَنُزُونَ﴾ الذهب

إنهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الأحكام، وقيل: إنهم كانوا يكتبون بأيديهم كتباً يحرفونها ويبدلونها، ويقولون هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً وهي المأكَل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي ﷺ وصفته من كتبهم، لأنهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المأكَل. وقيل: إن التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي ﷺ، وكان الأخبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوهاً فاسدة باطلة، ويحرفون معانيها طلباً للرياسة وأخذ الأموال ومنع الناس عن الإيمان به، وذلك قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (يأخذون) أي فَعَبَر عن أخذ الأموال بالأكل، لأن المقصود الأعظم من جمع الأموال الأكل، فسمي الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده اهـ كرخي.

قوله: (كالرشا) بضم الراء وكسرهما، وعلى كل هو مقصور جمع رشوة بضم الراء على الأول وكسرهما على الثاني، وأما رشا بالكسر مع المد فهو حبل الاستقاء مثلاً وجمعه أرشية ككساء وأكسية اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الرشوة مثلثة الجعل اهـ.

قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في دين الإسلام اهـ خازن.

قوله: ﴿يَكْتَنُزُونَ﴾ أي يجمعون ويدفنون كما هو الغالب، فعطف ولا ينفقونها مغاير أو لا يخرجون زكاتها فعطفه تفسير وقد جرى عليه الشارح كما ترى اهـ شيخنا.

وفي المصباح: كنزت المال كنزاً من باب ضرب جمعته وادخرته، وكنزت التمر في وعائه كنزاً أيضاً وهذا زمن الكناز، قال ابن السكيت: لم يسمع إلا بالفتح. وحكى الأزهري كنزت التمر كنزاً وكنازاً بالفتح والكسر، والكنز المال المدفون معروف تسمية بالمصدر والجمع كنوز مثل: فلس وفلوس، واكتنز الشيء اكتنازاً اجتمع وامتلأ اهـ.

قوله أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفُضَّةَ﴾ أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه، ومال مكنوز أي مجموع، واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة، فقيل: هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان، لأن الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل، ثم وصفهم بالبخل الشديد، وهو جمع المال ومنع إخراج الحقوق الواجبة فيه. وقال ابن عباس والسدي: نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين، وذلك أنه لما ذكر فتح طريقة الأخبار والرهبان في الحرص على أخذ الأموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك، وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله ومنه. وقال أبو ذر: نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين، ووجه هذا القول أن الله وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ المال بالباطل، ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين. روى مسلم عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة، فإذا أبو ذر فقلت له: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: كنت في الشام فاختلفت أنا

وَالْفُضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا ﴿٣٤﴾ أَي الْكَنُوزِ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي لَا يُوَدُّونَ مِنْهَا حَقَّهُ مِنَ الزَّكَاةِ وَالْخَيْرِ ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أَخْبِرْهُمْ ﴿بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾ ﴿٣٥﴾ مَوْلَم ﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ﴾ تَحْرُق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وَتَوْسَعُ جُلُودَهُمْ حَتَّى تَوْضَعَ عَلَيْهَا كُلُّهَا وَيَقَالُ لَهُمْ ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ أَي جَزَاءَهُ ﴿إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ﴾ الْمَعْتَدَ بِهَا لِلْسَّنَةِ ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا﴾ أَي

ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفُضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقُلْتُ أَنَا نَزَلَتْ فِينَا وَفِيهِمْ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَلِكَ كَلَامٌ، فَكُتِبَ إِلَى عُثْمَانَ يَشْكُونِي فَكُتِبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ أَنْ أَقْدِمَ الْمَدِينَةَ فَقَدِمْتُهَا، فَازْدَحَمَ عَلَيَّ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرُونِي قَبْلَ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُثْمَانَ فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ تَنْحِيتُ فَكُنْتُ قَرِيبًا مِنَّا، فَهَذَا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا الْمَنْزَلَ، وَلَوْ أَمَرُوا عَلِيَّ عَبْدًا حَبِشِيًّا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ أَهْ خَازِنَ.

قوله: (أَي الْكَنُوزِ) أَي الْمَدْلُولُ عَلَيْهَا بِالْفِعْلِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْجَوَابِ عَمَّا قِيلَ: الْمَذْكُورُ شَيْثَانُ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ، فَكَيْفَ أَفْرَدَ الضَّمِيرَ، وَإِضَاحُهُ أَنَّ الْمَكْنُوزَ أَعْمُ مِنَ النَّقْدَيْنِ، وَغَيْرَهُمَا، فَلَمَّا ذَكَرَ الْجُزْءَ دَلَّ عَلَى الْكُلِّ فَعَادَ الضَّمِيرَ جَمْعًا بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ أَهْ كَرَحِي.

قوله: (حَقُّهُ) أَي اللَّهُ. قوله: ﴿بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ الْخ.

قوله: ﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا﴾ مَنْصُوبٌ بِقَوْلِهِ بِعَذَابِ الْيَمِّ وَقِيلَ: بِمَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ عَذَابُ: أَي يَعْذِبُونَ يَوْمَ يَحْمَى أَوْ أَذْكَرُ يَوْمَ يَحْمَى، وَيَحْمَى يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حِمَيْتٍ وَأُحِمِّيتٍ ثَلَاثِيًّا هَوْبَاعِيًّا. يُقَالُ: حِمَيْتِ الْحَدِيدَةَ وَأُحِمِّيتُهَا أَي أَوْقَدْتَ عَلَيْهَا لَتَحْمَى، وَالْفَاعِلُ الْمَحْذُوفُ هُوَ النَّارُ تَقْدِيرُهُ يَوْمَ تَحْمَى النَّارُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا حُذِفَ الْفَاعِلُ ذَهَبَتْ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ لَذَهَابِهِ كَقَوْلِهِ: رَفَعْتَ الْقِصَّةَ إِلَى الْأَمِيرِ، ثُمَّ تَقُولُ: رَفَعَ إِلَى الْأَمِيرِ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى يَحْمَى الْوَقُودُ، وَقُرَأَ الْحَسَنُ تَحْمَى بِالتَّاءِ مِنْ فَوْقُ وَهِيَ تَوْيِدُ التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ أَهْ سَمِينُ.

قوله: ﴿جِبَاهُهُمْ﴾ الْمُرَادُ بِهَا جِهَةُ الْأَمَامِ كُلُّهَا بِدَلِيلِ الْمُقَابَلَةِ أَهْ شَيْخُنَا.

قوله: (وَتَوْسَعُ جُلُودَهُمُ الْخ) عِبَارَةُ الْخَازِنِ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَا يَوْضَعُ دِينَارٌ عَلَى دِينَارٍ وَلَا دِرْهَمٌ عَلَى دِرْهَمٍ، وَلَكِنْ يَوْسَعُ جُلْدُهُ حَتَّى يَوْضَعَ كُلُّ دِينَارٍ وَدِرْهَمٍ فِي مَوْضِعٍ عَلَى حَدَثِهِ أَهْ. وَقَوْلُهُ: حَتَّى تَوْضَعَ عَلَيْهَا أَي بَعْدَ جَعْلِهَا صَفَائِحَ مِنْ نَارِ أَهْ بِيضَاوِي.

قوله: (أَي جَزَاؤُهُ) أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّهُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، لِأَنَّ الْمَكْنُوزَ لَا يَذَاقُ، وَمَا بِمَعْنَى الَّذِي وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُصَدِّرِيَّةٌ أَي وَبَالَ كَوْنِكُمْ تَكْتَزُونَ. وَالْآيَةُ عَامَةٌ أَهْ كَرَحِي.

قوله: (الْمَعْتَدُ بِهَا لِلْسَّنَةِ) أَي لِحِسَابِهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ كَمَا سَيَأْتِي فِي كَلَامِهِ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَرَبَمَا جَعَلُوهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَوْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ لِيَتَسَعَ لَهُمُ الْوَقْتُ أَهْ كَرَحِي.

قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي فِي حُكْمِهِ لَا بِإِبْتِدَاعِ النَّاسِ أَهْ كَرَحِي.

قوله: ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وَهَذِهِ شُهُورُ السَّنَةِ الْقَمَرِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى سِيرِ الْقَمَرِ فِي الْمَنَازِلِ،

الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ محرمة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ذَلِكَ﴾ أي تحريمها ﴿الَّذِينَ الْقَتَلُوا﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَنْظِلُوا فِيهِنَّ﴾ أي الأشهر الحرم ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي فإنها فيها أعظم وزراً وقيل في الأشهر كلها ﴿وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ جميعاً في كل الشهور ﴿كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ وأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ بالعون والنصر ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أي التأخير لحرمة

وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم، وأيام هذه الشهور ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوماً والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم، فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام، فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية، فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف اهـ خازن.

قوله: ﴿في كتاب الله﴾ صفة لاثني عشر، وقوله: ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾ متعلق بما تعلق به الظرف قبله من معنى الثبوت والاستقرار وبالكتاب إن جعل مصدراً، والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة اهـ بيضاوي.

قوله: (محرمة) أي محترمة، وذلك لأن العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى ان أحدهم لو لقي قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه في هذه الأربعة أشهر لم يزعجه، ولما جاء الإسلام لم يزيدها إلا حرمة وتعظيماً، ولأن الحسنات والطاعات فيها تتضاعف، وكذلك السيئات أيضاً أشد فيها من غيرها فلا يجوز انتهاكها اهـ خازن.

قوله: ﴿كافة﴾ مصدر في موضع الحال من ضمير الفاعل في قاتلوا أو من المفعول وهو المشركين ومعناه جميعاً ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخله أل، ولا يتصرف فيه بغير الحال اهـ كرخي.

قوله: (في كل الشهور) أخذه من قاعدة أن عموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال والأزمنة والبقاع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنما النسيء﴾ في النسيء قولان، أحدهما: أنه مصدر على فعيل من أنسا أي أخر، كالنذير من أنذر، والتكثير من أنكر، وهذا ظاهر قول الزمخشري. والثاني: أنه فعيل بمعنى مفعول من نساه أي أخره، فهو منسوء ثم حول مفعول إلى فعيل، كما حول مقتول إلى قتل، وإلى ذلك نحا أبو حاتم. وقرأ الجمهور النسيء بهمزة بعد الباء وقرأ ورش عن نافع النسى بابتداء الهمزة ياء وادغام الباء فيها: ورويت هذه عن أبي جعفر والزهري وحيد، وذلك كما خففوا بريئة وخطيئة. وقرأ السلمي وطلحة والأشهب إنما النسء باسكان السين، وقرأ مجاهد والسلمي وطلحة أيضاً النسوء بزنة فعول بفتح الفاء وهو التأخير، وفعل في المصادر قليل قد تقدم منه ألفاظ في أوائل البقرة اهـ سمين.

وفي المختار: والنسيئة كالفعلية التأخير، وكذا النساء بالفتح والمد التأخير، والنسيء في الآية فعيل بمعنى مفعول من قولك نساه من باب قطع أي أخره فهو منسوء، فحول منسوء إلى نسيء كما حول مقتول إلى قتل، والمراد تأخيرهم حرمة المحرم إلى صفر اهـ.

شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هلّ وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿يُدْرِكُ الَّذِي كُنُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله : (كما كانت الجاهلية تفعله الخ) عبارة الخازن : وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها ، وكانت عامة معاش العرب من الصيد والغارة ، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، وربما وقعت حروب في بعض الأشهر الحرم ، فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الأشهر الحلال ، فنسؤوا يعني آخروا تحريم شهر إلى شهر آخر ، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر ، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر آخروه إلى ربيع الأول ، وكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهراً بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، وكذلك باقي شهور السنة ، فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع ذا القعدة ، ثم حج رسول الله ﷺ في العام المقبل حجة الوداع ، فوافق حجه في شهر ذي الحجة ، وهو شهر الحج المشروع ، فوقف بعرفة في اليوم التاسع ، وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى ، وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان ، وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق السموات والأرض وهو قوله ﷺ : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض» الحديث المتقدم ، وأمرهم بالمحافظة على ذلك لثلاث يتبدل في مستأنف الأيام ، انتهت .

قوله : (إذا هلّ وهم في القتال) أي وهم راغبون في القتال ومريدون له . وعبارة شرح المواهب : وذلك أنهم كانوا يستحلون القتال في المحرم لطول مدة التحريم بتوالي ثلاثة أشهر حرم ، ثم يحرمون صفرًا مكانه ، فكانهم يقتضونه ثم يوفونه اهـ .

وفي المصباح : وأهل الهلال بالبناء للمفعول وللفاعل أيضاً ، ومنهم من يمنعه ، واستهل بالبناء للمفعول ، ومنهم من يجيز بناء للفاعل ، وهل من باب ضرب لغة إذا ظهر وأهلنا الهلال واستهللناه رفعنا الصوت برؤيته اهـ .

قوله : (لكفرهم بحكم الله فيه) أي حيث يجحدون تحريم القتال في المحرم ويثبتونه في صفر اهـ شيخنا .

وفي الشهاب : يعني أنهم لما توارثوه على أنه شريعة ثم استحلوه كان ذلك مما يعد كفراً اهـ .

وقوله : بحكم الله فيه أي النسيء اهـ .

قوله : (بضم الياء) أي مع فتح الضاد مبنياً للمفعول أو مع كسرهما مبنياً للفاعل ، لكن الأولى سبعة ، والثانية ليعقوب من العشرة ، وقوله وفتحها أي مع كسر الضاد مبنياً للفاعل ، وهذه سبعة فالقراءات ثلاث ، اثنتان سبعيتان ، وواحدة من طريق العشرة اهـ شيخنا .

قوله : ﴿يحلونه عاماً﴾ فيه وجهان ، أحدهما : أن الجملة تفسيرية للضلال . الثاني : أنها جالية اهـ .



أي النسيء ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِّئُوا﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةً﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها ﴿فِيحِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ونزل لما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم ﴿يَتَأْتِيهَا الْذَّبِكُ﴾

قوله: (أي النسيء) المراد به هنا اسم المفعول أي المنسوء أي المؤخر وهو تحريم بعض الشهور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لِيُوَاطِّئُوا﴾ في هذا الكلام وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بيحرمونه، وهذا مقتضى مذهب البصريين، فإنهم يعملون الثاني من المتنازعين. والثاني: أنها تتعلق بيجلونها، وهذا مقتضى مذهب الكوفيين، فإنهم يعملون الأول لسبقه، وقول من قال إنها متعلقة بالفعلين معاً فإنما يعني من حيث المعنى لا اللفظ اهـ سمين.

قوله: (إلى أعيانها) أي الأربعة الأشهر التي حرمها الله تعالى. قوله: ﴿زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ﴾ قال ابن عباس: زين لهم الشيطان هذا العمل اهـ خازن.

قوله: (إلى غزوة تبوك) وذلك في رجب في السنة التاسعة بعد رجوعه من الطائف، وتبوك مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، وبعضهم يصرفه على إرادة الموضع، فقد جاء في البخاري مصروفاً وممنوعاً من الصرف. وقوله: (وكانوا في عسرة) أي قحط وضيق عيش حتى كان الرجلان يجتمعان على ثمرة واحدة. وقوله: (وشدة حر) حتى كانوا يشربون الفرت. وقوله: (فشق عليهم) أي شق عليهم الخروج للقتال في هذه الحالة فتخلف منهم عشر قبائل اهـ شيخنا.

ويقال لها غزوة العسرة، ويقال لها الفاضحة، لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين، وكان في رجب سنة تسع من الهجرة، وحج أبو بكر بعده في ذي القعدة، وسببها ما بلغ رسول الله ﷺ من أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام، وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء، وكان ﷺ قليلاً ما يخرج في غزوة إلا ورى عنها غيرها، إلا ما كان من غزوة تبوك، وذلك لبعد المسافة وشدة الزمان وكثرة العدو ليأخذ الناس أهبتهم، فأمرهم بالجهاد وبعث إلى مكة وقبائل العرب وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله وهي آخر غزواته. وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فجهز عشرة آلاف، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الإبل والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس وغير الزاد، وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية. وأنفق غيره من الأغنياء، وأول من جاء بالنفقة أبو بكر، فجاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء ابن عوف بمائة أوقية، وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة، وبعث النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن. فلما تجهز رسول الله ﷺ بالناس وهم ثلاثون ألفاً، وقيل: أربعون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، وكان الخيل عشرة آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل: علي بن أبي طالب، وتخلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين بعد أن خرجوا إلى ثنية الوداع متوجهاً إلى تبوك. وعقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم

ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ: «بَادِغَامِ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الْمَثَلَةِ وَاجْتِلَابِ هَمْزَةِ الْوَصْلِ أَيْ تَبَاطُاتِم مَوْلَتُم عَنِ الْجِهَادِ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ وَالْقَعُودُ فِيهَا وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وَلِذَاتِهَا ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أَيْ بَدَلَ نَعِيمِهَا ﴿فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

لأبي بكر، ورايته العظمى للزبير، وراية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحباب بن المنذر، ودفع لكل بطن من الأنصار ومن قبائل العرب لواء وراية، ولما نزلوا بتيوك وجدوا عينها قليلة الماء، فاعترف رسول الله ﷺ غرفة من مائها فمضمض بها فاه، ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وارتووا هم وخيلهم. وركابهم، وأقام بتيوك بضع عشرة ليلة، وقيل: عشرين ليلة، فأناه يحنه بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء تأنيث ابن رؤبة بضم الراء فهزمة ساكنة فموحدة صاحب إيلة، وأهدى له بغلة بيضاء، فكساه النبي زداء وصالحه على إعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الإسلام، فلم يسلم وكتب له ولأهل إيلة كتاباً تركه عندهم ليعملوا به. وقد استشار أصحابه في مجاوزة تيوك وأشاروا عليه بعدم مجاوزتها، فانصرف هو والمسلمون راجعين إلى المدينة، ولما دنا من المدينة تلقاه الذين تخلفوا، فقال لأصحابه: لا تكلموا رجلاً منهم ولا تجالسوهم حتى أذن لكم، فأعرض عنهم والمسلمون حتى أن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه إلى آخر ما في القصة اهـ من سيرة الحلبي.

قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ ما مبتدأ ولكم خبر، وقوله: أناقلتم حال، وقوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ ظرف لهذه الحال مقدم عليها، والتقدير أي شيء ثبت لكم من الأعذار حال كونكم متناقلين في وقت قول الرسول لكم انفروا. أي: اخرجوا في سبيل الله اهـ شيخنا.

يقال: استنفر الإمام الناس إذا حثهم على الخروج إلى الجهاد ودعاهم إليه، ومنه قوله ﷺ: ﴿إِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانفَرُوا﴾ والاسم النفير اهـ خازن.

قوله: (واجتلاب همزة الوصل) فأصله تناقلتم، فأبدلت ثاء ثم أدغمت في الثاء ثم اجتلبت همزة الوصل توصلاً للنطق بالسكان اهـ شيخنا.

قوله: (وملتم عن الجهاد) قدره ليعلق به قوله ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾. أي: أرضكم. قال البيضاوي: كأنه ضمن أناقلتم معنى الإخلاد والميل فعدى إلى اهـ كرخي.

قوله: (والقعود فيه) أي الإقامة وعدم السفر اهـ شيخنا.

قوله: (والاستفهام للتوبيخ) أي مع النفي. قوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ استفهام توبيخ وتعجيب اهـ.

قوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ متعلق بمحذوف من حيث المعنى. تقديره: فما متاع الحياة الدنيا محسوباً في الآخرة، فمحسوباً حال من متاع. وقال الحوفي: إنه متعلق بقليل وهو خير المبتدأ، قال: وجاز أن يتقدم الظرف على عامله المقرون بالأل لأن الظروف تعمل فيها روائح الأفعال، ولو قتل ما زيد إلا عمراً يضرب لم يجز اهـ سمين.

جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٣٨﴾ حقير ﴿إِلَّا﴾ بادغام لا في نون إن الشرطية في الموضعين ﴿تَنفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يأتي بهم بدلكم ﴿وَلَا تَصْرُوهُ﴾ أي الله أو النبي ﷺ ﴿شَيْئًا﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ ومنه نصر دينه ونبيه ﴿إِلَّا تَصْرُوهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة أي الجأوه إلى الخروج لما أرادوا

قوله: ﴿في﴾ (جنب متاع) ﴿الآخرة﴾ أي بالنسبة لمتاع الآخرة أي بالقياس عليه، ففي هذه تسمى قياسية اهـ شهاب.

قوله: (حقير) أي لأن لذات الدنيا خسيصة في نفسها ومشوبة بالآفات والبلبات ومنقطعة عن قرب لا محالة، ومنافع الآخرة شريفة عالية خالصة عن كل الآفات دائمة أبدية سرمدية، وذلك يوجب القطع بأن متاع الدنيا في جنب متاع الآخرة قليل اهـ كرخي.

قوله: (بادغام لا) أي بادغام لام لا، وقوله: في نون إن الشرطية في العبارة قلب، والأصل بادغام نون إن الشرطية في لام لا، وقوله: في الموضعين أحدهما هذا والآخر قوله: ﴿إِلَّا تَصْرُوهُ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني في الآخرة، لأن العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة. وقيل: إن المراد به احتباس المطر في الدنيا. قال جنادة بن نفع: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء العرب فتناقلوا، فأمسك الله عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم. وقال الحسن وعكرمة: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ [التوبة: ١٢٢] وقال الجمهور: هذه الآية محكمة لأنها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله ﷺ فلم ينفروا، كما نقل عن ابن عباس، وعلى هذا التقدير فلا نسخ اهـ خازن.

قوله: ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ يعني خيراً منكم وأطوع. قال سعيد بن جبير: هم أبناء فارس. وقيل: هم أهل اليمن، وفيه تنبيه على أن الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه ﷺ وإعزاز دينه، فإن سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنفروا حصلت النصره بهم، ووقع أجرهم على الله عز وجل، وإن تناقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصره بغيرهم وحصلت العتبي لهم، ولثلا يتوهموا أن إعزاز رسول الله ﷺ ونصرته لا تحصل إلا بهم، وهو قوله: ﴿ولا تضره شيئاً﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (ومنه نصر دينه) أي: ولو من غير واسطة.

قوله: ﴿إِلَّا تَصْرُوهُ﴾ تقدم للشارح أن إن هذه شرطية مدغمة في لام لا النافية اهـ شيخنا.

وهذا خطاب لمن تناقل عن الخروج معه إلى تبوك، فأعلم الله عز وجل أنه هو المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه وإعلاء كلمته أعانوه ولم يعينوه، وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد اهـ خازن.

وجواب الشرط محذوف تقديره فسينصره الله، وقوله: ﴿فقد نصره الله﴾ الخ تعليل لهذا

قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِيَانِ﴾ حال أي أحد اثنين والآخر أبو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هُمَا فِي الْفَكَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثان ﴿يَقُولُ لِمَنْ يُرِيدُ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿وَأَيَّدُوهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿يُجْنَوْنَ لَمْ

المحذوف، ولا يصلح جواباً لأنه ماض لما علمت أن غزوة تبوك في التاسعة، وقوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ قبلها بكثير كما لا يخفى اهـ شيخنا.

وفي السمين: هذا الشرط جوابه محذوف لدلالة قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ عليه، والتقدير إلا تنصروه فسينصره الله. وذكر الزمخشري: وفيه وجهين، أحدهما: ما تقدم. والثاني: قال إنه أوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت، فلن يخذله من بعد. قال الشيخ: وهذا لا يظهر منه جواب الشرط، لأن إيجاب النصرة له أمر سبق والماضي لا يترتب على المستقبل، فالذي يظهر الوجه الأول اهـ.

قوله: (بدار الندوة) متعلق بأرادوا، وتقدم إيضاح هذا في سورة الأنفال في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثَانِيَانِ﴾ (حال) أي نصب ثاني على الحال من الهاء في أخرجته. تقديره: إذا أخرجته الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر اهـ كرخي.

قوله: (بدل من إذ قبله) أي يفرض زمن إخراجهم ممتداً بحيث يصدق على زمن استقرارهما في الغار، وزمن القول المذكور. فالبدل في هذا وما بعده بدل بعض من كل، ولا بد من هذا التكلف لتصح البدلية، وإلا فزمن الإخراج مبين لزمن حصولهما في الغار. إذ بين الغار ومكة مسيرة ساعة اهـ شيخنا عن البيضاوي.

قوله: ﴿فِي الْغَارِ﴾ يجمع على غيران مثل تاج وتيجان وقاع وقيعان، والغار أيضاً نبت طيب الريح، والغار أيضاً الجماعة، والغاران البطن والفرج وألف الغار منقلبة عن واو اهـ سمين.

قوله: (لو نظر أحدهم) مقول القول. قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ مقول قول النبي، وكان الصديق قد حزن على رسول الله ﷺ لا على نفسه، فقال له: يا رسول الله إذا مت أنا فأنا رجل واحد، وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (بنصره) المراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شيء من الحزن اهـ كرخي.

قوله: (قيل على النبي) أي فالمراد بها ما لا يحوم حولها شائبة الحزن أصلاً كما سيأتي إيضاحه. وقوله: وقيل على أبي بكر إذ هو المتزعج وهو ما عليه ابن عباس، وأكثر المفسرين، فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة والطمأنينة، لأنه قد علم أنه لا يضره شيء إذا كان خروجه بإذن الله اهـ كرخي.

تَرَوْهَا ﴿مَلَائِكَةٌ فِي الْغَارِ وَمَوَاطِنَ قِتَالِهِ﴾ ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي دعوة الشرك ﴿الْشُّكْلُ﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ أي كلمة الشهادة ﴿هِيَ الْكَلِمَةُ﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ نشاطاً وغير نشاط وقيل

قوله: (ملائكة في الغار) أي يحرسونه ويسكنون روعه ويصرفون أبصار الكفار عنه، وقوله: ومواطن قتاله الواو بمعنى أو إذ هما تفسيران. وعلى الأول يكون قوله: وأيده معطوفاً على قوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾، وعلى الثاني يكون معطوفاً على فقد نصره الله اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وأيده بجنوده لم تروها يعني وأيد النبي ﷺ بإنزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، وقيل: ألقى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانه بالملائكة يوم بدر، وأخبر الله تعالى أنه نصره وصرف عنه كيد الأعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره الملائكة يوم بدر اهـ.

قوله: (أي دعوة الشرك) أي دعاء أهله الناس إليه أو المراد بها كل ما يدل على الشرك، كقولهم: الله ثالث ثلاثة، أو المراد بها عقيدة الشرك، أي الشرك المعتقد أي الكفر مطلقاً بسائر أنواعه أقوال للمفسرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا﴾ الجمهور على رفع كلمة على الابتداء، وهي يجوز أن تكون مبتدأً ثانياً، والعليا خبرها، والجملة خبر للأول، ويجوز أن تكون هي فصلاً، والعليا الخبر، وقرئ كلمة الله بالنصب نسقاً على مفعول جعل أي: وجعل كلمة الله هي العليا قاله أبو البقاء اهـ سمين.

قوله: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ يعني انفروا على الصفة التي يخفف عليكم الجهاد فيها، وعلى الصفة التي يثقل عليكم الجهاد فيها، وهذان الوصفان يدخل تحتها أقسام كثيرة، فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيهما، فقال الحسن، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة: يعني شباباً وشيوخاً، وقال ابن عباس: نشاطاً وغير نشاط. وقال عطية العوفي: ركبناً ومشاة، وقال أبو صالح: خفافاً من المال يعني فقراء وثقلاً يعني أغنياء، وقال ابن زيد: الخفيف الذي لا ضيعة له، والثقل الذي له ضيعة يكره أن يفرغ ضيعته.

ويروى عن ابن عباس قال: خفافاً أهل الميسرة من المال، وثقلاً أهل العسرة، وقيل: خفافاً يعني من السلاح مقلين منه، وثقلاً يعني مستكثرين منه، وقيل: مشاغيل وغير مشاغيل، وقيل: أصحاب مرضى، وقيل: عزاباً ومتأهلين، وقيل: خفافاً من الحاشية والأنباع، وثقلاً يعني مستكثرين منهم، وقيل: مسرعين في الخروج إلى الغزو ساعة سماع النفر وثقلاً يعني بعد التروي فيه والاستعداد له، والصحيح أن هذا عام، لأن هذه الأحوال كلها داخلية تحت قوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾. يعني على أي حال كنتم فيها.

فإن قلت: فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزمّن والفقير والغني وليس كذلك، فما معنى هذا الأمر؟ قلت: من العلماء من حمّله على الوجوب ثم إنه نسخ. قال ابن عباس: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً﴾ [التوبة: ١٢٢] الآية. وقال السدي نسخت بقوله الفتوحات الإلهية ج ٣/ ١٧م

أَقْوِيَاءَ وَضَعْفَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ وَهِيَ مَنسُوخَةٌ بآيَةٍ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٤١ أنه خير لكم فيه تشارطوا. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهلاً للناخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لَا تَبْعُوكُ﴾ طلباً للغنيمة ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَحَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾

تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾ [التوبة: ٩١] الآية ومنهم من حمل هذا الأمر على الندب. قال مجاهد: إن أبا أيوب الأنصاري شهد بدماء والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده، فقبل له في ذلك فقال: سمعت الله عز وجل يقول ﴿انضربوا خفافاً وثقالاً﴾، ولا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً. وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب وقلده ذهب إحدى عينيه، فقبل له: إنك عليل صاحب ضر فقال: استنفر الله الخفيف والثقل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع. وقال صفوان بن عمرو: كنت والياً على حمص فلقيت شيخاً قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت له: يا عم أنت معذور عند الله، فرفع حاجبيه وقال: يا ابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً إلا أنه من يحبه يبتله، والصحيح القول الأول، وأنها منسوخة ولأن الجهاد من فروض الكفايات، ويدل عليه أن هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك، وأن النبي ﷺ خلف في المدينة في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال، فدل ذلك على أن الجهاد من فروض الكفايات ليس على الأعيان والله أعلم اهـ خازن.

قوله: (نشاطاً) جمع نشيط ككرام وكريم اهـ شيخنا.

قوله: (وهي منسوخة) أي على القولين الأخيرين، وأما على الأول فلا نسخ كما لا يخفى، ومحل النسخ قوله: ﴿وثقالاً﴾، وأما خفافاً فلا نسخ فيه على كل قول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي المذكور من الأمرين وهما قوله انفروا وجاهدوا اهـ.

قوله: (الذين تخلفوا) أي عن غزوة تبوك.

قوله: ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ المعنى لو كان العرض قريباً والغنيمة سهلة والسفر قاصداً لا تبعوك طمعاً في تلك المنافع التي تحصل لهم، ولكن لما كان السفر بعيداً وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم تخلفوا لهذا السبب. والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها، يقال: الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر اهـ خازن.

قوله: (ما دعوتهم إليه) أي من الغزو فاسم كان محذوف. قوله: (وسطاً) أي بين القريب والبعيد. قوله: ﴿الشقة﴾ أي المسافة التي تقطع بمشقة، فكان على الشارح زيادة هذا الوصف اهـ فهي مشتقة من المشقة كما في السمين.

قوله: ﴿وسيحلفون بالله﴾ أتى بالسين لأنه من قبيل الإخبار بالغيب، فإن الله أنزل هذه الآية قبل رجوعه من تبوك اهـ شيخنا.

بالحلف الكاذب ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ذلك وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهد منه فنزل عتاباً له وقدم العفو تظميناً لقلبه ﴿عَفَاَ اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ في التخلف وهلا تركتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العذر ﴿وَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿لَا يَسْتَنْزِلُكَ الَّذِينَ

وفي أبي السعود: وسيحلفون أي المتخلفون عن الغزو وقوله: ﴿بالله﴾ إما متعلق بيحلفون أو هو من جملة كلامهم، والقول مراد على الوجهين أي سيحلفون بالله اعتذاراً عنه قائلين ﴿لو استطعنا﴾ أو سيحلفون قائلين بالله ﴿لو استطعنا﴾ الخ أي: لو كان لنا استطاعة من جهة العدة أو من جهة الصحة أو من جهتهما جميعاً حسبما عن لهم من الكذب والتعلل، وعلى كلا التقديرين فقوله تعالى: ﴿لخرجنا معكم﴾ ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعاً، أما على الثاني فظاهر، وأما على الأول فلأن قولهم لو استطعنا في قول الله تعالى ﴿لو استطعنا﴾ لأنه بيان لقوله تعالى: ﴿سيحلفون بالله﴾ وتصديق له، والإخبار بما سيكون منهم بعد القبول، وقد وقع حسبما أخبر به من جملة المعجزات الباهرة اهـ.

قوله: ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بدل من سيحلفون، لأن الحلف الكاذب إهلاك للنفس، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع»، أو حال من فاعله أي مهلكين أنفسهم أو من فاعل لخرجنا جيء به على طريق الإخبار عنهم، كأنه قيل: نهلك أنفسنا اهـ أبو السعود.

قوله: (بالحلف الكاذب) الباء سببية. قوله: (في قولهم ذلك) عبارة الخازن: لكاذبون يعني في إيمانهم وأيمانهم وهو قولهم ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ لأنهم كانوا مستطيعين الخروج اهـ.

قوله: (أذن لجماعة) أي من المنافقين قوله: (فنزل عتاباً له) أي على ترك الأولى والأفضل، وهو التآني وتركهم بلا إذن حتى يتبين أمرهم، فقوله: وقدم العفو أي على العتاب، فالعفو في قوله: ﴿عفا الله عنك﴾ فهو كلام مستقل، والعتاب في قوله: ﴿لم أذنت لهم﴾، وقوله: ﴿حتى يتبين﴾ الخ غاية لمقدر كما قدره الشارح وهو المعاتب عليه في الحقيقة اهـ شيخنا.

قوله: (وقدم العفو الخ) أشار إلى أن من عظمة نبينا ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى أن قدم العفو على العتاب على ما كان الأولى أن لا يفعله مما هو متعلق بالمصالح الدنيوية من باب التدبير في الحروب مع تلطف في الخطاب، كما هو دأب الحبيب مع حبيبه مطمئناً لقلبه اهـ كرخي.

قوله: ﴿لم أذنت لهم﴾ أي لأي سبب أذنت لهم وكلتا اللامين متعلقة بالإذن لاختلافهما في المعنى، فالأولى للتعليل والثانية للتبليغ، والضمير المجرور لجمع المستأذنين وتوجيه الإنكار إلى الإذن باعتبار شموله إلى الكل وباعتبار تعلقه بكل فرد فرد. إذ التحقيق عدم استطاعة بعضهم كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿حتى يتبين لك﴾ الخ اهـ أبو السعود.

والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك من إذنتك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك. قال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ باجتهاده لم يؤمر فيهما بشيء: أذنه للمنافقين في التخلف، وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون، وقال سفيان بن عيينة: انظر هذا التلطف به بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب اهـ خازن.

قوله: (وهلا تركتهم الخ) فأشار إلى أن حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام، ولا يجوز أن

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٤٤﴾ فِي التَّخْلُفِ عَنْ ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَالنَّفْسِ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْلِينَ ﴿٤٥﴾  
 ﴿إِنَّمَا يَسْتَفْذِلُكَ﴾ فِي التَّخْلُفِ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآرْتَابَتْ﴾ شَكَّتْ ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فِي  
 الدِّينِ ﴿فَهُمْ فِي رِزْقِهِمْ بِتَرَفٍ دُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ يُتَحَيَّرُونَ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ مَعَكَ ﴿لَأَعَدَّ اللَّهُ عَذَابَهُمْ﴾

تتعلق حتى بأذنت لأن ذلك يوجب أن يكون أذن لهم إلى هذه الغاية أو لأجل التبيين، وهذا لا يعاتب عليه وهذا ليس بذنب، ولكنه باعتبار الإضافة إلى الشرف ومقام الترتيبات اهدكم.

قوله: ﴿حتى يتبين لك﴾ الخ قال ابن عباس: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت سورة براءة اهدكم.

قوله: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فيه تنبيه على أنه كان ينبغي للنبي أن يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يأذن لهم. أي: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في ﴿أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ بل الخلف منهم يبادرون إليه من غير توقف على الإذن فظلاً عن أن يستأذنوك في التخلّف، فحيث استأذنتك هؤلاء في التخلّف كان ذلك مظنة للتأني في أمرهم بل دليلاً على نفاقهم اهد أبو السعود.

قوله: (في التخلّف) أي من غير عذر، وكذا يقال فيما بعده. قوله: (شككت قلوبهم في الدين) إنما أضاف الشك والارتباب إلى القلب، لأنه محل المعرفة والإيمان، فإذا دخله الشك كان ذلك تفاقاً اهدكم.

قوله: ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ الخ مستأنف أو معطوف على جملة قوله: ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ الخ. قوله: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ الاستدراك هنا يحتاج إلى تأمل، فلذلك قال الزمخشري: فإن قلت كيف موقع حرف الاستدراك؟ قلت: لما كان قوله: ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ معطياً نفياً لخروجهم واستعدادهم للغزو. قيل: ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ما خرجوا، ولكن تثبطوا عن الخروج لكرهه انبعاثهم اهد.

يعني أن ظاهر الآية يقتضي أن ما بعد لكن موافق لما قبلها، وقد تقرّر فيها أنها لا تقع إلا بين ضدّين أو نقيضين أو خلافين على خلاف في هذا الأخير، فلذلك احتاج إلى الجواب المذكور اهد سمين.

وفي أبي السعود: ولكن كره الله انبعاثهم أي نهوضهم للخروج. قيل: هو استدراك على ما يفهم من مقدم الشرطية، فإن انتفاء إرادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم، وكرهه الله تعالى انبعاثهم تستلزم تثبطهم عن الخروج، فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا، والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيًا وإثباتًا في اللفظ، كقولك: ما أحسن إلى زيد، ولكن أساء، والأظهر أن يكون استدراكاً على نفس المقدم على نهج ما في الأقيسة الاستثنائية. والمعنى: ﴿لو أرادوا الخروج لأعدوا له عذاباً﴾ ولكن ما أرادوه لما أنه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفساد التي يستبين اهد.

وهنا يتوجه سؤال وهو أن خروج المنافقين مع رسول الله ﷺ إما أن يكون فيه مصلحة أو



أهبة من الآلة والزاد ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ لِنُعَاثِهِمْ﴾ أي لم يرد خروجهم ﴿فَنَبْطِئَهُمْ﴾ كسلهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ ﴿أَقْعُدُوا مَعَ الْقَعُودِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ المرضى والنساء والصبيان أي قدر الله تعالى ذلك ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿وَلَا وَضَعُوا لِنَلَكُمُ﴾ أي أسرعوا

مفسدة، فإن كان فيه مصلحة، فلم قال ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم﴾؟ وإن كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه ﷺ في إذنه لهم في القعود؟ والجواب عن هذا السؤال أن خروجهم مع رسول الله ﷺ كان فيه مفسدة عظيمة بدليل أنه تعالى أخبره بتلك المفسدة بقوله: ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾ بقي أن يقال فلم عاتب الله رسوله ﷺ بقوله لم أذنت لهم؟ فنقول: إنه ﷺ أذن لهم قبل تمام الفحص وإكمال التأمل والتدبر في حالهم، فلهذا السبب قال تعالى: ﴿لم أذنت لهم﴾. وقيل: إنما عاتبه لأجل أنه أذن لهم قبل أن يوحى إليه في أمرهم بالقعود اهـ خازن.

قوله: (كسلهم) في القاموس: الكسل التناقل عن الشيء والفتر فيه يقال كسل كفرح اهـ.

قوله: (أي قدر الله تعالى ذلك) أي القعود هذا تفسير لقوله. وقيل: ﴿أقعدوا﴾ أي فلا قول بالفعل لا من الله ولا من النبي، كما قيل هذا ما مشى عليه الشارح اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: هذا تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود، أو حكاية قول بعضهم لبعض، أو إذن الرسول لهم اهـ.

وفي الكرخي: والقاتل الشيطان بوسوسته أو بعضهم لبعض فلا يرد كيف أمرهم بالقعود عن الجهاد مع أنه ذمهم عليه أو أمرهم بذلك أمر توبيخ، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصلت: ٤٠] بقرينة قوله: ﴿مع القاعدين﴾ اهـ.

قوله: ﴿لو خرجوا فيكم﴾ الخ شروع في بيان المفاسد التي تترتب على خروجهم اهـ.

وقوله ﴿فيكم﴾ أي في جيشكم وفي جمعكم، وقيل: في بمعنى مع أي معكم اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا خبالاً﴾ استثناء متصل وهو مفرغ، لأن المفعول الثاني لزيد لم يذكر، ويظهر من كلام الزمخشري أنه استثناء من الجنس، والمستثنى منه محذوف أي ﴿ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً﴾، وجوزوا فيه أن يكون منقطعاً. والمعنى ما زادوكم قوة ولا شدة ولكن خبالاً، وهذا يجيء على قول من قال إنه لم يكن في عسكر رسول الله ﷺ خبال. قال أبو حيان: وفيه نظر لأنه إذا لم يكن في العسكر خبال أصلاً فكيف يستثنى شيء لم يكن ولم يتوهم وجوده اهـ كرخي.

وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون اهـ خازن.

قوله: ﴿ولأوضعوا﴾ معطوف على ما زادوكم، والمفعول محذوف أي أسرعوا ركائبهم بينكم

بالنميمة اهـ بيضاوي.

ودعوى حذف مفعول غير لازمة، فإن أوضع يستعمل لازماً كما في القاموس ومتعدياً كما في المختار. وقوله: ركائبهم بينكم الخ فيه إشارة إلى أن في قوله: ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ استعارة تبعية شبه سرعة إفسادهم لذات البين بسرعة سير الركائب المسماة بالايضاع، وهو إسراع سير البعير، ثم

بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَغْوُنَكُمْ﴾ يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿لَقَدْ آتَيْنَاكَ لَكَ﴾ ﴿الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أول ما

استعير لسرعة الإفساد لفظ الإيضاح، ثم اشتق منه أوضعوا، وأصل الاستعارة ولأوضعوا ركائب نائمهم خلالكم، ثم حذف النائم وأقيم المضاف إليه مقامها لدلالة سياق الكلام، على أن المراد النميمة ثم حذف الركائب قاله الطيبي اهـ زكريا.

قوله: (أي أسرعوا) تفسير لأوضعوا يقال وضعت الناقة تضع إذا أسرعت في سيرها وأوضعها أنا اهـ سمين.

وقوله: (بينكم) تفسير لخلالكم وهو جمع خلل كجمل وجمال اهـ شيخنا. وتفسير الخلال بالبين يقتضي أنه ظرف، وهو كذلك كما نص عليه السمين فهو منصوب على الظرفية اهـ.

قوله: ﴿يَغْوُنَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾ في محل نصب على الحال من فاعل أوضعوا، أي لأسرعوا فيما بينكم حال كونهم باغين أي طالبين الفتنة لكم اهـ سمين.

وقوله: أي يطلبون لكم الفتنة أي ما تفتنون به، وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمعوا لكم كذا وكذا، ولا طاقة لكم بهم، وإنكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم، ونحو ذلك من الأحاديث الكاذبة التي ترث الجبن والفشل، وقيل: معناه يطلبون لكم العيب والشر اهـ خازن.

قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ قال مجاهد: يعني وفيكم عيون لهم يؤفكون إليهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس، وقال قتادة: وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم، وذلك لأنهم يلقون إليهم أنواعاً من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم، فإن قلت: كيف يجوز أن يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع المنافقين؟ قلت: يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم، فإذا قالوا قولاً ربما أثر في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الأحوال اهـ خازن.

وهذه الجملة يجوز أن تكون حالاً من مفعول يغونكم، أو فاعله. وجاز ذلك لأن في الجملة ضميريهما، ويجوز أن تكون مستأنفة، والمعنى أن فيكم من يسمع لهم ويصغي لقولهم، ويجوز أن يكون المراد وفيكم جواسيس منهم يسمعون لهم الأخبار منكم، فاللام على الأول للتحوية لكون العامل فرعاً، وعلى الثاني للتعليل أي لأجلهم اهـ سمين.

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين اهـ خازن.

قوله: ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل هذه الغزوة وهي غزوة تبوك، والقبل هو ما فسر به بقوله: أول ما قدمت المدينة كما فعل عبد الله بن أبي ابن سلول يوم أحد حيث انصرف بأصحابه عنك اهـ خازن.

قدمت المدينة ﴿وَقَبَلُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ﴾ عز ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ له فدخلوا فيه ظاهراً ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَقْذَنَ لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَقْتِئَنَّ﴾ وهو الجد بن قيس قال له النبي ﷺ هل لك في جلد بني الأصفر فقال إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن. قال تعالى ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلف. وقرئ سقط ﴿وَأَن تَكُونَ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةً بِالْكُفْرِيِّينَ﴾ لا محيص لهم عنها ﴿إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُوْهُمُ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل هذه

قوله: (أول ما قدمت) ما مصدرية. قوله: ﴿وَقَبَلُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ تقليب الأمر تصريحه من أمر إلى أمر، وترديده لأجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة. يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول وقلب أي اجتهدوا، ودبروا لك الحيل والمكائد ورددوا الآراء في إبطال أمرك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ غاية لمحذوف أي: واستمروا على تقليب الأمور حتى الخ. قوله: ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ حال.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتِئَنَّ﴾ أي لا توقعي في الفتنة والمعصية والإثم اهـ أبو السعود.

قوله: (قال له النبي الخ) وذلك أن النبي ﷺ لما تجهز إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس: يا أبا وهب هل لك في جلد بني الأصفر الخ اهـ خازن.

والجلاد الضرب بالسيف، وفي نسخة جهاد بني الأصفر، وبنو الأصفر هم ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن عيصو بن إسحاق، أو لأن جيشاً من الحبشة غلب عليهم فوطئ نساءهم فولد لهم أولاد صفر اهـ قاموس.

قوله: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ﴾ ألا أداة تنبيه. وقوله: (وقرئ سقط) أي مراعاة للفظ من اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَأَن جَهَنَّمَ﴾ الخ وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ أي في بعض مغازيك، ﴿وَأَن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ أي في بعضها اهـ أبو السعود.

فإن قلت: فلم قابل الله هنا الحسنة بالمصيبة ولم يقابلها بالسيئة كما قال في سورة آل عمران ﴿وَأَن تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] قلت: لأن الخطاب هنا للنبي ﷺ وهي في حقه مصيبة يثاب عليها لا سيئة يعاتب عليها، والتي في آل عمران خطاب للمؤمنين اهـ شهاب.

قوله: ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي يقولوا ذلك متبجحين بما صنعوا حامدين لرأيهم قد أخذنا أمرنا أي تلافينا، وأدركنا أمرنا أي ما أهمنا من الأمور يعنون به الاعتزال عن المسلمين، والقعود عن الحرب، والمداراة مع الكفرة، وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولاً وفعلًا اهـ أبو السعود.

المصيبة ﴿وَسَتَرُوا وَهُمْ فَرِحُوا﴾ ﴿٥٣﴾ بما أصابك ﴿قل﴾ لهم ﴿لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَّ اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿قل هل فرحتم﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أي تنتظرون أن يقع ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الْحُسَيْنَيْنِ﴾ تشية حسنى تأنيث أحسن النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَرَبُّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ ﴿اللَّهُ بِعَذَابٍ بَرَّتْ عَنْدَهُ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ يَأْتِيَنَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَضُّوا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ مُرْتَضُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ عاقبتكم ﴿قل أنفقوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ

وقوله: بالجزم أي بسببه وهو الرأي الشديد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويتولوا﴾ أي عن مجلس الاجتماع والتحدث إلى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي ﷺ، وهم فرحون بما صنعوا من أخذ الأمر وبما أصابه عليه السلام، والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا من الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل لهم لن يصيبنا﴾ الخ أي قل لهم بياناً لبطان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ الفاء سببية، والأصل ليتوكل المؤمنون على الله، قدم الظرف على الفعل لإفادة القصر، ثم أدخلت الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل كما في قوله: ﴿وإياي فارهبون﴾ [البقرة: ٤٠] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلا إحدى الحسينين﴾ هذا إيضاح وكشف لقوله: ﴿إلا ما كتب الله لنا﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: (النصر أو الشهادة) تفسير لإحدى، قاثبات أو متعين، وكان الأولى التعبير بالنصرة لأن إحدى مؤنثة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نترى بكم﴾ أي إحدى السوأتين من العواقب. إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده كما أصاب من قبلكم من الأمم المهلكة، والظرف صفة لعذاب، ولذلك حذف عامله وجوبا، وإما أن يصيبكم بعذاب بأيدينا اهـ أبو السعود.

قوله: (بقارعة) أي صاعقة من السماء، وفي المختار: القارعة الداهية الشديدة من شوائد الدهر اهـ.

قوله: (في قتالكم) في نسخة بقتالكم، وفي أخرى بقتلكم. قوله: ﴿فترضوا﴾ الخ أي فإذا لقي كل منا ومنكم ما يترى به لا نشاهد إلا ما يسرنا، ولا تشاهدون إلا ما يسوءكم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرها﴾ نزلت في الجذ بن قيس المنافق، وذلك أنه استأذن رسول الله ﷺ في القعود عن الغزو، وقال: أنا أعطيتكم مالي فأنزل الله رداً عليه: ﴿قل أنفقوا﴾ أي قل يا محمد لهذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا الخ، وهذه الآية وإن كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله، بل أنفق رياء وسمعة، فإنه لا يقبل منه اهـ خطيب.

مِنْكُمْ ﴿ مَا أَنْفَقْتُمُوهُ ﴾ ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ﴾ بالثاء والياء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهَهُمْ﴾ فاعل وأن تقبل مفعول ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ متشاقلون ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ النفقة لأنهم يعدونها مغرمًا ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

قوله: ﴿طوعاً﴾ أي من غير الزام من جهته عليه السلام أو كرهاً أي: إلزاماً من جهته، وليس المراد بالطوع الرغبة لما سيأتي من قوله: ﴿إلا وهم كارهون﴾ أي لا رغبة لهم أهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لن يتقبل منكم﴾ (ما أنفقتموه) أي لأن هذا الانفاق إنما وقع لغير الله أهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾ في الكشف المراد بالفسق التمرد والعتو، وهذا دفع لما يقال كيف علل مع الكفر بالفسق الذي هو دونه، وكيف صح ذلك مع التصريح بتعليله بالكفر في قوله: ﴿وما منهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله﴾ الخ أهـ شهاب.

قوله: (والأمر هنا بمعنى الخبر) أي قوله: ﴿أنفقوا﴾، فالمعنى نفقتكم غير مقبولة سواء كانت طوعاً أو كرهاً أهـ أبو السعود.

قوله: (بالثاء والياء) أي المضمومة أي: قرأ حمزة والكسائي بالتذكير لأن تأنيث نفقاتهم مجازي، وقرأ الباقون بالتأنيث اعتباراً باللفظ أهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا أنهم كفروا﴾ الخ استثناء من أعم الأشياء أي ما منعهم قبول نفقاتهم شيء من الأشياء إلا كفرهم وما عطف عليه أهـ أبو السعود.

قوله: (مفعول) أي ثان والأول الضمير في منعهم، فإن منع يتعدى لمفعولين بنفسه، وقد يتعدى إلى الثاني بحرف الجر، وهو من أو عن، وهنا تعدى بنفسه إليهما، وإن كان حذف حرف الجر مع أن وأن مقيساً مطرداً، ولذا قدره بعضهم هنا. وقال أبو البقاء: أن تقبل بدل اشتغال من هم في منعهم أهـ شهاب.

قوله: (ولا يأتون الصلاة الخ) أي ما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم وكسلهم في إتيان الصلاة وكونهم كارهين الانفاق أهـ زاده.

فإن قيل: الكفر سبب مستقل لعدم القبول، فما وجه التعليل بمجموع الأمور الثلاثة، وعند حصول السبب المستقل لا يبقى لغيره أثر؟ قلنا: أجاب الإمام بأنه إنما يتوجه على قول المعتزلة القائلين بأن العلل مؤثرة في الحكم، وأما أهل السنة فإنهم يقولون هذه الأسباب معرفة غير موجبة للثواب ولا للعقاب، واجتماع المعارف الكثيرة على الشيء الواحد جائز أهـ شهاب.

قوله: (لأنهم يعدونها مغرمًا) أي لأنهم لا يرجعون عليها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً أهـ بياضوي.

قوله: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ هذا الخطاب وإن كان مختصاً بالنبي ﷺ إلا أن المراد

يُعَذِّبُهُمْ ﴿٥٥﴾ أَي أَنْ يُعَذِّبَهُمْ ﴿٥٦﴾ بِمَا فِي الْعَذَابِ الدُّنْيَا ﴿٥٧﴾ بِمَا يَلْقَوْنَ فِي جَمْعِهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ وَفِيهَا مِنَ الْمَصَائِبِ ﴿٥٨﴾ وَتَزْهَقَ ﴿٥٩﴾ تَخْرُجَ ﴿٦٠﴾ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٦١﴾ فَيُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٦٢﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْقُصْ لَهُمْ لَيْسَ كُمْ ﴿٦٣﴾ أَي مُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٦٥﴾ يَخَافُونَ أَنْ تَفْعَلُوا بِهِمْ كَالْمُشْرِكِينَ فَيَحْلِفُونَ تَقِيَةً ﴿٦٦﴾ لَوْ يَحْذَرُونَ مَلَكًا ﴿٦٧﴾ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ ﴿٦٨﴾ أَوْ مُعْتَرِئًا ﴿٦٩﴾ سِرَادِيْبًا

به جميع المؤمنين، والمعنى: ولا تعجبوا بأموال المنافقين وأولادهم. والإعجاب السرور بالشيء مع نوع من الاختيار به مع اعتقاد أنه ليس لغيره مثله اهـ خازن.

وهذا المعنى إنما يناسب في إعجاب الشخص بمال نفسه، يقال: أعجب بماله أو ولده أي فرح به وما هنا في إعجاب المرء بمال غيره، والمعنى عليه لا تستحسن أموالهم وأولادهم ولا تحمدها ولا تخبر برضاك بها. وفي المصباح: ويستعمل التعجب على وجهين، أحدهما: ما يحمد الفاعل ومعناه الاستحسان والاختيار عن رضاه به. والثاني: ما يكرهه ومعناه الإنكار والذم له ففي الاستحسان يقال أعجبني بالألف، وفي الذم والإنكار عجبت وزان تعبت اهـ.

قوله: ﴿بِمَا يَلْقَوْنَ فِي جَمْعِهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ﴾ الخ جواب عن سؤال. وعبارة الخازن: فَإِنْ قُلْتَ: كيف يكون المال والولد عذاباً في الدنيا، وفيهما اللذة والسرور في الدنيا؟ أجيب: بأن سبب كون المال والولد عذاباً في الدنيا، وهو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما، فإذا حصل ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما، ويزداد الغم والخوف بسبب المصائب الواقعة فيهما. وأورد على هذا القول أن هذا التعذيب حاصل لكل واحد من بني آدم مؤمنهم وكافرهم، فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا؟ وأجيب عن هذا الإيراد بأن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة، وأنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً في الدنيا. وأما المنافق فإنه لا يعتقد كون الآخرة له، ولا أن له فيها ثواباً فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه في الدنيا، فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن اهـ.

قوله أيضاً: ﴿بِمَا يَلْقَوْنَ فِي جَمْعِهَا﴾ الخ قضيته أن قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متعلق بالتعذيب، وبه قال ابن زيد والأكثر أنه متعلق بتعجبك، ويكون قوله: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ الجملة اعتراضية، والتقدير فلا تعجبك في الحياة الدنيا. وأثر الشيخ المصنف الأول لأنه لا يلزم عليه تقديم ولا تأخير ولا اعتراض. قال في الكشف: إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله تعالى، فما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون؟ قلت: المراد الاستلراج بالنعم كقوله: ﴿إِنَّمَا نَعْلَمُ لَهُمْ لَيْزَادًا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] كانه قيل: ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتشبع عن النظر للعاقبة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي أرواحهم.

قوله: ﴿يَفْرُقُونَ﴾ في المختار: فرق فرقاً من باب تعب خاف ويتعدى بالهمزة فيقال: أفرقه اهـ.

قوله: ﴿كَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي مثل ما فعلتم بالمشركين من القتل والنسي اهـ شيخنا.

﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَوْلَا إِلَاتُوهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجموح ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي﴾ قسم ﴿الَّذِينَ قَدْ أُعْطُوا﴾

قوله: ﴿لو يجدون ملجأ﴾ الخ أي أنهم وإن كانوا يحلفون لكم أنهم منكم إلا أنهم كاذبون في ذلك، وإنما يحلفون خوفاً من القتل، ولو استطاعوا ترك دورهم وأموالهم والالتجاء إلى بعض الحصون والغيان والسروب التي تحت الأرض لدخلوه تستراً عنكم واستكراهاً لرؤيتكم ولقائكم اهـ زاده.

وفي الخازن: والمعنى: أنهم لو وجدوا مكاناً بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي سرّ الأمكنة وأضيقتها لولوا إليه أي لرجعوا إليه وتحرزوا فيه وهم يجمعون يعني: وهم يسرعون إلى ذلك المكان، والمعنى: أن المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم إلى أحد هذه الأمكنة لصاروا إليه لشدة بغضهم إياهم اهـ.

قوله: ﴿ملجأ﴾ أي مكاناً يلجؤون إليه تحصناً منكم من رأس جبل، أو قلعة، أو جزيرة. وقوله: ﴿أو مغارات﴾ أو مدخلاً عن عطف الخاص على العام اهـ شيخنا.

والمغارات: جمع مغارة وهي المكان المنخفض في الأرض أو في الجبل، والغور بالفتح من كل شيء قعره، والغور: المطمئن من الأرض وغار الرجل غوراً أتى الغور وهو المنخفض من الأرض وأغار بالآلف مثله، والغار والمغار والمغارة كالكهف في الجبل والكهف كالبيت في الجبل، والجمع كهوف. والسرداب المكان الضيق يدخل فيه والجمع سراديب اهـ من المصباح والمختار.

وفي السمين: ﴿ملجأ أو مغارات﴾. الملجأ: الحصن، وقيل: المهرب وقيل: الحرز، وهو مفعول من لجأ إليه يلجأ أي انحاز يقال: ألجأته إلى كذا أي اضطرته إليه فالتجأ، والملجأ يصلح للمصدر والزمان والمكان، والظاهر منها هنا المكان والمغارات جمع مغارة وهي مفعلة من غار يغور فهي كالغار في المعنى. وقيل: المغارة السرب في الأرض كنفق اليربوع، والغار الثقب في الجبل، وهذا من أبدع النظم، ذكر أولاً الأمر الأعم وهو الملجأ من أي نوع كان، ثم ذكر الغيران التي يختفي فيها في أعلى الأماكن وهي الجبال، ثم الأماكن التي يختفي فيها في الأماكن السافلة، وهي السروب وهي التي عبر عنها بالمدخل اهـ.

قوله: (موضعاً يدخلونه) كالكهف في الجبل. قوله: ﴿وهم يجمعون﴾ في المصباح: جمع الفرس براكبه يجمع بفتحيتين من باب خضع جماعاً بالكسر وجموحاً استعصى حتى غلبه فهو جموح بالفتح، وجامع يستوي فيه المذكر والمؤنث اهـ.

قوله: ﴿ومنهم من يلمزك﴾ الخ قيل: نزلت في أبي الجواز المنافق قال: ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل اهـ أبو السعود.

والجواز: بصيغة المبالغة والظاء المعجمة كشداد، وهو الضخم المتكبر والكثير الكلام اهـ شهاب.

وقيل: نزلت في ذي الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج اهـ خازن.

وَمَن يَرْضُوا وَلَئِن لَّمْ يَمُوتُوا مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ مِنَ الْغَنَائِمِ وَنَحْوِهَا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كَافِينَا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ مِنْ غَنِيمَةٍ أُخْرَىٰ أَمَا يَكْفِينَا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ أَن يَغْنِينَا وَجَوَابَ لَوْ: لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾﴾ الزَّكَاةُ

وفي المصباح: لمزه لمزاً من باب ضرب عابه، وقرأ بها السبعة، ومن باب قتل لغة وأصله الإشارة بالعين ونحوها اهـ.

فهو أخص من الغمز، إذ هو الإشارة بالعين ونحوها سواء كان على وجه الاستقاص أو لا. وأما اللمز فهو خاص بكونه على وجه العيب، وفي المصباح: غمزه غمزاً من باب ضرب أشار إليه بعين أو حاجب اهـ.

وفي السمين: قرأ العامة يلمزك بكسر الميم من لمزه يلمزه أي عابه، وأصله الإشارة بالعين وغيرها. وقال الأزهري: أصله الدفع يقال: لمزته أي دفعته، وقال الليث: هو العمز في الوجه ومنه همزة لمزة أي كثير هذين الفعلين. وقرأ يعقوب، وحمام بن سلمة وغيرهما بضمها وهما لغتان في المضارع اهـ.

قوله: ﴿﴿في الصدقات﴾﴾ المراد بها الزكوات كما يدل عليه قوله الآتي: ﴿﴿إنما الصدقات﴾﴾ للفقراء الخ قاله البيضاوي، وبعضهم فسرها بالغانم، والمناسب لكلام الجلال حيث قال من الغنائم ونحوها، ثم قال من غنيمة أخرى حملها على ما هو أعم من الغنيمة والصدقة أو على الغنيمة فقط اهـ شيخنا. قوله: ﴿﴿فإن أعطوا منها﴾﴾ أي قدر ما يريدون، وقوله: ﴿﴿رضوا﴾﴾ أي هنك، وقوله: ﴿﴿وإن لم يعطوا منها﴾﴾ أي: قدر ما يريدون، وهذا بيان لكون لمزهم لا منشأ له سوى حرصهم على الدنيا اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿﴿إذا هم يسخطون﴾﴾ إذا فجائية قائمة مقام فاء الجزاء في الربط على حد قوله: وتختلف الفاء إذا المفاجأة.

والأصل فهم يسخطون اهـ شيخنا وسخط من باب تعب كما في المصباح. قوله: ﴿﴿ما آتاهم الله ورسوله﴾﴾ ذكر الله للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله الرسول كان بأمره تعالى، والأصل ما آتاهم الرسول اهـ أبو السعود.

قوله: (ونحوها) كالزكاة. قوله: ﴿﴿سيؤتيها الله من فضله ورسوله﴾﴾ إنا إلى الله راغبون ﴿﴿هاتان الجملتان كالشرح لقولهم﴾﴾ حسبنا الله، فلذلك لم يتعاطفا لأنهما كالشيء الواحد، فشدّة الاتصال منعت العطف اهـ كرخي.

قوله: (أن يغنينا) أي في أن يغنينا. وعبرة الخازن: إنا إلى الله راغبون يعني: في أن يوسع علينا من فضله، فيغنيينا عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس.

قوله: ﴿﴿إنما الصدقات﴾﴾ الخ لما عابه المنافقون في قسمها بين الله في هذه الآية أن المستحقين لها هؤلاء الثمانية، ولا تعلق لرسول الله بشيء منها، ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً اهـ خازن.



مصرفه ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيَّهَا﴾ أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وعاشر ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلموا أو ثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الإسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على

والصدقات: مبتدأ والخبر قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الخ وقوله: ﴿وفي الرقاب الخ﴾. وقوله: ﴿وفي سبيل الله﴾ الخ، فالأخبار ثلاثة. وفي الحقيقة الخبر هو المحذوف الذي قدره الشارح الذي تعلق به الثلاثة وقدره خاصاً لدلالة السياق عليه، والآية من قصر الموصوف على الصفة أي الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية لا تتجاوز هذه الصفة إلى أن تتصف بصرفها لغيرهم، كما سيأتي في الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (مصرفه الخ) قدره لتعلق به اللام، وآثر هذا التقدير إشارة إلى اختصاص المذكورين بها، كما سيأتي إيضاحه آخر الكلام، وأضاف في الآية الصدقات إلى الأصناف الأربعة بلام الملك، وإلى الأربعة الأخيرة بفي الظرفية للإشعار بإطلاق الملك في الأربعة الأولى، وتقيدته في الأخيرة بما إذا صرفت في مصارفها المذكورة، فإذا لم يحصل الصرف في مصارفها استرجعت بخلافه في الأولى كما هو مقرر في الفقه اهـ كرخي.

قوله: (الذين لا يجدون ما يقع موقعاً) بأن لم يجدوا شيئاً أو وجدوا ما لا يقع موقعاً، وقوله: (الذين لا يجدون ما يكفيهم) بأن لم يجدوا شيئاً أو وجدوا ما لا يقع موقعاً أو يقع موقعاً ولا يكفيهم، كما هو مبين في الفروع، فالفقير أسوأ حالاً من المسكين، وهذا مذهب الشافعي اهـ شيخنا.

قوله: (وكاتب) أي يكتب ما أعطاه أرباب الأموال، وقوله: (وحاشر) أي يجمعهم أو يجمع المستحقين، ولا ينحصر العامل فيما ذكره الشارح. إذ منه العريف والحاسب اهـ من شرح المنهج.

قوله: (ليسلموا) أي والفرض أنهم كفار يترجى بإعطائهم إسلامهم، وبقي من مؤلفة الكفار قسم آخر لم يذكره وهو كفار يخاف شرهم بحيث لو أعطوا لانكف شرهم، وهذان القسمان لا يعطيان من زكاة ولا من غيرها باتفاق. وقوله: (أو يثبت إسلامهم) أي يدوم ويرسخ، فالفرض أنهم أسلموا وكانوا قريب عهد بالإسلام، وقوله: (أو يسلم نظراؤهم) والفرض أنهم مسلمون أقوياء الإسلام، لكن يتوقع باعطائهم إسلام نظرائهم من الكفار. وقوله: (أو يذبوا) أي يدفعوا من باب رد أي: يذبوا الكفار ويمنعوهم عن المسلمين، وهؤلاء مسلمون مقيمون في أطراف بلاد الإسلام يذبوا الكفار ويدفعوهم عن المسلمين. وبقي من مؤلفة المسلمين قسم رابع وهو طائفة من المسلمين يقاتلون من يليهم ويجاورهم من مانعي الزكاة ويقبضون زكاتهم. فتخلص أن المؤلفة أقسام ستة: قسمان من الكفار، وأربعة من المسلمين. وقوله: (لا يعطيان اليوم عند الشافعي) أما الأول؛ فباتفاق، وأما الأخير فعلى الضعيف، والراجح أنه يعطى كما يعلم من عبارة الروضة، وقوله: بخلاف الآخرين وهما الثاني والثالث في كلامه، وقوله: (على الأصح) ومقابلته لا يعطيان، وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة فتكون الأصناف سبعة فقط يعلم هذا كله من عبارة الروضة ونصها الصنف الرابع المؤلفة وهم ضربان كفار ومسلمون،

الأصح ﴿وَفِي﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ أي المكاتبين ﴿وَالْفَرَغَمِينَ﴾ أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو

فالكفار قسمان قسم يميلون إلى الإسلام ويرغبون فيه باعطاء مال، وقسم يخاف شرهم فيتألفون لدفع شرهم، ولا يعطى القسمان من الزكاة قطعاً ولا من غيرها على الأظهر، وفي قول يعطون من خمس الخمس. وأما مؤلفة المسلمين فأصناف صنف دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيتألفون ليثبتوا، وآخرون لهم شرف في قومهم يطلب بتألفهم إسلام نظرائهم. وفي هذين الصنفين ثلاثة أقوال، أحدها: لا يعطون. والثاني: يعطون من سهم المصالح. والثالث: يعطون من الزكاة. وصنف يراد بتألفهم أن يجاهدوا من يليهم من الكفار، أو من مانعي الزكاة ويقبضوا زكاتهم، فهذا الصنف تحته قسمان، والقسمان يعطيان قطعاً. ومن أي يعطيان فيه أقوال، أحدها: من خمس الخمس. والثاني: من سهم المؤلفة. والثالث: من سهم الغزاة، وأما الأظهر من هذا الخلاف في الأصناف فلم يتعرض له الأكثرون، بل أرسلوا الخلاف. وقال الشيخ أبو حامد في طائفة: الأظهر من القولين في الصنفين الأولين أنهم لا يعطون، وقياس هذا أن لا يعطى الصنفان الآخران من الزكاة، لأن الأولين أحق باسم المؤلفة من الآخرين، لأن في الآخرين معنى الغزاة والعاملين، وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة بالكلية، وقد صار إليه من المتأخرين الروياني وجماعته لكن الموافق لظاهر الآية ثم لسياق الشافعي رضي الله عنه والأصحاب إثبات سهم المؤلفة وأنه يستحقه الصنفان الأولان، وأنه يجوز صرفه إلى الآخرين أيضاً، وبه أفتى أقضى القضاة الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية اه بحروفه.

قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِلْفَرَغَمِينَ﴾ أي: ومصرفه في الرقاب على حذف مضاف، كما قدره الشارح. وقوله: ﴿وَالْفَرَغَمِينَ﴾ يحتاج لتقديره، ويمكن أن المضاف للذي قدره الشارح يتسلط عليه أيضاً. أي: وفي فك الغارمين يعني من أسر الدين اه شيخنا. وفي تفسير الرقاب أقوال:

الأول: أن سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع إليهم ليعتقوا به، وهذا مذهب الشافعي، وهو قول أكثر الفقهاء منهم: سعيد بن جبير، والضحاك، والزهري، والليث بن سعد، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿آتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

القول الثاني: وهو مذهب الإمام مالك، وأحمد وإسحاق أن سهم الرقاب موضوع لعنق الرقاب فيشتري به عبيد ويعتقون، ويدل عليه ما روي عن ابن عباس أنه قال: لا بأس أن يعتق الرجل من الزكاة.

القول الثالث: وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة، ولكن يعطى منها في عتق رقبة، ويعان بها مكاتب، لأن قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ يقتضي التبعض.

القول الرابع: وهو قول الزهري أن سهم الرقاب نصفان نصف المكاتبين ونصف يشتري به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم إسلامهم، فيعتقون من الزكاة. قال أصحابنا: الأحوط في سهم الرقاب أن يدفع إلى السيد بإذن المكاتب، ويدل عليه أنه تعالى أثبت الصدقات للأصناف الأربعة المتقدمة بلام التملك، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾.

تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب بفعله المقدر ﴿مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا يمنع

وقال في الصنف الخامس: وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة، وهي أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفوا ذلك فيما شاؤوا، وأما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخلص رقابهم من الرق، ولا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه، وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم، وفي الغزاة يصرّف نصيبهم فيما يحتاجون إليه في الغزو، وكذا في ابن السبيل فيصرف إليه ما يحتاج إليه في سفره إلى بلوغ غرضه اهـ خازن.

قوله: (لغير معصية) بأن استدانوا لمباح، وإن كان صرفه في معصية وقد عرف قصده، وقوله: (أو تابوا) أي أو استدانوه لمعصية كخمر وتابوا أي: وظن صدقهم في توبتهم وإن قصرت المدة اهـ كرخي.

قوله: (أو لإصلاح ذات البين) أي أو استدانوه لإصلاح ذات البين أي الحال بين القوم، كان خافوا فتنة بين قبيلتين تنازعتا في قتل لم يظهر قاتله، فتحملوا الدية تسكيناً للفتنة اهـ كرخي.

قوله: (والغرم) أصله لزوم شيء شاق، ومنه قيل للعشق غرام، ويعبر به عن الهلاك في قوله تعالى: ﴿إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٩] وغرامة المال فيها مشقة عظيمة اهـ سمين.

قوله: (أي القائمين) تفسير للسبيل تفسير مراد، وقوله: (ولو أغنياء) غاية في القائمين بالجهاد اهـ شيخنا.

قوله: (المنقطع في سفره) أي المنقطع عن ماله. قوله: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ أي نصبتها وجهان، أحدهما: أنها مصدر على المعنى لأن معنى إنما الصدقات للفقراء في قوة فرض الله ذلك للفقراء الخ. والثاني: أنها حال من الفقراء قاله الكرمانى وأبو البقاء يعنيان من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبراً أي: إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة أي مصروفة، ويجوز أن يكون فريضة حينئذ بمعنى مفروضة، وإنما دخلتها التاء لجريانها مجرى الأسماء كالنطيحة، ويجوز أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال اهـ سمين.

قوله: (فلا يجوز صرفها الخ) هذا من مقتضى الحصر في الآية، وهو محل وفاق، وقد استتج الشارح من الآية أربعة أحكام، أولها: هذا. والثاني قوله: ولا منع صنف منهم. والثالث قوله: وأفادت اللام الخ. والرابع قوله: ولا يكفي دونها الخ اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: (فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) أي كما هو ظاهر الآية، لأن الله تعالى أضاف الصدقات لهؤلاء بلام الملك وعطف بعضهم على بعض بواو التشريك فاستحقها الجميع، كما لو قال: الدار لزيد وعمرو وبكر. وقال الإمام الرازي: لا دلالة في الآية على قول الشافعي رضي الله عنه في أنه لا بد من صرفها إلى الأصناف، لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الأصناف، وأما أن صدقة زيد

صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لسنوه بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بعبه وبنقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نهوا عن ذلك لثلا يبلغه ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي يسمع كل قيل

بعينها يجب توزيعها على الأصناف كلها فلا، كما أن قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية يوجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتفاق، وقد أشار إلى ذلك القاضي. وقال شيخ شيخنا: وظاهر الآية يؤيد قول الشافعي رضي الله عنه، إذ الشائع في العرف تعلق الحكم بكل فرد من أفراد الواحد، لكن دلالتها على وجوب إعطاء ثلاثة من كل صنف غير ظاهرة والله أعلم اهـ كرخي.

قوله: (ولا منع صنف منهم) هذا بمقتضى العطف بالواو المفيدة للتشريك في الحكم المفيد أن لكل صنف من الأصناف الثمانية حقاً فيها اهـ شيخنا.

قوله: (فيقسمها الإمام عليهم) أي الأصناف، وكذا المالك إذا قسم فعجب عليه التسوية بينهم. وقوله: على السواء أي: ولو زادت حاجة بعضهم ولم يفضل شيء عن كفاية بعض آخر، وقوله: وله أي الإمام تفضيل الخ، وكذا للمالك إذا قسم كما هو مبين في الفروع اهـ شيخنا.

قوله: (وجوب استغراق) أي تعميم أفراده أي الصنف، وقوله: (لكن لا يجب) أي استغراق الأفراد أي تعميمها. قوله: (أن شرط المعطى منها) أي الصدقات، أو الضمير راجع للأصناف أي شرط المعطى حال كونه من الأصناف الثمانية الإسلام الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ذلك، فيقع بنا. فقال الجلاس بن سويد: نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول، فإنما محمد أذن أي أذن سامعة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (إذا نهوا عن ذلك) أي نهى بعضهم بعضاً، وقوله: لثلا يبلغه أي لا خوفاً من الله تعالى قوله: (أي يسمع كل قيل) أي كلام من غير أن يتدبر فيه ويميز بين ما يليق سماعه وما لا يليق غيرهم الدم، وإنما قالوا ذلك فيه لأنه كان لا يواجههم بسوء صنيعهم ويصفح عنهم، فحملوه على عدم التنبه وعدم التفطن، وهو إنما كان يفعل معهم ذلك رفقاً بهم وتغافلاً عن عيوبهم، وفي إطلاق الأذن عليه مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء على الكل للمبالغة في استماعه حتى صار كأنه عين آلة الاستماع اهـ شيخنا.

وفي المصباح: أنه مجاز مرسل كما يراد بالعين الرجل إذا كان ربيبة لأن العين هي المقصودة منه، فصارت كأنها الشخص كله اهـ شهاب.

ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنٌ﴾ مستمع ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع عطفًا على أذن والجذر عطفًا على خير ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يَحْفَظُونَ﴾ بِاللَّهِ لَكُمْ ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ فيما بلغكم عنهم من أذى

والريثة بفتح الراء وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية الطليعة . وفي القاموس : ربأهم ولهم كمنع صار ريثة لهم ، أي طليعة اهـ .

وفي البيضاوي : وسمي بالجراحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة استماع ، كما سمي الجاسوس عينًا لذلك اهـ .

وفي المختار : وأذن له استمع وبابه طرب ، ورجل أذن بالضم إذا كان يسمع مقال كل أحد يستوي فيه الواحد والجمع اهـ .

قوله : ﴿قُلْ أذن خير لكم﴾ كأنه قيل سلمنا أنه أذن أي مستمع ، أي كثير الاستماع ، لكنه يسمع الخير فقط لا الخير والشر كما تقولون اهـ شيخنا .

قوله : ﴿يؤمن بالله﴾ تفسير لكونه أذن خير لهم ، وقوله : يصدق للمؤمنين أي يسلم ويرضى لهم . قوله : (واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم) وهو قوله : ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ وقوله : وغيره ، وهو قوله ﴿يؤمن بالله﴾ ويسمى إيمان الأمان من الخلود في النار اهـ شيخنا .

وفي الكرخي قوله : للفرق الخ إيضاحه أنه عدى الإيمان إلى الله تعالى بالباء لتضمنه معنى التصديق ولموافقة ضده ، وهو الكفر في قوله : من كفر بالله ، وعداه للمؤمنين باللام لتضمنه معنى الانقياد وموافقته لكثير من الآيات ، كقوله : ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ [يوسف : ١٧] الآية وقوله : ﴿افتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ [البقرة : ٧٥] وقوله : ﴿أنؤمن لك﴾ [الشعراء : ١١١] وأما قوله تعالى : ﴿قال آمنت له قبل أن أذن لكم﴾ [الأعراف : ١٢٣] وقوله : ﴿آمنت به﴾ [البقرة : ١٣٧] فمشترك الدلالة بين الإيمان بموسى والإيمان بالله لأن من آمن بموسى حقيقة آمن بالله كعكسه اهـ كرخي .

وفي زاده على البيضاوي قوله : واللام مزيدة الخ جواب عما يقال لم عدى فعل الإيمان إلى الله بالباء وإلى المؤمنين باللام وتقرير الجواب أن إيمان الأمان من الخلود في النار وهو الإيمان المقابل للكفر حقه أن يعدى بالباء ، وأما الإيمان بمعنى التصديق والتسليم فإنه يعدى باللام للفرقة بينهما ، وإن كان حقه أن يعدى بنفسه كالتصديق حيث يقال صدقتك اهـ .

قوله : ﴿ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ أي للذين أظهروا الإيمان منكم حيث يقبله منهم ، لكن لا تصديقاً لهم في ذلك ، بل رفقاً بهم وترحمًا عليهم ، ولا يكشف أسرارهم ، ولا يهتك أستارهم اهـ أبو السعود .

قوله : ﴿يحلفون بالله لكم﴾ الخطاب للمؤمنين خاصة ، فكان المناقون يتكلمون بالمطاعن ، ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالإيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم . أي : يحلفون لكم أنهم الفتوحات الإلهية/ ج ٣/ ١٨٣

الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٦﴾  
 حقاً، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاء بين أو خبر الله ورسوله محذوف ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ بـ ﴿أَقْرَبُ﴾

ما قالوا ما نقل إليكم مما يورث أذى النبي ﷺ اهـ أبو السعود.

وقال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد، ووديعه بن ثابت فوقعوا  
 في رسول الله ﷺ ثم قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير، وكان عندهم غلام يقال له  
 عامر بن قيس ثم، أتى النبي ﷺ وأخبره فدعاهم وسألهم، فأنكروا وحلفوا أن عامراً كذاب، وحلف  
 عامر أنهم كذبة، فصدقهم النبي ﷺ فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب،  
 فأنزل الله هذه الآية اهـ خازن.

وفي الشهاب: الجلاس بضم الجيم وتخفيف اللام بوزن غراب اهـ.

قوله: (أنهم ما أتوه) أي ما فعلوه، وفي نسخة آذوه. قوله: ﴿لِيَرْضَوْكُمْ﴾ إفراد رضاهم بالتعليل  
 مع أن عمدة أغراضهم إرضاء الرسول وقد قبل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للإيذان بأن ذلك  
 بمنزلة من أن يكون وسيلة إلى إرضائه، وأنه عليه السلام إنما لم يكذبهم رفقاً بهم وستراً لعبوبهم، لا  
 عن رضا بما فعلوا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ أي أحق بالإرضاء، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والمتابعة  
 وإبقاء حقوقه عليه السلام في باب الإجلال والاعظام مشهداً ومغنياً، وأما ما أتوه من الأيمان الفاجرة  
 فلا يرضى بها الله ورسوله. والجملة في محل نصب على الحالية من ضمير يحلفون أي يحلفون لكم  
 لأرضائكم، والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالإرضاء منكم أي يعرضون عما يهجمهم ويشغلون بما لا  
 يعينهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أَحَقُّ﴾ خبر مقدم، وأن يرضوه مبتدأ مؤخر. والجملة خبر الله ورسوله اهـ.

قوله: ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (حقاً) جوابه محذوف تعويلاً على دلالة ما سبق عليه أي: إن كانوا  
 مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر، فإنهما أحق بالإرضاء اهـ أبو السعود.

قوله: (لتلازم الرضاء بين) المراد من هذا الجواب أن الضمير عائد على الله تعالى ورضاء الرسول  
 كأنه في ضمنه ولازم له، فالكلام بجملة واحدة، وقوله: أو خبر الله محذوف. والتقدير: والله أحق أن  
 يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، فيكون الكلام جملتين، وقوله: أو رسوله أي أو خبر رسوله محذوف  
 أي: والمذكور خبر عن اسم الجلالة، ويكون قد حذف من الثاني للدلالة الأول، وعلى ما قيله يكون قد  
 حذف من الأولى للدلالة الثاني، فيكون الكلام جملتين أيضاً. وعبارة أبي السعود: وإفراد الضمير في  
 يرضوه إما للإيذان بأن رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وتعالى، وإرضاءه عليه السلام  
 إرضاء له تعالى لقوله: ﴿مَنْ يَطْعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وإما لأنه مستعار لاسم الإشارة  
 الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور، وإما لأن الضمير عائد على رسوله، والكلام  
 جملتان حذف خبر الأولى لدلالة خبر الثانية عليه أو أنه عائد على الله والمذكور خبر الجملة الأولى  
 اهـ.

أي الشأن ﴿مَنْ يُكَادِ﴾ يشاقق ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَمْ تَنْجَهُمْ﴾ جزاء ﴿خَلِّدَا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوا﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ استفهام توبيخ، وقوله: ﴿مَنْ يَحَادِدُ﴾ أي يخالف ويخاصم، وأصل المحادة في اللغة من الحد أي الجانب كأن كل واحد من المتخاصمين في محل غير محل صاحبه اهـ خازن وأبو السعود.

ومن شرطية مبتدأ، وقوله: ﴿فَأَنْ لَهُ﴾ الخ في موضع المبتدأ المحذوف الخبر. والتقدير: فحق أن له نار جهنم أي فحق كون نار جهنم له أي: فكون نار جهنم له أمر حق ثابت، وهذه الجملة جواب من الشرطية، وفي خبرها الأقوال الثلاثة، والجملة الشرطية أي مجموع اسم الشرط وفعله والجزاء خبر أن الأولى، وهي أنه من يحادد الله، وجملة أن الثانية من اسمها وخبرها سادة مسد مفعول يعلم ان لم يكن بمعنى العرفان، ومسد مفعوله أي الواحد إن كان بمعنى العرفان اهـ شيخنا.

قوله: (جزاء) تمييز. وقوله: ﴿خَالِدًا﴾ فيها حال من الضمير المحرور باللام، وهي مقدرة إلا إن اعتبر في الظرف امتداد مستطيل، فتكون مقارنة. وقوله: ذلك العذاب المذكور الخزي العظيم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على المؤمنين سورة تنبئهم يعني: تخبر المؤمنين بما في قلوبهم يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين اهـ خازن.

ولا يبالي بتفكيك الضمائر عند ظهور الأمر لعود المعنى إليه اهـ كرخي.

وقيل: الضمائر الثلاثة للمنافقين وعلى بمعنى في على حذف مضاف أي أن تنزل في شأنهم سورة تنبئهم اهـ من البضاوي.

قوله أيضاً: ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ مفعول به ناصبه يحذر فإن يحذر متعد بنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] ولولا أنه متعد في الأصل بنفسه لواحد لما اكتسب بالتضعيف مفعولاً ثانياً، وقال المبرد: إن حذر لا يتعدى. قال: لأنه من هيئات النفس كفزع، وهذا غير لازم، فإن لنا من هيئات النفس ما هو متعد كخاف وخشي اهـ.

قوله: (وهم مع ذلك) أي مع الخوف. قال أبو سلمة: كان إظهارهم للحذر من نزول السورة بطريق الاستهزاء، فكانوا إذا سمعوا رسول الله ﷺ يذكر قرآناً يكذبونه ويستهزئون به، فلذلك قيل: قل استهزئوا الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوا﴾ الخ قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك، ليفتكوا به إذا علاها، وتنكروا عليه في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قد أضمرُوا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله ﷺ، وسراقة يسوقها، فقال لحذيفة: اضرب وجوه

تَحَذَّرُوا ﴿١٠﴾ إخراجهم من نفاقكم ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والمقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ معذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبَايَهُ وَآلِيَهُ وَرُسُلِيهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ عنه ﴿فَدَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِنْ تَقُفْ﴾ بالياء مبنياً للمفعول والنون مبنياً للفاعل ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ باخلاصها وتوبتها كمخشي بن حمير

رواحلهم فضربها حذيفة حتى نجاهم عن الطريق، فلما نزل قال لحذيفة: هل عرفت من القوم أحداً؟ فقال: لم أعرف منهم أحداً يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ إنهم فلان وفلان حتى عدّهم كلهم، فقال له حذيفة: هلا بعثت إليهم من يقتلهم. فقال: «أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيننا الله بالدبلة» وهي خراج من نار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم اهـ خازن.

قوله: (وهم سائرون معك الخ) فكانوا يقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات، ويقولون أيضاً: إن محمداً يزعم أنه ترك في أصحابنا قرآناً، وإنما هو قوله وكلامه، فاطلع الله نبيه على قولهم فقال لهم: قلتم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب اهـ خازن.

وفي البيضاوي: فقالوا: لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك، ولكننا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر اهـ.

قوله: (في الحديث) أي التحدث والجار والمجرور متعلق بالفعلين، وقوله: ولم نقصد ذلك أي الاستهزاء قوله: ﴿أَبَايَهُ﴾ متعلق بقوله ﴿كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ وتستهزئون خبر كان، وفيه دليل على جواز تقديم خبر كان عليها، لأن تقديم المفعول يؤذن بتقديم العامل اهـ سمين.

وفي الآية توبيخ وتقرع للمنافقين وإنكار عليهم، والمعنى كيف تقدمون على إيقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده وأحكامه، والمراد بآياته كتابه، وبرسوله يعني محمداً ﷺ، فيحتمل أن المنافقين لما قالوا: كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام؟ قال بعض المسلمين: الله يعينه على ذلك، فذكر بعض المنافقين كلاماً يشعر بالقدح في قدرة الله، وإنما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء اهـ خازن.

قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ (عنه) أي الاستهزاء والاعتذار التصل من الذنب، وأصله من تعذرت المنازل أي درست وانمحت آثارها، فالمعتذر يزاوّل محو ذنبه. وقيل: أصله من العذر وهو القطع، ومنه العذرة لأنها تقطع. قال ابن الأعرابي: ويقولون اعتذرت المياه أي انقطعت، فكان المعتذر يعاوّل قطع الدم عنه اهـ سمين.

قوله: (مبنياً للمفعول) أي ونائب الفاعل عن طائفة، والقراءتان سبعيتان. قوله: (كمخشي بن حمير) تصغير حمار، وقد أسلم وحسن إسلامه ومات في وقعة اليمامة، وفي نسخة كمخشي بن حمير. وعبرة الخطيب: قال محمد بن إسحاق: الذي عفي عنه رجل واحد، وهو مخشي بن حمير الأشجعي.



﴿ثُمَّ دَبَّ﴾ بالناء والنون ﴿طَائِفَةً يَأْتِيهِمْ كَانُوا يَجْرِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ مصريين على النفاق والاستهزاء ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿سُئِلُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَتِ وَالْكَافِرَ نَارَ جَهَنَّمَ

يقال: هو الذي كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانباً لهم، وكان ينكر بعض ما يسمع، والعرب تطلق لفظ الجمع على الواحد، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ تقشعر منها الجلود وتخفق منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه اهـ.

وعبارة الخازن: ذكر المفسرون أن الطائفتين كانوا ثلاثة، فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد اهـ.

قوله: ﴿المنافقون﴾ وكانوا ثلاثمائة وقوله: ﴿والمنافقات﴾ وكن مائة وسبعين ونبه على المنافقات إشارة لكثرة النفاق فيهم حتى عم نساءهم اهـ شيخنا.

قوله: (أي متشابهون في الدين) أي دينهم الذي هو النفاق، وعبارة الخازن: يعني أنهم على أمر ودين واحد مجتمعون على النفاق والأعمال الخبيثة، كما يقول الإنسان لغيره: أنا منك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه اهـ.

قوله: ﴿يأمرمون بالمنكر﴾ أي يأمر بعضهم بعضاً اهـ خازن.

قوله: ﴿ويقبضون أيديهم﴾ كناية عن الشح، والأصل في هذا أن المعطي يمد يده ويسطها بالعطاء فقيل لمن منع وبخل قد قبض يده، فقبض اليد كناية عن الشح اهـ خطيب.

وقوله: (عن الإنفاق في طاعة الله) أو الواجب والمندوب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نسوا الله﴾ الخ ظاهره مشكل لأن النسيان الحقيقي لا يذم صاحبه عليه لعدم التكليف به،

وقوله: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ ظاهره أيضاً مشكل، لأن حقيقة النسيان محالة على الله، فلذلك حمل الشارح النسيان في الموضوعين على لازمه وهو الترك فهو مجاز مرسل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ أي الكامون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ من كل خير، والظاهر في موضع الاضمار لزيادة التقرير اهـ أبو السعود.

أو للإهانة والتحقير فإن الاظهار كما يأتي للتعظيم يأتي للتحقير كما نص عليه بعضهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وعد الله المنافقين﴾ الخ يقال وعده في الخير والشر والاختلاف إنما هو بالمصدر، فمصدر الأول وعد ومصدر الثاني وعيد، فاستعمل وعد في الشر كما هنا، وفي الخير فيما سيأتي في قوله: ﴿وعد الله المؤمنين﴾ الخ اهـ شيخنا.

خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴿٦٨﴾ جزاء وعقاباً ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٦٩﴾  
 دائم. أنتم أيها المنافقون ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثُرَ آثَرُكُمُ وَأَوَّلُوا فَأَمْسَتُمْ﴾  
 تمتعوا ﴿بِمَخْلَقَتِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿بِمَخْلَقَتِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعْتُمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقَتِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَالَّذِي خَصَاوْراً﴾ أي كخوضهم

وفي المصباح: وعده وعداً يستعمل في الخير والشر ويعدى بنفسه وبالباء، فيقال وعده الخير وبالخير وشرأ وبالشر، وإذا أسقطوا لفظ الخير والشر قالوا في الخير وعده وعداً وعده، وفي الشر وعده وعيداً، فالمصدر فارق وأوعده خيراً وشرأ بالآلف أيضاً، وقد أدخلوا الباء مع الألف في الشر خاصة يقال أوعده بالسجن اهـ.

قوله: ﴿والكفار﴾ أي المتجاهرين بالكفر اهـ أبو السعود فهو عطف مغاير.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ حال من المفعول الأول وهو مجموع الأصناف الثلاثة غير أنها حال مقدرة إذ وقت الوعد لم يكونوا خالدين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جزاء وعقاباً﴾ تمييزان. قوله: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ أي غير النار كالزمهرير، أو عذاب في الدنيا وهو ما يقاسونه من تعب النفاق. إذ هم دائماً في حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كالذين من قبلكم﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره الشارح. وقوله: ﴿من قبلكم﴾ أي: مضوا من قبلكم خطاب للمنافقين كما صنع الشارح، ففي المقام التفات عن الغيبة في قوله: ﴿المنافقون﴾ الخ إلى الخطاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كالذين من قبلكم﴾ أي في الأفعال السابقة، وهي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض الأيدي. وفي الآية وهي ما ذكره بقوله: ﴿فاستمتعوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كانوا أشد منكم قوة﴾ أي في الأبدان. قوله: ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ أي وخاضوا في الباطل أخذاً مما يأتي، وقوله: ﴿نصيبهم من الدنيا﴾ أي من ملاذها واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير، فإنه ما قدر لصاحبه اهـ بياضوي.

قوله: ﴿كما استمتع الذين من قبلكم﴾ الخ ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم من الشهوات القانية والتشاغل بها عن السعي في العاقبة، والسعي في تحصيل اللذات الحقيقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم اهـ بياضوي.

وقوله: تمهيداً الخ دفع به ما يقال من أن ذكر استمتاع الأولين بخلاقهم وقع مكرراً حيث ذكر أولاً: قوله ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾، ثم قوله ﴿كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾، والثاني مغن عن الأول، فما الفائدة في التكرير. ووجه الدفع أنه تعالى ذم الأولين أولاً بالاستمتاع بما ذكر تمهيداً لذم المخاطبين، بأن شبه حالهم بحال الأولين، ففي التكرير تأكيد ومبالغة في ذم المخاطبين وتقييح حالهم، ولم يسلك هذه الطريقة في التشبيه. الثاني وهو قوله: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ حيث لم

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر  
﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَقَوْمُ هُودٍ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ

يَقْل، وخاضوا وخضتم كخوضهم اكتفاء بالتمهيد الأول فاستغنى عن ذكر التمهيد في التشبيه الثاني اهـ زاده.

قوله: ﴿وخضتم﴾ (في الباطل) أي تلبستم به. قوله: (أي كخوضهم) قد جرى الشارح على أن الذي حرف مصدرى، وهو مذهب ضعيف لبعض النحاة وعليه فيقدّر في الكلام مفعول مطلق ليكون مشبهاً بالمصدر المأخوذ من الذي أي: وخضتم خوضاً كخوضهم اهـ شيخنا.  
وفي البيضاوي: ﴿كالذي خاضوا﴾ أي كالذين خاضوا، أو كالقوج الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوه اهـ.

وعائد الموصول تقديره خاضوه، والأصل خاضوا فيه، لأنه يتعدى بفي فاتسع فيه فحذف الجار فاتصل الضمير بالفعل فساغ حذفه، ولولا هذا التدرج لما ساغ الحذف لما عرفت أنه متى جر العائد بحرف اشترط في جواز حذفه جر الموصول بمثل ذلك الحرف اهـ سمين.

قوله: ﴿أولئك﴾ الإشارة إلى كل من المشبهين والمشبّه بهم، فهي لمجموع الفريقين، وقوله: ﴿حبطت أعمالهم﴾ ليس المراد بها أعمالهم المعدودة على ما يشعر به التعبير عنهم باسم الإشارة، فإن عاقبتها غنية عن البيان، بل أعمالهم التي كانوا يستحقون عليها الأجر لو قارنت الإيمان. أي: ضاعت وبطلت بالكلية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في الدنيا والآخرة﴾ أما في الآخرة فظاهر، وأما في الدنيا فلأن ما يترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينشأ عنه قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ [هود: ١٥] الآية ليس ترتبه عليها على وجه المثوبة والكرامة، بل على طريق الاستدراج اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ألم يأتهم﴾ أي المنافقين فهو رجوع إلى الغيبة عن الخطاب، ففيه التفات، والمراد بنيتهم ما فعلوه وما فعل بهم ففعلوا التكذيب وفعل بهم الإهلاك والاستفهام للتقرير على حد ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قوم نوح﴾ أهلكوا بالطوفان، وقوله: ﴿وعاد﴾ أهلكوا بالريح العقيم، وقوله: ﴿وهمود﴾ أهلكوا بالرجفة، وقوله: ﴿وقوم إبراهيم﴾ أهلكوا بسلب النعمة عنهم، وقوله: ﴿وأصحاب مدين﴾ أهلكوا بالظلة اهـ خازن.

وذكر طوائف ستة فهي بدل من الذين بدل بعض من كل، فقوله وعاد إلى آخره المعطوفات كلها على قوم نوح لا على نوح، غير أن الأخير وهو المؤنفاكات على حذف مضاف كما قدره الشارح. إذ المؤنفاكات هي القرى، وهي ليست من الذين خلوا حتى تكون من جملة البدل اهـ شيخنا.

وإنما اقتصر على هذه الستة لأن آثارهم باقية ببلادهم بالشام والعراق واليمن، وكل ذلك قريب

مَن يَكُ ﴿٦٩﴾ قَوْمِ شُعَيْبٍ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةِ ﴿٧١﴾ قَرَى قَوْمِ لُوطِ أَيْ أَهْلِهَا ﴿٧٢﴾ أَنْتُمْ رُسُلُهُمْ يَلْعَنُوكَ ﴿٧٣﴾ بِالْمَعْجَزَاتِ فَكُذِّبُوا ﴿٧٤﴾ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴿٧٥﴾ بَانَ يَعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ﴿٧٦﴾ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٧﴾ بَارْتَكَابِ الذَّنْبِ ﴿٧٨﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴿٧٩﴾ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ عَنْ إِنْجَازِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ﴿٨٠﴾ حَكِيمٌ ﴿٨١﴾ لَا يَضَعُ شَيْئاً إِلَّا فِي مَحَلِّهِ ﴿٨٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ

من أرض العرب، فكانوا يَمرون عليها ويعرفون أخبار أهلها اهـ خازن.

قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ أي المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها، ويقال أفكه إذا قلبه وبابه ضرب اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿والمؤتفكات﴾ أي المنقلبات يقال أفكته فاتفك أي قلبته فانقلب، والمادة تدل على التحول والصرف، ومنه يؤفك عنه من أفك أي يصرف اهـ.

قوله: ﴿أنتم رسلهم﴾ الخ استئناف لبيان نبئهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فما كان الله﴾ الفاء عطف على مقدر كما قدره الشارح. وقوله: ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ تقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات معاً ومآلاً لآثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلاً وأجلاً، والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم إلى بعض بالولائية، وعن نسبة أولئك بمن الاتصالية للإيذان أن نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك، ونسبه أولئك بمقتضى الطبيعة والعادة، وقوله: ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ أي جنس المعروف وجنس المنكر الشاملين لكل خير وشر، ويقيمون الصلاة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه، فهو في مقابلة ما سبق من قوله: نسوا الله، ويؤتون الزكاة في مقابلة قوله: ويقبضون أيديهم ويطيعون الله ورسوله في كل أمر ونهي، وهذا في مقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أولئك﴾ إشارة إلى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة اهـ أبو السعود.

والسين للتأكيد أي للدلالة على تحقيق ذلك وتقرره البتة بمعونة المقام كما هنا. إذ السين موضوعة للدلالة على الوقوع مع التأخير، فإذا كان المقام ليس مقام تأخير لكونه بشارة ووعداً تمحضت لتأكيد الوقوع اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ تعليل لقوله ﴿سيرحهم الله﴾، وقوله: لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده أي المؤمنين بالجنة وعيده أي للمنافقين بالنار فهو لف ونشر مشوش، فقوله: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ راجع للسياقين اهـ شيخنا.

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ ﴿٧٢﴾ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ إِقَامَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٧٣﴾ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ

قوله: (لا يوضع شيئاً إلا في محله) فيبني أحكامه على أساس الحكمة الداعية إلى إيصال الحقوق من النعمة والنعمة إلى مستحقيها من أهل الطاعة وأهل المعصية، فهذا وعد للمؤمنين ووعد للمنافقين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات﴾ أي كل مؤمن وكل مؤمنة، وهذا تفصيل لآثار رحمته والإظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والإشعار بعلية وصف الإيمان للوعد المذكور اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿جنات﴾ أي بساتين. قوله: ﴿ومساكن﴾ أي منازل طيبة أي تستطيها النفوس ويطيب فيها العيش اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في جنات عدن﴾ (إقامة) فعلى هذا يرجع العطف إلى اختلاف الوصف وتغايره، فالجنات وصفت أولاً بأنها ذات أنهار جارية ليميل الطبع إليها، ووصفت ثانياً بأنها محفوفة بطيب العيش خالية عن الكدورات ووصفت ثالثاً بأنها دار إقامة لا يعتر بهم فيها فناء ولا تغير اهـ أبو السعود.

وروى الطبري بسنده عن عمران بن حصين، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ومساكن طيبة في جنات عدن قال: «قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين. وفي رواية «في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من طعام، وفي كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن من القوة بقدر ما يأتي على ذلك كله أجمع» اهـ خازن.

قوله: ﴿ورضوان من الله﴾ أي وشيء يسير من رضوانه تعالى أكبر إذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة، وبه يناط نيل كل شرف وسيادة، ولعل عدم نظمه في سلك الموعود به مع عزته في نفسه، لأنه متحقق في ضمن كل موعود، ولأنه مستمر في الدارين.

روي أنه تعالى يقول لأهل الجنة: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك. قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي الرضوان هو الفوز أي دون ما يعده الناس فوزاً من حطام الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: (باللسان والحجة) أي لا بالسيف لنطقهم بكلمتي الشهادتين، وكل من هو كذلك لا يقاتل بالسيف اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: والمنافقين بإلزام الحجة وإقامة الحدود اهـ.

جَهَنَّمَ وَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ المرجع هي ﴿يَخْلُقُونَ﴾ أي المنافقون ﴿يَا لَوْلَا قَالُوا﴾ ما بلغك عليهم من السب ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِشْلَاقِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهُمُومُوا﴾ يَمَّا لَزَيَّا لَوْلَا﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عودته من تبوك وهم بضعة عشر رجلاً فضر بعمار

ولما كان ظاهر الآية يقتضي مقاتلة المنافقين وهم غير مظهرين للكفر، ونحن مأمورون بالظاهر، فسر الآية بما يناسب ذلك بناء على أن الجهاد بذل الجهد في دفع ما لا يرضى سواء كان بالقتال أو بغيره، وهو إن كان حقيقة فظاهر وإلا حمل على عموم المجاز اهـ شهاب.

قوله: ﴿واغلظ عليهم﴾ أي الفريقين، وقوله: (بالانتهاز) في المصباح: نهرته نهرًا من باب نفع وانتهرته زجرته اهـ.

وفيه أيضاً: مقتته مقتاً من باب قتل أبغضه أشد البغض عن أمر قبيح اهـ.

قوله: ﴿وماؤاهم جهنم﴾ قال أبو البقاء: إن قيل كيف حسنت الواو هنا والفاء أشبه بهذا الموضع، ففيه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أن الواو واو الحال والتقدير افعِلْ ذَلِكَ فِي حَالِ اسْتِحْقَاقِهِمْ جَهَنَّمَ، وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم.

والثاني: أن الواو جيء بها تنبيهاً على ارادة فعل محذوف تقديره: واعلم أن ماؤاهم جهنم.

والثالث: أن الكلام قد حمل على المعنى، والمعنى أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب الآخرة بجعل جهنم ماؤاهم، ولا حاجة إلى هذا كله بل هذه جملة استثنائية اهـ سمين.

وهذه الجملة مستأنفة لبيان مآل أمرهم بعد بيان عاجله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يخلفون بالله﴾ الخ استئناف مسوق لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة للأمر بجهادهم والغلظة عليهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كلمة الكفر﴾ قيل: هي كلمة الجلاس بضم الجيم وتخفيف اللام ابن سويد، قال: إن كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير. وقيل: هي كلمة ابن أبي ابن سلول حيث قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل اهـ خازن.

قوله: (من الفتك) بثلاث الفاء وفعله من باب ضرب ونصر وهو القتل عن غرة أي غفلة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: فتكت به فتكاً من بابي ضرب وقتل، وبعضهم يقول فتكاً مثلث الفاء بطش به أو قتلته على غفلة، وأفتكت بالألف لغة اهـ.

قوله: (ليلة العقبة) أي التي بين تبوك والمدينة. وقوله: (وهم بضعة عشر رجلاً) قد اجتمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبي في العقبة أي يدفعوه عن راحلته ليقع في الوادي فيموت، فأخبره الله بما دبروه، فلما وصل إلى العقبة نادى مناديه بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره

ابن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم. المعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل

واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي، فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي، وسلك النبي ﷺ العقبة، وكان ذلك في ليلة مظلمة، فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة، وكان النبي قد أمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها، وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها، فبينما النبي يسير في العقبة إذ غشيه المنافقون أي ازدحموه، فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم، فولوا مدبرين وعلموا أنه أطلع على مكبرهم فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي، واختلطوا بالناس، فرجع حذيفة يضرب الناقة، فقال له النبي: «هل عرفت أحداً منهم؟» قال: لا كانوا متلثمين والليل مظلمة. قال: «هل علمت مرادهم؟» قال: لا. قال النبي: «إنهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحموني عنها، وإن الله أخبرني بهم وبمكبرهم». فلما أصبح جمعهم وأخبرهم بما مكروا به، فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية اهـ من سيرة الحلبي.

قوله: (فضرب عمار بن ياسر) وكان آخذاً بخطام ناقة رسول الله يقودها، وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها، وقوله: (وجوه الرواحل) أي رواحل المنافقين أي إبلهم الحاملة لهم. وقوله: (لما غشوه) أي أتوه وازدحموه، وقوله: (فردوا) أي رجعوا مدبرين منحطين إلى بطن الوادي ولم يظفروا بمرادهم وهو إلقاء رسول الله ﷺ من فوق راحلته ليموت اهـ شيخنا.

وهذا أحد قولين، والآخر أن الضارب للرواحل هو حذيفة بن اليمان كما تقدم عند قوله: قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون. وفي المصباح: غشيته أغشاه من باب تعب أتيته اهـ.

فأصله غشيوه بشين مكسورة ثم ياء مضمومة، ثم واو ساكنة، فنقلت ضمة الياء للشين بعد سلب حركتها، ثم حذفت الياء لالتقاء ساكنة مع الواو. قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ (أنكروا) أي لا كرهوا ولا عابوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ﴾ الخ، وهذا من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم، كأنه قال: ليس له صفة تكروه وتعاب إلا أنه ترتب على قدومه إليهم وهجرته عندهم اغناء الله إياهم بعد شدة الحاجة، وهذه ليست صفة ذم، فحيث لا صفة تدم أصلاً اهـ شيخنا.

قوله: (بعد شدة حاجتهم) أي قبل قدومه إليهم، فكانوا قبل قدومه المدينة في ضنك من العيش، فلما هاجر إليهم استغنوا بالغنائم وغيرها اهـ خازن.

قوله: (وليس مما ينقم) أي يعاب. قوله: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ أي كما وقع للجلال بن سويد، فإنه تاب وحسن إسلامه. وقوله: ﴿يَكْ خَيْرًا لَهُمْ﴾ اسم يكن المصدر المفهوم من الفعل وهو التوب بمعنى التوبة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ (بالقتل) أي إن أظهروا الكفر فلا ينافي ما سبق من أن قتالهم باللسان والحجة لا بالسيف، لأن ذاك إذا لم يظهروا الكفر، بل أظهروا الإيمان اهـ شيخنا.

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ يمنعهم ﴿وَمَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَكُمْ لَكُمْ فَتْنًا مِنْ قَبْلِهِ لَتَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَالْمُكُونُ مِنْ الصَّلَاحِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ويؤدي منه كل

قوله: ﴿وما لهم في الأرض﴾ أي مع سعتها وتباعد أقطارها وكثرة أهلها أهـ أبو السعود

قوله: ﴿ومنهم﴾ أي المنافقين وإن كان ثعلبة صحيح الإسلام في ابتداء أمره لكنه صار منافقاً في آخر أمره، فصح كونه من المنافقين أهـ شيخنا.

وفي الشهاب: قيل: كان ثعلبة قبل ذلك ملازماً لمسجد رسول الله ﷺ حتى لقب بحمامة المسجد، ثم رآه النبي ﷺ يسرع الخروج من المسجد عقب الصلاة، فقال له رسول الله ﷺ: «مالك تفعل فعل المنافقين؟» فقال: «إني افتقرت ولي ولا مرأتي ثوب أجيء به للصلاة» ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلي به، فادع الله أن يوسع في رزقي إلى آخر ما في القصة أهـ.

قوله: ﴿من عاهد الله﴾ فيه معنى القسم. وقوله: ﴿لئن آتانا من فضله﴾ تفسير لقوله عاهد، واللام موطة لقسم مقدر، وقد اجتمع هنا قسم وشرط، فالمذكور وهو قوله: ﴿لتصدقن الخ﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على حد قوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم واللام في قوله: لتصدقن واقعة في جواب القسم أهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ فيه معنى القسم، فلذلك أجيب بقوله لتصدقن وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب عليه، واللام الموطئة ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له أهـ.

قوله: (في الأصل) صفة للتاء. قوله: ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ يعني ولنعملن في ذلك المال ما عمله أهل الصلاح بأموالهم من صلة الأرحام والاتفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير وإخراج الزكاة وإيصالها إلى أهلها، والصلاح ضد الفساد، والمفسد هو الذي ييخل ببقا يلزمه في حكم الشرع أهـ خازن.

قوله: (وهو ثعلبة بن حاطب الخ) عبارة الخازن: روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول ادع الله أن يرزقني مالاً. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطبيق»، ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «أما لك في أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت» ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله: ادع الله أن يرزقني مالاً والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً». قال: فاتخذ غنماً فتمت كما ينمي الدود، فضاقت عليه المدينة فتجني عنها فنزل وادياً من أوديتها، وهي تنمي كما ينمي الدود، فكان يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر،



ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿فَاعْقِبْهُمْ﴾ أي فصير عاقبتهم

ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضاً، فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة، فكان إذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «ما فعل ثعلبة؟» فقالوا له: يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنماً ما يسمعها واد، فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة»، فأنزل الله آية الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سليم ورجلاً من بني جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها، وقال لهما: «مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما»، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا، ثم عودا إليّ فانطلقا وسمع بها السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها، فلما رأياه قالا: ما هذا عليك. قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي. قال: فأقبلا فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يتكلما: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة»، ثم دعا للسلمي بخير فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فأنزل الله فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَثْنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ اهـ بحروفه.

وفي المصباح: نَمِيَ الشيء ينمى من باب من نماه بالفتح والمد كثر، وفي لغة ينمو نمواً من باب سما ويتعدى بالهمزة والتضعيف اهـ.

وفي الخازن ما نصه: وهذا أحد قولين في سبب نزولها، والآخر أنه حاطب بن أبي بلتعة. قال السائب: إن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه، فجهد لذلك جهداً شديداً، فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن قرابتي، فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه، فأنزل الله هذه الآية اهـ.

قوله: (ويؤدي منه كل ذي حق الخ) ليس معطوفاً على المنصوب قبله لفساد المعنى. إذ يلزم على العطف أن يكون مسؤوله أمرين رزقه المال، وكونه يؤدي منه الخ مع أنه ليس كذلك، بل إنما مسؤوله الأول فقط، والثاني قد التزمه بنفسه، فالواو للحال يؤدي فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وصاحب هذه الحال الضمير في سأل أي سأل هو، والحال أنه يؤدي الخ أي يلتزم التأدية أي سأل النبي أن يدعو له بما ذكر حال كونه ملتزماً لأن يؤدي الخ أفاده القاري اهـ شيخنا.

قوله: (فدعا له) أي في المرة الثالثة، قال: اللهم ارزق ثعلبة مالاً الخ. قوله: (فوسع عليه) أي بأن رزقه غنماً، فصارت تنمو إلى أن قطعت عن الجمعة والجماعة إلى آخر ما تقدم اهـ.

قوله: ﴿بَخِلُوا بِهِ﴾ أي حيث بعث رسول الله ﷺ الساعة لأخذ الزكاة منه فمنعها وقال: ما هي إلا جزية إلى آخر ما تقدم، وهذا راجع لقوله ﴿لَتَصَّدَّقَنَّ﴾، وقوله: ﴿وتولوا﴾ راجع لقوله ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ فهو لف ونشر مرتب، وقول الشارح كما قال متعلق بقوله: فانقطع الخ، وقوله: ومنع الخ فهو بالنسبة إلى الآية لف ونشر مشوش اهـ شيخنا.

﴿ثَنَاقًا﴾ ثَابِتًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴿أَيُّ اللَّهِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿يَمَّا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ فِيهِ . فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرَكَاتِهِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ مُنْعِنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ

قوله: ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ أي عما عاهدوا الله عليه وهم معرضون أي عن العهد أهد خازن.

قوله: ﴿فَاعْقِبْهُمْ نِفَاقًا﴾ الخ أي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً وسوء اعتقاد في قلوبهم، ويجوز أن يكون الضمير للخل. والمعنى فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم أهد بياضوي. يقال أعقبت فلاناً ندماً إذا صيرت عاقبة أمره ذلك أهد خازن.

وهذا مسبب عن قوله: ﴿بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: أي فارتدوا عن الإسلام وضاروا منافقين أهد.

قوله: ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ يعني أنه تعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه أهد خازن.

قوله: ﴿يَمَّا أَخْلَفُوا اللَّهَ﴾ الباء سببية وما مصدرية، وكذلك ما وعده. والتقدير: بسبب إخلافهم الله الوعد، وقوله: فيه أي الوعد المفهوم من الفعل أهد شيخنا.

وفي الخازن: روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر» أهد.

قوله: (فجاء بعد ذلك) أي بعد نزول الآية أي: جاء غير تائب في الباطن، وقوله: متعني أي بالوحي، وقوله: فجعل يحثو التراب على رأسه أي تستراً وخوفاً من أن ينظم في سلك الكفار ويخرج من سلك المؤمنين ويعامل معاملة الكفار أهد شيخنا.

وفي المصباح: حثا الرجل التراب يحثوه من باب عدا حثوا ويحثيه حثياً من باب رمى لغة إذا هاله بيده وبعضهم يقول: إذا قبضه بيده ثم رماه ومنه فاحثوا التراب في وجهه، ولا يكون إلا بالقبض والرمي أهد.

قوله أيضاً: (فجاء بعد ذلك إلى النبي الخ) وذلك أنه لما منع الزكاة أنزل الله، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾، وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك، فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة، لقد أنزل الله عليك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك»، فجعل يحثي على رأسه التراب فقال له رسول الله: «هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني»، فلما أبى رسول الله أن يقبض صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله ﷺ، فأتى أبا بكر فقال: أقبل صدقتي فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ، قال لا أقبلها، فقبض أبو بكر ولم يقبل منه: فلما ولي عمر أياه فقال: أقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها منك

فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه ﴿أَلَزِمْتُمَا﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَكْلِمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجَوْنَهُمْ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ ﴿٧٨﴾ ما غاب عن العيان. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون وراء وجاء رجل فتصدق

رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، فأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها. ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان. قال بعض العلماء: وإنما لم يقبل رسول الله ﷺ صدقة ثعلبة، لأن الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على خلاف ما عاهد الله عليه وإهانة له على قوله: إنما هي جزية أو أخت الجزية، فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه إهانة له وليعتبر غيره، ولا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس بإخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يثاب على إخراجها ويعاقب على منعها اهـ خازن.

قوله: (فجعل يحثو التراب) في نسخة يحثي، وتقدم أنه من باب عدا ورمى اهـ.

قوله: (ثم جاء إلى أبي بكر) أي في زمن خلافته وكذا يقال فيما بعده.

قوله: (أي المنافقون) أي مطلقاً لا بقيد كونهم الذين عاهدوا الله، إذ الآيات الواردة في خصوص المعاهدين قد انقضت بقوله ﴿يَكْذِبُونَ﴾، فهذا رجوع لما سبق في قوله ﴿المنافقون والمنافقات الخ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (ما تناجوا به) أي ما تحدثوا به من الفتك بالنبي ومنع الزكاة وغير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ عطف علة أي: ولأن الله الخ اهـ شيخنا.

قوله: (آية الصدقة) أي قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ الخ، لكن يرد على هذا القول أن الآية المذكورة مفروضة في الزكاة بدليل قوله: فريضة من الله، والمتصدقون هنا كانوا متطوعين، فلذا قال الشارح المتتفلين، وكذا قال غيره، فالأولى التعويل على القول الآخر في سبب النزول الذي ذكره البيضاوي وغيره، وهو: أن النبي ﷺ خطب الناس ذات يوم وحث على الصدقة ورغب فيها اهـ.

قوله: (جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف أتى بأربعين أوقية من الذهب، وقيل: بأربعة آلاف درهم، وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة، فاجعلها يا رسول الله في سبيل الله وأمست لعيالي أربعة، فقال النبي: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمست» فبارك الله له حتى صولحت إحدى نساءه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً، وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفاً، وأوصى بخمسين ألف دينار وبألف فرس في سبيل الله، وأوصى لمن بقي من البدرين إذ ذاك، وكان للباقي مائة، وأوصى لكل منهم بأربعمائة دينار. وقوله: وجاء رجل وهو أبو عقيل الأنصاري جاء بصاع تمر، وقال: بت ليلتي أجر بالجرير أي أجر بالحبل لأستقي الماء أي: أنه كان أجيراً ليستقي الماء من البئر لزراع أولغيره، وقال: كانت أجرتي صاعين من تمر، فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع، فأمره النبي أن ينثره على الصدقات اهـ من الخازن.

وفي المصباح: نثرته نثراً من بابي قتل وضرب رميت به متفرقاً فانتثر ونثرت الفاكة ونحوها،

بصاع فقالوا إن الله غني عن صدقة هذا فيزل ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْمُرُونَ﴾ يعيرون ﴿الْمُطَوِّعِينَ﴾ المتطوعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ طاعتهم فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخرتهم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿أَسْتَغْفِرُ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﴿إِنِّي خَيْرٌ مِنَ النَّارِ﴾

والنار بالكسر والضم لغة اسم للفعل كالنثر، ويكون بمعنى المثور كالكتاب بمعنى المكتوب، وأصبحت من النثار أي من الثور وقيل: النثار ما يتناثر من الشيء كالسقاط لما يسقط والضم لغة تشبيهاً بالفضلة التي ترمى اهـ.

قوله: (فقالوا إن الله غني عن صدقة هذا) أي وإنما أحب أبو عقيل أن يذكر بنفسه ليعطي من الصدقات اهـ يضاوي.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾ فيه أوجه، أحدها أنه مرفوع على إضمار مبتدأ أي: هم الذين. الثاني: أنه في محل رفع بالابتداء، ومن المؤمنين حال من المطوعين، وفي الصدقات متعلق بيلمزون، والذين لا يجدون نسق على المطوعين أي يعيرون المياسير والفقراء، وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ نسق على الصلة، وخبر المبتدأ الجملة من قوله: ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، وهذا أصح إعراب قيل هنا اهـ سمين.

وفي المصباح: لمزه لمزاً من باب ضرب عابه، وقرأ بها السبعة، ومن باب قتل لغة وأصله الإشارة بالعين ونحوها اهـ.

قوله: ﴿الْمُطَوِّعِينَ﴾ أصله المتطوعين فقلبت التاء طاء وأدغمت في الطاء، وقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بيان، وقوله: ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي صدقات النفل كما يؤخذ من الشارح، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ الخ معطوف على المطوعين عطف خاص على عام، وليس معطوفاً على البيان لإيهام أن المعطوف ليس من المؤمنين، وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ عطف على الصلة، فالصلة أمران اللمز والسخرية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ في القرطبي: الجهد شيء يسير يعيش به المقل اهـ.

قوله: (فيأتون به) أي يجهدهم. قوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ في المصباح: سخرت منه سخران من باب تعب هزئت به، والسخري بالكسر اسم منه، والسخري بالضم لغة فيه، والسخرة وزان غرفة ما سخرت من خادم أو جارية أو دابة بلا أجر ولا ثمن، والسخري بالضم بمعناه وسخرته في العمل بالثقل استعماله مجاناً، وسخر الله الإبل ذللها وسهلها اهـ.

وفيه أيضاً هزئت به أهزأ مهموز من باب تعب، وفي لغة من باب نفع سخرت منه اهـ.

قوله: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ الآية. قال المفسرون: لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يعتذرون ويقولون: استغفر لنا فترلت استغفر لهم يا محمد أو لا تستغفر لهم، وهذا كلام خرج مخرج الأمر، ومعناه الخبر تقديره استغفارك لهم وعدمه سواء اهـ خازن.

فاخترت» يعني الاستغفار. رواه البخاري ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث «لو أعلم أنني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها» وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً «وسأزيد على السبعين» فبين له حسم المغفرة بآية سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم

قوله: (تخيير له) فالمعنى إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم.

قوله: (قال ﷺ) استدلال على حمل الآية على التخيير اهـ شيخنا. وتصويره بصورة الأمر للمبالغة في بيان استوائهما اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ بيان لاستحالة المغفرة لهم بعد المبالغة في الاستغفار أثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه اهـ أبو السعود.

قوله: (قيل المراد بالسبعين الخ) هذا بناء على أن العدد لا مفهوم له، وقوله: المبالغة في كثرة الاستغفار أي: على عادة العرب فلا يرد لم خص السبعين مع أنه لا يغفر لهم أصلاً لأنهم مشركون، والله لا يغفر أن يشرك به اهـ كرخي.

قوله: (غفر) جواب لو الثانية، وقوله: لزدت جواب لو الأولى اهـ شيخنا.

قوله: (لحديثه) أي البخاري، وهذا القول بناء على أن العدد له مفهوم اهـ.

قوله: (فبين له) أي بين الله تعالى له ﷺ حسم المغفرة، وهذا تفريع على القول الثاني، والمراد من هذه العبارة أن مفهوم السبعين على هذا القول قد نسخ بآية سواء عليهم استغفرت لهم. وفي الخازن: قال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين لعل الله أن يغفر لهم» فأنزل الله تعالى: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ [المنافقون: ٦] اهـ.

قوله أيضاً: (فبين له حسم المغفرة) أي حسم طمعه فيها، ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لم يخف عليه ذلك، وإنما أراد بما قال إظهار كمال رحمته ورأفته بمن بعث إليهم، وفيه لطف بأمته وحث لهم على المراحم وشفقة بعضهم على بعض، وهذا دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [إبراهيم: ٣٦] اهـ كرخي.

وفي المختار: الحسم القطع وهو من باب ضرب اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار ليس لعدم الاعتداد باستغفارهم، بل بسبب أنهم كفروا بالخ. وفي الكرخي: ذلك أي اليأس من الغفران لهم بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله لا يبخل منا أو قصور فيك، بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها اهـ.

قوله: ﴿فرح المخلفون﴾ اسم مفعول. أي الذين خلفهم وأقعدهم الكسل اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: فرح المخلفون أي الذين خلفهم النبي ﷺ بالإذن لهم في القعود عند

﴿خَلَفَ﴾ أي بعد ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كَبِيرًا جَزَاءً يَمَآ كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ خبر عن خالهم بصيغة الأمر ﴿إِن زَيْمَكَ﴾ ردك ﴿اللَّهُ﴾ استئذنانهم، أو خلفهم الله تعالى بتبسيطه إياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية، أو خلفهم كسلهم أو نفاقهم اهـ.

قوله: (أي بعد) أي فخلف ظرف زمان أو مكان يقال: فلان أقام خلاف النحي أي بعدهم اهـ كرخي. وفي السمين قوله: خلاف رسول الله فيه ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر مدلول عليه بقوله مقعدهم لأنه في معنى تخلفوا أي تخلفوا خلاف رسول الله.

الثاني: أن خلاف مفعول من أجله والعامل فيه إما فرح وإما مقعد أي طرخوا لأجل مخالفتهم رسول الله ﷺ حيث مضى هو للجهاد وتخلفوا هم عنه، أو بقعودهم لمخالفتهم له، وإليه الطبري والزجاج، ويؤيد ذلك قراءة من قرأ خلف بضم الخاء وسكون اللام.

والثالث: أن ينصب على الظرف أي: بعد رسول الله. يقال: أقام زيد خلاف القوم أي: تخلف بعد ذهابهم، وخلاف يكون ظرفاً. وإليه ذهب أبو عبيدة، وعيسى بن عمر، والأخفش، ويؤيد هذا قراءة ابن عباس، وأبي حيو، وعمرو بن ميمون خلف بفتح الخاء وسكون اللام اهـ.

قوله: ﴿وَكُرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ الخ المعنى أنهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج إلى الجهاد، وذلك أن الإنسان يميل بطبعه إلى إثارة الراحة والقعود مع الأهل والولد، ويكره إتلاف النفس والمال اهـ خازن.

قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ﴾ لما تقدم لك أن غزوة تبوك كانت في شدة حر وقحط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ جعلها الشارح شرطية حيث قدر لها جواباً محذوفاً اهـ شيخنا. وهذا اعتراض تذييلي من جهته تعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكداً لمضمونه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ أي بالنسبة للبكاء في الآخرة وإن كان كثيراً في نفسه. وفي الخازن: والمعنى أنهم وإن فرحوا وضحكوا طول أعمارهم الدنيا، فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم في الآخرة، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية، والمنقطع الفاني بالنسبة إلى الدائم الباقي قليل اهـ.

قوله: ﴿جَزَاءً يَمَآ كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فيه وجهان.

الأول: أنه مفعول لأجله أي سبب الأمر بقلة الضحك وكثرة البكاء جزاؤهم بعملهم، وبما يتعلق بجزاء لتعديته به، ويجوز أن يتعلق بمحذوف لأنه صفته.

من تبوك ﴿إِنَّكَ طَائِفَتُهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَدْرَكَ لَخُرُوجٍ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُفْعِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ

والثاني : أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر أي يجزون جزءا هـ سمين .

قوله : (خبر عن حالهم الخ) عبارة أبي السعود : إخبار عن عاجل أمرهم وآجله بما ذكر من الضحك القليل والبكاء الكثير ، وقليلاً وكثيراً منصوبان على المصدرية أو الظرفية وإخراجه في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به ، فإن الأمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به . خلا أن المقصود إفادته في الأول هو وصف القلة فقط ، وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف هـ .

روى البيهقي بسنده عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتابكوا ، فإن أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع ، فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلو أن سفناً أجريت فيها لجرت» . هـ خازن .

قوله : ﴿فَإِنْ رَجَعَكُمْ﴾ الفاء لتفريع الأمر الآتي على ما سرد من أمرهم هـ أبو السعود .

وقوله : ردك أي فالفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم هـ أبو السعود .

واللازم من باب جلس والمتعدي من باب قطع كما في المختار ، وفي الكرخي : ومعنى الرجع تصيير الشيء إلى المكان الذي كان فيه . يقال : رجعته رجعاً كقولك : رددته رداً هـ .

قوله : (ممن تخلف) بيان للضمير في منهم ، وقوله من المنافقين بيان للطائفة ، فالمنافقون بعض المتخلفين . إذ من جملة المتخلفين أهل العذر من المؤمنين هـ شيخنا .

وفي البيضاوي : أن المتخلفين من المنافقين كانوا اثني عشر رجلاً هـ .

قوله : ﴿فَاسْتَدْرَكَ﴾ أي الطائفة وجمع الضمير باعتبار المعنى ، فإن معناها متعدد هـ شيخنا .

قوله : ﴿فَقُلْ﴾ (لهم) ﴿لَنْ تَخْرُجُوا﴾ الخ أي فقل لهم لإخراجاً لهم من ديوان الغزاة وإبعاداً لمحلهم عن محفل صحبتك ، وقوله : ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ هذا إخبار في معنى النهي للمبالغة هـ أبو السعود .

وفي الآية دليل على أن الرجل إذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته ، لأن الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله ﷺ إلى الجهاد ، وهو مشعر بإظهار نفاقهم وذهمهم وطردهم وإبعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم إذا خرجوا إلى الغزوات هـ خازن .

قوله : (أول مرة) وهي الخروج لغزوة تبوك . قوله : ﴿مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ هذا الظرف يجوز أن يتعلق بأقعدوا ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف لأنه حال من فاعل أقعدوا ، والخالف المتخلف بعد القوم وقيل : الخالف الفاسد من خلف أي فسد ، ومنه خلوف فم الصائم ، والمراد بهم النساء والصبيان والرجال العاجزون ، فلذلك جاز جمعه للتغليب . وقال قتادة : الخالفون النساء وهو مردود لأجل الجمع ، وقرأ عكرمة ، ومالك بن دينار مع الخلفين مقصوراً من الخالفين هـ سمين .

الْمُتَخَلِّفِينَ ﴿٨٣﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم . ولما صلى النبي ﷺ على ابن أبي نزل ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا

قوله: (وغيرهم) كالمرضى . قوله: (ولما صلى النبي ﷺ على ابن أبي) أي عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان له ولد مسلم صالح، فدعا النبي ليصلي على أبيه شفقة ورجاء أن يغفر له، فأجاب النبي ﷺ تسلياً له ومراعاة لجانبه، وكان سألَهُ أيضاً أن يكفنه أي أن يكفن النبي أباه في قميصه . أي قميص النبي ففعل اهـ أبو السعود.

قوله: (على ابن أبي) وكان رئيس الخزرج وينسب لأبيه وأمه، فأبوه أبي وأمه سلول وكان اسمه عبد الله اهـ شيخنا .

قوله: ﴿منهم﴾ صفة لأحد، وكذلك الجملة من قوله ﴿مات﴾، ويجوز أن يكون منهم حالاً من الضمير في مات أي: مات حال كونه منهم أي متصفاً بصفة التفارق كقولهم: أنت مني يعني على طريقي، وأبدأ ظرف منصوب بالنهاي اهـ سمين .

وقد وقع في الأحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن سلول صورة اختلاف في الروايات، ففي حديث ابن عمر أنه لما توفي عبد الله بن أبي أتى ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وأن يصلي عليه، فأعطاه قميصه وصلى عليه . وفي حديث عمر بن الخطاب من أفراد البخاري أن رسول الله ﷺ دعا له ولم يصلي عليه . وفي حديث جابر أن النبي ﷺ أتاه بعدما أدخل في حفرة، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه . ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه ﷺ أعطاه قميصه فكفن فيه، ثم إنه صلى عليه . وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه، فالظاهر والله أعلم أنه ﷺ صلى عليه أولاً كما في حديث ابن عمر، ثم إن رسول الله ﷺ أتاه ثانياً بعدما أدخل حفرة فأخرجه منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه، ثم أنه ﷺ ألبسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعد الله بن أبي تطييباً لقلب ابنه عبد الله، فإنه كان من فضلاء الصحابة، وأصدقهم إسلاماً، وأكثرهم عبادة، وأشرحهم صدرًا .

ويروى أن النبي ﷺ كلم فيما فعل بعد عبد الله بن أبي فقال ﷺ: ﴿وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله، والله إنني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه﴾ . ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما وأهه بترك بقميص النبي ﷺ . وفي رواية عن جابر قال: لما كان يوم بدر أتني بالأسارى وأتني بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي مقدراً عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه له اهـ خازن .

قوله: ﴿ولا تقم على قبره﴾ يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره وناب عنه فيه اهـ خازن .

قوله: ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ الخ تعليل للنهي عن الصلاة عليه والقيام على قبره . ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله ﷺ على منافق، ولا قام على قبره بعدها .

فإن قلت: الفسق أدنى حالاً من الكفر، ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافراً فيدخل تحته



وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴿وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ تَخْرُجَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾ أي طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ بَأَن ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ

الفسق وغيره، فما الفائدة في وصفه بكونه فاسقاً بعد وصفه بالكفر؟ قلت: إن الكافر قد يكون عدلاً في دينه بأن يؤدي الأمانة ولا يضمّر لأحد سوءاً، وقد يكون خبيثاً في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع وإضمّار السوء للغير، وهذا أمر مستقيم عند كل أحد. ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين، بعد أن وصفهم بالكفر اهـ خازن.

قوله: ﴿وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ الكلام على هذه الآية في مقامين.

المقام الأول: في وجه التكرار والحكمة فيه أن تجدد النزول له شأن في تقرر ما نزل أولاً وتأكيده وإرادة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه، وأن يعتقد أن العمل به مهم، وإن أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو أن أشد الأشياء جذباً للقلوب والخواطر الاشتغال بالأموال والأولاد، وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى. وبالجملّة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به، وقيل أيضاً إنما كرر هذا المعنى لأنه أراد بالآية الأولى قوماً من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها، وبالآية الأخرى أقوماً آخرين منهم.

المقام الثاني: في بيان وجه ما حصل من التفاوت في الألفاظ في هاتين الآيتين، وذلك أنه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ﴾ بالفاء، وقال هنا ولا تعجبك بالواو، والفرق بينهما أنه عطف الآية الأولى على قوله: ﴿وَلَا يَنْفَقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾. وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد، فحسن العطف عليه بالفاء في قوله: فلا تعجبك. وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلها أنى بالواو، وقال تعالى في الآية الأولى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، وأسقط حرف لا هنا فقال: وأولادهم. والسبب أن حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد، فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الأموال والأولاد، وكان إعجابهم بأولادهم أكثر، وفي إسقاط حرف لا هنا دليل على أنه لا تفاوت بين الأمرين. وقال تعالى في الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥] بحرف اللام، وقال هنا ﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال، وأنه وإن ورد حرف اللام فمعناه أن كقوله: ﴿وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهُ﴾ [البينة: ٥] فإن معناه وما أمروا إلا بأن يعبدوا الله. وقال تعالى في الآية الأولى في الحياة الدنيا، وقال هنا في الدنيا، والفائدة في إسقاط لفظ الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الخسة إلى حيث أنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة، بل يجب الاختصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهاً على كمال ذمها، فهذه جمل في ذكر الفرق بين هذه الألفاظ، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه اهـ خازن.

قوله: (أي طائفة من القرآن) فعلى هذا تصدق السورة بالسورة الكاملة وبعضها، وقوله: ﴿أَنْ﴾ أن مصدرية على صنيع الشارح حيث قدر الجار محذوفاً وهو الباء التي هي للملابسة اهـ شيخنا.

ويحتمل أنها مفسرة لما في الإنزال من معنى القول والوحي، والقولان منصوبان في أبي السعود.

وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ ﴿٨٦﴾ ذُو الْغَنَى ﴿٨٧﴾ وَيَتَّخِذُوا ذُرًّا تُكَفِّرُ عَنْ الْقَوَّيْنِ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴿٩٠﴾ جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَيُطِيعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ ﴿٨٦﴾ الخير ﴿لَيْكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ أي الفائزون ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بادغام التاء في الأصل في الدال أي

قوله: ﴿أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾ الخطاب للمنافقين، والمعنى أخلصوا في إيمانكم وجهادكم اهـ خازن.

قوله: ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال، وقيل: هم رؤساء المنافقين وكبرائهم، وفي وجه تخصيص أولى القول بالذكر قولان، أحدهما: أن الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد. والقول الثاني: إنما خص أولو الطول بالذكر، لأن العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج إلى الاستئذان اهـ خازن.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ عطف تفسيري لاستأذنتك مغن عن بيان ما استأذنا فيه، وهو القعود اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿رَضُوا﴾ الخ استئناف لبيان سوء صنيعهم اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ الخوالف: جمع خالفة من صفة النساء، وهذه صفة ذم. وقاله النجاشي: يجوز أن تكون الخوالف من صفة الرجال بمعنى أنها جمع خالفة. يقال: رجل خالفة أي: لا خير فيه، فعلى هذا يكون جمعاً للذكر باعتبار لفظه. وقال بعضهم: إنه جمع خالف يقال: رجل خالف أي لا خير فيه، وهذا مردود، فإن فواعل لا يكون جمعاً لفاعل وصفاً لعاقل إلا ما شذ من نحو فوارس ونواكس وهوالك اهـ سمين.

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الخير) أي الذي في الجهاد أي ولا الشر الذي في التخلف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ﴾ الخ أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم اهـ بياضاي.

قوله: ﴿الْخَيْرَاتُ﴾ (في الدنيا) أي بالنصر والغنيمة وقوله: والآخرة، أي: بالجنة والكرامة اهـ خازن.

قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ الخ استئناف لبيان كونهم مفلحين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ما فهم من إعداد الله لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ الخ شروع في بيان أحوال منافقي الأعراب إثر بيان أحوال منافقي أهل المدينة اهـ أبو السعود.

المعتذرون بمعنى المعذورين وقرىء به ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالشيخوخ

والأعراب: سكان البادية، وهم أخص من العرب: إذ العربي من تكلم باللغة العربية سواء كان يسكن البادية أو الحاضرة اهـ شيخنا.

وهؤلاء المعذرون هم أسد وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال، وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت طيىء على أهالينا ومواسينا. والمعذر إما من عذر في الأمر إذا قصر فيه موهماً أن له عذراً ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهد العذر، وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة، فيكون قوله: ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ في غيرهم، وهم منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان، وإن كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار اهـ بيبضاوي.

قوله: ﴿المعذرون﴾ قرىء بوجه كثيرة. فمنها قراءة الجمهور بفتح العين وتشديد الذال، وهذه القراءة تحتمل وجهين الأول: أن يكون وزنه فعل مضعفاً، ومعنى التضعيف فيه التكلف، والمعنى أنه يوهم أن له عذراً ولا عذر له. والثاني: أن يكون وزنه افتعل والأصل اعتذر فأدغمت التاء في الذال بأن قلبت تاء الافتعال ذالاً ونقلت حركتها إلى الساكن قبلها وهو العين، ويدل على هذا قراءة سعيد بن جبير المعتذرون على الأصل، وإليه ذهب الأخفش، والفراء وأبو عبيد، وأبو حاتم، والزجاج اهـ سمين.

فقول الشارح بإدغام التاء أي بعد نقل حركتها إلى العين. قوله: (أي المعتذرون) أي بأعذار كاذبة كما يفهم من هذا التعبير: إذ المعذر من يوهم أن له عذراً فيما يفعله ولا عذر له اهـ أبو السعود.

قوله: (بمعنى المعذورين) أي بالأعذار الكاذبة. وقوله: وقرىء أي شاذاً به أي بالمعتذرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كذبوا الله ورسوله﴾ قرأ الجمهور كذبوا بالتخفيف، أي: كذبوا في أيمانهم. وقرأ الحسن في المشهور عنه، وأبي وإسماعيل كذبوا بالتشديد أي: لم يصدقوا ما جاء به الرسول عن ربه، ولا امتثلوا أمره اهـ سمين.

قوله: (من منافقي الأعراب) بيان للذين كذبوا فمنافقوا الأعراب قسمان: قسم جاء واعتذر بالأعذار الكاذبة، وقسم لم يجيء ولم يعتذر اهـ شيخنا.

وقوله: (عن المجيء) متعلق بقعد. قوله: ﴿الذين كفروا منهم﴾ أي من الأعراب أو من المعتذرين، وأتى بمن التبعيضية لأن منهم من أسلم فلم يصبه العذاب اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿عذاب أليم﴾ أي في الدنيا بالقتل والأسر، والآخرة بالنار المؤبدة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليس على الضعفاء﴾ الخ لما ذكر الله المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار باطلة ذكر أصحاب الأعذار الحقيقية الصحيحة، والضعفاء: جمع ضعيف وهو الصحيح في بدنه عاجز

﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعمي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُفْقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرْجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم بعدم الإرجاف والتشيط والطاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق بالمواخذه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم

عن الغزو، مثل الشيوخ والصبيان والنساء، ومن خلق في أصل خلقته ضعيفاً نجيفاً، ويدل على هذا المراد عطف المراد المرضى على الضعفاء. إذ العطف يقتضي المغايرة اهـ خازن.

قوله: (كالشيوخ) أي وكالنساء والصبيان اهـ.

قوله: (والزمنى) في المختار الزمانة آفة في الحيوان، ورجل زمن أي سبى الزمانة، وقد زمن من باب سلم اهـ.

قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ أي لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة اهـ بياضوي.

وقوله: ﴿حَرْجٌ﴾ اسم ليس، وقوله: (في التخلف عنه) أي عن الجهاد لقوله: (بعدم الإرجاف الخ) بيان لما حصل به النصح. وقوله: (والطاعة) معطوف على عدم لا على الإرجاف كما لا يخفى، ولو قدمه لكان أوضح فيقول بالطاعة وعدم الإرجاف والتشيط، والمراد طاعة الله ورسوله. وغاية الخازن: ومعنى النصح أن يقيموا في البلد، ويحترزوا عن إفشاء الأراجيف وإثارة الفتن، ويستعوا في إيصال الخير إلى أهل المجاهدين الذين خرجوا إلى الغزو، ويقوموا بمصالح بيوتهم ويخلصوا الإيمان والعمل لله، ويتابعوا الرسول فجملة هذه الأمور تجزي مجرى النصح لله ورسوله اهـ.

وفي المصباح: وأرجف القوم في الشيء، وبه إرجافاً أكثروا من الأخبار السيئة واختلاف الأقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس منها اهـ.

وفيه أيضاً: ثبطه تشيطاً قعد به عن الأمر وشغله عنه أو معه تخديلاً ونحوه اهـ.

قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي ليس على من أحسن، فنصح لله ورسوله في تخلفه عن الجهاد بعد أن أباحه الشارع طريق يتطرق إليه. والمعنى أنه سد بإحسانه طريق العقاب عن نفسه اهـ خازن.

وهذا استئناف مقرر لمضمون ما سبق أي ليس عليهم جناح، ولا إلى معاقبتهم سبيل، ومن مزيد في المبتدأ للتأكيد، والمراد بالمحسنين الذين تخلفوا للعذر، وهم الضعفاء والمرضى والفقراء والمقام للضمير، فكان يقال: ما عليهم من سبيل، وإنما أتى بالظاهر للدلالة على انتظامهم بنظمتهم في سلك المحسنين اهـ أبو السعود.

فتلخص من كلامه أن جملة ما على المحسنين الخ مؤكدة لما قبلها. وقوله: ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ فاعل بالجار قبله لاعتماده على النفي، ويجوز أن يكون مبتدأ والجار قبله خبره، وعلى كل من القولين فمن مزيدة فيه أي ما على المحسنين سبيل اهـ سمين.

في التوسعة ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب إذا أي انصرفوا ﴿وَأَعْيَنُهُمْ تَقِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنْ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ حَزَنُوا﴾ لأجل ﴿أَلَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ في الجهاد ﴿إِنَّمَا

قوله: (في التوسعة في ذلك) أي نفي الحرج عنهم.

قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾ الخ أي ليس عليهم سبيل، فهو معطوف على المحسنين كما يؤذن به قوله فيما سيأتي: إنما السبيل الآية. وقيل: عطف على الضعفاء، فالمعنى ولا على الذين الخ أي ليس عليهم حرج اهـ من أبي السعود.

قوله: (إلى الغزو) أي غزوة تبوك. قوله: (وهم سبعة من الأنصار) أي من فقرائهم جاؤوا للنبي يستحملونه أي يسألونه أن يحملهم، فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، وعند ذلك تولوا وأعينهم تفيض من الدمع الآية. ومن ثم قيل لهم البكاؤون، فحمل العباس منهم اثنين، وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهزه وهو ألف كما سبق، وحمل يامين بن عمرو النضري اثنين اهـ من مختصر سيرة الحلبي.

قوله: (وقيل بنو مقرن) هم بطن من مزينة، وكانوا ثلاثة إخوة معقل وسويد والنعمان، فهذا مقابل لقوله وهم سبعة. وقيل: هم أصحاب أبي موسى الأشعري كما في البخاري. قوله: ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ﴾ الخ في إثبات هذا التعبير على ليس عندي الخ لطف في الكلام وتطبيب لقلوب السائلين كأنه قال: أنا أطلب ما تسألونه وأنتش عليه فلا أجده فأنا معذور اهـ من أبي مسعود. قوله: (حال) أي جملة قلت حال أي من الكاف في أتوك، وبعضهم جعلها هي الجواب وجعل جملة تولوا مستأنفة في جواب سؤال كأنه قيل: فماذا حصل لهم بعد القول المذكور. فحيثذا الوقف بنية القارئ، فعلى صنيع المفسر لا يقف على قوله عليه، وعلى الاحتمال الثاني يصح أن يقف عليه اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ﴾ الخ فيه أوجه أحدها أنه جواب إذا الشرطية، وإذا وجوابها في موضع الصلة وقعت الصلة جملة شرطية، وعلى هذا فيكون قوله ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواباً لسؤال مقدر كأن قائلًا: قال: ما كان حالهم وقت أن أجيبوا بهذا الجواب؟ فأجيب بقوله تولوا. الثاني: أنه في موضع نصب على الحال من كاف أتوك أي إذا أتوك وأنت قائل لا أجد ما أحملكم عليه، وقد مقدرة عند من يشترط ذلك في الماضي الواقع حالاً كقوله: أو جاؤوكم حصرت صدورهم في أحد أوجهه كما تقدم تحقيقه، وإلى هذا نحا الزمخشري. الثالث: أن يكون معطوفاً على الشرط، فيكون في محل جر بإضافة الظرف إليه بطريق النسق وحذف حرف العطف والتقدير وقلت اهـ.

قوله: ﴿وَأَعْيَنُهُمْ﴾ الواو للحال من الواو في تولوا. قوله: (للبيان) أي بيان جنس الفائض أي السائل فإن الشيء الذي يسيل أقسامه كثيرة، وبين هنا بكونه من الدمع. وذكر السمين في سورة المائدة أن من للابتداء أي تفيض فيضاً مبتدأ من الدمع أي من كثرته اهـ.

وفي البيضاء: ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ أي يفيض دمعها، فإنه من البيانية مع مجرورها في محل نصب على التمييز المحول عن الفاعل اهـ بزيادة من الشهاب.

السَّيْلَ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ ﴿٩٣﴾ فِي التَّخَلُّفِ ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ تقدم مثله ﴿يَسْتَعِذُّونَكَ إِلَيْكُمْ﴾ فِي التَّخَلُّفِ ﴿إِذَا رَجَعْتَ إِلَى إِلْيِهِمْ﴾ مِنَ الْغَزْوِ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نَصَدَقَكُمْ ﴿قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أَيِ أَخْبَرَنَا

وفي الشهاب أيضاً ما نصه: ومَرَّ فِي الْمَائِدَةِ أَنَّ الْفَيْضَ انْصَبَّ عَنْ امْتِلَاءِ قَوْضَعٍ مَوْضِعَ الْاِمْتِلَاءِ لِلْمَبَالِغَةِ أَوْ جَعَلَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنْ فَرْطِ الْبُكَاءِ كَأَنَّهُا تَفِيضُ بِأَنْفُسِهَا. يَعْنِي أَنَّ الْفَيْضَ مَجَازٌ عَنْ الْاِمْتِلَاءِ بِعِلَاقَةِ السَّبَبِيَّةِ، فَإِنَّ الثَّانِي سَبَبٌ لِلأَوَّلِ فَالْمَجَازُ فِي الْمَسْنَدِ وَالِدَمْعُ هُوَ ذَلِكَ الْمَاءُ أَوْ الْفَيْضُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَالتَّجَوُّزُ فِي إِسْنَادِهِ إِلَى الْعَيْنِ لِلْمَبَالِغَةِ كَجَرِي النَّهْرِ وَمِنَ التَّلْغِيلِ أَهـ.

قوله: ﴿أَنْ لَا يَجِدُوا﴾ فِيهِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجَلِهِ وَالْغُلْغُلُ فِيهِ لِحُزْمًا إِنْ أَعْرَبْنَاهُ مَفْعُولًا لَهُ أَوْ حَالًا، وَأَمَّا إِذَا أَعْرَبْنَاهُ مَصْدَرًا فَلَا لِأَنَّ الْمَصْدَرَ لَا يَعْمَلُ إِذَا كَانَ مُؤَكَّدًا لِعَامِلِهِ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنْ حَزَنًا مَفْعُولٌ مِنْ أَجَلِهِ يَكُونُ أَنْ لَا يَجِدُوا عِلَّةً لِلْعِلَّةِ، يَعْنِي أَنَّهُ يَكُونُ عِلَلُ فَيْضِ الدَّمْعِ بِالْحُزْنِ، وَغُلْ الْحُزْنُ بِعَدَمِ وَجْدَانِ النِّفْقَةِ وَهُوَ وَاضِحٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ نَظِيرُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبْنَا نَكَالًا مِنْ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨] الثَّانِي: أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِتَفِيضِ أَهـ سَمِين.

قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أَيِ الطَّرِيقِ لِلْمَعَاقِبَةِ، وَالطَّرِيقُ هِيَ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ لِأَنَّ شَيْخَنَا. وَأَتَى بِإِنَّمَا لِلْمَبَالِغَةِ فِي التَّوَكِيدِ لَا لِلْحَصْرِ. قَالَ السَّفَاقْسِيُّ: وَلَيْسَ مَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ لِلْحَصْرِ أَهـ كَرُخِي.

قوله: ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ أَيِ وَاجِدُونَ لَأَهْبَةِ الْغَزْوِ مَعَ سَلَامَتِهِمْ أَهـ كَرُخِي. قوله: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا﴾ الْخ فِيهِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: مَا بِالْهَمِ اسْتَأْذَنُوكَ فِيهِ الْقَعُودَ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى الْجِهَادِ؟ فَأَجِيبْ بِقَوْلِهِ: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، وَإِلَيْهِ مَالُ الزَّمْخَشَرِيِّ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ فِي مَحَلِّ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ وَقَدْ مَقْدَرَةُ أَهـ كَرُخِي. قوله: (تَقَدَّمَ مِثْلُهُ) أَيِ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا﴾ الْخ لَكِنْ مَعَ نَوْعِ اخْتِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ كَمَا لَا يَخْفَى أَهـ شَيْخَنَا.

قوله: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ اسْتِثْنَاءٌ لِبَيَانِ مَا يَتَصَدَّرُونَ لَهُ عِنْدَ الْعُودِ إِلَيْهِمْ. رَوَى أَنَّهُمْ كَانُوا بَضْعَةً وَثَمَانِينَ وَجَلًّا، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ جَاءُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ بِالْبَاطِلِ، وَالْخَطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا لَا إِلَيْهِ فَقَطْ، وَتَخْصِيصُ الْخَطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ حَيْثُ لَمْ يَقُلْ قَوْلًا لِمَا أَنَّ الْجَوَابَ وَظِيفَتَهُ فَقَطْ، وَأَمَّا الْاِعْتِذَارُ فَكَانَ لَهُ وَلِلْوَمْنِ أَهـ أَبُو السَّعْدِ.

قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ اسْتِثْنَاءٌ تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ، وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ نَبَأَ اللَّهُ﴾ تَعْلِيلٌ لِلتَّلْغِيلِ أَهـ شَيْخَنَا.

قوله: ﴿قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْمُتَعَدِّيَّةُ إِلَى مَفْعُولَيْنِ أَحَدُهُمَا ضَمِيرُ التَّكْلِمِ، وَالثَّانِي قَوْلُهُ: ﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾. وَعَلَى هَذَا فَفِي مِنْ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا غَيْرُ زَائِدَةٍ وَالتَّقْدِيرُ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ أَخْبَارًا مِنْ أَخْبَارِكُمْ أَوْ جُمْلَةً

بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عِلِّهِ الْعَنَبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ فيجازيكم عليه ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ رجعتكم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوء وأنهم معذورون في التخلف ﴿لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبه ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ قدر لخبث باطنهم ﴿وَمَا أَوْلَهُمْ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٩٦﴾ أي عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط

من أخباركم فهو في الحقيقة صفة للمفعول المحذوف. والثاني: أن من مزيدة عند الأخفش لأنه لا يشترط فيها شيئاً، والتقدير قد نبأنا الله أخباركم.

الوجه الثاني: من الوجهين الأولين أنها متعدية لثلاثة كأعلم فالأول والثاني ما تقدم، والثالث محذوف اختصاراً للعلم به، والتقدير نبأنا الله من أخباركم كذباً ونحوه اهـ سمين.

قوله: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ السين للتنفيس، ويرى فعل مضارع بمعنى يعلم، والمفعول الثاني محذوف أي واقعاً أي سيعلم عملكم السيء واقعاً أي مستمراً على الوقوع، والظاهر أن الاستقبال في علم الله بالنظر لظهوره لنا. أي سيظهر علمه بأعمالكم المستقبلية أو بالنظر لمتعلقه أي: وسيقع عملكم أي يستمر على الوقوع معلوماً لله اهـ شيخنا.

قوله: (أي الله) يشير به إلى أنه كان المقام للضمير، وإنما أتى المظهر بهذا العنوان لتشديد الوعيد، فإن علمه بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة مما يوجب الزجر العظيم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي تعملونه على أن ما موصولة والعائد المحذوف، أو بعملكم على أنها مصدرية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها، والسين للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام، وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب، وجملة سيخلفون بدل من يعتذرون أو بيان له اهـ أبو السعود.

قوله: (أنهم معذورون في التخلف) أشار به إلى أن المحلوف عليه محذوف اهـ.

قوله: (بترك المعاتبه) أي التوبيخ، وقوله: ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي إعراض اجتناب ومقت، كما يدل عليه قوله: ﴿إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ وهذا تعليل للأمر بالإعراض عنهم. وقوله: ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ إما من تمام التعليل وإما تعليل مستقل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يجوز أن ينتصب على المصدر بفعل من لفظه مقدر. أي يجوزون جزاء وأن ينتصب بمضمون الجملة السابقة، لأن كونهم ثاؤون في جهنم في معنى المجازاة، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله اهـ سمين.

قوله: ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ﴾ بدل مما سبق اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ جواب الشرط محذوف أي فلا ينفعهم رضاكم. وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

الله ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدَّ كُفْرًا وَتِفَاقًا﴾ من أهل المدن لجفائهم، ومخلف طبايعهم، وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من

الخ: تعليل للمحذوف، وقد أشار الشارح إلى هذا بقوله: ولا ينفع الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي عنهم) يشير به إلى أن المقام للضمير ونكتة العدول لهذا الظاهر التسجيل عليهم حيث وصفهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط والإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أي أهل البادية لما سيأتي من قوله: ﴿ومن الأعراب من يؤمن﴾ الخ والأعراب: اسم جمع جاء على صورة الجمع، وليس جمعاً لعرب، لئلا يلزم كون الجمع أخص من مفرده لأن الأعراب سكان البادية خاصة، والعرب المتكلمون باللغة العربية سواء سكنوا البادية أو الحاضرة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: وأما الأعراب بالفتح فأهل البدو من العرب الواحد أعرابي بالفتح أيضاً، وهو الذي يكون صاحب نجعة وارتياح للكلام. وزاد الأزهري فقال: سواء كان من العرب أو من مواليهم. قال: فمن نزل البادية وجاور البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرهما ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء اهـ.

قوله: (أهل البدو) في المختار: البدو البادية وهي ضد الحاضرة اهـ.

قوله: (لجفائهم) تعليل للأشدية، وقوله: وغلظ طبايعهم تفسير ولم يغفل كونهم أجدر بعدم العلم، وعبرة أبي السعود وافية بتعليل كل منهما ونصها: الأعراب أشد كُفْرًا وَتِفَاقًا من أهل الحضرة لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم، وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفرادها، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خيراً، وأجدر أي أحق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسول لبعدهم عن مجلسه ﷺ، وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعانيه ما ينزل عليه من الشرائع في تضايف الكتاب والسنة اهـ.

قوله: ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أي أحق وأولى. يقال: هو جدير وأجدر، وحقيق وأحق، وقمن وخليق، وأولى بكذا كله بمعنى واحد. قال الليث: جدر يجدر جدارة فهو جدير ويؤنث ويشئ ويجمع، وقد نبه الراغب على أصل اشتقاق هذه المادة، وأنها من الجدار أي الحائط فقال: والجدير المنتهي لانتهاؤ الأمر إليه انتهاء الشيء إلى الجدار، والذي يظهر أن اشتقاقه من الجدر وهو أصل الشجرة، فكأنه ثابت كثبوت الجدر في قولك جدير بكذا اهـ سمين.

قوله: (بأن لا يعلموا) أشار به إلى أن موضع أن نصب بحذف حرف الجر ووصف العرب بأنهم جاهلون بذلك ينافي صحة الاحتجاج بالفاظهم وأشعارهم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه. قلنا: لا منافاة إذ وصفهم بالجهل إنما هو في أحكام القرآن كما أشار إليه في التقدير لا في ألفاظه، ونحن لا نحتج بلغتهم في بيان الأحكام، بل في بيان معاني الألفاظ، لأن القرآن والسنة جاءا بلغتهم اهـ كرخي.



الأحكام والشرائع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسراناً لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفاً وهم بنو أسد وغطفان ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾ ينتظر ﴿بِكُرْ الدَّوَابِّ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيخلصوا ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالضم والفتح أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بأفعالهم ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجهينة ومزينة

قوله: (من الأحكام والشرائع) بيان للحدود، والمراد بما أنزل الله، إما الألفاظ فتكون الإضافة من إضافة المدلول للدال، وإما نفس الأحكام والشرائع فتكون بيانية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَن يَتَّخِذُ﴾ أي يصير بنيته كما أشار له الشارح بقوله: لأنه لا يؤجر ثوابه الخ، ويتخذ ينصب مفعولين الأول ما ينفق والثاني مغرمًا. وفي السمين قوله: ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ من مبتدأ، وهي إما موصولة وإما موصوفة. ومغرمًا مفعول ثان لأن اتخذ هنا بمعنى صير، والمغرم الخسران مشتق من الغرام وهو الهلاك لأنه سببه، ومنه ﴿إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]. وقيل: أصله الملازمة ومنه الغريم للزومه من يطالبه اهـ.

قوله: (بل ينفقه خوفاً) أي من المسلمين. قوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾ عطف على يتخذ فهو إما صلة وإما صفة، والتربص الانتظار. والدوائر: جمع دائرة وهي ما يحيط بالإنسان من مصيبة ونكبة أخذاً من الدائرة المحيطة بالشيء، وأصلها داورة لأنها من دار يدور أي أحاط، فقلبت الواو همزة. ومعنى تربص الدوائر انتظار المصائب أي انتظار انقلاب الدوائر، ففي الكلام حذف مضاف، وفي الدائرة مذهبان، أظهرهما: أنها صفة على فاعلة كقائمة. وقال الفارسي: يجوز أن تكون مصدرًا كالعاقبة اهـ سمين.

وقوله: دوائر الزمان أي حوادثه اهـ.

قوله: (فيتخلصوا) أي من الإنفاق اهـ.

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاء عليهم بنحو ما أرادوا للمؤمنين اهـ أبو السعود.

وفي السمين: وهذه الجملة معترضة بين جمل هذه القصة، وهي دعاء على الأعراب المتقدمين اهـ.

قوله: (بالضم والفتح) أي قرأ ابن كثير وأبو عمرو هنا السوء، وكذا الثانية في الفتح بالضم، والباقون بالفتح، وأما الأولى في الفتح وهي ظن السوء، فاتفق على ضمها السبعة. فأما المفتوح فقل هو مصدر، وقال الفراء: يقال سؤته سوءاً ومساءً وسوائية ومسائية وبالضم الاسم. قال أبو البقاء: وهو الضرر وهو مصدر في الحقيقة. قلت: يعني أنه في الأصل كالمفتوح في أنه مصدر، ثم أطلق على كل ضرر وشر. وقال مكي: من فتح السين فمعناه الفساد والرداءة، ومن ضمها فمعناه البلاء والضرر، وظاهر هذا أنها اسمان لما ذكر، ويحتمل أن يكونا في الأصل مصدرين، ثم أطلقها على ما ذكر؛ وقال غيره: المضموم العذاب والضرر والمفتوح الذم اهـ سمين.

﴿وَيَتَّخِذْ مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرْبَاتٍ﴾ تقربه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿و﴾ وسيلة إلى ﴿صَلَوَاتٍ﴾ دعوات ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ أي نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونونها ﴿لَهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ الأولون من المهاجرين والأنصار وهم من شهد بدرًا أو جميع الصحابة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ إلى يوم

قوله: ﴿ويتخذ ما ينفق﴾ أي سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها، أو ظرف ليتخذ، وصلوات الرسول أي وسبب صلواته، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين اهـ يضاوي.

وفي السمين: وصلوات الرسول فيها وجهان. أظهرهما: أنه نسق على قربات وهو ظاهر كلام الزمخشري فإنه قال: والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول، لأنه كان يدعو للمتصدقين بالخير كقوله: «اللهم صل على آل أبي أوفى». والثاني: وجوزه ابن عطية ولم يذكر أبو البقاء غيره أنها منسوقة على ما ينفق. أي: ويتخذ بالأعمال الصالحة صلوات الرسول قرينة اهـ.

قوله: ﴿قربات﴾ مفعول ثانٍ ليتخذ كما مر في مغرمًا، ولم يختلف القراء السبعة في ضم الراء من قربات مع اختلافهم في راء قرينة كما سيأتي، فيحتمل أن تكون هذه جمعاً لقرينة بالضم كما هي قراءة ورش عن نافع، ويحتمل أن تكون جمعاً لساكنها وإنما ضمت إتباعاً كغرفات، وقد تقدم التنبيه على هذه القاعدة وشروطها عند قوله في ظلمات أول البقرة اهـ سمين.

قوله: ﴿عند الله﴾ ظرف لقربات كما يدل عليه قوله الآتي عنده حيث جعله ظرفاً لقرينة. وفي الكرخي ما نصه: وفي هذا الظرف ثلاثة أوجه: أظهرها: أنه متعلق بـ يتخذ. والثاني: أنه ظرف لقربات قاله أبو البقاء وليس بذاك. والثالث: أنه متعلق بمحذوف لأنه صفة لقربات اهـ.

قوله: ﴿ألا إنها قرينة﴾ ألا حرف تنبيه وفي استئناف هذه الجملة وتصلديرها بحرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بنبات الأمر وتمكنه شهادة من الله بصحة ما اعتقده من إنفاقه اهـ سمين.

قوله: (بضم الراء وسكونونها) سبعيتان. قوله: ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ السمين للدلالة على تحقق الوقوع اهـ.

قوله: ﴿والسابقون﴾ الخ بيان لفضائل أشراف المسلمين إثر بيان فضيلة طائفة منهم اهـ أبو السعود.

والسابقون: مبتدأ وفي خبره ثلاثة أوجه، أحدها: وهو الظاهر أنه الجملة الدهائية من قوله ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾. والثاني: أن الخبر قوله الأولون، والمعنى والسابقون إلى الهجرة الأولون من أهل هذه الملة، أو السابقون إلى الجنة الأولون من أهل الهجرة. الثالث: أن الخبر قوله: ﴿من المهاجرين والأنصار﴾، والمعنى فيه الإعلام بأن السابقين من هذه الأمة من المهاجرين والأنصار ذكر ذلك أبو البقاء اهـ سمين.

قوله: ﴿والأنصار﴾ أي الأوس والخزرج. قوله: (وهم من شهد بدرًا) وعلى هذا القول تكون من

القيامة ﴿يُحْسِنُ﴾ في العمل ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفي قراءة بزيادة من ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل المدينة ﴿يَسْأَلُ الْأَعْرَابَ مَنَّافِقُونَ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾

تبعيضية، وقوله: أو جميع الصحابة وعلى هذا تكون بيانية اهـ.

قوله: ﴿بطاعته﴾ أي بقبولها أو بتوفيقهم لها، وقوله: بثوابه أي إثابته إياهم اهـ.

قوله: ﴿وفي قراءة بزيادة من﴾ أي سبعة لابن كثير، ومعلوم أن قراءته الصلة، فليتنبه القارئ إذا قرأ بزيادة من لصلة الميم في المواضع الثلاثة، وهي اتبعوهم وعنهم وأعد لهم لتلا يقع في التلقيق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وممن حولكم﴾ الخ شروع في بيان أحوال منافقي أهل المدينة ومن حولها من الأعراب بعد بيان حال أهل البادية منهم. أي: ومن حول بلدكم منافقون كانوا نازلين حولها، وقوله: ﴿وممن أهل المدينة﴾ عطف على ممن حولكم الواقع خبراً عطف مفرد على مفرد، فالمبتدأ واحد وهو منافقون توسط بين خبريه، وقد أشار الشارح إلى هذا الإعراب بقوله: ﴿منافقون﴾ أيضاً، فأشار إلى أن منافقون مخبر عنه بالأمرين أي ومنافقون بعض من حولكم من القبائل وبعض أهل المدينة، فمن تبعيضية اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ومن أهل المدينة﴾ يجوز أن يكون نسقاً على من المجرورة بمن، فيكون المجروران مشتركين في الإخبار بهما عن المبتدأ وهو منافقون، كأنه قيل: المنافقون من قوم حولكم ومن أهل المدينة، وعلى هذا هو من عطف المفردات، وحيث أن يكون قوله: ﴿مردوا﴾ مستأنفاً لا محل له، ويجوز أن يكون الكلام ثم عند قوله: ﴿منافقون﴾، ويكون قوله: ﴿ومن أهل المدينة﴾ خبراً مقدماً، والمبتدأ بعده محذوف قامت صفته مقامه وحذف الموصوف، وإقامة صفته مقامه مطرد، وقد مرّ تحريره نحو مناظن ومنا أقام، والتقدير ومن أهل المدينة قوم أو ناس مردوا، وعلى هذا فهو من عطف الجمل اهـ.

قال بعضهم: إن الله قسم المتخلفين ثلاثة أقسام.

القسم الأول: منافقون تملكون في النفاق واستمروا عليه وهو مذكور بقوله: ﴿وممن حولكم﴾ إلى قوله: ﴿عظيم﴾.

والقسم الثاني: تائبون مسارعون إلى التوبة معترفون بذنوبهم، وهم مذكورون بقوله: ﴿وآخرون اعترفوا﴾ إلى قوله: ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [المائدة: ١٠٥].

والقسم الثالث: موقوف أمره إلى أن يحكم الله فيه بعذاب أو توبة، وهو مذكور بقوله: ﴿وآخرون مرجون﴾ إلى قوله: ﴿حكيم﴾ والفرق بين القسم الثاني والثالث أن الثاني سارع إلى التوبة فقبلها الله منه، والثالث توقف ولم يسارع إليها فأخر الله أمره اهـ خازن.

وقوله: إن الثاني سارع إلى التوبة الخ فيه شيء، والصواب في الفرق أن الثاني اعتذر للنبي ﷺ بأعذار قبلها منه فعجلت توبته، وأن الثالث لم يعتذر لأنه فتش فلم يجد عذراً صادقاً فأخر رسول الله

منافقون أيضاً ﴿مَرَدُّوْا عَلَى الْنِفَاقِ﴾ لجوا فيه واستمروا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَمْعَهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّوْنَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار ﴿وَقَوْمٌ آخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿اعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف نعتة والخبر

ﷺ أمره حتى ينزل الله قبول توبته، فأخر الله قبولها خمسين يوماً، وسيأتي بسط هذا في قوله ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ الخ. قوله: (كأسلم) أي وكمزينة وجهينة، وكانت منازل هؤلاء القبائل حول المدينة يعني: ومن هؤلاء منافقون، وهذا مشكل لأن النبي دعا لهذه القبائل وملحها، وجواب الإشكال أن المراد بعض هؤلاء القبائل أي القليل منها منافق، ودعاء النبي لها محمول على الأكثر والأغلب منها اهـ خازن.

قوله: ﴿مَرَدُّوْا عَلَى الْنِفَاقِ﴾ يعني تمرنوا عليه. يقال: تمرّد فلان إذا عتا وتجبر، ومنه الشيطان المارد، وتمرّد في معصيته أي تمرن وثبت عليها، واعتادها ولم يتب منها، وقال ابن إسحاق: لجوا فيه وأبوا غيره. وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا منه اهـ خازن.

فقول الشارح واستمروا عطف تفسير، وفي المختار: والمروء على الشيء المرور عليه وبابه دخل اهـ.

قوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ يعني أنهم بلغوا في التحيل في النفاق إلى أن صرت بحيث لا تعلمهم مع صفاء خاطرك وإطلائك على الأسرار اهـ خازن.

فإن قلت: كيف نفى عنه علمه بحال المنافقين هنا، وأثبتته في قوله ولتعرّفنهم في لحن القول؟ فالجواب أن آية النفي نزلت قبل آية الإثبات فلا تنافي اهـ كرخي.

وهذه الجملة في محل رفع أيضاً صفة لمنافقون، ويجوز أن تكون مستأنف، والعلم هنا يحتمل أن يكون على بابه فيتعدى لاثنتين أي لا تعلمهم منافقين، فحذف الثاني للدلالة عليه بتقدم ذكر المنافقين، ولأن النفاق من صفات القلب لا يطلع عليه، وأن تكون العرفانية فتتعدى لواحد، قاله أبو البقاء. وأما ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فلا يجوز أن تكون إلا على بابها اهـ سمين.

قوله: (بالفضيحة أو القتل) هذا حكاية خلاف في المرة الأولى، وقوله: (وعذاب القبر) هذا هو المرة الثانية باتفاق. وقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّوْنَ﴾ الخ بانضمامه للمرتين يصير عذابهم ثلاث مرات: مرة في الدنيا ومرة في القبر، ومرة في الآخرة. لكن اختلفوا في الأولى، فقيل: هي الفضيحة حيث قام النبي في يوم الجمعة خطيباً فقال: «أخرج يا فلان فإنك منافق، أخرج يا فلان فإنك منافق»، فخرج من المسجد أناس وفضحهم: وقيل: هي القتل والأسر، وهذا ضعيف لأن أحكام الإسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يؤسروا اهـ خازن.

وفي الكرخي في سورة القتال ما نصه: وفي مسند أحمد عن ابن مسعود خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن منكم منافقين فمن سميتهم فليقم» ثم قال: «قم يا فلان فإنك منافق» حتى سمى ستة وثلاثين اهـ.

قوله: ﴿وآخَرُونَ﴾ أي من المتخلفين، وهذا نسق على منافقون أي وممن حولكم آخرون أو ومن

﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَأَخْرَسَيْنَا﴾ وهو تخلفهم ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في

أهل المدينة آخرون، ويجوز أن يكون مبتدأ واعترفوا صفته والخبر قوله ﴿خَلَطُوا﴾ اهـ سمين .

قوله: (وهو جهادهم) يعني أن في العمل الصالح أقوالاً ثلاثة . وقوله: قبل ذلك أي قبل هذا التخلف الواقع منهم في تبوك، إذ كانوا قبله يجاهدون اهـ شيخنا .

قوله: (أو غير ذلك) كإظهار الندم . قوله: ﴿وَأَخْرَسَيْنَا﴾ الواو بمعنى الباء أي بآخر . وقال التفازاني: وتحقيقه أن الواو للجمع والباء للإلصاق والجمع والإلصاق من قبيل واحد، فسلك به طريق الاستعارة اهـ كرخي .

وفي السمين: قال الزمخشري: فإن قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به؟ قلت: كل واحد مخلوط ومخلوط به، لأن المعنى خلطوا كل واحد منهما بالآخر، كقولك: خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه، وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن، لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به، وإذا قلته بالواو وجعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما، كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء اهـ .

قوله: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي يقبل توبتهم المفهومة من قوله: ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ اهـ أبو السعود .

قال القسطلاني: وعبر بعسى للإشعار بأن ما يفعله تعالى ليس إلا على سبيل التفضل منه، حتى لا يتكل المرء بل يكون على خوف وحذر اهـ .

وفي المواهب ما نصه: واتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب . قال أهل المعاني: لأن لفظة عسى تفيد الإطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً عليه، والله تعالى أكرم من أن يطعم أحداً في شيء ثم لا يعطيه إياه اهـ .

وقوله: واجب أي أمر واجب أي ثابت بمعنى أن ما دلت عليه من الترجي ليس مراداً في حقه تعالى، بل هو محقق الحصول، ومثل عسى سائر صور الترجي اهـ ش عليه .

وفي السمين قوله: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ﴾ يجوز أن تكون الجملة مستأنفة، ويجوز أن تكون في محل رفع خبر الآخرون، ويكون قوله: ﴿خَلَطُوا﴾ في محل نصب على الحال وقد معه مقدرة أي قد خلطوا فتلخص في آخرون أنه معطوف على منافقون، أو مبتدأ مخبر عنه بخلطوا أو بالجملة الرجائية اهـ .

قوله: (نزلت في أبي لبابة) وهو رفاعه بن عبد المنذر، وكان من أهل الصفة ربط نفسه، اثنتي عشرة ليلة في سلسلة ثقيلة، وكان له ابنة تحله أوقات الصلوات وأوقات قضاء الحاجة ثم تربطه اهـ شيخنا .

وتقدم في الأنفال عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧] أنه ربط نفسه مرة أخرى ومكث فيها سبعة أيام وحلف لا يذوق طعاماً ولا شرباً حتى يكون رسول الله الفتوحات الإلهية/ج ٣/م ٢٠

سوا ري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وخلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فتحلهم لما نزلت ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلِّ

هو الذي يحله بيده، فصار يغشى عليه من الجوع، فلما نزلت توبته جاء رسول الله ﷺ فيخله بيده. وقوله: وجماعة قيل عشرة وقيل ثمانية وقيل خمسة وقيل ثلاثة، وقد كانوا تخلفوا عن تبوك وندموا بعد ذلك، فلما رجع رسول الله ﷺ من سفره وقرب من المدينة قالوا: والله ليربطن أنفسنا بالسواري ولا نطلقها حتى يكون النبي هو الذي يطلقنا ويعذرنا، فربطوا أنفسهم، فما رجع النبي ﷺ مو بهم فقال: من هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت وترضى عنهم. فقال: وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أذرهم حتى أؤمر بإطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو معي ومع المسلمين، فأنزل الله هذه الآية، فعذرهم وأطلقهم اهـ خازن.

وفي المصباح: عذرتي فيما صنع عذراً من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور، أي: غير ملوم اهـ.

قوله: (وخلفوا لا يحلهم) بابه رد، وقوله: (لما نزلت) أي الآية السابقة، وهي قوله ﴿وَأَخْرَجُوا عَتَرُوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وذلك أنهم لما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ الآية، وذلك أنهم لما بذلوا أموالهم صدقة أوجب الله تعالى أخذها وصار ذلك معتبراً في كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة اهـ خازن.

وقوله: ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ يجوز فيه وجهان: أحدهما: أنه متعلق بخذ ومن تبعيضية. والثاني: أن تتعلق بمحذوف لأنها حال من صدقة، إذ هي في الأصل صفة لها فلما قدمت نصبت حالاً اهـ سمين. قوله: ﴿تَطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ يجوز أن تكون التاء في تطهرهم خطاباً للنبي ﷺ، وأن تكون للغة والفاعل ضمير الصدقة، فعلى الأول تكون الجملة في محل نصب عى الحال من فاعل خذ، ويجوز أيضاً أن تكون صفة لصدقة، ولا بد حينئذ من حذف عائد تقديره تطهرهم بها وحذف بها لدلالة ما بعده عليه، وعلى الثاني تكون الجملة صفة لصدقة ليس إلا. وأما وتركهم فالتاء فيه للخطاب لا غير لقوله بها، فإن الضمير يعود على الصدقة. فاستحال أن يعود الضمير من تركهم إلى الصدقة، وعلى هذا فتكون الجملة حالاً من فاعل خذ على قولنا أن تطهرهم حال منه، وأن التاء فيه للخطاب، ويجوز أيضاً أن تكون صفة إن قلنا إن تطهرهم صفة والعائد منها محذوف اهـ سمين.

قوله: (فأخذ ثلث أموالهم الخ) ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة؛ وإنما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر منهم لأن الصدقة الواجبة لا يؤخذ فيها ثلث المال اهـ خطيب. وقيل: إن المراد بها الزكاة اهـ شهاب.

وقوله: وتصدق أي على سبيل الكفارة لذنوبهم، فإن كل من أتى ذنباً يسئ له التصديق؛ وقوله بها أي: بالثلث، ولعل التانيث لاكتساب المضاف إياه من المضاف إليه اهـ شيخنا.

عَلَيْهِمْ ﴿١٠٣﴾ أَيِ ادْع لَهُمْ ﴿إِنْ صَلَوَاتُكَ سَكَنٌ﴾ رَحْمَةً ﴿لَهُمْ﴾ وَقِيلَ طَمَآنِينَةٌ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِقَبْلِ ﴿الْصَّدَقَاتِ﴾ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ ﴿عَلَى عِبَادِهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ﴾ ﴿الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٥﴾ بِهِمُ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ وَالْقَصْدُ بِهِ تَهْيِيجُهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالصَّدَقَةِ ﴿وَقِيلَ﴾ لَهُمْ أَوْ لِلنَّاسِ ﴿اعْمَلُوا﴾ مَا شِئْتُمْ ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾

قوله: ﴿إِنْ صَلَوَاتُكَ﴾ قرأ الأخوان وحفص إن صلاتك هنا، وفي هود أصلاتك تأمرك بالإفراد، والباقون إن صلواتك هنا وأصلواتك تأمرك هناك بالجمع فيهما وهما واضحتان، إلا أن الصلاة هنا الدعاء، وفي تلك العبادة. والسكن الطمأنينة فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والمعنى يسكنون إليها أه سمين.

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي التائبون. أي ألم يعلموا قبل توبتهم وصدقتهم أن الله الخ، كما يؤخذ من قوله والقصد به الخ أه شيخنا.

قوله: ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ هو مبتدأ ويقبل خبره، والجملة خبر أن وأن وما في حيزها سادة مسد المفعولين أو مسد الأول، ولا يجوز أن يكون هو فصلاً لأن ما بعده لا يوهم الوصفية، وقد تحرر ذلك فيما تقدم أه سمين.

قوله: ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾ متعلق بيقبل، وإنما تعدى بعن، لأن معنى من ومعنى عن متقاربان. قال ابن عطية: وكثيراً ما يتوصل في موضع واحد بهذه وبهذه نحو لا صدقة إلا عن غنى ومن غنى، وفعل ذلك فلان من أشره وبطره وعن أشره وبطره، وقيل: لفظة عن تشعر ببعد ما تقول جلس عن يمين الأمير أي مع نوع من البعد، والظاهر أن عن هنا للمجاوزة على بابها، والمعنى يتجاوز عن عبادة بقبول توبتهم، فإذا قلت: أخذت العلم عن زيد فمعناه المجاوزة، وإذا قلت منه فمعناه ابتداء الغاية أه خازن.

قوله: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ إنما عبر عن قبولها بلفظ الأخذ ترغيباً في بذل الصدقة وإعطائها للفقراء أه خازن.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي حمل المخاطب على الاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، أو هو للتضيض والتأكيد، ومعناه أن ذلك ليس لرسول الله ﷺ إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها أه كرخي.

قوله: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا﴾ فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين أه خازن.

وفي أبي السعود: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا﴾ زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملة التوبة أي قل لهم بعدما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الأعمال فظاهاه ترغيب وترهيب، وقوله: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ أي خيراً كان أو شراً تعليل لما قبله وتأکید للترغيب والترهيب والسين للتأكيد، ثم إن كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالأمر ظاهر، وإن أريد بها الجزاء فالمراد به الدنيوي من إظهار المدح والثناء والذكر الجميل والإعزاز أه.

قوله: (لهم أو للناس) هما قولان للمفسرين. قوله: (ما شئتم) أي من الأعمال الصالحة

بالبعث ﴿إِلَىٰ عِلِّيِّ السَّبِّ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي الله ﴿فَيَنْتَقِرُ لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَجَازِيكُمْ بِهِ﴾ ﴿وَمَا خَرُوت﴾ من المتخلفين ﴿مَرْجُونَ﴾ بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة ﴿لَا تُرَىٰ إِلَهُهُ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَلِنَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لا نفاقاً ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد ﴿و﴾ منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿خِرَارًا﴾

والسينة. قوله: ﴿فسرى الله عملكم﴾ أي فسيجازيكم على عملكم فلاستقبال بالنظر للمجازاة، وإلا فالعلم حاصل بالفعل والمجازاة من الله معلومة ومن رسوله والمؤمنين بمعنى الثناء عليهم والدعاء لهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وآخرون مرجون﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم مرجون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة، والباقون مرجون دون تلك الهمزة، وهذا قراءتهم في الأحزاب ترجىء بالهمز، والباقون بدونه، وهما لغتان يقال: أرجأته وأرجيته كأعطيته، ويحتمل أن يكونا أصليين بنفسهما، وأن تكون الياء بدلاً من الهمزة، لأنه قد عهد تخفيفها إلى الياء كثيراً وقريت وتوضأت وتوضيت اهـ سمين.

قوله: (بالهمز) أي المضموم، وقوله: بالميم أي المفتوحة والواو الساكنة والقراءتان سبعيتان. قوله: (عن التوبة) أي عن قبولها، إذ المتأخر قبولها، وأما هي فقد وجدت منهم لكنهم لم يعتذروا للرسول صريحاً، وإنما وجد منهم الندم والحزن. قوله: ﴿لأمر الله﴾ أي حكمه وقضائه. قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ﴾ الخ هذا التريذ بالنظر لاعتقادنا فيهم، وإلا فالله تعالى عالم بعين ما هو قاعله بهم اهـ شيخنا.

وعبارة السمين قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة في محل رفع خبر للمبتدأ ومرجؤون يكون على هذا نعتاً للمبتدأ ويجوز أن تكون خبراً بعد خبر، وأن تكون في محل نصب على الحال أي هم مؤخرون إما معذبين وإما متوبين عليهم وإما هنا إما للشك بالنسبة إلى المخاطب وإما للإيهام بالنسبة إلى الله تعالى بمعنى أنه تعالى أبهم على المخاطبين اهـ.

قوله: ﴿وإما يتوب عليهم﴾ أي يقبل توبتهم. قوله: (وهم الثلاثة) وكانوا من أهل المدينة اهـ خازن.

وقوله: مرارة بضم الميم كما في الشهاب وقوله: إلى الدعة أي الراحة. قوله: (فوقفت أمرهم خمسين ليلة) أي بقدر مدة التخلف. إذ كانت غيبته ﷺ عن المدينة خمسين ليلة، فلما تمتعوا بالراحة فيها مع تعب غيرهم في السفر عوقبوا بهجرهم تلك المدة تأمل.

قوله: ﴿والذين اتخذوا﴾ جعله مبتدأ حيث قدر له خبراً بقوله: ومنهم، وفي قراءة سبعية بإسقاط الواو اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ نافع، وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو، والباقون بواو العطف. فأما قراءة



مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفِّرَا﴾ لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب ليأتي بجند من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَقَفَرَتْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَارْصَادًا﴾ ترقباً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ

نافع وابن عامر فلموافقة مصاحفهم، فإن مصاحف المدينة والشام حذفت منها الواو وهي ثابتة في مصاحف غيرهم، والذين على قراءة من أسقط الواو قبلها فيها أوجه.

أحدها: أنها بدل من آخرون قبلها وفيه نظر، لأن هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً لا يقال في حقهم إنهم مرجون لأمر الله، لأنه يروى في التفسير أنهم من كبار المنافقين كأبي عامر الراهب.

الثاني: أنه مبتدأ وفي خبره حيثنذ أقوال أحدها: أنه أفمن أسس بنيانه والعائد محذوف تقديره بنيانه منهم. الثاني: أنه لا يزال بنيانهم قاله النحاس والحوفي وفيه بعد لطول الفصل. الثالث: أنه لا تقم فيه قاله الكسائي. قال ابن عطية: ويتجه بإضمار إما في أول الآية وإما في آخرها بتقدير لا تقم في مسجدهم. الرابع: أن الخبر محذوف تقديره يعذبون، ونحوه قاله المهدوي.

الوجه الثالث: أنه منصوب على الاختصاص، وسيأتي هذا الوجه أيضاً في قراءة الواو، وأما قراءة الواو ففيها ما تقدم إلا أنه يمتنع وجه البدل من آخرون لأجل العاطف. وقال الزمخشري: فإن قلت: والذين اتخذوا ما محله من الإعراب؟ قلت: محله النصب على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢] وقيل: هو مبتدأ وخبره محذوف معناه فيمن وصفنا الذين اتخذوا. كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ﴾ [المائدة: ٣٨] قلت: يريد على مذهب سيبويه فإن تقديره فيما يتلى عليكم السارق فحذف الخبر وأبقى المبتدأ كهذه الآية اهـ.

قوله: (وهم اثنا عشر من المنافقين) كانوا يصلون في مسجد قباء، فبنوا ذلك المسجد ليصلي فيهم بعضهم، فيؤدي ذلك إلى اختلاف الكلمة اهـ خازن.

قوله: ﴿ضُرَارًا﴾ مفعول له، أو مفعول ثان لاتخذوا، أو مفعول مطلق معمول لفعل مقدر أي يضارون بذلك ضراراً اهـ أبو السعود.

وعبارة السمين: ضراراً فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مفعول من أجله أي مضارة لإخوانهم. الثاني: أنه مفعول ثان لاتخذوا قاله أبو البقاء. الثالث: أنه مصدر في موضع الحال من فاعل اتخذوا أي اتخذوه مضارين لإخوانهم، ويجوز أن ينتصب على المصدرية أي يضرون بذلك غيرهم ضراراً، ومتعلقات هذه المصادر محذوفة أي ضراراً لإخوانهم وكفراً بالله اهـ.

قوله: ﴿وَكُفِّرَا﴾ أي تقوية للكفر الذي يضمرونه اهـ بياضوي.

قوله: (بأمر أبي عامر الراهب) وهو والد حنظلة غسيل الملائكة اهـ خازن.

قوله: (معقلاً له) المعقل الملجأ اهـ مختار.

وقوله: يقدم أي ينزل فيه. قوله: ﴿وَارْصَادًا﴾ لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني أنهم بنوا هذه المسجد للضرار والكفر، وبنوه إرصاداً يعني انتظاراً وإعداداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، يعني من

قَدْ أَيُّ قَبْلِ بَنَائِهِ وَهُوَ أَبُو عَامِرِ الْمَذْكُورِ ﴿وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ مَا ﴿أَرَدْنَا﴾ بَيْنَانَهُ ﴿إِلَّا﴾ الْفَعْلَةُ ﴿الْحَسَنُ﴾ مِنَ الرِّفْقِ بِالْمَسْكِينِ فِي الْمَطَرِ وَالْحَرِّ وَالتَّوَسُّعَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي ذَلِكَ وَكَانُوا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَصْلِيَ فِيهِ فَنَزَلَ ﴿لَا تَقْعُ﴾ تَصَلُّ ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾

قَبْلَ بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ، وَهُوَ أَبُو عَامِرِ الرَّاهِبِ وَالِدُ حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ قَدْ تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَبَسَ الْمَسُوحَ وَتَنَصَّرَ، فَلَمَّا قَدَّمَ النَّبِيَّ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ لَهُ أَبُو عَامِرٍ: مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «جِئْتُ بِالْحَنِيفَةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ»، قَالَ أَبُو عَامِرٍ: فَأَنَا عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ عَلَيْهَا». قَالَ أَبُو عَامِرٍ: بَلَى، وَلَكِنْ أَذْخَلْتَ فِي الْحَنِيفَةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا فَعَلْتَ وَلَكِنْ جِئْتَ بِهَا بِيَضَاءَ نَفْيَةٍ». فَقَالَ أَبُو عَامِرٍ: أَمَاتَ اللَّهُ الْكَاذِبَ مِنْ طَرِيدٍ وَحِيدٍ غَرِيْبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «آمِينَ»، وَسَمَّاهُ أَبَا عَامِرٍ الْفَاسِقَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَخَذَ قَالَ أَبُو عَامِرِ الْفَاسِقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَا أَجِدُ قَوْمًا يَقَاتِلُونَكَ إِلَّا قَاتَلْتُكَ مَعَهُمْ. فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمٍ حَتَّى، فَلَمَّا انْهَزَمَتْ هَوَازِلُ يَثْرَاسِ أَبِي عَامِرٍ وَخَرَجَ هَارِبًا إِلَى الشَّامِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمُنَافِقِينَ أَنْ اسْتَعْدُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَسِلَاحٍ وَأَبْنَاءٍ لِي مَسْجِدًا، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ فَأَتِي بِنَجْدَةٍ مِنَ الرُّومِ فَأُخْرِجَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَبَنُوا مَسْجِدَ الضَّرَّارِ إِلَى جَنْبِ مَسْجِدِ قَبَاءَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَارْصَادًا﴾ يَعْنِي وَانْتَظَارًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَعْنِي أَبَا عَامِرِ الْفَاسِقَ لِيَصْلِيَ فِيهِ إِذَا رَجَعَ مِنَ الشَّامِ مِنْ قَبْلِ يَعْنِي أَنْ أَبَا عَامِرِ الْفَاسِقَ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ بِنَاءِ مَسْجِدِ الضَّرَّارِ أَهْ خَازِنَ.

قَوْلُهُ: (وَهُوَ) أَيُّ مِنْ حَارَبَ هُوَ أَبُو عَامِرٍ. قَوْلُهُ: ﴿وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ لِيَحْلِفُنَّ جَوَابُ قَسْمٍ مُقَدَّرٍ. أَيُّ: وَاللَّهُ لِيَحْلِفُنَّ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ جَوَابُ لِقَوْلِهِ لِيَحْلِفُنَّ، فَوْقَ جَوَابِ الْقَسْمِ الْمُقَدَّرِ فَعَلَّ قَسْمَ مُجَابٍ بِقَوْلِهِ: إِنْ أَرَدْنَا وَإِنْ نَافِيَةٍ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ بَعْدَهَا إِلَّا وَالْحَسَنُ صِفَةً لِمَوْضُوفٍ مَحْذُوفٍ أَيُّ إِلَّا الْخَصْلَةُ الْحَسَنَى أَوْ إِلَّا الْإِرَادَةُ الْحَسَنَى. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: مَا أَرَدْنَا بِنَاءَ هَذَا الْمَسْجِدِ إِلَّا الْخَصْلَةَ الْحَسَنَى، أَوْ إِلَّا الْإِرَادَةَ الْحَسَنَى وَهِيَ الصَّلَاةُ. قَالَ الشَّيْخُ: كَأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ: إِلَّا الْخَصْلَةُ الْحَسَنَى جَعَلَهُ مَفْعُولًا، وَفِي قَوْلِهِ: إِلَّا الْإِرَادَةَ الْحَسَنَى جَعَلَهُ عِلَّةً، فَكَأَنَّهُ ضَمِنَ أَرَادَ مَعْنَى قَصِدَ أَيُّ مَا قَصِدُوا بِنَائِهِ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا الْإِرَادَةَ الْحَسَنَى، قَالَ: وَهَذَا وَجْهٌ مُتَكَلِّفٌ أَهْ سَمِينُ.

قَوْلُهُ: (مَنْ الرِّفْقُ بِالْمَسْكِينِ الْخ) عِبَارَةُ الْخَازِنِ: وَهِيَ الرِّفْقُ بِالْمُسْلِمِينَ وَالتَّوَسُّعَةُ عَلَى أَهْلِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قَبَاءَ أَوْ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ أَهْ.

قَوْلُهُ: ﴿بِشَهْدِ﴾ أَيُّ يَعْلَمُ، وَقَوْلُهُ: فِي ذَلِكَ أَيُّ الْحَلْفِ. قَوْلُهُ: ﴿وَكَانُوا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ﴾ الْخَ عِبَارَةُ الْخَازِنِ. فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ بِنَائِهِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعِلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ وَاللَّيْلَةِ الشَّائِيَةِ، وَإِنَّا نَحْبُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَتَصْلِيَ لَنَا فِيهِ وَتَدْعُو بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَلَوْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا فِيهِ»، فَلَمَّا انْصَرَفَ ﷺ مِنْ تَبُوكَ رَاجِعًا نَزَلَ بِذِي أَوَانَ وَهُوَ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَتَاهُ الْمُنَافِقُونَ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَدَعَا بِقَمِيصِهِ لِيَلْبَسَهُ وَيَأْتِيَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَخْبَرَهُ خَيْرُ مَسْجِدِ الضَّرَّارِ وَمَا هُمَا بِهِ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَالِكَ بْنَ الدَّخْشَمِ، وَمَعْنُ بْنَ عَدِيٍّ، وَعَاصِمُ بْنُ السَّكَنِ، وَوَحْشِيًّا فَقَالَ لَهُمْ: انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلَهُ فَاهْدُمُوهُ وَخَرِّقُوهُ، فَخَرَّجُوا مَسْرِعِينَ حَتَّى أَتَوْا

فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَمَسْجِدَ أُيُسَسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلِ النَّقْوَىٰ مِنْ أَكْلِيَّوِيٍّ﴾ وضع يوم حلت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما في البخاري ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ فَيَدْرِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحْيُونَ أَنْ يَنْظَهُرُوا وَاللَّهُ

بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك: انظروني حتى أخرج إليكم بنار، فدخل على أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله، فأحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله، وأمر رسول الله ﷺ أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والتتن والقمامة، ومات أبو عامر الراهب بالشام غريباً وحيداً انتهت.

قوله: (كناسة) أي مكان كناسة.

قوله: ﴿لَمَسْجِدَ﴾ اللام للابتداء، ومسجد مبتدأ، وأسس في محل رفع نعت له، وأحق خبره.

والقائم مقام الفاعل ضمير المسجد على حذف مضاف أي أسس بنيانه ومن أول متعلق به سمين.

قوله: ﴿أُسِسَ عَلَى النَّقْوَى﴾ أي أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقاء، وهي يوم الاثنين الثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة اهـ أبو السعود.

وهذا على القول بأنه أقام هناك أربعة أيام، وقيل: أقام أربعة عشر، وقيل: اثنين وعشرين كما في المواهب. قوله: ﴿مَنْ أَوَّلَ يَوْمٍ﴾ من ابتدائية في الزمان على طريقة الكوفيين التي أشار لها ابن مالك بقوله: وقد تأتي لبدء الأزمنة اهـ شيخنا.

قوله: (وهو مسجد قباء كما في البخاري) وقيل: هو مسجد المدينة اهـ من الخازن.

وفي الكرخي: والتحقيق أن رواية نزولها في مسجد قباء لا تعارض تنصيبه ﷺ على أنه مسجد بالمدينة، فإنها لا تدل على اختصاص أهل قباء بذلك اهـ.

قوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ أفعل التفضيل على غير بابه أو المفاضلة باعتبار زعمهم أو بالنظر له في ذاته، فإن المحذور قصدهم ونيتهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾ وهم بنو عامر بن عوف الذين بنوه يحيون أن يطهروا، يعني من الأحداث والجنائيات وسائر النجاسات، وهذا قول أكثر المفسرين. وقال الإمام فخر الدين الرازي: المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي، وهذا القول متعين لوجوه.

الأول: أن التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه.

الوجه الثاني: أن الله تعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك إلا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي، وهي الطهارة الباطنة.

الوجه الثالث: أن طهارة الظاهر إنما يحصل لها أثر عند الله إذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل: يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي، وطهارة الظاهر من الأحداث والنجاسات بالماء اهـ خازن.

يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أي يشيهم وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء. روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه رضي الله عنه أتاهم في مسجد قباء فقال «إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به». قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا، وفي حديث رواه البزار فقالوا نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه ﴿أَفَمَنْ﴾ أَسَسَ بَيْنَهُمْ عَلَى تَقْوَى مخافة ﴿مَنْ أَلَّوْهُ﴾ ﴿وَرَجَاءَ﴾ ﴿رِضْوَانٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بَيْنَهُمْ﴾

قوله: (أتاهم) أي الأنصار وهم بنو عامر بن عوف قوله: (في الطهور) بضم الطاء أي التطهر، والمراد به هنا الاستنجاء بالماء كما سيأتي، وكذا قوله فما هذا الطهور بالضم أيضاً وقوله: الذي تطهرون به أي تحصلون الطهارة به أي بسببه، والمراد بالطهارة النظافة أو ارتقاء الأحداث والأنجاس. قوله: (وفي حديث رواه البزار فقالوا) أي في جواب سؤاله لهم، فالرواية الأولى فيها الجواب بالغسل فقط، وهذه فيها الجواب بجميع الغسل والمسح فلا تخالف بينهما، والمعمول عليه ما في الثانية اهـ شيخنا.

قوله: (فقال هو ذاك) أي الذي أثنى الله عليكم به، وقوله: فعليكموه أي الزموا.

قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري كما قال الشارح، ولأن مبتدأ خبره خير، وقوله: ﴿أَمْ مِنْ﴾ أم حرف عطف ومن معطوفه على من الأولى وخبرها محذوف قدره الشارح بقوله: خير، وجواب هذا الاستفهام، محذوف قدره الشارح بقوله: أي الأول خير اهـ شيخنا.

وقرأ نافع وابن عامر أسس مبنياً للمفعول بنيانه بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون أسس مبنياً للفاعل وبنيانه مفعول به، والفاعل ضمير من اهـ سمين.

والجملة مستأنفة مبنية لخيرية الرجال المذكورين على أهل مسجد الضرار، والفاء عاطفة على مقدر أي أبعد ما علم حالهم، فمن أسس بنيانه على تقوى من الله الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بِنْيَانِهِ﴾ أي ببيان دينه على تقوى من الله أي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة اهـ يضاوي.

وقوله: على قاعدة الخ يعني أنه استعارة مكنية شبهت التقوى والرضوان بما يعتمد عليه البناء تشبيهاً مضمراً في النفس وأسس بنيانه تخيل فهو مستعمل في معناه الحقيقي أو مجاز، فتأسيس البنيان بمعنى إحكام أمور دينه أو تمثيل لحال من أخلص لله وعمل الأعمال الصالحة بحال من بنى شيئاً محكماً مؤسساً يستوطنه ويتحصن فيه، أو البنيان استعارة أصلية والتأسيس ترشيح اهـ شهاب.

قوله: ﴿أَمْ مِنْ أَسَسَ بِنْيَانِهِ﴾ أي أحكم أمور دينه ورتبها على ضلال وكفر ونفاق، وقوله: ﴿وَعَلَى شَفَا جَرْفٍ﴾ المراد به هنا الضلال وعدم التقوى. وفي المصباح: وشفا كل شيء طرفه وحرفه مثل النوى اهـ.

عَلَى شَفَا طَرَفٍ ﴿جُرْفٍ﴾ بضم الراء وسكونها جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ خبر تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير

قوله: (بضم الراء وسكونها) قراءتان سبعيتان، وعلى كل فالجيم مضمومة. وفي السمين: والجرف البئر التي لم تطو قيل هو الهوة وما يجرفه السيل من الأودية قاله أبو عبيدة. وقيل: هو المكان لذي يأكله الماء فيجرفه أي يذهب به اهـ.

قوله: ﴿هَارٍ﴾ مجرور بكسرة ظاهرة إذ أصله هاير أو هاور، فقلبت الياء أو الواو همزة ثم حذفت الهمزة اعتباطاً فوزنه قال فهو محذوف العين. وقيل: إنه منقوص كقاص وأصله هاور، ثم نقلت الواو بعد الراء ثم قلبت ياء فصار كقاضي، ثم حذفت الياء فأعرابه بحركات مقدرة عليها اهـ شيخنا.

وفي المختار: هار الجرف من باب قال: وهوراً أيضاً فهو هائر، ويقال أيضاً جرف هار اهـ.

وفي السمين قوله: هار نعت لجرف، وفيه ثلاث أقوال:

أحدها: وهو المشهور أنه مقلوب بتقديم لامه على عينه، وذلك أن أصله هاور أو هاير بالواو أو الياء، لأنه سمع فيه الحرفان قالوا هار يهور ويهار وهار يهير وتهور البناء وتهير، فقدمت اللام وهي الراء على العين وهي الواو أو الياء، فصار كغاز ورام فأعل بالتقص كإعلالهما فوزنه بعد القلب فاعل ثم نزنه بعد الحذف على فال.

القول الثاني: أنه حذف عينه اعتباطاً أي لغير موجب وعلى هذا فتجري وجوه الإعراب على لامة، فيقال: هذا هار ورأيت هار ومررت بهار ووزنه أيضاً فال.

القول الثالث: أنه لا قلب فيه ولا حذف وأن أصله هور أو هير بوزن كتف فتتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفاً، وعلى هذا فتجري وجوه الإعراب أيضاً كالذي قبله، كما تقول: هذا باب، ورأيت باباً، ومررت بباب، وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف اللذين هما على خلاف الأصل، لولا أنه غير مشهور عند أهل التصريف، ومعنى هار أي ساقط متداع منهال اهـ.

قوله: ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ فاعله إما ضمير البنيان والهاء في به على هذا ضمير المؤسس الباني أي: فسقط بنيان الباني على شفا جرف هار وإما ضمير الشفا وإما ضمير الجرف أي فسقط الشفا أو سقط الجرف، والهاء في به للبنيان، ويجوز أن تكون للباني المؤسس، والأولى أن يكون الفاعل ضمير الجرف لأنه يلزم من انهيارهما انهيار الشفا، والبنيان جميعاً، ولا يلزم من انهيارها أو انهيار أحدهما انهياره، والباء في به يجوز أن تكون للتعدي وأن تكون للمصاحبة. وقد تقدم لك خلاف أول هذا الموضوع أن المعديّة عند بعضهم تستلزم المصاحبة، وإذا قيل إنها للمصاحبة هنا فتتعلق بمحذوف لأنها حال أي فانهار مصاحباً له اهـ سمين.

قوله: ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ ورد أنهم رأوا الدخان حين حفروا أساسه اهـ كرخي.

قوله: (خير) خير من الثانية.

قوله: (تمثيل للبناء) أي قوله: ﴿أَمَّ مِنْ أَسَسٍ﴾ الخ تمثيل الخ.

أي الأول خير وهو مثال مسجد قباء، والثاني مثال مسجد الضران ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً شَكًّا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله: ﴿يَمَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ﴾ لعل الضمير راجع للسقوط وما عبارة عن بناء أي بناء يؤول إلى السقوط فالمشبه به البناء على محل آيل للسقوط والمشبه هو ترتيب أحكام الدين وأعماله على الكفر والنفاق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لَا يَزَالُ بَنِيَانُهُمْ﴾ مصدر بمعنى اسم المفعول اهـ.

قوله: ﴿رِيبَةً﴾ على حذف مضاف. أي سبب ريبة وشك في الدين كأنه نفس الريبة. أما حال بنيانته فظاهر لما أن اعتزلهم عن المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق، ويدبرون فيه أمورهم مما يزيدهم ريبة وشكاً في الدين، وأما حال هدمه فلأنه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره وأحكامه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبَهُمْ﴾ المستثنى منه محذوف، والتقدير لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت، إلا وقت تقطيع قلوبهم، أو في كل حال إلا حال تقطيعها. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص تقطع بفتح التاء، والأصل تنقطع بتاءين، فحذفت إحداهما. وقرأ الباقون تقطع بضمها وهو مبني للمفعول مضارع قطع بالتشديد. وقرأ أبي تقطع من قطع مخففاً، وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة ويعقوب إلى أن يلى الجارة وأبو حيوة كذلك: وهي قراءة واضحة في المعنى إلا أن أبان حيوة قرأ تقطع بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة والفاعل ضمير الرسول قلوبهم تعجباً على المفعول به، والمعنى على ذلك أنه يقتلهم ويتمكن منهم كل التمكن اهـ سمين.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبَهُمْ﴾ الظاهر أن إلا بمعنى إلى بدليل أنه قرئ بها شاذاً كما تقدم عن السمين.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ ترغب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه، وقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عرّ عن قبول الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله وإثابته إياهم بمقابلتها بالجنة بالشراء على طريقة الاستغارة التبعية، ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصود في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم، وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة، ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال: إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصود في العقد هو الجنة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها وسيلة إليها إيداناً بكمال العناية بهم وبأموالهم، ثم إنه لم يقل بالجنة بل قال بأن لهم الجنة مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم، كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم اهـ أبو السعود.

وقال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قال: إذا فعلنا ذلك ما لنا؟ قال: الجنة.

أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴿بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد﴾ ﴿يَأْتِ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي ﴿وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا﴾ فيه التفات عن الغيبة

قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ قال أهل المعاني: لا يجوز أن يشتري الله شيئاً في الحقيقة لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه والأشياء كله ملك لله عز وجل، ولهذا قال الحسن: أنفسنا وهو خلقها، وأموالنا هو رزقنا إياه لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء إلى الطاعة والجهاد، وذلك لأن المؤمن إذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء لما فعل في الدنيا، فجعل ذلك استبدالاً وشراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة المراد بالأموال إنفاقها في سبيل الله، وفي جميع وجوه البر والطاعات اهـ خازن.

قوله: (بأن يبذلوها) بابه نصر اهـ مختار.

وأشار بهذا إلى أن المبيع في الحقيقة بذلها لأنفسها أي قبل ورضى ورتب استحقاق الجنة على بذل النفس والمال اهـ شيخنا.

قوله: (بأن لهم الجنة) متعلق باشتري ودخلت الباء هنا على المتروك على بابها، وسماها أبو البقاء باء المقابلة، كقولهم: باء العوض وباء التنمية، وقرأ عمر بن الخطاب بالجنة اهـ سمين.

قوله: (جملة استئناف) عبارة أبي السعود: يقاتلون في سبيل الله استئناف، لكن لا لبيان نفس الاشتراء، لأن قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء من الله أنفسهم وأموالهم، بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور، كأنه قيل: كيف يبيعونها بالجنة؟ فقيل: يقاتلون الخ، وقوله: ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾ الخ بيان لكون القتال في سبيل الله بذلاً للنفس انتهت.

قوله: (بيان للشراء) الأولى أن يقول بيان للبيع الذي يستلزمه الشراء، أو يقول بيان لتسليم المبيع اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية.

قوله: (فيقتل الخ) الظاهر أن هذا بيان لكل من القراءتين، فأفاد أنه لا يشترط اجتماع الأمرين في الشخص الواحد، بل يتحقق الفضل العظيم، وإن لم يوجد واحد من الوصفين، كما إذا وجدت المضاربة من غير قتل، بل يتحقق الجهاد بمجرد العزم وتكثير السواء اهـ أبو السعود.

قوله: (بفعلهما المحذوف) أي وعدهم وعداً وحق ذلك الوعد حقاً أي تحقق وثبت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ فيه وجهان أحدهما: أنه متعلق باشتري، وعلى هذا فتكون كل أمة قد أمرت بالجهاد ووعدت عليه الجنة. والثاني: أنه متعلق بمحذوف لأنه صفة الوعد، أي وعداً مذكوراً وكائناً في التوراة، وعلى هذا فيكون الوعد بالجنة لهذه الأمة مذكوراً في كتب الله المنزل اهـ سمين.

قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج

﴿يَتَّبِعُكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْقَوْمُ الْمُظْلِمُونَ﴾ المنيل غاية المطلوب ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والتفاق ﴿الْمُتَّبِعُونَ﴾ المخلصون العبادة لله

المبالغة في كونه أوفى بالعهد من كل واف، فإن إخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان صدوره منهم، فكيف بجانب الخالق اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فيه الغفات﴾ أي تشریفاً لهم على تشریف وزيادة لسرورهم على سرورهم، والاستبشار إظهار السرور، والسين ليست للطلب بل للمطابقة كاستوقد وأوقد، والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله: وإنما قيل ببيعكم مع أن الاستبشار به إنما هو باعتبار أدائه إلى الجنة، وذلك لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبّر عنه بالبيع، وإنما لم يعبر بعنوان الشراء، لأن الشراء من قبل الله والترغيب إنما هو فيما من قبلهم. وقوله: ﴿الذي بايعتم به﴾ لزيادة تقرير بيعهم اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: ﴿فاستبشروا ببيعكم﴾ أي: افرحوا به غاية الفرح واستفعل هنا ليس للطلب، بل بمعنى أفعّل كاستوقد وأوقد اهـ.

قوله: ﴿التائبون﴾ الخ حاصل ما ذكر أوصاف تسعة: الستة الأولى تتعلق بمعاملة الخالق، والسابع والثامن يتعلقان بمعاملة المخلوق، والتاسع يعم القيلتين اهـ شيخنا.

واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل باجتماع أربعة أمور أولها: احتراق القلب عند صدور المعصية، وثانيها: الندم على فعلها فيما مضى، وثالثها: العزم على تركها في المستقبل، ورابعها: أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته، فإن كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم، فليس بمخلص في توبته اهـ خازن.

قوله: ﴿رفع على المدح﴾ أي لأجل المدح أي لأجل أن هذا نعت فيه مدح فقطع بإضمار مبتدأ محذوف وجواباً للمبالغة في المدح. وقوله: بتقدير مبتدأ أي هم المؤمنون المذكورون التائبون الخ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿التائبون﴾ فيه خمسة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ وخبره العابدون وما بعده أوصاف أو أخبار متعددة عند من يرى ذلك. الثاني: أن الخبر قوله: ﴿الآمرون﴾. الثالث: أن الخبر محذوف أي التائبون الموصوفون بهذه الأوصاف من أهل الجنة، ويؤيده قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ [الأحزاب: ٤٧] وهذا عند من يرى أن هذه الآية منقطعة مما قبلها، وليست شرطاً في المجاهدة، وأما من زعم أنها شرط في المجاهدة كالضحاك وغيره، فيكون إعراب التائبين خبر مبتدأ محذوف أي هم التائبون وهذا من باب قطع النعوت، وذلك أن هذه الأوصاف عند هؤلاء القائلين من صفات المؤمنين في قوله: من المؤمنين، ويؤيده ذلك قراءة أبي وابن مسعود، والأعمش التائبين بالياء، ويجوز أن تكون هذه القراءة على القطع أيضاً، فيكون منصوباً بفعل مقدّر، وقد صرح الزمخشري، وابن عطية بأن التائبين في هذه القراءة نعت للمؤمنين. الخامس: أن التائبون بدل من الضمير المستتر في يقاتلون ولم يذكر في الآية لهذه الأوصاف متعلق، فلم يقل التائبون من كذا الله، ولا العابدون لله لفهم ذلك إلا صفي الأمر والنهي مبالغة في ذلك، ولم يأت تعاطف هذه الأوصاف لمناسبتها لبعضها إلا في صفتي الأمر



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ له على كل حال ﴿السَّامِعُونَ﴾ الصائمون ﴿الزَّكَاةُ﴾ السَّامِعُونَ ﴿أَيِ الْمَصْلُوقِينَ﴾ الَّذِينَ يَتَعَرَّفُونَ بِالنَّكَاحِ وَالْمُتَعَرِّفُونَ لِلْحُدُودِ وَاللَّحْمَاءِ بِالْعَمَلِ بِهَا ﴿وَنَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ بالجنة. ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة

والنهي لتباين ما بينهما، فإن الأمر طلب فعل، والنهي طلب ترك أو كف، وكذا الحافظون عطفه وذكر متعلقه وأتى بترتيب هذه الصفات في الذكر على أحسن نظم وهو ظاهر بالتأمل فإنه قدم التوبة أولاً ثم ثنى بالعبادة إلى آخرها اهـ.

قوله: ﴿الْحَامِدُونَ﴾ (له على كل حال) أي في السراء والضراء. قال ﷺ: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء» اهـ كرخي.

قوله: (الصائمون) هذا كقوله عليه الصلاة والسلام: «سياحة أمتي الصوم» شبه بها لأنه يعوق عن الشهوات أي المشتبهات كالسياحة، أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى العبور على خبايا الملك والملكوت اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: وقيل: إن السياحة لها أثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها، لأن السائح لا بد أن يلقي أنواعاً من المشاق ولا بد له من الصبر عليها وتعود عليه بركتها، وهذا المعنى متحقق في الصوم انتهت.

وعبارة الكرخي قوله: الصائمون سمووا بذلك لتركهم اللذات كلها من المطعم والمشروب والمنكح: فإن السائح في الأرض ممتنع من ذلك. وفي الحديث «سياحة أمتي الصوم» أو هم طلبة العلم لأنهم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلبه. وقيل: هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله اهـ.

وفي القاموس: والسياحة بالكسر الذهاب في الأرض للعبادة ومنه المسيح ابن مريم، وذكرت في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي لمختصر البخاري، والسائح الصائم الملازم للسياحة اهـ.

قوله: (أي المصلون) أشار بهذا إلى أن هذين الوصفين يرجعان لوصف واحد وعبر عنها بهما لأنها معظم أركانهم، وبهما يمتاز المصلي من غيره بخلاف غيرهما كالقيام والقعود، لأنها حالتا المصلي وغيره اهـ خازن.

قوله: ﴿الناهون عن المنكر﴾ إنما عطف هذا الوصف على ما قبله للمضادة بينهما، إذ الأول طلب فعل، والثاني طلب ترك. وقيل: إما عطف بالواو إشارة إلى أن مدخولها هو الوصف الثامن، وذلك لأنها عندهم تسمى واو الثمانية، وتدخل على ما يكون ثامناً اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: والعطف فيه للدلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين اهـ.

قوله: (بالعمل بها) متعلق بالحافظون.

قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي الموصوفين بالنعوت المذكورة ففيه إظهار في مقام الإضمار للتنبيه

لأبويه المشركين ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾  
 ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿ النَّارُ بَأْسٌ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَتْ ﴾  
 أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴿ بِقَوْلِهِ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي أَرْجَا أَنْ يَسْلَمَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا ﴾  
 بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴿ بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ ﴾ ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ وترك الاستغفار له ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ ﴾ كثير

على علة الحكم أي سبب استحقاقهم الجنة هو إيمانهم، وحذف المبشر به لخروجه عن حد البيان اهـ  
 أبو السعود.

قوله: (لعمري أي طالب) فقد روي أنه لما حضرته الوفاة قال له النبي ﷺ: «يا عم قل كلمة أحاج  
 لك بها عند الله»، فأبى أبو طالب، فقال النبي: «لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عن الاستغفار»، فنزلت  
 هذه الآية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾، أي ما صح أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز.

قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْخَطِيئَةَ ﴾ متعلق بالنفي أو بالاستغفار المنفي. وقوله: ﴿ بَأْسٌ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ ﴾  
 أي: وأما قبل الموت فيفصل، فإن أريد بطلب المغفرة للكافر وهدايته للإسلام جاز الاستغفار له، وإن  
 أريد به أن تغفر ذنوبه مع بقاءه على الكفر لم يجز فمفهوم قوله ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْخَطِيئَةَ ﴾ فيه تفصيل اهـ  
 شيخنا.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَأْتِيهِ ﴾ وجه تعلق هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما بالغ في  
 وجوب الانقطاع عن المشركين الأحياء والأموات بَيَّنَّ أن هذا الحكم غير مختص بدين محمد ﷺ، بل  
 هو مشروع أيضاً في دين إبراهيم عليه السلام، فتكون المبالغة في وجوب الانقطاع أكمل وأقوى اهـ  
 كرخي.

وفي أبي السعود ما نصه: وما كان استغفار إبراهيم أي بقوله: واغفر لأبي أي بأن توفقه للإيمان  
 وتهديه إليه، كما يلوح به تعليله بقوله: إنه كان من الضالين. والجملة استئناف مسوق لتقدير ما سبق  
 ودفع ما يرد عليه بحسب الظاهر من المخالفة اهـ.

قوله: ﴿ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ﴾ أي ما كان استغفاره إلا عن موعدة مبنية على عدم تبين أمره كما ينبيء  
 عنه قوله: ﴿ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمُ الْخَطِيئَةَ ﴾، والاستثناء مفرغ من أعلم العلل أي لم يكن استغفاره لأبيه ناشئاً عن  
 شيء ولا أجل شيء إلا عن موعدة وعدها إياه أي لأجلها اهـ أبو السعود.

قوله: (رجاء أن يسلم) ظاهره أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له وهو ما عليه الأكثر، ويدل له  
 قراءة الحسن وعدها أباه بالبلاء الموحدة. وقال بعضهم: إن الهاء عائدة على إبراهيم والوعد كان من  
 أبيه، وذلك أنه كان وعده أن يسلم فقال إبراهيم: سأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت يدل قوله: ﴿ لَقَدْ ﴾  
 كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴾ ﴿ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [المتحنة: ٤]  
 أي فليس لكم التأسي به في ذلك لأنه استغفر له وهو مشرك، وكان الوعد رجاء أن يسلم فلما تبين له أنه  
 عدو لله الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴾ أي أنه مصر على العداوة والكفر ومستمر عليه، وإلا فكفره كان متبيناً من

التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ يَضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾

قبل موته، والمتبين بالموت إنما هو استمراره عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وترك الاستغفار له﴾ عطف تفسير.

قوله: ﴿إن إبراهيم﴾ الخ استئناف مسوق لبيان الحامل له على الاستغفار قبل التبين، فليس لغيره أن يقتدي به فيه إذ ليس لغيره ما له من الرأفة والرقّة، فلا بد أن يكون غيره أكثر اجتناباً وتبرؤاً اهـ من أبي السعود.

وقوله: ﴿لأواه﴾ أي يكثر التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه اهـ بيضاوي.

والتأوه: أن يقول الرجل عند الشكاية والتوجع آه اهـ زاده.

وفي المختار: وقد أوه الرجل تأويهاً وتأوهاً إذا قال أوه اهـ.

وفي السمين: والأواه الكثير التأوه وهو من يقول أواه وقيل: من يقول أوه وهو أنسب، لأن أوه بمعنى أتوجع، فالأواه فعال مثال مبالغة من ذلك، وقياس فعله أن يكون ثلاثياً لأن أمثلة المبالغة إنما تطرد في الثلاثي. وقد حكى قطرب فعل ثلاثياً فقال: يقال: آه يؤوه كقام يقوم أوهاً. وأنكر النحويون هذه القول على قطرب، وقالوا: لا يقال من أوه بمعنى أتوجع فعل ثلاثي، وإنما يقال أوه تأويهاً وتأوه تأوهاً اهـ.

وعبارة الخازن: جاء في الحديث أن الأواه الخاشع المتضرع، وقال ابن مسعود: الأواه الكثير الدعاء، وقال ابن عباس هو المؤمن التواب، وقال الحسن وقتادة: الأواه الرحيم بعباد الله، قال مجاهد: الأواه الموقن، وقال كعب الأحبار: هو الذي يكثر التأوه، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يكثر أن يقول أوه من النار قبل أن لا ينفع أوه، وقال عقبة بن عامر: الأواه الكثير الذكر لله، وقال سعيد بن حبيب: هو المسبح، وعنه أنه المعلم للخير، وقال عطاء: هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار، وقال أبو عبيدة: هو المتأوه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيناً ولزوماً للطاعة. قال الزجاج: انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه، وأصله من التأوه، وهو أن يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء والفعل منه أوه، وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه، والسبب فيه أنه عند الحزن تحمي الروح داخل القلب ويشتد حرها، فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخفف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه أو أتاه بمكروه ثم يقابله بالإحسان واللطف، كما فعل إبراهيم مع أبيه حين قال له: لئن لم تنته لأرجمنك فأجابه إبراهيم بقوله: سلام عليك سأستغفر لك ربي. وقال ابن عباس: الحليم السيد اهـ.

قوله: ﴿وما كان الله ليضل قوماً﴾ الخ لما نزل المنع من الاستغفار خاف المؤمنون من المؤاخذه بما صدر عنهم منه قبل البيان والمنع، وقد مات جماعة من المسلمين قبل النهي عن الاستغفار، فلما ورد المنع خاف المؤمنون على من مات منهم قبل المنع، فأنزل الله هذه الآية، ويُنَّ أنه لا يؤاخذهم بعمل إلا بعد أن يبين لهم حكمه فيه. يعني وما كان الله ليقتضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد أن رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به ورسوله اهـ خازن.

للإسلام ﴿حَقَّ يَتَّيَبَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ ذُوْنِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا تَصْبِرُ﴾ يمنعكم عن ضرره ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي أدام توبته ﴿عَلِ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾

قوله: ﴿بعد إذ هداهم﴾ هذا مثل قوله في آل عمران بعد إذ هديتنا وتقديم فيه وجهان، أحدهما: أن إذ بمعنى ان. الثاني: أنها ظرف بمعنى وقت أي بعد أن هداهم أو بعد وقت هداهم فيه اهـ.

قوله: ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿إن الله له ملك السموات والأرض﴾ لما منعهم من الاستغفار للمشركين، ﴿ولو كانوا أولي قربى﴾ بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أموره، ولا يتأتى النصر ولا المعاونة إلا منه ليتوجهوا إليه متبرئين مما سواه اهـ أبو السعود.

قوله: (أي أدام توبته) تفسير للتوبة المتعلقة بكل من النبي والمهاجرين والأنصار، وهذا جواب عما يقال إن النبي معصوم من الذنب، وإن المهاجرين والأنصار لم يفعلوا ذنباً في هذه القضية، بل اتبعوه من غير تلثم، فبين الشارح أن المراد بالتوبة في حق الجميع دوامها لا أصلها. وقوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾، قال الشارح في تفسيره بالثبات: أي على الاتباع والسير معه، فيكون في المعنى تأكيداً لتاب الأول إذ يرجع في المعنى إليه على صنيع الشارح اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ومعنى توبته على النبي عدم مؤاخذته بإذنه للمؤمنين في التخلف عنه في غزوة تبوك، وهو كقوله: عفا الله عنك لم أذنت لهم، فهو من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقاباً. وقال أصحاب المعاني: هو مفتاح كلام للتبرك، فهو كقوله تعالى: ﴿فَأَن لَّهِ خَمْسَةٌ﴾ [الأنفال: ٤١] ومعنى هذا أن ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبة النبي ﷺ، كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله في قوله: ﴿فَأَن لَّهِ خَمْسَةٌ وَلِلرَّسُولِ﴾، فهو تشريف له. وأما معنى توبة الله على المهاجرين والأنصار، فمن أجل ما وقع في قلوبهم من الميل إلى القعود من غزوة تبوك لأنها كانت في وقت حر شديد، وربما وقع في قلوب بعضهم آثاً لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية، وقيل: إن الإنسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره إما من باب الصغائر وإما من باب ترك الأفضل، ثم إن النبي ﷺ والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد التي حصلت لهم في هذا السفر غفر الله لهم وتاب عليهم، لأجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي ﷺ، وإنما ضم ذكر النبي ﷺ إلى ذكرهم تنبيهاً على عظم مراتبهم في الدين، وأنهم قد بلغوا إلى الرتبة التي لأجلها ضم ذكر الرسول ﷺ إلى ذكرهم.

قوله: ﴿الذين اتبعوه﴾ نعت للمهاجرين والأنصار، وقد ذكر بعض العلماء أن النبي ﷺ سار إلى تبوك في سبعين ألفاً ما بين راكب وماش من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل اهـ خازن.

أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان ثمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ بالتاء والياء تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات ﴿إِنَّمَا بِهِمْ رِئُوفٌ

قوله: (أي وقتها) تفسير للساعة بين به أنه ليس المراد بها الساعة الفلكية بل مطلق الوقت اهـ شيخنا.

والعسرة: الشدة والضيق، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة، والجيش الذي صار يسمى جيش العسرة لأنه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء. قال الحسن: كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم المر المسوس والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلا التمرات اليسيرة بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ الثمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى تأتي على آخرهم، ولا يبقى من الثمرة إلا النواة، فمضوا مع النبي ﷺ على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، وحتى إن الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله. قال: «أتحب ذلك؟» فقال الصديق: نعم. فرفع يديه ﷺ فلم يرجعاً حتى قالت السماء فأظلمت ثم سكبت فملأوا ما معهم من الأوعية ثم ذهبنا ننظرها، فلم نجدها جاوزت العسكر. وأسند الطبري عن عمر كذلك اهـ خازن.

قوله: ﴿من بعد ما كاد﴾ الخ بيان لتناهي الشدة وبلوغها النهاية، وهو إشراف بعضهم على الميل إلى التخلف، واسم كاد ضمير الشأن، وجملة تزيع الخ في محل نصب خبرها اهـ شيخنا.

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان.

قوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ تكرير وتنبية على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: ثم تاب عليهم بالثبات، أي على المشقة، وإنما أعاد ذكر التوبة ليكون ذلك أبلغ في الدلالة على قبولها والتجاوز عن الذنب. وقوله: ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾. الرأفة: عبارة عن السعي في إزالة الضرر، والرحمة عبارة عن السعي في إيصال النفع اهـ.

وفي الخازن: فإن قلت: قد ذكر التوبة أولاً ثم ذكرها ثانياً فما فائدة التكرار؟ قلت: إنه تعالى ذكر التوبة أولاً قبل ذكر الذنب تفضلاً منه وتطبيعاً لقلوبهم، ثم ذكر الذنب وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيماً لشأنهم، وليعلموا أنه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم، ثم أتبعه بقوله تعالى: ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾، تأكيداً لذلك، ومعنى الرؤوف في صفة الله تعالى أنه الرفيق بعباده، لأنه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادة، وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وإن تقارباً معنى اهـ.



فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبإيعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فحشته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: «تعال» فجلت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك ألم تكن قد ابتعت مركوبك؟» فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً أي فصاحة، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ. ولئن حدثتك حديث صدق تجد أي تغضب على فيه إني لأرجو فيه عفو الله. لا والله ما كان لي من عذر ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك»، فقممت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يلوموني لوماً عنيفاً حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان فالأول ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدماء لي فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس فتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبيكان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ فسلمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت، فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عينا وتوليت حتى تسورت الجدار حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمر أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلي صاحبني مثل ذلك، فقلت لا مرأتي: الحق بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت بفتح الميم لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي، وضافت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً وعرفت أن جاء فرج وأذن رسول الله ﷺ بالمد أي اعلم الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر، فذهب الناس يشروننا وذهب قبل صاحبني مبشرون، وركب رجل إلي فرساً وركضها، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعته له ثوبي فكسوته بإياهما ببشراه، والله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجاً يهتثوني

الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ﴿١١٨﴾ أَيَّ مَعَ رَحْبِهَا أَيَّ سَعَتِهَا فَلَا يَجْدُونَ مَكَانًا يَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ ﴿١١٩﴾ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ ﴿١٢٠﴾ قُلُوبُهُمْ لِلْغَمِّ وَالْوَحْشَةِ بِتَأْخِيرِ تَوْبَتِهِمْ فَلَا يَسْعَاهَا سُرُورٌ وَلَا أُنْسٌ ﴿١٢١﴾ وَقَلَّتُوا ﴿١٢٢﴾ أَيْقَنُوا ﴿١٢٣﴾ أَنْ ﴿١٢٤﴾ مُخَفَّفَةٌ ﴿١٢٥﴾ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَى الْيَوْمَةِ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴿١٢٦﴾ وَفَقَّهَهُمُ لِلتَّوْبَةِ ﴿١٢٧﴾ لِيَسْتَوْبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

بالتوبة يقولون: لتَهْنِك بفتح التاء توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشّر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك». قال: قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير. وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: «لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار» إلى قوله: «وكونوا مع الصادقين» فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ.

قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أي أخر أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك أي الإرجاء قال الله تعالى: «وعلى الثلاثة الذين خلفوا»، وليس الذي ذكره الله من أجل تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له ﷺ واعتذر إليه فقبل منه اهـ باختصار.

قوله: «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض» الخ هذا كناية عن شدة التحير وعدم الاطمئنان، وهو مثل يقال لكل من اشتد تحيره وتوحشه، ولا بد من ادعاء أحد أمرين: إما ادعاء زيادة إذا، وإما ادعاء زيادة ثم، وقد نص زكريا على البيضاوي على زيادة ثم وغيره على زيادة إذا اهـ شيخنا.

قوله: (أي مع رحبها) بضم الراء بمعنى ما ذكره الشارح، وأما بفتحها فمعناه المكان المتسع فمضمومها مصدر ومفتوحها مكان اهـ شيخنا.

قوله: (فلا يسعها سرور) أي لا يدخلها سرور، أو في العبارة قلب أي: ولا تسع سروراً ولا أنساً كما أشار له الشهاب اهـ.

قوله: «أن» (مخففة) أي واسمها ضمير الشأن محذوف، ولا نافية للجنس، وقوله: «من الله» خبرها، وجملة أن لا ملجأ من الله سادة مسد مفعولي ظنوا. وقوله: «إلا إليه» مستثنى من مقدر. أي لا ملجأ لأحد ولا اعتماد على أحد إلا إليه تعالى اهـ من السمين.

قوله: «من الله» أي من عذابه إلا إليه أي إلى استغفاره اهـ بيضاوي. أو من الله أي سخطه إلا إليه أي بالتضرع اهـ كرخي.

قوله: (وقفهم للتوبة) أي الصحيحة المقبولة، وإلا فقد كان عندهم شدة الندم في مدة التأخير، وقوله: «ليتوبوا» أي ليحصلوا التوبة وينشئوها فحصلت المغايرة وصح التعليل اهـ شيخنا.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مَن حَوْلهُمْ مِنَ الْغُرَابِ أَنْ يَتَخَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بأن يصونوها عما رضىه لنفسه من الشدائد وهو نهى بلفظ الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿يَأْتَهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾

وفي البيضاوي: ﴿ثم تاب عليهم﴾ بالتوفيق للتوبة ليتوبوا، أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين، أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم اهـ.

قوله: ﴿مع الصادقين﴾ مع بمعنى من بدليل القراءة الشاذة التي حكاها أبو السعود.

قوله: ﴿بأن تلزموا الصدق﴾ تصوير للكون مع الصادقين.

قوله: ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز لهم أن يتخلفوا الخ.

قوله: ﴿أن يتخلفوا﴾ أي أن يتخلف أي واحد منهم، فلا يجوز تخلف واحد منهم إذا غزا النبي أي يخرج بنفسه للغزو، فيجب حيثئذ على المؤمنين أن ينفروا كافة، وما سيأتي من قوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ الخ فهو فيما إذا لم يخرج النبي، بل أرسل السرايا كما سيأتي هذا في الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم﴾ يجوز فيه النصب عطفاً على يتخلفوا والجزم على أن لا ناهية.

قوله: ﴿بأن يصونوها الخ﴾ هذا بيان لحاصل المعنى، فإن الباء في قوله ﴿بأنفسهم﴾ للتعدية، فقوله رغبت عنه معناه أعرضت عنه، فالمعنى ولا يجعلوا أنفسهم رغبة من نفسه أي عما ألقى فيه نفسه اهـ زاده.

ويصح أن تكون للسببية، والمعنى ولا يرغبوا عن نفسه بأنفسهم أي بسبب صونها. وفي أبي السعود: ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه أي ولا يصرفوها عن نفسه﴾ الكريمة أي عما بذل نفسه فيه، ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه، بل يكابدوا معه ما يكابده من الأهوال والخطوب اهـ.

وعبارة الكرخي: بأن يصونوها الخ إيضاحه قول الكشاف أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغترباط، وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علماً بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه، فإذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، ولا يكثرث بها أصحابها ولا يقيموا لها وزناً وتكون أخف شيء عليهم وأهونه اهـ.

قوله: (وهو) أي ما ذكر من قوله: ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ الخ نهى أي في المعنى، فكأنه قيل: لا يتخلف واحد منهم، وقوله: (بلفظ الخبر) أي جاء وذكر بلفظ الخبر فهو خبر بمعنى الإنشاء اهـ شيخنا.

قوله: (أي النهي عن التخلف) أي النهي الذي في ضمن الخبر.

قوله: ﴿ظمأً﴾ أي ولو يسيراً، وكذا يقال فيما بعده اهـ شيخنا.

تعب ﴿وَلَا تَحْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْفُونَ مَوْطِنًا﴾ مصدر بمعنى وطأ ﴿يَغْضِبُ﴾ يغضب ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَتَّوْبُونَ مِنْ عُدُوِّ اللَّهِ﴾ ثِيلاً ﴿قَتْلًا أَوْ أَسْرًا أَوْ نَهْبًا﴾ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴿لِيَجْازُوا عَلَيْهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٦﴾ أَي أَجْرَهُمْ بَلْ يَشِيهِمْ ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ﴾ فِيهِ ﴿نَفَقَةً صَوْرَةً﴾ وَلَوْ تَمْرَةً ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بِالسَّيْرِ ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذَلِكَ

قوله: ﴿وَلَا يَطْفُونَ مَوْطِنًا﴾ أَي لَا يَدُوسُونَ بِأَرْجُلِهِمْ وَحَوَافِرِ خَيْولِهِمْ وَأَخْفَافِ رِجَالِهِمْ دُوسًا  
اهـ أبو السعود.

وقد أشار لهذا الشارح بقوله: مصدر بمعنى وطأ.

قوله: ﴿يَغْضِبُ الْكُفَّارَ﴾ بفتح الياء باتفاق السبعة، وإن كان يجوز لغة ضمها إذ يقال لغة غاظه  
وأغاظه بمعنى واحد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾ فِي الْمَخْتَارِ وَالْمَصْبَاحِ: نَالٌ خَيْرٌ أَيْ نَالَ نَيْلًا أَصَابَهُ، وَأَصْلُهُ نَيْلٌ نَيْلٌ مِنْ بَابِ  
فَهْمٍ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ نَلٌ، وَإِذَا أَخْبِرْتَ عَنْ نَفْسِكَ كَسَرْتَ النُّونَ فَتَقُولُ نَلْتُ اهـ.  
هذا لفظ الأول ولفظ الثاني نال من عدوه ينال من باب تعب نيلًا بلغ منه مقصودهم، ومنه قيل نال  
من امرأته ما أراد اهـ.

قوله: ﴿قَتْلًا أَوْ أَسْرًا أَوْ نَهْبًا﴾ أمثلة للنيل فجعله مصدرًا، ويصح أن يكون بمعنى الشيء المنال،  
أَي الْمَأْخُودِ. وعبارة أبي السعود: نيلًا مصدر كالقتل والأسر والنهب أو مفعول أي شيئًا ينال من قبلهم  
اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ الخ جملة كتب حالية. فهذا التركيب نظير قولك: ما جاء زيد إلا راكبًا اهـ  
شيخنا.

قوله: (به) أَي بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ الْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الظَّنُّ  
وَمَا بَعْدَهُ، وَفِي أَبِي السَّعُودِ: إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ أَي بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَعْدُودَةِ عَمَلٌ صَالِحٌ وَحَسَنَةٌ  
مَقْبُولَةٌ مُسْتَوْجِبَةٌ بِحُكْمِ الْوَعْدِ الْكَرِيمِ لِلثَّوَابِ الْجَمِيلِ وَنَيْلِ الزَّلْفَى اهـ.

قوله: (أَي أَجْرَهُمْ) غرضه بهذا أن المقام للاضمار والعدول عنه لأجل مدحهم، كما في أبي  
السعود.

قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ﴾ (فيه) أَي فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَفَقَةً صَغِيرَةً أَوْ قَلِيلَةً وَلَا كَبِيرَةً أَوْ كَثِيرَةً.  
قوله: ﴿وَادِيًا﴾ هُوَ فِي الْأَصْلِ الْمَنْفَرَجُ بَيْنَ الْجِبَالِ، أَي الْمَنْفَتَحُ بَيْنَهَا الَّذِي تَجْتَمِعُ وَتَمُرُّ فِيهِ  
السُّيُولُ، فَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ وَدَى إِذَا سَالَ اهـ أبو السعود.

والمراد به هنا مطلق الأرض اهـ شيخنا.

وقوله: بالسَّيْرِ أَي ذَهَابًا وَإِيَابًا. وفي المصباح: وودى الشيء إذا سال، ومنه اشتقاق الوادي، هو  
كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذًا للسيل، والجمع أودية، ووادي القرى موضع قريب من المدينة

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءه. ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا جميعاً فنزل ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيسْفِرُوا﴾ إلى الغزو ﴿كَأَنَّهُمْ قُلُوبًا﴾ فهلا ﴿نَفَرِمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿لِيَسْفَهُوا﴾ أي الماكثون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله بامتنال أمره ونهيهِ، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن

على طريق الحاج من جهة الشام اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ (ذلك) أي ما ذكر من كل واحد من الأمرين النفقة وقطع الوادي اهـ شيخنا.

قوله: (أي جزاءه) يشير بهذا إلى تقدير مضاف، وهو إما قبل أحسن فالضمير في جزاءه عائد لأحسن، والتقدير على هذا ليجزيهم الله جزاء أحسن عملهم أو بعد أحسن، فالضمير عائد على ما، والتقدير على هذا ليجزيهم الله أحسن جزاء عملهم، وقد صرح بالوجهين أبو السعود.

قوله: (ولما وبخوا) أي بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الخ وقوله: سرية قيل هي اسم لما زاد على المائة إلى الخمسمائة، وما زاد عليها إلى ثمانمائة، ويقال له: منسر بكسر السين، وما زاد عليها إلى أربعة آلاف يقال له جيش، وما زاد عليها يقال له جحفل، والسرية واحدة السرايا وسراياه التي أرسلها، ولم يخرج معها سبعة وأربعون وغزواته التي خرج فيها بنفسه سبعة وعشرون قاتل في ثمانية منها فقط. وفي الخازن: وسبب نزول هذه الآية أن النبي لما بالغ في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المسلمون: والله لا نتخلف عن رسول الله ﷺ ولا عن سرية بعثها. فلما قدم المدينة من تبوك وبعث السرايا نفر المسلمون جميعاً إلى الغزو وتركوا النبي وحده، فنزلت هذه الآية. فالمعنى: ما ينبغي ولا يجوز للمؤمنين أن ينفروا جميعاً ويتركوا النبي، بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة تكون مع رسول الله، وطائفة تنفر إلى الجهاد، لأن ذلك هو المناسب للوقت، إذ كانت الحاجة داعية إلى هذا الانقسام قسم للجهاد، وقسم لتعلم العلم والفقه في الدين، لأن أحكام الشريعة كانت تتجدد شيئاً بعد شيء، والماكثون يحفظون ما تجدد، فإذا قدم الغزاة علموهم ما تجدد في غيبتهم اهـ.

قوله: (فهلا) أي فهي تحضيضية، فالمعنى على الطلب كأنه قيل: لتخرج طائفة وتبقى أخرى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ عطف علة ففيه إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم الاستقامة وتبليغ الشريعة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو دأب أبناء الزمان اهـ أبو السعود.

قوله: (بتعليمهم ما تعلموه) أي بأن يعلموهم، فهذا معنى الإنذار، ولو قال يعلموهم لكان أوضح كما قال غيره اهـ.

قوله: (قال ابن عباس الخ) غرضه بهذا دفع المعارضة بين هاتين الآيتين، فإن هذه نهت عن

تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة أي اغلظوا عليهم ﴿وَأَهْلُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَيَنْهَرُ﴾ أي المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾

خروج الناس جميعاً والتي قبلها وهي ما كان لأهل المدينة الخ أمرت بخروج الناس جميعاً اهـ شيخنا .  
قوله : (مخصوصة بالسرايا) أي التي أرسلها ولم يخرج معها . قوله : (بالنهي عن تخلف واحد الخ) تركيب فيه فلاة ، ولو قال بماذا خرج النبي لكان أحصر وأوضح اهـ شيخنا .

قوله : ﴿يلونكم﴾ في المصباح : الولي مثل فلس القرب ، وفي الفعل لغتان أكثرهما وليه يليه بالكسر فيهما ، والثانية من باب وعد وهي قليلة الاستعمال ، وجلست مما يليه أي يقاربه انتهى . وكان الآية جاءت على اللغة الثانية ، وأصله يليون بوزن يعدون ، فنقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها ، ثم حذفت الياء لالتقاء ساكنة مع الواو اهـ شيخنا .

قوله : (أي الأقرب فالأقرب) أي في الدار والبلاد والنسب . قال ابن عباس : مثل قرينة والنضير وحنين ونحوها والروم لأنهم كانوا بالشام ، والشام أقرب إلى المدينة من العراق . وقال بعضهم ، وهو ابن زيد : ﴿الذين يلونكم من الكفار﴾ العرب ، فقاتلوهم حتى فرغوا منهم ، ثم أمروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية عن يد ، ونقل عن بعض العلماء أنه قال : أنزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة ، فصارت ناسخة لقوله تعالى : ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ . وقال المحققون من العلماء : لا وجه للنسخ فإنه تعالى أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الأصوب الأصلح ، وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد ، وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة ، لأن قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ، ولهذا السبب قاتل رسول الله ﷺ أولاً قومه ، ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ، ثم إلى قتال أهل الكتاب وهم قرينة والنضير وخيبر وفدك ، ثم انتقل إلى غزو الروم والشام ، فكان فتحه في زمن الصحابة ، ثم إنهم انقلبوا إلى العراق ، ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار ، لأنه إذا قاتل الأقرب أولاً تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الأبعد اهـ خازن .

قوله : ﴿وليجددوا﴾ أي يدركوا فيكم غلظة . قرأها الجمهور بالكسر وهي لغة أسد ، وقرأ الأعمش وغيره عن عاصم غلظة بفتحها وهذه لغة الحجاز ، وقرأ أبو حيوة والسلمي وغيرهما غلظة بالضم وهي لغة تميم . وحكى أبو عمرو اللغات الثلاث ، والغلظة أصلها في الأجرام فاستعيرت هنا للشدة والصبر والتجلد اهـ سمين .

قوله : (أي اغلظوا عليهم) فعلى هذا في الآية استعمال المسبب في السبب ، فإن وجد أن الكفار لغلظة المسلمين سببه إغلاظ المسلمين عليهم اهـ شيخنا .

قوله : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾ أي والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين مجلس نزولها ، وليس في السورة فضيحة لهم ، وأما ما سيأتي من قوله : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةُ الْخ﴾ فهو فيما إذا كان في الصورة بيان أحوالهم ، وكانوا حاضرين مجلس الوحي اهـ من أبي السعود .

لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ تصديقاً. قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بها ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿فَرَّادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ﴾ كَفَرُوا إِلَىٰ كُفْرِهِمْ لَكُفْرِهِمْ بها ﴿وَمَا تَوَّاهُمْ كَفِرُوا﴾ ﴿وَأُولَٰئِكَ يَرْوُونَ﴾ بالياء أي المنافقون والتاء أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يَقْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقطح والأمراض ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هَٰذَا يَرْزُقُكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم فإن لم يرههم أحد قاموا ولا ثبتوا ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ على

قوله: ﴿من يقول﴾ (لأصحابه) أي فريق يقول لأصحابه أي: أو لضعفاء المؤمنين. وقوله: استهزاء أي بالقرآن والمؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى) أي جواباً لهم وتحقيقاً للحق اهـ أبو السعود.

قوله: (يفرحون بها) عبارة الخازن: يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيئاً بعد شيء، لأنهم كلما نزل ازدادوا إيماناً، وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة، وكلما تحصل الزيادة في الإيمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر، وهو قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ الْخ﴾ اهـ.

قوله: (كفراً إلى كفرهم) أشار بذلك إلى تضمين الزيادة معنى الضم أي رجساً مضموماً إلى رجسهم، ولذلك عدى بإلى، وقد قيل: إن إلى بمعنى مع اهـ شهاب.

ووجه زيادة كفرهم أنهم كلما جحدوا نزول سورة أو استهزأوا بها ازدادوا كفراً مع كفرهم الأول، وسمي الكفر رجساً لأنه أقبح الأشياء، وأصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر اهـ خازن.

قوله: (بالياء) أي: فالاستفهام للتوبيخ، وقوله: والتاء أي فالاستفهام للتعجب اهـ شيخنا.

والرؤية هنا يحتمل أن تكون قلبية وأن تكون بصرية اهـ سمين.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي مع أن الابتلاء يقتضي الرجوع والتذكر اهـ شيخنا.

قوله: (فيها ذكرهم) أي فيها بيان أحوالهم، وقرأها النبي أي عليهم فهذا مفروض فيما إذا حضروا مجلس نزولها، وغرضه بهذا دفع تكرار هذا مع ما سبق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي تغامزوا بالعيون إنكاراً لها وسخرية، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم اهـ بياضوي.

قوله: (يريدون الهرب) أي خوفاً من الفضيحة التي جاءت بها السورة. وقوله: (يقولون) أي يقولون بطريق الإشارة والغمز في تدبير الهرب، وقوله: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي من المسلمين أي فجملة هل يراكم في محل نصب بقول مضمرة أي: يقولون هل يراكم، وجملة القول في محل نصب على الحال، ومن أحد فاعل بزيادة من اهـ من السمين.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ عطف على نظر بعضهم، والتراخي باعتبار وجد أن الفرصة والوقوف على عدم رؤية أحد من المؤمنين أي: انصرفوا جميعاً من مجلس الوحي خوفاً من الافتضاح اهـ أبو السعود.

كفرهم ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الهدى ﴿يَأْتَهُمْ قَوْلٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿الْحَقُّ لَعَنَهُم تَلْوِيَهُمْ﴾ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي منكم محمد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْكُمْ مَا وَعَدْتُمْ﴾ أي

فيظهر من عبارته أن قوله: ﴿ثم انصرفوا﴾ بيان لقيامهم من المجلس إذ لم يرههم أحد من المؤمنين، فحينئذ قول الشارح فإن لم يرههم أحد قاموا بيهوم أن قوله ﴿ثم انصرفوا﴾ مغاير لهذا القيام مع أنه عينه، فعبارته ليست على ما ينبغي اهـ.

قوله: ﴿صرف الله قلوبهم﴾ إخبار بحالهم أو دهاء عليهم قولان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لقد جاءكم رسول﴾ خطاب للعرب موبخ لهم، فإن أوصافه المذكورة تقتضي حبه والمسارة في أمثاله واتباعه، فما بالكم تبغضونه وتتخلفون عنه. وعبرة الخازن: لقد جاءكم رسول من أنفسكم هذا الخطاب للعرب يعني: لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه، وأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. قال ابن عباس: ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب. وقال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب إلا ولدت النبي ﷺ يعني: من مضرها وربيعتها ويمنها، فأما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان وإليه تنسب قريش وهو منهم، وأما نسبه إلى عرب اليمن وهم القحطانيون فإن أمانة لها نسب في الأنصار وإن كانت قريش والأنصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ، فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ ترغيب العرب في نصره والإيمان به، فإنه تم شرفهم بشرفه وعزهم بعزه وفخرهم بفخره، فإنه من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والأمانة والبصانة والعفاف وطهارة النسب والأخلاق الحميدة اهـ.

قوله: ﴿من أنفسكم﴾ بضم الفاء، وقرئ: من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة أي من أشرفكم اهـ سمين.

قوله: (أي منكم) أي لا من العجم ولا من الجن ولا من الملك. قوله: ﴿عزیز علیہ ما عتتم﴾ فيه أوجه، أحدها: أن يكون عزيز صفة لرسول، وفيه أنه تقدم غير الوصف الصريح على الوصف الصريح، وقد يجاب بأن من أنفسكم متعلق بجاء، وما يجوز أن تكون مصدرية أو بمعنى الذي، وعلى كلا التقديرين فهي فاعل بعزیز، أي يعز عليه عتتم أو الذي عتتموه أي عتتم بسببه، فحذف العائد على التدرج. ويجوز أن يكون عزيز خبراً مقدماً، وما عتتم مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لرسول وجوز الحوفي أن يكون عزيز مبتدأ وما عتتم خبره، وفيه الابتداء بالنكرة لأجل عملها في الجاز بعدها وتقدم معنى العنت، والأرجح أن يكون عزيز صفة لرسول لقوله بعد ذلك ﴿حريص﴾ فلم يجعل خبراً لمغيره وادعاه كونه خبر مبتدأ مضمرة أي هو حريص لا حاجة إليه، وبالمؤمنين متعلق برؤوفه ولا يجوز أن تكون المسألة من باب التنازع، لأن من شرطه تأخر المعمول عن العاملين وإن كان بعضهم قد خالف في ذلك، ويجيز زيداً ضربت وشتمته على التنازع، وإذا فرعنا على هذا الضعيف فيكون من إعمال المثاني لا الأول لما عرف أنه متى أعمل الأول أضمر في الثاني من غير حذف. والجمهور على جر الميم من العظيم صفة للعرش، وقرأ ابن محيصن برفعها جعله نعتاً للرب، ورويت هذه القراءة عن ابن كثير. قال أبو بكر الأصم: هذه القراءة أعجب إلي لأن جعل العظيم صفة للرب أولى من جعله صفة للعرش اهـ سمين.

عنتكم مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تهتدوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ﴾ شديد الرحمة ﴿رَحِيمٌ﴾ يريد لهم الخير ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كافي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ الْعَظِيمِ﴾ خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. وروى الحاكم في المستدرک عن أبي بن كعب قال: آخر آية نزلت ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخر السورة.

قوله: (أي عنتكم) في المصباح: العنت الخطأ، وهو مصدر من باب تعب، والعنت المشقة. يقال: أكمة عنت أي شاقة اهـ.

قوله: ﴿حريص عليكم﴾ أي على هدايتكم، فالكلام على حذف مضاف كما يؤخذ من صنيع الشارح. وفي البيضاوي: أي على إيمانكم وصلاح شأنكم اهـ.

قوله: ﴿بالمؤمنين رؤوف﴾ أي بالطائعين منهم، وقوله: ﴿رحيم﴾ أي بالمذنبين منهم، ورؤوف بالمد أي زيادة واو بعد الهمزة وبالقصر أي حذف الواو قراءتان سبعيتان في هذه الكلمة أينما وقعت في القرآن، والرؤوف أخص من الرحيم كما أفاده الشارح، وإنما قدم عليه رعاية للفواصل اهـ شيخنا.

قال الحسن بن المفضل: لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلا للنبي ﷺ، فسماه رؤوفاً رحيماً. وقال: إن الله بالناس لرؤوف رحيم اهـ خازن.

قوله: ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرض هؤلاء المنافقون والكفار عن الإيمان بالله ورسوله وناصره للحرب اهـ خازن.

قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ الجملة حالية اهـ كرخي. وهي كالدليل لما قبلها اهـ بيضاوي.

قوله: (لا بغيره) أخذه من تقديم المعمول: قوله: (الكرسي) قد اعترض بعضهم على هذا التفسير بأن العرش غير الكرسي، وأن الكرسي أصغر من العرش، فكيف يفسر به وهو مدفوع بأن المسألة خلافية، فالمشهور ما سمعته. وقيل: إنهما اسمان لشيء واحد، فالعرش والكرسي معناهما الجسم العظيم المحيط بجميع المخلوقات المسمى بالعرش على القول المشهور. وهذا القول نقله الخازن عن الحسن في تفسير سورة البقرة، فيكون الشارح قد جرى عليه هنا فلا اعتراض عليه من القصور. قوله: (خصه بالذكر الخ) أي مع أن الله رب كل شيء، وقوله: لأنه أعظم الخ أي فذكره أمدح للباري اهـ شيخنا.

قوله: (آخر آية نزلت) مراده بالآية الجنس، وإلاً فالمذكور آيتان، وهذا القول مرجوح، والراجح أن آخر آية نزلت ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ [البقرة: ٢٨١] كما تقدم هناك. وعبارة الخازن وأبي السعود: روي عن أبي بن كعب أنه قال: هاتان الآيتان ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخر السورة آخر القرآن نزولاً انتهت. وعلى هذا فتكونان مدينتين، وهذا مبني على أحد القولين السابقين في أول السورة وهو أنها كلها مدنية تأمل.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة يونس

مكية إلا ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شك﴾ الآيتين أو الثلاث  
أو ﴿ومَنهم من يؤمن به﴾ الآية وهي مائة وتسع أو عشر آيات

﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿أَيُّتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن والإضافة  
بمعنى من ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم ﴿أَكَاثِلَ لِلثَّانِ﴾ أي أهل مكة استفهام إنكاري والجار والمجرور

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (الآيتين أو الثلاث) هذا التردد مبني على الخلاف في أن آخر الآية الثانية من  
الخاسرين، فتكون الثالثة إلى الأليم أو أن آخرها الأليم، فيكون قوله: ﴿وَلَا تَكُونُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾  
إلى قوله: ﴿الْأَلِيمِ﴾ آية واحدة. وقوله: أو ﴿ومَنهم﴾ الخ يعني أن المدني منها على هذا القول ثلاث  
آيات أو أربع بزيادة، ﴿ومَنهم من يؤمن به﴾ على ما تقدم. وعبارة، الخازن: نزلت بمكة إلا ثلاث  
آيات، وهي ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شك مما أنزلنا إليك﴾ إلى آخر الثلاث قاله ابن عباس، وبه قال قتادة. وفي  
رواية أخرى عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: ﴿ومَنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به﴾ الآية  
انتهت.

وفي القرطبي: وقالت فرقة من أولها نحو من أربعين آية مكِّي وباقيها مدني اهـ.

قوله: (مائة) خير ثان.

قوله: (أي هذه الآيات) أي الآيات المذكورة في هذه السورة، وقيل: آيات السور المتقدمة على  
هذه السورة اهـ من الخازن.

قوله: (والإضافة بمعنى من) أي لأن هذه السورة بعض القرآن، وقوله ﴿الْحَكِيمِ﴾ أي المنظوم  
نظماً متقناً لا يعتريه خلل من الوجوه. وفي الكرخي قوله: المحكم أشار به إلى أن فعلاً بمعنى مفعول،  
والمحكم معناه الممتنع من الفساد، فيكون المعنى لا تغيره الدهور، والخراد براءته من الكذب  
والتناقض، ويصح أن يكون بمعنى فاعل أي الحاكم أو بمعنى ذو الحكم بمعنى اشتماله على الحكم  
اهـ.

قوله: (استفهام انكار) أي لا ينبغي ولا يليق لهم أن يتعجبوا من إرسال هذا الرسول لهم، فهذا رد  
عليهم في قولهم: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وهو من فرط



حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الأولى ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ أي إوحاؤنا ﴿إِنْ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنْذِرْ﴾ خوف ﴿النَّاسِ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَيَذَرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ قَدْ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي أجراً حسناً بما

حماقتهم وقصر نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال، مع أن خفة المال أليق بحاله ﷺ، وما هو بصدده، ولذلك كان أكثر الأنبياء عليهم السلام قبله كذلك اهـ من البيضاوي.

قوله: ﴿عَجَبًا﴾ العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة، وقيل: العجب حالة تعتري الإنسان عند الجهل بسبب الشيء اهـ خازن.

وقيل: هو استعظام أمر خفي سببه اهـ.

قوله: (خبر كان) أي مقدماً، وقوله: وبالرفع اسمها، لكن القراءة به شاذة فكان عليه أن ينبه على شذوذها، وقوله: والخبر مبتدأ، وقوله: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ خبره، وقوله: وهو اسمها الخ جملة اعتراضية اهـ شيخنا.

قوله: (مفسرة) وقيل: مصدرية. قوله: ﴿قَدْ صَدَقَ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة كمسجد الجامع، وصلاة الأولى، وحب الحصيد، وفائدة هذه الإضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم، لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح، وقد فسر الشارح السلف الذي هو معنى القدم بالأجر، فيكون المراد بالسلف ما أسلفوه وقدموه من الثواب، ومعنى تقديمهم للثواب تقديمهم لسببه، فلذا قال: بما قدموه من الأعمال اهـ شيخنا.

وفي الخازن: واختلفت عبارة المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس: أجراً حسناً بما قدموا من أعمالهم، وقال الضحاك: ثواب صدق، وقال مجاهد: الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم وتسبيحهم، وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال: سبقت لهم السعادة في الذكر الأول يعني في اللوح المحفوظ. وقال زيد بن أسلم: هو شفاعة محمد ﷺ وهو قول قتادة. وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم، وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعت كقولهم: مسجد الجامع وصلاة الأولى وحب الحصيد. والفائدة في هذه الإضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم، لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق. وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم، يقال لفلان: قدم في الإسلام، وقدم في الخير، ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء، وقال الليث وأبو الهيثم: القدم السابقة، والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير، والسبب في إطلاق لفظ القدم على هذه المعاني أن السعي والسبق لا يحصل إلا بالقدم، فسمي المسبب باسم السبب، كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد اهـ.

قوله: (أي أجراً) تفسير للقدم، وقوله: حسناً تفسير للصدق، فالمراد بصدق الأجر حسنه وعدم خلفه اهـ شيخنا.

قدموه من الأعمال ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسَجْرٌ مُّبينٌ﴾ بين وفي قراءة لساحر والمشار إليه النبي ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكَمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن في لمحظة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْمَرْثِ﴾ استواء يليق به ﴿يَذُرُّ الْأَمْثَرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَّابِنٍ﴾ زائدة

قوله: (المشتمل على ذلك) أي الإنذار والتبشير. قوله: (وفي قراءة) أي سبعة، وقوله: المشار إليه النبي أي على القراءة الثانية اهـ.

قوله: ﴿إِنْ رِبْكُمْ اللَّهُ﴾ الخ لما أجاب تعالى عن تعجب الكفار من الوحي والبعثة بقوله ﴿إِنْ رِبْكُمْ اللَّهُ﴾ الخ، وكان هذا الجواب موقوفاً على أمرين، الأول: أن يكون لهذا العالم إله قادر نافذ الحكم. والثاني: أن يتحقق البعث والحشر حتى يحصل الثواب والعقاب المترتبان على الإنذار والتبشير أثبت الأمر الأول بقوله: ﴿إِنْ رِبْكُمْ اللَّهُ﴾ الخ، وأثبت الأمر الثاني بقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: (لتعليم خلقه التثبت) أي التأنى والتمهل في الأمور، وتخصيص الستة بالذكر مع أن التثبت يتأنى بأقل منها وبأزيد عليها قد استأثر الله بعلمه اهـ أبو السعود.

قوله: (استواء يليق به) هذه طريقة السلف المفوضين وطريقة الخلف المؤولين يقولون: المراد بالاستواء الاستيلاء بالقهر والتصرف. وفي الكرخي قوله: استواء يليق به يشير به إلى أن الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف، ومعناه أنه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن التمكن والاستقرار، وأيضاً ظاهر الآية يدل على أنه تعالى إنما استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، لأن كلمة ثم للتراخي وذلك يدل على أنه تعالى كان قبل العرش غنياً عن العرش، فلما خلق العرش امتنع أن تنقلب حقيقته وذاته عن الاستغناء إلى الحاجة، فوجب أن يبقى بعد خلق العرش غنياً عن العرش، ومن كان كذلك امتنع أن يكون مستقراً على العرش، فثبت بما ذكر أنه لا يمكن حمل هذه الآية على ظاهرها، وهذا بيان لجلالة ملكه وجلالة سلطانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الأجرام العظام اهـ.

قوله: ﴿يَدْبِرُ الْأَمْرَ﴾ التدبير النظر في أدبار الأمور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود، والمراد هنا التقدير على الوجه الأتم الأكمل، والمراد بالأمر ملكوت السموات والأرض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئاً فشيئاً على أطوار شتى لا تكاد تحصى اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: يدبر الأمر قال مجاهد: يقضيه وحده، وقيل: معنى التدبير تنزيل الأمور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها، وقيل: إنه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي، وقيل: معناه أنه تعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والأرض، فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي إلا بإرادته وتدبيره وقضائه وحكمته اهـ.

قوله أيضاً: ﴿يَدْبِرُ الْأَمْرَ﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه في محل رفع خبراً ثانياً لأنه الثاني: أنه

﴿ شَفِيعٌ ﴾ يشفع لأحد ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ ذَٰلِكَ ﴾ رد لقولهم إن الأصنام تشفع لهم ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ الخالق المدبر ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ وحدوه ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ بادغام التاء في الأصل في الدال ﴿ إِلَٰهِي ﴾ تعالى ﴿ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ بالكسر استئنافاً والفتح على تقدير اللام ﴿ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ أي بدؤه بالإنشاء ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُمُ ﴾ بالبعث ﴿ لِيَجْزِيَ ﴾ يثيب ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة

حال . الثالث : أنه مستأنف لا محل له من الإعراب اهـ سمين .

قوله : (رد لقولهم إن الأصنام الخ) هذا الرد غير تام لأنهم لما ادعوا شفاعتها قد يدعون الإذن لها، فكيف يتم هذا الرد ولا دلالة فيها على أنهم لا يؤذن لهم اهـ شهاب .

قوله : (بفعلهما المقدر) أي وعدكم بالرجوع إليه وعداً وحق ذلك الوعد حقاً، لكن الأول مؤكد لنفسه، لأن قوله : ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ صريح في الوعد لا يحتلم غيره . والثاني مؤكد لغيره، فإن الوعد يحتمل الحق وغيره اهـ بيبضاوي .

وفي زاده : المصدر إذا أكد مضمون جملة تدل على معناه، فإن كانت نصّاً فيه لا تحتمل غيره فهو مؤكد لنفسه كما هنا فإن إليه مرجعكم لا يحتمل غير الوعد، وإن احتملته وغيره كان مؤكداً لغيره مثل حقاً، فإن الوعد يحتمل الحقيقة والتخلف والعامل فيهما محذوف اهـ .

قوله : (والفتح على تقدير اللام) لكن القراءة به شاذة . وفي الكرخي قوله : بالكسر أي في قراءة السبعة، والفتح أي قراءة أبي جعفر على تقدير اللام أي تعليلاً الخ للوعد أي وعد بذلك لأنه . وقيل : التقدير حقاً أنه يبدأ فهو فاعل اهـ .

قوله : ﴿يبدأ الخلق﴾ أي المخلوق والمضارع بمعنى الماضي كما قال الشارح وعبر به استحضاراً للصورة الغريبة اهـ .

قوله : ﴿القسط﴾ أي بسبب قسطهم وعدلهم، والمراد به هنا الإيمان بدليل المقابلة في قوله : ﴿بما كانوا يكفرون﴾ اهـ بيبضاوي .

وفي السمين قوله : ليجزي متعلق بقوله : ﴿ثم يعيده﴾ بالقسط متعلق بيجزي، ويجوز أن يكون حالاً إما من الفاعل وإما من المفعول أي يجزيهم ملتبساً بالقسط أو ملتبسين به والقسط العدل اهـ .

قوله : ﴿والذين كفروا﴾ الخ تغيير الأسلوب للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه، على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعذاب وقع بالعرض، وإنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه، ولذلك لم يعينه . وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وسوء أفعالهم اهـ بيبضاوي .

وفي السمين قوله : ﴿والذين كفروا﴾ الخ يحتمل وجهين، أحدهما : أن يكون مرفوعاً بالابتداء والجملة بعده خبر . والثاني : أن يكون منصوباً عطفاً على الموصول قبله، وتكون الجملة بعده مبينة لجزائهم، وشراب يجوز أن يكون فاعلاً وأن يكون مبتدأ والأول أولى اهـ .

﴿وَعَذَابُ الْيَمِّ﴾ مؤلم ﴿يَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ٤٠ أي بسبب كفرهم ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء أي نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرون منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لَتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا عبثاً، تعالى عن ذلك ﴿يُقْضَىٰ﴾ بالياء والنون يبين ﴿الْأَمْسَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون ﴿إِن فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ

قوله: (ذات ضياء) حمل الضياء على أنه مصدر، ويصح أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط، وضياء مفعول ثان إن جعل الجعل بمعنى التصيير، وحال إن جعل بمعنى الخلق، وعلى كل من الوجهين لا بد من تقدير هذا المضاف الذي قدره الشارح، فكلامة محتمل للاعرابين اهـ شيخنا.

وفي الخازن: واختلف أصحاب الكلام في أن الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض، والحق أنه عرض وله كيفية مخصوصة، والنور اسم لأصل هذه الكيفية، والضوء اسم لهذه الكيفية إذا كانت كاملة تامة قوية، فلهذا خص الشمس بالضياء لأنه أقوى وأكمل من النور، وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضياء، ولأنهما إذا تساويا لم يعرف الليل من النار، فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر اهـ.

قوله: ﴿وقدره﴾ أي قدر سيره كما أشار له الشارح: ﴿منازل﴾ أي في منازل فهو منصوب على الظرفية اهـ شيخنا. فجعل الشارح الضمير للقمر، ويصح أن يكون راجعاً لكل من الشمس والقمر.

وفي الخازن: وقدره منازل قيل الضمير في قدره يرجع إلى الشمس والقمر، والمعنى: وقدر لهما منازل أو وقدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها، وإنما وحد الضمير في وقدره للإيجاز، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر فهو كقوله تعالى: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢]. وقيل: الضمير في وقدره يرجع إلى القمر وحده لأن سير القمر في المنازل أسرع، وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين، وذلك لأن الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الأهلة، والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية اهـ.

قوله: (ثمانية وعشرين منزلاً) وهي منقسمة على اثني عشر برجاً وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، لكل برج منزلان وثلاث منزل، وينزل القمر كل ليلة منزلاً منها إلى انقضاء ثمانية وعشرين الخ اهـ خازن.

قوله: (ويستتر ليلتين) أي لا يبصر ولا يرى. قوله: ﴿لتعلموا بذلك﴾ أي التقدير المذكور. قوله: ﴿والحساب﴾ سئل أبو عمرو عن الحساب أنصبه أم نجره فقال: ومن يدري ما عدد الحساب. يعني أنه سئل هل نعطفه على عدد فننصبه أو على السنين فنجره، فكأنه قال لا يمكن جره إذ يقتضي ذلك أن يعلم عدد الحساب، ولا يقدر أحد أن يعلم عدده اهـ سمين.

قوله: ﴿ذلك﴾ (المذكور) أي من جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وتقديره منازل اهـ شيخنا.

قوله: (بالياء والنون) سبعيتان وعلى الثانية فيه التفات.

قوله: ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ أي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفاً للآخر بحسب طلوع

وَالنَّهَارِ ﴿٦﴾ بِالْذَّهَابِ وَالْمَجِيءِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ ﴿٧﴾ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ ﴿٨﴾ مِنْ مَلَأَكَةِ وَشَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿٩﴾ فِي ﴿الْأَرْضِ﴾ مِنْ حَيَوَانَ وَجِبَالٍ وَبِحَارٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ وَغَيْرِهَا ﴿لَا يَبْتَغِي﴾ دَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى ﴿لَقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٠﴾ هـ فَيُؤْمِنُونَ، خَصِمَهُم بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمِ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بِالْبُعْثِ ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بِدَلِّ الْآخِرَةِ لِإِنْكَارِهِمْ لَهَا ﴿وَأَطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ سَكَنُوا إِلَيْهَا ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ دَلَائِلَ وَحَدَائِثِنَا ﴿غَافِلُونَ﴾ ﴿١١﴾ تَارِكُونَ لِلنَّظَرِ فِيهَا ﴿أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٢﴾ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يَرْشُدُهُمْ ﴿رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ بِهِ بِأَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ نُورًا يَهْتَدُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

الشمس وغروبها، أو في تفاوتهما في أنفسهما بازدياد كل منهما وانتقاص الآخر باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قريباً وبعداً بحسب الأزمنة، أو في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة أما في الطول والقصر، فإن البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها. وأما في أنفسهما فإن كرية الأرض تقتضي أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً وفي مقابله نهاراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي لا يتوقعونه ولا يخافونه بأن لم يؤمنوا به، فهذا بيان لحال منكري البعث من العرب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ الظاهر أنه معطوف على الصلة، ويحتمل أن تكون الواو للحال وقد مقدرة، والتقدير وقد اطمأنوا بها اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾ مصدوق هذا الموصول هو مصدوق الذي قبله، والعطف إنما هو لتغاير الصفات اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ الكونية والشرعية ﴿غَافِلُونَ﴾ والظاهر أنه معطوف على اسم إن فيكون قسماً مغايراً للذين لا يرجون، وقد أخبر عن الصنفين بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ ويحتمل أن يكون من عطف الصفات، فيكون الذين هم عن آياتنا غافلون هم الذين لا يرجون لقاءنا، والمعنى أنهم جامعون بين عدم رجاء لقاء الله وبين الغفلة عن الآيات، والمراد بالغفلة الإعراض كما أشار إليه في التقرير، ومعلوم أن قوله: أولئك مبتدأ وماوهم: مبتدأ ثان، والتار خبر هذا الثاني والثاني وخبره خبر أولئك، وأولئك وخبره خبر الذين اهـ.

قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أي إلى ماوهم ومقعدهم وهو الجنة، وإنما لم يذكر تعويلاً على ظهورها وانسياق النفس إليها اهـ أبو السعود.

قوله: (بأن يجعل لهم نوراً) فإن المؤمن إذا خرج من قبره يضيء له عمله في صورة حسنة فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك فيقوده إلى الجنة، والكافر بضد ذلك فلا يزال به عمله حتى يدخله النار اهـ خازن.

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿ ٩ ﴾ ﴿ وَعَنْهُمْ فِيهَا ﴾ طلبهم لما يشتهونه، في الجنة أن يقولوا ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ أي يا الله فإذا ما طلبوه بين أيديهم ﴿ وَفِيهِمْ ﴾ فيما بينهم ﴿ فِيمَا سَلَّمُوا ﴾ وأهلاً وسكناً ﴿ وَفِيهِمْ ﴾ أن ﴿ مَفْسَرَةٌ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ١٠ ﴾ ونزل لما استعجل المشركون العذاب ﴿ وَلَوْ يَخْتَلِفُ ﴾

قوله: ﴿ تجري من تحتهم الأنهار ﴾ أي تجري بين أيديهم ينظرون إليها كقوله: وهذه الأنهار تجري من تحتي، والجملة مستأنفة أو خبر ثان لأن أو حال من مفعول يهديهم اهـ أبو السعود

قوله: ﴿ في جنات النعيم ﴾ خبر آخر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري هذا الخازن. قوله: ﴿ دعواهم ﴾ مبتدأ وسبحانك معمول للفعل مقدر لا يجوز إظهاره هو الخبر، والخبر هنا هو نفس المبتدأ، والمعنى أن دعاءهم هو هذا اللفظ فدعوى يجوز أن يكون بمعنى الدعاء، ويدل عليه اللهم لأنه نداء في معنى يا الله. ويجوز أن يكون بمعنى العبادة فدعوى يجوز أن يكون بمعنى الدعاء، ويدل عليه شئت جعلت هذا من باب الإسناد اللفظي أي دعاؤهم في الجنة هذا اللفظ بعينه، فيكون نفس سبحانك هو الخبر وإن شئت جعلته من باب الإسناد المعنوي، فلا يلزم أن يقولوا هذا اللفظ فقط، بل يقولونه أو ما يؤدي معناه من جميع صفات التنزيه والتقديس، وقد تقدم لك نظير هذا عند قوله: ﴿ وقولوا حطة ﴾ فعليك بالالتفات إليه اهـ سمين.

قوله: ﴿ طلبهم لما يشتهونه ﴾ أي طلبهم من الخدم فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في إحضار الطعام، فإذا أرادوه قالوا سبحانك اللهم فيأتوهم به في الوقت على حسب ما يشتهون واضعين له على الموائد كل مائدة ميل في ميل، على كل مائدة سبعون ألف صحيفة في كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضاً، فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تعالى: ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ اهـ خازن.

ثم قال: وقد ذكرنا أن جماعة من المفسرين حملوا التسييح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب، وأنهم إذا اشتهوا شيئاً قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء، وإذا فرغوا قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك. وقال الزجاج: أعلم الله أن أهل الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختتمون بشكر الله والثناء عليه، وقيل: إنهم يلهتون ذلك كما ذكر في الحديث اهـ.

قوله: ﴿ بين أيديهم ﴾ أي حاضر بين أيديهم اهـ. قوله: ﴿ وتحتهم ﴾ التحية التكرمة بالحالة الجليلة أصلها أحياء الله حياة طيبة أي ما يحيي به بعضهم بعضاً، أو تحية الملائكة إياهم كما في قوله: ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ﴾ [الرعد: ٢٣] أو تحية الله لهم كما في قوله: ﴿ سلام قولاً من رب رجيم ﴾ [يس: ٥٨] اهـ أبو السعود.

فالمصدر مضاف لفاعله على الأول ولمفعوله على الأخيرين اهـ شهاب. قوله: ﴿ سلام ﴾ أي سلامة من كل مكروه. قوله: ﴿ وآخر دعواهم ﴾ أي في حين فراغ أكلهم. قوله: ﴿ أن ﴾ (مفسرة) اعترض بأن الحق أنها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وإن وجهه

اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ ﴿١١﴾ أي كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لِقَاضِي﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿إِلَيْهِمْ﴾

الاعتراض أن ضابط المفسرة ليس موجوداً هنا، وهو أن تسبق بجملة فيها معنى القول دون حروفه اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وأن هي المخففة من الثقيلة، وقد قرئ بها وينصب الحمد اهـ.

وفي الكرخي: بل هي مخففة من الثقيلة أي أنه لأن شرط المفسرة أن تسبق بجملة وأن يتأخر عنها جملة اسمية أو فعلية، وأن يكون في الجملة السابقة معنى القول دون حروفه، فليس منها أن المذكورة هنا لأن المتقدم عليها غير جملة، ولا نحو ذكرت عسجدان ذهباً، لأن المتأخر عنها مفرد لا جملة، فيجب أن يؤتى بأي مكانها، ولا نحو قلت له أن فعل لأن الجملة المتقدمة عليها فيها حروف القول، ومعنى الآية خاتمة تسبيحهم في كل مجلس أن يقولوا الحمد لله رب العالمين، لا أن معناه انقطاعه أي الحمد فإن أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها اهـ.

قوله: (ونزل لما استعجل المشركون العذاب) أي تكذيباً واستهزاء لإنكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء، فقد قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ يعني ولو يعجل للناس إجابة دعائهم بالشر مما لهم فيه مضرة ومكره في نفس أو مال. قال ابن عباس: هذا في قول الرجل لأهله ولولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم، وقال قتادة: وهو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب له فيه استعجالهم بالخير أي كما يحبون إجابة دعائهم بالخير لقضي إليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعاً، والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة. وقال ابن قتيبة: إن الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء، كما يدعون بالرزق والرحمة إعطاء المسؤول يقول لو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم، يعني لفرغ من هلاكهم، ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي في الخير، ولا يستجيب له في الشر. وقيل: إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعاً، ويدل على هذا القول قوله: ﴿فندّر الذين﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿استعجالهم بالخير﴾ فيه أوجه.

أحدها: أنه منصوب على المصدر التشبيهي تقديره استعجالاً مثل استعجالهم، ثم حذف الموصوف وهو استعجال وأقيمت صفته مقامه، وهي مثل فبقي ولو يعجل مثل استعجالهم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. قال مكي: وهذا مذهب سيويه. قلت: وقد تقدم غير مرة أن مذهب سيويه في مثل هذا أنه منصوب على الحال من ذلك المصدر المقدر، وإن كان مشهور أقوال المعربين غيره.

الثاني: أن تقديره تعجيلاً مثل استعجالهم، ثم فعل به ما تقدم قبله، وهو تقدير أبي البقاء فقدر

أَجَلُهُمْ ﴿١١﴾ بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ يترددون متحيرين ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿الضُرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَا لِحَبِيؤُهُ﴾ أي مضطجماً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُشْرَ مَرِّهِ﴾ على

المحذوف مطابقاً للفعل الذي قبله فإن تعجيلاً مصدر لعجل، وما ذكره مكى موافق للمصدر الذي بعده، والذي يظهر ما قدره أبو البقاء، لأن موافقة الفعل أولى، ويكون قد شبه تعجيله تعالى باستعجالهم بخلاف ما قدره مكى، فإنه لا يظهر إذ ليس استعجالاً مصدر لعجل. وقال الزمخشري: أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله بالخير اشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم، فإن استعجالهم بالخير تعجيل لهم. قال الشيخ: ومدلول عجل غير مدلول استعجل لأن عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذاك واقع من الله تعالى وهذا مضاف إليهم، فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري.

الثالث: أنه منصوب على إسقاط كاف التشبيه والتقدير كاستعجالهم اهـ.

قوله: (بأن يهلكهم) وذلك لأن معنى قضى إليه أجله أنهى إليه مدته التي قُدر فيها موته فهلك اهـ شهاب.

قوله: (ولكن يمهلهم) هذا إشارة إلى صغرى القياس المحذوفة وهي نقيض التالي فاستثنائها ليتنج نقيض المقدم وصورة القياس هكذا لو يعجل الله الشر للناس لأهلكهم، لكنه لم يهلكهم بل يمهلهم فلم يعجل لهم الشر، وأيضاً في تقدير هذه القضية إشارة إلى أن قوله فنذر معطوف عليها تأمل. قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي لا يتوقعونه، وقوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء وما يتفرع على أعمالهم السيئة ومقاتلتهم الشنيعة اهـ أبو السعود. وقوله: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حال.

قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ قال الإمام: وجه انتظام هذه الآية مع ما قبلها أنه تعالى بيّن في الآية الأولى أنه لو أنزل العذاب على العبد لهلك، فبيّن في هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه ليكون ذلك مؤكداً لما ذكر من أنه لو أنزل عليه العذاب لمات. وقيل: في وجه الانتظام إنه تعالى حكى عنهم أنهم يستعجلون في نزول العذاب، ثم بيّن في هذه الآية أنهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال، لأنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه فإنه يتضرع إلى الله في إزالته عنه اهـ زاده، قوله: (أي مضطجماً) أشار إلى أن لجنته حال من فاعل دعانا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على اهـ أبو السعود.

قوله: (أي في كل حال) يشير به إلى أن المراد التعميم وتخصيص هذه الثلاثة لعدم خلو الإنسان عنها عادة اهـ أبو السعود.

وأو لتنويع الأحوال أو لأصناف المضار لأنها إما خفيفة لا تمنعه القيام، أو متوسطة تمنعه القيام دون القعود، أو شديدة تمنعه منها اهـ شهاب.

وهذا على الثاني وأما على الأول وهو أنها لتنويع الأحوال فهي بمعنى الواو اهـ.



كفره ﴿كَأَنَّ﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَتَرْدَعُنَا إِلَىٰ ضَرْبٍ مِّمَّا كَذَّبْنَا﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿رُدُّنَا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿و﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عطف على ظلموا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿بِحَزَى الْقَوْمِ الْمُتَكِبِينَ﴾ الكافرين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلِيفَةً﴾ جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا ﴿وَإِذَا تَتَلَا عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا الْقُرْآنَ﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿أَتَنْتَفِئْتُمْ مِنْهُ بِغَيْرِ هَدًى﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا

قوله: ﴿مَرَّ﴾ (على كفره) أي استمر، وقوله كأن لم يدعنا هذه الجملة تشبيهية في محل نصب على الحال من فاعل مر أي مر مشبهاً بمن لم يدعنا اهـ أبو السعود.

والمعنى بعد كشف ضره رجع إلى حاله الأولى وترك الدعاء وأهمل جانب الله، وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض أفرادهم ممن هو متصف بهذه الصفات اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِلَىٰ ضَرْبٍ﴾ أي إلى كشفه.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ متعلق بأهلكنا أي أهلكناهم من قبل زمانكم، ولا يجوز أن يكون حالاً عن الجنة كما لا يقع خبراً عنها اهـ سمين.

قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أي حين ظلمهم، وقوله: ﴿وَجَاءَتْهُمْ﴾ حال من ضمير ظلموا بإضمار قد كما صنع الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (الدالات على صدقهم) في نسخة الدلالات. قوله: (عطف على ظلموا) كأنه قيل لما ظلموا وأصروا على الكفر بحيث لم يبق فائدة في إهمالهم أهلكناهم فيكون السبب في أهلاكهم مجموع هذين الأمرين اهـ زاده.

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ عطف على أهلكنا. قوله: (من بعدهم) أي القرون وقوله ﴿لِنَنْظُرَ﴾ أي لنعامل معاملة من ينظر فهي استعارة تمثيلية فلا يرد كيف جاز إطلاق النظر على الله وفيه معنى المقابلة اهـ كرخي.

قوله: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ كيف معمول لتعملون لا معمول لننظر لأن لها صدر الكلام، وننظر بمعنى نعلم أي لنعلم جواب كيف تعلمون اهـ زكريا أي لنظهر للناس متعلق علمنا.

قوله: ﴿وَإِذَا تَتَلَا عَلَيْهِمْ﴾ فيه التفات عن الخطاب في قوله ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ والضمير واقع على أهل مكة اهـ خازن.

قوله: ﴿إِن قُرِءَ﴾ بالوصل بما قبله فالأمر ظاهر، وإن وقف على لقائنا قرىء إيت بهمزة ثم ياء ساكنة بعدها على حد قوله ومداً لبذل ثاني الهمزين من كلمة الخ شيخنا.

يَكُونُ ﴿يَنْبَغِي﴾ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي ﴿قَبْلَ﴾ تَقِيَّتِي إِنَّ ﴿مَا﴾ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴿لَقَدْ﴾ إِن عَصَيْتُ رَبِّي ﴿بِتَبْدِيلِهِ﴾ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿هُوَ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿قَدْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمُ عَلَيْهِمْ وَلَا أَدْرَيْتُمْ﴾ أَعْلَمَكُمْ ﴿بِهِ﴾ وَلَا نَافِيَةَ عَطَفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَفِي قِرَاءَةِ بِلَامِ جَوَابِ لَوْ أَيْ لَا أَعْلَمَكُمْ بِهِ عَلَى لِسَانِ غَيْرِي ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مَكثْتُ ﴿فِيكُمْ صُغُرًا﴾ سِنِينَ أَرْبَعِينَ ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ لَا أَحْلُمُكُمْ

قوله: ﴿أَوْ بَدَلَهُ﴾ أي بدل ما فيه مما نكره كسب آلهتنا وذكر البعث، وليس طلبهم تبديل جميعه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿أَوْ بَدَلَهُ﴾ بأن تجعل مكان آية العذاب آية رحمة، ومكان الحرام حلالاً ومكان الحلال حراماً. قال الإمام فخر الدين الرازي: اعلم أن إقدام الكفار على مثل هذا الالتماس يحتمل وجهين، أحدهما: أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم: لو جئتنا بقرآن غير هذا لأمتنا بك وغرضهم السخرية والاستهزاء. والثاني: أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان، حتى إنه لو فعل ذلك علموا أنه كان كذاباً في قوله: إن هذا القرآن ينزل عليه من عند الله اهـ.

قوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي﴾ أي ما ينبغي لي أن أبدله، ولم يقل ولا أن أتى بقرآن غيره كما هو مقتضى ما اقترحوه، وذلك لأنه معلوم الانتفاء بالأولى اهـ شيخنا.

قوله: (إني أخاف) تعليل لما قبله من امتناع التبديل وقصر أمره على اتباع الوحي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي عدم تبديله. وقوله: ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾، فعل ماضٍ وفاعله مستتر يعود على الله والكاف مفعول به اهـ شيخنا.

قوله: (ولا نافية) وأعيدت تأكيداً فإن ادراككم معطوف على تلوته فهو في حيز ما النافية، وقوله بلام أي ولأدراككم فهو معطوف على ما تلوته، بالعطف على النفي لا المنفي، والتقدير قل لو شاء الله لأدراككم به، وقوله جواب لوراجع لقوله وفي قراءة اهـ شيخنا.

والمعنى عليها أنه الحق الذي لا محيص عنه، ولو لم أرسل به أنا لأرسل به غيري اهـ بيضاوي.

وأما على القراءة الأولى فالمعطوف ليس جواباً مستقلاً بل هو معطوف على مدخول ما والمجموع هو الجواب. وفي السمين: وعلى قراءة الجمهور فلا مؤكدة للنفي بما، لأن المعطوف على المنفي منفي، وليست لا هذه هي التي ينفي بها الفعل، لأنه لا يصح نفي الفعل بها إذا وقع جواباً، مع أن المعطوف على الجواب جواب. فلو قلت: لو كان كذا لا كان كذا لم يجز بل تقول ما كان كذا اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة، وقوله: بلام هي لام التأكيد التي تقع في جواب لور، وليس المراد بها لام الابتداء لأنها لا تدخل على الماضي اهـ شهاب.

قوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ يعني فقد مكثت فيكم عمراً من قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى إليّ هذا القرآن مدة أربعين سنة لم أتكم بشيء، ووجه هذا الاحتجاج أن كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله ﷺ قبل مبثته وعلموا أحواله، وأنه كان أنياً لم يظال كذاباً ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي، وذلك مدة أربعين

بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٦ أنه ليس من قبلي ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿إِنَّمَا﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ ١٧ المشركون ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ﴾ لهم

سنة، ثم بعد الأربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين، وفيه من الأحكام والآداب ومكارم الأخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز الفصحاء والعلماء والبلغاء عن معارضته، فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إليّ لا من قبل نفسي، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يعني أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إليّ لا من قبل نفسي اهـ خازن.

قوله: ﴿عمرًا﴾ مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه أي مدة متطاولة، وقيل: هو على حذف مضاف أي مقدار عمر اهـ سمين.

وقوله: سنيًا بالتثنية على حد قوله: ومثل حين قد يرد ذا الباب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني فزعم أن له شريكاً وولداً، والمعنى أنني لم أفر على الله كذباً ولم أكذب عليه في قولي: إن هذا القرآن من عند الله وأنتم قد افترىتم على الله الكذب، فزعمتم أن له شريكاً وولداً والله منزّه عن الشريك والولد. وقيل: معناه إن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني حيث افترىته على الله، ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحاه إليّ وجب أن يقال ليس أحد في الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه منكم، حيث إنكم أنكرتم أن يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته اهـ خازن.

قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الخ حكاية لجناية أخرى من جنائيتهم نشأت عنها جنائيتهم الأولى معطوفة على قوله: ﴿إِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمُ﴾ الآية عطف قصة على قصة، ومن دون الله متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله أي متجاوزين الله لا بمعنى ترك عبادته بالكلية، بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وضم عبادة الغير إليها للتقرب والشفاعة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ ما موصولة أو نكرة موصوفة وهي واقعة على الأصنام، ولذلك راعى لفظها فأفرد في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وراعى معناها في قوله: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا﴾، فجمع اهـ سمين.

ونفي الضر والنفع هنا عن الأصنام باعتبار الذات وإثباتهما لها في الحج في قوله: يدعو لمن ضره أقرب من نفعه باعتبار السبب، فلا يرد كيف نفى عن الأصنام الضر والنفع وأثبتهما لها في الحج اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ (عنها) أي في شأنها وفي حقها هؤلاء شفعاؤنا عند الله أي فيما يتعلق بالدنيا من الهموم كالقحط. وأما ما يقع في الآخرة من الأحوال فلا يريدونه لإنكارهم البعث وما يترتب عليه إلا

﴿أَتُنْكِرُونَ اللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار. إذ لو كان له شريك لعلمه إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح وقيل من عهد إبراهيم

أن يقال مرادهم بالشفاعة ما يشمل شفاعاة الآخرة، ويكون بالنسبة إليها على فرض وتقدير وقوع المشفوع فيه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. قال أهل المعاني: توهّموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم إياه، وقالوا: لسنا نأهل أن نعبد الله، ولكن نشغل بعبادة هذه الأصنام فإنها تكون شافعة لنا عند الله، ومنه قوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]. وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما: أنهم يزعمون أنها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جريح عن ابن عباس. والقول الثاني: أنها تشفع لهم في الدنيا في إصلاح معاشهم قاله الحسن لأنهم كانوا لا يعتقدون بعثاً بعد الموت اهـ.

قوله: ﴿قَالَ﴾ (لهم) أي تبيكيتاً لهم أتنبئون الله الخ هذا على طريق الإلزام، والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع، وأنه لا وجود له البتة لأنه لو كان موجوداً لعلمه الله وحيث كان غير معلوم لله وجب أن لا يكون موجوداً وهذا المثل مشهور في العرف، فإن الإنسان إذا أراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده أنه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع اهـ خازن.

قوله: ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ما موصولة أو نكرة موصوفة كالتي تقدمت، وعلى كلا التقديرين فللعائد محذوف أي بعلمه، والفاعل هو ضمير البارئ تعالى. والمعنى أتنبئون الله بالذي لم يعلمه الله، وإذا لم يعلم الله شيئاً استحال وجود ذلك الشيء لأنه تعالى لا يعزب عن علمه شيء وذلك الشيء هو الشفاعة، فما: عبارة عن الشفاعة أي لو كانت لعلمها البارئ تعالى اهـ سمين.

وقوله في السموات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف في يعلم. مؤكداً للنفي، لأن ما لا يوجد فيهما فهو متنفذ عادة اهـ سمين.

قوله: ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالياء والتاء سبعيتان وإن لم ينبه عليه الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بيان لأن التوحيد والإسلام ملة قديمة اجتمعت عليه الناس قاطبة فطرة وتشريعاً، وأن الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة. أي وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف، وذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل، وقيل: إلى زمن إدريس، وقيل: إلى زمن نوح، وقيل: من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين دياراً إلى أن ظهر فيما بينهم الكفر. وقيل: من لدن إبراهيم عليه السلام إلى أن أظهر عمرو بن لحي عبادة الأصنام وعلى هذا القول فالمراد بالناس العرف خاصة وهو الأنسب بإيراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكى عنهم اهـ أبو السعود.

قوله: (وهو الإسلام) هذا أحد قولين، والقول الآخر أنهم كانوا كفاراً. وفي القرطبي: قال ابن عباس، كانوا أمة واحدة على الكفر يريد في مدة نوح حين بعثه الله. وعنه أيضاً: كان الناس على عهد

إلى عمرو بن لحي ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ على محمد ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الْقَيْبُ﴾ ما غاب عن العباد أي أمره ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو وإنما على التبليغ ﴿فَأَنْتَظِرُونَ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطراً وخصباً ﴿يُرْءَا

إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كلهم كفار، وولد إبراهيم في جاهلية، فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين اهـ.

قوله: (من لدن آدم إلى نوح) وكان بينهما عشرة قرون. كانوا على الحق حتى اختلفوا، فبعث الله نوحاً فمن بعده، وكان الناس في زمن آدم تصافحهم الملائكة، وداموا على ذلك إلى أن رفع إدريس فاختلفوا اهـ قرطبي.

قوله: (إلى عمرو بن لحي) وهو أول من بحر البحائر، وسيب السوائب في الجاهلية اهـ شيخنا.

قوله: (بأن ثبت بعض) أي على الإسلام. قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ المراد بها حكمه وقضاؤه في الأزل بتأخير العذاب إلى يوم القيامة. قوله: ﴿فِيمَا فِيهِ﴾ أي بسببه يختلفون أي في الدين الذي اختلفوا بسببه، ففي سببية وعبر بالمضارع عن الماضي حكاية للحال الماضية، وقوله: بتعذيب الكافرين متعلق بقضي.

قوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ أرادوا بها آية من الآيات التي اقترحوها على حد ﴿وقالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الخ [الإسراء: ٩٠] كأنهم لفرط عتوهم لم يعدوا ما نزل عليه من الآيات كالقرآن من جنس الآيات واقترحوا غيرها اهـ أبو السعود.

قوله: (ومنه) أي من الغيب أي مما غاب من الآيات. قوله: ﴿مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحد الآيات واقترح غيرها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ﴾ الخ إذا شرطية وقوله: ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ﴾ فجائية وهي رابطة للجواب أي فلهم مكر أي ففاجأ إنزال الرحمة بهم مكرهم، فأفادت إذا هذه سرعة مكرهم، فقوله أسرع مكرأ أي من سرعة مكرهم، فالمفضل عليه محذوف فهم من إذا الفجائية، وقوله الاستهزاء والتكذيب تفسير مراد، وإلاً فأصل المكر إخفاء الحيل والمكائد اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ﴾ إذا: شرطية جوابها إذا الفجائية في قوله: ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ﴾ والعامل في إذا الفجائية الاستقرار الذي في لهم، وقد تقدم لك خلاف في إذا هذه هل هي حرف أو ظرف زمان على بابها أو ظرف مكان اهـ.

قوله أيضاً: ﴿أَدْقْنَا النَّاسَ﴾ الخ جواب ثان عن قول أهل مكة: لولا أنزل عليه آية من ربه وتقريره أن مشركي أهل مكة عادتهم المكر واللجاج وعدم الإنصاف، لأنه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين



﴿بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ﴾ لينة ﴿وَفَرَحُوا بِجَاءَةِ نَهَارِهِمْ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي أهلكوا ﴿دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ الدعاء ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الموحدين ﴿فَلَمَّا أَنْجَيْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

هي أن قوله: ﴿هو الذي يسيركم﴾ خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة المخاطبين والمسبرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر، ولعل الصالح يتذكر هذه النعمة ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا انجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنون بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق اهـ سمين .

قوله: ﴿بريح﴾ متعلق بجرين، وعلى هذا فيقال كيف يتعدى فعل واحد إلى معمولين بحر في جر متحدين لفظاً ومعنى؟ فالجواب: أن الباء الأولى للتعدية كهي في مررت بزيد، والثانية للسببية فاختلف المعنيان. فلذلك تعلقا بعامل واحد، ويجوز أن تكون الباء الثانية للحال فتعلق بمحذوف، والتقدير جرين بهم ملتبسة بريح طيبة فتكون الحال من ضمير الفلك اهـ سمين .

قوله: (لينة) أي لينة الهبوب إلى جهة المقصد، وقوله: ﴿جاءتها﴾ الضمير للريح الطيبة أي عارضتها وقابلتها أو للفلك وهو ظاهر. وفي المصباح: الريح الهواء بين السماء والأرض وأصلها الواو، لكن قلبت ياء لانكسار ما قبلها والجمع أرواح ورياح، وبعضهم يقول أرياح بالياء على لفظ الواحد، وغلطه أبو حاتم والريح مؤنثة على الأكثر فيقال: هي الريح وقد تذكر على معنى الهواء فيقال هو الريح وهب الريح نقله أبو زيد. وقال ابن الأنباري: الريح مؤنثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلا الاعصار فإنه مذكر، وراح اليوم يروح روحاً من باب قال، وفي لغة من باب خاف إذا اشتدت ريحه فهو رائح اهـ .

قوله: ﴿وفرحوا بها﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة نسقاً على جرين، وأن تكون حالاً وقد معها مضمرة عند بعضهم أي وقد فرحوا وصاحب الحال الضمير في بهم اهـ سمين .

قوله: (أي أهلكوا) يشير به إلى أنه استعارة تبعية شبه إتيان الموج من كل مكان الذي أشرف بهم إلى الهلاك وسد عليهم مسالك الخلاص والنجاة باحاطة العدو، وأخذ بأطراف خصمه اهـ شهاب .

قوله: ﴿مخلصين﴾ أي من غير أن يشركوا معه شيئاً من آلهتهم كما كانوا عند الرخاء اهـ شيخنا .

قوله: ﴿لئن أنجيتنا﴾ اللام موطئة للقسم المحذوف، ولنكون جوابه والقسم وجوابه في محل نصب بقول مقدر، وذلك القول المقدر في محل نصب على الحال، والتقدير دعوا قائلين لئن أنجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين، ويجوز أن يجري دعوا الله مجرى قالوا، لأن الدعاء بمعنى القول إذ هو نوع من أنواعه وهو مذهب كوفي اهـ سمين .

قوله: ﴿إذا هم يبغون﴾ إذا فجائية أي فاجؤوا الفساد وسارعوا إليه اهـ أبو السعود .

وفي الكرخي: أي فاجؤوا الفساد وسارعوا إلى ما كانوا عليه وهو احتراز البغي بحق، كاستيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زرعهم وقطع أشجارهم، كما فعل رسول الله ﷺ ببني قريظة فلا يرد ما معنى قوله: بغير الحق والبغي لا يكون بحق اهـ .

الْحَيٰوةِ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ لَمَّا بَغْيٰكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلٰٓىٰٓ اَنفُسِكُمْ﴾ لأن إثمه عليها هو ﴿مُتَّعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ تمتعون فيها قليلاً ﴿ثُمَّ اِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَنَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ فِي قِرَآءَةِ نَبْصَب مَتَاعٍ اَي تَمْتَعُونَ﴾ ﴿اِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَالْمَآءِ﴾ مطر ﴿اَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَآءِ فَاَتَخَلَّطَ بِهٖ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ الْاَرْضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَآْكُلُ النَّاسُ﴾ من البر والشعير وغيرهما ﴿وَالْاَنْعَامُ﴾ من الكلال ﴿حَتّٰى اِذَا اخَذَتِ الْاَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَاَزْدَتْ﴾

قوله: ﴿اِنَّمَا بَغْيٰكُمْ﴾ على حذف مضاف أي إثمه ووباله، كما أشار لذلك الشارح في التعليل. وفي الشهاب ما نصه قوله: لأن إثمه عليها يعني أن البغي في الواقع على الغير، فجعله على أنفسهم لأن ووباله عائد عليهم فهو إما بتقدير مضاف أي وبال بغيكم، أو باطلاق البغي الذي هو سبب للوبال عليه، أو على الاستعارة بتشبيه بغيه على غيره بإيقاعه على نفسه في ترتب الضرر ليهما، كقوله: ﴿وَمِنْ اَسَآءِ فَعَلِيهَا﴾ [فصلت: ٤٦] أو المراد بالأنفس أمثالهم استعارة أو أبناء جنسهم كنفوس واحدة وهو استعارة أيضاً. اهـ.

قوله: (تمتعون) بالبناء للمفعول وهو ظاهر وللفاعل بحذف إحدى التاءين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثُمَّ اِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة، كأنه قيل يمتعون متاع الحياة الدنيا ثم يرجعون إلينا، وإنما غير الأسلوب إلى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة، وقوله: أي تمتعون فيه الوجهان كالذي قبله، وأشار الشارح بهذا إلى أن متاع معمول لفعل محذوف أي تمتعون متاع، ويصح كونه مفعولاً من أجله وبغيكم مبتدأ حليف خبره أي بغيكم لأجل متاع الدنيا مذموم اهـ كرخي.

قوله: ﴿اِنَّمَا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ الخ كلام مستأنف سيق ليبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود به، وقد شبه حالها العجبية البديعة المثل المنتظمة في سلك الأمثال لغرابتها من حيث سرعة تقضيها، وانصرام عقب إقبالها بحال ما على الأرض من أنواع النبات في زوال رونقها ونضارتها بعد ما كانت طرية التف بعضها ببعض اهـ أبو السعود.

قوله: (صفة) ﴿الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ أي في سرعة تقضيها واغتراركم بها. وشبه الحياة الدنيا بماء السماء دون ماء الأرض، لأن ماء السماء وهو المطر لا تأثير لكسب العبد فيه بزيادة أو نقص بخلاف ماء الأرض، فكان تشبيه الحياة به أنسب، وإنما ليست للحصر لأنه تعالى ضرب للحياة الدنيا أمثالا غير هذا اهـ كرخي.

قوله: ﴿كَمَا اَنْزَلْنَاهُ﴾ الخ هذا من التشبيه المركب اهـ أبو السعود.

قوله: (اشتبك بعضه ببعض) أي لكثرت. قوله: ﴿مِمَّا يَآْكُلُ النَّاسُ﴾ حال من النبات كما هو ظاهر، وتقديره كائناً بما يأكل اهـ كرخي.

قوله: (من الكلال) هو العشب سواء كان رطباً أو يابساً كما في المختار اهـ شيخنا.



بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايًا وأدغمت في الزاي ﴿وَلَكَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا﴾  
متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتْلَهَا أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي زرعها  
﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصول بالمناجل ﴿كَانَ﴾ مخففة أي كأنها ﴿لَمْ تَغْنِ﴾ تكن ﴿بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ﴾

قوله: ﴿حتى إذا أخذت الأرض﴾ أي استوفت واستكملت، وحتى غاية لمحذوف أي وما زال  
ينمو ويزهو حتى الخ اهـ شيخنا.

وفي الكلام استعارة مكنية حيث جعلت الأرض في زيتها بما عليها من أصناف النبات كالعروس  
التي أخذت من أنواع الثياب والزينة فتزنت بها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿زخرفها﴾ في القاموس: الزخرف بالضم الذهب وكمال حسن الشيء، ومن القول  
حسنه، ومن الأرض ألوان نباتها اهـ.

قوله: (بالزهر) أي بسائر أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغيرها. قوله: (وأدغمت) أي  
بعد تسكينها، وبعد الإدغام اجتلبت همزة الوصل توصلًا للنطق بالسكان، ثم حذفت همزة الوصل لما  
دخل العاطف اهـ شيخنا.

قوله: (من تحصيل ثمارها) أي وزروعها ويقولها: أتاها أمرنا جواب إذا، وقوله: (اقتضاؤنا أو  
عذابنا) تفسيران. وفي بعض النسخ أي عذابنا، وفي بعض آخر وعذابنا بالواو، وفي بعض آخر قضاؤنا  
وعذابنا وقوله: ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ أو للتنويع أي تارة يأتي ليلًا وتارة يأتي نهارًا اهـ شيخنا.

قوله: (كالمحصول) أي المقطوع، وقوله: (بالمناجل) جمع منجل كمنابر ومنبر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كَانَ لَمْ تَغْنِ﴾ (تكن) أي توجد. وفي القاموس ما يقتضي أن غني يأتي بمعنى كان  
وجود، كقوله: غنيت دارنا بتهامة أي كانت بها. وفسره البيضاوي بقوله: أي لم تلبث أي لم تقم ولم  
تمكث، لأن غني بالمكان معناه أقام وسكن وعاش فيه، ومنه المغنى للمنزل اهـ شهاب.

وفي الخازن: ﴿كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾ يعني كان لم تكن تلك الأشجار والنبات والزروع ثابتة  
قائمة على ظهر الأرض، وأصله من غني فلان بالمكان إذا أقام به. وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتشبث  
بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها، وذلك أنه تعالى لما قال: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ  
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أتبعه بهذا المثل لمن يغى في الأرض وتجبر فيها، وركن إلى الدنيا، وأعرض عن  
الآخرة لأن النبات في أول بروزه من الأرض ومبدأ خروجه يكون ضعيفًا، فإذا نزل عليه المطر واختلط  
به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة، وهو المراد من قوله: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾  
يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء، فجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبيه  
بالعروس إذا اكتست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض، ولا شك أن  
الأرض متى كانت على هذه الصفة فإنه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاءه في الانتفاع بها وبما فيها، ثم إن  
الله تعالى أرسل على هذه الأرض صاعقة أو بردًا أو ريحًا فجعلها حصيدًا ﴿كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾ من  
قبل. قال قتادة: إن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون، ووجه التمثيل أن غاية هذه

**نَفْصِلُ ﴿ نَبِينَ ﴾ ﴿ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾** أي السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿ وَرَهْدَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ هدايته ﴿ إِنْ يَرْطُبُوا تُثْقِيلَ ﴾ دين الإسلام ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾

الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه، ولأن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها اهـ.

قوله: ﴿ بِالْأَمْسِ ﴾ المراد به الزمن الماضي لا خصوص اليوم الذي قبل يومك اهـ كرخي.

قوله: ﴿ نَفْصِلُ الْآيَاتِ ﴾ أي القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الدنيا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ الخ ترغيب للناس في الحياة الآخروية إثر ترهيبهم من الحياة الدنيوية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ وَهِيَ الْجَنَّةُ بِالْإِيمَانِ ﴾ أي طلب الإيمان من الخلق، والأكثر على أن المراد بالسلام اسمه الكريم الوارد في الأسماء الحسنى. وسمي الله تعالى بالسلام لوجه. أخذها: أنه لما كان واجب الوجود لذاته سلم من الفناء والتغير وسلم في ذاته وصفاته من الافتقار إلى الغير، وهذه الصفة ليست إلا له اهـ كرخي.

قوله: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ خبر مقدم، وقوله بالإيمان أي وإن كان معه ذنوب فعصاة المؤمنين داخلون في هذا، وقوله: الحسن مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿ كَمَا فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ ﴾ عبارة الخازن: اختلف أهل التفسير في هذا الحسن، وهذه الزيادة على أقوال.

الأول: أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وهو قول الحسن، والضحاك، ومقاتل، والسدي. ويدل على صحة هذا ما روي عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار» قال: «فيكشف الحجاب فما يعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» زاد في رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾.

القول الثاني: في معنى هذه الزيادة ما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب.

القول الثالث: أن الحسنى واحدة الحسنات، والزيادة التضعيف إلى العشرة إلى سبعمائة. قال ابن عباس: هو مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَدِينَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥] يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله. قال قتادة: قال الحسن يقول: الزيادة بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

القول الرابع: أن الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان، قاله مجاهد.

القول الخامس: قول أبي زيد إن الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا ولا يجاسيهم يوم القيامة، انتهت باختصار.

بالإيمان ﴿لَلْمُتَّقِينَ﴾ الجنة ﴿وَزَيَادَةٌ﴾ هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذَلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على للذين أحسنوا أي وللذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ عملوا الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْسُطُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ

قوله: ﴿ولا يرهق وجوههم﴾ فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أنها مستأنفة. الثاني: أنها في محل نصب على الحال، والعامل في هذه الحال الاستقرار الذي تضمنه الجار وهو للذين لوقوعه خبراً عن الحسنی قاله أبو البقاء وقدره بقوله: استقر لهم الحسنی مضموناً لهم السلامة، وهذا ليس بجائز لأن المضارع متى وقع حالاً منفياً بلا امتنع دخول واو الحال عليه كالمثبت، وإن ورد ما يوهم ذلك يؤول بإضمار مبتدأ، وقد تقدم تحقيقه غير مرة. والثالث: أنه في محل رفع نسقاً على الحسنی، ولا بد حينئذ من إضمار حرف مصدري يصح جعله معه مخبراً عنه بالجار، والتقدير ﴿للذين أحسنوا الحسنی﴾، وأن يرهق أي وعدم رهقهم، فلما حذفت أن رفع الفعل المضارع لأنه ليس من مواضع إضمار أن ناصبة، وهذا كقوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ [الروم: ٢٤] أي أن يريكم. وقوله: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. والرهق الغشيان يقال رهقه يرهقه رهقاً من باب طرب أي غشيه بسرعة، ومنه ولا ترهقني من أمري عسراً فلا يخاف بخساً ولا رهقاً يقال: رهقه وأرهقه مثل ردفه وأردفته ففعل وأفعل بمعنى، ومنه أرهقت الصلاة إذا اخرتها حتى غشي وقت الأخرى أي دخل. وقال بعضهم: أصل الرهق المقاربة ومنه غلام مراهي أي قارب الحلم والقتل. والفترة: الغبار معه سواد يقال قتر كفرح ونصر وضرب، وقيل القتر الدخان ومنه غبار القدر. وقيل: القتر التقليل ومنه لم يسرفوا ولم يقتروا. ويقال: قترت الشيء وأقترته وقترته أي قللته ومنه على المقتر قدره اه سمين.

قوله: ﴿والذين كسبوا السيئات﴾ الخ اعلم أنه شرح الله تعالى أحوال المحسنين، وما أعد لهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من قدم على السيئات يعني: والذين عملوا الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فلهم جزاء السيئة، التي عملوها مثلها من العقاب، والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لأن الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وذلك تفضل منه وتكرم، وأما السيئات فإنه يجازي عليها بمثلها عدلاً منه سبحانه وتعالى اه خازن.

قوله: (عطف على الذين أحسنوا) عبارة السمين قوله: ﴿والذين كسبوا السيئات﴾ فيه سبعة أوجه.

أحدها: أن يكون والذين عطفاً على للذين أحسنوا أي ﴿للذين أحسنوا الحسنی﴾، وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها فتعادل التقسيم كقوله: في الدار زيد والحجرة عمرو، وهذا تسميه النحويون عطفاً على معمولي عاملين مختلفين.

الوجه الثاني: أن الذين مبتدأ أول وجزاء سيئة مبتدأ ثان وخبره بمثلها، والباء فيه زائدة أي وجزاء سيئة مثلها.

الثالث: أن الباء ليست زائدة، والتقدير مقدر بمثلها أو مستقر بمثلها، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن الأول.

مِّنَ اللَّهِ مِنٌ ﴿عَاصِمٌ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وَجُوهُهُمْ قُطْعًا﴾ بفتح الطاء جمع قطعة وإسكانها أي جزء ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَشْهَرُهُمْ﴾

الرابع: أن خبر جزاء سيئة محذوف، فقدرة الحوفي بقوله لهم جزاء سيئة قال: ودل على تقدير لهم قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ حتى تتشاكل هذه بهذه، وقدرة أبو البقاء جزاء سيئة بمثلها واقع وهو وخبره أيضاً خبر عن الأول، وعلى هذين التقديرين فالباء متعلقة بنفس جزاء، لأن هذه المادة تتعدى بالباء قال تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ [سبأ: ١٧] و ﴿جزاهم بما صبروا﴾ [الإنسان: ١٢] إلى غير ذلك فإن قلت: أين الرابط بين هذه الجملة والموصول الذي هو المبتدأ؟ قلت: على تقدير الحوفي هو الضمير المجزور باللام المقدر خبراً، وعلى تقدير أبي البقاء هو محذوف تقديره جزاء سيئة بمثلها منهم واقع نحو السمن منوان بدرهم وهو حذف مطرد لما عرفته غير مرة.

الخامس: أي يكون الخبر الجملة المنفية من قوله: ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾، ويكون من عاصم إما فاعلاً بالجار قبله لاعتماده على النفي، وإما مبتدأ وخبره الجار مقلداً عليه. ومن مزينة فيه على كلا القولين ومن الله متعلق بعاصم، وعلى كون هذه الجملة خبر الموصول يكون قد فصل بين المبتدأ وخبره بجملة اعتراض، وفي ذلك خلاف عن الفارس تقدم التنبيه عليه وإنما استدلل به عليه.

السادس: أن الخبر هو الجملة التشبيهية من قوله: ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهَهُمْ﴾ وكأنما حرف مكفوف وما هذه زائدة تسمى كافة ومهيئة وتقدم ذلك، وعلى هذا الوجه فيكون قد فصل بين المبتدأ وخبره بثلاث جمل اعتراض.

السابع: أن الخبر هو الجملة من قوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، وعلى هذا القول فيكون قد فصل بأربع جمل معترضة وهي جزاك سيئة بمثلها، الثانية: وترهقهم ذلة، الثالثة: ما لهم من الله من عاصم، الرابعة: كأنما أغشيت وجوههم، وينبغي أن لا يجوز الفصل بثلاث جمل فضلاً عن أربع انتهت.

قوله: ﴿جزاء سيئة﴾ الخ أي جزاء سيئاتهم أن تجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزداد عليها كما يزداد في الحسنه أهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما لهم من الله﴾ أي من عذابه وسخطه من عاصم. قوله: (وإسكانها) قراءتان سبعيتان وقوله: أي جزاء تفسير للثانية وتفسير الأولى أجزاء أهـ شيخنا.

وفي السمين ما نصه: قرأ ابن كثير والكسائي قطعاً بسكون الطاء، والباقون بفتحها، فأما القراءة الأولى فاختلفت عبارات الناس فيها، فقال أهل اللغة: القطع ظلمة آخر الليل، وقال الأخفش: في قوله بقطع من الليل بسواد من الليل، وقال بعضهم: طائفة من الليل. وأما قراءة الباقيين فجمع قطعة كسدره وسدر وكسرة وكسر، وعلى القراءتين يختلف إعراب مظلماً فإنه على قراءة الكسائي، وابن كثير يجوز أن يكون نعتاً لقطعاً وصف بذلك مبالغة في وصف وجوههم بالسواد، ويجوز أن يكون حالاً. وأما قراءة الباقيين فقال مكي وغيره: إن مظلماً حال من الليل فقط، ولا يجوز أن يكون صفة لقطعاً ولا حالاً منه ولا من الضمير في الليل، لأنه كان يجب أن يقال فيه مظلمة. قلت: يعنون أن الموصوف

أي الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ نصب بالزمو مقداراً ﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ أي الأصنام ﴿فَرَيْلَنَا﴾ ميزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَانَا تَعْبُدُونَ﴾ ما

حيثنذ جمع ، وكذا صاحب الحال فتجب المطابقة اهـ .

قوله : (نصب بالزمو) أي على أنه مفعول به أي : لازموا هذا المكان ولا تنفكوا منه ، أو على ظرف بجعل الزمو بمعنى قفوا . وقوله : المستتر فيه مسامحة ، وذلك لأنه عند النطق بالفعل يكون بارزاً إذ الواو من الضمائر التي لا تستتر ، ولعل تسميته مستتراً باعتبار أنه غير مذكور بالفعل فيكون مشابهاً للمستتر حقيقة اهـ شيخنا .

قوله : (بالزمو مقداراً) أي : الزمو مكانكم ولا تبرحوا منه حتى تنظروا ما يفعل بكم اهـ سمين . وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين اهـ خازن .

وهذا أمر لهم في المحشر بالوقوف حتى يسألوا ويحاسبوا والمراد بهذا الأمر وعيدهم وتهديدهم وإهانتهم وإلا فالؤمنون يلزمون بالوقوف أيضاً حتى يسألوا ويحاسبوا اهـ .

قوله : ﴿بَيْنَهُمْ﴾ (وبين المؤمنين) وذلك عند الوقوف للسؤال حين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة وبأهل النار إلى النار اهـ قرطبي من سورة يس .

وهذا التفسير بعيد من سابقه ولاحقه ، إذ هما في الكلام على المشركين ومعبوداتهم ، فالأولى القول الآخر الذي جرى عليه غيره كالبيضاوي ، والخازن ونص الخطيب فزينا أي فرقنا بينهم أي بين المشركين وشركائهم ، وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا ، وذلك حين يتبرأ كل معبود ممن عبده ، وقيل : فرقنا بينهم وبين المؤمنين كما في آية ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس : ٥٩] والأول أنسب بقوله : ﴿وقال شركاؤهم﴾ الخ اهـ .

واختلف في زيل هل وزنه فعل أو فيعل ، والظاهر الأول والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية ، لأن ثلاثيه متعد بنفسه . حكى الفراء : زلت الضأن من المعز ، ويقال زلت الشيء عن مكانه أزيله ، وهو على هذا من ذوات الباء ، والثاني : أنه فيعل كيبطر ، وهو زال يزول ، والأصل زيولنا فاجتمعت الباء والواو ، وسبقت إحداهما بالسكون فأعلت الإعلال المشهور وهو قلب الواو ياء وإدغام الباء فيها كميث وسيد في ميوت وسيود ، وعلى هذا فهو من مادة الواو ، وإلى هذا ذهب ابن قتيبة وتبعه أبو البقاء اهـ سمين .

قوله : ﴿وقال شركاؤهم﴾ يعني الأصنام والإضافة لأدنى ملاسة أي : قالت الأصنام لعبديها فجعلها شركاؤهم من حيث إنهم اتخذوها شركاء لله في استحقاق العبادة ، وهذا القول منها يصد وبعد أن يخلق الله فيها الحياة والعقل والنطق . فإن قلت : إن الأصنام قد أنكرت أن الكفار كانوا يعبدونها مع أنهم كانوا يعبدونها . قلت : قد تقدمت هذه المسألة وجوابها في تفسير سورة الأنعام . ونقول هنا : قال مجاهد : تكون في يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله ، فتقول الآلهة : والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا ، فيقولون : والله إياكم كنا الفجوات الإلهية/ج ٣/م ٢٣

نافية وقدم المفعول للفاصلة ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ ﴿هَٰذَاكَ﴾ أي ذلك اليوم ﴿تَلَوُا﴾ من البلوى وفي قراءة بلاءين من التلاوة ﴿كُلُّ

نعد، فتقول لهم الآلهة: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾، والمعنى قد علم الله وكفى به شهيداً أنا ما علمنا أنكم كنتم تعبدوننا، وما كنا عن عبادتكم إيانا من دون الله إلا غافلين لا نشعر بذلك أهـ خازن.

قوله: ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ أي في الحقيقة ونفس الأمر، وإنما عبدتم في الحقيقة أهواءكم وشياطينكم التي أغوتكم لأنها الآمرة لكم بالإشراك على حد قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ: ٤١] الآية أهـ أبو السعود.

قوله: (للفاصلة) أي لا للحصر. إذ ليس الغرض أن المنفي عبادة الأصنام المقصورة عليها فقط، بل مطلق عبادتها سواء كانت مقصورة عليها أم لا أهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ الخ هذا من كلام الأصنام كما علمت أهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لغافلين﴾ المراد بغفلتهم عنها عدم رضاهم بها أهـ أبو السعود. أو عدم علمهم بها كما تقدم أو كل من الأمرين.

قوله: (من البلوى) أي تخبر وتعلم وقوله: وفي قراءة تتلو وعليها فالمضاف محذوف أي تتلو صحائف ما أسلفت أهـ من الخازن.

وفي المختار: البلية والبلاء والبلوى واحد، والجمع البلايا أهـ. ومعنى الكل الاختيار أهـ.

وفي السمين: ﴿هَٰذَاكَ تَلَوُا كُلُّ نَفْسٍ﴾. في هَٰذَاكَ وجهان الظاهر منهما بقاءه على أصله من دلالة على ظرف المكان أي في ذلك الموقف الداحض، والمكان الدهشة، وقيل: هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة ومثله هَٰذَاكَ ابتلي المؤمنون أي في ذلك الوقت، وقرأ الأخوان تتلو بقاءين منقوطتين من فوق أي تطلب وتتبع ما أسلفته من أعمالها فهو من التلو، ويجوز أن يكون من التلاوة المتعارفة أي تقرأ كل نفس ما عملته مسطراً في صحيف الحفظه كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]. وقرأ الباقون تلو من البلاء وهو الاختيار أي تعرف عملها أخير هو أم شر، وقرأ عاصم في رواية تلو بالنون والباء الموحدة أي نخبر نحن وكل منصوب على المفعول به، انتهت.

وفي أبي السعود: هَٰذَاكَ تلو أي تخبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت أو كافرة سعيدة أو شقية ما أسلفت من العمل وتعاينه بكنهه متبعة لآثاره من نفع أو ضرر وخير أو شر، وقرىء نيلو العظمة ونصيب كل وإبدال ما منه أي تعاملها معاملة من يلوها ويتعرف أحوالها من السعادة والشفاعة باختبار ما أسلفت من العمل، ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء أي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر، فتكون ما منصوبة بنزع الخافض، وقرىء تتلو أي تتبع لأن عملها هو الذي يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار، أو تقرأ في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر أهـ.

نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴿٣٠﴾ قدمت العمل ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ عليه من الشركاء ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الإسماع أي خلقها ﴿وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

قوله: ﴿ورددوا﴾ أي الذين أشركوا وقوله: الثابت الدائم أي ربهم حقيقة، لأنهم كانوا يعبدون ما ليس لربوبيته حقيقة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وصل عنهم﴾ أي في الموقف فلا ينافي قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء: ٩٣] وقوله: ﴿ما كانوا يفترون﴾ أي من آلهتهم أي من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة اهـ بضاوي.

قوله: (من الشركاء) أي الأصنام.

قوله: ﴿قل﴾ (لهم) أي لأولئك المشركين الذين حكيت أحوالهم، وقوله: ﴿من السماء والأرض﴾ أي منهما جميعاً، فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية، أو من كل واحدة منهما. والمقصود من هذا القول الاستدلال على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الإشراك اهـ أبو السعود.

وهذه أسئلة ثمانية جواب الخمسة الأولى منها منهم، وجواب الاثنين بعدها منه ﷺ بتعليم الله إياه لعدم قدرتهم عليه، وجواب الأخير لم يذكر لشهرته والعلم به، وقدره الشارح فيما يأتي بقوله أي الأول أحق اهـ.

قوله: ﴿من السماء والأرض﴾ أي رزقاً مبتدأ من السماء والأرض فمن لا ابتداء الغاية. قوله: ﴿أمن يملك السمع﴾ أم هذه هي المنقطعة لأنها لم يتقدمها همزة استفهام ولا تسوية، ولكن إنما تقدر هنا ببل وحدها دون الهمزة، وقد تقدم أن المنقطعة عند الجمهور تقدر بهما، وإنما لم تقدر هنا ببل والهمزة لأنها وقع بعدها اسم استفهام صريح، وهو من كقوله تعالى: ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ [النمل: ٨٤] والإضراب هنا على القاعدة المقررة في القرآن إنه إضراب انتقال لا إضراب إبطال اهـ سمين.

قوله: ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾ أي أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما، أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من أدنى شيء اهـ بضاوي.

وحقيقة الملك معروفة ويلزمها الاستطاعة، لأن المالك لشيء يستطيع التصرف فيه والحفظ له والحماية، ولذلك تجوز فيه عن كل منهما اهـ شهاب.

قوله: ﴿ومن يخرج الحي من الميت﴾ الخ يعني أنه تعالى يخرج الإنسان حياً من الميت وهو النطفة، وكذلك الطير من البيضة، وكذلك يخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي والبيضة من الطائر الحي، وقيل: معناه أنه يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، والقول الأول أقرب إلى الحقيقة اهـ خازن.

مِنَ اللَّيْلِ وَمَن يُدِيرُ الْأُمُورَ ﴿٣١﴾ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ﴿٣٢﴾ فَسَيَقُولُونَ هُوَ ﴿٣٣﴾ اللَّهُ فَقُلْ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٥﴾ هـ فتؤمنون ﴿٣٦﴾ فَذَلِكُمْ ﴿٣٧﴾ الْفَعَالُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ ﴿٣٨﴾ اللَّهُ رَبُّكَ الْحَقُّ ﴿٣٩﴾ الثَّابِتُ ﴿٤٠﴾ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴿٤١﴾ استسفهم تقرير أي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله. وقع في الضلال ﴿٤٢﴾ فَنَاقٍ ﴿٤٣﴾ كَيْفَ ﴿٤٤﴾ تَصْرَفُونَ ﴿٤٥﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿٤٦﴾ كَذَلِكَ ﴿٤٧﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿٤٨﴾ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ﴿٤٩﴾ كفروا وهي ﴿٥٠﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴿٥١﴾ الآية أو هي ﴿٥٢﴾ أَنتُمْ لَا تَزِيدُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ هَلْ لِي شُرَكَاءُ مِمَّنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ تَعْبُدُونَ ﴿٥٤﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل ﴿٥٥﴾ قُلْ هَلْ لِي مِن

قوله: ﴿ومن يدبر الأمر﴾ أي من يتولى تدبير العالم وهذا السؤال الخامس أتم من كل من الأربعة قبله، فهو من ذكر العام بعد الخاص اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فسيقولون الله﴾ أي في جواب هذه الأسئلة الخمسة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فقل أفلا تتقون﴾ أي قل لهم ذلك وعظاً وتذكيراً. في البياضاي: ﴿أفلا تتقون﴾ أفلا تتقون عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك اهـ.

قوله: (استفهم تقرير) الأولى أن يقول استفهم إنكار بدليل إلا الإيجابية، وبدليل قوله أي ليس بعده غيره. وفي السمين قوله: فماذا بعد الحق يجوز أن تكون ماذا كلها اسماً واحداً لتركيبهما، وغلب الاستفهم على اسم الإشارة وصار معنى الاستفهم هنا النفي، ولذلك أتى بعده بإلا، ويجوز أن يكون ذا موصولاً بمعنى الذي، والاستفهم أيضاً بمعنى النفي، والتقدير ما الذي بعد الحق إلا الضلال اهـ.

قوله: (وقع في الضلال) وهو عبادة غيره إذ ليس بينهما واسطة اهـ.

قوله: ﴿فأنى تصرفون﴾ استفهم تعجبي.

قوله: ﴿كذلك حقت كلمت ربك﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم من تصرفون أي مثل صرفهم على الحق هذا الإقرار في قوله تعالى: ﴿فسيقولون الله﴾، وقيل: إشارة إلى الحق. قال الزمخشري: كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمت ربك اهـ سمين.

قوله: (أو هي) ﴿أنهم لا يؤمنون﴾ فعلى هذا يكون أنهم لا يؤمنون بدلاً من الكلمة بدل كل من كل، وعلى الأول يكون تعليلاً لحقيتها عليهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل هل من شركائكم﴾ أي الأصنام التي أثبتتم شركتها لله في استحقاق العبادة، فهذا وجه إضافتها إليهم. وفي أبي السعود: وهذا احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الإشراك بإظهار كون شركائهم بمعزل عن استحقاق الألوهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق وإعادة به تعالى، وإنما لم يعطف على ما قبله إيداناً باستقلاله في إثبات المطلوب اهـ.

قوله: ﴿من يبدأ﴾ أي ينشئ الخلق أي المخلوقات أي ينشئهم من العدم، وقوله: ﴿ثم يعيده﴾ أي: في القيامة للجزاء وأورد على الآية أن الكفار ينكرون الإعادة والبعث، فكيف يحتج عليهم بها؟ وتقرير الجواب أن إلزام الخصم كما يصح بما يعترف به يصح أيضاً بما تبين وتثبت حقيقته لقوة برهانه،



شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بِنَصَبِ الْحُجَجِ وَخَلَقَ الْإِهْتِدَاءَ ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَن يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ يهتدي ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أي الأول

فلذا جعلت الإعادة كالبدء في الإلزام بها لظهور برهانها، وإن لم يعترفوا بها، ولذلك أمر الرسول أن ينوب عنهم في الجواب كما قال: ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ الخ لأنهم لا يقدرُونَ على هذا الجواب ولا ينطقون به أهد من البيضاوي وحواشيه.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ احتجاج على آخر على ما ذكر. وقوله: ﴿مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ أي بنصب الحجج وإرسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدي كما يعدي بإلى لتضمنه معنى الانتهاء يعدي باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية أهد بيضاوي.

وفي السمين: هدى يتعدى إلى اثنين ثانيهما إما باللام أو بإلى، وقد يحذف الحرف تخفيفاً، وقد جمع بين التعديتين هنا بحرف الجر، فعدي الأول والثالث بإلى والثاني باللام وحذف المفعول الأول من الأفعال الثلاثة، والتقدير: هل من شركائكم من يهدي غيره إلى الحق قل الله يهدي من يشاء للحق أفمن يهدي غيره إلى الحق، وقد تقدم أن التعدية بإلى وباللام من باب التفنن في البلاغة، ولذلك قال الزمخشري: يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين أهد.

والمراد بالحق في المواضع الثلاثة ضد الباطل، وقول الشارح وهو الله تفسير لمن. وقوله: أمن لا يهدي من فيه بمعنى الشركاء لله تعالى. وعبرة الخطيب: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الإهتداء وإرسال الرسل؟ ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق في ذلك أو معاندين أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يجيب بقوله: قل الله الذي له الإحاطة الكاملة يهدي للحق من يشاء لا أحد ممن زعمتموه شركاء، فلاشتغال بشيء منها بعبادة أو غيرها جهل محض أهد.

يعني أن الله هو الذي يهدي للحق فهو أحق بالاتباع لا هذه الأصنام التي لا تهتدي إلا أن تهدي أهد خازن.

قوله: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ الخ سؤال ثامن لم يذكر جوابه في الآية، وقد ذكره الشارح، ومن مبتدأ وأحق خبره، وقوله: أمن لا يهدي مبتدأ خبره محذوف قدره الشارح بقوله أحق أن يتبع أهد شيخنا.

والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقيق هدايته تعالى صريحاً وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر والهمزة متأخرة في الاعتبار، وإنما تقديمها في الذكر لإظهار عرافتها واقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور أهد أبو السعود.

قوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ خبر لقوله ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي﴾، وأن في موضع نصب أو جر بعد حذف الخافض المفضل عليه محذوف، وتقديره: أحق أن يتبع ممن لا يهدي ذكر ذلك مكى بن أبي طالب، فجعل أحق هنا على بابها من كونها للتفضيل، وقد منع الشيخ كونها هنا للتفضيل، فقال: وأحق ليست للتفضيل بل المعنى حقيق أن يتبع أهد سمين.

قوله: ﴿أَمِنْ لَا يَهْدِي﴾ نسق على أفمن، وجاء هنا على الأفصح من حيث إنه قد فصل بين أم

أحق ﴿فَالْكَرَّ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾

وبين ما عطف عليه بالخبر كقولك: أزيد قائم أم عمرو، ومثله أذلك خير أم جنة الخلد وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿أقرب أم بعيد ما توعدون﴾ [الأنبياء: ١٠٩] وسيأتي في موضعه اهـ سمين .

قوله: ﴿أمن لا يهدي﴾ أصله يهتدي كما قال الشارح فنقلت فتحة التاء إلى الهاء وأبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال اهـ شيخنا .

وهذا قراءة يهدي بفتح الهاء، وقرئ بكسرها، ووجهه أنه لما أدغمت التاء في الدال التقى ساكنان الهاء والدال المدغمة، فكسرت الهاء تخلصاً من الساكنين . وفي السمين : وقرأ أبو بكر عن عاصم بكسر ياء يهدي وهائه، وحفص بكسر الهاء دون الياء، فأما كسر الهاء فلتخلص من الساكنين، وأبو بكر أتبع الياء للهاء في الكسر اهـ .

قوله: ﴿إلا أن يهدي﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال إهدائه أي: إهداء الغير إياه، وكان مقتضى المقابلة أن يقال أم من لا يهدي، وإنما خولف إشادة إلى أنه إذا لم يهتد بنفسه لا يهدي غيره اهـ شيخنا .

وفي الخازن: فإن قلت: الأصنام جمادات لا يتصور هدايتها ولا أن تهتدي، فكيف قال إلا أن يهدي؟ قلت: ذكر العلماء عن هذا السؤال وجهين .

الأول: أن معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال من مكان إلى مكان آخر أي إلا أن تحمّل وتنقل، فبين بهذا عجز الأصنام على وجه المعجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن من يسمع ويعقل ويعلم بوصفها بهذه الصفة، وإن كان الأمر ليس كذلك .

الوجه الثاني: يحتمل أن يكون المراد من قوله ﴿هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ الأصنام، والمراد من قوله: ﴿هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ رؤساء الكفر والضلال فآله تعالى هدى الخلق إلى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته، وأما رؤساء الكفر والضلالة فإنهم لا يقدرّون على هداية غيرهم إلا إذا هداهم الله إلى الحق، فكان اتباع دين الله والتمسك بهديته أولى من اتباع غيره اهـ .

قوله: (أي الأول أحق) جواب عن السؤال الثامن . قوله: ﴿فما لكم﴾ مبتدأ وخبر أي فأي شيء ثبت لكم في هذه الحالة، فهذه جملة مستقلة فالوقف على لكم وقوله ﴿كيف تحكمون﴾ جملة أخرى مستقلة اهـ .

وفي السمين: ﴿فما لكم﴾ مبتدأ وخبر ومعنى الاستفهام هنا الإنكار والتعجب أي أي شيء ثبت لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم، فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم، وقوله: ﴿كيف تحكمون﴾ استفهام آخر أي كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أنداداً وشركاء اهـ .

قوله: ﴿وما يتبع أكثرهم﴾ الخ كلام مبتدأ غير داخل في حيز الأمر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون البرهان اهـ أبو السعود .

في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلَكِنْ﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبين ما

قوله: ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي واهياً من غير التفات إلى فرد من أفراد العلم فضلاً عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية إلى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقبة فيفهموا مضمونها ويقفوا على مقتضاها وبطلان ما يخالفها اهـ أبو السعود.

ووجه تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم الإشعار بأن بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك، لكن لا يقبلونه مكابرة وعناداً فيحصل بالنسبة إليهم التأثير من البرهان المذكور وإن لم يظهره، أو أن تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك للتلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي. قال القاضي: والمراد بالأكثر الجميع، وفيه دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز اهـ كرخي.

قوله: (حيث قلدوا فيه) أي الاتباع. قوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾ استئناف مسوق لبيان شأن الظن وبطلانه، وشيئاً إما مفعول مطلق أي شيئاً من الإغناء، أو مفعول به على جعل يغني بمعنى يدفع، ومن الحق مال مقدمة اهـ أبو السعود.

ومن بمعنى عن والحق بمعنى العلم، (فيما) ما عبارة عن أصول وعقائد، فخرج به الفروع فإن الظن يكفي فيها اهـ شيخنا.

وفي السمين: ومن الحق نصب على الحال من شيئاً لأنه في الأصل صفة له، ويجوز أن تكون من معنى بدل أي لا يغني بدل الحق اهـ.

قوله: (فما المطلوب منه) في نسخة فيه. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ الخ وعيد لهم على أفعالهم فيندرج تحتها ما حكى عنهم من الإعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجاً أولياً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ الخ يعني وما كان ينبغي لهذا القرآن أن يخلق ويفتعل، لأن معنى الافتراء الاختلاق، والمعنى ليس وصف القرآن وصف شيء يمكن أن يفترى به على الله، لأن المفترى هو الذي يأتي به البشر، وذلك أن كفار مكة زعموا أن محمداً ﷺ أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق، فأخبر الله تعالى أن هذا القرآن وحي أنزله الله عليه، وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب، وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله، ثم ذكر ما يؤكد هذا بقوله: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقُ﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (أي افتراء) خبر كان على حد زيد عدل في وجوهه الثلاثة، وقوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ متعلق بيفترى، والقائم مقام الفاعل ضمير عائد على القرآن اهـ من السمين.

قوله: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقُ﴾ تصديق عطف على خبر كان، ووقعت لكن هنا أحسن موقع، إذ هي بين نقيضين وهما الكذب والصدق المضمن للتصديق. وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب وفيه أوجه،

كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَبَّ﴾ شك ﴿فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبُّهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأَنَّا بِسُورَةِ يَتْلُوهُ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي

أحدها: العطف على خبر كان، وقد تقدم لك ذلك، ومثله ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله﴾ [الأحزاب: ٤٠] الثاني: أنه خبر لكان مضمرة تقديره: ولكن كان تصديق، وإليه ذهب الكسائي، والفراء، وابن سعدان، والزجاج. وهذا كالذي قبله في المعنى. الثالث: أنه منصوب على المفعول من أجله بفعل مقدر أي وما كان هذا القرآن أن يفترى ولكن أنزل للتصديق. والرابع: أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر أيضاً والتقدير: ولكن يصدق تصديق الذي بين يديه من الكتب اهـ سمين.

قوله: ﴿بين يديه﴾ أي أمامه أي قبله من الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء قبله أي مصداقاً لها وموافقاً لها اهـ أبو السعود.

قوله: (تبيين ما كتبه الله) أي في اللوح المحفوظ. قوله: ﴿لا رب فيه﴾ فيه أوجه، أحدها: أن يكون حالاً من الكتاب، وصح مجيء الحال من المضاف إليه لأنه مفعول في المعنى، والمعنى وتفصيل الكتاب متفقاً عنه الرب. والثاني: أنه مستأنف فلا محل له من الإعراب. والثالث: أنه معترض بين تصديق وبين من رب العالمين، والتقدير: ولكن تصديق الذي بين يديه من رب العالمين. قال الزمخشري: فإن قلت بـم اتصل قوله ﴿لا رب فيه من رب العالمين﴾؟ قلت: هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قيل: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً متفقاً عنه الرب كائناً من رب العالمين، ويجوز أن يراد ولكن كلن تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً من لا رب فيه في ذلك، فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل، ويكون لا رب فيه اعتراضاً كما تقول: زيد لا شك فيه كريمة اهـ سمين.

قوله: ﴿من رب العالمين﴾ يجوز فيه أوجه.

أحدها: أن يكون متعلقاً بتصديق أو بتفصيل، وتكون المسألة من باب التنازع إذ يصح أن يتعلق بكل من العاملين من جهة المعنى.

الوجه الثاني: أن من رب العالمين حال ثانية. الثالث: أنه متعلق بذلك الفعل المقدر أي أنزل للتصديق من رب العالمين اهـ سمين. قوله: (وقرئ) أي شاذاً.

قوله: (بل) ﴿أيقولون﴾ بل للإضراب الانتقالي والهمزة لإنكار الواقع واستبعاد أي هذا القول منهم في غاية البعد والشناعة. وفي الكرخي قوله: أم بل أيقولون إشارة إلى أن أم منقطعة مقدرة ببل، والهمزة عند سيبويه وأتباعه وعليه، فهو انتقال عن الكلام الأول وأخذ في إنكار قول آخر، ويجوز أن تكون متصلة ولا بد حينئذ من حذف جملة ليصح التعادل. والتقدير أيقرون به أم يقولون الخ اهـ.

قوله: ﴿قُلْ فَأَنَّا بِسُورَةِ مِثْلِهِ﴾ أي قل تبكيتاً لهم وإظهاراً لبطلان مقالاتهم الفاسدة أي: إن كان الأمر كما تقولون فأتوا اهـ شيخنا.

﴿وَادْعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك، قال تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾ أي القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانْظُرْ﴾

وفي السمين: قل فأتوا جواب شرط مقدر. قال الزمخشري: تقديره قل إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا أنتم على وجه الافتراء بسورة مثله اهـ.

قوله: (وفي الفصاحة والبلاغة الخ) عبارة الخطيب: فأتوا بسورة مثله في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم، فأنتم عرب مثله في البلاغة والفطنة، فإن قيل: هل يتناول ذلك جميع السور الصغار والكبار أو يختص بالسور الكبار؟ أجيب: بأن هذه الآية في سورة يونس وهي مكية، فيكون المراد مثل هذه السورة لأنه أقرب ما يمكن أن يشار إليه. هكذا أجاب الرازي، والأولى التناول لجميع السور فإنهم لا يقدرون أن يأتوا بأقصر سورة.

تنبيه: مراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن أربعة.

أولها: أنه تحداهم بكل القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثانيها: أنه تحداهم بعشر سور قال تعالى: ﴿قُلْ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ [هود: ١٣].

ثالثها: أنه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى: ﴿قُلْ فأتوا بسورة مثله﴾.

رابعها: أنه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ [الطور: ٣٤] فهذا مجموع الدلائل التي ذكر الله في إثبات أن القرآن معجز، ثم إن الله تعالى ذكر السبب الذي لأجله كذبوا بالقرآن فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ الخ.

قوله: (للإعانة عليه) أي الإتيان. قوله: ﴿مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ﴾ أي من آلهتكم التي تزعمون أنها ممددة لكم في المهمات والملمات أو من سائر خلق الله كما في الخازن، وقوله: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ متعلق بادعوا، ودون جار مجرى أداة الاستثناء أي ادعوا سواه تعالى ممن استطعتم من خلقه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي في أنني افتريته، فإن ذلك مستلزم لإمكان الإتيان بمثله وهو أيضاً مستلزم لقدرتكم عليه، والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عطف على الصلة أو حال من الموصول أو من فاعل كذبوا. أي: ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه، والتعبير عن ذلك بإتيان التأويل للإشعار بأن تأويله متوجه إلى الأذهان منساق إليها بنفسه، أو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى يتبين أنه صدق أم كذب، والمعنى أن القرآن معجز من جهة النظم ومن جهة المعنى من حيث الإخبار بالغيوب، وهم قد فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه أو ينتظروا وقوع ما أخبر به من الأمور المستقبلية، ونفي إتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع، فإن الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع

كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَقْلَمُ وَالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم ﴿وَلَنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ لهم ﴿لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي لكل جزاء عمله

إتيانه أفحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقاً. والمعنى: أنه كان يجب عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا اهـ أبو السعود.

قوله: (من الوعيد) أي متعلق الوعيد وهو العذاب الموعود به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كذلك﴾ (التكذيب) أشار إلى أن كذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك التكذيب كذبوا وسلمهم أي قبل النظر والتدبر اهـ كرخي.

قوله: ﴿فانظر كيف كان﴾ الخ في قوة قوله فاهلكناهم، وكيف خبر لكان والاستفهام متعلق للنظر. قال ابن عطية: قال الزجاج: كيف في موضع نصب على أنه خبر كان، ولا يجوز أن يعمل فيها انظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه اهـ سمين.

قوله: (أي أهل مكة) أي المكذبين من يؤمن به، أي سيؤمن به في المستقبل بالنظر لتزول هذه الآية. والمعنى: أن أهل مكة المكذبين للقرآن انقسموا قسمين: قسم آمن بعد، وقسم لم يؤمن اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق، ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن كفره، ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غياوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر اهـ.

قوله: ﴿وإن كذبوك﴾ أي داموا على تكذيبك فقل: لي عملي أي قل لهم تبرأ منهم، وقوله: ﴿أنتم بريئون﴾ الخ تأكيد لما أفادته لام الاختصاص من عدم تعدي أجر العمل إلى غير عامله أي: لا تؤاخذون بعلمي ولا تؤاخذ بعملكم اهـ أبو السعود.

قوله: (وهذا) أي قوله: ﴿قل لي عملي﴾ الخ منسوخ أي من حيث ما يقتضيه من المسامحة وعدم التعرض لهم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ولما فيه من إبهام الإعراض عنهم وتولية سبيلهم. قيل: إنه منسوخ بآية السيف اهـ.

وأشار بقوله قيل إلى ضعفه، فإن مدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمراتها من الثواب والعقاب ولم ترفعه آية السيف بل هو باق اهـ شهاب.

وفي الخازن: وقال مقاتل، والكلبي: هذه الآية منسوخة بآية السيف. قال الإمام فخر الدين الرازي: وهو بعيد لأن شرط النسخ أن يكون رافعاً لحكم المنسوخ، ومدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب، وآية القتال ما رفعت شيئاً من مدلولات هذه الآية، فكان القول بالنسخ باطلاً اهـ.

﴿أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا فَعَلْتُمْ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُ الصَّمَمَ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ يتدبرون ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى

قوله: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ الخ بيان لكون قلوبهم قد طبع عليها بحيث لا سبيل فيها إلى الإيمان اهـ أبو السعود.

وفي هذا تسلية للنبي ﷺ حيث يقول الله عز وجل له: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، ولا تقدر أن تهدي من سلبته البصر، ولا تقدر أن توفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن اهـ خازن.

قوله: ﴿من يستمعون﴾ مبتدأ وخبره الجار قبله وأعاد الضمير جمعاً مراعاة لمعنى من، والأكثر مراعاة لفظه كقوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ قال ابن عطية: جاء ينظر على لفظ من، وإذا جاء على لفظها فجائز أن يعطف عليه آخر على المعنى، وإذا جاء أولاً على معناها فلا يجوز أن يعطف آخر على اللفظ، لأن الكلام يلبس حينئذ: قال الشيخ: وليس كما قال، بل يجوز أن يراعى المعنى أولاً فيعاد الضمير على حسب ما يراد من المعنى من تأنيث وتثنية وجمع، ثم يراعى اللفظ فيعاد الضمير مفرداً مذكراً، وفي ذلك تفصيل ذكر في كتب النحو. قلت: وقد تقدم تحريره أول البقرة اهـ سمين.

قوله: ﴿أفأنت تسمع الصمم﴾ استفهام إنكار والفاء عاطفة، ففي هذا التركيب الوجهان المشهوران من اعتبار الحذف للمعطوف عليه أو اعتبار التقديم والتأخير اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿أفأنت تسمع الصمم﴾ أي تقدر على إسماعهم ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾: أي: ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم، وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه، ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مريضة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلف والتقليد تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناق اهـ.

قوله: ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ أي ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم، لأن الأصم العاقل ربما تفرس إذا وصل إلى صماخه صوت ففهم بخلاف ما إذا اجتمع فيه فقد السمع والعقل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي يعاين دلائل صدقك. قوله: ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي لا يستبصرون بقلوبهم أي لا يستبصرون ولا يتأملون ولا يعتبرون، ولا يصح حمله على نفي البصر بالعين لثلا ينافي قوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ فإنه يدل على ثبوت البصر لهم اهـ من البيضاوي وحواشيه.

قوله: ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة، فإن المقصود من الإبصار الاعتبار والاستبصار، والعمدة في ذلك هو البصيرة، فلذلك يحسن الأعمى المستبصر ما لا يحسنه البصير الأحق، فحيث اجتمع فيهم الحق والعمى، فقد انسد عليهم باب الهدى، وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله: ﴿أفأنت تسمع الصمم﴾، وقوله: ﴿أفأنت تهدي العمى﴾ عليه وكل

القلوب التي في الصدور ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ

منهما معطوف على جملة مقدرة مقابلة لها. وكلتاها في موضع الحال من مفعول الفعل السابق أي: أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون، ولو كانوا لا يعقلون أفأنت تهدي العمي لو كانوا يبصرون، ولو كانوا لا يبصرون أي لا تسمعهم ولا تهديهم على كل حال مفروض اهـ أبو السعود.

قوله: (بل أعظم) أي بل هم أعظم. إذ هم فاقدون للبصيرة والمشي بهم فاقدون للبصر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ أي يسلب حواسهم وعقولهم، ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بإفسادها وتفويت منافعها عليها اهـ بياضوي.

وعبرة الخازن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ الآية لما حكم الله عز وجل على أهل الشقاوة بالشقاوة لقضائه، وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم ما كان ذلك ظلماً منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده، وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالماً، وإنما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون، لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب، وإن كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم اهـ.

قوله: ﴿شَيْئًا﴾ يجوز أن يكون منصوباً على المصدر أي شيئاً من الظلم قليلاً ولا كثيراً، وأن يكون منصوباً مفعولاً ثانياً لَيَظْلِمُ بمعنى لا ينقص الناس شيئاً من أعمالهم اهـ سمين.

قوله: ﴿ولكن الناس﴾ قرأ الأخوان بتخفيف لكن، ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين وصلاً، ورفع الناس والباقون بالتشديد ونصب الناس، وتقدم توجيه ذلك في البقرة اهـ سمين.

قوله: ﴿أنفسهم﴾ كالتأكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ [الزخرف: ٤٦] في قصر الظالمية عليهم، أو مفعول مقدم لمجرد الاهتمام مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم، فيكون كما في قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ [هود: ١٠١] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ أي المشركين المنكرين للبعث، والمراد بالحشر بالبعث وهو الإحياء من القبور بدليل قول الشارح إذا بعثوا، وترك الشارح إعراب هذا الظرف لأنه يعلم من كلامه الآتي في الجملة حيث قال: والجملة حال مقدرة، وعلى هذا يكون الظرف معمولاً لمحذوف أي: أذكر لهم وأنذرهم يوم نحشرهم، وقوله: أو متعلق الظرف أي العامل فيه، وعلى هذا يكون منصوباً بـيَتَعَارَفُونَ، ويكون الكلام جملة واحدة، ويكون التقدير هكذا: ويتعارفون بينهم يوم نحشرهم اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ منصوب على الظرف وفي ناصبه أوجه، أحدها: أنه منصوب بالفعل الذي تضمنه قوله ﴿كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا﴾. الثاني: أنه منصوب بـيَتَعَارَفُونَ. الثالث: أن منصوب بمقدر أي أذكر يوم، وقرأ الأعمش يحشرهم بياء الغيبة والضمير لله تعالى لتقدم اسمه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ الخ اهـ.



كَانَ أَي كَانَهُمْ ﴿لَوْ يَتَّبِعُونَ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال،

وحقيقة الحشر جمع الناس في الموقف، وحقيقة البعث إحيائهم من القبور أي يصيرهم أحياء، والتعارف يقع في الحشر الذي هو الاجتماع أي في ابتدائه، وينقطع في أثنائه لشدة الأهوال ويشغل كل نفسه. وأما البعث فلا تعارف فيه لعدم الاجتماع الذي هو لازمه، وحينئذ فقول الشارح حال مقدرة صحيح على تفسير الشارح الحشر بالبعث كما صنعه الشارح حيث قال: إذا بعثوا إذ التعارف في حالة البعث مقدر ومتنظر لا حاصل بالفعل، لأنه إنما يقع في المحشر كما علمت، وهذا أحد وجهين في المقام ذكره البيضاوي وأبو البقاء. وغالب المفسرين على خلافه وهو تفسير الحشر بالبعث من القبور، وجعل الحال مقارنة بمعنى أن التعارف يقع حال خروجهم من قبورهم، ثم ينقطع عند الاجتماع في المحشر، وجرى على هذا أبو السعود والخازن والقرطبي، ونص الأول يتعارفون بينهم أي يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلاً، وذلك أول ما خرجوا من القبور. إذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف بسبب شدة الأهوال المدهشة واعتراء الأحوال المعضلة المغيرة للصور والأشكال المبدلة لها من حال إلى حال اهـ.

قوله: ﴿كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا﴾ جملة حالية من الهاء في نحشرهم أي نحشرهم حال كونهم مشبهين بأنفسهم إذ لم يمكثوا في الدنيا أو القبور إلا زمناً قليلاً أي: أنهم في حشرهم بعد طول الزمان عليهم في الدنيا أو في القبور مشبهون بأنفسهم على فرض أنهم مكثوا في الدنيا أو في القبور زمناً يسيراً. والمقصود من هذا التشبيه كما قاله أبو السعود بيان كمال سهولة الحشر بالنسبة إليه تعالى، ولو بعد دهر طويل وإظهار بطلان استبعادهم وإنكارهم له بقوله: ﴿أَنَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَا لِمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] ونحو ذلك أو بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الأشكال والصور، فإن اللبث اليسير يلزمه عدم التبدل والتغير، فيكون قوله ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ بياناً وتقريراً له، لأن التعارف يبعد مع طول العهد. والمراد بالساعة الزمن القليل، فإنها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار، لأن ساعاته أعرف حالاً من ساعات الليل اهـ شيخنا.

قوله: (لهول ما رأوا) أي فبالنظر إليه يعد الزمن السابق عليه يسيراً وإن كان طويلاً، لأن زمن الراحة ولو طال قليل في جانب زمن التعب ولو قصر، وهذا ظاهر في كون المراد اللبث في الدنيا. وأما إذا كان المراد اللبث في القبور فظاهر أيضاً، لأن عذاب القبور بالنسبة إليهم أخف مما يروونه في القيامة فكأنهم في القبور بالنسبة لعذاب القيامة غير معذبين اهـ شيخنا.

قوله: (إذا بعثوا) قصد بهذا دفع المنافاة بين ما هنا وقوله: فلا أنساب بينهم الخ. وقوله: ولا يسأل حميم حميماً الخ، وحاصل الدفع الحمل على زمانين مختلفين اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وقيل يبقى تعارف التوبيخ وهو الصحيح لقوله تعالى: ﴿لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: ٣١] الآية، وقوله تعالى: ﴿كَلِمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: ٣٨] الآية، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧] الآية اهـ.

والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزملة ﴿نَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْتَمُ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ تَوَفِّيكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَلْيَلِغْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾

قوله: (والجملة حال) أي من الواو في يلبثوا فتكون من الحال المتداخلة أو من الضمير في نحشرهم فتكون مترادفة اهـ سمين.

قوله: (حال مقدرة) أي حال كونهم مقدرين التعارف لا أنهم متعارفون بالفعل، وهذا لا يصح إلا لو أريد بالحشر اجتماعهم في الموقف مع أنه فسر بالبعث بقوله: إذا بعثوا وحيتل متعارفون بالفعل. فما أن يراد بالبعث في كلامه الاجتماع في الموقف فيصح التقدير أو يراد حقيقته فلا يصح التقدير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قد خسر الذين﴾ الخ شهادة من الله على خسرانهم وتعجب منه اهـ أبو السعود. وفي السمين قوله: ﴿قد خسر الذين﴾ الخ فيه وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة أخبر تعالى أن المكذبين بلقاءه خاسرون، ولذلك أتى بحرف التحقيق. والثاني: أن تكون في محل نصب بإضمار قول أي قائلين قد خسر الذين كذبوا ثم لك في هذا القول المقدر وجهان، أحدهما: أنه حال من مفعول نحشرهم أي نحشرهم قائلين ذلك، والثاني: أنه حال من فاعل يتعارفون اهـ.

قوله: ﴿وما كانوا مهتدين﴾ يجوز فيها وجهان، أحدهما: أن تكون معطوفة على قوله: ﴿قد خسر﴾ فيكون حكمها حكمه. والثاني: أن تكون معطوفة على صلة الذين وهي كالجملة التي وقعت صلة، لأن من كذب بقاء الله غير مهتد اهـ سمين. قوله: ﴿وما نريك﴾ إما هذه قد تقدم الكلام عليها مستوفي، وقال ابن عطية: ولا أجلها أي لأجل زيادة ما جاز دخول النون الثقيلة، ولو كانت إن وحدها لم يجز يعني أن توكيد الفعل بالنون مشروط بزيادة ما بعد إن وهو مخالف لظاهر كلام نيبويه اهـ سمين.

ورأى بصرية متعددة لمفعولين لأنه مضارع أرى بالهمزة المعدية وهو بمعنى الماضي كأنه قيل: إن أريناك بعض العذاب الذي نعدم به بأن نجعله لهم في الدنيا، فذاك هو المراد أو فذلك ظاهر، وإن توفيتك قبل نزول العذاب بهم فلا يفوتهم بل ننزله بهم في الآخرة كما استفيد من قوله ﴿فاليينا مرجعهم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (من العذاب) بيان للبعض وقوله: في حياتك متعلق بالعذاب. قوله: ﴿فاليينا مرجعهم﴾ مبتدأ وخبر وفيه وجهان، أظهرهما: أنه جواب للشرط وما عطف عليه إذ معناه صالح لذلك وإلى هذا ذهب الحوفي وابن عطية. والثاني: أنه جواب لقوله: ﴿أو توفيتك﴾ وجواب الأول محذوف قال الزمخشري: كأنه قيل: ﴿وما نريك بعض الذي نعدم﴾ فذاك أو توفيتك قبل أن نريك فنحن نريك في الآخرة. قال الشيخ: فجعل الزمخشري في الكلام شرطين لهما جوابان، ولا حاجة إلى جواب محذوف لأن قوله ﴿فاليينا مرجعهم﴾ صالح لأن يكون جواباً للشرط والمعطوف عليه اهـ سمين.

قوله: ﴿ثم الله شهيد﴾ ثم هنا ليست للترتيب الزمني، بل هي لترتيب الإخبار لا لترتيب القصص

مطلع ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب ﴿وَلِكُلِّ أَتَّو﴾ من الأمم ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿فَضَىٰ بَيْنَهُمُ الْقَسِطُ﴾ بالعدل فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَمَنْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أَتَّو أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا

في نفسها. قال أبو البقاء: كقولك زيد عالم ثم هو كريم، وقال الزمخشري: فإن قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين، فما معنى ثم؟ قلت: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قيل: ثم الله معاقب على ما تفعلون اهـ سمين.

قوله: (فكذبوه) أي فكذب بعضهم وصدقه بعضهم، فلا بد من هذا المقدر ليصح قوله: وينجي الرسول ومن صدقه، وينجي بالبناء للمفعول مخففاً من أنجاه رباعياً ومن نجاه بالتحليل كما في المصباح.

قوله أيضاً: (فكذبوه) أشار به إلى أن في الكلام إضمماراً، والمراد من الآية إما بيان أن الرسول إذا بعث إلى كل أمة فإنه بالتبليغ وإقامة الحجة يزيح عنهم ولم يبق لهم عذر، فيكون ما يعذبون به في الآخرة عدلاً لا ظلماً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ﴾ [النساء: ١٦٥] اهـ كرخي.

قوله: (بتعذيبهم بغير جرم) المراد لا يظلمون بالعذاب الذي ينزل بهم، لأنه مرتب على ذنوبهم، والظلم إنما هو التعذيب من غير ذنب، فلو قال بتعذيبهم لأنه بجرمهم لكان أوضح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني هؤلاء الكفار متى هذا الوعد أي الذي تعدنا به يا محمد اهـ خازن.

أي متى حصول مقتضاه أي يقولون ذلك استعجالاً للعذاب الذي وعدوا به على طريق الاستهزاء والإنكار حسبما يرشد إليه الجواب لا طلباً لتعيين وقت مجيئه على وجه الإلزام، كما في سورة الملك، فإن المطلوب هناك تعيين الوقت. وعبارة الجلال هناك: ويقولون متى هذا الوعد وعد الحشر إن كنتم صادقين فيه قل: إنما العلم بمجيئه عند الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ خطاب للنبي والمؤمنين. قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه استثناء متصل تقديره إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه. والثاني أنه منقطع، وقال الزمخشري: وهو امتثناء منقطع أي: ولكن ما شاء الله من ذلك فأني أملك لكم الضر وأجلب العذاب اهـ سمين.

قوله: ﴿لِكُلِّ أمة أَجَلٌ﴾ هذا من جملة القول بالمأمور به فهو جواب آخر عن استعجالهم أي لأنه إذا كان الأجل معيناً ومقدراً في علم الله ومجيئه محتتم، فلا وجه لاستعجالهم مجيئه، والأجل يطلق على مدة العمر وعلى آخر جزء منه، والمراد هنا الثاني كما يؤخذ من التفاسير اهـ شيخنا.

جَاءَ الْجَهَنَّمُ فَلَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿٥٩﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ يتقدمون عليه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني  
﴿إِنْ أَتَيْنَاكُمْ عَذَابًا﴾ أي الله ﴿يَنَّتَا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعِجِلُونَ﴾ أي العذاب  
﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ المشركون فيه، وضع الظاهر موضع المضمهر، وجملة الاستفهام جواب الشرط

وفي أبي السعود إن جعل الأجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر، وإن أريد به  
ما امتد إليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه إذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه اهـ.

قوله: ﴿فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أشار الشارح إلى أن السنين فيهما زائدة.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي قل للذين يستعجلون العذاب أرايتم إن أتاكم الخ. وتقدم الكلام في  
سورة الأنعام على أرايتم وقررنا هناك أن العرب تضمن أرايت معنى أخبرني، وأنها تتعدى إذ ذاك إلى  
مفعولين، وأن المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر، كقول  
العرب: أرايت زيداً ما صنع، والمعنى أخبرني عن زيد ما صنع إذا تقرر هذا فأرايتم هنا المفعول الأول  
لها محذوف، ولا يصح أن تقع جملة الشرط موقعه، والمسألة من باب التنازع تنازع أرايتم وإن أتاكم  
في قوله: ﴿عَذَابُهُ﴾. وأعمال الثاني إذ هو المختار على مذهب البصريين، وهو الذي ورد به السماع  
أكثر من إعمال الأول، فلما أعمل الثاني حذف من الأول ولم يضر، لأن إضماره يخص بالشعر أو هو  
قليل في الكلام على اختلاف النحويين في ذلك، والمعنى قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله إن  
أتاكم أي شيء تستعجلون منه، وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل، إذ العذاب كله من المذاق  
موجب لنفار الطبع منه، فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم والتنبية لهم على العذاب  
لا ينبغي أن يستعجل، ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتحويل للعذاب. أي أي  
شيء شديد تستعجلون منه أي: ما أشد وما أهول ما تستعجلون من العذاب اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿مَّاذَا﴾ مبتدأ بمعنى أي شيء، كما قال الشارح فذا ملغاة في الكلام أي ركبت مع ما  
وصارا اسماً واحداً مقصوداً به الاستفهام، وجملة يستعجل الخ خبر، والرباط محذوف وتقديره  
يستعجله وقوله: منه في موضع الحال، ولا يصح أن يكون هو الرابط لأنه عائده على العذاب بجملته،  
ومآذا عبارة عن أي نوع وأي فرد منه اهـ شيخنا.

قوله: (موضع المضمهر) وهو الواو التي مع تاء الخطاب، فحق المقام أن يقال ماذا تستعجلون  
وسر العدول عنه كما قاله أبو حيان التنبية على الوصف الموجب لترك الاستعجال، وهو الإجماع لأن  
من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه، وأن يهلك فزعاً من مجيئه، وإن أبطأ فكيف يستعجله  
اهـ شيخنا.

قوله: (وجملة الاستفهام جواب الشرط) أي على تقدير الفاء لأن الجملة اسمية اهـ أبو السعود.

أي والجملة الشرطية متعلقة بأرايتم، والمعنى أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى أي شيء  
تستعجلونه منه، أي لا يمكن استعجاله بعد مجيئه إذ الشيء بعد إتيانه يستحيل استعجاله. والمراد بهذا  
الكلام المبالغة في إنكار استعجالهم له لإخراجه عن حيز الإمكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله  
عند إتيانه بناء على تنزيل تقرر إتيانه ودنوه منزلة إتيانه حقيقة، وهذا الإنكار بمنزلة من قال لعريمة الذي

كقولك إذا أتيتك ماذا تعطيني، والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه ﴿أَتُرِيدُ إِذَا مَأْوَعٌ﴾ حل بكم ﴿ءَأَمْتُمْ بِهِ﴾ أي الله أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال لكم ﴿ءَأَلَقْنَا﴾ تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي

يتقاضاه حقه أرأيت إن أعطيتك فماذا تطلب مني، يريد المبالغة في إنكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الإعطاء اهـ أبو السعود.

قوله: (والمراد به) أي الاستفهام. وقوله: أي ما أعظم ما استعجلوه أي النوع الذي استعجلوه عظيم فظيع فلا يليق استعجاله، بل ينبغي التباعد عنه، وكأنه راعى الإظهار في الآية وإلا فكان يقول ما استعجلتموه اهـ شيخنا.

قوله: (لإنكار التأخير) أي المفاد بشم، فهذا يقتضي أن الهمزة داخلة على ثم وليست مقدمة من تأخير، كما هو أحد المذهبين بل هي باقية في مركزها وعلى هذا فالتقدير أخرتم ثم أمتمم به إذ وقع أي أخرتم الإيمان بالله أو بالعذاب إلى حين وقوع العذاب. أي: لا ينبغي هذا التأخير ولا يصح ولا يليق، لأن الإيمان في هذه الحالة غير نافع وغير مقبول اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: أي أبعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة أمتمم به حين لا ينفعكم الإيمان إنكاراً لتأخيره إلى هذا الحد وإيداناً باستتباعه للندم والحسرة ليقبلوا عما هم عليه من العناد، ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوات الوقت، فتقديم الظرف للقصر اهـ.

قوله: (فلا يقبل منكم) أي الإيمان في هذه الحالة. قوله: (ويقال لكم) ﴿الآن﴾ (تؤمنون) أشار به إلى أن الناصب لقوله الآن محذوف وهو تؤمنون وأن الفعل المقدر ومعموله على إضمار القول وهو يقال لكم أي إذا أمتمم الآن، والدال على الفعل المقدر قوله إذا ما وقع أمتمم به قالوا: ولا يجوز أن يعمل فيه أمتمم الظاهر، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله لأن له صدر الكلام اهـ كرخي.

قوله: ﴿الآن﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره الشارح، وقوله: ﴿وقد كنتم﴾ الخ حال من هذه الواو التي في المحذوف، وقوله: استهزاء معمول لتستعجلون، وآلان بهمزتين الأولى همزة الاستفهام، والثانية همزة آل المعرفة، وإذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب في الثانية أحد أمرين تسهيلها من غير ألف بينها وبين الأولى وإبدالها مدّاً بقدر ثلاث ألفات على حد قول ابن مالك:

همـز آل كـذا ويـدل مدّاً فـي الاستفهام أو يسهل  
وقد وقع في القرآن من هذا القبيل ستة مواضع: اثنان في الأنعام وهما المذكوران مرتين، وثلاثة في هذه السورة لفظ آلان هنا وفيما سيأتي، ولفظ الله أذن لكم، وواحد في النمل الله، خير، فلا يجوز في هذه المواضع الستة تحقيق الهمزتين، بل يجب أحد الأمرين الذين قد عرفتهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ جملة حالية. قال الزمخشري: ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ يعني تكذبون، لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار. قلت: فجعله من باب الكناية لأنها دلالة الشيء بلازمه. نحو: هو طويل النجاد كنيته به عن طول قامته، لأن طول نجاهه لازم لطول قامته، وهو باب بليغ اهـ سمين.

الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿يَمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَيَسْتَنْبِثُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِي﴾ نعم ﴿وَرَبِّيَ أَحَقُّ بِمَا آتَيْتُمْ وَمَا آتَيْتُمْ بِمُعْجِزَةٍ﴾ بفائتين العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ قَفْصٍ ظِلْمَةً﴾ كفرت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ جميعاً من الأموال

قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ استئناف إخبار عما يقال لهم يوم القيامة. أي: قيل لهم على لسان ملائكة العذاب اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ الواو مفعول أول أقيمت مقام الفاعل، والثاني قدره الشارح بقوله جزاء اهـ شيخنا.

وهذا غير صحيح والصحيح أن المفعول الثاني هو الجار والمجرور، وأن الذي قدره الشارح مفعول مطلق. وعبرة السمين: إلا بما كنتم هو المفعول الثاني لتجزون، والأول قائم مقام الفاعل وهو استثناء مفرغ اهـ.

قوله: ﴿وَيَسْتَنْبِثُونَكَ﴾ أي المستعجلون للعذاب أحق هو حق مبتدأ وهو خبر أو بالعكس، أو هو فاعل بحق أعراب، وجملة أحق هو في موضع المفعول الثاني له اهـ كرخي.

وأصل يستنبثونك أن يتعدى إلى واحد بنفسه، وإلى الآخر بحرف الجر. تقول: استنبأت زيداً عن عمرو أي: طلبت منه أن يخبرني عن عمرو، فاستفعل هنا للطلب، والمفعول الأول كاف الخطاب، والمفعول الثاني الجملة من قوله ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ على سبيل التعليق اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿قُلْ إِي﴾ أي قل لهم في الجواب هذه الأمور الثلاثة إِي ورَبِّيَ إنه لحق وما أنتم بمعجزين، فقوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ عطف على إِي فهو من مقول القول، ويصح أن يكون معطوفاً على جواب القسم فلا محل له من الإعراب، وإِي من حروف الجواب بمعنى نعم، كما قال الشارح لكن لا يجاب بها إلا مع القسم خاصة اهـ من أبي السعود.

ومنه قول الناس في الجواب: إِي والله، وقولهم: أيوه فالواو للقسم والهاء مأخوذة من الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يجوز أن تكون الحجازية وأن تكون التميمية لخفاء النصب أو الرفع في الخبر، وهذا عند غير الفارسي وأتباعه أعني جواز زيادة الباء في خبر التميمية. وهذه الجملة تحتمل وجهين، أحدهما: أن تكون معطوفة على جواب القسم، فيكون قد أجاب القسم بجمليتين، أحدهما مثبتة مؤكدة بأن واللام، والأخرى منفية مؤكدة بزيادة الباء. والثاني: أنها مستأنفة سبقت للإخبار بمعجزهم عن التعجيز ومعجز من أعجز فهو متعد لواحد كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢] فالمفعول هنا محذوف أي بمعجزين الله اهـ سمين.

قوله: (بفائتين العذاب) أي بل هو مدركم ولا بد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ﴾ الخ لو هنا امتناعية على ما هو الكثير فيها، والمعنى امتنع اقتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تقدى به، وهو جميع ما في الأرض من الأموال اهـ شيخنا.

﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أي أخفاها رؤسائهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافة التعبير ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ شيئاً ﴿إِلَّا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الْإِنِّ وَعَدَ اللَّهُ ﴿بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ﴾ حَقٌّ ﴿ثَابِتٌ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴿أَيُّ النَّاسِ﴾ لَا يَعْلَمُونَ ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ﴾

قوله: ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ افتدى يجوز أن يكون متعدياً وأن يكون قاصراً، فإذا كان مطاوعاً لمتعد كان قاصراً تقول: فديته فافتدى، وإن لم يكن مطاوعاً يكون بمعنى فدى فيتعدى لواحد، والفعل هنا يحتمل الوجهين. فإن جعلناه متعدياً فمفعوله محذوف تقديره لافتدت به نفسها وهو من المجاز كقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادَلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَسْرُوا﴾ أي النفوس المدلول عليها بكل نفس، وإن كان المراد خصوص الرؤساء منهم اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ قيل: أسر من الأضداد يستعمل بمعنى أظهر ويستعمل بمعنى أخفى وهو المشهور في اللغة كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ [النحل: ٢٣] وهو في الآية يحتمل الوجهين. وقيل: إنه ماض على بابه قد وقع، وقيل بل هو بمعنى المستقبل، ولما رأوا يجوز أن تكون حرفاً وجوابها محذوف لدلالة ما تقدم عليه إذ هو المتقدم عند من يرى تقديم جواب الشرط جائزاً، ويجوز أن تكون بمعنى حين والناصب لها أسروا اهـ سمين.

قوله: (مخافة التعبير) أي مخافة أن يعيرهم ويوبخهم الضعفاء الذين اتبعوهم في الدنيا فأضلّوهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً وهو الظاهر، ويجوز أن يكون معطوفاً على رأوا فيكون داخلًا في حيز لما، والضمير في بينهم يعود على كل نفس في المعنى. وقال الزمخشري: بين الظالمين والمظلومين دلّ على ذلك ذكر الظلم. وقال بعضهم: إنه يعود على الرؤساء والأتباع اهـ سمين.

قوله: ﴿إِلَّا إِنَّ اللَّهَ﴾ ألا أداة تنبيه اهـ أبو السعود.

قيل: وتعلق هذه الآية بما قبلها من جهة أنه فرض أن النفس الظالمة لو كان لها ما في الأرض لافتدت به وهي لا شيء لها البتة، لأن جميع الأشياء إنما هي بأسرها ملك لله تعالى اهـ أبو حيان.

وفي أبي السعود: وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقيق مضمونها المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضار المحافظة عليه اهـ.

قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ (ذلك) أي لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم، فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون اهـ أبو السعود.

وقوله: (ذلك) أي المذكور من الأمرين ملك ما في السموات والأرض وحقية وعده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هُوَ يَحْيِي﴾ أي في الدنيا اهـ.

ثُمَّ مَوَّعَتْ ﴿٥٦﴾ فِي الْآخِرَةِ فَيَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أَي أَهْل مَكَّةَ ﴿فَدَسَّجَا تَكُم مَّوَّعَةً مِّن رَّزْقِكُمْ﴾ كِتَاب فِيهِ مَا لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿وَشَفَاءٌ﴾ دَوَاءٌ ﴿لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ مِنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالشُّكُوكِ ﴿وَهْدًى﴾ مِنَ الضَّلَالِ ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ بِهٖ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الْإِسْلَامِ

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ الْخ﴾ التفات ورجوع إلى استمالتهم عقب تحذيرهم من غوائل الضلال اهـ أبو السعود.

وهذا شروع في بيان أدلة الرسالة بعد بيان أدلة التوحيد بقوله: ﴿قُلْ مِّن يَّرْزُقِكُمْ﴾ [يونس: ٣١] الخ. وقوله: (أي أهل مكة) الصحيح أن المراد عموم المكلفين كما في الخازن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قَدْ جَاء تَكُم مَّوَّعَةً﴾ هي التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب اهـ أبو السعود.

فلذلك قال الشارح فيه ما لكم وعليكم، فالأول من قبيل الترغيب، والثاني من قبيل الترهيب اهـ شيخنا.

وفي زاده: الموعظة مصدر بمعنى الوعظ، وهو إرشاد المكلف ببيان ما ينفعه من محاسن الأعمال وما يضره من القبائح والترغيب في المحاسن والزجر عن القبائح اهـ.

قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يجوز أن تكون لافتداء الغاية فتتعلق حينئذ بجاء تكم وابتداء الغاية مجاز، ويجوز أن تكون للتبعض فتتعلق بمحذوف على أنها صفة لموعظة أي موعظة كائنة من مواعظ ربكم، وقوله: ﴿مَّوَّعَةً مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ﴾ ﴿وَهْدًى وَرَحْمَةً﴾ من باب ما عطف فيه الصفات بعضها على بعض. أي: ﴿قَدْ جَاء تَكُم مَّوَّعَةً﴾ جامعة لهذه الأشياء كلها وشفاء هو في الأصل مصدر جعل وصفاً مبالغة أو هو اسم لما يشفى به أو يتداوى، فهو كالذواء لما يداوى به، ولما في الطدور يجوز أن يكون صفة لشفاء فيتعلق بمحذوف، وأن تكون اللام زائدة في المفعول لأن العامل فرع إذا قلنا بأنه مصدر اهـ سمين.

قوله: ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (به) أي بانجائهم من الضلالة نزل بالعطف تغاير الصفات منزلة تغاير الذات نحو:

إلى السيد القرم وابن الهمام

والحاصل: أن الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء إشارة إلى تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة، وهو الطريقة والهدى إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين، وهو الحقيقة والرحمة إشارة إلى كونها بالغة في الكمال والإشراق إلى حيث تصير مكملة للنواقص وهي النبوة، فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الألفاظ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره اهـ كرخي.

قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الخ الباء متعلقة بمحذوف، وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبإرحمته، فبذلك ليفرحوا ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الحصر ثم أدخلت الفاء لإفادة معنى السببية



﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ القرآن ﴿مِذْلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالياء والتاء ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَّا أُنزِلَ اللَّهُ﴾ خلق ﴿لَكُمْ مِّنْ رِّزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحريم لا ﴿أَمْرٌ﴾ بل ﴿عَلَىٰ﴾

فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا، ثم قيل: فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير، ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية اهـ أبو السعود.

وفي السمين: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ متعلق بمحذوف تقديره بفضل الله وبرحمته ليفرحوا بذلك فليفرحوا، فحذف اللفظ الأول لدلالة الثاني عليه فهما جملتان. ويدل على ذلك قول الزمخشري أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه. وفي هاتين الفاءين أوجه، أحدها: أن الأولى زائدة وأن قوله بذلك بدل مما قبله وهو بفضل الله وبرحمته. الثاني: أن الفاء الثانية مكررة للتوكيد، فعلى هذا لا تكون الأولى زائدة، ويكون أصل الكلام بذلك فليفرحوا. الثالث: قال أبو البقاء: الفاء الأولى مرتبطة بما قبلها، والثانية بفعل محذوف تقديره فليعجبوا بذلك فليفرحوا كقولهم: زيداً فاضربه أي تعمد زيداً فاضربه اهـ.

قوله: (بالياء والتاء) أي في تجمعون قراءتان سبعيتان، وأما فليفرحوا فبالياء التحتية لا غير عند السبعة ويقرؤه بالتاء الفوقية إلا يعقوب من العشرة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ هي بمعنى أخبروني، وقوله: ﴿مَّا أُنزِلَ﴾ يجوز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف أي ما أنزله وهي في محل نصب مفعول أول، والثاني هو الجملة من قوله: ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ والعائد من هذه الجملة على المفعول الأول محذوف تقديره الله أذن لكم فيه، واعتراض على هذا بأن قوله قل يمنع من وقوع الجملة بعده مفعولاً ثانياً. وأجيب عنه بأنه كرر توكيداً. ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة المحل بأنزل وهي حينئذٍ معلقة لأرأيتم، وإلى هذا ذهب الحوفي والزمخشري. ويجوز أن تكون ما استفهامية في محل رفع بالابتداء، والجملة من قوله ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ خبره والعائد محذوف كما أي أذن لكم فيه، وهذه الجملة الاستفهامية معلقة لأرأيتم. والظاهر من هذه الأوجه هو الوجه الأول، لأن فيه إبقاء أرأيت على بابها من تعديتها إلى اثنين وأنها مؤثرة في أولهما بخلاف جعل ما استفهامية فأنها معلقة لأرأيت وسادة مسد المفعولين اهـ سمين.

قوله: (كالبحيرة والسائبة) مثالان للحرام، وقوله: (والميتة) مثال للحلال، فقد حرموا أموراً كالبحيرة والسائبة، وأحلوا أموراً كالميتة كما تقدم بسطه في سورة الأنعام اهـ شيخنا.

قوله: (لا) جواب الاستفهام. قوله: ﴿أَمْ﴾ (بل) أشار إلى أن أم منقطعة بمعنى بل، وقد تبع فيه الكشف، والظاهر أنها متصلة كما قال السفاقي. أي: الله أذن لكم أم تكذبون عليه في نسبة الأذن إليه، وكفى به زاجراً لمن أفتى بغير إتيان، كعص فقهاء هذا الزمان وأظهر الاسم الجليل وتقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افتراءهم وتأكيداً للتبكيك اهـ كرخي.

اللَّهُ تَقَرَّبُوا ﴿٥٩﴾ تَكْذِبُونَ بِنَسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ ﴿٦٠﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴿٦١﴾ أَيُّ أَيِّ شَيْءٍ ظَنَّهُمْ بِهِ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَا يُعَاقِبُهُمْ لَا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بِأَمْهَالِهِمْ وَالْإِنْعَامَ عَلَيْهِمْ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ وَمَا تَكُونُ يَا مُحَمَّد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أَمْرٌ ﴿وَمَا تَتْلَوْنَهُ﴾ أَيُّ مَنْ الشَّأْنُ أَوْ اللَّهُ ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ ﴿وَلَا تَحْمِلُونَ﴾ خَاطِبُهُ وَأَمْتُهُ ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾

قوله: ﴿وما ظن الذين﴾ ما مبتدأ استفهامية وظن خبرها ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف لفاعله ومفعولا الظن محذوفان اهـ سمين.

وقدر الشارح جملة سادة مسددهما بقوله أنه لا يعاقبهم، فقوله أيحسبون تفسير لما وللظن، وقوله أنه لا يعاقبهم معمولي الظن. قوله: (لا) أي لا ينبغي هذا الحساب ولا صحة له بوجه من الوجوه اهـ شيخنا.

قوله: (والإنعام عليهم) أي بالعقل ليميزوا به بين الحق والباطل، والحسن والقيح وبإنزال الكتب وإرسال الرسل، فبين لهم الأسرار التي لا تستقل العقول بإدراكها وأرسلهم إلى ما يهمهم من أمور المعاش والمعاد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يشكروا﴾ أي تلك النعم الجليلة فلا يصرفون مشاعرهم إلى ما خلقت له اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في شأن﴾ أي في أمر من شأنت شأنه أي قصدت قصده فهو مصدر بمعنى المفعول اهـ أبو السعود.

وشأن: من باب نفع كما في القاموس، والشأن أصله الهمزة وقد تبدل ألفاً اهـ شهاب.

والشأن أيضاً الأمر يجمع على شؤون اهـ سمين.

قوله: ﴿وما تتلون منه﴾ على الأول تعليلية أي وما تتلون قرآناً من أجل الشأن الذي نزل بك وحدث لكون الذي تقرأوه نزل في شأنه، وعلى الثاني ابتدائية أي وما تتلون قرآناً مبتدأ من الله ونازل من عنده. وقوله: ﴿من قرآن﴾ من فيه زائدة على كلا الوجهين، فالحاصل أن الثانية زائدة ولا بد، والأولى إما تعليلية أو ابتدائية بحسب الوجهين اللذين ذكرهما الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾ استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالأفعال الثلاثة أي ما تتلبسون بشيء منها في حال من الأحوال إلا في حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اهـ أبو السعود.

وإذا كان الاستثناء راجعاً لكل من الأفعال الثلاثة كان الضمير في فيه كذلك، فقصر الشارح له على الأخير تقصير إلا أن يراد بالعمل في كلامه مطلق الفعل الشامل لكل من الأمور الثلاثة اهـ.

وفي المصباح: وشهدت على الشيء اطلعت عليه فأنا شاهد وشهيد، والجامع أشهاد وشهود مثل شريف وأشراف وقاعد وقعود اهـ.

رقباء ﴿إِذْ تُفَيِّضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بين هو اللوح المحفوظ ﴿آلَآءُكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ﴾ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة هم

قوله: ﴿إِذْ تُفَيِّضُونَ﴾ ظرف لقوله ﴿شهوداً﴾. وقوله: تأخذون أي تشرعون فيه. قوله: ﴿وما يعزب﴾ بضم الزاي، وكسرهما سبعيتان. وفي المصباح: عزب الشيء من باب قتل وضرب غاب وخفي فهو عازب ومنه قولهم عزبت النية أي غاب عنه ذكرها اهـ.

وفي المختار: أنه من باب دخل اهـ.

وقوله: ﴿عن ربك﴾ أي عن علمه، وقوله: ﴿من مثقال ذرة﴾ من زائدة في الفاعل. قوله: ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ أي في دائرة الوجود والإمكان والتعبير عنها بالأرض والسماء لأن العامة لا تعرف سواهما اهـ أبو السعود.

والجار والمجرور حال من ذرة أو صفة لها أو حال من مثقال. قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ الخ كلام برأسه مقرر لما قبله، ولا نافية للجنس وأصغر اسمها، وفي كتاب خبرها، وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر اهـ أبو السعود.

فأصغر وأكبر بالنصب والرفع سبعيتان بخلاف نظيره في سبأ فبالرفع باتفاق السبعة. وتوجيه ما هنا أن هذا جملة مستأنفة على كلا القولين، فالوقف على السماء والرفع على الابتداء والخبر أو على أعمال لا أعمال ليس، والنصب على إعمالها عمل إن، فأصغر شبيه بالمضاف لعمله في الجار والمجرور، وأكبر شبيه به أيضاً لعمله في الجار والمجرور المقدر لدلالة الأول عليه. أي: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر من ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ استثناء منقطع لأن في جعله متصلاً إشكالاً لأنه يصير المعنى إلا في كتاب فيعزب وهو فاسد بخلاف جعله منقطعاً إذ يصير المعنى لا يعزب عن ربك شيء لكن جميع الأشياء في كتاب، وجوز الكواشي كونه متصلاً مستثنى من يعزب على أن معناه يبين ويصير المعنى لا يصدر عن الله شيء بعد خلقه له إلا وهو في كتاب. وقال الكلبي: قد حاول الرازي جعله متصلاً بعبارة طويلة محصلها أنه جعله استثناءً مفرغاً وهو حال من أصغر وأكبر، وهو في قوة المتصل، ولا يقال فيه متصل ولا منقطع اهـ.

وجعل الجرجاني إلا بمعنى واو العطف وأضمر هو أي وهو في كتاب والعرب تضع إلا موضع واو النسق كقوله: إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم يعني ومن ظلم وهذا الوجه فيه تعسف اهـ كرخي.

قوله: ﴿ألا إن﴾ ألا حرف تنبيه، وإن حرف تحقيق وتوكيد صدرت بهما الجملة لزيادة تقرير مضمونها اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿أولياء الله﴾ أي الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة اهـ بياضوي.

والولي ضد العدو فهو المحب ومحبة العباد لله طاعتهم له ومحبتهم لهم إكرامه إياهم، كما في شرح الكشاف، وعلى الأول يكون فعيل بمعنى فاعل، وعلى الثاني بمعنى مفعول فهو مشترك بينهما اهـ شهاب.

واعلم أن تركيب الواو واللام والياء يدل على معنى القرب، فولي كل شيء هو الذي يكون قريباً منه، والقرب من الله بالمكان والجهة محال، فالقرب منه إنما يكون إذا كان القلب مستغرقاً في نور معرفة الله فإن رأى رأى دلائل قدرة الله وإن سمع سمع آيات الله، وإن نطق نطق بالثناء على الله، وإن تحرك تحرك في خدمة الله، وإن اجتهد اجتهد في طاعة الله، فهناك يكون في غاية القرب من الله فحينئذ يكون ولياً اهـ كرخي.

وفي الخازن ما نصه: وقال أبو بكر الأصم أولياء الله هم الذين تولى الله تعالى هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة إليه، وأصل الولي من الولاية وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلاً بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى، فإن رأى رأى دلائل قدرة الله، وإن سمع سمع آيات الله، وإن نطق نطق بالثناء على الله تعالى، وإن تحرك تحرك في طاعة الله، وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله، لا يقتر عن ذكر الله، ولا يرى بقلبه غير الله، فهذه صفة أولياء الله، وإذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال المتكلمون: ولي الله من كان آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل، ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وهو أن الإيمان مبني على الاعتقاد والعمل، ومقام التقوى هو أن يبقى العبد كل ما نهى الله عنه اهـ.

وفي الخطيب ما نصه: ونقل النووي في مقدمة شرح المذهب عن الإمامين الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما أن كلا منهما قال: إذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي، وذلك في العالم العامل بعلمه. وقال القشيري: من شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع، فالولي هو الذي توالى أفعاله على الموافقة اهـ.

قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنهم يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون، ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلاً، بل المراد أنهم يستمرون على النشاط والسرور، المراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يومه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما مر مراراً من أن النفي إن دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ تنازعه ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، والمعنى أن نفي الخوف والحزن عنهم إنما هو في القيامة كما مرت الإشارة إليه. وفي الحديث: ﴿لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ﴾ أبو السعود.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ الله بامثال أمره ونهيه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة والثواب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٤﴾ وَلَا

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره الشارح، والجملة في جواب سؤال كأنه قيل من أولئك وما سبب تلك الكرامة فقيل: هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى اهـ أبو السعود.

وفي السمين ﴿الذين آمنوا﴾ في محله أوجه. أحدها: أنه مرفوع على ابتداء خبر مضمّر أي هم الذين آمنوا أو على أنه خبر ثان، لأن أو على الابتداء والخبر الجملة من قوله ﴿لهم البشري﴾ اهـ.

قوله: ﴿لهم البشري﴾ الخ جملة مستأنفة في جواب سؤال، كأنه قيل: ماذا أعد لهم في الدارين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ يجوز فيه وجهان، أظهرهما: أنه متعلق بالبشري أي البشري تقع في الدنيا وفسرت بالرؤيا الصالحة. الثاني: أنها حال من البشري فتتعلق بمحذوف والعامل في الحال الاستقرار في لهم لوقوعه خبراً اهـ سمين.

قوله: (فسرت في حديث صححه الحاكم الخ) وقيل: في تفسير الآية إن المراد بالبشري في الحياة الدنيا هي الثناء الحسن، وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روي عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن» أخرجه مسلم. قال الشيخ محيي الدين النووي: قال العلماء: معنى هذه البشري المعجلة له بالخير وهي دليل البشري المؤخرة بقوله ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾. وهذه البشري المعجلة دليل على رضا الله ومحبته له وتجييبه إلى الخلق، كما قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم. قال بعض المحققين: إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استثار قلبه وامتلاً نوراً فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويشنوا عليه، فتلك عاجل بشره بمحبة الله له ورضوانه عليه. وقال الزهري، وفتادة في تفسير البشري: هي نزول الملائكة بالشارة من الله عند الموت، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تَنزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. وقال عطاء عن ابن عباس: البشري في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن تعرج بها إلى الله تعالى وتبشره برضوان الله تعالى. وقال الحسن: هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه اهـ خازن.

قوله: ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ وقوله: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ هاتان الجملتان اعتراض لتحقيق البشارة وتعظيم شأنها، وليس من شأن الاعتراض أن يقع في أثناء الكلام اهـ أبو السعود.

وعبارة التلخيص: ومنه الاعتراض وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى دفع الإبهام انتهت.

قوله: (لا خلف لمواعيده) عبارة أبي السعود: لا تبديل لأقواله التي من جملتها مواعيده الواردة

يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ﴿لَكَ لست مرسلًا وغيره﴾ ﴿إِنْ﴾ استئناف ﴿الْعِزَّةُ﴾ القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿بِالْفِعْلِ﴾ فيجازيهم وينصرك ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾

بشارة للمؤمنين المتقين انتهت.

وقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور أي من أن لهم البشري في الدارين اهـ.

قوله: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ بفتح الياء وهبم الزي وبضم الياء وكسر الزاي قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

وهذا تسلية له عما كان يلقاه من جهتهم من الأذى الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له بأنه تعالى ينصره اهـ أبو السعود.

قوله: (استئناف) أي من كلامه تعالى، وأشار به إلى أن الوقف تم عند قوله: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة السمين قوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ﴾ العامة على كسر إن استئنافاً وهو شغفر بالعلية، وقيل: هو جواب سؤال مقدر كأن قائلًا قال لم يحزنه قولهم وهو مما يحزن. فأجيب بقوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ليس لهم منها شيء، فكيف يبالي بهم بقولهم والواقف على قوله قولهم، ثم يتبدى بقوله إن العزة وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقولهم إلا من لا يعتد بفهمه اهـ.

قوله: (القوة) أي الغلبة والقدرة وهي مشتركة بين معان، وأنها في حق الله ما ذكر، وفي حق رسوله بإظهار دينه وفي حق المؤمنين بنصرهم على أعدائهم، فعزة الله هي العزة الكاملة التي تدرج فيها عزة الإلهية والإحياء والإماتة وعزة البقاء الدائم ونحو ذلك، فتكون العزة المختصة غير العزة المشتركة، ومن ثم قال في سورة المنافقون: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] والتحقيق أن العزة كلها لله حقيقة، لكن قد يظهرها على رسوله وعلى أيدي المؤمنين تكريماً وتعظيماً لهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال من العزة، ويجوز أن يكون توكيداً ولم يؤنث بالناء لأن فعلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث لشبهه بالمصادر، وقد تقدم تحريره في قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ اهـ سمين.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ألا: كلمة تنبيه، والمعنى أنه لا ملك لأحد في السموات ولا في الأرض إلا لله عز وجل، فهو يملك من في السموات ومن في الأرض. فإن قلت: قال الله تعالى في الآية التي قبل هذه ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ بلفظة ما، وقال في هذه الآية بلفظة من، فما وجه ذلك؟ قلت: إن لفظة ما تدل على ما لا يعقل، ولفظة من تدل على من يعقل، فمجموع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع كل شيء في السموات والأرض من العقلاء وغيرهم، وهم عبيده وفي ملكه. وقيل: إن لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء، ومن في الأرض الإنس والجن وهم العقلاء أيضاً، وإنما خصهم بالذكر لشرفهم، وإذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته، فالجمادات بطريق الأولى أن يكونوا ملكه،

عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَاءَ﴾ له على الحقيقة تعالى عن ذلك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَسْتَعْمُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

إذا ثبت هذا فتكون الأصنام التي يعبدوها المشركون أيضاً في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحاً في جعل الأصنام شركاء لله معبودة دون الله اهد خازن .

قوله: ﴿وما يتبع الذين﴾ الخ مفعول يتبع شركاء ومفعول يدعون محذوف قدره الشارح بقوله أصناماً، ويؤيد هذا الإعراب أي جعل المذكور مفعولاً ليتبع المقابلة في قوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ اهد شيخنا .

وفي السمين قوله: ﴿وما يتبع﴾ يجوز في ما هذه أن تكون نافية وهو الظاهر وشركاء مفعول يتبع، ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى، والتقدير: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله﴾ آلهة شركاء، فالهة مفعول يدعون، وشركاء مفعول يتبع وهو قول الزمخشري قال: والمعنى وما يتبعون شركاء وما يتبعون حقيقة الشركاء، وإن كانوا يسمونها شركاء، لأن شركة الله في الربوبية محالة إن يتبعون إلا ظنهم أنهم شركاء يجوز أن تكون ما استفهامية وتكون حينئذ منصوبة بما بعد. وقال مكي: ولو جعلت ما استفهاماً بمعنى الإنكار والتوبيخ كانت اسماً في موضع نصب بيتبع. وقال أبو البقاء نحوه. ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركائهم ويجوز أن تكون ما هذه الموصولة في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل فهذه أربعة أوجه اهد.

قوله: ﴿إلا الظن﴾ من المعلوم ان الظن ينصب مفعولين، ويحتاج لفاعل فأشار للفاعل بالضمير الذي خلفته آل، وأشار إلى المفعولين بقوله أنهم شركاء، فهذه الجملة سادة مسددهما، والأحسن أن لا يقدر للظن مفعول. إذا المعنى ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ لا اليقين اهد من السمين .

قوله: ﴿إلا يخرصون﴾ أصل معنى الخرص الحزر بتقديم الزاي المعجمة على الراء المهملة أي التخمين والتقدير يستعمل بمعنى الكذب لغلبته في مثله اهد شهاب .

وفي المصباح: خرصت النخل خرصاً من باب قتل حزرت ثمره، والاسم الخرص بالكسر، وخرص الكافر خرصاً فهو خارص كذب اهد.

وقوله: (يكذبون في ذلك) أي في اتباع ظنهم اهد.

قوله: ﴿هو الذي جعل لكم الليل﴾ الخ تنبيه عن تفرد القدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحيده باستحقاق العبادة وتقدير لما سلف من كون جميع الممكنات تحت قدرته وملكه، والجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق فمبصراً حال، وإن كان بمعنى التصيير فهو المفعول الثاني، وفي الكلام احتباك أي شبهه حيث حذف من كل ما أثبت أو مقابله في الآخر، فالتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلاً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتسعدوا فيه لتحصيل معاشكم اهد شيخنا .

أَيَّلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرًا ﴿٦٧﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿قَالُوا﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى لهم ﴿سُبْحَنَتِ﴾ تنزيهاً له عن الولد ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كل أحد وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿بِهَذَا﴾ الذي تقولونه ﴿أَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ استفهام توبيخ ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لَا يَفْلَحُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ لا يسعدون لهم ﴿مَتَّعْ﴾ قليل ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم

وعبرة الكرخي: ﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي لتستريحوا فيه من تعب النهار والنهار مبصراً تبصرون فيه مكاسبكم ذكر علة خلق الليل ووصف النهار ليدل كل على المحذوف من مقابله. والتقدير: هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه ليعاشكم، فحذف مظلماً للدلالة لمبصراً عليه، وحذف لتتحركوا للدلالة لتسكنوا عليه وهذا أفصح كلام اهـ.

قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي الجعل.

قوله: (سماع تدبر واتعاظ) أي فيعلمون بذلك أن الذي خلق هذه الأشياء كلها هو الله المنفرد بالوحدانية في الوجود اهـ خازن.

قوله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ﴾ أي تبنى ولداً. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ من كلامه تعالى كما قال الشارح مسوق لتزيهه وتقديسه عما نسبوا إليه، وللتعجب من كلمتهم الحمقاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ دليل على التنزيه وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ الخ دليل لما قبله. قوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾ إن نافية، وعندكم يجوز أن يكون خبراً مقدماً. ومن سلطان مبتدأ مؤخر، ويجوز أن يكون من سلطان مرفوعاً بالفاعلية بالظرف قبله لاعتقاده على التثنية، ومن مزيدة على كلا التقديرين اهـ سمين.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ﴾ أي قل لهم ليتبين لهم سوء عاقبتهم اهـ. وقوله: ﴿الْكُذِبَ﴾ مصدر مؤكد لعامله اهـ.

قوله: ﴿لَا يَفْلَحُونَ﴾ يعني لا يسعدون، وإن اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة، والمنغى أن قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه، بل خاب وخسر. قال الزجاج: هذا وقف تام يعني على قوله ﴿لَا يَفْلَحُونَ﴾، ثم ابتداء فقال متاع في الدنيا اهـ خازن.

قوله: ﴿متاع في الدنيا﴾ مبتدأ خبره محذوف كما قدره الشارح، وهذا كلام مستأنف سبق لبيان أن ما يترأى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والحظوظ الدنيوية بمعزله من أن يكون من جنس الفلاح، كأنه قيل: كيف لا يفلحون وهم في نعيم فقيل: هو متاع قليل في الدنيا وليس بنافع في الآخرة اهـ أبو السعود.



﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُنْفِثُهُمْ الزَّبَابَ الشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿وَاتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي كفار مكة ﴿تَبَّ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ شق ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ لبني فيكم ﴿وَتَذَكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿يَتَايَنَتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾

قوله: ﴿بما كانوا يكفرون﴾ الباء سببية، وما مصدرية أي بسبب كونهم كافرين اهد سمين.

قوله: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة أحوال كفار قريش، وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك أسوة لرسول الله ﷺ بمن سلف من الأنبياء وتسلية له ليخفف عليه ما يلقي من أذى قومه، ولأن الكفار من قومه إذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الأمم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سبباً لخوف قلوبهم وداعياً لهم إلى الإيمان، ولما كان قوم نوح أول الأمم هلاكاً وأعظم كفراً وجحوداً ذكر الله قصتهم، وأنه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش، فقال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ يعني: واقرأ على قومك خبر نوح الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم مثل قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال النعيم وطول العذاب، لينزجروا بذلك عما هم عليه اهد خازن.

قوله: ﴿نبأ نوح﴾ أي مع قومه أي بعض نبئه معهم. إذ المذكور ليس جميع خبره بل بعضه، وتقدم أن اسمه عبد الغفار، وأن نوحاً لقبه، وتقدم أنه ابن لمك بن متوشلخ بن إدريس، وبين نوح وإدريس ألف سنة، وقوله: ﴿إذ قال لقومه﴾ اللام للتبليغ اهد شيخنا.

قوله: ﴿إذ قال لقومه﴾ يجوز أن تكون إذ معمولة لنبأ، ويجوز أن تكون بدلاً من نبأ بدل اشتمال، وجوز أبو البقاء أن تكون حالاً من نبأ وليس بظاهر، ولا يجوز أن يكون منصوباً باتل لفساده، إذ اتل مستقبل وإذ ماض اهد سمين.

وقوم نوح هم بنو قابيل. قوله: ﴿مقامي﴾ من باب الإسناد المجازي، كقولهم: ثقل عليّ ظله. وقرأ أبو رجاء، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء مقامي بضم الميم، والمقام بالفتح مكان القيام، وبالضم مكان الإقامة أو الإقامة نفسها. وقال ابن عطية: ولم يقرأ هنا بالضم وكأنه لم يطلع على قراءة هؤلاء اهد سمين.

وفي زاده: والمقام إما اسم لمكان القيام أو مصدر، فعلى الأول يكون كناية عن النفس، لأن المكان من لوازمه وعلى كونه مصدراً إما أن يراد به طول قيامه بينهم أو قيامه على الدعوة والتذكير، لأنه مكث فيهم سنة إلا خمسين عاماً اهد.

قوله: ﴿فعلى الله توكلت﴾ جواب الشرط أي دمت على تخصيص التوكل به تعالى، وقوله: ﴿فأجمعوا﴾ الخ عطف على الجواب أو هو الجواب وما قبله اعتراض اهد أبو السعود.

وعبارة الكرخي قوله: ﴿فأجمعوا﴾ جواب الشرط كما قاله الأكثرون، وقوله: ﴿فعلى الله توكلت﴾ جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه، وقيل: هي الجواب وردّ بأنه متوكل على الله دائماً لا بتقدير الشرط، وجزم السفاقي بأن جوابه محذوف أي فافعلوا ما شئتم اهد.

فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ﴿٦٤﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وَشِرْكَاءَكُمْ﴾ الواو بمعنى مع ﴿فَقَدْ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ﴾

قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ يتعدى بنفسه وبعلى، فيقال: أجمع أمره وأجمع عليه، والمعنى على كلا الوجهين العزم والتصميم أي عزم أمره وصمم عليه كما قال الشارح، وهو هنا بالهمزة لا غير باتفاق السبعة والعشرة، وما نقل عن نافع من أنه يقرأ فأجمعوا بإسقاط الهمزة فشاذ بخلاف ما في سورة طه من قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ [طه: ٦٤] ففيه قراءتان سبعيتان اجمعوا وأجمعوا اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ العامة فأجمعوا أمراً من أجمع بقطع الهمزة. يقال: أجمع في المعاني في الأعيان، فيقال: أجمعت أمري وجمعت الجيش هذا هو الأكثر، وهل أجمع متعد بنفسه أو يحرف جر، ثم حذف اتساعاً. فقال أبو البقاء: من قولك أجمعت على الأمر إذا عزمت عليه إلا أنه حذف حرف الجر فوصل الفعل إليه. وقيل: متعد بنفسه في الأصل. يقال: أجمع أمره جعله مجموعاً بعدما كان متفرقاً، فهذا هو الأصل في الإجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلی، فقيل أجمعت على الأمر أي عزمت عليه، والأصل أجمعت الأمر. قلت: وقد اختلف القراء في قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ [طه: ٦٤] فقرأ الستة بقطع الهمزة جعلوه من أجمع وهو موافق لما قبل أن أجمع في المعاني، وقرأ أبو عمرو وحده فأجمعوا بوصل الألف، وقد اتفقوا على قوله فجعل كيدوه ثم أتى فإنه من الثلاثي مع أنه متسلط على معنى لا عين، ومنهم من جعل للثلاثي معنى غير معنى الرباعي، فقال في قراءة أبي عمرو: من جمع يجمع ضد فرق يفرق، وجعل قراءة الباقيين من أجمع أمره إذا أحكمه وعزم عليه، وقيل: المعنى فأجمعوا على كيدكم فحذف حرف الجر اهـ ملخصاً.

قوله: (اعزموا) أي صمموا ولا ترددوا وقوله: على أمر وهو إهلاكي، وإذا كان هذا هو المعنى فلا يصح عطف وشركاءكم على المفعول قبله. إذ لا يقال أجمعوا أي اعزموا وصمموا شركاءكم إذ الشركاء ذوات لا تعزم، وإنما يعزم ويصمم على المعاني، فلذلك جعله الشارح مفعولاً معه، ومن المعلوم أن المفعول معه منصوب بالفعل لا بالواو على المختار، والمعنى هنا فأجمعوا مصاحبين لشركائكم في الإجماع أي العزم على إهلاكي، فالشركاء على هذا الصنيع عازمون، وهو المراد لا معزومون على ما يقتضيه العطف، فهو على حد قوله: والنصب إن لم يجز العطف يجب اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿وشركاءكم﴾ بالنصب وفيه أوجه، أحدها: أنه معطوف على أمركم بتقدير حذف مضاف. أي: وأمر شركائكم كقوله: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] وذلك على ما قدمته من أن أجمع للمعاني. والثاني: أنه عطف عليه من غير تقدير حذف مضاف قيل لأنه يقال أيضاً أجمعت شركائي. الثالث: أنه منصوب بإضمار فعل لائق أي واجمعوا شركاءكم بوصل الهمزة، وقيل: تقديره وأدعوا وكذا هي في مصحف أبي وأدعوا. الرابع: أنه مفعول معه أي مع شركائكم. قال الفارسي: وقد ينصب الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البرد والطيالسة. ولم يذكر الزمخشري غير قول أبي علي الفارسي: قال الشيخ: وينبغي أن يكون هذا التخريج على أنه مفعول معه من الفاعل، وهو الضمير فأجمعوا إلا من المفعول الذي هو أمركم، وذلك على أشهر الاستعمالين، لأنه يقال أجمع الشركاء أمرهم ولا يقال جمع الشركاء أمرهم إلا قليلاً. قلت: يعني أنه إذا جعلناه مفعولاً معه من الفاعل كان جائزاً بلا خلاف،

عَمَّةٌ ﴿مستوراً بل أظهوره وجاهروني به﴾ ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُظْهِرُوا﴾ ﴿٧١﴾ تمهلون فإنني لست مبالياً بكم ﴿فَإِنْ قُلْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ آجَرٍ﴾ ثواب عليه فتولوا

وذلك لأن من النحويين من اشترط في صحة نصب المفعول معه أن يصلح عطفه على ما قبله، فإن لم يصلح عطفه لم يصح نصبه مفعولاً معه، فلو جعلناه من المفعول لم يجز على المشهور، إذ لا يصح عطفه على ما قبله، إذ لا يقال أجمعت شركائي، بل يقال: جمعت شركائي. وقرأ الزهري، والأعمش، والجمحدي، وأبو رجاء، ويعقوب، والأصمعي عن نافع فاجمعوا بوصل الألف وفتح الميم من جمع يجمع، وشركاءكم على هذه القراءة يصح نصبه نسقاً على ما قبله، ويجوز فيه ما تقدم في القراءة الأولى من الأوجه. قال صاحب اللوائح: أجمعت الأمر أي جعلته وجمعت الأموال جمعاً، فكان الإجماع في الأحداث والجمع في الأعيان، وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر، وفي التنزيل فجمع كيده. وقرأ الحسن والسلمي وعيسى بن عمرو وابن إسحاق وسلام ويعقوب وشركاؤكم رفعاً وفيه تخريجان، أحدهما: أنه نسق على الضمير المرفوع بأجمعوا قبله، وجاز ذلك إذ الفصل بالمفعول سوغ العطف. والثاني: أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم، وشذت فرقة فقرأت وشركائكم بالجور ووجهت على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه مجروراً على حاله، فتقديره: وأمر شركائكم فحذف الأمر وأبقى ما بعده على حاله، ومن رأى برأي الكوفيين جوز عطفه على الضمير في أمركم من غير تأويل، وقد تقدم ما فيه من المذاهب أعني العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار في سورة البقرة اهـ ملخصاً.

قوله: ﴿ثم لا يكن أمركم الخ﴾ أي ثم لا يكن أمركم خفياً مبهماً، وليكن ظاهراً منكشفاً من فولهم غم الهلال فهو مغموم إذا خفي والتبس على الناس اهـ خازن.

وقوله: بل أظهوره هذا هو المقصود فكأنه قال ثم أظهوروا أمركم، وإنما نسب عدم الستر الذي هو عدم الغمة إلى الأمر مبالغة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿امضوا فيما الخ﴾ أي نفذوا، وقوله ما أردتموه أشار به إلى أن مفعول اقضوا محذوف، كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر، فعده لمفعول صريح اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: ﴿ثم اقضوا﴾ أدوا إليّ ذلك الأمر الذي تريدون بي اهـ.

فالقضاء هنا من قولهم قضى دينه إذا أداه، فالهلاك مشبه بالدين على طريق الاستعارة المكنية، والقضاء تخيل أو قضى بمعنى حكم، والتقدير احكموا بما تؤدونه إليّ ففيه تضمين واستعارة مكنية أيضاً، ومفعول اقضوا محذوف عليهما كما قلده اهـ شهاب.

وقرأ السدي: ثم أقضوا بقطع الهمزة والفاء من أقضى يفضي إذا انتهى، يقال: أفضيت إليك. قال تعالى: ﴿وقد أقضى بعضكم إلى بعض﴾ [النساء: ٢١] فالمعنى ﴿ثم اقضوا إليّ﴾ سرهم أي انتهوا به إليّ، وقيل: معناه أسرعوا به إليّ وأبرزوه ولام القضاء واو لأنه من قضا يقضو اهـ سمين.

قوله: ﴿فإن توليتم﴾ أي إن بقيتم على إعراضكم بعد ما أمرتكم فلا ضمير عليّ لأنني ما سألتكم من أجر، فجواب الشرط محذوف اهـ شهاب.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿فَلَا كَذِبُوهُ فَخَيَّنَتْهُ وَمَنْ تُعَذِّبُ فِي الْفَلَكَ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي من معه ﴿خَلْتِيفٌ﴾ في الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ﴾ ﴿٧٣﴾ من إهلاكهم فكذاك نفعل بمن كذبك ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي نوح ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا يُؤْمِنُونَهَا كَذَبُوا بِهَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ نَطِيعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكْبِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾

قوله: ﴿فَمَا سَأَلْتَكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي تؤدونه إليّ حتى يؤدي ذلك إلى توليكم إما لاتهامكم إياي بالطمع والسؤال، وإما لثقل دفع المسؤول عليكم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَقُولُوا﴾ مضارع منصوب بأن مضمره وجوباً بعد فاء السببية، وقد حذفت منه إحدى التاءين، والأصل فتقولوا أي حتى تتولوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أن المنقادين لحكمه لا أخاف أمره، ولا أخاف غيره، أو من المسلمين لكل ما يصعب من البلاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَكَذِبُوهُ﴾ أي داموا واستمروا على تكذيبه، وقوله: ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي من الإنس، وكانوا ثمانين: أربعين رجلاً وأربعين امرأة. وقوله: ﴿فِي الْفَلَكَ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بنجيناها أي وقع الإنجاء في هذا المكان. والثاني: أن يتعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف وهو معه لوقوعه صلة أي والذين استقروا معه في الفلك اهـ سمين.

وتقدم أن الفلك يستعمل مفرداً وجمعاً والمراد هنا المفرد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي صيرناهم، وجمع الضمير في جعلناهم حملاً على معنى من، وخلاف جمع خليفة أي يخلفون الغارقين في الأرض اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ الخ تأخيره عن ذكر الإنجاء والاستخلاف حسباً وقع في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤] الآية لإظهار كمال العناية بشأن المقدم، ولتعجيل المسرة للسامعين، وللإيدان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مَنْ أَهْلَكَهُمْ﴾ بيان للعاقبة، وقوله: ﴿فَكَذَلِكَ نَفْعَلُ﴾ الخ هذا هو المقصود بالسياق.

قوله: ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ أي أقوامهم. أي كل رسول إلى قومه أي عشيرته وقبيلته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَجَاءَهُمْ﴾ أي الأقوام بالبينات أي ملتبسين بالبينات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَمَا كَانُوا يُؤْمِنُونَهَا﴾ أي فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا، فالمراد بعد إيمانهم إصرارهم عليه، وقوله: ﴿بِمَا كَذَبُوا بِهِ﴾، ما عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الأمم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئء بالياء على أن الضمير لله

فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك ﴿فَدَعَيْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾  
 قومه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ التسع ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ  
 عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بين ظاهر ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر ﴿أَسِحْرٌ  
 هَذَا﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿وَلَا يَفْلَحُ السَّحَرُونَ﴾ والاستفهام في

على قلوب المعتدين. أي المتجاوزين للحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق  
 وسلوك طريق الرشاد، وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال اهـ أبو  
 السعود.

قوله: ﴿ثم بعثنا﴾ عطف على ما قبله عطف قصة على قصة، وهذا من قبيل الخاص بعد العام لما  
 في هذا الخاص من الغرابة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وملئنا﴾ تقدم أن الملأ أشرف الناس الذين يملأون العيون بالمهابة والمجالس بأجرامهم  
 والاقتصار عليهم لأنهم المتبعون وغيرهم من بقية قوم فرعون تبع لهم. هكذا قرره بعض المفسرين،  
 وقرر بعضهم أن المراد بالملأ هنا مطلق من استعمال الخاص في العام، وهو ظاهر صنيع الشارح حيث  
 فسره بالقوم وأطلق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بآياتنا﴾ (التسع) أي ملتبيين ومصحوبين بآياتنا التسع. أخذ هذا العدد من قوله تعالى في  
 سورة الإسراء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [١٠١]. وتقدم في الأعراف منها ثمانية: اثنتان في  
 قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ [الشعراء: ٤٥] وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ [الأعراف: ١٠٨] والشعراء: [٣٣]  
 وواحدة في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] وخمسة في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا  
 عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] الخ وستأتي التاسعة في هذه السورة في قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ  
 أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] أي امسخها حجارة على ما سيأتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاستكبروا﴾ الاستكبار ادعاء الكبير من غير استحقاق، والفاء فصيحة أي فأتياهم فبلغاهم  
 الرسالة فاستكبروا عن اتباعها اهـ أبو السعود.

وقوله: (عن الإيمان بها) أي الآيات التسع، وفي نسخة بهما أي موسى وهارون اهـ.

قوله: ﴿فلما جاءهم الحق﴾ هو الآيات التسع، ففي الكلام إظهار في مقام الإضمار، لكن قولهم  
 المذكور ونزاعهم إنما وقع في العصا واليد، ولذلك فسر بعضهم الحق بهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال موسى﴾ أي قال جملاً ثلاثاً، الأولى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾. والثانية:  
 ﴿أسحر هذا﴾. والثالثة: ﴿ولا يفلح الساحرون﴾. وقوله: ﴿للحق﴾ أي في شأنه ولأجله، وقوله:  
 ﴿لما جاءكم﴾ أي حين مجيئه إياكم من أول الأمر من غير تأمل وتدبر، وهذا مما ينافي القول المذكور،  
 وقوله: إنه لسحر هذا مقول القول فحفز لدلالة ما قبله عليه، وإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتفوه به،  
 وقوله: ﴿أسحر هذا﴾ مبتدأ وخبر وهو استفهام إنكار مستأنف من جهته عليه السلام تكذيباً لقولهم،  
 وتوبيخاً لآثر توبيخ، وتجهيلاً بعد تجهيل اهـ من أبي السعود.

الموضعين للإنكار ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا﴾ لتردنا ﴿هَآوِجِدَا عَلَيْنَا آيَةً نَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ فائق في علم السحر ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى ﴿عَلَيْكُمْ سَلَامٌ﴾ بعدما قالوا له إما أن تلقني وإما أن تكونن نحن الملحقين ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ

قوله: ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال:

جاء الشتاء ولست أملك عدة.

أي أتقولون للحق إنه لسحر، والحال أنه لا يفلح فاعله أي لا يظفر بمطلوب، ولا ينجو من مكروه، فكيف يمكن صدوره عن مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم اهـ أبو السعود.

قوله: (والاستفهام في الموضعين) استئناف بياني مسوق لبيان أنه عليه السلام ألقيهم الحجر فانقطعوا واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج، وديدن كل معاند لدود اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لنلقتنا﴾ اللفت والفتل أخوان اهـ أبو السعود.

وكلاهما من باب ضرب ففي المصباح لفته لفتاً من باب ضرب صرفه إلى ذات اليمين أو الشمال، ومنه يقال لفته عن رأيه إذا صرفه اهـ.

وفي السمين: اللفت اللي والصرف لفته عن كذا أي صرفه ولواه عنه، وقال الأزهري: لفت الشيء وقتله لواه، وهذا من المقلوب قلت: ولا يدعي فيه قلب حتى يرجح أحد اللفظين في الاستعمال على الآخر اهـ.

قوله: ﴿عُما وجدنا عليه آباءنا﴾ أي من عبادة الأصنام. قوله: ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ الكبرياء: اسم كان، ولكما الخبر. وفي الأرض جوز فيه أبو البقاء خمسة أوجه، أحدها: أن يكون متعلقاً بنفس الكبرياء. الثاني: أن يتعلق بنفس تكون. الثالث: أن يتعلق بالاستقرار في لهما لوقوعه خيراً. الرابع: أن يكون حالاً من الكبرياء. الخامس: أن يكون حالاً من الضمير في لهما لتحمله إياه، والكبرياء مصدر على وزن فعليات ومعناها العظمة، والجمهور على تكون بالتأنيث مراعاة لتأنيث اللفظ. وقرأ ابن مسعود والحسن وغيرهما في رواية عن عاصم، ويكون بالياء من تحت لأنه تأنيث مجازي اهـ سمين.

وسمي الملك بالكبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا. قاله الزجاج اهـ خازن.

قوله: ﴿فلما جاء السحرة﴾ عطف على محذوف. أي: فأتوا بالسحر، فلما جاء السحرة الخ

اهـ.

قوله: ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ أي ما معكم من الحبال والعصي. قوله: (استفهامية) أي استفهام

خبره ﴿جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ﴾ بدل وفي قراءة بهمزة واحدة إخبار فما موصول مبتدأ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾ أي سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَيُحِقُّ﴾ يثبت ويظهر ﴿اللَّهُ الْحَقُّ يَكْلِمُنِيهِ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة ﴿بَيْنَ﴾ أولاد ﴿قَوِيهِ﴾ أي

تحقير وتوبيخ أي شيء جتثم به، وقوله: بدل أي أن لفظ السحر بدل من ما الاستفهامية وأعيدت معه الهمزة على حد قوله:

وبدل المضمن الهمز يلي. همزاً.

وقوله: بهمزة لكنها تسقط للوصل لأنها همزة وصل، وقوله: إخبار أي لا استفهام كما هو في قراءة الهمزتين، وقوله: فما موصول مبتدأ أي والخبر السحر فيختلف الإعراب على القراءتين اهـ شيخنا.

قوله: (بدل) أي فهو بهمزتين الاستفهام وهمزة آل وحيثنذ فعلى هذه القراءة، إما أن تبدل الثانية ألفاً وتمد مداً لازماً أو تسهل من غير قلب، ففي هذه القراءة وجهان، وعلى كليهما تجب الإمالة في موسى بخلاف قراءة الهمزة الواحدة، فيجوز فيها الإمالة وتركها اهـ شيخنا.

وفي السمين: وفي هذه القراءة أوجه.

أحدها: أن ما استفهامية في محل رفع بالابتداء وجتثم به الخبر، والتقدير: أي شيء جتثم به كأنه استفهام إنكار، وتقليل للشيء المجاء به، والسحر بدل من اسم الاستفهام، ولذلك أعيدت معه أدواته لما تقرر في كتب النحو.

الثاني: أن يكون السحر خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر.

الثالث: أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره السحر هو.

الرابع: أن تكون ما موصولة بمعنى الذي وجتثم صلتها والموصول في محل رفع بالابتداء والسحر على وجهيه من كونه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر تقديره الذي جتثم به أهو السحر، أو الذي جتثم به السحر هو، والجملة خبر ما. وهذا الضمير هو الرابط اهـ.

قوله: (أي سيمحقه) بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزات، فلا يبقى له أثر أصلاً والسين للتأكيد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ﴾ تعليل لقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾، وقوله ﴿وَيُحِقُّ﴾ الخ عطف على قوله ﴿سَيَبْطِلُهُ﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي عمل جنس المفسدين على الإطلاق، فيدخل فيه السحرة دخولا أولاً أو عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمحل للتسجيل عليهم بالفساد والإشعار بعله الحكم اهـ كرخي قوله: (بمواعيده) عبارة البيضاءي: بأوامره وأحكامه اهـ.

قوله: ﴿فَمَا أَمَّنَ﴾ معطوف على مقدر فصل في مواضع أخرى أي فآلقى عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون اهـ أبو السعود.

فرعون ﴿عَلَىٰ خَوَافِيٍّ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَةٍ أَن يَقْنِطَهُ﴾ يصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَلَمَّا فَرَغْتَ لَمَّا﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَلَمَّا لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد بإدعاء الربوبية ﴿وَقَالَ

أي فما انقاد واستسلم لموسى كما تقدم في سورة براءة في هذا الشارح من الفرق بين إيمان التسليم وإيمان التصديق من أن الأول يتعدى باللام، والثاني بالياء كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذِرْيَةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ لما ذكر الله عز وجل ما أتى موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات العظيمة الباهرة، أخبر الله تعالى أنه مع مشاهدة هذه المعجزات ما ﴿آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذِرْيَةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾، وإنما ذكر الله هذا تسلياً لئيبه محمد ﷺ، لأنه كان كثير الاهتمام بإيمان قومه، وكان يغتم بسبب إعراضهم عن الإيمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله تعالى له أن له أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات كان أمراً عظيماً، ومع ذلك ﴿فَمَا آمَنَ لَهُ إِلَّا ذِرْيَةٌ﴾، والذرية اسم يقع على القليل من القوم. قال ابن عباس: الذرية القليلة، وقيل: المراد به التصغير وقلة العدد. واختلفوا في هاء الكناية في قومه، فقيل: إنها راجعة إلى موسى، وأراد بهم قوم موسى وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر من أولاد يعقوب. قال مجاهد: هم أولاد يعقوب الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل هلك الآباء وبقي الأبناء، فسموا ذرية بهذا الاعتبار وأباؤهم قوم موسى من حيث إنهم بنو إسرائيل وهو منهم. وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهبت لقبطية خوفاً عليه من القتل، فنشؤوا بين القبط، فلما كان اليوم الذي غلب فيه موسى السحرة آمنوا به. وقال ابن عباس: ذرية من قومه يعني من بني إسرائيل، وقيل: الهاء راجعة إلى فرعون يعني إلا ذرية من قوم فرعون. روى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازنه، وامرأة خازنه وماشطته. وقال الفراء: سمو ذرية لأن آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون، وأمهااتهم من بني إسرائيل، وكان الرجل يتبع أمه وأخواله في الإيمان، وذلك كما يقال لأولاد فارس الذين نقلوا إلى اليمن الأبناء لأن أمهااتهم من غير جنس الآباء اهـ.

قوله: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ﴾ أي مع خوف، وقوله: وملائتهم أي ملا الذرية، وقد عرفت أن آباء الذرية كانوا من القبط وأمهااتهم من بني إسرائيل فكانه قال على خوف من فرعون من أقارب هذه الذرية اهـ من الخازن.

والضمير في أن يقتلهم عائد لفرعون أفرد ولم يقل أن يقتلهم أي فرعون والملا للدلالة على أن الخوف من الملا كان بسبب فرعون وتجبره من حيث استعانتهم به اهـ.

قوله: ﴿أَن يَقْنِطَهُ﴾ يدل اشتغال من فرعون أي على خوف من فتنة فرعون أو مفعول للمصدر أو مفعول له بعد حذف اللام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إِن فَرَعُونَ﴾ الخ هذه الجملة والتي بعدها اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق اهـ.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ أي تطمينا لقلوبهم وإزالة للخوف عنهم، وسماهم قومه من حيث إيمانهم



مُؤْمِنٍ يَقُولُ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أَي لَا تظهروهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا بنا ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ

به وإلا فتقدم أنهم من قوم فرعون، ويحتمل أن المراد بهم بنو إسرائيل أو مطلق من آمن به ولو من القبط اهـ.

قوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ﴾ الخ ليس هذا من تعليق الحكم بشرطين، فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل، فإن المقتضي له والمشروط بالإسلام حصول التوكل ووجوده، فإنه لا يوجد مع التخليط ونظير هذا إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت اهـ بيبضوي. وأبو السعود.

ومحصله أن المعلق على الأول وجوب التوكل، وعلى الاستسلام وجود التوكل، وعلى هذا فجواب الثاني محذوف كما يقتضيه صنيع الكازروني ونصه: فالمعنى إن كُنتُمْ آمَنتُمْ وجب عليكم التوكل، وإن كُنتُمْ مسلمين توكلتم عليه اهـ.

وعبارة الكرخي قوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ مسلمين﴾ أي منقادين لأمره، فقوله فعليه جواب الشرط الأول والشرط الثاني، وهو: أن كُنتُمْ مسلمين شرط في الأول، وذلك أن الشرطين متى لم يترتبا في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول، ولذلك لم يجب تقديمه على الأول، وقد تقدم تحقيق ذلك. قال الفقهاء: المتأخر يجب أن يكون متقدماً، والمتقدم يجب أن يكون متأخراً مثاله قول الرجل لامرأته: إن دخلت الدار فأنت طالق إن كلمت زيدا فمجموع قوله إن دخلت الدار فأنت طالق مشروط بقوله: إن كلمت زيدا والمشروط متأخر عن الشرط، وذلك يقتضي أن يكون المتأخر في اللفظ متقدماً في المعنى، وأن يكون المتقدم في اللفظ متأخراً في المعنى، فكأنه يقول لامرأته: حال ما كلمت زيدا إن دخلت الدار فأنت طالق. فلو حصل هذا المعلق قبل أن كلمت زيدا لم يقع الطلاق، فقوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فعليه توكلوا﴾ يقتضي أن يكون كونهم مسلمين شرطاً، لأن يصيروا مخاطبين بقوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فعليه توكلوا﴾، فكأنه تعالى يقول للمسلم حال إسلامه: إن كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والأمر كذلك، لأن الإسلام عبارة عن الاستسلام، وهو الانقياد لتكاليف الله وترك التمرد. والإيمان عبارة عن معرفة القلب بأن واجب الوجود لذاته واحد، وما سواه محدث تحت تدبيره وقهره، وإذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوز العبد بجميع أموره إلى الله تعالى، ويحصل في القلب نور التوكل على الله تعالى اهـ.

قوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ مسلمين﴾ أي مستسلمين ومنقادين لحكمه.

قوله: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي قالوا ذلك إجابة لموسى، ثم دعوا ربهم فقالوا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

الخ﴾. قوله: (فيفتنوا بنا) وفي نسخة فيفتنوا بنا أي لأنك لو سلطتهم علينا لوقع في قلوبهم أن لو كنا على الحق لما سلطهم الله علينا، فيصير ذلك شبهة قوية في إصرارهم على كفرهم فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم اهـ زاده.

قوله: ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي من أيديهم.

الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذَا ﴿لَقَوْمِكَمَا بُعَصَّرَ بُيُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾  
مصلين يصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها

قوله: ﴿أَنْ تَبَوَّءَا﴾ يجوز في أن يكون المفسرة لأنه قد تقدمها ما هو بمعنى القول وهو الإيحاء، ويجوز أن تكون المصدرية فتكون في موضع نصب بأوحينا مفعولاً به أي أوحينا إليهما التبوء، والجمهور على الهمز في تبوَّءَا، وقرأ حفص تبوَّءَا بياء خالصة، وهي بدل عن الهمزة وهو تخفيف غير قياسي إذ قياس تخفيف مثل هذه الهمزة أن يكون بين الهمزة والألف، وقد أنكر هذه الرواية عن حفص جماعة من القراء، وقد خصها بعضهم بحالة الوقف، وهو الذي لم يحك أبو عمرو الداني والشاطبي غيره، وبعضهم يطلق إبدالها عنه ياء وصللاً ووقفاً. وعلى الجملة فهي قراءة ضعيفة في العربية، وفي الرواية وتركت نصوص أهل القراءة خوف السأمة، والتبوء النزول والرجوع. وقد تقدم تحقيق هذه المادة في قوله المؤمنين اه سمين.

قوله: ﴿لَقَوْمِكَمَا﴾ يجوز أن تكون اللام زائدة في المفعول الأول، وبيوتاً مفعول ثان بمعنى بيوتاً قومكما بيوتاً أي أنزلهم ويجوز أن تكون غير زائدة وفيها حيثئذ وجهان، أحدهما: أنها حال من البيوت. والثاني: أنها وما بعدها مفعول تبوَّءَا اه سمين.

قوله: ﴿بِمُصْرَ﴾ جوز فيه أبو البقاء أوجهاً، أحدها: أنه متعلق بتبوءَا وهو الظاهر. والثاني: أنه حال من ضمير تبوءَا. الثالث: أنه حال من البيوت. الرابع: أنه حال من لقومكما وقد نى الضمير في قوله: ﴿تَبَوَّءَا﴾. وجمعه في قوله: ﴿وَاجْعَلُوا﴾ و﴿وَأَقِيمُوا﴾، وأفرد في قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، لأن الأول أمر لهما والثاني لهما ولقومهما، والثالث لموسى فقط لأن أخاه تبع له. ولما كان فعل البشارة شريفاً خص به موسى عليه السلام لأنه هو الأصل اه سمين.

وفي الخازن: لما كان الجعل المذكور وإقامة الصلاة ليسا خاصين بموسى وهارون خاطب الله بهما الجميع اه.

قوله: ﴿قِبْلَةً﴾ كانت قبلتهم هي الكعبة وقيل: كانت بيت المقدس اه خازن.  
وفي الخطيب: ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوهاً ثلاثة.

أولها: أن موسى عليه السلام ومن معه كانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على هذه الحالة في أول الإسلام بمكة.

الثاني: أنه قيل إنه تعالى لما أرسل موسى إليهم أمر فرعون بتخريب مساجد بني إسرائيل، ومنعهم من الصلاة، فأمرهم الله تعالى أن يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلوا فيها خوفاً من فرعون.

الثالث: أنه تعالى لما أرسل موسى إليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى وهارون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الأعداء، وتكفل الله تعالى بأن يصونهم من شر الأعداء اه.

قوله: ﴿لَتُؤْمِنُوا مِنَ الْخَوْفِ﴾ أي من الفراعنة إذا صليتم في البيع والكنائس الجامعة، فقد قال بنو

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ بالنصر والجنة ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةَ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا آتِهِمْ ذَلِكَ ﴿يُضِلُّوْا﴾ فِي عَاقِبَتِهِ ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾ دِينِكَ ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾

إسرائيل يا موسى إنا لا نستطيع أن نظهر صلاتنا للفراعنة، فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم اهـ خازن.  
قوله: ﴿وقال موسى﴾ الخ لما أتى موسى بالمعجزات الباهرات، ورأى القوم يصرون على الكفر والعناد أخذ في الدعاء عليهم، ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولاً سبب إقدام الغير على الجرائم التي هي السبب في الدعاء عليه، ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها قدم هذه المقدمة، فقال: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون﴾ إلى قوله: ﴿عن سبيلك﴾، ثم صرح بالدعاء عليهم بقوله ﴿ربنا اطمس﴾ الخ، والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس وأثاث البيوت الفاخرة والأشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الأشياء اهـ.

قال ابن عباس: كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت اهـ كرخي.

وفي المصباح: الفسطاط بضم الفاء وكسرهما بيت من شعر، والجمع فساطيط والفسطاط بالوجهين أيضاً مدينة مصر قديماً، وبعضهم يقول: كل مدينة جامعة فسطاط اهـ.

قوله: ﴿ليضلوا﴾ متعلق بآتيت الذي في نظم القرآن وأعيد ربنا توكيداً، وتقدير الشارح آتيتهم ليس إشارة إلى أن ليضلوا متعلقاً بهذا المحذوف، بل هو حل معنى وإشارة إلى أنه متعلق بآتيت الذي في نظم القرآن، ولما كان إيتاء النعم علة شكرها لا الضلال أجاب الشارح عن ذلك بجعل اللام للعاقبة حيث قال: ليضلوا في عاقبته أي: آتيتهم النعم المذكورة ليذكروها ويتبعوا سبيلك، فكان عاقبة أمرهم أنهم كفروها وضلوا عن سبيلك اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ليضلوا عن سبيلك﴾ في هذه اللام ثلاثة أوجه، أحدها: أنها لام العلة، والمعنى أنك آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الإيتاء لهذه العلة. والثاني: أنها لام الصيرورة والعاقبة، كقوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ [القصص: ٨]. والثالث: أنها للدعاء عليهم بذلك كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال، وليكونوا ضلالاً وإليه ذهب الحسن البصري اهـ.

قوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ الطمس إزالة أثر الشيء بالمحو، ومعنى الطمس على أموالهم أزل صورها وهيئاتها. وقال مجاهد: أهلكها. وقال أكثر المفسرين: امسخها وغيرها عن هيئته. وقال قتادة: بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة. وقال محمد بن كعب القرظي: صارت صورهم حجارة، وكان الرجل مع أهله فصارا حجرتين، والمرأة قائمة تخبز صارت حجراً، وهذا فيه ضعف لأن موسى عليه السلام دعا على أموالهم، ولم يدع على أنفسهم بالمسخ. وقال ابن عباس: بلغنا أن الدراهم والدنانير صار حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً. وقيل: إن عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شيء من بقايا آل فرعون، فأخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة، والجوزة مشقوقة وهي حجارة. وقال السدي: مسخ الله أموالهم حجارة، والنخل والثمار

امسحها ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَأْتِيَ الْعَذَابُ الْأَلِيمَ﴾ ﴿المؤمن دعا عليهم وأمن هارون على دعائه﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ فمسخت أموالهم أحجاراً ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا نَنفَعُ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة

والدقيق والأطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التي أوتيتها موسى عليه الصلاة والسلام وقوله: ﴿واشد على قلوبهم﴾ يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تثبت ولا تشرح للإيمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يذللها الإيمان. قال بعض العلماء: وإنما دعا موسى عليه الصلاة والسلام عليهم بهذا الدعاء لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون، فوافق دعاء موسى ما قدره وقضى عليهم اهـ خازن.

قوله: (اطبع عليها) أي اختتم عليها يقال طبع على الشيء من باب نفع ختم عليه اهـ.

قوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ جواب الدعاء الثاني أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء مغترض اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ يحتمل التصب والجزم، فالنصب من وجهين، أحدهما: عطفه على ليضلوا، والثاني: نصبه على جواب الدعاء في قوله ﴿اطمس﴾، والجزم على أن للدعاء كقوله لا تعذبني يارب اهـ.

قوله: (وأمن هارون على دعائه) أي والتأمين دعاء فصحت التثنية في قوله ﴿دعوتكما﴾، وقوله: ﴿قد أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ هذا إخبار من الله بإجابة دعائهما، لكن حصول المدعوى به أخره الله تعالى أربعين سنة على ما سيأتي لحكمة يعلمها هو اهـ شيخنا.

قوله: (فمسخت أموالهم) أي النقود وغيرها حتى النخيل والزرع والثمار والخبز والبيض والسكر وغيرها اهـ شيخنا.

قوله: (حتى أدركه الغرق) أي ومع ذلك لم ينفعه إيمانه.

قوله: ﴿فاستقيما﴾ أي دوما على الاستقامة. قوله: ﴿ولا تتبعان﴾ مجزوم بحذف النون وهذه نون التوكيد الثقيلة وكسرت تشبيهاً بنون المثني اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿ولا تتبعان﴾ قرأ العامة بتشديد النون والتاء، وقرأ حفص بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء وتخفيفها، وللقرأة في ذلك كلام مضطرب بالنسبة للنقل عنه. فأما قرأة العامة فلا فيها للنهي، ولذلك أكد الفعل بعدها، وقرأة حفص فلا فيها يحتمل أن تكون للنهي وأن تكون للنهي، فإن كانت للنهي كانت النون نون رفع والجملة اسمية أي وأتما لا تتبعان. والثاني: أنه نفى في معنى النهي، كقوله تعالى: ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ [البقرة: ٨٣] الثالث: أنه خبر محض مستأنف لا تعلق له بما قبله، والمعنى أنهما أخبر بأنهما لا يتبعان سبيل الذين لا يعلمون وإن كانت للنهي كانت النون للتوكيد، وهي الخفيفة، وأما تشديد التاء وتخفيفها فلغتان من اتبع يتبع وتبع يتبع، وقد تقدم هل هما

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَعِيًا وَعَدُوًّا﴾ مفعول له ﴿حَتَّىٰ إِذَا

بمعنى واحد أو مختلفان في المعنى، وملخصه أن تبعه مشى خلفه واتبعه كذلك إلا أنه حاذاه في المشي واتبعه لحقه اهـ.

قوله: ﴿سبيل الذين لا يعلمون﴾ أي لا يعلمون حكمة تأخير المطلوب. وفي الكرخي قوله: ﴿سبيل الذين لا يعلمون﴾ باستعجال قضائي أي: لا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون أنه متى كان الدعاء مجاباً حصل المقصود في الحال، فربما أجاب الله تعالى الإنسان في مطلوبه إلا أنه يوصله إليه في وقته المقدر له، فإن وعد الله لا خلف له، والاستعجال لا يصدر إلا من الجهال، كما قال لنوح عليه السلام: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود: ٤٦] وهذا النهي لا يدل على صدور ذلك من موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، كما أن قوله: لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه عليه الصلاة والسلام اهـ.

قوله: (روي أنه) أي نزول العذاب بهم مكث أربعين سنة من حين الدعوة، ففي هذه المدة كانت الدعوة مجابة والتأخير لحكمة يعلمها الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ لما أجاب الله دعاء موسى وهارون أمر بني إسرائيل، وكانوا ستمائة ألف بالخروج من مصر في الوقت المعلوم ويسر لهم أسبابه، وفرعون كان غافلاً عن ذلك، فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم كما قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا النَّخْ﴾ اهـ خطيب.

وفي الخازن: قال أهل التفسير: اجتمع يعقوب وبنوه على يوسف، وهم اثنان وتسعون وخرج بنوه مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف، وذلك لما أجاب الله دعاء موسى وهارون أمرهما بالخروج ببني إسرائيل من مصر، وكان فرعون غافلاً، فلما سمع بخروجهم خرج بجنوده في طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى: أين المخلص والبحر أمامنا والعدو وراءنا؟ فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقطعه موسى وبنو إسرائيل، فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم، وكان معه ثمانية آلاف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان، وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد، فدنا جبريل بفرسه، فلما وجد الحصان ريح الأنثى لم يتمالك فرعون من أمره شيئاً، فنزل البحر وتبعه جنوده، حتى إذا اكتملوا جميعاً في البحر وهم أولهم بالخروج انطبق البحر عليهم اهـ.

وفي القاموس: والحصان ككتاب الفرس الذكر والجمع حصن ككتب.

قوله: ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ الخ هو من جاوز المكان إذا تخطاه وخلفه وراءه والباء للتعدي أي: جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناهم ييساً وحفظناهم حتى بلغوا الشط اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿البحر﴾ أي بحر القلزم، وهو بحر السويس.

قوله: (لحقهم) في المختار من باب طرب وسلم إذا مشى خلفه أو مرّ به فمضى معه، وكذا اتبعه

أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ ﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل في فيه من حمأة البحر مخافة أن تناله

وهو افتعل وأتبعه على ما أفعل إذا كان قد سبقه فلحقه، وقال الأخفش: تبعه وأتبعه بمعنى مثل ردفه وأردفه اهـ.

قوله: (مفعول به) أي لأجل البغي والعدو وشروط النصب متوفرة، ويجوز أن يكونا مصدرين في موضع الحال أي باغين معتدين اهـ كرخي.

قوله: ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ غاية لاتباعه وقوله ﴿أدركه﴾ أي لحقه اهـ نسبين.

قوله: ﴿إنه﴾ أي الشأن وقوله: (وفي قراءة) أي سبعة وقوله: (استثناً) أي على إضمار القول فهو مع المضممر مستأنف، وقيل: إنه بدل ممن آمن. على وجه التفسير اهـ يضاري.

قوله: (كرره) أي كرر المعنى الواحد وهو إقراره بالإيمان ثلاث مرات في قوله: ﴿آمنت﴾ وفي قوله ﴿إنه﴾ وفي قوله: ﴿وأنا من المسلمين﴾ اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: فإن قيل: إنه آمن ثلاث مرات أولها: قوله ﴿آمنت﴾، وثانيهما قوله: ﴿لا إله إلا الذي آمن به بنو إسرائيل﴾، وثالثهما: ﴿وأنا من المسلمين﴾، فما السبب في عدم القبول؟ أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة.

منها: أنه إنما آمن عند نزول العذاب والإيمان والتوبة عند معاينة العذاب غير مقبول، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فلم يك يتفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ [غافر: ٨٥].

ومنها: أن الإيمان كان يتم بالإقرار بوحداية الله تعالى، وبالإقرار بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام، وفرعون لم يقرّ بالنبوة لم يصح إيمانه. ونظيره: أن الواحد من الكفار لو قال ألف مرة أشهد أن لا إله إلا الله، فإنه لا يصح إيمانه إلا إذا قال معه وأشهد أن محمداً رسول الله، فكذا هنا.

ومنها: أن جبريل عليه السلام أتى لفرعون بفتوى ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن سيده الكافر نعمته أن يغرق في البحر، ثم ان فرعون لما غرق رفع جبريل عليه السلام إليه خطه اهـ.

قوله: (ودس جبريل في فيه الخ) أي بأمر الله وهو لا يسأل عما يفعل، فلا اعتراض عليه في قوله مخافة أن تناله الرحمة، والمعنى مخافة أن تأتي بقول آخر تلذكه الرحمة بسببه، وفي البخازن: وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أن جبريل جعل يدس الطين في فم فرعون خشية أن يقول لا إله إلا الله فيرحمه الله، وهذا الحديث مشكل، ووجه اشكاله ما ذكره الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال: إن التكليف في تلك الحالة هل كان باقياً أم لا؟ فإن كان باقياً لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يعينه عليها، وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت، فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة، وأيضاً لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر، وأيضاً فكيف يليق

بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الإيمان. والجواب على ذلك أن الحديث قد ثبت عن النبي ﷺ، فلا اعتراض عليه لأحد، وأما قول الإمام: أن التكليف هل كان باقياً في تلك الحال أو لا فإن كان باقياً لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة، فإن هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الله للأفعال، وإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر، فإنهم يقولون إن الله يحول بين الكفر والإيمان، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ [الأنفال: ٢٤] وقوله: ﴿وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ [النساء: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو يؤمنوا به أول مرة﴾ [الأنعام: ١١٠] وهكذا فعل بفرعون منعه من الإيمان عند الموت جزاء على تركه الإيمان أولاً، ففسد الطين في فم فرعون من جنس الطبع، والختم على القلب، ومنع الإيمان وصرف الكافر عنه جزاء على كفره السابق، وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الأفعال الله. ومن المنكرين لخلق الله للأفعال من أجاب أيضاً بأن الله يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق، فيحسن منه أن يضلّه ويطبّع على قلبه ويمنعه من الإيمان. فأما قصة جبريل مع فرعون فإنها من هذا الباب، فإن غاية ما يقال فيه إن الله منع فرعون من الإيمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق، وردّه للإيمان لما جاء، وأما فعل جبريل به من دس الطين في فيه، فإنه إنما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه، وأما قول الإمام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة، فصحيح إن كان تكليف جبريل كتكليفنا، ويجب عليه ما يجب علينا، وأما إذا كان جبريل إنما يفعل ما أمره الله به، والله تعالى هو الذي منع فرعون من الإيمان وجبريل منفذ لأمر الله، فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة، وكيف يجب عليه إعانة من لم يعنه الله، بل قد حكم عليه، وأخبر أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم حين لا ينفعه الإيمان، وقوله وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت، فحيث لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة. فجوابه أن يقال إن للناس في تعليل أفعال الله قولين، أحدهما: أن أفعاله لا تعلل، وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلاً، وقد زال الإشكال. . والقول الثاني: أن أفعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح لأجلها فعلها، وكذا أوامره ونواهيه لها غايات محمودة لأجلها أمر بها ونهى عنها، وعلى هذا التقدير قد يقال بما قال فرعون ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾، وقد علم جبريل أنه ممن حقت عليه كلمة العذاب، وأن إيمانه لا ينفعه فسد الطين في فيه ليحقق معانيته للموت، فلا تكون تلك الكلمة نافعة له فإنه وإن كان قد قالها في وقت لا ينفعه، فسد الطين في فيه تحقيق لهذا المنع، والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه، وسد الباب سداً محكماً بحيث لا يبقى للرحمة في فيه منفذ فلا يبقى من عمره ما يتسع للإيمان، فإن موسى لما دعا ربه بأن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم، والإيمان عند رؤية العذاب غير نافع، فأجاب الله دعاءه، فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاناة الغرق استعجل فسد الطين في فيه ليأس من الحياة، ولا تنفعه تلك الكلمة وتتحقق إجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعله فيكون ساعياً في مرضاة الله منفذاً لما أمر به وقدره وقضاه على فرعون اهـ.

قوله: (من حمأة البحر) أي طينه الأسود والحمأة بفتح الحاء وسكون الميم وبفتح الحاء وفتح

الرحمة وقال له ﴿ءَأَتْنٰكَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصٰىتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٩١﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان ﴿فَأَتَيْنَا نَجِيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِيَدِنَا﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ بعدك ﴿آيَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه ﴿وَلَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ آيَاتِنَا لَنُفِلِّتُوهُنَّ﴾ لا يعتبرون بها ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ﴾ منزل كرامة وهو الشام

الميم ففيها لغتان وعلى كل فمعناه الطين الأسود اهـ شيخنا.

قوله: (قال له) ﴿الآن﴾ (الخ) معطوف على قوله: ﴿ودس﴾، والمقصود بهذا الاستفهام التوبيخ والتفريع وقوله: ﴿وقد عصيت﴾ داخل في حكمه وهو الحالية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الآن﴾ منصوب بمحذوف أي آمنت الآن، أو أتؤمن الآن، وقوله: وقد عصيت قبل جملة الحالية من فاعل الفعل المقدر أي أتؤمن الآن وقد آيست من نفسك ولم يبق لك إختيار، والإيمان في هذه الحالة لا يفيد. وفي الخازن: ولما رجع فرعون إلى الإيمان والتوبة حين أغلق بابها بحضور الموت ومعاناة الملائكة قيل له: ﴿الآن﴾ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين يعني: الآن تتوب وقد ضيعت التوبة في وقتها وأثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية اهـ.

قوله: (نخرجك من البحر) فأمر الله البحر فألقاه على الشط، فما وآه بنو إسرائيل وتحققوا موته أعاده الله إلى البحر ثانياً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بيدك﴾ حال من الكاف ننجيك ملتبساً بيدك فقط، لا مع روحك كما هو مطلوبك، فهو تخيير له وحسم لطمعه اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿بيدك﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنها باء المصاحبة بمعنى مصاحباً ليدنك، وهي الدرع. وفي التفسير لم يصدقوا بفرقة وكانت له درع يعرف بها، فألقاه البحر على وجه الأرض وعليه درعه ليعرفوه، والعرب تطلق البدن على الدرع. وقيل: بيدك عريانا لا شيء عليه، وقيل: بدناً بلا روح. والثاني: أن تكون سببية على المجاز، لأن بدنه سبب في تنجيته لما تقدم اهـ.

قوله: ﴿لتكون لمن خلقك آية﴾ هذه آخر مقول جبريل. قوله: (فيعرفوا عبوديتك) أي ويبطل دعوى ألوهيتك، لأن الإله لا يموت اهـ شيخنا.

قوله: (شكوا في موته) أي بل قالوا ما مات فرعون، وإنما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب من أجله، فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيراً كأنه ثور، فرآه بنو إسرائيل فعرفوه، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً اهـ خازن.

قوله: ﴿إن كثيراً من الناس﴾ الخ هذا اعتراض تذييلي جيء به عقب الحكاية تقريراً للكلام المحكى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل الخ﴾ كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء اهـ أبو السعود.



ومصر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الظَّيْفِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْمَأْثُورُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين ﴿فَإِنْ كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضاً ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ

يعني: أسكننا بني إسرائيل مكان صدق، وأنزلناهم منزل صدق بعد خروجهم وإغراق عدوهم فرعون، والمعنى أنزلناهم منزلاً محموداً صالحاً، وإنما وصف المكان بالصدق، لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق. تقول العرب: هذا رجل صدق وقدم صدق، والسبب فيه أن الشيء إذا كان صالحاً لا بد أن يصدق الظن فيه. وفي المراد بالمكان المبدأ قولان، أحدهما: أنه مصر فيكون المراد أن الله أورث بني إسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره. والقول الثاني: أنه أرض الشام المقدس والأردن، لأنها بلاد الخصب والخير والبركة اهـ خازن.

قوله: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ يعني فما اختلف الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين، وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبي مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيها لما يجدونه مكتوباً عندهم، فلما بعث اختلفوا فيه فآمن به بعضهم، كعبد الله بن سلام، وكفر بعضهم حسداً. وقيل: المراد بالعلم القرآن، وإنما سمي علماً لأنه سبب للعلم. وفي كون القرآن سبباً لحدوث الاختلاف وجهان، الأول: أن اليهود كانوا يخبرون بمبعثه وصفته ونعته، ويفتخرون بذلك على المشركين، فلما بعث كذبوه بغياً وحسداً وإثارة لبقاء الرئاسة لهم، فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم. والثاني: أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن، فلما نزل آمن به طائفة وكفرت به أخرى اهـ خازن.

وفي البيضاوي: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في أمر دينهم إلا من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها أو في أمر محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته اهـ.

قوله: فما اختلفوا في أمر دينهم هذا إذا كان المراد ببني إسرائيل من في عصر موسى عليه السلام وقوله: أو في أمر محمد الخ أي إذا كان المراد بهم من في زمن محمد ﷺ اهـ شهاب.

قوله: ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ كأن من للابتداء أي في شك ناشئ مما أنزلنا إليك بأن تشك فيه، أو أنها بمعنى في من أول الأمر اهـ.

قوله: (فرضاً) متعلق بقوله إن كنت في شك أي: إن فرض أنك وقعت فيه مع أن وقوعك فيه محال، فوقعك فيه فرضي من قبيل فرض المحال، وهذا أحد الأجوبة عن الآية، وقيل: الخطاب له ﷺ والمراد غيره، وقيل: غير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما ألقينا إليك والمراد إظهار نبوته عليه السلام بشهادة الأخبار، حسبما هو المسموع في كتبهم، وإن لم يكن له حاجة إلى سؤالهم أصلاً، أو وصف أهل الكتاب بالسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام وتهيجه عليه السلام، وزيادة تثبته على ما هو عليه من اليقين لا تجوز حدوث الشك منه عليه

قَبْلِكَ ﴿ فَإِنَّهُ ثَابِتٌ عَنْدهُمْ بِخَبْرِكَ بِصَدَقِهِ ، قَالَ ﷻ لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ ﴿ لَقَدْ لَهَمْتُكَ الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الشَّاكِكِينَ فِيهِ ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِمَا نَدَّيْتُ اللَّهُ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ حُكْمُكَ رَبِّكَ بِالْعَذَابِ ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ مَآيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ فَلَا يَنْفَعُهُمْ حِينَئِذٍ فُلُوقٌ ﴿ فَلَوْ لَا ﴾ ﴿ فَكَانَتْ قَرْيَةً ﴾ أَرِيدَ

السلام، ولذلك قال عليه السلام: لا أشك ولا أسأل أهد أبو السعود.

قوله: (يخبروك بصدقه) مجزوم في جواب الأمر. قوله: ﴿لقد جاءك الحق من ربك﴾ هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله، وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقاً، وأن أهل الكتاب يعلمون ذلك أهد خازن.

قوله: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي دم على حالك من عدم الامتراء كما كنت عليه من قبل، وقوله: ﴿ولا تكونن﴾ الخ هذا من باب التهيج والإلهاب أهد أبو السعود.

وقال الخازن: واعلم أن هذا كله خطاب للنبي ظاهراً والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب أهد.

قوله: ﴿إن الذين حقت عليهم﴾ الخ هذا شروع في بيان إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال. كلمة ربك أي حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر أهد أبو السعود.

وعبارة البيضاء: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ أي: بأنهم يموتون على الكفر أو يخلدون في العذاب لا يؤمنون إذ لا يكذب كلامه ولا ينقض قضاؤه أهد.

قوله: ﴿لا يؤمنون﴾ خبر إن وقوله: ﴿حتى يروا﴾ غاية في النفي، وقوله: فلا ينفعهم حينئذ كما لم ينفع فرعون أهد.

قوله: ﴿فلولا كانت قرية﴾ لولا تحضيضية، ولذا فسرهما الشارح بهلا، وهذا التحضيض فيه معنى التوبيخ والنفي، فوبخ الله أهل القرى المهلكة قبل يونس على عدم إيمانهم قبل نزول العذاب بهم، فالمعنى لم تؤمن قرية من القرى المهلكة قبل يونس قبل نزول العذاب بهم إلا قوم يونس، فإنهم آمنوا قبل نزوله بهم، وذلك حين رؤية أماراته، فالفارق بين قوم يونس، ومن قبلهم أن قوم يونس آمنوا قبل نزوله، وذلك عند حضور أماراته، وغيرهم لم يؤمن قبل نزوله أعم من أن يكون آمن وقت نزوله، أو لم يؤمن أصلاً، فهذا الاعتبار صار بين قوم يونس وغيرهم التباين باعتبار الوصف المذكور، فلم يندرج قوم يونس في غيرهم، فلذلك حمل الشارح الاستثناء على الانقطاع كما هي عادته إذا فسر إلا بـ لكن. هذا هو الذي يلائم كلامه في توجيه الانقطاع حيث قيد إيمان القرية بكونه قبل نزول العذاب، وإيمان قوم يونس بكونه لم يؤخر إلى حلول العذاب، وبعضهم وجهه بأن لفظ القرية معناه الأبنية، فهذا الاعتبار لا يتناول قوم يونس، وبعضهم لاحظ هذا فقال هو منقطع لفظاً أي من حيث أن لفظ القرية معناه الحقيقي الأبنية متصل معنى من حيث أن المراد بها أهلها، لكن هذا لا يلائم صنيع الشارح، لأنه لاحظ المعنى حيث قال: أريد أهلها ثم حمل الاستثناء على الانقطاع، تأمل أهد شيخنا.

قوله: ﴿قرية﴾ فاعل كان التامة وآمنت صفة قرية وقوله: فنفعها الخ معطوف على الصفقة صطف

أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فَنَقَمَهَا إِيْمَانَهَا إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمٌ يُؤَسُّ لَمَّا ءَامَنُوا﴾ عند رؤية العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء

المسبب على السبب أي: فلم تؤمن إيماناً نافعاً وهو الذي يكون قبل نزول العذاب اهـ شيخنا.

قوله: (أريد أهلها) أي أريد بالقرية أهلها، فالتجوز في الكلمة لا بالحذف هذا هو الظاهر من عبارته.

قوله: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا﴾ الخ ففرقوا بين كل حيوان وولده، ولبسوا المسوح، وتضرعوا إلى الله تائبين، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فكشف عنهم العذاب، قال قتادة وغيره: لم يكن هذا الأمر لأمة من الأمم إلا لقوم يونس خاصة. ويحث في ذلك الزجاج فإنه لم يقع بهم العذاب، وإنما رأوا علامته ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان. قال القرطبي عقب نقله له: وهو كلام حسن فإن المعاينة التي لا ينفع معها الإيمان هي التلبس بالعذاب كقصه فرعون. قال: وقد روي معنى ما قبله عن ابن مسعود، فيكون معنى ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي العذاب الذي وعدهم يونس أنه ينزل بهم لا أنهم رأوه حينئذ فلا خصوصية. ولكن بالجملة هم في سابق علمه أنهم من السعداء اهـ كرخي.

وفي الخازن: ما نصه: واختلف هل قوم يونس رأوا العذاب عياناً أم لا؟ فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب فأمنوا، قال الأكثرون: إنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾، والكشف لا يكون إلا بعد الوقوع أو إذا قرب وقوعه.

ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، وهب وغيرهم قالوا: إن قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل، وكانوا أهل كفر وشرك، فأرسل الله عز وجل إليهم يونس عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام فدعاهم، فأبوا عليه فقبل له: أخبرهم أن العذاب يصيبهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً قط فانظروا، فإن بات فيكم فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصيحبكم، فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم. قال ابن عباس: إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل، فلما دعوا كشفه الله عنهم، وقال قتادة: قدر ميل. وقال سعيد بن جبير: غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب الغير. وقال وهب: غامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخل دخاناً شديداً، فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحهم، فلما رأوا العذاب أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فخذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، ولبسوا المسوح، وأظهروا الإيمان والتوبة، وفرقوا بين كل والدها من الناس والدواب، فحن البعض للبعض، فحنت الأولاد إلى الأمهات والأمهات إلى الأولاد، وعلت الأصوات، ولجوا جميعاً إلى الله وتضرعوا إليه، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، وتابوا إلى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم، واستجاب دعاءهم، وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما أظلمهم، وكان ذلك اليوم عاشوراء، وكان يوم الجمعة. قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أنهم ردوا المظالم فيما بينهم حتى انه كان الرجل يأتي إلى الحجر وقد وضع أساس بنائه عليه فيقلعه فيرده.

آجالهم ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ النَّاسَ ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿ حَقَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ لا ﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمَرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بإرادته ﴿ وَيَصْعَلُ الرَّيْضُ ﴾ العذاب

وروى الطبراني بسنده قال: لما غشي قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ فقال: قولوا يا حيي حين لا حيي، ويا حيي يحيي الموتى، ويا حيي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب وامتعوا إلى حين. وقال الفضيل بن عياض: إنهم قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله. قالوا: وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب، فلم ير شيئاً فقبل له ارجع إلى قومك قال: وكيف أرجع إليهم فيجدوني كذاباً، وكان كل من كذب ولا بيعة له قتل، فانصرف عنهم مغاضباً فالتقمه الحوت وستأتي قصته في سورة والصفات إن شاء الله.

فإن قلت: كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبلت توبتهم، ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم تقبل توبته؟ قلت: أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة، أحدها: أن ذلك كان خاصاً بقوم يونس، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. الجواب الثاني: أن فرعون ما آمن إلا بعد مباشرة العذاب وهو وقت اليأس من الحياة، وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشروهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية. والجواب الثالث: أن الله عز وجل علم صدق نيتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون، فإنه ما صدق في إيمانه ولا أخلص فلم يقبل منه والله أعلم اهـ بحروفه.

قوله: (انقضاء آجالهم) تفسير للمحين، ولو قال كما قال الخازن إلى وقت انقضاء آجالهم لكان أوضح.

قوله: ﴿ولو شاء ربك﴾ الخ تسليية للنبي عن حرصه على إيمانهم وكلهم تركيز لمن وجميعاً حال منهم اهـ شيخنا.

أي مجتمعين على الإيمان، وبه علم فائدة ذكر جميعاً بعد قوله: ﴿كلهم﴾ مع أن كلا منهما يفيد الإحاطة والشمول للدلالة على وجود الإيمان منهم بصفة الاجتماع الذي لا يدل عليه كلهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿أفأنت تكفر الناس﴾ استفهام تأديب للنبي اهـ شيخنا.

وفي السمين: يجوز في أنت وجهان، أحدهما: أن يرتفع بفعل مقدر مفسر للظاهر بعده وهو الأرجح، لأن الاسم قد ولي أداة هي بالفعل أولى. الثاني: أنه مبتدأ والجملة بعده خبره، وقد عرفت ما في ذلك من كون الهمة مقدمة على العاطف أو ثم جملة محذوفة كما هو رأي الزمخشري اهـ.

قوله: (بما لم يشأه الله) أي عليه. قوله: (لا) أي ليس إليك ذلك، والمقصود منه بيان أن القدرة الظاهرة والمشئمة النافذة ليستا إلا للحق، وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه، وإنما الشأن في المكروه من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه، لأنه هو القادر على أن يخلق في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان، وذلك غير مستطاع للبشر اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما كان لنفس﴾ الخ بيان وتعليل لقوله ﴿ولو شاء ربك﴾ أي ما صح وما استفهام لنفس من النفوس الخ اهـ شيخنا.

﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون آيات الله ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿انظُرُوا مَاذَا﴾ أي الذي ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ﴾ جمع نذير أي الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله أي ما تنفعهم ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ آبَاءِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾ ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ المضارع لحكاية الحالة الماضية ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ

قوله: ﴿ويجعل الرجز﴾ الخ معطوف على مقدر كأنه قيل فيأذن لبعضهم في الإيمان، ويجعل الخ، والمضارع في المعطوف والمعطوف عليه بمعنى الماضي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل انظروا﴾ بضم اللام وكسرها سبعيتان، فالضم على نقل ضمة الهمزة إلى اللام، والكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿انظروا﴾ أي تفكروا وتأملوا تأمل اعتبار، وقوله ﴿ماذا﴾ يحتمل أن ما استفهامية مبتدأ، وذا اسم موصول خبره، وتكون الجملة في محل نصب لتعليق العامل وهو انظروا عنها بالاستفهام، وهذا يحتمله صنيع الشارح بأن تجعل قوله أي: الذي تفسيراً لذا وحدها، ويحتمل أن تكون ماذا بتمامها اسماً موصولاً، وهذا يحتمله أيضاً صنيع الشارح بأن يجعل قوله أي: الذي تفسيراً لمجموع الكلمتين وعلى هذا لا استفهام في الكلام، وهذا الوجه ضعيف في العربية اهـ من السمين.

قوله: (من الآيات) بيانية. قوله: ﴿وما تغني الآيات﴾ أي المذكورة بقوله ﴿ماذا في السموات والأرض﴾، ففي الكلام إظهار في مقام الإضمار، والجملة إما حالية من الواو في قوله ﴿انظروا﴾ كأنه قيل انظروا، والحال أن النظر لا ينفعكم وإما اعتراضية اهـ أبو السعود بنوع إيضاح.

وفي السمين: وما تغني يجوز في ما أن تكون استفهامية وهي واقعة موقع المصدر أي أي غني تغني الآيات ويجوز أن تكون نافية وهذا هو الظاهر اهـ.

قوله: ﴿فهل ينتظرون﴾ مرتب على قوله ﴿وما تغني الآيات﴾ الخ. قوله: (أي مثل وقائعهم من العذاب) فإنهم بارتكاب موجباته كمنتظية اهـ كرخي.

والوقائع تفسير للأيام والعذاب تفسير للوقائع اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعهم اهـ.

يعني أن أيام العرب استعملت مجازاً مشهوراً في الوقائع من التعبير بالزمان عما وقع فيه كما يقال المغرب للصلاة الواقعة فيه اهـ.

قوله: (ذلك) أي المثل. قوله: ﴿ننجي﴾ بالتشديد باتفاق العشرة وبشوب الياء خطأ وثبوتها لفظاً ظاهراً، وأما قوله: ﴿ننج المؤمنين﴾ فهو بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان، وتحذف منه الياء خطأ اتباعاً لرسم المصحف، قاله السمين. وفي اللفظ إن وصل بما بعده فحذفها ظاهر لأجل التقاء الساكنين، وإن وقف عليه وجب حذفها في النطق أيضاً اهـ شيخنا.

﴿مَاتُوا﴾ من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَا أُعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره وهو الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿و﴾ قيل لي ﴿أَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾

قوله: ﴿ثم ننجي رسلنا﴾ قال الزمخشري: هو معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله: ﴿إلا﴾ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم، كانه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا فهو معطوف على حكاية الأحوال الماضية اهـ سمين.

قوله: ﴿ورسلنا﴾ أي السابقين على محمد. قوله: ﴿كذلك﴾ صفة لمصدر محذوف أي إنجاء مثل ذلك الإنجاء فهي مفعول مطلق، والعامل فيه قوله: ﴿ننج المؤمنين﴾، وقوله ﴿حقاً علينا﴾ اعتراض أي وحق ذلك علينا حقاً أي وجب وتحتم بمقتضى الفضل والكرم اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿كذلك﴾ في هذه الكاف وجهان، أظهرهما: أنها في محل نصب تقديره: مثل ذلك الإنجاء الذي نجينا الرسل ومن آمن بهم ننجي من آمن بك يا محمد. والثاني: أنها في محل رفع على خبر ابتداء مضمر، وقدره ابن عطية وأبو البقاء يقولك الأمر كذلك. وقوله ﴿حقاً﴾ فيه أوجه، أحدها: أن يكون منصوباً بفعل مقدر أي حق ذلك حقاً. والثاني: أن يكون بدلاً من المحذوف النائب عنه الكاف تقديره الحاصل ذلك حقاً والثالث: أن يكون كذلك حقاً منصوبين بنجي الذي بعدهما. والرابع: أن يكون كذلك منصوباً بنجي الأول حقاً بنجي الثاني. وقال الزمخشري: مثل ذلك الإنجاء ننج المؤمنين منكم ونهلك المشركين، وحقاً علينا اعتراض يعني وحق ذلك علينا حقاً اهـ.

قوله: ﴿أنه حق﴾ بدل من ديني أي ﴿إن كنتم في شك﴾ من حقيقته وصحته الخ وقوله: ﴿فلا أعبد الذين﴾ الخ أي فهذا خلاصة ديني اعتقاداً وعملاً فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا صحتها. وهي أنني لا أعبد ما تخلقونه فتعبدونه، ولكن أعبد خالقكم الذي يوجدكم ويتوفائكم، وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد اهـ بياضوي.

أي لأنه وصف مخوف، وقد أشار الشارح إلى هذا بقوله: ﴿يقبض أرواحكم﴾ اهـ. وقوله أي البياضوي: فاعرضوها الخ أشار إلى أن ارتباط الجزاء بالشرط بالنظر إلى محصل الجزاء، وتأويله بما ذكر اهـ شهاب.

والتعبير عما هو فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للإيذان بأن أقصى ما يمكن ترويضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته، وأما القطع بعدمها فما لا سبيل إليه لو إن كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا أنني لا أتركه أبداً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أي بأن﴾ ﴿أكون﴾ أي فحذف الجار وقوله: ﴿من المؤمنين﴾ أي بما دل عليه العقل ونطق به الوحي، وهذا تصريح بأن ما هو عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل للصرف بل بالإمداد السماوي والتوفيق الإلهي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿و﴾ ﴿قيل لي﴾ ﴿أن أقم﴾ الخ أشار به إلى أن وأن أقم على إضمار القول، لا أنه معطوف

مائلاً إليه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبدته ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَأَنْ يَمَسَّكَ﴾ يصبك ﴿اللَّهُ يَضُرُّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفٌ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرْذَكَ بِغَيْرِ فَلَا رَادَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾

على أن أكون والمعنى كن مؤمناً وأخلص عملك اهـ كرخي .

وفي السمين ما نصه : قوله ﴿وَأَنْ أَقْمَ﴾ يجوز أن يكون على إضمار فعل أي وأوحى إليّ أن أقم ، ثم لك في أن وجهان ، أحدهما : أن تكون تفسيرية لتلك الجملة المقدرة كذا قاله الشيخ وفيه نظر ، إذ المفسر لا يجوز حذفه والثاني : أن تكون مصدرية فتكون هي وما في خبرها في محل رفع بذلك الفعل المقدر اهـ .

قوله : (وقيل لي) أي بطريق الوحي أن أقم أي اصرف وجهك أي ذاتك بكليتها ، وقوله ﴿حَنِيفاً﴾ حال من الفاعل المستتر في أقم ، ويجوز أن يكون حالاً من المفعول أو من الدين ، وقوله إليه أي إلى الدين .

وعبارة البضاوي : ﴿وَأَنْ أَقْمَ﴾ عطف على أن أكون ، وغير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا ضمير في ذلك ، لأن مناط جواز وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر ، وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ، وجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجملة ، وهي لا توصف إلا بالجملة الخبرية ، وليس الموصول الحرفي كذلك أي : وأمرت بالاستقامة في الدين واستبداً فيه بأداء الأمر والانتها عن المنهي اهـ بالمعنى . وهو في أبي السعود .

قوله : ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ عطف على أقم داخل تحت الأمر اهـ أبو السعود .

وعلى صنيع الشارح داخل تحت القيل وقوله ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ الخ عطف على قوله : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ غير داخل تحت الأمر اهـ أبو السعود .

وفي السمين قوله : ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة استثنائية ، ويجوز أن تكون عطفاً على جملة الأمر وهي أقم فتكون داخلية في صلة أن بوجهيها أعني : كونها تفسيرية أو مصدرية وقد تقدم تحريره اهـ .

قوله : ﴿فَإِنَّكَ﴾ جواب الشرط وإذا حرف جواب توسطت بين اسم إن وخبرها ، وربتها التأخر عن الخبر وإنما توسطت رعاية للفواصل اهـ كرخي .

قوله : ﴿وَأَنْ يَمَسَّكَ﴾ الخ تقرير لسلب النفع عن الأصنام اهـ .

قوله : ﴿وَأَنْ يَرُدَّكَ بِخَيْرٍ﴾ لعله ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول ، ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ، ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده اهـ بضاوي .

وقوله : ولم يستثن أي مع الإرادة كما استثنى مع المس بأن يقول فلا راد لفضله إلا هو ، وقوله :

الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي بالخير ﴿مَنْ يَنْتَهِ مِنْ عِبَادَةٍ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثوابه اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُكِيلٍ﴾ فاجبركم على الهدى ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَقَّ بِكُمْ اللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْمُحْكِمِينَ﴾ أعدلهم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

لأن مراد الله الخ أي لأن إرادة الله قديمة لا تتغير بخلاف مس الضر فإنه صفة فعل اهـ زكريا وشهاب.  
 قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الخ أي لأجل أن تنقطع معذرتهم فهذا نهاية الأمر اهـ شيخنا.  
 وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾ وهو الرسول أو القرآن، وقوله: ﴿مَنْ رِيكُمْ﴾ يجوز أن يتعلق بجاءكم ومن لا ابتداء الغاية مجازاً ويجوز أن يكون حالاً من الحق اهـ سمين.  
 قوله: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ يجوز أن تكون من فيهما شرطية والفاء واجبة الدخول، وأن تكون موصولة والفاء جائزته اهـ سمين.  
 قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُكِيلٍ﴾ أي بحفيظ موكلول إلى أمركم، وأمركم، وإِنَّمَا أَنَا بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ اهـ يضاوي.  
 وما يجوز أن تكون الحجازية وأن تكون التميمية لخفاء النصب في الخبر اهـ سمين.  
 قوله: (فاجبركم) أي أكرهكم يقال أجبره على الأمر إذا أكرهه عليه وجبر كذا إذا أصلحه اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الجبر خلاف الكسر، وجبر العظم والفقير جبراً وجوراً وجبارة فانجبر واجتبره.  
 فتجبر أحسن إليه أو أغناه بعد فقر، وجبره على الأمر أكرهه كأجبره والمريض صلح حاله اهـ.  
 قوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾ (على الدعوة) أي دعوتهم أي دعائك إياهم للإيمان اهـ شيخنا.  
 قوله: (أعدلهم) إذ لا يمكن أن يخطيء في حكمه لاطلاعه على البواطن والظواهر وغيره من الحكام إِنَّمَا يُطْلَعُ عَلَى الظَّوَاهِرَ فيخطيء لعدم علمه بالبواطن اهـ شيخنا.  
 قوله: (حتى يحكم على المشركين بالقتال) أي الجهاد وأشار بهذا إلى قول ابن عباس نسخت هذه الآية بآية القتال اهـ كرخي.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة هود

مكية إلا ﴿أقم الصلاة﴾ الآية . أو إلا ﴿فلعلك تارك﴾ الآية  
﴿وأولئك يؤمنون به﴾ الآية . وهي مائة واثنان أو ثلاث وعشرون آية

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة: مبتدأ أخبر عنه بخبرين قوله: مكية وقوله: ومائة الخ، ويجوز في هود مراد به السورة الصرف وتركه وذلك باعتبارين، وهما أنك عنيت أنه اسم للسورة تعين منعه من الصرف وهذا رأي الخليل وسيبويه، وكذلك نوح ولوط إذا جعلتهما اسمين للسورتين المذكورتين اللتين هما فيهما، فنقول: قرأت هود ونوح ولوط، وتبركت بهود ونوح ولوط، وإن عنيت أنه على حذف مضاف جوزت صرفه فنقول: قرأت هوداً ونوحاً يعني سورة هود وسورة نوح اهـ سمين .

وهود: هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح، وقيل: هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد اهـ يضاوي .

قوله: إلا ﴿أقم الصلاة﴾ هذا سبق قلم إذ التلاوة، وأقم الصلاة بثبوت الواو وهي ثابتة في عبارة الخازن . وهذا قول ابن عباس، وقوله: أو إلا الخ هذا قول مقاتل، وقوله: ﴿وأولئك﴾ الخ معطوف على قوله: ﴿فلعلك﴾، فالمستثنى على قول مقاتل آيتان، وعلى قول ابن عباس آية . وعبارة الخازن: وهي مكية في قول ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة . وفي رواية عن ابن عباس أنها مكية غير آية وهي قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ [هود: ١١٤] وعن قتادة نحوه، وقال مقاتل: هي مكية إلا قوله: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ [هود: ١٢] وقوله: ﴿وأولئك يؤمنون به﴾ [هود: ١٧] وقوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤] . وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شئت قال: «شيئتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت» . أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب . وفي رواية غيره قال: قلت يا رسول الله عجل إليك الشيب . قال: «شيئتي هود وأخواتها الحاقة، والواقعة، وعم يتساءلون، وهل أتاك حديث الغاشية» . قال بعض العلماء: سبب شبهه ﷺ من هذه السور المذكورة في الحديث ما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار، والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ اهـ .

قوله: ﴿كتاب﴾ خبر مبتدأ محذوف كما صنع الشارح يدل على ذلك قوله في آية أخرى: ﴿ذلك الكتاب﴾ اهـ .

﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كَتَبُ أَحْكَمَتْ أَيْتُهُ﴾ بعجيب النظم ويدع المعاني ﴿ثُمَّ فَصَلَتْ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِنَ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي الله ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْسِيُّ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَيَسِّرُ﴾ بالشواب إن آمنتم ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾

قوله: ﴿أَحْكَمَتْ آيَاتِهِ﴾ المراد بها حقيقتها، وهي الجمل من السور المتفضل بعضها عن بعض. أي نظمت نظاماً متقناً لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه. وفي السمين: قوله: ﴿أَحْكَمَتْ آيَاتِهِ﴾ في محل رفع صفة لكتاب، والهمزة في أحكمت يجوز أن تكون للنقل من حكم بضم الكاف أي صار حكيماً بمعنى جعلت حكيمه، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] ويجوز أن يكون من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجماح، فالمعنى أنها منعت من الفساد، ويجوز أن تكون لغير النقل من الإحكام وهو الإتقان كالبناء المحكم المرصف، والمعنى أنها نظمت نظاماً رصيفاً متقناً اهـ.

قوله: ﴿ثُمَّ فَصَلَتْ﴾ ثم على بابها من التراخي، لأنها أحكمت ثم فصلت بحسب أسباب النزول، وجعل الزمخشري ثم للترتيب في الإخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان قال: فإن قلت ما معنى ثم؟ قلت: ليس معناها التراخي في الوقت، ولكن معناها التراخي في الإخبار، كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل، وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل اهـ سمين.

قوله: ﴿بِالْأَحْكَامِ﴾ أي بدلالاتها على الأحكام وما بعدها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مِنَ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صفة لكتاب وصف بها بعدما وصف بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات، ثم وصف بهذه الصفة الدالة على علو شأنه من حيث الإضافة، أو خبر ثان عن المبتدأ المقدر أو صلة للفاعلين اهـ أبو السعود.

وفي السمين قوله: ﴿مِنَ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ يجوز أن يكون صفة ثانية لكتاب، وأن يكون خبراً ثانياً عند من يرى جواز ذلك، ويجوز أن يكون معمولاً لأحد الفعلين المتقدمين، أعني أحكمت أو فصلت، ويكون ذلك من باب التنازع، ويكون من أعمال الثاني إذ لو عمل الأول لأضمر في الثاني، وإليه نحا الزمخشري، ويجوز أن يكون صلة أحكمت وفصلت أي من عنده إحكامها وتفصيلها، وفيه طباق حسن، لأن المعنى أحكمها حكيم، وفصلها خبير أي شرحها وبينها خبير بكيفيات الأمور، قال الشيخ: لا يريد أن من لدن يتعلق بالفعلين معاً من حيث صناعة الإعراب. بل يريد أن ذلك من باب الأعمال فهي متعلقة بهما من حيث المعنى، وهو معنى قول أبي البقاء أيضاً، ويجوز أن يكون مفعولاً والعامل فيه فصلت اهـ.

قوله: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ تعليل للفاعلين قبله، فتقدير الحرف المحذوف باللام كما وضع غير الشارح أولى أي لأجل أن تركوا عبادة غير الله وتعبدوا الله فأخذ الترك من لا النافية والإثبات من الاستثناء، ويحتمل أن الباء سببية فترجع لمعنى اللام اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ فيه أوجه، أحدها: أن تكون أن مخففة من الثقيلة، ولا تعبداً جملة نهى في محل رفع خبراً لأن المخففة واسمها على ما تقرر ضمير الأمر والشأن محذوف.

والثاني: أنها المصدرية الناصبة. ووصلت هنا بالنهي، ويجوز أن تكون لا نافية والفعل بعدها منصوب بأن نفسها، وعلى هذه التقادير فأن إما في محل جر أو نصب أو رفع، فالنصب والجر على أن الأصل لأن لا تعبدوا، أو بأن لا تعبدوا، فلما حذف الخافض جرى الخلاف المشهور والعامل إما فصلت وهو المشور وإما أحكمت عند الكوفيين، فتكون المسألة من باب التنازع، لأن المعنى أحكمت لثلاث تعبدوا أو بأن لا تعبدوا، أو فصلت لثلاث تعبدوا أو بأن لا تعبدوا. وقيل: نصب بفعل مقدر تقديره ضمن أي الكتاب أن تعبدوا فأن لا تعبدوا هو المفعول الثاني لضمن، والأول قائم مقام الفاعل. والرفع من أوجه، أحدها: أنه مبتدأ وخبره محذوف فقيل: تقديره من النظر أن لا تعبدوا إلا الله، وقيل: تقديره في الكتاب أن لا تعبدوا إلا الله. والثاني: خبر مبتدأ محذوف فقيل: تقديره تفصيله أن لا تعبدوا إلا الله، وقيل: تقديره هي أن لا تعبدوا إلا الله. والثالث: أنه مرفوع على البدل من آياته. الوجه الثالث: أن تكون أن تفسيرية لأن في تفصيل الآيات معنى القول، فكانه قيل قال ﴿لا تعبدوا إلا الله﴾ أو أمركم ﴿أن لا تعبدوا﴾ الخ، وهذا أظهر الأقوال لأنه لا يحوج إلى إضمار اهـ.

قوله: ﴿ألا تعبدوا﴾ ألا هذه تكتب موصولة أي: لا يفصل بين الألف ولا النافية بالنون، كما ذكره ابن الجزري فصنع الشارح معترض حيث أثبت نوناً حمراء حيث قال: أن فأثبت الألف والنون بالحمرة، فيقتضي أن النون من رسم القرآن، فكان عليه أن يقول إلا بقلم الحمرة، ثم يقول أي بأن لا بإثبات النون في التفسير، وعبارة ابن الجزري مع شرحها لشيخ الإسلام: فالقطع بعشر كلمات يعني فاقطع كلمة أن الناصبة للاسم أو للفعل بأن ترسمها مقطوعة عن لا النافية في عشرة مواضع، وهي أن لا مع ملجأ بالتوبة، وأن لا إله إلا هو بهود، وأن لا تعبدوا إلا الله ثاني هود بخلافة في أولها فإنه موصول اهـ.

قوله: ﴿إنني لكم﴾ الخ لما ذكر شؤون الكتاب ذكر أن من جاء به مرسل من عند الله لتبليغ أحكامه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿منه﴾ في هذا الضمير. وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أن يعود على الله تعالى أي: إنني لكم من جهة الله تعالى نذير وبشير. قال الشيخ: فيكون في موضع الصفة فيتعلق بمحذوف أي كائن من جهته، وهذا على ظاهره ليس بجيد، لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف، فكيف تجعل صفة لنذير، وكأنه يريد أنه صفة في الأصل لو تأخر، ولكن لما تقدم صار حالاً، وكذا صرح به أبو البقاء، فكان صوابه أن يقول فيكون في موضع الحال، والتقدير كائناً من جهته، الثاني: أن يعود على الكتاب أي نذير لكم من مخالفته وبشير منه لمن آمن وعمل صالحاً، وفي متعلق هذا الجار وجهان، أحدهما: أنه حال من نذير فيتعلق بمحذوف كما تقدم. والثاني: أنه متعلق بنفس نذير وبشير أي أنذركم نوائبه إن لم تؤمنوا وأبشركم برحمته إن أمتتم وقدم الإنذار، لأن التخويف أهم إذ يحصل به الانزعاج اهـ سمين.

قوله: ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ معطوف على ألا تعبدوا الخ عطف علة على أخرى، وقوله: ثم توبوا إليه عطف على أن استغفروا فهو علة ثالثة اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على أن الأولى

من الشرك ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يَمَتِّعْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَّعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِي﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاءه ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَلَا تَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو

سواء كانت لا بعد أن نفيًا أو نهياً فتعود تلك الأوجه المنقولة إلى أن هذه. والثاني: أن يكون منصوباً على الإغراء. قال الزمخشري في هذا الوجه: ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي ﷺ إغراء منه على تخصيص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾، كأنه قال اتركوا عبادة غير الله إنني لكم نذير بقوله تعالى: ﴿فَضْرِبِ الرِّقَابَ﴾ [محمد: ٤] اهـ.

قوله: ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ عطف على ما قبله من الأمر بالاستغفار، وثم على بابها من التراخي لأنه يستغفر أولاً ثم يتوب ويتجرد من ذلك الذنب بالمستغفر منه. قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى ثم في قوله ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾؟ قلت: معناها استغفروه من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة أو استغفروا ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَغَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠ والأحقاف: ١٣] قلت: قوله أو استغفروا الخ يعني أن بعضهم جعل الاستغفار والتوبة بمعنى واحد، فلذلك احتاج إلى تأويل توبوا بأخلصوا التوبة اهـ سمين.

قوله: ﴿يَمَتِّعْكُمْ﴾ مرتب على قوله ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا﴾، وقوله ﴿وَيُؤْتِ﴾ الخ مرتب على قوله: ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿يَمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ أي بعيشكم في أمن ودعة اهـ بيضاوي.

يعني أن من أخلص لله في القول والعمل عاش في أمن من العذاب وراحة مما يخشاه، وأما ما يلقيه من بلاء الدنيا فلا ينافي ذلك لما فيه من رفع الدرجات، فلا ينافي هذا كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ولا كون أشد الناس بلاء الأمثل فالأمثل اهـ شهاب.

وفي الكرخي قوله: بطيب عيش وسعة رزق، أو المراد بالمتاع الحسن المقيد بالاستغفار والتوبة هو الحياة في الطاعة والقناعة، ولا يكونان إلا للمستغفر التائب، وكون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر بالإضافة إلى ما أعد لهم من نعيم الآخرة، فلا يرد أن نجد من لم يستغفر الله ولم يتب يمتع متاعاً حسناً إلى أجله أي يرزقه ويوسع عليه، فما فائدة التقييد بالاستغفار والتوبة اهـ.

قوله: ﴿فَضْلَهُ﴾ الضمير لكل المضاف أو لله، وكلام الشارح يحتملها، لكن على الأول يكون قوله: جزاء إشارة لتقدير مضاف، وعلى الثاني يكون تفسيراً لفضل الله. وفي السمين قوله: ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ كل: مفعول أول، وفضله: مفعول ثان، وقد تقدم للسبيلي خلاف في ذلك، والضمير في فضله، يجوز أن يعود على الله تعالى أي يعطي كل صاحب فضل فضله أي يولي إياه، وأن يعود على لفظ كل أي يعطي صاحب فضل وجزاء فضله لا يبخس منه شيئاً أي جزاء عمله اهـ.

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ أي عن الأمور الثلاثة ترك عبادة غير الله والاستغفار الذي هو الاقلاع عن الشرك، والتوبة التي هي عمل الطاعات كما فسر الشارح بذلك اهـ شيخنا.

يوم القيامة ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب. ونزل كما رواه البخاري عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء، وقيل في المنافقين ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها

قوله: ﴿كبير﴾ صفة ليوم مبالغة لما يقع فيه من الأهوال، وقيل: صفة لعذاب فهو منصوب، وإنما خفض على الجوار كقولهم: هذا جحر ضب جحر بخر بخر وهو صفة لجحر اهد سمين.

قوله: (ومنه الثواب) أي من كل شيء. قوله: (فيمن كان) أي في جماعة من المسلمين، وقوله: أن يتخلى أي يقضي حاجته من البول والغائط، وقوله: فيفضي بالنصب عطفاً على المنصوب قبله، والمراد أنه يستحي أن يفضي بفرجه إلى جهة السماء وفي وقت التخلي، أو الجماع، كما ذكره زكريا على البيضاوي. وعبرة الخازن: وقد نقل عن ابن عباس أنه قال: كان أناس يستحيون أن يتخلوا إلى السماء وأن يجامعوا فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم اهـ.

وتنزيل الآية على هذا القول بعيد جداً لأن الاستحياء من الجماع وقضاء الحاجة في حال كشف العورة إلى جهة السماء أمر مستحسن شرعاً فكيف يلام عليه فاعله ويذم بمقتضى سياق الآية. وفي القرطبي قول آخر. ونصه: وقيل إن قوماً من المسلمين كانوا ينسكون أي يتعبدون بستر أبدانهم، ولا يكشفونها تحت السماء، فبين الله تعالى أن النسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد، وأظهره من قول وعمل اهـ.

وتنزيل الآية على هذا بعيد أيضاً، لأن ستر البدن لا يلام عليه ولا يذم، فالأولى تنزيل الآية على القول الآخر، وهو ما ذكره بقوله: وقيل في المنافقين، ويمكن أن يوجه تنزيلها على القول الأول بجعلها مسوقة للمدح في حق هؤلاء المسلمين، فقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ أي المسلمين ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ أي استحياء من كشف عوراتهم وأبدانهم. وأما على القول الآخر فيكون القصد منها اللوم والذم، ويكون الضمير في قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ راجعاً للمنافقين تأمل. وفي الخازن: قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في الأخنس بن شريق من منافقي مكة، وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر، وكان يلقي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره، فنزل ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾. يعني: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة. من ثبت الثوب إذا طويته على ما فيه من الأشياء المستورة. وقال عبد الله بن شداد بن الهاد: نزلت في بعض المنافقين كان إذا مرَّ برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله ﷺ فيدعوه إلى الإيمان، وقال قتادة: كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره. وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه، ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي، وقال السدي: ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثبتت عناني ليستخفوا منه يعني من رسول الله ﷺ. وقال مجاهد: من الله عز وجل إن استطاعوا ﴿إِلَّا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يعني يغطون رؤوسهم بثيابهم. ومعنى الآية على ما قاله الأزهري إن الذين اضمروا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفى علينا حالهم في كل حال اهـ.

وفي أبي السعود: أي يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة

﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُبْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يُدَافِعُ الْقُتُورُ﴾ أي بما في القلوب ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصليب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو الوحم

النبي ﷺ بحيث يكون ذلك مخفياً مستوراً فيها، كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة اهـ.

قوله: ﴿يُنُونَ﴾ أصله يثنون لأنه من باب رمى، فالمصدر الثني نقلت ضمة الياء إلى النون قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين فوزنه يفعلون لأن الياء المحذوفة هي لام الكلمة اهـ شتيخنا.

قوله: ﴿لِيَسْتَخْفُوا﴾ متعلق بيشنون، والمعنى أنهم يفعلون ثني الصدر لهذه العلة اهـ سمين.

قوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي يتغطون بها للاستخفاء، على ما نقل ابن شداد، أو حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بثيابهم، وإنما يقع حيثئذ حديث النفس عادة. وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويخفي ظهره ويتغشى ثوبه ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ﴾ العامل في الظرف مقدر وهو يستخفون، ويجوز أن يكون ظرفاً ليعلم أي ألا يعلم سرهم وعلنهم حين يفعلون كذا وهذا معنى واضح وكأنهم إنما جوزوا غيره لثلا يلزم تقييد علمه تعالى سرهم وعلنهم بهذا الوقت الخاص، وهو تعالى عالم بذلك في كل وقت، وهذا غير لازم لأنه إذا علم سره وعلنهم في وقت التغطية الذي يخفى فيه السر، فأولى ممن غيره، وهذا بحسب العادة، وإلا فالله تعالى لا يتفاوت علمه اهـ كرخي.

قوله: ﴿يَتَغَطُّونَ بِهَا﴾ أشار بهذا إلى أن قوله ثيابهم منصوب بنزع الخافض. وفي القاموس: واستغشى ثوبه وبه تغطى به كي لا يسمع ولا يرى اهـ.

قوله: ﴿مَا يَسْرُونَ﴾ أي في قلوبهم وما يعلنون أي بأفواههم. قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ الخ بيان لكونه عالماً بالمعلومات كلها، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخ بيان لكونه قادراً على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد، ولما سبق من الوعد والوعيد اهـ بيضاوي.

وفي المصباح: دب الصغير يدب من باب ضرب إذا مشى، ودب الجيش ديباً أيضاً ساروا سيراً ليناً، وكل حيوان في الأرض دابة اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ الجار والمجرور خبر، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ الْخ﴾ معطوف عليه فهو داخل في حيز إلا اهـ.

قوله: ﴿فَضْلاً مِنْهُ تَعَالَى﴾ أي فهو موكول إلى مشيئته إن شاء رزقها وإن شاء لم يرزقها. وقيل: إن لفظة على بمعنى من أي من الله رزقها. قال مجاهد: ما جاءها من رزق فمن الله، وربما لم يرزقها فتموت جوعاً اهـ خازن.

وعبارة الكرخي قوله: تكفل به فضلاً منه أشار إلى أن على بابها وأنه عليه من باب الفضل لا

﴿كُلُّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ بين هو اللوح المحفوظ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَكُنَّا عَرْشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على متن الريح ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ متعلق بخلق أي خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أطوع لله ﴿وَلَيْنَ قُلْتِ﴾ يا محمد لهم ﴿إِنَّكُمْ تَبْعَوْنُونِي مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ

الوجوب، لأنه لا يجب عليه شيء، والحاصل أن المراد بالوجوب هنا وجوب اختيار لا وجوب الزام كقوله ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»، وأتى بصيغة الوجوب حثاً على التوكل أو على بمعنى من أي من الله رزقها، والمراد به ما يقوم به رمقها وتعيش به اهـ.

قوله: ﴿مستقرها ومستودعها﴾ يجوز أن يكونا مصدرين أي استقرارها واستيداعها، ويجوز أن يكون مستودعها اسم مفعول لتعدي فعله، ولا يجوز ذلك في مستقر لأن فعله لازم اهـ سمين.

وقد حملهما الشرح على أنهما اسما مكان حيث قال: مسكنها في الدنيا. وفي البيضاوي: ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ أماكنها في الحياة وفي الممات، أو الأصلاب والأرحام، أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل، ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة اهـ.

وقوله: من المواد كالمني والعلقة والمقار كالصلب والرحم، وقوله: ﴿بعد﴾ أي بعد أن لم تكن شيئاً اهـ زكريا.

قوله: (أو الصلب) أي صلب الآباء ومستودعها بعد الموت وهو القبر. قوله: ﴿كل﴾ (مما ذكر) أشار إلى أن المضاف إلى كل محذوف تقديره كل ما ذكر من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها أي كل منها مع أحوالها اهـ كرخي.

قوله: ﴿خلق السموات والأرض﴾ أي وما في الأرض من الأقوات والحيوان وغيرها دل على هذا التقدير قوله: الآتي وما فيهما، والكلام على التوزيع أي خلق السموات في يومين، والأرض في يومين، وأقواتها يومين كما سيأتي هذا التفضيل في سورة فصلت اهـ شيخنا.

قوله: (أولها الأحد النخ) هذا مشكل جداً، إذ لا يتعين الأحد ولا غيره من الأيام إلا عند وجود الأيام بالفعل، وفي تلك الحال لم يكن زمان قط فضلاً عن تفصيله أياماً فضلاً عن تخصيص كل يوم باسم، والجواب الذي تقدم من أن المراد في قدر ستة أيام لا يدفع هذا الإشكال، وإنما يدفع الإشكال الآخر وهو أنه لم يكن ثم زمان. قوله: ﴿على الماء﴾ أي لم يكن بينهما حائل لا أنه كان موضوعاً على متن الماء اهـ بيضاوي.

بل هو في مكانه الذي هو فيه الآن وهو ما فوق السموات السبع، والماء في المكان الذي هو فيه الآن وهو ما تحت الأرضين السبع اهـ.

قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب معمولة ليلوكم علق عنها بالاستفهام. قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز تعليق فعل البلوى؟ قلت: لما في الاختبار من معنى العلم، لأنه طريق إليه فهو ملابس له اهـ سمين.

الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ مَا هَذَا القرآن الناطق بالبعث والذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بين، وفي قراءة ساحر، والمشار إليه النبي ﷺ ﴿وَلَكِنْ أَخْرَأْنَاهُمْ الْعَذَابَ إِلَهُ﴾ مجيء ﴿أَمْوًا﴾ أوقات ﴿مَعْدُودَةً﴾ لَيَقُولُنَّ استهزاء ﴿مَا يَحْسِبُهُ﴾ ما يمنعه من النزول، قال تعالى ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾

قوله: ﴿ولئن قلت﴾ الخ اللام موطئة للقسم، فقد اجتمع في الكلام شرط وقسم، والقاعدة أن يحذف جواب المتأخر ويذكر جواب المتقدم، فقوله ﴿ليقولن﴾ الخ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، وكذا يقال في قوله: ﴿ولئن أخرنا﴾ الخ، وقوله: ﴿ولئن أذقنا الإنسان الخ﴾ وقوله: ﴿ولئن أذقناه الخ﴾ فالمواضع أربعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا سحر مبين﴾ أي كالسحر، فالكلام من باب التشبيه البليغ حيث شبهوا نفس البعث أو القرآن المتضمن لذكره بالسحر في الخديعة حيث زعموا أنه إنما ذكر ذلك لمنع الناس عن لذات الدنيا وصرفهم إلى الانقياد له، ودخولهم تحت طاعته أو في البطلان، فإن السحر لا شك أنه تمويه وتخيل باطل فشبها به الأمور المذكورة في البطلان اهـ زاده.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة، وقوله: والمشار إليه النبي أي على هذه القراءة. قوله: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب﴾ أي الذي يستعجلونه استهزاء، وقوله: ﴿إلى أمة﴾ الأمة في الأصل الجماعة والطائفة من الناس، والمراد بها هنا الطائفة من الناس، والمراد بها هنا الطائفة من الأزمنة كما قال الشارح، وقوله: ﴿معدودة﴾ أي قليلة إذ الحصر بالمعد يشعر بالقلّة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليقولن ما يحسه﴾ هذا الفعل معرب مرفوع بالنون المحذوفة لالتقاء الساكنين المدلول عليها بالضمّة فاعل، وإنما أعرب مع نون التوكيد لانفصالها بالواو في التقدير، وإن باشرت في اللفظ وشرط البناء معها مباشرتها فيهما، وهذا بخلاف ليقولن المتقدم فإنه مبني لمباشرة النون في اللفظ والتقدير اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿ما يحسه﴾ هذا الفعل معرب على المشهورة، لأن النون مفصولة تقديراً إذ الأصل ليقولون النون الأولى للرفع وبعدها نون مشددة، فاستثقل توالي الأمثلة، فحذفت نون الرفع لأنها لا تبدل على المعنى على ما تبدل عليه نون التوكيد، فالتقى ساكنان فحذفت الواو التي هي ضمير الفعل لالتقاءهما ساكنة ومع النون، وقد تقدم تحقيق ذلك، وما يحسه استفهام فما مبتدأ ويحسه خبر، وفاعل الفعل ضمير اسم الاستفهام والمنصوب يعود على العذاب، والمعنى أي شيء من الأشياء يحسها العذاب اهـ.

أي أي شيء يحسه ويمنعه؟ وهذا الاستفهام على سبيل الاستهزاء والسخرية كما قال الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألا يوم يأتيهم﴾ ألا: أداة استفتاح داخلة على ليس في المعنى، ويوم معمول لخبر ليس، واسمها ضمير مستتر فيها يعود على العذاب، وكذلك فاعل يأتيهم مستتر، والتقدير: ألا ليس هو أي العذاب مصروفاً عنهم يوم يأتيهم العذاب، وقوله: وحق بمعنى المضارع أي ويحق وهو معطوف على جملة ليس، فهو في حيز ألا الاستفتاحية اهـ شيخنا.



مدفوعاً ﴿عَنَّمْ وَحَاف﴾ نزل ﴿يِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفر به ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعَمَةً بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ﴾ المصائب ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُمْ لَفُجَّ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة ﴿فَلَمَّا لَكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم

وفي السمين: وقال الشيخ: وقد تبعت جملة من دواوين العرب، فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية اهـ.

قوله: ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون، لأن استعجالهم كان استهزاء اهـ يضاوي. وقوله من العذاب بيان لما.

قوله: ﴿ولئن اذقنا الإنسان﴾ أي أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها اهـ يضاوي.

قوله: ﴿ثم نزعناها منه﴾ أي أخذناها قهراً عليه. قوله: (قنوط من رحمة الله) أي قاطع رجاء منها لقلّة صبره وعدم ثقته بالله اهـ يضاوي.

قوله: (ولم يتوقع زوالها) أي النعماء: قوله: ﴿إِلَّا﴾ (لكن) أي فالاستثناء منقطع. وفي السمين قوله: ﴿إلا الذين صبروا﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب على الاستثناء المتصل إذ المراد بالإنسان الجنس لا واحد بعينه. والثاني: أنه منقطع إذ المراد بالإنسان شخص معين وهو على هذين الوجهين منصوب المحل. والثالث: أنه مبتدأ والخبر الجملة من قوله ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ وهو منقطع أيضاً اهـ.

قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم وإن جمعت وأجر كبير وصفة به لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ودفع التكاليف والأمن من عذاب الله والنظر إلى وجهه الكريم، واختياره على العظيم لعله لرعاية الفواصل اهـ كرخي.

قوله: ﴿فلعلك تارك﴾ الخ المقصود بهذا الترجي النهي مع الاستبعاد أي: لا تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك ولا يضيق به صدرك، والترك والضيق مستبعدان منك، فقوله: وضائق معطوف على تارك أي: ولعلك ضائق أي ولعلك يضيق صدرك أي يعرض لك ضيق صدرك به أي بالبغض أي بتلاوته عليهم اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿فلعلك﴾ الأحسن أن تكون على بابها من الترجي بالنسبة إلى المخاطب، وقيل: هي للاستفهام والإنكار، كقوله عليه الصلاة والسلام: «لعلنا أعجلناك» وقوله: وضائق نسق على تارك وعدل عن ضيق، وإن كان أكثر من ضائق. قال الزمخشري: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت وصدرك فاعل بضائق، ويجوز أن يكون ضائق خبراً مقدماً، وصدرك مبتدأ مؤخرًا. والجملة خبر عن الكاف في لعلك، فيكون قد أخبر بخبرين. أحدهما مفرد، والثاني جملة عطف على مفرد، إذ هي

إِيَّاهُ لَتَهَانَهُمْ بِهِ ﴿وَصَاقِبُ لَهُمُ سَدُّكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ كِتَابًا أَوْ جَعَلْنَا مَعَهُ مَلَكًا﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فلا عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه

بمعناه فهو نظير إن زيدا قائم وأبوه منطلق . أي : وإن زيدا أبوه منطلق اهـ .

وفي البيضاوي : ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ ترك تبليغ بعض ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم اهـ .

ولما كان الترجي يقتضي التوقع وتوقع ترك التبليغ لا يليق بمقام النبوة قيل في الجواب عنه : لا نسلم أن لعل للترجي بل هي للتبديد ، فإنها تستعمل لذلك كما تقول العرب : لعلك تفعل كذا لمن لا يقدر عليه ، فالمعنى لا تترك . وقيل : إنها للاستفهام الإنكاري كما في الحديث لعلنا أعجلناك ، وإن سلم فهي للتوقع من الكفار ، فإنه قد يكون لتوقع المتكلم وهو الأصل لأن معاني الإنشاءات قائمة به ، وقد يكون للتوقع من المخاطب أو غيره من له تعلق وملابسة بمعناه كما هنا ، فالمعنى أنك بلغ بك الجهد في تبليغهم أنهم يتوقعون منك ترك التبليغ لبعضه ، ولو سلم أن المتوقع منه هو النبي فلا يلزم ممن توقع الشيء وقوعه ، وعلى هذا اقتصر المصنف وتوقع ما لا يقع منه المقصود منه تحريضه على تركه اهـ شهاب .

قوله : ﴿بعض ما يوحى إليك﴾ المراد بالبعض ما فيه سب آلهتهم ، فقد قالوا به : اثنتا بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا ، فهم النبي أن يترك ذكر آلهتهم ، فأنزل الله فلعلك الآية بهذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية ، ومعلوم أن الأنبياء معصومون من المعصية ومن الهمة بها ، وترك تبليغ البعض الذي فيه سب آلهتهم معصية . وأجابوا عن ذلك بوجوه ، أحدها : أن المقصود بهذا التأكيد عليه والمبالغة في الإبلاغ وتأديبه وتحريضه على أداء ما أنزل . ثانيها : أن الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ، وكان النبي ﷺ يضيق صدره من ذلك ، فكره أن يلقي إليهم ما يستهزئون به ، فأمره الله أن يبلغهم وأن لا يلتفت إلى استهزائهم اهـ خازن .

قوله : ﴿لتهانوهم﴾ أي استهزائهم . قوله : ﴿لأجل﴾ ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ لو قدر النافي أيضاً لكان أولى بأن يقول لأجل أن لا يقولوا ، وعلى ما صنعه يجعل المضارع بمعنى الماضي أي لأجل أن قالوا ما ذكر . وهذا التقدير تبع فيه أبا البقاء واعترضه السمين ونصه قوله : أن يقولوا أي كراهة ، أو مخافة أن يقولوا ، أو لئلا يقولوا ، أو بأن لا يقولوا . وقال أبو البقاء : لأن يقولوا أي لأن قالوا فهو بمعنى الماضي . وهذا لا حاجة إليه فكيف يدعي ذلك عليه ومعه ما هو نص في الاستقبال وهو الناصب . ولولا تحضيضه وجملته التحضيض منصوبة بالقول اهـ .

قوله : ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ الخ فقد قالوا : إن كنت صادقاً في أنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء ، وأنت عزيز عنده مع أنك فقير ، فهلا أنزل إليك ما تستغني به أنت وأصحابك ، وهلا أنزل عليك ملكاً يشهد لك بالرسالة ، فتزول الشبهة في أمرك اهـ خازن .

قوله : ﴿لولا أنزل عليه كِتَابٌ﴾ أي مال كثير من شأنه أن يكثر أي يدفن اهـ زاده .

قوله : ﴿فلا عليك إلا البلاغ﴾ أي فلا تبال بقولهم ولا تغتم منهم اهـ شيخنا .

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٢٧﴾ حفيظ فيجازيهم ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفَرَّدَاتٍ﴾ فإنكم عرييون فصحاء مثلي . تحداهم بها أولاً ، ثم بسورة ﴿وَادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ في أنه افتراء ﴿فَلَا تَمَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي من دعوتهم للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب

قوله: ﴿أَمْ يقولون افتراء﴾ أم: بمعنى بل ، والهمزة كما قال الشارح ، وبل التي في ضمنها للإضراب الانتقالي والهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجب والضمير المستكن في افتراء للنبي والبارز لما يوحى اهـ أبو السعود .

قوله: ﴿قُلْ فَاتُوا﴾ الخ أي قل لهم إرخاء للعنان هـوا أنني اختلقته من عندي وأنتم عرييون مثلي ، فاتوا بكلام مثل هذا الكلام الذي جئت به من عند أنفسكم ، فإنكم تقدرون على مثل ما أقدر أنا عليه ، بل أنتم أقدر مني لممارستكم الاشعار والوقائع اهـ من الخازن وأبي السعود .

قوله: ﴿مثله﴾ نعت لسور ومثل ، وإن كانت بلفظ الأفراد فإنها يوصف بها المثني والمجموع والمؤنث ، كقوله تعالى: ﴿أَنْزَمْنَا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧] وتجاوز المطابقة قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ﴾ [الواقعة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] والهاء في مثله تعود لما يوحى ، ومفتريات صفة لسور جمع مفتراة كمصطفيات في مصطفاة ، فانقلبت الألف ياء كالتثنية اهـ سمين .

قوله: (تحداهم بها أولاً) أي بعد أن تحداهم بكل القرآن ، فالأولية نسبية وتحرير القول في ذلك أنه تحداهم بكل القرآن أولاً كما في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية ثم تحداهم بعشر سور كما في هذه السورة ، ثم بسورة البقرة ويونس ، فالإسراء قبل هود نزولاً ويلها هود ويلها يونس ويلها البقرة اهـ شيخنا .

قوله: (على ذلك) أي الإتيان وقوله: ﴿من استطعتم﴾ أي من الأصنام أو من المخلوقات .

قوله: ﴿فَلَا تَمَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ إلم تكتب بغير نون كما في خط المصحف . أي: تكتب الألف ثم اللام وفيها الميم ، وهذا في خصوص هذا الموضع ، وعبارة شيخ الإسلام لشرح الجزية وصل ، ﴿فَلَا تَمَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ في هود وما عداه نحو: فإن لم يفعلوا ولئن لم ينتهوا وإن لم يستجيبوا لك مقطوع اهـ .

قوله: ﴿يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي يجيبونكم ، واعلم أنه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين ونهيين وخطابين أحدهما: أمر وخطاب للنبي ﷺ وهو قوله: ﴿قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾ ، والثاني: أمر وخطاب للكفار ، وهو قوله: ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ثم اتبع بقوله: ﴿فَلَا تَمَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ احتمال أن يكون المراد الكفار لم يستجيبوا للكفار في المعارضة ، فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين .

أحدهما: أن النبي ﷺ والمؤمنين معه كانوا يتحدثون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم ، فلما

للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾  
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ بعد هذه الحجة القاطعة أي أسلموا ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾  
 بأن أصر على الشرك، وقيل هي في المراتين ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي جزاء ما عملوه من خير

عجزوا عن المعارضة قال الله لتبیه ﷺ والمؤمنين معه: ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ يعني فيما دعوتهم إلى  
 من المعارضة وعجزوا عنه، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله يعني فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وردادوا  
 يقيناً وثباتاً، لأنهم كانوا عالمين أنه منزل من عند الله. وقيل: الخطاب في قوله: ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾  
 للنبي ﷺ وحده، وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيماً له ﷺ.

القول الثاني: أن قوله ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ خطاب مع الكفار، وذلك أنه تعالى لما قال في الآية  
 المتقدمة: ﴿وَادْعُوا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال الله عز وجل في هذه الآية: ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾  
 أيها الكفار ولم يعينوكم، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأنه ليس مفترى على الله، بل هو أنزل على رسوله  
 محمد ﷺ إله خازن.

قوله: ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أنما أداة حصر كأنما المكسورة، وأنزل فعل المضارع ونائب الفاعل  
 ضمير مستتر فيه راجع لما يوحى أو لبعض ما يوحى، وقوله: ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ الياء للملازمة كما أشار  
 المشاويح، والمعنى فاعلموا أن القرآن المنزل على محمد لم ينزل إلا حال كونه ملتبساً بعلم الله لا  
 بالافتراء كما تزعمون إله شيخنا.

ويصح أيضاً أن تكون ما موصولة. وفي السمين: يجوز في ما أن تكون كافة، وفي أنزل ضمير  
 يعود على ما يوحى إليك، ويعلم الله حال أي ملتبساً بعلم الله، ويجوز أن تكون موصولة اسمية أو  
 حرفية تقديره: فاعلموا أن تنزيله أو أن الذي أنزل ملتبس بعلم الله، وأن لا إله إلا هو. نسق على أن  
 قبلها، ولكن هذه مخففة فاسمها محذوف وجملة النفي خبرها إله.

قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ثابتون على الإسلام، راسخون فيه، مخلصون إذا تحقق عندكم  
 إعجازه، ويجوز أن يكون الكل خطاباً للمشركين، والضمير في لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم أي:  
 فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم، وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة، فاعلموا  
 أنه نظم لا يعلمه إلا الله، وأنه منزل من عنده، وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق، فهل أنتم داخلون في  
 الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة؟ وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتبیه  
 على قيام الموجب وزوال العذر إله بيبضاي.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ من: شرطية مبتدأ، وفاعل كان ضمير مستتر يعود على من،  
 وجملة يريد خبر كان وفي هذين الضميرين مراعاة لفظ من، وقوله: ﴿نُوفٍ﴾ الخ جواب الشرط مجزوم  
 بحذف الياء، وفي قوله: ﴿إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ إلى آخر الضمائر مراعاة معناها إله شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ﴾ الجمهور على نواف بنون العظمة وتشديد الياء من وفي يوفي،  
 والفاعل ضمير الله تعالى، وقرىء يوف بضم الياء وفتح الياء مشددة من وفي يوفي مبنياً للمفعول،  
 وأعمالهم بالرفع قائم مقام الفاعل، وجزم نواف لكونه جواباً للشرط إله.

كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهَرَفِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿لَا يَبْخَسُونَ﴾ ينقصون شيئاً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ بِطُلَّ﴾ مَاصْنَعُوا ه ﴿فِيهَا﴾ أي

قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ أي مع مباشرة الأعمال بدليل قوله: ﴿نوف إليهم أعمالهم﴾، فليس المراد مجرد الإرادة، وقوله: ﴿وزينتها﴾ أي ما يتزين به فيها من الصحة والأمن والسعة والرزق وكثرة الأولاد والرياسة وغير ذلك، وليس المراد بأعمالهم أعمال كلهم، فإن بعضهم لا يجد ما يتمناه كما يدل عليه قوله: ﴿من كان يريد العاجلة﴾ [الإسراء: ١٨] الآية. وقوله: ﴿لا يبخسون﴾. إنما عبر عن عدم نقص أعمالهم بنفي البخس الذي هو نقص الحق مع أنه ليس لهم شائبة حق فيما أوتوه، كما عبر عن إعطائه بالتوفية التي هي إعطاء الحقوق مع أن أعمالهم بمعزل عن كونها مستوجبة لذلك بناء للأمر على ظاهر الحال، ومبالغة في نفي النقص أي: إن كان ذلك نقصاً لحقوقهم، فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم أصلاً اهـ أبو السعود.

قوله: (بأن أصر على الشرك) أي الكفر، وعلى هذا هي واردة في الكفار، وعليه فلا إشكال في قوله: ﴿ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ وقوله: وقيل في المرائين أي بأعمالهم، وعليه فيشكل الحصر المذكور إلا أن يقال إنه محمول على الزجر والتنفير اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: اختلف المفسرون في بهذه الآية، فروي عن قتادة، عن أنس أنها في اليهود والنصارى، وعن الحسن مثله. وقال الضحاك: من عمل صالحاً في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطي على ذلك أجراً في الدنيا، وهو أن يصلرحماً، أو يعطي سائلاً، أو يرحم مضطراً، ونحو هذا من أعمال البر ويعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق، ويقر عينه فيما حوله، ويرفع عنه المكاه في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. ويدل على صحة هذا القول سياق الآية، وهو قوله: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ الآية، وهذه حالة الكفر في الآخرة. وقيل: نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله ﷺ الغنائم، لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة. وقيل: إن حمل الآية على العموم أولى فيندرج فيه الكافر، والمنافق الذي هذه صفته، والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسعنة. قال مجاهد: في هذه الآية هم أهل الرياء، وهذا القول مشكل لأن قوله: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ لا يليق بحال المؤمن، إلا أن يقال إلا تلك الأعمال الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغير الله تعالى استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار. ويدل على هذا ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» أخرجه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ربحها أخرجه أبو داود اهـ.

الآخرة فلا ثواب له ﴿وَيُطْلَىٰ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَنْبُوتَ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّهِ﴾ وهو

قوله: (وقيل هي في المرائين) هو ما اختاره البيضاوي لحديث أنه يقال لأهل الرياء: «حجيتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك، فقد قيل ذلك»، ثم قال: «إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار» رواه أبو هريرة ثم بكى بكاء شديداً، ثم قال: صدق رسول الله من كان يريد الحياة الدنيا الخ أخرجهم مسلم في صحيحه اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِلَّا النَّارُ﴾ أي في مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وَحِطُّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ يجوز أن يتعلق فيها بحبط، والضمير على هذا يعود على الآخرة أي: وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة، ويجوز أن يتعلق بصنعوا، فالضمير على هذا يعود على الحياة الدنيا كما عاد عليها في قوله: ﴿نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾ وما فيما صنعوا يجوز أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي الذي صنعوه، وأن تكون مصدرية أي وحبط صنعهم اهـ سمين.

قوله: ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون باطل خيراً مقدماً وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخرأ، وما يحتمل أن تكون مصدرية أي وباطل كونهم عاملين، وأن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي يعملونه، وهذا على الكلام من عطف الجمل.

الثاني: أن يكون وباطل عطفاً على الأخبار قبله أو أولئك باطل ما كانوا يعملون وما كانوا يعملون فاعل بباطل. ويرجح هذا ما قرأ به زيد بن علي وبطل ما كانوا يعملون جملة فعلاً ماضياً معطوفاً على حبط اهـ سمين.

وفي البيضاوي: وباطل في نفسه ما كانوا يعملون، لأنه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها اهـ.

قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَبْنَةَ مِنْ رَبِّهِ﴾ لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله والدار الآخرة فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَبْنَةَ﴾ الخ اهـ خازن.

ومن مبتدأ خبره ما قدره الشارح بقوله: كمن ليس كذلك أو جواب الاستفهام محذوف بقدره بقوله لا أي لا يستويان، وقد صرح بهذين المحذوفين في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عَلَىٰ يَبْنَةَ﴾ أي مصاحباً لها. قوله: (وهي النبي) وعليه فالجمع في قوله ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ للتعظيم، وقوله: أو المؤمنون وعليه فالجمع ظاهر، وفي نسخة والمؤمنون بالواو. وقوله ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ الضمير لمن، ومعنى التلو التبعية كما قاله الشارح ومعناها أنه يؤيده ويشدده ويقويه كما قال الخازن اهـ شيخنا.

النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له يصدقه ﴿وَنَنْهَ﴾ أي من الله وهو جبريل ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي القرآن ﴿كَتَبَ مُوسَى﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال كمن

قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ حال من كتاب موسى المعطوف على شاهد عطف المفردات كما في السمين، فحينئذ العامل وهو يتلوه مسلط عليه، فكان الأولى للشارح أن يقول يتلوه أيضاً بدل قوله شاهد، لأن هذا هو الذي يقتضيه التركيب. وإعراب البيضاوي كتاب موسى مبتدأ والجار والمجرور خبراً. وفي السمين: وكتاب موسى عطف على شاهد، والمعنى أن التوراة والإنجيل يتلوان محمداً ﷺ في التصديق، وقد فصل بين حرف العطف والمعطوف بقوله من قبله، والتقدير شاهد منه، وكتاب موسى من قبله وقد تقدم الكلام على الفصل بين حرف العطف والمعطوف مشعباً في النساء اهـ.

قوله: (شاهد له) أي لمن كان على بينة أيضاً أي لأن النبي ﷺ موصوف في كتاب موسى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل اهـ قرطبي.

وعبارة أبي السعود: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقيقة ما رغب في الثبات عليه في الإسلام وهو القرآن، وباعتباره أو بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع إليها في قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ أي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى، وهو الإعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الإخبار بالغيب، وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل، غير أنه على التقدير الأول يكون الكلام إشارة إلى حال رسول الله ﷺ، والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلاً بعلم الله تعالى بشهادة الإعجاز. وقوله منه أي من القرآن غير خارج عنه، أو من جهة الله تعالى، فإن كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة. ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله ﷺ، فإن ذلك أيضاً من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى، فالمراد بمن في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ﴾ كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة، فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا﴾ فهل أنتم دخولاً أولاً. وقيل: هو النبي ﷺ، وقيل: مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه، وقيل: المراد بالبينه دليل العقل والشاهد القرآن، فالضمير في منه لله تعالى أو البينة القرآن، ويتلوه من التلاوة، والشاهد جبريل أو لسان النبي ﷺ، على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه، والأولى هو الأول. ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة، وكونه من عند الله تابعاً له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد، فإن القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن. وجاحد عطف كتاب موسى في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابَ مُوسَى﴾ على فاعله مع كونه مقدماً عليه في النزول، فكأنه قيل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى، وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفاً لازماً له غير منفك عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اهـ بحروفه.

قوله: ﴿إِمَامًا﴾ أي مقتدى به في الدين، ورحمة أي على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه المؤيدة بالقرآن اهـ أبو السعود.

ليس كذلك لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أي من كان على بينة من ربه ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي بالقرآن فلهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُولَئِكَ يُعْزَبُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصار يمتنعونهم من عذابه ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا

قوله: (أي من كان على بينة) أشار بهذا إلى أن أولئك راجع لمن في قوله ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ﴾، ويكون قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ الخ راجعاً لما قدره بقوله كمن ليس كذلك فهو لفه ونشر مرتب: قوله: ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ أي مكان وعده الذي يصير إليه كترخي،

قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ المرية بالكسر والضم الشك ففيها لغتان أشهرهما الكسر وهي لغة الحجاز وبها قرأ جماهير الناس، والضم لغة أسد وتميم، وبها قرأ السلمي وأبو رجاء وأبو الخطاب والسدوسي أه سمين والخطاب في تك للنبي والمراد غيره.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ الخ ذكر لهم هنا من أوصافهم أربعة عشر وصفاً، أولها افتراء الكذب وآخرها كونهم في الآخرة أخسر من غيرهم أه شيخنا.

قوله: ﴿أُولَئِكَ يُعْزَبُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي عرضاً تظهر به فضيحتهم أه شيخنا.

قوله: (جمع شاهد) أي أو جمع شهيد، فالأول كصاحب وأصحاب، والثاني مثل شريف وأشراف، وقوله: وهم الملائكة أي والنبيون والجوارح أه يضاوي.

قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ الخ يعني يقول الله ذلك لهم يوم القيامة فيلغتهم ويتردهم من رحمته أه خازن.

وفي الخطيب: ولما أخبر الله عن حالهم في عقاب القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فبين تعالى أنهم في الحال ملغونون من عند الله أه.

قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي ينسبون لها لاعوجاج أه.

وقوله: وهم مبتدأ وكافرون خبر.

قوله: ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ (الله) أي مفلتين أنفسهم من أخذه لو أرادوا ذلك في الأرض مع سعتها، وإن هربوا فيها كل مهرب أه أبو السعود.

قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ من زائدة في اسم كان. قوله: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ مستأنف. فإن قيل:



يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴿٢٠﴾ وَلِلْحَقِّ ﴿٢١﴾ وَمَا كَانُوا يَتَّبِعُونَ ﴿٢٢﴾ هـ أي لفرط كراحتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ على الله من دعوى الشريك ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنْتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّ

ما معنى مضاعفة العذاب وقد نص الله على أن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها؟ قيل: معناه مضاعفة عذاب الكفر بالتعذيب على ما فعلوا من المعاصي والتعامي عن آيات الله ونحو ذلك من تضاعف كفرهم وبغيتهم وصدهم عن سبيل الله اهـ شهاب.

وأجاب الشارح بجواب آخر حيث قال بإضلالهم غيرهم، والمعنى أنه يزداد عذابهم في الآخرة فيعذبون على ضلالهم في أنفسهم وعلى إضلالهم غيرهم، وهذا غير خارج عن قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها.

قوله: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الخ تعليل لمضاعفة العذاب اهـ شيخنا.

قوله: (أي لفرط كراحتهم) توجيه لنفي الإحساسين المذكورين، وقوله: له أي الحق، وقوله: ذلك أي المذكور من السماع والإبصار اهـ شيخنا.

قوله: (من دعوى الشريك) عبارة أبي السعود: من الآلهة وشفاعتها، وهي أوضح إذ هي التي تغيب عنهم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص: ٦٢] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ وردت في القرآن في خمسة مواضع متلوة بـان اسمها، ولم يجيء بعدها فعل، واختلف فيها فقيل لا نافية لما تقدم، وقيل زائدة، قاله في الإتيان اهـ كرخي.  
وعبارة أبي السعود: لا جرم فيها ثلاثة أوجه.

الأول: أن لا نافية لما سبق، وجرم فعل ماضٍ بمعنى حق وثبت، وأن وما في حيزها فاعله أي حق وثبت كونهم في الآخرة هم الآخرون وهذا مذهب سيبويه.

والثاني: أن جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي كسب ذلك خسراهم، والمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور خسراهم.

والثالث: أن لا جرم بمعنى لا بد أي لا بد أنهم في الآخرة هم الآخرون اهـ.

وفي الخطيب ما نصه: قال الفراء: إن لا جرم بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة، ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقاً تقول العرب: لا جرم إنك محسن على معنى حقاً إنك محسن اهـ.

وفي السمين: وفي هذا اللفظة خلاف بين النحويين وتلخص من ذلك وجوه.

أحدها: وهو مذهب الخليل وسيبويه أنهما مركبتان من لا النافية وجرم وبنيتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر، وصار معناهما معنى فعل وهو حق، فعلى هذا يرتفع ما بعدهما بالفاعلية. فقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ﴾ [النحل: ٦٢] أي حق وثبت كون النار لهم أو استقرارها لهم.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا ﴿٢٣﴾ سَكَنُوا وَأَطْمَأَنَّنُوا أَوْ أَنَابُوا ﴿٢٤﴾ إِلَهِ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ مَثَلُ ﴿٢٧﴾ الْفَرِيقَيْنِ ﴿٢٨﴾ الْكَفَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ كَالْأَعْنَى وَالْأَصْبَرِ ﴿٣٠﴾ هَذَا مَثَلُ

الوجه الثاني: أن لا جرم بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس، وجزم اسمها مبني معها على الفتح وهي واسمها في محل رفع بالابتداء وما بعدها خبر لا النافية وصار معناها لا مخالفة في أنهم في الآخرة أي في خسرانهم.

الوجه الثالث: أن لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله عليهم ذلك بقوله: لا كما ترد لا هذه قبل القسم في قوله: ﴿لا أقسم﴾ [القيامة: ١- والبلد: ١]، وقوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ [النساء: ٦٥] وقد تقدم تحقيقه ثم أتى بعدها بجملة فعلية وهي جرم أن لهم كذا وجزم فعل ماضٍ معناه كسب وفاعله يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام، وأن وما في حيزها في موضع المفعول به لأن جرم يتعدى إذا كان بمعنى كسب، وعلى هذا فالوقف على قوله لا ثم يتبدى بهجرم بخلاف ما تقدم.

الوجه الرابع: أن معناها لا حد ولا منع ويكون جرم بمعنى القطع تقول: جرمت أي قطعت فيكون جرم اسم لا مبني معها على الفتح كما تقدم، وخبرها أن وما في حيزها على حذف حرف الجر أي لا منع من خسرانهم فيعود فيه الخلاف المشهور. وفي هذا اللفظ لغات يقال: لا جرم بكسر الجيم ولا جرم بضمها ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم ولا أن ذا جرم ولا ذو جرم وغير ذلك اهـ.

وليتأمل في نصب حقاً في كلام الشارح، فإنه لم يظهر له وجه، بل مقتضى كون جرم فعلاً ماضياً أن يكون حق في كلامه كذلك، ويمكن أن يقال على بعد إنه مفعول مطلق معمول لفعل محذوف هو المأخوذ من لا جرم، والمعنى حق حقاً أنهم في الآخرة الخ أي ثبت ثبوتاً واستقر استقراراً اهـ.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسيرانهم في الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربهم في الآخرة، والإخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب، ولفظ الإخبات يتعدى بإلى وباللام، فإذا قلت: أخبت فلان إلى كذا فمعناه أطمأن إليه، وإذا قلت: أخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِشَارَةٌ﴾ إلى جميع أعمال الجوارح، وقوله: ﴿وَأَخْبَتُوا﴾ إشارة إلى أعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل، وأن هذه الأعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة إلا بحصول أعمال القلب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل، فإذا فسرنا الإخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالأعمال الصالحة مطمئين إلى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الأعمال، ويكونون مطمئين إلى ذكره سبحانه وتعالى، وإذا فسرنا الإخبات بالخشوع والخضوع كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة، وهذا هو الخشوع والخضوع اهـ حازن.

قوله: (أو أنابوا) في نسخة وأنابوا بالواو.

قوله: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى أحوال الكفار، وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق، ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين، وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق

الكافر ﴿وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال تتعظون ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾ أي بأني وفي قراءة بالكسر على حذف

والانقياد للطاعة ذكر فيهما مثلاً مطابقاً بقوله ﴿مثل الفريقين﴾ الخ اه خطيب.

قوله: ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى﴾ أي كمثل أي صفة الأعْمَى والأصْم، ففي الكلام حذف مضاف، وكذلك في قوله ﴿وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ﴾ أي وكمثل أو صفة البصير والسميع، والمراد بالأعْمَى والأصْم ذات واحدة اتصفت بالوصفين، وكذا البصير والسميع أي مثل الكفار وعدم الاهتداء بقلوبهم، كمثل شخص اتصف بالعمى والصمم الحسيين فلا يهتدي لمقصوده، ومثل المؤمنين في الاهتداء ببصائرهم كمثل شخص اتصف بالبصر والسمع الحسيين فاهتدى لمطلوبه اه شيخنا.

قوله: ﴿مَثَلًا﴾ أي صفة وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل، والأصل هل يستوي مثلهم أي صفتهم والاستفهام إنكاري، كما قال الشارح اه شيخنا.

قوله: (فيه إدغام التاء) أي الثانية كما سيأتي له قريباً التصريح بهذا، وهذا على قراءة التشديد، وقرئ في السبعة تذكرون بحذف إحدى التائين على حد قوله:

وما بتائين ابتدي قد يقتصر الخ.

ولم ينه الشارح على هذه القراءة اه شيخنا.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ الخ شروع في ذكر جملة قصص من قصص الأنبياء تسلياً للنبي حيث يعلم ما وقع لغيره من الأنبياء، وتقدم أن نوحاً اسمه عبد الغفار ونوح لقيه اه شيخنا.

قال ابن عباس: بعث نوح بعد أربعين سنة، ولبث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، فكان عمره ألف سنة وخمسين سنة. وقال مقاتل: بعث وهو ابن مائة سنة، وقيل: وهو ابن خمسين سنة، وقيل: وهو ابن مائتين وخمسين سنة، ومكث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة، فكان عمره ألف سنة وأربعمائة وخمسين سنة اه خازن.

وفي الخطيب: وقد جرت عادة الله تعالى بأنه إذا أورد على الكفار أنواع الدلائل أتبعها بالقصص لبصير ذكرها مؤكداً لتلك الدلائل، وفي هذه السورة ذكر أنواعاً من القصص، القصة الأولى: قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ الخ. القصة الثانية: قصة هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَالِإِلَى عاد أخاهم هود﴾ [الأعراف: ٦٥ وهود: ٥٠] القصة الثالثة: قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَالِإِلَى ثمود أخاهم صالح﴾ [الأعراف: ٧٣] الخ. القصة الرابعة: قصة إبراهيم مع الملائكة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ [هود: ٦٩]. القصة الخامسة: قصة لوط المذكورة في قوله: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروح﴾ [هود: ٧٤] الخ. القصة السادسة: قصة شعيب وهي المذكورة في قوله: ﴿وَالِإِلَى مدين أخاهم شعيباً﴾ [الأعراف: ٨٥ وهود: ٨٤] الخ. القصة السابعة: قصة موسى المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بآياتنا﴾ [هود: ٩٦] الخ وهي آخر القصص اه.

القول ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٥﴾ بين الأنداز ﴿أَنْ﴾ أي بآن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ. إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٦﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف ﴿مَا تَرْفِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا تَرْفِكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرْوَأُكُمْ﴾

قوله: ﴿أني لكم﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي أني بفتح الهمزة، والباقون بكسرها، فاما الفتح فعلى إضمار حرف الجر أي بأنني لكم. قال الفارسي في قراءة الفتح: خروج من الغيبة إلى المخاطبة. قال ابن عطية: وفي هذا نظر، وإنما هي حكاية مخاطبته لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة إلى مخاطبة، ولو كان الكلام أن أنذرهم أو نحوه لصح ذلك. وقد قال بهذه المقالة أعني الالتفات مكّي، فإنه قال: الأصل بأنني والجار والمجرور في موضع المفعول الثاني، وكان الأصل أنه، لكنه جاء على طريقة الالتفات، لكن هذا الالتفات غير الذي ذكره أبو علي، فإن ذاك من غيبة إلى خطاب، وهذا من غيبة إلى تكلم وكلاهما غير محتاج إليه، وإن كان قول مكّي أقرب. وأما قراءة الكسر فعلى إضمار القول وكثيراً ما يضم وهو غني عن الشواهد اهـ سمين.

قوله: (أي بأنني) ﴿لَكُمْ﴾ الباء المقدرة في هذا للملابسة أي ملتبساً بالإنذار وقوله على حذف القول أي فقال: ﴿إني﴾ الخ، وقوله ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ الخ الباء المقدرة هنا للتعبدية ولا ناهية أي أرسلناه ملتبساً بالنهي عن عبادة غير الله وقوله: ﴿إني أخاف﴾ الخ تعليل لقوله ﴿إني لكم﴾، ولقوله ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ المتصف بكونه مؤلماً هو لعذاب لا اليوم فنسبة الإيلام إلى اليوم مجاز عقلي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ أي احتجوا عليه بثلاث شبه ﴿مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا﴾، ﴿وَمَا تَرَاكَ أَتْبَعَكَ﴾ الخ، ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ﴾ الخ، وقد أجابهم عن هذه الثلاث إجمالاً بقوله: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ الخ وتفصيلاً بقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الخ هذا رد للأخيرة، وقوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ رد الثانية، وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ الخ رد للأولى كما سيأتي إيضاحه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ يعني آدمياً مثلنا لا فضل لك علينا، لأن التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع اشتهاره إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم، وإنما قالوا هذه المقالة، وتمسكوا بهذه الشبهة جهلاً منهم، لأن من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدعوة إلى الله بإقامة الدليل والبرهان على ذلك، ويظهر المعجزة الدالة على صدقه، ولا يتأتى ذلك إلا من آحاد البشر، وهو من اختصه الله بزيادة كرامته وشرفه بنبوته وأرسله إلى عباده اهـ خازن.

ورأى علمية والمفعول الثاني هو إلا بشراً أو بصرية، وإلا بشراً حال وما تراك أتبعك علمية، وقوله: ﴿أتبعك﴾ في موضع المفعول الثاني أو بصرية وهو في موضع الحال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَرَادَلْنَا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه جمع الجمع فهو أردل بضم أودل بضم الذال جمع رذل بسكونها ككلب وأكالب. ثانيهما: أنه جمع مفرد، وهو أردل كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح وأبرق وأبارق والأردل المرغوب عنه لرداءته اهـ سمين.

أسأفلنا كالحاكة والأساكفة ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ بالهمز وتركه أي ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أي وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلْ نَقُذِّرُكُمْ كَذِبِيكُم﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب ﴿قَالَ يَقُولُونَ أَرْأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ يَمْنَةٍ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّي وَآلَتِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿مِن عِنْدِيهِ فَعُمِيَّتْ﴾ خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾

قوله: (كالحاكة) جمع حائك وهو النساج أي القزاز، ويقال حاك يحوك كقال يقول، والأساكفة جمع اسكاف وهو صانع البابوج ونحوه. أي: وكالحجامين. وهذه عادة الله في الأنبياء والأولياء أول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلك فلا يتكبرون عن الاتباع بمال ولا جاه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وإنما قالوا ذلك جهلاً منهم أيضاً، لأن الرفعة في الدين ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية، بل للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم إذا حسنت سيرتهم في الدين اهـ.

قوله: (بالهمزة وتركه) سبعيتان وعلى الترك يحتمل أن الباء متقلبة عن الهمزة، فهو كالمهموز من يبدأ أي ابتداء، ويحتمل أنها أصلية من بدا يبدو إذا ظهر، وكلام الشارح يناسب الأول حيث فسر الوجهين بقوله أي ابتداء، وقوله من غير تفكر أي ولو تفكروا لم يتبعوك اهـ شيخنا.

قوله: (ونصبه على الظرف) أي فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، والعامل فيه على القراءتين اتبعك، وجاز أن يعمل ما قبل إلا فيما بعدها توسعاً في الظروف، وهذا جواب عن إشكال وهو أن ما بعد إلا لا يكون معمولاً لما قبلها إلا أن يكون مستثنى منه نحو: ما قام إلا زيداً القوم أو تابعاً للمستثنى منه نحو: ما جاءني أحد إلا زيداً خير من عمرو اهـ كرخي.

قوله: (في دعوى الرسالة) أي التي تدعيها. أي: وفي الاتباع من أتباعك ففي كلامه اكتفاء، وقوله: في الخطاب أي في قوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾ وفي وقوله: ﴿بَلْ نَقُذِّرُكُمْ﴾ وإلا فكان المقام أن يقال لك ونظنك. وعبارة البيضاوي: ﴿بَلْ نَقُذِّرُكُمْ كَاذِبِينَ﴾، فكذبك في دعواك النبوة وكذبهم في دعواهم العلم بصدقك اهـ.

قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ في هذا الخطاب غاية التلطف بهم، وقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ المفعول الأول قدره الشارح وهو الياء، والثاني يؤخذ من قوله ﴿أَنْزَلْكُمْ مَكْمُوهًا﴾ أي خبروني بجواب هذا الاستفهام، وهو أنني لا أقدر على إجباركم اهـ شيخنا.

وفي السمين: وقد تقدم الكلام على أرائتم هذه في الأنعام، وتلخيصه هنا أن أرائتم يطلب البينة منصوبة وفعل الشرط يطلبها مجرورة بعلی، فأعمل الثاني وأضمر في الأول. والتقدير أرائتم البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكموها فحذف المفعول الأول، والجملة الاستفهامية في محل المفعول الثاني، وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه اهـ.

قوله: ﴿عَلَىٰ بَيْنَةٍ﴾ أي مع بينة أي مصاحباً للبيننة، وقوله: بيان أي حجة وبرهان يشهد لي بالنبوة. قوله: ﴿فَعُمِيَّتْ﴾ أي النبوة أي أخفاها الله عليكم، وقوله: (وفي قراءة) أي سبعة بتشديد الميم

وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ﴾ أنجزكم على قبولها ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ لا نقدر على ذلك ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالًا﴾ تعطونه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما أمرتموني ﴿لَهُمْ ثَلَاثُ أَجْرٍ﴾ بالبعث فيجاريهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَكِنْ أَتَاكَ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ عاقبة أمركم ﴿وَيَقُولُ مَنْ يُصْرَفِي﴾ يمنعني ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِنْ طَرَدْتُمْ﴾ أي لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بادغام التاء الثانية في الأصل في الذال تتعظون ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا﴾

أي وضم العين. وفي السمين قوله: ﴿فعميت﴾ قرأ الأخوان وحفص بضم العين وتشديد الميم والباقون بالفتح والتخفيف. فأما القراءة الأولى فأصلها عماها الله عليكم أي أبهمها عقوبة لكم، ثم بنى الفعل لما لم يسم فاعله، فحذف فاعله للعلم به، وهو الله تعالى، وأقيم المفعول وهو ضمير الرحمة مقامه، ويدل على ذلك قراءة أبي بهذا الأصل فعمها الله تعالى. وأما القراءة الثانية فإنه أسند الفعل مجازاً قال الزمخشري: فإن قلت: ما حقيقته؟ قلت: إن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء، لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره، فمعنى عليكم البينة فلم تهدكم كما عمى على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد، وقيل: هذا من باب القلب والأصل فعميت أنتم عنها، واختلف في الضمير في عميت هل هو عائذ على البينة أو على الرحمة أو عليهما معاً، وجاز ذلك وإن كان بلفظ الأفراد، لأن المراد بهما شيء واحد، فإذا قيل بأنه عائذ على البينة، فيكون قوله ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً﴾ معترضة بين المتعاطفين. إذ حقه على بينة من ربي فعميت، وأتاني رحمة فعميت اهـ.

وفي الشهاب قوله: ﴿خفيت عليكم﴾ يعني أن عمى الدليل بمعنى خفائه فيقال حجة عمياء كما يقال مبصرة للواضحة وهو استعارة تبعية شبه خفاء بالدليل بالعمى في أن كلاً يمنع الوصول إلى المقاصد اهـ.

قوله: ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ﴾ أي أنزلكم على الاهتداء بها، والمراد إلزام الجبر بالقتل ونحوه لا إلزام الإيجاب. إذ هو حاصل اهـ بياضوي.

ولذا فسرهُ الشارح بقوله: أنجزكم على قبولها، وفي الخازن: أنزلكم إليها القوم قبول الرحمة يعني إنا لا نقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا وأنتم لها كارهون أي: لا أقدر على ذلك، والذي أقدر عليه أن أدعوكم إلى الله وليس لي أن أضطركم إلى ذلك. قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله أن يلزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك اهـ.

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ أي نافرونها أي منكرونها اهـ.

قوله: (كما أمرتموني) فقد قالوا له امتنع واطرد هؤلاء الأسافلة عتك، ونحن نتبعك، فإننا نستحي أن نجلس معهم في مجلسك، وهذا كما قال قريش لمحمد ﷺ كما تقدم في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه مذهبان، أحدهما: أن الهمزة داخلة على مقدر تقديره أنا أمروني

إني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي﴾ تحتقر ﴿أَعْيُنُكُمْ لَنْ

بطردهم فلا تذكرون: والآخر أنها مقدمة من تأخير، والأصل فالأ تذكرون، وقدمت الهمزة على الفاء، لأن لها الصدارة، والشارح قال في نسخة: فهذا يكون مراده على هذه النسخة الإشارة إلى أن أفلا بمعنى هلا التحضيضية كما ذكره الكرخي، وقال في نسخة أفهلا، وهذه لا وجه لصحتها كما قاله علي قاري، بل هي تحريف إذ فيها الجمع بين الهمزة وهلا، وليس فيها تنبيه على الحذف، ولا على التقديم والتأخير اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: أفلا تذكرون أي: أنتمرون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتونه بمعزل عن الصواب اهـ.

قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ هذا رد لقولهم ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ كالمال وقوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ معطوف على عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ أي: ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، كما قال الشارح، وهذا رد لقولهم ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ﴾ أي: في ظاهر حالهم، وأول فكرهم، وفي الباطن لم يتبعوك فقال لهم: إني إنما أعول على الظاهر لأنني لا أعلم الغيب فأحكم به، ولا أقول إني ملك رد لقولهم ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾، فكأنه قال أنا لم أدع الملكية حتى تقولوا ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ اهـ شيخنا.

وفي الشهاب قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الخ هذا شروع في دفع الشبه التي أوردوها تفصيلاً بعدما دفعها إجماله بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ الخ، فكأنه يقول عدم اتباعي لنفيكم الفضل عني إن كان فضل المال والجاه، فأننا لم أدعه ولم أقل لكم إن خزائن الله عندي حتى تنازعوني في ذلك وتنكروه، وإنما وجوب اتباعي، لأنني رسول الله المبعوث بالمعجزات الشاهدة لما ادعيته اهـ.

وفي الخازن: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ عطف على قوله ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ يعني، لا أسألكم عليه مالا، ولا أقول لكم عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ يعني التي لا يغنيها شيء فادعوكم إلى اتباعي عليها لأعطيكم منها. وقال ابن الأنباري: الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوق عن الخلق، وإنما وجب أن يكون هذا جواباً من نوح عليه الصلاة والسلام لهم لما قالوا: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] فادعوا أن المؤمنين إنما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم، وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيباً لهم: ولا أقول لكم عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ التي لا يعلم منها ما ينطوي عليه عباده وما يظهرهونه إلا هو، وإنما قيل للغيوب خزائن لغموضها على الناس واستتارها عليهم اهـ.

قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الظاهر أن هذه الجملة منصوبة المحل نسقاً على معمول القول وهو الجملة من قوله لا أقول أي: قل لا أقول لكم عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ، وقل لا أعلم الغيب. وقال الزمخشري: لا أعلم الغيب معطوف على عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ أي: لا أقول عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ، ولا أقول أعلم الغيب وفيه نظر، لأنه لو كان معطوفاً على عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ لزم أن يكون معمولاً لأقول المنفي بلا فيصير التقدير: ولا أقول لا أعلم الغيب وهو غير صحيح اهـ.

قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلاً، فإن البشرية ليست من موانع

يُؤَيِّسُهُمُ اللَّهُ خَيْرَ اللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿٣١﴾ قُلُوبِهِمْ ﴿٣٢﴾ إِنْ إِذَا ﴿٣٣﴾ إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ﴿٣٤﴾ لَمَنِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا يَنْشُوعُ قَدْ جَدَلْنَاكَ ﴿٣٦﴾ خَاصِمْتَنَا ﴿٣٧﴾ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا قَدَّمْنَا ﴿٣٨﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٣٩﴾ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٠﴾ فِيهِ ﴿٤١﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ ﴿٤٢﴾ تَعْجِيلُهُ لَكُمْ فَإِنْ أَمَرَهُ إِلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُي ﴿٤٣﴾ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ ﴿٤٤﴾ بِفَاتِنِ اللَّهِ ﴿٤٥﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴿٤٦﴾ أَيِ إِغْوَاءِكُمْ

النبوة، بل من مبادئها يعني أنكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة شرعة ومنهاجاً إلى تكذيبها والحال أنني لا أدعي شيئاً من ذلك، ولا الذي أدعيه يتعلق بشيء منها، وإنما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير الأشياء، كما أشار إليه في التقدير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ﴾ أي في شأنهم فاللام بمعنى في، والكلام على حذف مضاف، وقوله ﴿تَزِدْرِي﴾ أصله تزترني فقلت تاء الافتعال دالاً، والعائد محذوف أي تزديهم أيئسكم، قوله: ﴿لَنْ يُؤَيِّسَهُمُ اللَّهُ﴾ الخ هذا مقول القول المنفي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لَنْ يُؤَيِّسَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ يعني توفيقاً وهداية وإيماناً وأجرأ اهـ شيخنا.  
قوله: ﴿إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ﴾ أي ما ذكر من قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ إلى هنا اهـ شيخنا.  
قوله: ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ أي شرعت في الجدل فأكثرته أو جادلنا أي أردت جدالنا فأكثرته جدالنا، فلا بد من أحد هذين التأويلين ليصح العطف اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بِمَا تَعْدُنَا﴾ (به) أشار إلى أن ما موصولة والعائد محذوف ويصح كونها مصدرية أي بوعدك إيانا اهـ كرخي.

قوله: (فيه) أي في الوعد المفهوم من الفعل اهـ.  
قوله: ﴿بِفَاتِنِ اللَّهِ﴾ أي بهارين من الله أي من عذابه. قوله: (وجواب الشرط) أي الأول ولم يجعل المذكور جواباً لأن مذهب البصريين أن الجواب لا يتقدم على الشرط، وأن أجازته الكوفيون يعني وجواب الشرط الثاني هو الشرط الأول وجوابه. والتقدير: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾، فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي، وذلك لأنه إذا اجتمع في الكلام شرطان وجواب يجعل الشرط الثاني شرطاً في الأول، فلا يقع الجواب إلا إن حصل الشرط الثاني، ووجد في الخارج قبل وجود الأول لأن الشرط مقدم على المشروط في الخارج، فلو انعكس الأمر بأن وجه الأول أولاً لم يقع المعلق، فلو قال لعبده أنت حر إن كلمت زيداً إن دخلت الدار لم يعتق إلا إذا وجد دخول الدار قبل وجود كلام زيد، فلو وجد الكلام أولاً لم يعتق، وذلك لأنه جعل الكلام مشروطاً بدخول الدار، والشرط مقدم على المشروط، فلو وجد الكلام أولاً لم يوجد المعلق عليه لأنه كلام مسوق بالدخول، ولذلك قال في متن البهجة:

وطاللق أن كلمت إن دخلت      إن أولاً بعد أخير فعليست

وعبارة البيضاوي: هكذا تقرير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي ولذلك لو قال: أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيداً، فدخلت ثم كلمت لم تطلق انتهت ومثله أبو السعود.



وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي ﴿هُورِيْكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال تعالى ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفَرَأَيْتُمْ قُلُوبَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إثمى أي عقوبته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إلي ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ

وفي الكرخي: ويكون الشرط الثاني وجوابه جواباً عن الأول لفظاً، وإن زاد ذلك على شرطين، وعلى هذا يترتب الحكم مثاله أن يقول لعبده إن كلمت زيداً إن دخلت الدار إن أكلت الخبز فأنت حر، فجواب الشرط الثالث أنت حر والثالث جوابه، وجواب الثاني، والثاني وجوابه جواب الأول، فإن كلم ثم دخل ثم أكل لم يعتق، لكن إن أكل ثم كلم عتق لما ذكر اهـ.

قوله: (أي كفار مكة) فعلى هذا تكون هذه الآية دخيلة في أثناء قصة نوح ومعتضة بين أجزائها، لأجل تنشيط السامع لسماع بقية القصة اهـ شيخنا.

وأكثر المفسرين على أن هذه الآية من جملة قصة نوح كما هو ظاهر السياق. وعبارة الخازن: أن يقولون افتراه أي اختلقه وجاء به من عند نفسه، والضمير يعود إلى الوحي الذي جاءهم به نوح، وأكثر المفسرين على أن هذا من مجاورة نوح مع قومه فهو من قصة نوح. وقال مقاتل: أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمداً ﷺ اختلق القرآن من عند نفسه، فلى هذا القول تكون الآية معتضة في قصة نوح، ثم رجع إلى القصة فقال: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ الخ اهـ.

وفي أبي السعود: أم يقولون افتراه قال ابن عباس: يعني نوحاً عليه السلام، ومعناه: بل يقولون قوم نوح إن نوحاً أفتى ما جاء به مسنداً إلى الله تعالى، وقال مقاتل: يعني محمداً ﷺ ومعناه: بل يقول مشركو مكة أفتى رسول الله ﷺ خبر نوح، فكأنه إنما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقاً لحقيقتها، وتأكيداً لوقوعها وتشويقاً للسامعين إلى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم اهـ.

قوله: ﴿فَعَلِيَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الإجمام والجرم بمعنى وهو اكتساب الذنب اهـ شيخنا.

وفي المصباح: جرم جرماً من باب ضرب أذنب واكتسب الإثم وبالمصدر سمي الرجل، والاسم منه الجرم بالضم، والجريمة مثله وأجرم إجراماً كذلك اهـ.

وفي السمين قوله: ﴿فَعَلِيَ إِبْرَاهِيمَ﴾ مبتدأ وخبر، أو إجرامي فاعل بالظرف عند من يكتفي بمثل هذا في جواب الشرط، والجمهور على كسر همزة إجرامي وهو مصدر أجرم وأجرم هو الفاشي في الاستعمال، ويجوز جرم ثلاثياً وقرئ شاذاً أجرامي بفتحها حكاية النحاس، وخرجه على أنه جمع جرم كقفل وأفعال والمراد آثامي اهـ.

قوله: (أي عقوبته) أي ففي الكلام حذف المضاف، وفي الآية محذوف آخر وهو أن المعنى إن كنت أفتريته فعلي عقاب جرمي. وإن كنت صادقاً وكذبتوني فعليكم عقاب ذلك التكذيب، إلا أنه حذفت هذه البقية لدلالة الكلام عليها، واعلم أن قوله: ﴿إِنْ أَفَرَأَيْتُمْ فَعَلِيَ إِبْرَاهِيمَ﴾ لا يدل على أنه كان شاكاً لأنه قول يقال على وجه الإنكار عند اليأس من القبول اهـ كرخي.

يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴿٣٦﴾ تَحْزَنُ ﴿٣٧﴾ كَانُوا يَقْعَلُونَ ﴿٣٨﴾ من الشوك فدعا عليهم بقوله رب لا تذر على الأرض، النخ فأجاب الله دعاه وقال ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿وَأَعْيُنَنَا﴾ بمرأى منا

قوله: ﴿أوحى إلى نوح﴾ الجمهور على أوحى مبنياً للمفعول والقائم مقام الفاعل أنه لن يؤمن، أي أوحى إليه عدم إيمان بعض قومه، وقرأ بعضهم أوحى مبنياً للفاعل وهو الله تعالى وإنه بكسر الهمزة وفيها وجهان، أحدهما: وهو أصل البصريين أنه على إضمار القول. والثاني: وهو أصل الكوفيين أنه على إجراء الإيحاء مجرى القول اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا من قد آمن﴾ في الشهاب: المراد إلا من استمر على الإيمان، لأن للدوام حكم الحدوث، وقيل: المراد إلا من استعد للإيمان وتوقع منه ولا يراد ظاهره، وإلا كان المعنى إلا من آمن فإنه يؤمن، وقيل: إن الاستثناء منقطع اهـ.

وفي أبي السعود: أنه لن يؤمن من قومك أي المصرين على الكفر وهو إقنات له عليه السلام من إيمانهم وإعلام بكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه إلا من قد آمن أي: إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه، وهذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى: ﴿إلا ما قد سلف﴾ [النساء: ٢٢] اهـ.

قوله: ﴿فلا تبتئس﴾ يقال ابتأس فلان إذا بلغه ما يكره اهـ سمين.

وفي المختار: ولا تبتئس أي لا تحزن ولا تشتك والمبتئس الكاره الحزين اهـ.

قوله: (فدعا عليهم) أي بعد أن قاسى منهم غاية المشقة، فكانوا يضربونه حتى يسقط فيلقونه في لبد، ويلقونه في بيت يظنون موته فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله، وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى تبادوا في المعصية واشتد منهم البلاء، فكان لا يأتي قرن منهم إلا أخس من الذي قبله، وكان يأتي القرن منهم فيقول: قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً فلا يقبلون منه شيئاً، فشكا إلى الله فقال: إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً الآيات، حتى بلغ رب لا تذر الآية فأوحى الله إليه أن اصنع الفلك اهـ خازن.

قوله: ﴿واصنع الفلك﴾ الظاهر أنه أمر بإيجاب لأنه لا سبيل إلى صون روح نفسه وأرواح غيره من الهلاك إلا بهذا الطريق، وصون النفس من الهلاك واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب اهـ كرخي.

قوله: ﴿بأعيننا﴾ وذلك أن جبريل قال له: ربك يأمرك أن تصنع الفلك، فقال له: كيف أصنعها ولست نجاراً؟ قال: فإن ربك يقول لك اصنع فإنك بأعيننا، فأخذ القدم وجعل ينجر فلا يخطئ اهـ خازن.

والباء للملابسة أي ملتبساً بأعيننا أي بإبصارنا لك وتعهدا بتعليمك كيفية صنعها. وفي السمين قوله: ﴿بأعيننا﴾ حال من فاعل اصنع أي محفوظاً بأعيننا، وهو مجاز عن كلاء الله له بالحفظ، وقيل: هم اللائكة تشبيهاً لهم بعيون الناس أي الذين يتفقدون الأخبار، والجمع حينئذ على حقيقته اهـ.

وفي الكرخي قوله: بمرأى منا وحفظنا أشرار بهذا إلى أنه لا يمكن إجراؤه على ظاهره لوجوه، أحدها: أنه يقتضي أن يكون لله أعين كثيرة، وهذا يناقض قوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه: ٢٥]:

وحفظنا ﴿وَوَحَّيْنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ﴾ ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾

[٣٩]. وثانيها: أنه يقتضي أن يصنع الفلك بتلك الأعين، كقولك: قطعت بالسكين وكتبت بالقلم، ومعلوم أن ذلك باطل. وثالثها: أنه تعالى منزّه عن الأعضاء والأبعض، فوجب المصير إلى التأويل وهو أن معنى بأعيننا بتزول الملك له فيعرفه بخبر السفينة. يقال: فلان عين على فلان أي ناظر إليه، وإن من كان عظيم العناية بالشيء فإنه يضع عينه عليه، فلما كان وضع العين على الشيء سبباً لمبالغة الحفظ جعلت العين كناية عن الاحتفاظ اهـ.

قوله: (بترك إهلاكهم) أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم اهـ يضاوي.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ﴾ أي محكوم عليهم بالإغراق. قوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ يعني كما أمره الله تعالى قال أهل السير: لما أمر الله نوحاً بعمل السفينة أقبل على عملها ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد، ويهيم القار وكل ما يحتاج إليه في عمل الفلك، وجعل قومه يمرون به وهو يعمل في عمله فيسخرّون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة. وأعقم الله أرحام النساء قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يولد لهن ولد قال البغوي: وزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يطلّيه بالقار من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً. والذراع إلى المنكب، وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلى ووسطى وعليا، وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمره الله عز وجل. وقال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في سنتين، فكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً، وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون، فجعل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه البطن الأعلى وحمل ما يحتاج إليه من الزاد وغيره. قال قتادة: وكان بابها في عرضها. وروي عن الحسن أنها كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها سبعمائة ذراع. وقال زيد بن أسلم: مكث نوح مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك. وقال كعب الأحبار: عمل السفينة نوح في ثلاثين سنة. وروي أنها ثلاث طبقات: الطبقة السفلى للدواب والوحوش، والطبقة الوسطى للإنس، والطبقة العليا للطير، فلما كثر ورث الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة، ومسح على الخنزيرة فخرج منها الفأر، فأقبلوا على الروث فأكلوه، فلما أفسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها ويقرض أحبالها، فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بين عيني الأسد، فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهو القط، فأقبلا على الفأر اهـ خازن.

وفي أبي السعود: وقيل: إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: لو بعث لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب، فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال: أتدرون من هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: هذا كعب بن حام. قال: فضرب بعصاه، فقال: قم ياذن الله، فإذا هو قائم يفض التراب عن رأسه وقد شاب، فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام: أهكذا هلك؟ قال: لا مت وأنا شاب، ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثمة شبت، فقال: حدثنا عن سفينة نوح قال:

استهزؤا به ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ إذا نجونا وغرقتم ﴿فَسَوْفَ تَلْسَمُونَ﴾  
من ﴿موصولة مفعول العلم﴾ ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ دائم ﴿حَقٌّ﴾

كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع، وكانت طبقات طبقة للدواب والوحوش، وطبقة  
للإنس، وطبقة للطير، ثم قال له: عد بإذن الله كما كنت فعاد تراباً اهـ.

قوله: (حكاية حال ماضية) أي فالمضارع بمعنى الماضي أو صنعها، والخال أنه كلما مرّ عليه  
الخ، وكل ظرفية، وما مصدرية ظرفية أي وكل وقت مرور قوم سخروا منه الخ والعامل في كلما هو  
سخروا اهـ شيخنا.

وفي السمين: والعامل في كلما هو سخروا. وقال: مستأنف إذ هو جواب لسؤال سائل، وقيل:  
بل العامل في كلما هو قال وسخروا على هذا، إما صفة لملا، وإما بدل من مر وهو بعيد جداً إذ ليس  
سخروا نوعاً من المرور ولا هو هو، فكيف يبدل منه، والجملة من قوله كلما الخ في محل نصب على  
الحال أي يصنع الفلك والحال أنه كلما مر الخ اهـ.

قوله: (استهزؤا به) أي فقالوا صرت نجاراً بعد أن كنت نبياً، وكان يصنع السفينة في برية لا ماء  
فيها اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ﴿سخروا منه﴾ أي استهزؤوا به لعمله السفينة إما لأنهم كانوا لا يعرفونها ولا  
كيفية استعمالها والانتفاع بها، فتعجبوا من ذلك وسخروا منه، وإما لأنه لا يصنعها في برية أبعد موضع  
من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة، وكانوا يتضحكون ويقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت  
نبياً. وقيل: لأنه عليه السلام كان ينذرهم الغرق، فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عيناً ولا أثراً  
عدوه من باب المحال، ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع  
إنكار أن يكون لعمله عليه الصلاة والسلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا  
تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك اهـ.

قوله: ﴿فإننا نسخر منك﴾ هذا على سبيل المشاكلة إذ السخرية لا تليق بمقام الأنبياء، وقيل: إنه  
لجزائهم من جنس صنيعهم فلا يقبح اهـ من الشهاب.

قوله: (إذا نجونا وغرقتم) ظرف لقوله ﴿فإننا نسخر منكم﴾. قوله: (مفعول العلم) أي الذي  
بمعنى العرفان فينصب مفعولاً واحداً اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿من يأتيه﴾ في من وجهان، أحدهما: أن تكون موصولة. والثاني: أن تكون  
استفهامية وعلى كلا التقديرين فتعلمون إما من باب اليقين فيتعدى لاثنين، وإما من باب العرفان فيتعدى  
لواحد، فإذا كانت هذه عرفانية ومن استفهامية كانت من وما بعدها سادة مسد مفعول واحد، وإن كانت  
متعدية لاثنين ومن موصولة كانت في موضع المفعول الأول والثاني محذوف اهـ.

قوله: ﴿من يأتيه عذاب﴾ أي في الدنيا وهو الغرق يخزيه أي يهينه ويحل عليه عذاب مقيم أي في  
الآخرة وهو النار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويحل عليه﴾ التلاوة بكسر الحاء ويجوز لغة ضمها كما في المصباح. قوله: (غاية

غاية للصنع ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ باهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلْنَا أَمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ أي ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما ﴿أَتَيْنِ﴾ ذكر وأنثى

للمصنع) أي في قوله: ويصنع الفلك وما بينهما اعتراض، وقوله: إذا جاء أمرنا أي عذابنا أو وقته اهـ زاده.

فهو واحد الأمور لا الأوامر ، ويصح أن يراد الثاني على معنى جاء أمرنا بركوب السفينة اهـ شهاب .

قوله: ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ وكان من حجارة وكانت حواء تخبز فيه وصار إلى نوح، وكان ذلك التنور في الكوفة على يمين الداخل مما يلي باب كندة اهـ خازن .

وفي البيضاوي: والتنور تنور الخبز ابتدء منه النبع على خلاف العادة، وكان في الكوفة في موضع مسجدها، أو في الهند، أو بعين وردة من أرض الشام، وقيل: التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها أي أعلاه اهـ.

وفي السمين: والتنور قيل وزنه تفعلول فقلبت الواو الأولى همزة لانضمامها، ثم حذفت تخفيفاً، ثم شددت النون للعوض عن المحذوف ويعزى هذا لثعلب، وقيل: وزنه فعمل ويعزى لأبي علي الفارسي، وقيل: هو أعجمي وعلى هذا فلا اشتقاق له، والمشهور أنه مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون اهـ.

وفي المصباح: فار الماء يفور فوراً ينبع وجرى وفارت القدر فوراً من باب قال وفوراناً غلت اهـ.

وعلى هذا لا يجوز في الآية إلا من حيث نسبة الفوران إلى التنور اهـ.

قوله: (للخباز) متعلق بفار أي فار وظهر للخباز أي أنه الذي اطلع على فورانه أولاً، والخباز هو امرأة نوح فهي التي أعلمت بفوراناه اهـ خازن .

وعن علي رضي الله عنه قال: فار التنور وقت طلوع الفجر ونور الصبح، ومعنى فار ينبع على قوة وشدة تشبيهاً بغليان القدر عند قوة النار، ولا شبهة أن التنور لا يفور، والمراد فار الماء من التنور اهـ خطيب .

قوله: (وكان ذلك) أي الفوران علامة لنوح أي على مجيء الطوفان وركوب السفينة، وذكر ابن جرير وغيره أن الطوفان كان في ثالث عشر من أبيب في شدة القيظ اهـ.

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ الزوج يطلق على الزوجة وحدها وعلى الزوج وحده، وهو المراد هنا أي من كل فردين متزاوجين اثنين بأن تحمل من الطير ذكراً وأنثى ومن الغنم ذكراً وأنثى وهكذا، وترك الباقي، والمراد من الحيوانات التي تنفع والتي تلد أو تبيض ليخرج المضرات والتي تتوالد من العفونة والتراب كالديدان والقمل اهـ شيخنا .

وفي الخازن: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾. الزوجان كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، كالذكر والأنثى، ويقال لكل منهما زوج. من كل صنف زوجين ذكر وأنثى. قال ابن عباس: أول ما حمل نوح

وهو مفعول وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل كانوا ستة رجال

الدرة وآخر ما حمل الحمار. قال البغوي: وروى بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحاً وقالاً: احمِلنا معك، فقال: إنكما سبب البلاء فلا أحملكما، فقالا احمِلنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فمن قرأ حين يخاف مضرتهما: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ [الصافات: ٧٩] لم يضرهم. وقال الحسن: لم يحمل نوح معه إلا ما يلد ويبض، وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالقبح والبعوض فلم يحمل منه شيئاً. وقال ابن عباس: أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار، فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه فاستثقل رجلاه، وجعل نوح يقول: ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له: ادخل وإن كان الشيطان معك، فدخل ودخل الشيطان معه، فقال له نوح: ماذا أدخلك عليّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك، قال: اخرج عني يا عدو الله. قال: لا بد من أن تحملني معك، وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا ثقله البغوي. قال الإمام فخر الدين الرازي: وأما ما يروى من أن إبليس دخل السفينة. فبعيد لأنه من الجن وهو لجسم تاري أو هوائي فكيف يفر من الغرق، وأيضاً فإن كتاب الله لم يذل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح، فالأولى ترك الخوض فيه اهـ.

قوله: (وهو مفعول) أي لفظ اثنين مفعول، ومن كل زوجين حال منه مقدم عليه وقوله: (وفي القصة الخ) بيان لكيفية الحمل اهـ شيخنا.

قوله: (حشر لنوح) أي جمع له. قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي وأحمل وأهلك ومن آمن. أي: وأحمل من آمن، وقوله: أي زوجته أي التي أسلمت إذ كان له زوجتان، إحداهما: آمنت فحملها، والأخرى لم تؤمن فتركها ففرقت كما يعلم من كلامه، وقوله: وأولاده أي الثلاثة وزوجاتهم اهـ شيخنا.

وسياتي للجلال المحلي في سورة المؤمنون التصريح بأنه كان له زوجتان إحداهما مؤمنة كانت معه في السفينة، والأخرى كافرة ففرقت. قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي الحكم، والمراد سبق في علمه أو سبق في النظم في قوله: ﴿إِنَّهُمْ مَغْرُقُونَ﴾ وقوله أي منهم هذا التهديد أخذه من سورة المؤمنون اهـ شيخنا.

وهذا الاستثناء متصل من موجب فهو واجب النصب على المشهور اهـ سمين.

وقوله: بالاهلاك متعلق بالمصدر، وقوله: وهو زوجته أي التي لم تؤمن واسمها والعة أو واهلة كما في بعض نسخ هذا الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (وولده كنعان) لم يذكر له زوجة. قوله: (بخلاف سام) وهو أبو الغرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك. وقوله: وزوجاتهم أي مع زوجاتهم، وقوله: ثلاثة حال من زوجاتهم وفي نسخة الثلاثة اهـ شيخنا.

ونساءهم، وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿وَقَالَ نُوحٌ اٰرْكَبُوْا فِيْهَا بِسْمِ اللّٰهِ نَجْرِيْهَا وَمُؤْسَيُّهَا﴾ بفتح الميمين وضمهما مصدران أي جريها ورسوها أي

قوله: (ونساءهم) أي مع نسائهم. قوله: (جميع) مبتدأ وقوله: وثمانون خبر، وقوله نصفهم الخ أي ونوح وأهله من الثمانين أهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَقَالَ اٰرْكَبُوْا فِيْهَا﴾ الخ متعلق بقوله ﴿قُلْنَا اٰحْمِلْ فِيْهَا﴾، والخطاب في اركبوا للإنس، وأما غيرهم من الحيوانات فقد تقدم أنه أخذه بيده وألقاه فيها. أي قال نوح هاتين الجملتين: الأولى أمرية والثانية اخبارية أي أخبرهم بأن سيرها ووقوفها باسم الله وجملة قال معطوفة على محذوف تقديره فحمل غير الإنس، وقال للإنس اركبوا فيها بأنفسكم أهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: وقال نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿إِنْ رَبِّيْ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ ولو رجع الضمير لله تعالى لناسب أن يقال إن ربكم ولعل ذلك بعد إدخال ما أمر بحمله في الفلك من الأزواج كأنه قيل: فحمل الأزواج أو أدخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سيأتي مثله في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِيْ بِهِمْ﴾ والركوب العلو على شيء متحرك، ويتعدى بنفسه واستعماله هنا بكلمة في ليس لأجل أن المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن، فإن أظهر الروايات أنه عليه الصلاة والسلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الأسفل، والأنعام في الأوسط، وركب هو ومن معه في الأعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك، والسرف فيه أن معنى الركوب العلو على شيء له حركة، وإما إرادية كالحيوان، أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما، فإذا استعمل في الأول توفر له حظ الأصل، فيقال: ركب الفرس وعليه قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَكْبُوْهُ﴾ [النحل: ٨] وإن استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال: ركب في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِيْنَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف: ٧١] أهـ.

قوله: ﴿بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ متصل باركبوا حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله، أو قائلين بسم الله وقت إجرائها وإرسائها أو مكانهما على أن المجري والمرسى للوقت أن للمكان أو للمصدر والمضاد محذوف كقولهم: آتتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالاً، ويجوز رفعهما ببسم الله على أن المراد بهما المصدر أو الجملة من مبتدأ وخبر أي إجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي إما جملة مقتضية لا تعلق بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء. روي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست أهـ بيضاوي.

قوله: ﴿بِسْمِ اللّٰهِ﴾ خبر مقدم وقوله ﴿مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ مبتدأ مؤخر وقوله بفتح الميمين فيه تساهل فإن فتحهما قراءة شاذة والسبعة إما هي ضمهما وفتح الأولى مع ضم الثانية وفي السمين: وقرأ الأخوان وحفص مجراها بفتح الميم والباقون بضمها واتفق السبعة على ضم ميم مرساها وقد قرأ ابن مسعود والثقفى مرساها بفتح الميم أيضاً أهـ.

منتهى سيرها ﴿إِنذَرْنِي لِقَاءُ رَبِّكَ﴾ حيث لم يهلكنا ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ فِي مَقْرَرٍ﴾ عن السفينة ﴿يَبْنِي لَكُمْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

فالفتح من جرت ورست والضم من أجريت وأرست وقوله مصدران راجع لكل من الفتح والضم وقوله أي جريها الخ هذا التفسير إنما يناسب الفتح وأما الضم فيقال في تفسيره أي اجراؤها وارساؤها وقوله ورسوها من باب عدا وسما فيقال فيه ورسوها بفتح فسكون نظراً لكونه من باب عدا ورسوها بضمين مع تشديد الواو نظراً لكونه من باب سما إذ مصدر الأول عدو ومصدر الثاني سموه شيوخنا .

قوله: ﴿وهي تجري بهم﴾ الخ متعلق محذوف أي فركبوا وساروا والحال أنها تجري الخ، وفي السمين: في هذه الجملة ثلاثة أوجه، أحدها: أنها مستأنفة أخبر الله تعالى عن السفينة بذلك . والثاني: أنها في محل نصب على الحال من الضمير المستتر في بسم الله أي جريانها استقرار بسم الله حال كونها جارية . والثالث: أنها حال من شيء محذوف تضمنته جملة دل عليها سياق الكلام، قال الزمخشري: فإن قلت: بم اتصل قوله وهي تجري بهم؟ قلت: بمحذوف دل عليه قوله اركبوا فيها كأنه قيل: فركبوا يقولون بسم الله وهي تجري بهم، ولذلك فسر الزمخشري بقوله: أي تجري فيها . والرسو الثبات والاستقرار اه قال الشاعر:

مكسحة تجري ومكسوفة ترى      وفي بطنها حمل على ظهرها يعلو  
فإن عطشت عاشت وعاش جنينها      وإن شربت ماتت وفارقها الحمل  
اه شيوخنا .

قوله: ﴿كالجبال﴾ (في الارتفاع والعظم) قال العلماء بالسیر: أرسل الله المنظر أربعين يوماً ولميلة وخرج الماء من الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿ففتحن أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا﴾ [القمر: ١١ و ١٢] فالتقى الماء على أمر قدر يعني صار الماء نصفين نصفاً من السماء ونصفاً من الأرض، وارتفع الماء على أعلى جبل وطوله أربعين ذراعاً، وقيل: خمسة عشر ذراعاً حتى أغرق كل شيء . وروي أنه لما كثر الماء في السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق، وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثة لحقها الماء، فارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء إلى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما، فلورحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي اه خازن .

قوله: ﴿ونادى نوح﴾ أي قبل سير السفينة ابنه كنعان وكان من صلبه على المعتمد، وقوله: ﴿وكان في معزل﴾ أي لم يركب السفينة مع نوح اه خازن .

قوله: ﴿يا بني﴾ أصله ثلاث ياءات الأولى ياء التصغير والثانية لام الكلمة والثالثة ياء المتكلم، فحذفت ياء المتكلم تخفيفاً وهي بحالها أو بعد قلبها ألفاً، وأدغمت ياء التصغير في لام الكلمة فيقرأ بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان، وقوله: ﴿اركب﴾ بتحقيق الباء ويادغامها في الميم سبعيتان اه شيوخنا .

قوله: ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ أي في البعد عنا . قال شيخ شيوخنا ملا علي الجيلاني رحمه



﴿الْكَافِرِينَ﴾ ﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَخْعَضُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ الله فهو المعصوم قال تعالى ﴿وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿وَقِيلَ يَتَّارُشْ أَيْلَىٰ مَاءٍ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهاراً وبحاراً

الله: والظاهر أن معنى الآية أسلم لتستحق الركوب معنا، ولا تكن معهم في الكفر فتغرق، فلا يستشكل قول نوح وإن وعدك الحق وجواب الله بأنه ليس من أهلك بأن الولد قصر، لأن ما ركب حين أمر والله أعلم اهـ كرخي.

قوله: ﴿قَالَ سَأَوِي﴾ أي التجىء إلى جبل يعصمني من الماء أي لعلوه وارتفاعه. قوله: ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ الله متعلق بمحذوف خير لا أي يعصم من أمر الله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ حملة على الانقطاع لأنه فسر من بالمعصوم والذي قبل إلا العاصم ولا يستثنى المعصوم من العاصم، ومن مبتدأ والخبر محذوف كما قدره الشارح، ورحم صلة من والعائد محذوف أي رحمه الله اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله: ﴿لكن من رحم﴾ فهو المعصوم أشار إلى أن الاستثناء منقطع، وأن لا عاصم اسم فاعل على بابه، وأن بمعنى الذي واقعة على المعصوم، وضمير الفاعل في رحم عائد على الله تعالى وضمير الموصول محذوف. وهذا ما استظهره السفاقي، وقد جعله الزمخشري متصلاً لمدرک آخر وهو حذف مضاف تقديره لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد، وهو مكان من رحم الله ونجاهم يعني في السفينة وتبعه القاضي اهـ.

وذكر صاحب الانتصاف أن الاحتمالات الممكنة هنا أربعة: لا عاصم إلا راحم، لا معصوم إلا مرحوم، لا عاصم إلا مرحوم، لا معصوم إلا راحم، فالأولان استثناء من الجنس، والآخران استثناء من غير الجنس فيكون منقطعاً. أي: لكن المرحوم يعصم على الأول، ولكن الراحم يعصم من أراد على الثاني اهـ زاده وشهاب.

قوله: ﴿وَحَالٌ بَيْنَهُمَا﴾ أي بين نوح وابنه قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ﴾ أي بالفعل اهـ شيخنا.

أي فصار من المهلكين بالماء اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ﴾ الخ وقوله: ﴿بَعْدَ﴾ الخ القيل في هذين الموضعين عبارة عن تعلق القدرة التنجيزي بزوال الماء وبهلاكهم، كما قيل في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] والبلع عبارة عن تغوير الماء وشربه في بطنها مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان أي ازدراده لطعامه وشرايه. وفي السمين: البلع معروف والفعل منه مكسور العين ومفتوحها بلع وبلع حكاها الكسائي والفراء اهـ.

وفي المصباح: بلعت الطعام بلعاً من باب تعب والماء والرقيق بلعاً ساكن اللام وبلعته بلعاً من باب نفع لغة وابتلعته اهـ.

قوله: (فصار) أي ما نزل. وفي القرطبي: وقيل ميز الله بين ماءين، فما كان من ماء الأرض أمرها فبلعته وصار ماء السماء بحاراً اهـ.

﴿وَنَسَمَكُ أَقْلَى﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَوَيْضَ﴾ نقص ﴿الْمَاءَ وَقَضَى الْأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى الْجُودَى﴾ جبل بالجزيرة بقرب الميراصل ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾

قوله: ﴿أقلمي﴾ الإقلاع الإمساك، ومنه أقلمت الحمى. وقيل: أقلع عن الشيء إذا تركه وهو قريب من الأول اهـ سمين.

قوله: ﴿وغيض﴾ مبني للمفعول إذ يستعمل لازماً ومتعدياً. وعبرة السمين: الغيض القهطبان وفعله لازم ومتعد، فمن اللازم قوله تعالى: ﴿ما تغيض الأرحام﴾ [الرعد: ٨] أي تنقص، وقيل: بل هو هنا متعد أيضاً وسيأتي ومن المتعدي هذه الآية، لأنه لا يبنى للمفعول من غير واسطة حرف جر إلا المتعدي بنفسه اهـ سمين.

وفي المختار: غاض الماء قلّ ونضب أي ذهب في الأرض وبابه باع وانغاضن مثله، وغيض الماء فعل به ذلك وغاضه الله انضبه ويلزم وأغاضه الله أيضاً وغيض الدمع تغيضاً نقصه وحسنه ويقال: غاضن الكرام أي قلوا، وفاض اللثام أي كثروا اهـ.

قوله: ﴿وقضي الأمر﴾ أي أحكم وفرغ منه يعني أهلك قوم نوح على تمام وإحكام اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وأسوت على الجودي﴾ روي أنه ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم ستة أشهر،

ومرت بالبيت الحرام، فطافت به سبعا، هبط نوح ومن معه منها يوم عاشوراء فصامه، وأمر من معه بصيامه، وبنوا قرية بقرب الجبل المذكور فسموها قرية الثمانين، فهي أول قرية عمرت على الأرض بعد الطوفان اهـ خازن.

وعبرة الكرخي: ﴿وأسوت على الجودي﴾ في العاشر من المحرم فصامه نوح ومن معه من الناس والوحش، والدواب والطير، وغير ذلك شكراً لله تعالى اهـ.

وفي الخطيب: وجرت بهم السفينة ستة أشهر، ومَرَّتْ بالبيت العتيق وقد رفعه الله تعالى من الغرق وبقي موضعه، فطافت السفينة به سبعا وأودع الله الحجر الأسود في جبل أبي قبيس اهـ.

وفي القرطبي: وذكر صاحب كتاب العروس وغيره أن نوحاً عليه السلام لما أراد أن يبعث من يأتبه بخبر الأرض قال الدجاج: أنا فأخذه وختم على جناحه، وقال لها: أنت مختومة بخاتمي لا تطيري أبداً تتفع بك أمتي، فبعث الغراب فأصاب جيفة، فوقع عليها فاحتبس فلعه، ولذلك يقتل في الحرم ودعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، وبعث الحمامة فلم تجد قراراً فوقفت على شجرة بأرض سبأ، فحملت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح، فعلم أنها لم تستمكن من الأرض، ثم بعثها بعد ذلك فطارحت حتى وقفت بوادي الحرم، فإذا الماء قد نضب أي ذهب من موضع الكعبة، وكانت طينتها حمراء فاخصبت رجلاها ثم جاءت إلى نوح فقالت: بشراي منك أن تهب لي الطوق في عنقي والخضاب في رجلي، وأن أسكن الحرم، فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحجرة في رجليها، ودعا لها ولذريتها بالبركة اهـ.

هَلَاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١١﴾ الكافرين ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِيَ كُنْعَانَ ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾ وَقَدْ

قوله: (جبل بالجزيرة) أي جبل معين بالموصل، وقيل: كل جبل يقال له جودي اهـ من السمين.

والجزيرة مدينة بالعراق، ومنها ابن الجزري وقوله: بقرب الموصل عبارة البيضاوي جبل بالموصل، وقيل: بالشام، وقيل: بآمل بالمد وضم الميم. وفي القرطبي: روي أن الله تعالى أوحى إلى الجبال أن السفينة ترسى على واحد منها، فتناولت وبقي الجودي لم يتناول تواضعاً لله تعالى، فاستوت السفينة عليه وبقيت على أعوادها. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لقد بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة» اهـ.

قوله: ﴿وَقِيلَ بَعْدًا﴾ الخ يقال بعد بكسر العين بعداً بضم فسكون، وبعداً بفتحتين إذا بعد بعداً بعيداً بحيث لا يرجى عوده، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء اهـ بيضاوي.

وفي السمين قوله: ﴿بَعْدًا﴾ منصوب على المصدر بفعل مقدر. أي وقيل: بعدوا بعداً فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم نحو جذعاً يقال: بعد يبعد بعداً إذا هلك، واللام إما تتعلق بفعل محذوف وتكون على سبيل البيان كما تقدم في نحو سقياً لك ورعياً، وإما تتعلق بقليل أي قيل لأجلهم هذا القول اهـ.

قال بعضهم: هذه الآية أبلغ آية في القرآن وقد احتوت من أنواع البديع على أحد وعشرين نوعاً فيها تسع عشرة كلمة، وخوطبت الأرض أولاً بالبلع لأن الماء نبع منها أولاً قبل أن تمطر السماء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ التعرض لوصف الظلم للإشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧] اهـ أبو السعود.

فإن قلت: كيف اقتضت الحكمة الإلهية والكرم العظيم إغراق من لم يبلغ الحلم من الأطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم؟ قلت: قد ذكر بعض المفسرين أن الله عز وجل أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فلم يولد لهم ولد تلك المدة، وهذا الجواب ليس بقوي لأنه يرد عليه إغراق جميع الدواب والهوام والطيور وغير ذلك من الحيوان، ويرد عليه أيضاً إهلاك أطفال الأمم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح. والجواب الشافي عن هذا كله أن الله تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون اهـ خازن.

وفي القرطبي: يقال إن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يكن فيمن هلك صغير، والصحيح أنه أهلك الولدان بالطوفان، كما هلكت الطيور والسباع، ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهائم والطيور، بل ماتوا بأجالهم اهـ.

قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ الظاهر أن هذا النداء كان قبل سيرها، لأنه سؤال في نجاة ابنه ولا معنى للسؤال إلا عند إمكان النجاة، وقوله: فقال عطف تفسير أو تفصيل. إذ القول المذكور هو عين النداء فهو مرتبط في المعنى بقوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾. وفي السمين قوله: فقال عطف على نادى. قال الزمخشري: فإن قلت: وإذا كان النداء هو قوله: رَبِّ فكيف عطف قال رَبِّ على نادى بالفاء؟ قلت: أريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء في قوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نَدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] قال رَبِّ بغير فاء اهـ.

وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَدَّكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ أعلمهم وأعدلهم ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَنْبُؤُاْ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي سؤالك إياي بنجاته ﴿عَمَلٌ عِبْرٌ صَالِحٌ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين وفي قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير

قوله: (وقد وعدتني بنجاتهم) أي المفهوم من الأمر بالحمل في قوله: وأهلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿قَالَ﴾ يعني قال الله تعالى يا نوح إنه يعني هذا الابن الذي سألتني نجاته ليس من أهلك؛ اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا؟ فقال الحسن، ومجاهد: كان ولد حنث من غير نوح ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به، فلذلك قال الله: إنه ليس من أهلك. وقال محمد بن جعفر الباقر: كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح، ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني. وقال ابن عباس، وعكرمة، وسعد بن جبير، والضحاك، وأكثر المفسرين إنه ابن نوح من صلبه، وهذا القول هو الصحيح، والقولان الأولان ضعيفان بل باطلان. ويدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس أنه قال: ما بغت امرأة نبي قط، ولأن الله تعالى نص عليه بقوله: ﴿وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ﴾ ونوح أيضاً نص عليه بقوله: ﴿بَنِي أَرْكَبْ مَعَنَا﴾، وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة لا يجوز، وإنما خالف الظاهر من خالفه لأنه استبعد أن يكون ولد نبي كافراً وهذا خطأ ممن قاله لأن الله تعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون، وفريق في السعير وهم الكفار، والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، فإن الله أخرج قابيل من صلب آدم وهو نبي، وكان قابيل كافراً، وأخرج إبراهيم عليه السلام وهو نبي من صلب آزر، وكان كافراً، وكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شاء. فإن قلت: فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال: اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً؟ قلت: قد ذكر بعضهم أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافراً، فلذلك ناداه، وعلى تقدير أنه يعلم كفره إنما حمّله على أن ناداه رقة الأبوة، ولعله إذا رأى تلك الأحوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق، فأجابه الله عز وجل بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾. يعني ليس هو من أهل دينك، لأن أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين، أو ما يجري مجراهما، ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح: إنه ليس من أهلك اهـ خازن.

قوله: (الناجين أو من أهل دينك) أي فالكلام على حذف الصفة أو حذف المضاف قوله: (أي سؤالك الخ) اعترض بعضهم هذا التفسير بأنه يقتضي أن نوحاً أخطأ في سؤاله، والخطأ لا يليق به، فلذلك اتفق جمهور المفسرين على تفسير الضمير بابنه، وفي حمل العمل ما عليه في قولك زيد عدل من التأويلات الثلاثة اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة بكسر ميم عمل) عبارة الخازن: قرأ الكسائي، ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن، ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب، وكل هذا غير صالح. وقرأ الباقون عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين غير بضم الراء، ومعناه أن سؤالك إياي

لابنه ﴿فَلَا تَسْتَكْبِرْ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿بِسْؤَالِكَ مَا لَمْ تَعْلَمْ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَن أَشْتَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرَ﴾

أن أنجيه من الغرق غير صالح، ويجوز أن يعود الضمير في إنه على ابن نوح أيضاً، ويكون التقدير على هذه القراءة إن ابنك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح، فحذف المضاف. قال الواحدي: وهذا قول أبي إسحاق يعني الزجاج، وأبي بكر بن الأنباري: وأبي علي الفارسي، قال أبو علي: ويجوز أن يكون ابن نوح عملاً غير صالح، كما يجعل عامل الشيء نفسه لكثرة ذلك منه انتهت.

قوله: (فعل) أي لا مصدر. قوله: (بالتشديد) أي تشديد النون يعني مع فتح اللام قبلها بالنون المشددة للتوكيد والفعل مبني على الفتح لاتصاله بها، وحينئذ فيقرأ بشبوت الياء وحذفها، وهذا عند كسر نون التوكيد، ويقرأ أيضاً بفتحها وبلا باء أصلاً، فالقراءات السبعة في التشديد ثلاثة، وقوله: والتخفيف أي تخفيف النون يعني مع سكون اللام قبلها وعليه فالنون للوقاية، ويقرأ بشبوت الياء وحذفها في الأصل، فالقراءات السبعة في هذا المقام خمسة، وثبوت الياء في بعض هذه القراءات سواء مع التخفيف والتشديد إنما هو عند الوصول، وأما عند الوقف فلا تثبت في شيء من هذه القراءات كلها، بل ولا تثبت في الرسم لأنها من ياءات الزوائد، وهي تثبت في الوصل دون الوقف ودون الرسم، ففي كلام الشارح إجمال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي ما لا تعلم أنه صواب أم لا اهـ خطيب.

قوله: (من إنجاء ابنك) أي من العذاب، والمعنى ما ليس لك به علم بأنه صواب أو غير صواب، فيكون النهي وارداً في شبهة الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بطريق الأولى، وهذا كما ترى صريح في أن نداه عليه الصلاة والسلام ربه جلّ وعلا ليس استفساراً عن سبب عدم إنجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء أهله وهو منهم، كما قيل: فإن النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة، إذ عدم العلم بالشيء داع إلى الاستفسار عنه لا إلى تركه، بل هو دعاء منه بانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد، ولكن الشفقة على البنوة والسجية البشرية حملته على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير، وعلى هذا القدر وقع العتاب، ولذلك جاء برفق وتلطف في قوله: ﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ﴾، واستعقب هو بقوله ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ سماه سؤالاً باعتبار استنجاهه في شأن ولده فلا يرد لم سمي نداه سؤالاً ولا سؤال فيه اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ﴾ أي أخوفك أن تكون أي من أن تكون اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: إني أعظمك أي بمواعظي كراهة أن تكون من الجاهلين فتسأل مثل ما يسألون اهـ. وفي الخازن: إني أعظمك أي أنهاك اهـ.

قوله: ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ سمي سؤاله جهلاً لأن حب الولد شغله عن تذكر استثناء من سبق عليه القول منهم بالاهلاك اهـ كرخي.

قوله: (بسؤالك) متعلق بتكون.

قوله: ﴿مَنْ أَن أَسْأَلُكَ﴾ أي بعد ذلك ما ليس لي به علم بصحته اهـ كرخي.

لي ﴿ مَا فَرَطَ مِنِّي ﴾ وَتَرَحَّمْتَ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴿ قِيلَ يٰ نُوحُ اهْبِطْ ﴾ انزل من السفينة ﴿ يَسْلُوكَ ﴾ بسلامة أو بتحية ﴿ مِتًّا وَبَرَكَتٍ ﴾ وخيرات ﴿ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمُورٍ مِّن مَّالِكَ ﴾ في السفينة أي

قوله: ﴿وَالَا تَغْفِرَ لِي﴾ يعني جهلي وإقدامي على سؤال ما ليس لي به علم، وترحمني يعني برحمتك التي وسعت كل شيء أكن من الخاسرين، وقد استدلل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الأنبياء، وبيانه قوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، والمراد منه السؤال وهو محذور، فلماذا نهاه عنه بقوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. وقوله: ﴿إِنِّي أَعْظُكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وهذا يدل على أن ذلك السؤال كان جهلاً ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه، والجواب أن الله عز وجل كان قد وعد نوحاً عليه السلام بأن ينجيّه وأهله، فأخذ نوح بظاهر اللفظ، واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه، ولم يشك في وعد الله تعالى فأقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره، وعمله الذي هو غير صالح، وقد أعلمه الله أنه مغرقة مع الذين ظلموا، ونهاه عن مخاطبته فيهم. فأشفق نوح من إقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه، فخاف نوح من ذلك الهلاك، فلجأ إلى ربه عز وجل وخشع له ودعا ربه وسأله المغفرة والرحمة، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه الصلاة والسلام سوى تأويله وإقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه، وهذا ليس بذنب ولا معصية، والله أعلم اهـ خازن.

وعبارة الخطيب: فأن قيل هذا يدل على عدم عصمة الأنبياء لوقوع هذه الذلة من نوح عليه السلام، أجيب بأن الذلة الصادرة من نوح إنما هي كونه لم يستقص ما يدل على نفاق ابنه وكفره، لأن قومه كانوا على ثلاثة أقسام: كافر يظهر كفره، ومؤمن يظهر إيمانه، ومنافق لا يعلم حاله في نفس الأمر. وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة، وحكم الكافرين هو الغرق، وكان ذلك معلوماً، وأما أهل النفاق فبقي أمرهم مخفياً، وكان ابن نوح منهم، وكان يجوز فيه كونه مؤمناً، وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للأب في حق الابن تحمله على حمل أعماله وأفعاله لا على كونه كافراً، بل على الوجوه الصحيحة فأخطأ في ذلك الاجتهاد كما وقع لآدم عليه السلام في الأكل من الشجرة، فلم يصدر عنه إلا الخطأ في الاجتهاد، فلم يصدر منه معصية، فلجأ إلى ربه تعالى وخشع له ودعا وسأله المغفرة والرحمة، كما قال آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين انتهت.

قوله: ﴿وَالَا﴾ هذه إن الشرطية ولا النافية أدغمت نون إن في لام لا ولا ترسم النون كما ترى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ أي بعظمة وأمن وسلامة منا، وذلك أن الغرق لما كان عاماً في جميع الأرض، فعندما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الأرض شيء مما يتشفع به من النبات والحيوانات، فكان كالخائف في أنه كيف يعيش، وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب، فلما قال الله له اهبط بسلام منا زال عنه الخوف، لأن ذلك يدل على حصول السلامة، وأن لا يكون إلا مع الأمن وسعة الرزق، ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة أردفه بأن وعده

من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع ممن معك ﴿سَنَنْتَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَتَاعُ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في الآخرة وهم الكفار ﴿يَلْكَ﴾ أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح

بالبركة بقوله: ﴿وبركات عليك﴾، وهي عبارة عن البقاء والدوام والثبات. وعن محمد بن كعب القرظي: دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر اهد خطيب.

وفي أبي السعود: ﴿وبركات عليك﴾ أي خيرات نامية في نسلك، وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق. وعن ابن زيد: هبطوا والله راض عنهم، ثم أخرج منهم نسلاً منهم من رحم الله ومنهم من عذب، وقيل: المراد بالأمم المتمتعة قومه هود، صالح، لهط، وشعب عليهم السلام، بالعذاب

قوله: ﴿بسلام﴾ حال من فاعل اهبط أي ملتبساً بسلام ومناصفة لسلام، فيتعلق بمحذوف أو هو متعلق بنفس سلام وابتداء الغاية المفاد بمن مجاز، وكذلك عليك يجوز أن يكون صفة لبركات أو متعلقاً بها اهد سمين.

قوله: (أو بتحية) سيأتي ذكر التحية في سورة الصافات، حيث قيل هناك سلام على نوح في العالمين اهد شيخنا.

قوله: ﴿وعلى أمم ممن معك﴾ الذين كانوا معه في السفينة لم يعقب أحد منهم إلا أولاد نوح الثلاثة، فأنحصر النوع الإنساني بعد نوح ذريته، ولذلك يقال إنه آدم الصغير، وقد كان بينه وبين آدم ألف سنة وثمانية أجداد، فالمراد من هذه الآية تقسيم ذرية أولاد نوح إلى فريق مؤمن وفريق كافر لا تقسيم من كان معه في السفينة إذا كانوا كلهم مؤمنين، فقوله: ﴿وعلى أمم ممن معك﴾ أي ناشئين ومتولدين ممن معك، فمن ابتدائية، لكن صنيع الشارح يقتضي أنها تبعية، وأن الكلام مضافاً محذوفاً. أي: وعلى أمم من ذرية من معك حيث قال: أي من أولادهم وذريتهم. وقوله: ﴿وأمم﴾ على حذف الصفة قدرها الشارح بقوله: ﴿ممن معك﴾ وفيه تقدير كان عليه التصريح به، كالذي قبله أي من ذرية من معك اهد شيخنا.

وفي أبي السعود بعد أن قرر مثل تقرير الشارح ما نصه: وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلماً ومباركاً عليهم صريحاً، وإنما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذرياتهم، كذلك بدلالة النص، ويجوز أن تكون من بيانية أي: وعلى أمم هم الذين معك، وإنما سموا أمماً لأنهم أمم متحزبة وجماعات متفرقة، أو لأن جميع الأمم إنما تشعبت منهم، فحينئذ يكون المراد بالأمم المشار إليهم في قوله: ﴿وأمم سنمعتهم﴾ بعض الأمم المتشعبة منهم، وهي الأمم الكافرة المتناسلة منهم إلى يوم القيامة، ويبقى أمر الأمم المؤمنة الناشئة منهم مبهماً غير متعرض له ولا مدلول

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿ثَوْبِيًّا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَنْقَبَةَ﴾ المحمودية ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿هُودًا قَالَ يَبْقَوُوا عَبْدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿إِلَّا غَيْرُهُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ ﴿كَاذِبُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿يَقُولُونَ لَا تَنْتَكِرْ عَلَيْنَا﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرُكَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾

قوله: ﴿تلك﴾ مبتدأ أخبر عنه بأخبار ثلاثة من أنباء الغيب نوحيا إليك ما كنت تعلمها اهـ

شيخنا.

قوله: (أي هذه الآيات) إذ لوحظ هذا التفسير مع قوله: ﴿من قبل هذا﴾ يترأى في الكلام بعض ركاكة، فالأولى تفسير اسم الإشارة بالقصة كما صنع غيره. وعبرة البيضاوي: تلك إشارة إلى قصة نوح، ومحلها الرفع بالابتداء، وخبرها من أنباء الغيب أي بعضها نوحيا إليك خبر ثان، والضمير لها أي: موحاة إليك، أو حال من أنباء، أو هو الخبر، ومن أنباء متعلق به، أو حال من الهاء ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر أي: مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك، أو حال من الهاء في نوحيا، أو الكاف في إليك أي جاهلاً أنت وقومك بها، وفي ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمه إذ لم يخالط غيرهم، وأنهم مع كثرتهم لم يسمعه، فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة وأذى القوم كما صبر نوح إن العاقبة في الدنيا بالظفر، وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي، انتهت.

قوله: ﴿ما كنت تعلمها﴾ أي تفصيلاً وإلاً فقصة نوح كانت مشهورة عند كل القرون لكن إجمالاً

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاصبر﴾ هذا هو المقصود من ذكر بقصة نوح، فالمقصود منها تسليته ﷺ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ (أرسلنا) ﴿إلى عاد﴾ يشير بهذا إلى أن ثم فعل محذوف، فيكون في عطف الجمل لا من عطف المفردات كما هو الأقرب لطول الفصل، وإلاً لكان عطفاً على قوله: نوحاً إلى قومه، فالواو عطفت المجرور والمنصوب على المجرور والمنصوب، كما تعطف المرفوع والمنصوب على المرفوع والمنصوب نحو ضرب زيد عمراً وبكر خالدًا، وليس من الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف والمعطوف اهـ كرخي.

وعاد اسم قبيلة تنسب إلى أبيها عاد من ذرية سام بن نوح، فعاد أبو القبيلة وسميت باسمه، وهود من تلك القبيلة فينتسب إلى عاد أيضاً: وبين هود ونوح ثمانمائة سنة، وعاش أربعمائة سنة وأربعاً وستين سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أخاهم﴾ (من القبيلة) أي لا في الدين. قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ في معنى العلة لما قبله. قوله: (كاذبون على الله) أي في اتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لا أسألكم عليه أجراً﴾ خاطب بهذا كل نبي قومه ازاحة لما عسى أن يتوهموه وإمحاضاً للنصيحة، فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع فهي بمعزل عن التأثير اهـ أبو السعود.



خلقني ﴿أَفَلَا تَقُولُونَ﴾ ﴿وَنَنْفَعُوهَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد منعه ﴿عَلَيْكُمْ مَذَرَاكَ﴾ كثير الدورور ﴿وَبَرَزَ كُمْ قُوَّةً﴾ لك مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ مشركين ﴿قَالُوا يَا هُوَذَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتَرَكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فخبلك لسنك إياها فأنت

وقوله على التوحيد أي على تبليغه وقوله: أجراً قال في نوح مالا وهنا أجراً تفنناً اهـ شيخنا .

قوله: ﴿استغفروا﴾ أي أسلموا وقوله: بالطاعة أي بفعلها . قوله: (وكانوا قد منعه) أي ثلاث سنين قوله: ﴿مذرازا﴾ منصوب على الحال من السماء ولم يؤثمه، وإن كان من مؤنث لثلاثة أوجه . أحدها: أن المراد بالسماء السحاب أو المطر كما قال الشارح فذكر على المعنى . والثاني: أن مفعلاً للمبالغة فيستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور وشكور وفعل . والثالث: أن الهاء حذفت عن مفعول على طريق المنسب قاله مكّي، وقد تقدم إيضاحه في الأنعام اهـ سمين .

قوله: (كثير الدورور) أي السيلان والنزول والتتابع، ويقال: دريدر كرد يرد اهـ شيخنا .

وفي المصباح: در اللبن وغيره درأ من بابي ضرب وقتل كثر دره اهـ .

وفي القاموس: ودرت السماء بالمطر درأ ودروراً فهي مدرار اهـ .

قوله: (بالمال والولد) وكانت قد عقت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد اهـ شيخنا .

قوله: ﴿قَالُوا يَا هُوَذَا﴾ الخ أي قالوا ذلك استهزاء وتكبراً وعناداً . قوله: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بمعجزة وكانت معجزته، ويأتي في قوله: ﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ حيث عصمه الله منهم مع قدرتهم على ما قبل . وقيل هي الريح الصرصر المذكورة في سورة الحاقة بقوله: ﴿سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ [الحاقة: ٧] الآية اهـ شيخنا .

قوله: ﴿بَيِّنَةٍ﴾ يجوز أن تكون الباء للتعدية فتتعلق بالفعل قبلها أي: ما أظهرت لنا بينه قط، ويجوز أن تتعلق بمحذوف على أنها حال . إذ التقدير مستقراً أو ملتبساً ببينة اهـ شيخنا .

قوله: (برهان على قولك) أي على صحته . قوله: ﴿وَبِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ أي عبادتها وقوله: لقولك أي لأجله . قوله: ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ حال من الضمير في تاركي أي وما نترك آلِهتنا تركاً صادراً عن قولك، ويجوز أن تكون عن التعليل كهي في قوله تعالى إلا عن موعدة أي: إلا لأجل موعدة، والمعنى وما نحن بتاركي آلِهتنا لقولك فيتعلق بنفس تاركي، وقد أشار إلى التعليل ابن عطية، ولكن المختار الأول ولم يذكر الزمخشري غيره اهـ سمين .

قوله: (ما) [نقول] (في شأنك الخ) أشار إلى أن الاستثناء مفرغ، وأن ما بعد إلا مفعول بالقول قبله، إذا المراد إن تقول إلا هذا اللفظ فالجملة محكية نحو: ما قلت إلا زيد قائم . قال الزمخشري: اعتراك مفعول نقول، وإلا لغو أي ما نقول إلا قولنا اعتراك اهـ .

يعني بقوله: لغو أنه استثناء مفرغ وتقديره بعد ذلك تفسير معنى لا إعراب . إذ ظاهره يقتضي أن

تهذي ﴿قَالَ إِنِّي أَنشَدُ اللَّهَ عَلَىٰ﴾ علي ﴿وَأَشْهَدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ ٥٤ به ﴿مِن دُونِهِ فَكِدُونِي﴾ اجْتالوا في هلاكى ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ ٥٥ تمهلون ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّالَيْنِ﴾ زائدة ﴿دَابَّةً﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ آجِدُ بِنَاصِيهَا﴾ أي مالكتها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الدل ﴿إِنِّي رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥٦ أي طريق الحق والعدل ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَقَدْ

تكون الجملة منصوبة بمصدر محذوف، وذلك المصدر منصوب بنقول هذا هو الظاهر اهـ كرخي.

قوله: (فخيلك) أي أفسد عقلك يقال: خيله، يخيله من باب ضرب، وخيله تخيلاً من باب علم بالتشديد، والمعنى واحد اهـ شيخنا.

وقوله: (فأنت تهذي) أي تتكلم بالهذيان يقال: هذى يهذي من باب رمى فعلاً ومصدراً، ويقال: هذا يهذو كدعا يدعو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَنِّي بَرِيءٌ﴾ يجوز أن يكون من باب الأعمال، لأن أشهد يطلبه وأشهدوا يطلبه أيضاً، والتقدير أشهد الله على أني بريء، وأشهدوا أنتم أيضاً عليه، ويكون من الاعمال الثاني لأنه لو أعمل الأول لأضر في الثاني ولا بعد في تنازع المختلفين في التعدي. ومما تشاركون يجوز أن تكون ما مصدرة أي من إشراككم آلهة من دونه أو اسمية بمعنى الذي أي: من الذين تشاركون من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء اهـ سمين.

قوله: ﴿فَكِيدُونِي﴾ بثبوت الباء وصلاً ووقفاً لكلهم، والتي في المرسلات بحذفها كذلك لكلهم، وأما التي في الأعراف فمن ياءات الزوائد فتحذف وقفاً لا غير وتثبت وتحذف في الوصل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَنْظَرُونَ﴾ هذا من معجزاته الباهرة، لأن الرجل الواحد إذا أقبل على القوم العظام وقال لهم بالغوا في عداوتي وفي إيذائي ولا تؤجلوني فإنه لا يقول هذا إذا كان واقعاً من الله بأنه يحفظه ويصونه عن كيد الأعداء، وهذا هو المراد بقوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي اعتمادي على الله ربي وربكم اهـ كرخي.

قوله: (تدب على الأرض) أي تتحرك. قوله: (فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه) أي وأنتم من جملة الدابة فلا تؤثر في شيئاً. وفي السمين: والناصية منبت الشعر من مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت أيضاً ناصية باسم محله، ونصوت الرجل أخذت بناصيته فلامها واو، ويقال له ناصاة فقلت ياؤها ألفاً فالأخذ بالناصية عبارة عن الغلبة والقهر، وإن لم يكن أخذ بناصية، ولذا كانوا إذا منوا على أسير جزوا ناصيته اهـ.

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ مجزوم بحذف النون وجواب الشرط محذوف تقديره فلا أبالي ولا علي مؤاخذه في شأنكم لأنني قد بلغتكم الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين قال الزمخشري: فإن قلت: الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط؟

أَتَلْعَنُكُمْ مَا أَزْسِلُكُمْ بِهِ إِذْ كَرَّ وَتَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا ﴿٥٧﴾ بِإِشْرَاكُمْ ﴿٥٨﴾ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٩﴾ رَقِيبٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴿٥٨﴾ عَذَابَنَا ﴿٥٩﴾ نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ ﴿٥٧﴾ هِدَايَةٍ ﴿٥٨﴾ وَمَتَّأَمَّيْنَتِهِمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٩﴾ شديد ﴿٥٨﴾ وَفَلَكَ عَادٌ ﴿٥٨﴾ إِشَارَةٌ إِلَىٰ آثَارِهِمْ أَي فسيحوا في الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم فقال ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ جمع لأن من عصى رسولاً عصى جميع

قلت: معناه فإن تولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به قد بلغكم فأبیتم إلا التكذيب اهـ.

قوله: ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾ استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوماً آخرين في ديارهم وأموالهم أو عطف على الجواب بالفاء، ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل: فإن تولوا يعذرنى ربي ويستخلف، ولا تضرونه بتوليكم شيئاً من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط النون منه إن ربي على كل شيء حفيظ رقيب، فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ متولي عليه، فلا يمكن أن يضره شيء اهـ يضاوي.

قوله: (عذابنا) أي الدنيوي، وهو الريح المذكور في قوله تعالى: ﴿سخرها عليهم سبع ليال﴾ [الحاقة: ٧] الآية فأصابهم صيحة الأرباء لثمان بقين من شوال، وكان يدخل من أنف الواحد ويخرج من دبره، فيرفعه في الجو فيسقط على الأرض فتقطع أعضاؤه، كما سيأتي إيضاحه هناك، فقوله: ﴿نجينا هوداً﴾ الخ أي من العذاب الدنيوي، وقوله: ﴿ونجيناهم﴾ أي من العذاب الآخروي، فهو مستأنف لا معطوف على نجيناهم الأول، لأنه أي الأول مقيد بقوله: فلما جاء أمرنا الخ، والثاني لا يتقيد به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين آمنوا معه﴾ وكانوا أربعة آلاف. قوله: ﴿من عذاب غليظ﴾ إلى هنا تمت القصة. وقوله: ﴿وتلك﴾ خطاب لمحمد وهو مبتدأ وعاد خبره على حذف المضاف أي: وتلك آثار عاد كما أشار إليه الشارح، وهذا كلام مستقل. وقوله: ﴿جحجدوا﴾ الخ شروع في حكاية بعض قبائحهم، كما أشار له الشارح بقوله: ثم وصف أحوالهم، فقال الخ.

قوله: (إشارة إلى آثارهم) كقبورهم ومدائنهم. قوله: (أي فسيحوا) خطاب للنبي وأمة أي سيحوا في الأرض لتعتبروا بهم، والمقصود أتمه فقد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جحجدوا﴾ جملة مستأنفة سيق للآخبار عنهم بذلك وليست حالاً مما قبلها، وجحد يتعدى بنفسه، ولكنه ضمن معنى كفر، فتعدى بحرف الباء كما ضمن كفر معنى جحد فتعدى بنفسه في قوله: بعد ذلك كفروا ربهم، وقيل: إن كفر كشكر في تعديته بنفسه تارة وبحرف الجر أخرى اهـ سمين.

قوله: ﴿وعصوا رسله﴾ أي رؤساؤهم وسفلةتهم. قوله: ﴿عنيد﴾ العنيد الطاغى المتجاوز في الظلم قولهم عند يعند إذ حاد عن الحق من جانب إلى جانب. قيل: ومنه عندي الذي هو ظرف، لأنه في معنى جانب في قولك عندي كذا أي: في جانبي وعند أبي عبيد العنيد، والعنود والعائد والمعاند كله بمعنى المعارض والمخالف اهـ سمين.

الرسول لا اشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ أي السفلة ﴿أَنْتَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ آلَا بَعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لَعَادَ قَوْمِ هُودٍ﴾ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿مَنْحِلًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ ابتداء خلقكم ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عماراً تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوَبُّوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿يُجِيبُ﴾ لمن سألَه ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿فَبَلَ هَذَا﴾

وفي المختار: عند من باب جلس أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند اهـ.  
قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ أي جميعهم والسفلة والرؤساء مفهومون بالأولى لعنة أي على لسان الأنبياء، فما جاء نبي بعدهم إلا لعنهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا﴾ الخ بيان لسبب إتيانهم باللعتين، وقوله: ﴿إِلَّا بَعْدًا﴾ الخ والمراد منه تحقيرهم اهـ شيخنا.

وفي الخازن: فإن قلت: اللعنة معناها الإبعاد والهلاك فما الفائدة في قوله: ﴿إِلَّا بَعْدًا لَعَادَ﴾ لأن الثاني هو الأول بعينه؟ قلت: الفائدة فيه أن التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد، وأنهم كانوا مستحقين له اهـ.

قوله: ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ بدل من عاد واحترز به عن عاد الثانية التي هي قوم صالح المسماة بثمود، فقوم هود عاد الأولى وقوم صالح عاد الثانية كما سيأتي للمحلي في سورة النجم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإِلَى ثَمُودَ﴾ بمنع الصرف لعامة القراء، وقرئ شاذاً بالصرف هنا بخلاف قوله الآتي: ألا إن ثموداً كفروا ربهم، ألا بعداً لثمود، فإنه بالصرف وتركه عند السبعة كما سيأتي في الشارح، وثمود اسم أبي القبيلة سميت باسمه لشهرته، وبين صالح وبينه خمسة أجداده، وبين صالح وهود مائة سنة، وعاش صالح مائتي سنة وثمانين سنة اهـ شيخنا.

وثمود هم سكان الحجر مكان بين الشام والمدينة، وتقدم في الأعراف بسط قصتهم وقصة الناقة بأكثر مما هنا اهـ.

قوله: (ابتداء خلقكم الخ) أشار به إلى أن من لا ابتداء الغاية باعتبار الأصل لأنه خلقكم من آدم وآدم من الأرض وقيل: هي بمعنى في اهـ كرخي.

قوله: (بخلق أبيكم) أي وبخلق مواد النطف منها أيضاً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أي عمركم وأسكنكم، فالسين والتاء زائدتان أو صيركم عامرين لها، فهما للصيرورة. وفي البيضاوي: ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها. وقيل: هو من العمرى بمعنى أعماركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم، ثم تركونها لغيركم اهـ.

قوله: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي آمنوا به. قوله: (بعلمه) أي فهو قرب مكانة. قوله: (نرجو أن تكون

الذي صدر منك ﴿أَتَهْتَكِرُ أَنْ تَقْبُذَ مَا يَبْدُءُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَأَنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٌ ۝١٦﴾ موقع في الريب ﴿قَالَ يَنْفُورُ آرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَتَسَفَرُ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّي وَءَاثَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ

سيداً) أي لأنه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم اهـ خازن.

وفي البيضاوي: قد كنت فينا مرجواً قبل هذا لما نرى فيك من مخائل الرشد والسداد أن تكون لنا سيداً أو مستشاراً في الأمور، وأن توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا فيك اهـ.

قوله: (الذي صدر منك) وهو نهيهم عن عبادة الأوثان.

قوله: ﴿وَأَنَا لَفِي شَكٍّ﴾ هذا هو الأصل، ويجوز وإنا بنون واحدة مشددة كما في السورة الأخرى اهـ سمين.

قوله: (موقع في الريب) يعني أن مرِيب اسم فاعل من أَرَاب المتعدي أوقعه في الريب، أو من أَرَاب اللازم بمعنى صار ذا ريب وشك، وذو الريب، وصاحبه من قام به لا نفس الشك، فالاسناد مجازي للمبالغة كجد جده. وأما على الاحتمال الأول فالظاهر أنه مجاز أيضاً لأن الموقع في الريب بمعنى القلق والاضطراب وهو الله لا الشك فجعله حقيقة إما بناء على أنه فاعل في اللغة، وقد صرح في آخر سبأ بأن كليهما مجاز، لأن المرِيب إنما يكون من الأعيان لا من المعاني، ويمكن رجوعه لهما اهـ شهاب.

وفي الكازروني: إن قيل بما معنى كون الشك موقعاً في الريب؟ قلنا: كونه موقعاً فيه إما باعتبار أن الشك جمع يوجب وقوع الريب لآخرين، فإن الطباع مجبولة على التقليد أو باعتبار أن أصل الشك قد يوجب استمراره اهـ ورده الشهاب.

قوله: (إن كنت على بينة) التعبير بحرف الشك باعتبار حال المخاطبين اهـ بيضاوي.

بمعنى أنه من باب ارخاء العنان اهـ شهاب.

قوله: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي﴾ هذا في محل المفعول الثاني لا رأيت أي أخبروني عن جواب الاستفهام اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ الخ قد تقدم نظيره، والمفعول الثاني هنا تقديره أعصيه، ويدل عليه قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾، وقال ابن عطية: هي من رؤية القلب والشرط الذي بعده وجوابه يسد مسد مفعولين لأرأيتم. قال الشيخ: والذي تقرر أن أرأيتم ضمن معنى أخبرني، وعلى تقدير أن لا يضمن، فجملة الشرط والجواب لا تسد مفعولي علمت اهـ.

قوله: (يمنعني) ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ يعني أن النصرة مستعملة في لازم معناها وهو المنع، وفي الكلام مضاف مقدر أو النصر بمعنى المنع ولذا عدي بمن اهـ شهاب.

قوله: (بأمركم لي بذلك) أي بعصيانه وقوله: (تضليل) أي لي إن فرض أنني عصيته وامثلت أمركم شيخنا.

تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ تَضْلِيلٍ ﴿٦٤﴾ وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴿٦٥﴾ جال عامله الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ﴾ عقر ﴿وَأَخَذَكَ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿١١﴾ إن عقرتموها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قدار بامرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَفْقًا مِمَّا

وفي البضاوي : غير تخسير أي غير أن تخسروني بإبطال ما يمنع الله والتعرض لعذابه اهـ.

يعني أن تخسير معناه خاسراً، وفاعل التخسير قومه ومفعوله هو، والمعنى تجعلوني خاسراً لأنني باتباعكم أكون مضيقاً لما منحني الله من الحق وهو خسران مبين اهـ شهاب.

وفي السمين : الظاهر أن غير مفعول ثان لتزيدوني. قال أبو البقاء : الأقوى هنا أن تكون غير استثنائية في المعنى وهي مفعول ثان لتزيدوني أي فما تزيدوني إلا تخسيراً، ويجوز أن تكون غير صفة لمفعول محذوف أي شيئاً غير تخسير اهـ.

قوله : ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ وذلك لأنهم طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا إليها، وقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء، فدعا الله فتمحضت الصخرة أي أخذها الطلق كطلق النساء، وانفجرت عن ناقة عشراء، فولدت الناقة في الحال فصيلاً قديرها في الجنة يشبهها والإضافة في ناقة الله للتشريف كبيت الله أي أنها لا اختصاص لأحد بها اهـ شيخنا.

قوله : (حال) أي لفظ آية حال من ناقة الله ولكم حال من هذه الحال على القاعدة، وهي أن نعت النكرة إذا تقدم عليها ينصب حالاً، وقوله : الإشارة أي اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل اهـ شيخنا.

قوله : ﴿تأكل في أرض الله﴾ أي من العشب والنبات، فليس عليكم كلفة في مؤنتها، وهذا من تمة إلزامهم اهـ خازن.

وعبارة الكرخي : ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ أي ترع نباتها وتشرب ماءها، فهو من قبيل الاكتفاء نحو تقيكم الحر، وجعل تأكل من عموم المجاز يحتاج إلى قرينة صارفة اهـ.

قوله : ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ أي عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء إلا يسيراً وهو ثلاثة أيام اهـ بضاوي.

قوله : (عقرها قدار) أي ضربها في رجلها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها، وقدار هذا من أشقى الأشقياء اهـ شيخنا.

قوله : ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي في بلادكم، إذ لو أريد المنزل لقال في دوركم. ويجوز أن يراد بالجمع كل منكم في داره أو مسكنه اهـ كرخي.

قوله : ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فقال لهم صالح يأتيكم العذاب بعد ثلاثة. قالوا : وما العلامة؟ قال : تصبحون في اليوم الأول، وكان هو الأربعاء وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني وهو الخميس وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث وهو الجمعة وجوهكم مسودة، وفي اليوم الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب صبيحته اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي قوله : ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي من العقر الأربعاء والخميس والجمعة، وجاءهم العذاب

مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فيه ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿فَجَعَلْنَا صُلْحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿يَرْحَمُوهُمْ﴾ ﴿وَنَجِّنَاهُمْ﴾ من خزي يومئذٍ بكسر الميم إعراباً وفتحها بناء لإضافته إلى مبني وهو الأكثر ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٌ﴾ ﴿بَارِكِينَ عَلَى الرُّكْبِ مِيتِينَ﴾ ﴿كَانَ﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَمْ

يوم السبت، وإنما أقاموا ثلاثة، لأن الفصل رغا ثلاثة وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها، وعبر عن الحياة بالتمتع، لأن الحي يكون متمتعاً بالحواس اهـ.

قوله: (غير مكذوب فيه) يعني أن المكذوب وصف الإنسان لا الوعد لأنه يقال كذب زيد عمراً في مقالته، فزيد كاذب وعمرو مكذوب والمقالة مكذوب فيها، فدفعه بأنه على الحذف والإيصال، فما حذف الجار صار المجرور مفعولاً على التوسع، فأقيم مقام الفاعل اهـ شهاب.

وفي السمين قوله: ﴿غير مكذوب﴾ يجوز أن يكون مصدراً على وزن مفعول، وقد جاء منه ألفاظ نحو المجلود والمعقول والمنشور والمغبون، ويجوز أن يكون اسم مفعول على بابهِ، وفيه تأويلان، أحدهما: غير مكذوب فيه، ثم حذف حرف الجر فاتصل الضمير مرفوعاً مستتراً في الصفة، ومثله يوم مشهود. والثاني: أنه جعل هو نفسه غير مكذوب لأنه قد وفى به، وإذا به فقد صدق اهـ.

قوله: ﴿برحمة﴾ أي بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة إلى صالح النبوة، وبالنسبة إلى المؤمنين الإيمان أو ملتبسين برحمة ورافة منا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ومن خزي يومئذٍ﴾ متعلق بمحذوف أي ونجيناهم من خزي يومئذٍ، كما قال: ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ [هود: ٥٨] أي وكانت النتيجة من خزي يومئذٍ. وقال بعضهم: إنه متعلق بنجينا الأول، وهذا لا يجوز عند البصريين غير الأخفش، لأن زيادة الواو غير ثابتة اهـ سمين. وهذا الخزي هو العذاب الدنيوي فهذا تفسير لقوله ﴿نجينا صالحاً﴾ الخ أي نجيناهم من هذا العذاب، وسمي خزياً لأن فيه خزيّاً للكفار اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿يومئذٍ﴾ أي يوم هلاكهم بالصيحة اهـ كرخي.

قوله: (وهو الأكثر) أي في الاستعمال، وإلا فهما قراءتان سبعيتان على السواء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن ربك هو القوي العزيز﴾ خطاب لمحمد ﷺ، فالقصة تمت عند قوله ﴿يومئذٍ﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأخذ الذين الخ﴾ حذفت تاء التانيث من الفعل إما لكون المؤن مجازياً، أو للفصل بالمفعول، أو لأن الصيحة بمعنى الصباح، والصيحة فعلة تدل على المرة من الصباح وهو الصوت الشديد. يقال: صاح يصيح صباحاً أي صوت بقوة اهـ سمين.

قوله: ﴿الصيحة﴾ أي مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم كما مر اهـ كرخي.

والمراد صيحة جبريل، فقد صاح عليهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعاً اهـ خازن.

قوله: (باركين على الركب) في المصباح: جثم الطائر والأرنب يجثم من بابي دخل وجلس

يَفْتَنُوا يَقِيمُوا ﴿فِيهَا﴾ فِي دَارِهِمْ ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدَا لَتَمُودَ﴾. **بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة** ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ **بإسحاق ويعقوب بعده** ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾

جثوماً، وهو كالبروك من البعير، والفاعل جاثم وجثام مبالغة اهـ.

قوله: (واسمها محذوف) أي وليس ضمير الشأن بدليل قوله: أي كأنهم اهـ شيخنا.

قوله: (يقيموا فيها) يقال غنيت بالمكان إذا أتيت وأقمت فيه. وفي المختار: وغني بالمكان أقام به وبابه صدي اهـ.

وجملة كان لم يغنوا فيها حال أي: أصبحوا جاثمين حال كونهم مماثلين لمن لم يوجد ولم يغم في مكان قط اهـ أبو السعود.

قوله: (بالصرف وتركه) قراءتان سبعيتان، وقوله: على معنى الحي راجع للصرف، وقوله: القبيلة راجع اهـ لشركتنا.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ يقرأ بسكون السين وضمها حيثما وقع مضافاً للضمير، بخلاف ما إذا أضيف إلى مظهر، فليس فيه إلا ضمها، وهذا شروع في قصة إبراهيم لكنها مذكورة هنا توطئة لقصة لوط لا استقلالاً، ولذا لم يذكرها على أسلوب ما قبلها وما بعدها، فلم يقل وأرسلنا إبراهيم إلى كذا، كما قال وإلى مدين، وإلى ثمود وإلى عاد. وعاش إبراهيم من العمر مائة وخمسة وسبعين سنة، وبينه وبين نوح ألفاً سنة وستمئة سنة وأربعون سنة، وابنه إسحاق عاش مائة وثمانين سنة، ويعقوب بن إسحاق عاش مائة وخمسة وأربعين سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رُسُلُنَا﴾ هم الملائكة، واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس، وعطاء: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل. وقيل: كانوا تسعة. وقال مقاتل: كانوا اثني عشر ملكاً. وقال محمد بن كعب القرظي: كان جبريل ومعه سبعة أملاك. وقال السدي: كانوا أحد عشر ملكاً، وكانوا على صور الغلمان الحسان الوجوه، وقول ابن عباس هو الأولى، لأن أقل الجمع ثلاثة، وقوله: ﴿رُسُلُنَا﴾ جمع فيحمل على الأقل وما بعده غير مقطوع به اهـ خازن.

قوله: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ هذه تحيتهم التي وقعت منهم وهي لفظ سلاماً وهو مصدر معمول لفعل محذوف وجوباً أي سلمنا سلاماً، وقوله: ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ هذه تحيته الواقعة منه جواباً، وهي لفظ سلام وهو مبتدأ خبره محذوف كما قدره الشارح، فقد خياهم بالجملة الاسمية في جواب تحيتهم بالفعل، ومن المعلوم أن الأولى أبلغ من الثانية، فكانت تحيته أحسن من تحيتهم، كما قال فحيوا بأحسن منها. وفي السمين: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ في نصبه وجهان، أحدهما: أنه مفعول به ثم هو محتمل لأمرين أحدهما: أن يراد قالوا هذا اللفظ بعينه وجاز ذلك لأنه يتضمن معنى الكلام، والثاني أنه أراد قالوا معنى هذا اللفظ وقد تقدم ذلك في نحو قوله تعالى ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨ والأعراف ١٦١]: وثاني الوجهين: أن يكون منصوباً على المصدر بفعل محذوف، وذلك الفعل في محل نصب بالقول بتقديره قالوا سلمنا سلاماً، وهو من باب ما ناب فيه المصدر عن العامل فيه وهو واجب الإضمار. وقوله:



مصدر ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ مشوي ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ﴾ بمعنى أنكرهم ﴿وَأَوَّجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفاً ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَُرْسِلْنَا

﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ في رفعه وجهان، أحدهما: أنه مبتدأ وخبره محذوف أي سلام عليكم. والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف أي أمري أو قلبي سلام. وقد تقدم أول هذا الموضوع أن الرفع أدل على الثبوت من النصب، والجملة بأسرها وإن كان أحد جزأيها محذوفاً في محل نصب بالقول، وقرأ الأخوان قال سلم هنا وفي سورة الذاريات بكسر السين وسكون اللام، ويلزم بالضرورة سقوط الألف فقبل هما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال، وقيل: السلم بالكسر ضد الحرب وناسب ذلك لأنه نكرهم، فكأنه قال أنا مسالمكم غير محارب لكم اهـ.

قوله: ﴿أَنْ جَاءَ﴾ هو الفاعل أي فما تأخر مجيئه بعجل حنيذ؟ وقيل: المعنى فما لبث إبراهيم في المجيء بعجل حنيذ، وقد كان إبراهيم مكث خمس عشرة ليلة لا يأكل معه ضيف، ولم يأت ضيف، وكان لم يأكل إلا مع الضيف، فلما جاءه الملائكة رأهم أضيفاً لم ير مثلهم قط، فعجل حنيذ اهـ من الخازن.

وفي السمين قوله: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ يجوز في ما هذه ثلاثة أوجه، أظهرها: أنها نافية وفي فاعل لبث حنيذ وجهان، أحدهما: أنه ضمير إبراهيم ﷺ أي فما لبث إبراهيم وأن جاء على اسقاط الخافض فقدروه بالباء، وبعن وبقي أي ما تأخر في أن أو بأن أو عن أن، والثاني أن الفاعل هو قوله: ﴿أَنْ جَاءَ﴾، والتقدير فما لبث أي فما أبطأ ولا تأخر مجيئه بعجل حنيذ. وثاني الأوجه: أنها مصدرية. وثالثها: أنها بمعنى الذي وهي في الوجهين الأخيرين مبتدأ وأن جاء خبره على حذف مضاف تقديره قلبه، أو الذي لبثه قدر مجيئه اهـ.

والحنيذ: المشوي على الحجارة المحمأة في حفرة في الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يسيل منه الودك، وكان عامة مال إبراهيم البقر. وفي المختار: حنذ الشاة شواها، وجعل فوقها حجارة محمأة لينضجها فهو حنيذ وبابه ضرب اهـ.

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ﴾ رأى بصرية وقوله: ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي: لا يمدونها للأكل اهـ. وهذا مرتب على محذوف تقديره ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾، فقربه إليهم فلم يمدوا أيديهم إليه، فقال: ألا تأكلون؟ فلما رأى أيديهم الخ كما سيأتي التصريح بهذا المقدر في الذاريات. قوله: ﴿نَكَرَهُمْ﴾ في المختار نكره بالكسر نكراً بضم النون، وأنكره واستنكره كله بمعنى اهـ.

وإنما أنكر حالهم لا متناهم من الطعام اهـ خازن.

وفي الخطيب في سورة الذاريات: ﴿قَوْمٌ مَّنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥] أي غرباء لا أعرفهم. قال ذلك في نفسه كما قال ابن عباس، وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية أنكر إسلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض اهـ.

قوله: ﴿وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ في البضاوي: الإيجاس الأدراك، وقيل الاضممار اهـ.

وفي السمين: الأيجاس حديث النفس، وأصله من الدخول كأن الخوف داخله، والوجيس ما

إِلَّا قَوْمَ لُوطٍ ﴿٧١﴾ لَنُهْلِكُهُمْ ﴿وَأَمْرَاتُهُمْ﴾ أَي امْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ سَارَةَ ﴿قَائِمَةٌ﴾ تَخْدُمُهُمْ ﴿فَضَحِكْتُ﴾

يعتري النفس أوان الفزع، ووجس في نفسه كذا أي خطر بها يجس وجساً ووجوساً ووجيساً اهـ.

قوله: (خوفاً) وإنما خاف منهم لامتناعهم من طعامه، فخاف منهم الخيانة على عادة الخائن من أنه لم يأكل من الطعام الذي يقدم إليه، لأنه لم يعرف أنهم ملائكة في ابتداء الأمر، ولذا قدم لهم الطعام، ولو عرف أنهم ملائكة لما قدمه لهم لعلمه أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولما خاف منهم اهـ خازن.

قوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أي لأنهم أحسوا منه أثر الخوف بقرائن، فلا يقال الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فمن أين علم الملائكة إخفاؤه للخيفة وإيضاحه أنهم علموا ذلك بما يلوح من ضمكات وجهه خائف اهـ كرخي.

ولا حاجة إلى هذا بل قد صرح إبراهيم بالخوف القائم به حيث قال لهم: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجُلُونَ﴾ (الحجر: ٥٢) كما في سورة الحجر اهـ.

قوله: ﴿إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ وهو ابن أخي إبراهيم اهـ خازن.

ولوط: أول من آمن بإبراهيم، وأبوه هاران أخو إبراهيم اهـ خطيب من سورة العنكبوت. وقوله: (لنهلكهم) أخذ هذا المقدر من آية الذاريات من قولهم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مَجْرِمِينَ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَ مِثْطَلٍّ مِّنْ سَمُومٍ وَجَلَدًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الذاريات: ٣٣] الآية.

قوله: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ﴾ جملة مستأنفة، أو حال من فاعل قالوا لا تخف أي قالوا ذلك في حال قيام امرأته اهـ سمين.

قوله: (سارة) بالتخفيف والتشديد، وهي بنت عمه قائمة أي: وافقة للخدمة وكانت النساء لا تتحاشى من خدمة الضيف على عادة العرب وخدم من باب نصر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَضَحِكْتُ﴾ أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس، ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان الضواحك، ويستعمل في السرور المجرد، وفي التعجب المجرد أيضاً، ثم للعلماء في تفسير هذا الضحك قولان.

أحدهما: أنه الضحك المعروف، وعليه أكثر المفسرين، ثم اختلفوا في سببه فقال السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إلى ضيفه فلم يأكلوا خاف إبراهيم منهم، فقال: ألا تأكلون؟ فقالوا: إله لا تأكل طعاماً إلا بشئ، قال: فإن له ثمناً. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، ويحسدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكايل وقال: وحق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً، فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة وقالت: يا عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا. وقال قتادة: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه، وقيل: ضحكت من زوال الخوف عنها وعن إبراهيم، وذلك أنها خافت لخوفه، فحين قالوا لا تخف ضحكت سروراً. وقيل: ضحكت سروراً بالشارة بالولد، وقال ابن عباس ووهب: ضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها، فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره:

استبشاراً بهلاكهم ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَآءِهِ﴾ بعد ﴿إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ﴿٧١﴾ ولده تعيش إلى أن تراه ﴿قَالَتْ يَوْنُسَ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿أَلَدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ لي تسع

﴿فبشرناها بإسحاق﴾ فضحكت يعني تعجباً من ذلك، وقيل إنها قالت: يا إبراهيم اضمم إليك ابن أخيك لوطاً، فإن العذاب نازل بقومه، فلما جاءت الرسل وبشرت بعدابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقته لما ظنته.

القول الثاني: في معنى قوله ضحكت. قال عكرمة ومجاهد: أي حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك، قال الراغب: وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيراً لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين اهـ خازن.

وقوله: (استبشاراً بهلاكهم) أي الذي فهمته من قولهم: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ ففهمت هي وإبراهيم أنهم ملائكة أرسلهم الله، وفيما أنهم مرسلون بالهلاك من قولهم لنرسل عليهم حجارة إلى آخر المذكور في الذاريات.

قوله: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ ولد إسحاق بعد البشارة بسنة، وكانت ولادته بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يعقوب﴾ بالرفع على الابتداء، والجار والمجرور قبله خبر عنه وبالنصب أي ووهبنا يعقوب من وراء إسحاق وهما سبعيتان، وأما كونه مجروراً بالفتحة عطفاً على إسحاق فيعبده أنه لا يفصل بين العاطف والمعطوف اهـ شيخنا.

قوله: (ولده) أي ولد إسحاق وقوله: (تعيش الخ) من جملة المبشر به أي بشرتها الملائكة بأنها تعيش إلى أن ترى يعقوب وقد رآته اهـ.

قوله: ﴿قالت يا ويلتي﴾ الخ إنما تعجبت دونه، وإنما نسبت البشارة لها هي دونه في قوله: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ لأنها كانت أشوق إلى الولد منه، لأنها كانت لم يأتها ولد قط، بخلافه هو فقد أتاه إسماعيل قبل إسحاق بثلاث عشرة سنة اهـ شيخنا.

قوله: (كلمة تقال) أي للتعجب، وقوله: (عند أمر عظيم) أي خير أو شر، وأصلها أن تستعمل في الشر اهـ بياضوي.

قوله: (والألف مبدلة من ياء الإضافة) إيضاحه أنه أضاف الويل إلى ياء النفس، فاستثقلت الياء على هذه الصورة وقبلها كسرة ففتح ما قبلها فانقلبت الياء ألفاً، لأنها أخف من الياء والكسرة ورسمت بالياء اهـ كرخي

وفي الممين: الظاهر كون الألف بدلاً من ياء المتكلم، ولذلك أمالها أبو عمرو وعاصم في رواية، وبها قرأ الحسن يا ويلتي بصريح الياء. وقيل: هي ألف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت اهـ.

قوله: ﴿ألد﴾ استفهام تعجب ﴿وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ هاتان الجملتان في محل نصب على الحال من الضمير المستتر في ألد وشيخاً حال من بعلي، فقول الشارح ونصبه أي شيخاً، وقوله:

وتسعون سنة ﴿وَهَذَا بَمَلِي شَيْعًا﴾ له مائة أو عشرون سنة ونصبه على الجلال، والعامل فيه ما في ذا من الإشارة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢) أن يولد ولد لهرمين ﴿قَالُوا أَتَتَجِدِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَّتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّكُمْ حَيِّدٌ﴾ محمود ﴿حَيِّدٌ﴾ كريم ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ بالولد أخذ ﴿يَجَادِلُنَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾

والعامل فيه الخ فيه تسامح، وحق التعبير أن يقول والعامل فيه اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل، اهـ. وفي الخازن: والبعل هو المستعلي على غيره، ولما كان زوج المرأة مستعليًا عليها قائمًا بأمرها سمي بعلًا اهـ.

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ غرضها التعجب لا الإنكار اهـ. وقوله: ﴿أَنْ يُولِدَ وَلَدًا لِهَرَمِينَ﴾ أشار به إلى أنها إنما تعجبت بنسب العرف والعادة لا بحسب القدرة، فإن الرجل المسلم لو أخبره رجل صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ابريرًا فلا شك أنه يتعجب نظرًا إلى العادة لا استنكارًا للقدرة، وهذا جواب ما قيل كيف تعجبت من قدرة الله تعالى، والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر، لأن التعجب من قدرة الله تعالى يدل على جهله بها، وذلك يوجب الكفر اهـ كرخي. والهرم كبر السن وبابه طرب اهـ.

قوله: ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَّتْهُ﴾ الخ هذا دعاء من الملائكة، وقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ خطاب لها وله اهـ.

قوله: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ في نصبه وجهان. أحدهما: أنه منادى. والثاني: أنه منصوب على المدح، وقيل على الاختصاص وبين النصيبين فرق وهو أن المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح، كما أن المذموم لفظ يتضمن بوضعه الذم، والمنصوب على الاختصاص لا يكون إلا لمدح أو ذم، لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم اهـ سمين.

قوله: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ هو الذي يحمده على كل أفعاله، وهو المستحق لأن يحمده في السراء والضراء والشدة والرخاء، والمجيد: الواسع الكريم، وأصل المجد في كلامهم السعة اهـ خازن.

وفي القاموس: ومجد كنصر وكرم مجداً ومنجادة فهو ماجد ومجيد وأمجده ومجده عظمه وأثنى عليه اهـ.

قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ الْخُفُ﴾ جواب لما محذوف قدره الشارح بقوله: أخذ يجادلنا وأجملته في محل نصب خبر أخذ أي شرع. وفي السمين قوله: ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ عطف على ذهب، وجواب لما يجادلنا على هذا محذوف أي فلما كان كيت وكيت اجترأ على خطابهم أو فطن لمجادلتهم، وقوله: ﴿يَجَادِلُنَا﴾ على هذا جملة مستأنفة وهي الدالة على ذلك الجواب المحذوف، وقيل: تقدير الجواب أقبل يجادلنا فيجادلنا على هذا حال من فاعل أقبل، وقيل جوابها قوله: يجادلنا، أوقع المضارع موقع الماضي، وقيل: الجواب هو قوله ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ والواو زائدة، وقيل يجادلنا حال من إبراهيم، وكذلك قوله: وجاءته البشرى وقد مقدرة، ويجوز أن يكون يجادلنا حالاً من ضمير المفعول في جاءته،

شأن ﴿قَوْمَ لُوطٍ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿إِنَّا إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَدَّ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾ رجاء، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن؟ قالوا لا قال: أفهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا لا قال: أفهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا لا قال: أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال: إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها الخ فلما أطال مجادلته قالوا: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ ائْرَضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ﴿إِنَّكَ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَلِأَنَّهُمْ ءَاتَيْنَاهُمْ عَذَابَ غَيْرَ مَرْدُودٍ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراً لأنهم

وقوله: ﴿في قوم لوط﴾ أي شأنهم اهـ.

وذهب الروح عنه بسبب قولهم إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي إنا ملائكة أرسلنا الله إلى قوم لوط.

قوله: ﴿الروح﴾ بفتح الراء معناه ما قاله الشارح وبضمها القلب، لكن القراءة بالفتح اهـ شيخنا.

وجاءته البشرى أي بعد الروح اهـ بياضوي.

قوله: ﴿إن إبراهيم﴾ الخ المقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته اهـ بياضوي.

فطلب تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي اهـ خازن.

قوله: (كثير الأناة) أي غير عجول على كل من أساء إليه اهـ كرخي.

وفي المصباح: وتأنى في الأمر تمكث ولم يعجل والاسم منه أناة بوزن حصة اهـ.

قوله: ﴿أواه﴾ أي كثير التأوه والتلهف والتضرع إلى الله، وقوله: (رجاء) تفسير للوصفين، فعن

ابن عباس الأواه: المؤمن التواب، وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار اهـ من الخازن في سورة براءة.

وتقدم هناك في الأواه معان كثيرة يصح مجيئها هنا فلتراجع. قوله: (فقال لهم أتهلكون الخ) هذه صورة المجادلة. وحاصلها أنه سألهم خمسة أسئلة، وأجابوا عن كل منها، وسمي هذا مجادلة، لأن مآله كيف تهلك قرية فيها من هو مؤمن غير مستحق للعذاب، ولذا أجابوه بقولهم لننجينه الخ اهـ شهاب.

قوله: (نحن أعلم بمن فيها) أي ممن يستحق العذاب، وقوله: (الخ) وهو ما ذكر في سورة العنكبوت بقوله: ﴿لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ [العنكبوت: ٣٢] اهـ.

قوله: (إنه قد جاء أمر ربك) أي قد قضى وحكم في أزاله بمجيئه اهـ بياضوي.

قوله: (غير مردود) أي غير مصروف لا بجidal ولا بدعاء ولا غير ذلك اهـ بياضوي.

قوله: ﴿ولما جاءت رسلنا﴾ وهم الملائكة الذين جاؤوا لإبراهيم بالبشارة أي لما جاؤوا من عند إبراهيم أي من قريته إلى قرية لوط، وكان بين القريتين أربعة فراسخ، وقوله: سيء بهم جواب لما وهو مبني للمفعول، وأصل التركيب ساءه وأحزنه مجيئهم، فقول الشارح حزن بسببهم مبني للمفعول على

حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد ﴿وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ﴾ لما علموا بهم ﴿يَهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾

مقتضى حل الاعراب، ويصح بناؤه للفاعل نظراً للمعنى اه شيخنا.

وفي الخازن: قال قتادة، والسدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوا لوطاً نصف النهار وهو يعمل في أرض له، وقد قيل: إنه كان يحتطب، وقد قال الله للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فافطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة قال لهم: أما بئسكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله أنها لشر قرية في الأرض عملاً. قال ذلك أربع مرات، فمضوا معه حتى دخلوا منزله. وقيل: أنه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مرّ على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي شر خلق الله تعالى، فقال جبريل: هذه واحدة، فمرّ على جماعة أخرى فتغامزوا، فقال مثله، ثم مرّ على جماعة أخرى ففعلوا ذلك، فقال لوط مثل ما قال أولاً حتى قال ذلك أربع مرات، وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة: اشهدوا. وقيل: إن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم اه.

قوله: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ أي بسببهم ذرعاً. قاله الأزهري: الذرع يوضع موضع الطاقة، والأصل فيه أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه، فإذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومد عنقه، فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة، فمعنى قوله: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ أي لم يجد من ذلك المكروه مخلصاً. وقال غيره: معناه وضاق بهم قلباً وصدرأ ولا يعرف أصله إلا أن يقال إن الذرع كناية عن الوسع، والعرب تقول ليس هذا في يدي. يغنون ليس هذا في وسعي، لأن الذراع من اليد. ويقال: ضاف فلان ذرعاً بكذا إذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه، وذلك أن لوطاً عليه الصلاة والسلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب رائحتهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكروه أو فاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم اه خازن.

قوله: (فخاف عليهم قومه) أي من قومه أي من أن يفعلوا بهم الفاحشة. قوله: (شديد) كأنه قد عصب به الشر والبلاء أي شدّ به مأخوذ من العصابة التي يشد بها الرأس اه خازن.

قوله: (لما علموا بهم) أعلمتهم زوجته الكافرة وقالت عند لوط غلمان حيان ما رأيت مثيلهم اه شيخنا.

قوله: ﴿يَهْرَعُونَ﴾ أي يسوق بعضهم بعضاً، فمعنى يهرعون المبني للمفعول يساقون ويدفعون، فقول الشارح يسرعون حل معني اه شيخنا.

وفي المصباح: هرع وأهرع بالبناء للمفعول فيهما إذا أعجل اه.

وفي القاموس: والهرع معرك وكغراب والإهرع مشي في اضطراب وسرعة، وأقبل يهرع بالضم وأهرع بالبناء للمجهول فهو مهرع مرعد من غضب أو خوف، وقد هرع كفرح ورجل هرع سريع البكاء اه.

وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُوا﴾ تفضحون ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ ﴿٧٨﴾ يأمر بالمعروف وينهى

وفي السمين: وقرأت فرقة يهرعون بفتح الياء مبنياً للفاعل من هرع اهـ.

قوله: ﴿ومن قبل﴾ أي والحال، وقوله: ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ أي فهم معتادون لفعلها فلا حياء عندهم منها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال يا قوم﴾ الخ خاطبهم بهذا الخطاب وهم من وراء الباب خارجه، فلما تمت المحاوره بينه وبينهم إلى أن قال أو آوى إلى ركن شديد، فهموا منه الضعف والعجز فتسوروا الحيطان ونزلوا داره، وقيل: إن الملائكة قالوا له بعد قولهم لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فتحول إلى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه فضرب بجناحيه وجوهمهم فأعماههم وطمس أعينهم حتى ساءت وجوههم، فصاروا لا يعرفون الطريق فانصرفوا وهم يقولون: النجاة النجاة في بيت لوط سحرة قد سحرونا، وجعلوا يقولون يا لوط سترى منا غداً ما ترى اهـ خازن.

وعبارة المحلي في سورة القمر ﴿فطمسنا أعينهم﴾ [القمر: ٣٧] أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه اهـ.

قوله: ﴿هؤلاء بناتي﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وكذا قوله: ﴿هن أطهر لكم﴾ والمراد بالجمع ما فوق الواحد وإلا فبناته اثنتان فقط، وقوله: (فتزوجوهن) أي واستغنوا بهن عن إتيان الأضياف، وكان في ملته يجوز تزوج الكافر بالمسلمة، أو قال ذلك على سبيل الدفع لا على سبيل التحقيق اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: فتزوجوهن أي واتركوهم، وكانوا يطلبونهن فلم يجبههم لخبيثهم وعدم كفائهم لا لعدم مشروعيته، فإن تزويج المسلمات من الكفار كان جائزاً. قال قتادة: المراد بناته لصلبه وقى أضيافه ببناته، وكان في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جائزاً. وقال الحسين بن الفضيل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وقال مجاهد، وسعيد بن جبير: أراد نساء قومه وأضافهن إلى نفسه لأن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية، وهذا القول أولى لأن أقدام الإنسان على عرض بناته على الأوباش والفجار مستبعد لا يليق بأهل المروءة، فكيف بالأنبياء. وأيضاً فبناته لا تكفي الجمع العظيم، أما بنات أمته ففيهن كفاية للكل اهـ كرخي.

قوله: ﴿هن أطهر لكم﴾ في هذه الآية سؤال، وهو أن يقال: إن قوله ﴿هن أطهر لكم﴾ أفعال تفضيل فيقتضي أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهراً، ومعلوم أنه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة، فكيف قال هن أطهر لكم؟ والجواب عن هذا السؤال أن هذا جار مجرى قوله تعالى: ﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم﴾ [الصافات: ٦٢] ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها اهـ خازن.

قوله: (تفضحون) في المصباح: الفضيحة العيب، والجمع فضائح وفضحته فضحاً من باب نفع كشفته، وفي الدعاء لا تفضحننا بين خلقك أي استر عيوبنا ولا تكشفها اهـ.

قوله: ﴿في ضيفي﴾ أي في شأن ضيفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل،

عن المنكر ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَا فِي بَيْتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَلَيْتَكَ لَتَعْلَمَ مَا نُرِيدُ﴾ ﴿٧٩﴾ من إتيان الرجال ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ طاقة ﴿أَوْ أَوْعَىٰ إِلَيَّ رُكْنِي شَدِيدٌ﴾ ﴿٨٠﴾ عشيرة تنصرني لبطشت بكم فلما رأت الملائكة

وذلك من عراق الكرم وأصالة المروءة اهـ كرخي

والضيف في الأصل مصدر ثم أطلق على الطارق ليلاً إلى المضيف، ولعلك يقع على المفرد والمذكر وضديهما بلفظ واحد، وقد يشئ فيقال ضيفان ويجمع فيقال أضياف وضيواف كآليات وبيوت وضيفان كحوض وحيطان اهـ سمين.

قوله: ﴿أليس منكم﴾ استفهام توبيخ.

﴿من حق﴾ يجوز أن يكون مبتدأ والجار خبره، وأن يكون فاعلاً بالجار قبله لاعتماده على نفي ومن مزيدة على كلا القولين اهـ سمين.

قوله: (حاجة) أي شهوة قوله: ﴿لتعلم ما نريد﴾ يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون موصولة بمعنى الذي، والعلم معنى العرفان، فلذلك تعدى لواحد أي لتعرف ارادتنا أو الذي نريده، ويجوز أن تكون ما استفهامية وهي معلقة للعلم قبلها اهـ سمين.

قوله: ﴿لو أن لي بكم قوة﴾ أي لو ثبت أن لي بكم قوة أو أني آوي إلى ركن شديد، وجواب لو محذوف قدره بقوله: لبطشت بكم، ولما قال لوط هذه المقالة لم يبعث الله بعده نبياً إلا وقواه بالركن الشديد، أي: جعل له عشيرة تحميه اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿لو أن لي بكم قوة﴾ جواب لو محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت، كقوله تعالى: ﴿ولو أن قرآناً سيرت﴾ [الرعد: ٣١] وقوله: ﴿أو آوي﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على المعنى تقديره أو أني آوي. قاله أبو البقاء والحوافي. ويجوز أن يكون معطوفاً على قوة لأنه منصوب في الأصل بإضمار أن، فلما حذفت أن رفع الفعل كقوله: ﴿ومن آياته يريكم﴾. [الروم: ٢٤] واستضعف أبو البقاء هذا الوجه لعدم نصبه، وقد تقدم جوابه، ويدل على اعتبار ذلك قراءة أبي جعفر أو آوي بالنصب، ويجوز أن يكون عطف هذه الجملة الفعلية على مثلها إن قدرت أن أن مرفوعة بفعل مقدر بعد لو عند المبرد، والتقدير لو يستقر أو يثبت استقرار القوة أو آوي، ويكون هذان الفعلان ماضيين لأنها تقلب المضارع إلى الماضي، وأما على رأي سيبويه في كون أن محل الابتداء فيكون هذا مستأنفاً. وقيل: أو بمعنى بل، وهذا عند الكوفيين، وبكم متعلق بمحذوف لأنه حال من قوة أو هو في الأصل صفة للتكرة، ولا يجوز أن يتعلق بقوة لأنها مصدر والركن بسكون الكاف وضمها التالفة من جبل وغيره، ويجمع على أركان اهـ.

وقوله: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسباً، بل كان غريباً فيهم، لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم، فلما هاجر إلى الشام أرسله الله إلى أهل سدوم وهي قرية عند حمص، وفي الخطيب في سورة الشعراء إذ قال لهم أخوهم لوط أي: في البلد لا في الدين ولا في النسب، لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وهما من بلاد المشرق من أرض بابل وقوم لوط أهل سدوم من أرض الشام، وكأنه عبر بالإخوة لاختياره لمجاورتهم ومناسبتهم بمصاهرتهم وإقامته بينهم



ذلك ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ طائفة ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْمُزْكَ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لثلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ بالرفع بدل من أحد وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل أي فلا تسر بها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فقليل لم يخرج بها وقيل خرجت

في مدينتهم مدة مديدة وسنين عديدة وإتيانه بالأولاد من نسائهم اهـ.

قوله: (لبطشت بكم) في المصباح: بطش بطشاً من باب ضرب، وبها قرأ السبعة، وفي لغة من باب قتل، وبها قرأ الحسن البصري، وأبو جعفر المدني. والبطش: الأخذ بعنف، وبطشت اليد إذا عملت فهي باطشة اهـ.

قوله: (فلما رأت الملائكة ذلك) قوله: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ﴾ الخ قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابيه والملائكة معه في الدار، وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب، وقومه يعالجون سور الدار، فلما رأت الملائكة ما لقي لوط بسبيهم قالوا: يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فافتح الباب ودعنا وإياهم إلى آخر ما سبق اهـ خازن.

قوله: (بسوء) أي فيك ولا في أضيافك. قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى سبعيتان، وقوله: ﴿بِأَهْلِكَ﴾ وهم بنتاه فلم يخرج من القرية إلا هو وبنتاه فقط اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: فخرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم اهـ.

وفي السمين قوله: ﴿فَأَسْرِ﴾ قرأ نافع وابن كثير فأسر بأهلك هنا، وفي الحجر، وفي الدخان فأسر بعبادي، وقوله: أن أسر في طه والشعراء جميع ذلك بهمزة الوصل تسقط درجاً، وتثبت مكسورة ابتداء، والباقون فأسر بهمزة القطع تثبت مفتوحة درجاً وابتداء، والقراءتان مأخوذتان من معنى هذا الفعل، فإنه يقال سرى، ومنه والليل إذا سر وأسرى، ومنه ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١]، وهل هما بمعنى واحد أو بينهما فرق خلاف مشهور فقليل: هما بمعنى واحد وهو قول أبي عبيد، وقيل: بل أسرى لأول الليل وسرى لآخره وهو قول الليث، وأما سار فمختص بالنهار وليس مقلوباً من سرى، وقوله: بأهلك يجوز أن تكون الباء للتعدي وأن تكون للحال أي مصاحباً لهم، وقوله: بقطع حال من أهلك أي مصاحبين لقطع على أن المراد به الظلمة، وقيل: الباء بمعنى في، والقطع هنا نصف الليل لأنه قطعة منه مساوية لباقيه، وقد تقدم الكلام على القطع في يونس بأشبع من هذا اهـ.

قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي لا تلتفت أنت ولا تدع إحدى بنتيك تلتفت، وقوله: (لثلا يرى) الخ أي فيحصل له كرب ربما لا يطيقه اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة بالنصب استثناء من الأهل أي إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم ويصيبها العذاب معهم فهو استثناء من الإسرائ بها، فيكون من موجب وضعف معنى، إذ يلزم أن يكون سرى بها والالتفات يؤذن بكونها سرت معهم، وأجيب بأنه لم يسر بها هو بل تبعثهم هي، أو مستثنى من أحد كقوله: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٦٦] اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا﴾ الضمير ضمير الشأن، ومصيبها خبر مقدم، وما أصابهم مبتدأ مؤخر وهو

والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمْ الصُّبْحُ﴾ فقال أريد أعجل من ذلك قالوا ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَيْنَا﴾ أي بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقبوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار ﴿مَنْضُودٍ﴾ متتابع ﴿مُسَوَّمَةٍ﴾ معلمة

موصول بمعنى الذي، والجملة خبر إن لأن ضمير الشأن يفسر بجملة مصرح بجزاياها اه سمين والجملة تعليل للاستثناء.

قوله: (فقيل لم يخرج بها) راجع لقراءة النصب، وقوله: (وقيل خرجت) الخ راجع لقراءة الرفع. قوله: ﴿إِنْ مَوْعِدُكُمْ الصُّبْحُ﴾ أي موعد عذابهم أي وقت عذابهم وهلاكهم الصبح، وقوله: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ﴾ الخ استفهام تقرير على حد ﴿الم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١] اه.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ (بإهلاكهم) أشار به إلى أن المراد بالأمر حقيقة، وقيل: المراد العذاب. قال بعضهم: لا يمكن حمل هنا على العذاب، لأنه قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا﴾، فالجعل هو العذاب، فكان الأمر شرطاً، والعذاب جزاء والشرط غير الجزاء فالأمر غير العذاب، فدل على أن الأمر ضد النهي، ويدل على ذلك قول الملائكة: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فدل على أنهم أمروا بالذهاب إلى قوم لوط، وبايصال العذاب إليهم اه كرخي.

قوله: ﴿عَالِيَهَا﴾ مفعول أول، وسافلها مفعول ثان. قوله: (أي قراهم) فادخل جبريل بجناحيه تحتها وهي خمس مدائن أكبرها سدوم، وهي المؤتفكات المذكورة في سورة المائدة، ويقال: كان فيها أربعة آلاف ألف، فرفع جبريل المدن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ولم يتكف لهم إناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها اه خازن.

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي على أهلها الخارجين عنها في الأسفار وغيرها، فمن جملة ما وقع أن رجلاً منهم كان في الحرم، فجاء حجر ووقف في الهواء أربعين يوماً ينتظر فلك الرجل حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله اه شيخنا. وفي الخازن: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي على من كان خارجاً عنها من أهلها كالعشائرين، وقيل: بعد ما قلبها أمطر عليها اه.

قوله: ﴿مَنْضُودٍ﴾ صفة لسجيل، والتضاد جعل الشيء بعضه فوق بعض، ومنه: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الواقعة: ٢٩] أي متراكب. والمراد وصف الحجارة بالكثرة ومسومة نعت للحجارة، بحيث يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح، لأن من سجيل صفة لحجارة، والاولى أن يجعل حالاً من حجارة، وسوغ مجيئه من النكرة تخصيص النكرة بالوصف والتسويم العلامة اه سمين.

قول الشارح متتابع أي في النزول. قوله: (عليها اسم من يرمى بها) أي مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به اه خازن.

وفي الفيضاي: مسومة عليها اسم من يرمى بها، وقيل: معلمة للعذاب، وقيل: معلمة ببياضن وحمرة أو بسيماء تميز بها عن حجارة الأرض اه.

عليها اسم من يرمى بها ﴿عَنْدَرِكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنْ الظَّلِيلِينَ﴾ أي أهل مكة ﴿يَعْبُدُونَ﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَنَا هَؤُلَاءِ شُعَيْبًا قَالَ يَتَّبِعُونَ عَبْدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ إني أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ ﴿نِعْمَةٌ تَغْنِيكُمْ عَنِ التَّطْفِيفِ﴾

قوله: ﴿عند ربك﴾ الخطاب للنبي ﷺ. قوله: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ أي فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم، وفيه وعيد لكل ظالم. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سأل جبريل عليه السلام فقال له جبريل: يعني ظالمي أمتك. ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة، وقيل: الضمير للقرى أي هي قرية من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام، وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان اهـ بضاوي.

وفي السمين: قوله: ﴿وما هي﴾ الظاهر عود هذا الضمير على القرى المهلكة، وقيل: تعود على الحجارة وهي أقرب مذكور، وقيل: يعود على العقوبة المفهومة من السياق ولم يؤنث ببعيد إما لأنه في الأصل نعت لمكان محذوف تقديره وما هي بمكان بعيد، بل هو قريب، والمراد به السماء أو القرى المهلكة، وإما لأن العقوبة والعذاب واحد، وإما لتأويل الحجارة بعذاب أو بشيء بعيد اهـ.

قوله: ﴿وإلى مدين﴾ هو اسم ابن إبراهيم الخليل ثم صار اسماً للقبيلة من أولاده، وهو المراد هنا، وقيل: هو في الأصل اسم مدينة بناها مدين المذكور، فعلى هذا يكون التقدير: وأرسلنا إلى أهل مدين، فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه اهـ خازن.

وكان شعيب يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، والجملة معطوفة على قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ [الأعراف: ٧٣] اهـ أبو السعود.

وشعيب ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم فهو أخوهم في النسب اهـ.

قوله: ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ هذه عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤون بالأهم فالأهم، ولما كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾. ثم بعده الدعوة إلى التوحيد شرع في نهيهم عما هم عليه من المعاصي، ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة، وهي تطفيف الكيل والوزن، فقال: ﴿ولا تنقصوا﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي لا عند الأخذ ولا عند الدفع. وفي الخازن: والنقص في الكيل والوزن على وجهين، أحدهما: أن يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصاً. والوجه الآخر: هو استيفاء الكيل والوزن لأنفسهم زائداً على حقهم، فيكون نقصاً من مال الغير، وكلا الوجهين مذموم، فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ اهـ خازن.

ونقص يتعدى لاثنتين إلى أولهما بنفسه، وإلى ثانيهما بحرف الجر، وقد يحذف تقول: نقصت زيداً حقه ومن حقه وهو هنا كذلك. وإن المراد ولا تنقصوا الناس من المكيال، ويجوز أن يكون متعدياً لواحد على معنى لا تقللوا وتطففوا، ويجوز أن يكون مفعولاً أول، والثاني محذوف، وفي ذلك

﴿ وَإِنَّا لَنَافٍ عَلَيْكُمْ ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿ عَذَابٌ يَوَدُّكَ الْبَاطِلُ ﴾ ﴿ بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه ﴾ وَيَقْوَرُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴿ أنموهما ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً ﴿ وَلَا تَقْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿ بالقتل وظيمه من

مبالغة . والتقدير ولا تنقصوا المكيال والميزان حقهما الذي وجب لهما ، وهو أبلغ في الأمر بوفائهما اهـ سمين .

قوله : ﴿ أَنِي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ أي بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تنفضلوا على الناس شكراً عليها ، لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيدوها بما أنتم عليه ، وهو في الجملة علة النهي اهـ بياضوي .

قوله : (تغنيكم عن التطفيف) أي الذي هو النقص في الكيل والوزن، كما في المختار اهـ شيخنا .

قوله : (ووصف اليوم به) أي بقوله محيط يعني مع أنه في نفس الأمر وصف للعذاب نفسه ، ووقوله : (لوقوعه) أي وقوع هذا الوصف وهو إحاطة العذاب فيه أي في اليوم ، ومحصله أنه وصف اليوم بما يقع فيه . وفي البياضوي : وتوصيف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه اهـ .

يعني أن المراد في الحقيقة إحاطة العذاب وشموله فهو صفة ، ولذا جعله بعضهم صفة عذاب ، لكن جر للمجاورة فوصف به اليوم لاشتماله عليه بوقوعه فيه ، فهو مجاز في الإسناد كنهاره صائم اهـ شهاب .

قوله : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ ﴾ أي ولا تنقصوا الناس ﴿ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ يعني أموالهم . فإن قلت : قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه لأنه قال : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ وهذا عين الأول ، ثم قال : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ وهذا عين ما تقدم ، فما الفائدة في هذا التكرار ؟ قلت : إن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد ، والتكرير يقيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد ، فلهذا كرر ذلك ليقوي الزجر والمنع من ذلك الفعل ، ولأن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ نهي عن التنقيص ، وقوله : ﴿ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ أمر بإيفاء العدل وهذا غير الأول ، ولغائل أن يقول النهي ضد الأمر ، فالتكرار لازم على هذا الوجه . قلنا : الجواب عن هذا أنه قد يجوز أن ينهي عن التنقيص ولا يأمر بإيفاء الكيل والوزن ، فلهذا جمع بينهما كقوله : صل رحمك ولا تقطعها . فتريد المبالغة في الأمر والنهي ، وأما قوله : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ فليس بتكرير أيضاً ، لأنه تعالى لما خصص النهي عن التنقيص والأمر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب إيفاء الحقوق فيها ، فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع والعد وغير ذلك ، فظهر بهذا البيان فائدة هذا التكرار والله أعلم اهـ خازن .

قوله : (من عثى) كفرح فمصدره عثى وهو القياس أو عثو وهو سماعي ، وقوله : لمعنى عاملها المعنى هو الإفساد ، وقوله : ﴿ تَعْتُوا ﴾ بدل من عاملها مفسر له اهـ شيخنا .

عني بكسر المثلثة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا ﴿يَقِيَّتْ اللَّهُ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرَ لَكُمْ﴾ من البخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ﴿٨٦﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بعثت نذيراً ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء ﴿يَسْأَلُونَكَ فَأَمْرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ تَعَزَّ مَا يَعْزُدُ أَبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ المعنى هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ﴿٨٧﴾ قالوا ذلك استهزاء ﴿قَالَ يَفْقَهُوْهُ أَنَّهُ يَشْتَرُ لَكُمْ عَلَىٰ يَمْنِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً أفأشوبه بالحرام من البخس

قوله: ﴿يَقِيَّتْ اللَّهُ﴾ يرسم بالتاء المجرورة، وإذا وقفت عليه اضطراباً يصح الوقف بالمجرورة والمربوطة وليس في القرآن غيرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي مصدقين بما قلت لكم وبما أمرتكم به ونهيتكم عنه. وفي البيضاوي: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان اهـ.

قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أحفظكم عن القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها، وإنما أنا ناصح مبلغ، وقد أعذرت حين أئذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ﴾ الخ قال ابن عباس: كان شعيب كثير الصلاة، فلذلك قالوا هذه المقالة. وقيل: المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك يأمرك ﴿أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ الخ فيه أن الترك فعلهم لا فعل شعيب وهو المأمور، والإنسان يؤمر بفعل نفسه، فلذلك قدر الشارح المضاف بقوله بتكليف والتكليف فعله أي: هل هي تأمرك بتكليفك إيانا ترك عبادة ما يعبد آبائنا، وقوله: أو أن نفعل معطوف على ما يعبد، فالترك مسلط عليه كما قدره الشارح. وأو بمعنى الواو أي هل تأمرك بتكليفك لنا ترك ما يعبد آبائنا وترك أن نفعل أي وترك فعلنا في أموالنا ما نشاء أي هل تأمرك بتكليفك لنا ترك فعلنا ما نشاء، وهذا لف ونشر مرتب، فقولهم أن نترك رد لقوله اعبدوا الله، وقولهم أو أن نفعل الخ رد لقوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قال ابن عباس: أرادوا السفية الغاوي، لأن العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للدينغ سليم، وللغلاة المهلكة مفازة، وقيل: هو على حقيقته، وإنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه إنك لأنك الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه أنت يا شعيب فينا حليم رشيد، فلا يشق عليك عصيان قومك ومخالفتهم في دينهم اهـ خازن.

قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ الخ في هذا الكلام مراعاة لحق الله تعالى باعتبار المقدر، وهو قوله: أفأشوبه بالحرام، ولحق نفسه في قوله: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ﴾ الخ ولحقهم في قوله: إن أريد الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ هي هنا بمعنى أخبروني فينصب مفعولين وقد حذفاً معاً من النظم الكريم، الفتوحات الإلهية ج ٣/ ٣٠٣

والتطيف ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِنْ مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَرِيدُ إِلَّا﴾  
الإصلاح لكم بالعدل ﴿مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرني على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ وَلَئِنْ﴾  
تَوَكَّلْتُ وَإِلَى اللَّهِ أَنِيبُ ﴿﴾ أرجع ﴿وَنُفُوذِي لَا يَجْرِمُكُمْ﴾ يكسبكم ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل يجرم والضمير

وتقدير الأول أخبروني بقاء المتكلم هي المفعول الأول، والثاني قدره الشارح بقوله: أفأشوبه بالحرام  
فقدره جملة استفهامية على القاعدة. وفي السمين. وأرايتم إذا ضمن معنى أخبروني تعدى لمفعولين،  
والغالب في الثاني أن يكون جملة استفهامية، كقول العرب: أرايتك زيدا ما صنع، وجواب الشرط  
محذوف تدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها اهـ.

وفي الخازن: وجواب الشرط محذوف تقديره: ﴿أرايتم إن كنت على بينة من ربي وزرقي﴾  
المال الحلال والهداية والنبوة والمعرفة، فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة أن أخون في وحيه، أو أن  
أخالف أمره، أو أتبع الضلال، أو أبخس الناس أشياءهم، وهذا الجواب شديدة المطابقة لما تقدم،  
وذلك أنهم قالوا له: إنك لأنت الحليم الرشيد، والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر  
ربه، وله عليه نعم كثيرة اهـ.

قوله: ﴿وزرقي منه﴾ الضمير في منه لله أي من عنده وباعثه بلا كد مني ولا تعب في تحصيله  
اهـ يضاوي.

قوله: (أفأشوبه بالحرام) أي اخلطه به، وقوله: والتطيف عطف خاص. قوله: ﴿أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾  
قال الزمخشري: خالفتي فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه، وخالفتي عنه إذا والى عنه وأنت  
قاصده، ويلحق الرجل ضارداً عن الماء فساله عن ضاحبه فيقول لك: خالفتي إلى الماء يريد أنه دخلت  
إليه وارداً وأنا ذاهب عنه ضارداً، ومنه قوله تعالى: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ يعني أن  
أبنيحكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم اهـ سمين.

وفي الخازن: ﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ أي بمنعني لكم عما تقدم، وأذهب أنا إليه أي: فليس  
مرادي أن أنعمكم عنه وأفعله أنا يعني لا أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها  
دونكم. وقال الزجاج: معناه إني لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه إنما أختار لكم ما أختار لنفسي  
اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ وهو الإبلاغ والانداز فقط، وأما أجبركم على الطاعة فلا أستطيعه اهـ  
خازن.

وقوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ ما مصدرية ظرفية معمولة لأريد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما توفيقي﴾ المصدر هنا من المبني للمفعول أي وما كوني موقفاً اهـ شهاب.

قوله: ﴿على ذلك﴾ أي الإصلاح. قوله: (أرجع) أي فيما ينزل بي من التوابع أو في المتباد اهـ  
خازن.

قوله: ﴿لَا يَجْرِمُكُمْ﴾ بابه ضرب كما في المختار وينصب مفعولين كما قال الشارح أي لا

مفعول أول والثاني ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ يَتْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ﴾ أي منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿وَنُفِكَمْ بِبَعِيدٍ﴾ فاعتبروا ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ محب لهم ﴿إِذَا نَا بَقْلَةَ الْمَبَالَاةِ﴾ يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ ﴿نَفَقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنُرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾

يكسبنكم إصابتكم مثل ما أصاب الخ شقائي أي: لا يكن شقائي مكسباً لكم إصابة مثل ما ذكر أي لا تستمروا على شقائي حتى يصيبكم بسببه مثل ما أصاب الخ. وفي السمين. قوله: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ العامة على فتح ياء المضارعة من جرم ثلاثياً، وقرأ الأعمش بضمها من أجرم، وقد تقدم إن جرم يتعدى لواحد ولانثنين مثل كسب فيقال: جرم زيد مالاً مثل كسبه وجرمته ديناً أي كسبته إياه فهو كسب، فتكون الكاف والميم المفعول الأول، والثاني هو أن يصيبكم أي لا يكسبنكم عداوتي إصابة العذاب، وقد تقدم أن جرم وأجرم بمعنى أو بينهما فرق، ونسب الزمخشري ضم الياء من يجرم لابن كثير اهـ.

قوله: ﴿شَقَائِي﴾ مضاف لمفعوله، وقوله: خلافي أي معاداتي، وقوله: ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ أي اصابتكم، وقوله: مثل صفة لمحذوف أي عذاب مثل اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ يعني الغرق، أو قوم هود يعني الريح التي أهلكتهم، أو قوم صالح يعني الصيحة التي هلكوا بها اهـ خازن.

قوله: (أي منازلهم) فكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم، وقوله: أو زمن هلاكهم فقد كانوا حديثي عهد بهلاكهم اهـ خازن.

قوله: ﴿بِبَعِيدٍ﴾ أتى ببعيد مفرداً، وإن كان خبراً عن جمع لأحد أوجه إما لحذف مضاف تقديره وما إهلاك قوم لوط، وإما باعتبار زمان أي بزمان بعيد، وإما باعتبار مكان أي بمكان بعيد، وإما باعتبار موصوف غيرهما أي بشيء بعيد كذا قدره الزمخشري وتبعه الشيخ وفيه إشكال من حيث أن تقديره زمان يلزم فيه الإخبار بالزمان عن الجثة. وقال الزمخشري أيضاً: ويجوز أن يستوي في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي كالصهيل والتهيق ونحوهما اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي بالإيمان ثم توبوا إليه أي بفعل الطاعة.

قوله: ﴿وَدُودٌ﴾ صيغة مبالغة من ود الشيء يود ودأً ووداداً وودادة أي أحبه وآثره، والمشهور وددت بكسر العين وسمع وددت بفتحها، والودود بمعنى فاعل أي يود عباده ويرحمهم، وقيل: بمعنى مفعول بمعنى أن عباده يحبونه ويوددون أولياء، فهم بمنزلة المواد مجازاً اهـ سمين.

قوله: (إِذَا نَا بَقْلَةَ الْمَبَالَاةِ) أي استهزاء.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَنُرَاكَ فِينَا﴾ أي فيما بيننا ضعيفاً أي لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءاً أو مهينا لا عز لك اهـ يضاوي.

وقال ابن عباس وقتادة: كان شعيب أعمى، قال الزجاج: والأعمى يسمى ضعيفاً، وقال الحسن ومقاتل: يعني ذليلاً اهـ خازن.

بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّينَ﴾ ﴿٩١﴾ كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة ﴿قَالَ يَنْفُورَ آتِفُطِرَ  
أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فتركوا قلبي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿وَرَاءَكُمْ  
ظَهْرًا﴾ منبؤاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنِّي نَفَى يَمَا تَعْمَلُونَ مَحْطٌ﴾ ﴿٩٢﴾ علماً فيجازيكم  
﴿وَيَنْفُورَ أَصْلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ موصولة

قوله: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ الرهط: جماعة الرجل، وقيل: الرهط والراهط لما دون العشرة من  
الرجال، ولا يقع الرهط والعصبة والنفر إلا على الرجال، وقال الزمخشري: من الثلاثة إلى العشرة  
وقيل: إلى التسعة، ويجمع على أرهط وأرهط على أرهط أهـ سمين.  
قوله: ﴿لِرَجْمِنَاكَ﴾ يعني لقتلتناك بالحجارة. والرجم بالحجارة أسوأ القتل وأشدّها. وقيل:  
معناه لستمناك وأغلظنا لك القول أهـ حازن.

قوله: (كريم) أي مكرم معظم، وقوله: (وإنما رهطك هم الأعزة) أي لموافقهم لنا في الدين لا  
لقوة شوكتهم أهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ رَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾ أي وجعلتموه كالمنسي المنبؤ وراء الظهر بإشراككم به  
والإهانة برسوله، فلا تبقون عليّ الله وتبقون عليّ لرهطي، وهو يحتمل الانتكاز والتوبيخ والرد  
والتكذيب، والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب والقياس فتح أطلقه أهـ يضاهي.  
وقوله: ﴿فَلَا تَبْقُونَ عَلَيَّ اللَّهُ أَي تَشْفِقُونَ عَلَيَّ﴾ يقال: أبقي عليه إذا رحمة أهـ طهات.

وفي السمين قوله: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ يجوز أن يكون متعدياً لاثنين، أولهما الهاء والثاني ظهرياً  
ويجوز أن يكون الثاني هو الظرف وظهرياً خال، وأن يكون متعدياً لواحد، فيكون ظهرياً خالاً فقط،  
ويجوز في وراءكم أن يكون ظرفاً للاتخاذ وأن يكون خالاً من ظهرياً، والضمير في اتخذتموه يعود على  
الله تعالى لأنهم يجهلون صفاته، فجعلوه أي جعلوا أوامره ظهرياً أي منبؤة وراء ظهورهم، والظهري  
هو المنسوب إلى الظهر وهو من تغييرات النسب كما قالوا في أسس أمسي بكسر الهمزة وإلى الدهر  
دهري بضم الدال، وقيل: الضمير يعود على العصيان أي واتخذتم العصيان عوناً على عداوتي  
فالظهري على هذا بمعنى المصير المقوي أهـ.

قوله: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا وعيد وتهديد عظيم يدل عليه قوله: ﴿سَوْفَ﴾ الخ. وقوله:  
﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة أهـ حازن.

قوله: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ الوقف هنا وقوله: ﴿سَوْفَ﴾ الخ كلام مستأنف في جواب سؤال كأنهم قالوا له:  
فإذا عملنا على حالتنا وعملت على حالتك فماذا يحصل. وفي الكرخي قوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حذف  
الفاء هنا لأنه جواب سائل هو المسمى في علم البيان بالاستئناف البياني كأن قائله قال: فماذا يكون بعد  
ذلك، فهو أبلغ في التهويل أي لأنه استئناف. قال الزمخشري: فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء  
وتركها في سوف؟ قلت: إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع الوصل وتركها وصل خفي تقديره  
بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت



مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْقَبُوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ﴿٩٢﴾ منتظر ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿بَجَيْنًا شَعِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْئَةَ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جُثِمِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ باركين على الركب ميتين ﴿كَانَ﴾ مخففة أي كأنهم ﴿لَتَرِيَعَتَا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا أَلَا بَعْدَ لِمَئِينَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٩٥﴾ برهان بين ظاهر ﴿إِن كُفِرْتُمْ فَاثْبِرُوا وَأَنْتُمْ فِرْعَوْنُ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ

أنت على مكانتك؟ قليل: سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف كما هو عادة البلغاء من العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف لأنه أكمل في باب الفصاحة والتحويل اهـ.

قوله: (موصولة مفعول العلم) أي فهي في محل نصب أي سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه، والذي هو كاذب، وهذا أحسن من قول الفراء من استفهامية في موضع رفع بالابتداء على معنى أينما يأتيه العذاب، وأينما هو كاذب، وإنما كان أحسن لأن من الثانية موصولة أيضاً كما قررته، ولا توصل في الاستفهام اهـ كرخي. وعلم عرفانية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ كاذبٌ﴾ عطف على ما يأتيه لا لأنه قسيم له، كقولك سيعلم الكاذب والصادق، بل لأنهم لما أوعده وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم، وقيل: كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه، لكنهم لما كانوا يدعون كاذباً قال ومن هو كاذب على زعمهم اهـ يضاوي.

قوله: (برحمة) أي بسبب رحمة منا. قوله: (صاح بهم جبريل) أي صيحة خرجت بها أرواحهم جميعاً اهـ خازن.

يعني وأخذتهم الرجفة أي الزلزلة أيضاً فأهلكوا بها، وهذا في أهل قريته، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهو نار نزلت من السماء أحرقتهم كما تقدم بسطه في سورة الأعراف اهـ.

قوله: ﴿أَلَا بَعْدُ﴾ أي هلاكاً لمدين كما بعدت أي هلكت ثمود، والتشبيه من حيث إن هلاك كل بالصيحة، ويقال بعد بكسر العين يبعد بفتحها من باب طرب بمعنى الهلاك، وأما بعد بضم العين فمعناه ضد القرب اهـ شيخنا.

وتقدم إيضاحه عند قوله: وقيل بعداً للقوم الظالمين. وفي السمين: العامة على كسر العين من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك، وإذا أردت العرب أن تفرق بين المعنيين بتغيير البناء قالوا بعد بالضم ضد القرب وبعد بالكسر ضد السلامة، والمصدر البعد بفتح العين. وقال ابن الأنباري: العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب، فيقول فيهما بعد يبعد ويبعد اهـ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾ الخ هذه سابع قصة ذكرت في هذه السورة، فتقدم قصة نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط ومدين على هذه الترتيب وهذه قصة موسى. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ حال من موسى أي حال كونه ملتبساً بآياتنا التسع منها ثمانية في الأعراف، والتاسعة في يونس وتقدم ذكرها غير مرة. وقوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ المراد به العصا التي هي من جملة التسع، فذكرها من عطف الخاص على

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَرَسِ﴾ سديد ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَثَهُمْ﴾

العام لأنها أعظم الآيات وأبهرها للعقول وأشدّها خرقاً للعادة، وليس من الآيات المرادة هنا التوارة، لأنها إنما نزلت بعد إغراق فرعون وقومه اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها، أو هو العصا والافراد بالذكر لإظهار شرفها لكونها أكبرها، أو المراد بالآيات ما عداها، أو هما عبارة عن شيء واحد أي أرسلناه بالبرهان الجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطاناً لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهره غيره اهـ خازن.

قوله: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ معطوف على مقدم أي فكفر بها فرعون وأمرهم بالكفر. فأتبعوا أمر فرعون أي أطاعوه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ تعليل للنفي قبله. وفي المختار: قدم يقدم كنصر يتصرف قدماً بوزن قتل وقدموا أيضاً أي تقدم. قال الله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ اهـ.

وفي المصباح: وقدم الشيء بالضم قدماً وزان عنب خلاف حدث فهو قديم، وقدم الرجل البلد يقدمه من باب تعب قدماً ومقبلاً بفتح الميم والهمزة. وقدمت القوم قدماً من باب قتل مثل تقدمتهم اهـ.

قوله أيضاً: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ يعني كما تقدم فأدخلهم البحر في الدنيا، كذلك يتقدمهم في الآخرة فيدخلهم النار ويدخل هو أمامهم، فلما كان قدامهم في الضلال والكفر في الدنيا كذلك يكون قدامهم في النار اهـ خازن.

قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أي يوردهم وذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها وروداً ويشس الورد أي: يشس المورد الذي وردوه، فإن المورد يراد لتبديد الأكباد وتسكين العطش والنار بضد ذلك اهـ يضاوي.

وقوله: منزلة الماء يعني أن النار استعارة مكينة تهكمية للضد وهو الماء. وإثبات المورد لها تخيل اهـ شهاب.

قوله أيضاً: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ يجوز أن تكون هذه المسألة من باب الأعمال، وذلك أن يقدم يصلح أن يتسلط على النار بحرف الجر أي: يقدم قومه إلى النار، وكذا أوردتهم يصح تسلطه عليها أيضاً، ويكون قد أعمل الثاني للحذف من الأول، ولو أعمل الأول لتعدى إلى، ولأضمر في الثاني فلا محل لأورد لاستئنافه وهو ماض لفظاً معني لأنه عطف على ما هو نص في الاستقبال والهمزة في أورد للتعدية لأنه قبلها يتعدى لواحد. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصاص: ٢٣] وقيل أوقع الماضي موقع المضارع لتحققه. وقيل: بل هو ماض على حقيقته، وهذا قد وقع وانفضل، وذلك أنه أوردتهم في الدنيا. قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [عاف: ٤٦] وقيل: أوردتهم موجباتها وأسبابها، وفيه بعد لأجل العطف بالفاء، والورد يكون مصدراً بمعنى الورد، فلا بد من حذف مضاف تقديره ويشس مكان الورد المورد وهو النار، وإنما احتجج إلى هذا بتقدير لأن تضاد فاعل نعم ويشس ومخصوصهما شرط، فلا يقال نعم الرجل الفرس اهـ سمين.

أدخلهم ﴿النَّارَ وَيَنْسَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودَ﴾ هي ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لعنة ﴿يَنْسَ الْوَرْدَ﴾ العون ﴿الْمَوْرُودَ﴾ ردهم ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقْصُماً عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي القرى ﴿فَأَيُّكُمْ﴾ هلك أهله دونه ﴿و﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ هلك

قوله: ﴿ويَنسُ الورد المورود﴾ في الكلام تشبيه فرعون في تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش، فقال في حق فرعون وأتباعه: فأوردهم النار الخ على سبيل التهكم اهـ خازن .

قوله: ﴿لعنة﴾ أي من الأمم بعدهم، وقوله: ﴿ويوم القيامة﴾ هذا وقف تام، وقول الشارح لعنة أي من أهل الموقف اهـ شيخنا .

وفي السمين قوله: ﴿ويوم القيامة﴾ عطف على موضع في هذه، والمعنى أنهم ألحقوا لعنة في الدنيا وفي الآخرة . ويكون الوقف عليها تاماً ويتبدأ ببش اهـ .

قوله: ﴿بش الرشد﴾ المراد به اللعنة الأولى . المفرد أي: المعان باللعنة الثانية، فاللعنة الأولى عون لهم معاونة باللعنة الثانية . وهذا على سبيل التهكم بهم، وإلا فاللعنة إذلال لهم وإنزال بهم إلى الحضيض الأسفل اهـ شيخنا .

وفي الشهاب: الرشد يكون بمعنى العون وبمعطى العطية وأصله ما يضاف إليه غيره أي: يستند إليه ليعمده أي: يقيمه من قولهم عمدته وأعمده إذا أقامه بعماد اهـ .

وسميت اللعنة عوناً لأنها إذا تبعتم في الدنيا أبعدهم عن رحمة الله وأعانتهم على ما هم فيه من الضلال، وسميت رفساً أي: عوناً لهذا المعنى على التهكم وسميت معاناً لأنها أرادت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديين إلى طريق الجحيم اهـ زاده .

وفي المختار: الرشد بالكسر العطاء والصلة وبفتحها المصدر ورشده أعانه وبابهما ضرب والإرفاد أيضاً الإعطاء والإعانة اهـ .

قوله: ﴿ذلك﴾ (المذكور) أي في هذه السورة من القصص السبعة وقوله: خبره أي خبر أول ونقصه خبر ثان ومن تبعية اهـ شيخنا .

قوله: ﴿نقصه عليك﴾ أي: لتخبر به قومك لعلهم يعتبرون وإلا فينزل بهم مثل ما نزل بالقرى المهلكة اهـ خازن .

قوله: ﴿منها قائم﴾ أي منها أثر قائم باق الخ فشبه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وشبه ما عفى منها بالحصيد اهـ زاده وشهاب .

والجملة مستأنفة بياناً لأنه لما ذكر أنباء القرى اتجه لسائل أن يقول ما حال هذه القرى أباقية آثارها أم لا اهـ زكريا .

وفي السمين: وحصيد مبتدأ محذوف الخبر لدلالة خبر الأول عليه أي: ومنها حصيد، وحصيد

بأهله فلا أثر له كالزروع المحصود بالمناجل ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ إِلَهُهُمْ﴾ أي يدعون يعبدون ﴿وَمِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءًا لَّجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَقْيِيرٍ﴾ تحسير ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أريد أهلها ﴿وَهُي ظَلِيمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنْ أَخَذَهُ إِلَهٌ شَدِيدٌ﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول الله ﷺ

بمعنى محصود وجمعه حصدى وحصاد مثل مريض ومرضى ومرضاهم.

قوله: ﴿بِإِهْلَاكِهِمْ بغير ذنب﴾ هذا في حيز التفي. قوله: ﴿يعبدون﴾ أي يعبدونها.

قوله: ﴿لما جاء﴾ أي حين جاء فهي ظرف للتضي المفاد بما. قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ الضمير المرفوع للأصنام والمنصوب لما يديها، وعبر عنهم بواو العقلاء لأنهم نزلوهم من آلهتهم أهـ سمين.

وقوله: ﴿بعبادتهم الضمير لآلهتهم فالعند مضاف لمفعوله أي بكونها معبودة. قوله: ﴿تحسير﴾ في المصباح: التباب الخسران وهو اسم تبيه بالشديد وتب يده تب بالكسر خسرت كناية عن الهلاك، وتباً له أي هلاكاً واستتب الأمر نهياً أهـ.

وفي السمين: والتتيب التحسير يقال تبيه غيره وتب هو بنفسه فيستعمل لازماً ومتعدياً، ومنه: ﴿تب يد أبي لهب﴾ [المسد: ١].

قوله: ﴿أخذ ربك إذا أخذ﴾ تنازعا في القوي، فأعمل الفعل وحذف الضمير من المصدولة لأن الضمير هنا فضلة على حد قول ابن مالك:

ولا تجيء مع أول قيد أهملاً بمضمر لغیر وقيل أو هو لا

والتقدير: وكذلك أخذ ربك إياها إذا أخذ القرى أهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهي ظالمة﴾ جملة خالية من مبتدأ وخبر. قوله: ﴿أي فلا يغني عنهم﴾ بيان لوجه الشبه، وقوله: ﴿من أخذه من زائدة في المفعول. قوله: ﴿إليم شديد﴾ أي على المأخوذ أي وجميع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة في التهديد والتحذير أهـ يضيائي.

قوله: ﴿إن الله ليملي﴾ اللازم. زائدة في خبر إن أي يزيد ويطيل له في عمره أهـ شيخنا.

وفي المصباح: وأملت له في الأمر أخرت أهـ.

قوله: ﴿ثم قرأ رسول الله ﷺ وكذلك أخذ ربك﴾ وفي الآية الكريمة والحديث دليل على أن من أقدم على ظلم، فإنه يجب عليه أن يتدارك ذلك بالتوبة والإنابة ورد الحقوق إلى أهلها إن كان الظلم للغير لثلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد، ولا يظن إن هذه الآية حكمها مخصص بظالمي الأمم الماضية، بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث أهـ خازن.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذِرْبِكَ﴾ الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَّآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ﴾ فيه ﴿النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ يشهده جميع الخلائق ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا

قوله: (من القصص) أي السبعة. وقوله: (لعبرة) وذلك لأن القصص المذكورة فيها عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وقد حصل الأول فيعلم العاقل أن القادر على انزال الأول قادر على انزال الثاني اهـ شيخنا.

قوله: (أي يوم القيامة) أي المدلول عليه، بلفظ الآخرة اهـ شيخنا.

ومجموع صفة ليوم جرت على غير من هي له، فلذلك رفعت الظاهر وهو الناس اهـ.

قوله: ﴿مَشْهُودٍ﴾ هذا من باب الاتساع في الظرف بأن جعله مشهود، وإنما هو مشهود فيه فاتسع فيه بأن وصل الفعل إلى ضميره من غير واسطة كما يصل إلى المفعول به اهـ سمين.

قوله: (يشهده) أي يحضره جميع الخلائق أي من أهل السماء والأرض اهـ.

قوله: ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾ أي ذلك اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾ اللام للتعليل أي لأجل انقضاء أجل وهو مدة الدنيا، وقوله: (لوقت معلوم) أي لانقضاء وقت معلوم، وهو مدة الدنيا كما عرفت. وعبرة أبي السعود: إلا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة اهـ.

قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ منصوب بقوله: ﴿لَا تَكْلِمُ﴾ أي: لا تكلم نفس في ذلك اليوم، وفاعل يأتي ضمير يعود على اليوم، ففسره الشارح بقوله: ذلك اليوم دفعا لما يتوهم من عود الضمير على العذاب اهـ شيخنا.

وفي السمين: والناصب لهذا الظرف فيه أوجه، أحدها: أنه لا تكلم والتقدير لا تكلم نفس يوم يأتي ذلك اليوم وهذا معنى جيد لا حاجة إلى غيره. الثاني: أن ينتصب باذكر مقدراً. والثالث: أن ينتصب بالانتهاء المحذوف في قوله: ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾ أن ينتهي الأجل يوم يأتي. الرابع: أنه منصوب بلا تكلم مقدار ولا حاجة إليه، والجملة من قوله لا تكلم في محل نصب على الحال من ضمير اليوم المتقدم في مشهود أو نعت له لأنه نكرة، والتقدير ﴿لَا تَكْلِمُ نَفْسٌ فِيهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. قال الحوفي، وقال ابن عطية: لا تكلم نفس يصح أن يكون جملة في موضع الحال من الضمير الذي في يأتي وهو العائد على قوله: ذلك يوم، ويكون على هذا العائد محذوفاً تقديره لا تكلم نفس فيه، ويصح أن يكون قوله: لا تكلم نفس صفة لقوله: يوم يأت وفاعل يأتي فيه وجهان، أظهرهما: أنه ضمير يوم المتقدم. والثاني: أنه ضمير الله تعالى كقوله: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك، والضمير في قوله: فمنهم الظاهر عوده على الناس في قوله: مجموع له الناس، وجعله الزمخشري عائداً على أهل الموقف وإن لم يذكروا قال: لأن ذلك معلوم، ولأن قوله: لا تكلم نفس يدل عليه، وكذا قال ابن عطية. وقرأ أبو عمرو، والكسائي، ونافع يأتي بإثبات الباء وصلّاً وحذفها وقفاً، وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلّاً ووقفاً، وباقي السبعة قرؤوا بحذفها وصلّاً ووقفاً، وقد وردت المصاحف بإثباتها وحذفها، ففي مصحف أبي

تَكَلَّمُ» فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا لِذِي شِقْوَةٍ﴾ تعالى ﴿فَيَنْهَرُ﴾ أي الخلق ﴿شَقِيٌّ﴾ لاو ﴿منهم﴾ ﴿سَيِّدٌ﴾ ﴿كُتِبَ كُلٌّ فِي الْأَرْزُلِ﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ في علمه تعالى ﴿وَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَوَجِرٌ﴾

إثباتها، وفي مصحف عثمان حذفها، وإثباتها هو الوجه لأنها لام الكلمة، وإنما حذفوها في القوافي والفواصل لأنها محل وقوف أحد.

قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ عبارة زاده: فإن قيل: يوم يأتي بمعنى يوم يوجد اليوم فيكون الزمان زماناً وهو محال، وأيضاً اليوم إنما يضاف لأجل تحديده وتعيينه وإضافته إلى إتيان اليوم تستلزم تعيين الشيء بنفسه، واليوم إنما يتعين بما وقع فيه لا بنفسه، وأجيب بأنه على تقدير مضاف أي يوم يأتي هواله.

وعبارة الكرخي: يوم أي: حين فاندفع ما أورد من أن هذه الإضافة تستلزم أن يكون للزمان زمان، فإن إتيان الزمان هو وجوده، والمراد إتيان هو له شدائد فلا يلزم تحديد الشيء بنفسه.

قوله: ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ﴾ الخ إن قيل كيف هذا مع قوم يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وقوله: إخباراً عن حجاج الكفار، والله ربنا ما كنا مشركين؟ فالجواب: أن يوم القيامة طويل وفيه أحوال مختلفة، ففي بعض الأحوال لا يقدر على الكلام لشدة الأحوال، وفي بعضها يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، وفي بعضها تخف عنهم ذلك الأحوال فيخاطبون ويجادلون وينكرون أه خازن.

وفي أبي السعود: يوم يأتي لا تكلم نفس أي لا يتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة إلا بإذنه في التكلم كقوله تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبا: ٢٨] وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم، وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٢] في موقف آخر من مواقفه كما أن قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادَلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] في آخر منها أو المأذون فيه الجوابات الحق، والممنوع عنه الأعداء الباطلة. نعم قد يؤذن فيها أيضاً لإظهار بطلانها، كما في قول الكفرة ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ونظائره.

وقد اشتملت هذه الآية على ثلاثة أنواع من البديع الجمع في قوله: ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ والتفريق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ والتقسيم في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ الخ أه شيخنا.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ بالبناء للفاعل باتفاق السبعة وقرئ شاذاً بالبناء للمفعول، وقوله: شقوا في علمه تعالى وهم الذين يموتون على الكفر، وإن تقدم منهم إيمان، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ أي في علمه أيضاً وهم الذين يموتون على الإيمان، وإن تقدم منهم كفر أو غيره من المعاصي أه شيخنا.

قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ أصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الأضلاع والشهيق رد النفس إلى الصدر، وقال ابن عباس: الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف أه خازن.

وفي البيضاوي: الزفير إخراج النفس والشهيق زده وغلب استعمالهما في أول النهي وآخره، والمراد بهما للدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه

صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف ﴿خَلِيلَيْنِ﴾ فيها ما دامت السموات والأرض ﴿أي مدة دوامهما في الدنيا﴾ إلا غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ بفتح السين وضمها ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ إلا غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم ودل عليه فيهم قوله ﴿عَطَاةٌ

روحه وتشبيه صراخهم بأصوات الحمير اهـ.

وفي السمين: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ في هذه الجملة احتمالان، أحدهما: أنها مستأنفة كأن سائلاً حين أخبر أنهم في النار ماذا يكون لهم فقيل لهم كذا. والثاني: أنها منصوبة المحل على الحال، وفي صاحبها وجهان، أحدهما: أنه الضمير في الجار والمجرور وهو قوله: ﴿فَفِي النَّارِ﴾، والثاني: أنها حال من النار والزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره، وقال ابن فارس: الزفير ضد الشهيق لأن الشهيق رد النفس، والزفير لإخراج النفس من شدة الحزن مأخوذة من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدة. وقيل: الشهيق النفس الممتد مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي عال. وقال الليث: الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس، ويخرجه والشهيق أن يخرج ذلك النفس وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء. وقال أبو العالية، والربيع بن أنس: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر، وقيل: الزفير للحمار والشهيق للبغل اهـ.

قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ منصوب على الحال المقدرة. قلت: ولا حاجة إلى قولهم المقدرة، وإنما احتاجوا إلى التقدير في مثل قوله: فادخلوها خالدين، لأن الخلود بعد الدخول بخلافه هنا اهـ سمين.

قوله: ﴿مَا دَامَتْ﴾ ما مصدرية وقتية أي مدة دوامهما ودام هنا تامة لأنها بمعنى بقيت اهـ سمين.

قوله: (أي مدة دوامهما في الدنيا) فالمراد سموات الدنيا وأرضها وإلا بمعنى غير كما قال، فالمعنى خالدين فيها مدة بقاء الدنيا أي مدة وجودها، وهذه المدة غير ما يزيده الله مما لا نهاية له اهـ شيخنا.

قوله: (مما لا منتهى له) في نسخة لها. قوله: (بفتح السين) عبارة السمين: قرأ الاخوان، وحفص ﴿سَعِدُوا﴾ بضم السين، والباقون بفتحها، فالأولى من قوله: سعه الله أي أسعده. حكى الفراء عن هذيل أنها تقول سعه الله بمعنى أسعده. قال الأزهري: سعد فهو سعيد كسلم فهو سليم وسعد فهو مسعود. قال أبو عمرو بن العلاء: يقال سعد الرجل كما يقال حسن وقيل: سعه لغة مهجورة وقد ضعف جماعة قراءة الأخوين اهـ.

وفي المصباح سعد فلان يسعد من باب تعب في دين أو دنيا سعداً، وبالمصدر سمي، والفاعل سعيد والمجمع سعداء ويعدى بالحركة في لغة، فيقال سعه الله يسعده بفتحيتين فهو مسعود، وقرىء في السبعة بهذه اللغة في قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ بالبناء للمفعول والأكثر أن يعدى بالهمزة، فيقال أسعده الله وسعد بالضم خلاف شقي اهـ.

قوله: (كما تقدم) أي فيقال غير ما شاء ربك من الزيادة التي لا منتهى لها، فالمعنى خالدين فيها

عَبْرَ مَجْدُوْرٍ ﴿١٠٨﴾ مقطوع وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم

أبدأ، وقوله: ودلّ عليه أي على هذا المعنى، والتفسير فيهم أي السعداء، ووجه الدلالة أنه إذا كان غير مقطوع فهو دائم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عطاء﴾ اسم مصدر بمعنى اعطاء، والفعل أعطوا أي أعطاهم الله إعطاء اهـ شيخنا.

وفي السمين: عطاء نصب على المصدر المؤكد من معنى قبله، لأن قوله: ﴿وفي الجنة خالدين فيها﴾ يقتضي إعطاء وإنعاماً، فكأنه قيل يعطيهم عطاء وعطاء اسم مصدر، والمصدر في الحقيقة الإعطاء على الأفعال أو يكون مصدراً على حذف الزوائد، كقوله: ﴿أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ [نوح: ١٧] أو منصوب بمقدر موافق له أي فنبت نباتاً، وكذلك هنا يقال عطوت بمعنى نولت اهـ شيخنا.

وقوله: غير منجذوذ في المختار: جذه كسره وقطعه وبابه رد، والمجذاذ بضم الجيم وكسرها ما تكسر منه والضم أفصح، وغطاء غير منجذوذ أي: غير مقطوع والجذاذات القراضات اهـ.

قوله: (وما تقدم من التأويل) أي التفسير للاستثناء، وحاصله أن إلّا في المعنى بمعنى حرف العطف والاستثناء منقطع، فكأنه قيل: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض وزيادة على هذه المدة لا منتهى لها، وقوله: هو الذي ظهر أي ظهر له اختياره من ثلاثة عشر وجهاً للمفسرين في هذا المقام وهو وجه حسن، لأن فيه التأييد بما يعلمه المخاطبون بالمشاهدة ويعترفون به وهو دوام الدنيا، وأما التأييد بدوام سموات الآخرة وأرضها كما قيل، ففيه أنه غير معلوم للمخاطبين خصوصاً لأن يتكبر البعث اهـ.

وقد استوفى السمين الوجوه المذكورة، ولتقتصر على نقل بعضها لكونه أقرب من غيره، فقال: السادس: قال ابن عطية قيل إن ذلك على طريق الاستثناء الذي نذب الشارع إلى احتكامه في كل كلام، كقوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله﴾ [الفتح: ٢٧]. فليس يحتاج أن يوصف بمقتضى ولا منقطع إلى أن قال: الثامن: أن إلّا حرف عطف بمعنى الواو، فمعنى الآية وما شاء ربك فائداً على ذلك: التاسع: أن الاستثناء منقطع، فيقدر بلكن أو بسوى ونظروه بقولك لي عليك ألفا درهم إلا الألف التي كنت أسلفتك بمعنى سوى (تلك الألف)، فكأنه قيل: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ [هود: ١٠٧] سوى ما شاء ربك فائداً على ذلك، وقيل: سوى ما أعد لهم من عذاب غير عذاب الله كالزهرير ونحوه اهـ.

وفي التيضائي: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ استثناء من الخلود في النار، لأن بعضهم وهم لشاق الموحدين يخرجون منها، وذلك كاف في صحة الاستثناء، لأن زوال الحكم عن الكل يكفي زواله عن البعض، وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم، فإن التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء، كما ينتقض باعتبار الانتهاء، وهؤلاء وأن شقوا بعضهم فقد سعدوا بإيمانهم، ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ تقييداً صحيحاً، لأن من شرطه أن تكون الصفة كل قسم منتفية عن قسميه، لأن ذلك الشرط حيث كان التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع. وههنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين، وأن حالهم لا تخلو عن السعادة والشقاوة،



وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين، أو لأن أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحياناً، وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجنتاب القدس والفوز برضوان الله ولقائه، وقيل: إلا هنا بمعنى سوى كقولك على ألف إلا الألفان القديمان، والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض اهـ.

وفي المناوي الكبير على الجامع الصغير ما نصه: تنبيه ما ذكرته آنفاً من العذاب للكفار في جهنم دائم أبداً هو ما دلت عليه الآيات والأخبار، وأطبق عليه جمهور الأمة سلفاً وخلفاً. ووراء أقوال يجب تأويلها.

فمنها: ما ذهب إليه الشيخ محيي الدين بن عربي أنهم يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقته لطبيعتهم، فإن الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ [إبراهيم: ٤٧] لم يقل وعيده. بل قال ويتجاوز عن سيئاتهم مع أنه توعد على ذلك، وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد. وقال في موضع آخر: إن أهل النار إذا دخلوها لا يزالون خائفين مترقبين أن يخرجوا منها، فإذا أغلقت عليهم أبوابها اطمأنوا لأنها خلقت على وفق طباعهم. قال ابن القيم: وهذا في طرف أي جهة، والمعتزلة القائلون بأنه يجب على الله تعذيب من توعده بالعذاب في طرف آخر، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً، والقولان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله اهـ.

وما ذكره من أن ابن عربي يقول: إنه لا يعذب بها أصلاً ممنوع، فإن حاصل كلامه ومتابعيه أن لأهل النار الخالدين فيها حالات ثلاثاً، الأولى: أنهم إذا دخلوها سلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب، فطلبوا أن يخفف عنهم العذاب أو أن يقضى عليهم أو أن يرجعوا إلى الدنيا فلم يجابوا.

والثانية: أنهم إذا لم يجابوا ووطنوا أنفسهم على العذاب، فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة. والثالثة: أنهم بعد مضي الأحقاب ألغوا العذاب واعتادوه، ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا وإن عظم، إلى أن أل أمرهم إلى أن يتلذذوا به ويستعذبوه، حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكروه كالجعل وتأذيه برائحة الورد عافانا الله من ذلك.

ومنها: قول جمع: النار تنفى، فإنه تعالى جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم يزول عذابها لقوله تعالى: ﴿خالدين فيها إلا ما شاء ربك﴾ [الأنعام: ١٢٨] ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ ﴿لا يشين فيها أحقاباً﴾ [النبا: ٢٣]. قال هؤلاء: وليس في القرآن دلالة على بقاء النار وعدم فنائها إنما الذي فيه أن الكفار خالدون فيها، وأنهم غير خارجين منها، وأنهم لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون وأن عذابهم فيها مقيم غرام لازم، وهذا لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين إنما النزاع في أمر آخر وهو أن النار أبدية، أو مما كتب عليه الفناء. وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يدخلون الجنة فلم يختلف فيه أحد من أهل

بمراده ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مَرْيَةٍ﴾ شك ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَبْدُءُ آبَاؤُهُمْ﴾ أي كعبادتهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَأَنَا لَمُوفُوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيْبُهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَقْصُودٍ﴾ أي تاماً ﴿وَلَقَدْ

السنة، وقد نقل ابن تيمية القول بقناتها عن ابن عمر وأبن عمرو، وابن مسعود، وأبي سعيد، وابن عباس، وأنس، والحسن البصري، وحمام بن منلة وغيرهم.

روى عبد بن حميد بإسناد رجاله ثقات عن عمرو، لو لبث أهل النار في النار أحد ومثل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه. وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص: لياتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد حكاة البغوي وغيره عن أبي هريرة وغيره. وقد نصر هذا القول ابن القيم شيخه ابن تيمية وهو مذهب متروك، وقول مهجور لا يصار إليه ولا يعول عليه، وقد أول ذلك كله الجمهور، وأجابوا عن الآيات المذكورة بنحو عشرين وجهاً عما نقل عن أولئك الصحب بأن معناه ليس فيها أحد من عصاة المؤمنين، أما مواضع الكفار فهي ممتلئة منهم لا يخرجون عنها أبداً كما ذكر الله في آيات كثيرة، وقدم قال الإمام الرازي: قال قوم إن عذاب الله منقطع وله نهاية، واستدلوا بآية ﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النار: ٢٣] وأن معصية الظالم متناهية، فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم، والجواب إن قوله: أحقاباً لا يقتضي أن له نهاية، لأن العرب يعيرون به وينحوه عن الدوام ولا ظلم في ذلك، لأن الكافر كان عازماً على الكفر ما دام حياً، فعوقب دائماً فهو لم يعاقب بالديم لا على دائم، فلم يكن عذابه إلا جزاء وفاقاً

أهـ.

وفي حديث آخر: من يدخل الجنة رجل يقال له جهينة النخ.

قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ﴾ النخ لما ذكر أحوال الأمم الماضية في مخالفتهم للرسول وعبادتهم غير الله ذكر أحوال المخالفين من هذه الأمة، فقله: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي كفار قريش أهـ شيخنا.

وحذفت النون من تلك لكثرة الاستعمال، ولأن النون إذا وقعت طرف الكلام لم يبق عند الالتفات بها إلا مجرد الغيبة فلا جرم أسقطوها أهـ كرخي.

﴿مما يعبد هؤلاء﴾ فسرها الشارح بقوله: من الأصنام، فجعلها موصولة لا مصدرية، فحيث من الداخلة عليها إما ابتدائية أو بمعنى في. وقوله: ﴿إنا نعذبهم﴾ لعله بدل من ما يدل اشتغال، فإن الأصنام مشتملة على تعذيب عابديها من حيث إن عبادتها سبب فيه، وحيث فكان في الكلام مضافاً محذوفاً، والتقدير فلا تك في مرية ناشئة من الأصنام أو في الأصنام أي في شأنها وحالها وهو تعذيب عابديها، فكانه قيل: فلا تك في مرية في أنا نعذب هؤلاء العابدين للأصنام، وحيث فتسل واصبر فإننا لا نهمهم وإن أهملناهم أهـ شيخنا. وجعلها غير مصدرية. ونص أبي السعود مما يعبد هؤلاء أي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها، أو من حال ما يعبدونه من الأوثان في عدم نفعه لهم أهـ.

قوله: ﴿ما يعبدون﴾ النخ يعني أنه ليس لهم في عبادة هذه الأصنام مسعة إلا تقليد آبائهم أهـ

خازن، والجملة تعليل لما قبلها كما في أبي السعود. قوله: (وقد عذبناهم) أي آباءهم. قوله: ﴿وَأَنَا لَمُوفُوهُمْ﴾ الضمير لهؤلاء، وقوله: ﴿نَصِيْبُهُمْ﴾ كذلك، والنسخة التي فيها ننيلهم يرجع ضميرها

«أَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَبَ» التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَتَتْهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرْيَمُ﴾ موقع في الريبة ﴿وَلَوْ﴾ بالتخفيف والتشديد

لهؤلاء أيضاً، والتي فيها مثلهم يرجع ضميرها للآباء اهـ شيخنا.

قوله: (أي تاماً) يشير إلى أن غير منقوص حال مينة للنصيب الموفى. قال القاضي كالزمخشري: فإنك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازاً اهـ.

وأنت خبير بأنه إذا لم تكن قرينة المجاز قائمة كما في هذا المقام لا تكون الحال إلا للتأكيد، لأن التوفية تقتضي الإكمال فقد استفيد معناها من عاملها وهو شأن المؤكدة، وفائدته دفع توهم التجوز. قال بعضهم: وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصاً في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية تأمل اهـ كرخي.

قوله: ﴿فاختلف فيه﴾ أي فتسل ولا تحزن، فإن ما وقع لك وقع لمن قبلك اهـ خازن.

قوله: ﴿فاختلف فيه﴾ أي فآمن به قوم وكفر به قوم، كما اختلف هؤلاء في القرآن. ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة أي الحكم الأزلي بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل ليميز عن المحق، وأنهم أي كفار قومك لفي شك منه أي من القرآن مريب أي موقع في الريبة اهـ يعضاوي.

وفي السمين قوله: ﴿فاختلف فيه﴾ أي في الكتاب وفي على بابها من الظرفية، وهي هنا مجاز أي في شأنه، وقيل: هي سببية أي هو سبب اختلافهم كقوله تعالى: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١] أي يكثركم بسببه، وقيل: هي بمعنى على، ويكون الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام أي اختلف عليه، ومريب من أراب إذا حصل الريب لغيره أو صار هو في نفسه ذاريب، وقد تقدم اهـ.

قوله: ﴿وانهم لفي شك منه﴾ أي من كتابك أي القرآن وإن يجر له ذكر ابتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي اهـ كرخي.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) هاتان قراءتان، والميم في لما مخففة أو مشددة كما يعلم من كلامه واثنان في اثنتين بأربعة، فهذه أربعة قراءات كلها سبعة، فإن شدد القارئ إن جاز له في لما التخفيف والتشديد، وإن خفف إن، فكذلك وعلى كل حال فلفظ كلا منصوب على أنه اسم إن وخبرها جملة القسم مع جوابه، والقسم هو المدلول عليه باللام في لما على كونها موطئة، وجوابه هو قوله ﴿ليوفينهم﴾ وعلى كون لما مشددة فالخبر جملة ليوفينهم، واللام حيثئذ في ليوفينهم جواب قسم مقدر، وقوله: ما زائدة أي لدفع التكرار في اللفظ بين اللامين الموجب للثقل، لأنها لو حذفت لكان النظم هكذا لليوفينهم. وقوله: موطئة أي دالة على قسم مقدر، وهذا جار في تخفيف إن وتشديدها، وقوله: أو فارقة كذلك وفيه أن الفارقة إنما عهدت بعد أن المهمة المخففة، وذلك لأنها تفرق بين النافية والمؤكدة، والالتباس بينهما إنما يكون عند الإهمال بخلاف الاعمال، فإنه لا التباس فيه، ويصح أن يكون قوله: موطئة راجعاً للتشديد، وقوله: أو فارقة راجعاً للتخفيف، وقوله: وفي قراءة

معطوف على ما يستفاد من قوله: ما زائدة، لأنه يفيد أن لما مخففة فكأنه قال بتخفيف لما وما زائدة الخ، وفي قراءة بتشديد لما، وقد علمت أن كلا من القراءتين راجع لكل من تخفيف إن وتشديدها، وحيث أنه مناقشة من حيث اقتضاؤه أن إن المشددة تكون نافية، وقد أثبت بعضهم هذا وهو غريب، فقله فإن نافية تقرأ إن في هذا التركيب بالتخفيف والتشديد، لأنه راجع لكل من القراءتين السابقتين في إن، وعلى تشديد لما لا يكون في الكلام إلا لام واحدة وهي اللام في ليوفيهن، وأما اللام في لما على التشديد فجزء كلمة اهـ شيخنا.

وفي السمين ما نصه: هذه الآية مما تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً وعسر على أكثرهم تلخيصها قراءة وتخريجاً، وقد سهل الله تعالى ذلك فذكرت أقاويلهم وما هو الراجح منها، فأقول: قرأ بعضهم إن ولما مخففتين، وبعضهم خفف إن وثقل لما، وبعضهم شددهما، وبعضهم شدد إن وخفف لما، فهذه أربع قراءات في هذين الحرفين وكلها متواترة، فأما القراءة الأولى ففيها إعمال إن المخففة وهي لغة ثابتة عن العرب، وأما لما في هذه القراءة فاللام فيها هي لام الابتداء الداخلة على خبر إن، وما يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذين واقعة على من يعقل كقوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ [النساء: ٣] واللام في ليوفيهن جواب قسم مضمرة، والجملة من القسم وجوبه صلة الموصولة، والتقدير وإن كلا للذين والله ليوفيهن، ويجوز أن تكون ما نكرة موصوفة، والجملة القسمية وجوبها صفة ما، والتقدير وإن كلا لخلق أو لفريق والله ليوفيهن، والموصولة وصلته أو الموصوفة وصفته بخبر لأن. وقال بعضهم: اللام الأولى هي الموصولة للقسم، ولما اجتمع اللامان واتفقا في اللفظ فصل بينهما بما. وظاهره هذه العبارة إن ما زائدة جيء بها للفصل إصلاً لللفظ. وقل أبو شامة: واللام في لما هي الفارقة بين المخففة والنافية وفيه نظر، لأن الفارقة إنما يؤتى بها عند التباسها بالنافية، والالتباس إنما يكون عند إهمالها نحو: إن زيد لقاتم، وهي في الآية الكريمة ضامة فلا تلتبس بالنافية فلا يقال إنها فارقة. فنلخص أن في اللام أربعة أوجه، أحدها: أنها لام الابتداء الداخلة على خبر إن. الثاني: أنها موصولة للقسم. الثالث: أنها جواب القسم كررت تأكيداً. الرابع: أنها الفارقة بين المخففة والنافية. وأن في ما ثلاثة أوجه، أحدها: أنها موصولة. والثاني: أنها نكرة موصوفة. والثالث: أنها مزيدة للفصل بين اللامين. وأما القراءة الثانية وهي تخفيف إن وتشديد لما، فالكلام في إن كما تقدم، وأما لما ففيها أوجه، أحدها: أن الأصل لمن ما بكسر الميم على أنها من الجارة دخلت على ما الموصولة أو الموصوفة أي لمن الذين والله ليوفيهن، أو لمن خلق والله ليوفيهن، فلما اجتمعت النون ساكنة قبل ميم ما وجب ادغامها فيها فقلبت ميماً وأدغمت، فصار في اللفظ ثلاثة أمثال فحفظت الكلمة بحذف إحداها، فصار اللفظ كما ترى لما الثاني: ما ذهب إليه المهدوي ومكي، وهو أن يكون الأصل لمن ما بفتح ميم من على أنها موصولة أو موصوفة وما بعدها مزيدة. قال: قلبت النون ميماً وأدغمت في الميم التي بعدها، فاجتمع ثلاث ميمات، فحذفت الوسطى منهن وهي المبدلة من النون فقبل لما. الثالث: أن إن نافية بمنزلة ما ولما بمعنى إلا فهي كقوله: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ [الطارق: ٤] أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أي: ما كل ذلك إلا متاع الحياة

﴿كَلَّا﴾ أي كل الخلائق ﴿لَنَّا﴾ ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة وفي قراءة بتشديد لما بمعنى إلا فإن نافية ﴿لَيَرْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي جزاؤها ﴿إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَسِيرٌ﴾ عالم ببواطنه كظواهره ﴿فَاسْتَقِمَّ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَا أَمَرْتَ﴾ ﴿و﴾ ليستقم ﴿مَنْ تَابَ﴾ آمَن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾

الدنيا، واعترض على هذا الوجه بأن النافية لا ينصب الاسم بعدها، وهذا الاسم منصوب بعدها، وأجاب بعضهم عن ذلك بأن كلا منصوب باضمار فعل، فقدّره بعضهم وإن أرى كلا لما أي وما أرى كلا إلا وبعضهم، وإن أعلم كلا لما ونحوه. وأما القراءة الثالثة وهي تشديدهما فإن على حالها، فلذلك نصب ما بعدها على أنه اسمها، وأما لما بالتشديد ففيها الأوجه الثلاثة المتقدمة، وأما القراءة الرابعة وهي تشديد إن وتخفيف لما فواضحة جداً، فإن هي المشددة عملت عملها، والكلام في اللام وما مثل ما تقدم من الوجوه الأربعة في اللام والثلاثة في ما، وقد عرفت أن القراءات الأربع سبعة، وقرئ شاذاً وإن كل بتخفيف إن ورفع كل لما بالتشديد وهي قراءة الحسن البصري، وعليها فلما بمعنى إلا، وقرئ أيضاً قراءات أخر، فلتراجع في السمين وغيره اهـ ملخصاً منه.

قوله: (أي كل الخلائق) أي مؤمن وكافر، وأشار بهذا إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه اهـ كرخي.

قوله: (وفي قراءة بتشديد لما) أي قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة بتشديد الميم على أن أصلها لمن ما قلبت النون ميماً للادغام، فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الأولى وأدغمت الثانية في الثالثة اهـ كرخي.

قوله: ﴿كَمَا أَمَرْتَ﴾ أي مثل الاستقامة التي أمرت بها بلا افراط ولا تفريط، وهي تشمل العقائد والأعمال والأخلاق، فإنها في العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل، وفي الأعمال الاحتراز عن الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل، وفي الأخلاق التباعّد عن طرفي الإفراط، وهذا في غاية العسر، ولذلك قال ﷺ: «شيتني سورة هود» اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: أمر رسول الله ﷺ بالاستقامة، كما أمر في العقائد والأعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين، ولا سيما الأعمال الخاصة به من تبليغ الأحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة، وتحمل أعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما أمر به فيما سبق من قوله تعالى: ﴿فَلْعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢] الآية.

وبالجملة فهذا الأمر منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهده في غاية ما يكون من الصعوبة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «شيتني سورة هود» اهـ.

قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ الظاهر أنه معطوف على الضمير المستتر في استقم، فيلزم عليه أن فعل الأمر رفع الظاهر وهو المعطوف، وهذا إنما يلزم على عطف المفردات، وقد تخلص الشارح من هذا الفتوحات الإلهية/ ج ٣/ ٣١م

تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بعبودة أو مداينة أو رضا بأعمالهم ﴿فَتَمْسِكُمْ﴾ تصيبكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تَصْطَرِكُمْ﴾ تملعون من عذابه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر ﴿وَرُكْعًا﴾ جمع رُكْعَة

بجعله من عطف الجمل حيث قدر فعلاً مضارعاً رافعاً لمن تاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلَا تَرْكُونَا﴾ من باب علم يعلم. وفي المصباح: ركنت إلى زيد اعتمدت عليه وفيه لغات، إحداها من باب تعب وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُونُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وركن ركونا من باب قعد. قال الأزهرى: وليست بالقصيحة. الثالث ركن يركن بفتحين وليست بالأصل، بل من تداخل اللغتين لأن باب فعل يفعل بفتحين شرطه أن يكون حلقي العين أو اللام اهـ.

وفي السمين: وقال الراغب: والصحيح أنه يقال ركن يركن بالفتح فيهما، وركن يركن بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع، وبالفتح في الماضي والضم في المضارع اهـ.

قوله: (أو مداينة) أي مصانعة، وفي المصباح: المداينة المسالمة والمصالحة اهـ. وفي القاموس: المداينة النفاق وإظهار خلاف ما يضمن اهـ.

قوله: ﴿فَتَمْسِكُمْ﴾ منصوب باضمار أن في جواب للنهي، وقرأ الأعمش وعلقمة في آخرين فتمسكم بكسر التاء، وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون حالية أي تمسكم حال إنتفاء ناصركم، ويجوز أن تكون مستأنفة ومن أولياء من فيه زائدة إما في الفاعل وإما في المبتدأ، لأن الجار إذا اعتمد على أشياء أحدها النفي رفع الفاعل اهـ سمين.

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الخ أي إن ركنتم إليهم. قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَصْرُون﴾ العامة على ثبوت نون الرفع لأنه فعل مرفوع، إذ هو من باب عطف الجمل عطف جملة فعلية على جملة اسمية. وقرأ زيد بن علي، وعائشة رضي الله عنهما بحذف نون الرفع عطفاً على تمسكم، والجملة على ما تقدم من الحالية أو الاستئناف، فتكون معترضة وأتى بثم تنبيهاً على تباعد الرتبة اهـ سمين.

قوله: ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ منصوب على الظرفية بأقم أي في طرفي النهار، وقوله: (الغداة والعشي) تفسير للطرفين، وقوله: (أي الصبح الخ) تفسير للصلاة الواقعة في الطرفين، فالصبح في الغداة والظهر والعصر في العشي. وقوله: (وَرُكْعًا) أيضاً على الظرفية بأقم، قوله: (أي المغرب والعشاء) تفسير للصلاة الواقعة في الزلف. وفي القاموس: الزلفة الطائفة من الليل، والجمع زلف وزلفات كعزف وعزفات، والزلف: ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الليل اهـ.

وفي السمين قوله: طرفي النهار ظرف لأقم ويضعف أن يكون ظرفاً للصلاة، كأنه قيل: أقم الصلاة الواقعة في هذين الوقتين، والظرف وإن لم يكن ظرفاً، ولكنه لما أضيف إلى الظرف أعرب بإعرابه، وهو كقولك: أتيت أول النهار وآخره ونصف الليل بنصب هذه كلها على الظرف لما أضيفت إليه، وإن كانت ليست موضوعة للظرفية، وقرأ العامة زلفاً بضم الزاي وفتح اللام، وهي جمع زلفة يشكون اللام نحو غرف في جمع غرفة وظلم في جمع ظلمة. وقرأ أبو جعفر وابن أبي إسحاق بضمها للإتباع، كما قالوا بسر في بسر بضم السين إتباعاً لضمه الباء اهـ.

أي طائفة ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ أي المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب الصغائر. نزلت فيمن قبل أجنبية فأخبره ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال: «الجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان ﴿ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ﴾ عظة للمتعتلين ﴿وَأَصِيرَ﴾ يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا

قوله: (أي طائفة) أي قطعة وساعة. قوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ أي الواجبة والمندوبة. قوله: (فيمن قبل أجنبية) أي والتقييل صغيرة وهو أبو اليسر، قال: أتتني امرأة تبتاع تمرأ فقلت لها: إن في البيت تمرأ أطيب من هذا، فدخلت معي البيت فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فأتيت عمر فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فلم أصبر حتى أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال له: أختن رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا وأطرق طويلاً حتى أوحى إليه وأقم الصلاة طرفي النهار إلى قوله: ﴿ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ فقلت: ألي هذا خاصة أم للناس عامة؟ «بل للناس عامة» اهـ خازن.

وبهذا تعلم أن قول الشارح فقال ألي هذا الخ مبني على مقدر فأنزل الله الآية، فقرأها فقال: ألي هذا الخ اهـ شيخنا.

قوله: (فأخبره) أي أخبر ذلك الرجل النبي بما وقع له، وقوله: (فقال) أي الرجل ألي هذا معطوف على مقدر أي: فنزلت الآية على النبي ﷺ، فقرأها عليه فقال: ألي هذا الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي المذكور من الأمر بالاستقامة وما بعده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الخ لما بين الله تعالى أن الأمم المتقدمين حل بهم عذاب الاستتصال بين أن السبب فيه أمران، السبب الأول: أنه ما كان فيهم قوم يهتدون عن الفساد في الأرض، السبب الثاني: لنزول عذاب الاستتصال قوله: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ﴾ الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيضية والمراد بها النفي كما قال الشارح، إذ لا يتصور تحضيضهم وتخويفهم بعد انقراضهم، وكان تامة. ومن القرون متعلق بها، ومن قبلكم متعلق بمحذوف صفة للقرون كما قدره الشارح، وأولوا بقية فاعل كان وجملة يهتدون نعت للفاعل، وإلاً قليلاً مستثنى من الفاعل بملاحظة صفته، والمعنى فما كان من القرون الماضية المهلكة بالعذاب جماعة أصحاب دين يهتدون عن الفساد إلاً قليلاً وهم من أنجيتهم من العذاب نهوا عن الفساد، فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب كما هو مقتضى السياق، والمستثنى من أنجاه الله من العذاب، فاختلف الجنس باعتبار الوصف المذكور، فلذلك حمل الشارح الاستثناء على الانقطاع حيث فسره ولكن على عادته، ولا يتوهم أن الانقطاع جاء من كون المستثنى منه لم ينه، والمستثنى قد نهى، لأن هذا الاختلاف إنما هو في الحكم والاختلاف فيه من لوازم الاستثناء إذ المستثنى مخالف للمستثنى منه في الحكم دائماً وأبداً اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ لولا تحضيضية دخلها معنى التضعع عليهم وهو قريب من مجاز قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣] وما يروى عن الخليل أنه قال: كل لولا في القرآن،

﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَتُوبُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به التفي أي ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿فَلَيْلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فتنجوا

فمعناها هلا إلا التي في الصفات، فلولا أنه كان من المسيحين لا يصح عنه لورودها، كذلك في غير الصفات لولا أن تداركه، ولولا أن ثبتناك، ولولا رجال، ومن القرون يجوز أن يتعلق بكان لأنها هنا تامة، إذ المعنى فهلا وجد من القرون أو حدث ونحو ذلك. ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من أولو بقية لأنه لو تأخر عنه لجاز أن يكون نعتاً له ومن قبلكم من القرون، وينهون حال من أولو بقية لتخصيصه بالاضافة، ويجوز أن يكون نعتاً لأولو بقية وهو أولى، ويضعف أن تكون كان هذه ناقصة لبعدها المعنى من ذلك، وعلى تقديره يتعين تعلق من القرون بالمحذوف على أنه حال، لأن كان الناقصة لا تعمل عند جمهور النحاة ويكون ينهون في محل نصب خبراً لكان. وقرأ العامة بقية بفتح الباء وتشديد الياء وفيها وجهان، أحدهما: أنها صفة على فعلية للمبالغة بمعنى فاعلة، ولذلك دخلت التاء فيها، والمراد بها حيثئذ جيد الشيء وخياره، وإنما قيل لجيده وخياره بقية من قولهم فلان بقية الناس، وبقية الكرام، لأن الرجل يستقي مما يخرججه أجوده وأفضله. والثاني: أنها مصدر بمعنى القوي. قال الزمخشري: ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي: فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه. وقرأت بقية فرقة بتخفيف الياء، وهي اسم فاعل من بقي كسحبة من سحى، والتقدير أولو طائفة بقية أي باقية. وقرأ أبو جعفر وشيبة بقية بضم التاء وسكون القاف، وفي الأرض متعلق بالفساد والمصدر المقترون بأن يفعل في المفاعيل الصريحة: فيكون في الظرف أولى، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الفساد. وقوله إلا قليلاً فيه وجهان، أحدهما: أن يكون استثناء منقطعاً. ذلك أن يحمل التحضيض على حقيقته، وإذا حمل على حقيقته تعين أن تكون الاستثناء منقطعاً لئلا يفسد المعنى، قال الزمخشري: معناه ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تركوا النهي، ثم قال فإن قلت: هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متصلاً على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً، لأنه يكون تحضيضاً لأولي البقية على النهي عن الفساد لا للقليل من الناجين منهم كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصالحاء منهم يريد استثناء الصالحاء من المحضيين على قراءة القرآن قلت: لأن الكلام يؤول إلى أن الناجين لا يحضوا على النهي عن الفساد وهو معنى فاسد. والثاني: أن يكون متصلاً وذلك بأن يكون التحضيض بمعنى التفي، فيصح ذلك إلا أنه يؤدي إلى النصب في غير الموجب، وإن كان غير النصب أولى اهـ.

قوله: ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ أي من الرأي والعقل، وأولو فضل وخير، وسُمي بها لأن الرجل إنما يستقيهما يخرججه عادة أجوده وأفضله، فصار مثلاً في الجودة والفضل، ويقال: فلان من بقة القوم أي من خيارهم، ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا اهـ أبو السعود: ﴿فَلَيْلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾

قوله: (والمراد به) أي بهذا التحضيض. قوله: ﴿وَآتِ الَّذِينَ﴾ الخ عطف على مضمحل عليه الكلام، وتقديره فلم ينهوا عن الفساد، واتب الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض اهـ بضمواي.



ومن للبيان ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَا أَتَوْا﴾ نعموا ﴿فَبُذِلُوا﴾ وكأنوا مجرمين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ مؤمنون ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِيفِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ في الدين ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها

وذلك المضمرة أشار له الجلال بقوله: أي ما كان فيهم ذلك أي: النهي عن الفساد، فكأنه قال: لم ينهوا عن الفساد واتبع الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَا أَتَوْا فِيهِ﴾ أي من الشهوات فاهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك اهـ بياضوي. وفي القاموس: الترفة بالضم النعمة والطعام الطيب والشيء الطريف تخص به صاحبك وترف كفرح تنعم وأترفه النعمة أطغته أو نعمته كترفته تتريفاً، وأترفته فلان أصر على المكر والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع والمتنعم لا يمنع من تنعمه اهـ.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ أي ما صح. وما استفهام له ليهلك الخ اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: وقوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي ملتبساً به. قيل: هو حال من الفاعل أي ظالماً لها، والمراد تنزيه الله تعالى عن الظلم بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى، وإلا فلا ظلم فيما يفعله الله بعباده كائناتاً ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة، وقوله: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ حال من المفعول والعامل عامله، ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالاً من فاعله أعني بظلم لدلالته على تقييد نفي الإهلاك ظلماً بحال كون أهلها مصلحين، ولا ريب في فساده بل مطلقاً عن ذلك اهـ.

قوله: (مؤمنون) وقيل: المراد بالظلم هنا الشرك والباء للسببية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشُّرَكَاءَ لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] والمعنى أنه تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين فيما بينهم بلا متابعة للهوى لفرط مسامحته في حقوقه، ولذا تقدم حقوق العباد على حقوقه عند تراحم الحقوق اهـ كرخي.

قوله: (أهل دين واحد) والمراد به دين الإسلام، والمعنى لم يجعل الكل على الدين الحق لعدم مشيئته ذلك الجعل، فهي امتناعية. وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ الخ في قوة استثناء نقيض التالي، فكأنه قال ولكنه لم يجعلهم أمة واحدة فعبّر عن هذا بقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ الخ تأمل.

قوله: ﴿مُخْلِيفِينَ﴾ في الدين أي على أديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم لكل من هؤلاء دين من هذه الأديان قد اختلف أهلها فيه أيضاً اختلافاً كثيراً، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة» اهـ المراد بهذه الفرق أهل البدع والأهواء كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة، والمراد بالفرقة الواحدة أهل السنة والجماعة اهـ خازن.

قوله: ﴿وَلِذَلِكَ﴾ أي المذكور من الاختلاف والرحمة والضمير في خلقهم واقع على أهل الاختلاف وأهل الرحمة كما يعلم ذلك من صنيع الشارح اهـ شيخنا.

﴿وَمَتَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿وَكَلَّا﴾ نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ بدل من كلا ﴿تُنَبِّئُ﴾ نطمئن ﴿يَوْمَ فُؤَادُكَ﴾ قلبك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ

وفي الفيضاني: ﴿ولذلك خلقهم﴾ إن كان الضمير للناس، فالإشارة إلى الاختلاف واللام للعاقبة أو إليه وإلى الرحمة وإن كان لمن فإلى الرحمة اهـ.

قوله: ﴿ومتت﴾ أي حقت ووجبت كلمة ربك المراد بها حكمه وقضاؤه الأزلي اهـ.

وقوله: وهي أي هي قوله تعالى: للملائكة ﴿لأملأن﴾ الخ قوله: (الجن) أي قالت للمبالغة اهـ.

قوله: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل﴾ الخ لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الرحمة قصص الأمم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه ﷺ بقوله: ﴿وكلاً نقص عليك﴾ يا محمد من أنباء الرسل يعني من أخبار الرسل، وما جرى لهم مع قومهم ما ثبت به فؤادك، يعني ما تقوي به قلبك لتصبر على أذى قومك، وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك، وذلك لأن النبي ﷺ إذا سمع هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه اهـ خازن.

وفي نصب كلاً أوجه:

أحدها: أنه مفعول به، والمضاف إليه محذوف عوض منه التنوين بتقديره، وكل نبأ نقص عليك ومن أنباء بيان له أو صفة إذا قدر المضاف إليه نكرة، وقوله: ﴿ما ثبت﴾ يجوز أن يكون بدلاً من كلاً، وأن يكون خبر مبتدأ مضمرة أي هو ما ثبت به فؤادك أو منصوب بإضمار أعني الثاني: أنه منصوب على المصدر، أي كل اقتصاص نقص ومن أنباء صفة أو بيان وما ثبت هو مفعول نقص.

الثالث: كما تقدم إلا أنه يجعل ما صلة. والتقدير، وكلاً نقص من أنباء الرسل ثبت به فؤادك. كذا أعربه الشيخ، وقال: كهي في قوله: ﴿قليلًا ما تذكرون﴾ اهـ سمين.

قوله: (نصب بنقص) والمعنى: ونقص عليك من أنباء الرسل كلاً أي كل ما تحتاج إليه، وهو الذي ثبت به فؤادك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من أنباء﴾ أي أخبار الرسل، وقوله بدل من كلاً أي مفسر له، فالمعنى ونقص عليك كلاً، وذلك الكل هو ما ثبت به فؤادك وهو ما تحتاج إليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما ثبت به فؤادك﴾ أي بزيادة يقينك وطمأنينة قلبك وثبات نفسك على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار اهـ الفيضاني.

قوله: (الأنباء أو الآيات) أي التي في هذه السورة أو في هذه الدنيا، والأول ما عليه الأكثر وتقديره وجاءك في هذه مع ما جاءك في هذه السورة الحق الخ، وخصت به هذه السورة تشريفاً لها،





## فهرس المحتويات

٢٦.....	الآيتان : ٢٨ ، ٢٩
٢٧.....	الآيتان : ٢٩ ، ٣٠
٢٨.....	الآيات : ٣٠ - ٣٢
٢٩.....	الآيات : ٣٢ - ٣٤
٣٠.....	الآيتان : ٣٤ ، ٣٥
٣١.....	الآيات : ٣٥ - ٣٧
٣٢.....	الآية : ٣٧
٣٣.....	الآيتان : ٣٧ ، ٣٨
٣٤.....	الآية : ٣٨
٣٥.....	الآيات : ٣٨ - ٤٠
٣٦.....	الآية : ٤٠
٣٧.....	الآيتان : ٤٠ ، ٤١
٣٨.....	الآيتان : ٤١ ، ٤٢
٣٩.....	الآيتان : ٤٢ ، ٤٣
٤٠.....	الآيتان : ٤٣ ، ٤٤
٤١.....	الآيات : ٤٤ - ٤٦
٤٢.....	الآية : ٤٦
٤٤.....	الآيات : ٤٦ - ٤٨
٤٥.....	الآيتان : ٤٩ ، ٥٠
٤٦.....	الآيتان : ٥١ ، ٥٢
٤٧.....	الآيتان : ٥٢ ، ٥٣
٤٨.....	الآيتان : ٥٣ ، ٥٤
٤٩.....	الآية : ٥٤

## سورة الأعراف

٣.....	الآيتان : ١ ، ٢
٤.....	الآيتان : ٢ ، ٣
٥.....	الآية : ٤
٧.....	الآيات : ٥ - ٧
٨.....	الآيتان : ٧ ، ٨
٩.....	الآيتان : ٨ ، ٩
١٠.....	الآيات : ٩ - ١١
١١.....	الآية : ١١
١٢.....	الآيتان : ١١ ، ١٢
١٣.....	الآيات : ١٢ - ١٦
١٤.....	الآيات : ١٦ - ١٨
١٥.....	الآية : ١٨
١٦.....	الآيتان : ١٨ ، ١٩
١٧.....	الآيتان : ١٩ ، ٢٠
١٨.....	الآية : ٢٠
١٩.....	الآيتان : ٢١ ، ٢٢
٢٠.....	الآية : ٢٢
٢١.....	الآيتان : ٢٢ ، ٢٣
٢٢.....	الآيات : ٢٤ - ٢٦
٢٣.....	الآيتان : ٢٦ ، ٢٧
٢٤.....	الآية : ٢٧
٢٥.....	الآيتان : ٢٧ ، ٢٨

٨١.....	الآيات: ١٠٠، ١٠١	٥٠.....	الآيات: ٥٤ - ٥٦
٨٢.....	الآيات: ١٠١، ١٠٢	٥١.....	الآية: ٥٦
٨٣.....	الآيات: ١٠٢، ١٠٣	٥٢.....	الآية: ٥٧
٨٤.....	الآيات: ١٠٣ - ١٠٥	٥٣.....	الآيات: ٥٧، ٥٨
٨٥.....	الآيات: ١٠٥ - ١٠٨	٥٤.....	الآيات: ٥٨، ٥٩
٨٦.....	الآيات: ١٠٩، ١١٠	٥٥.....	الآيات: ٥٩ - ٦١
٨٧.....	الآيات: ١١٠ - ١١٣	٥٦.....	الآيات: ٦١ - ٦٣
٨٨.....	الآيات: ١١٣ - ١١٥	٥٧.....	الآيات: ٦٣، ٦٤
٨٩.....	الآيات: ١١٥ - ١١٧	٥٨.....	الآيات: ٦٤ - ٦٦
٩٠.....	الآية: ١١٧	٥٩.....	الآيات: ٦٦ - ٦٩
٩١.....	الآيات: ١١٨ - ١٢٣	٦٠.....	الآيات: ٦٩ - ٧١
٩٢.....	الآية: ١٢٣	٦١.....	الآيات: ٧١، ٧٢
٩٣.....	الآيات: ١٢٣، ١٢٤	٦٢.....	الآيات: ٧٢، ٧٣
٩٤.....	الآيات: ١٢٥ - ١٢٧	٦٣.....	الآيات: ٧٣، ٧٤
٩٥.....	الآيات: ١٢٧ - ١٢٩	٦٤.....	الآيات: ٧٤، ٧٥
٩٦.....	الآيات: ١٢٩ - ١٣١	٦٥.....	الآيات: ٧٥ - ٧٧
٩٧.....	الآيات: ١٣١، ١٣٢	٦٦.....	الآيات: ٧٧ - ٧٩
٩٨.....	الآيات: ١٣٢، ١٣٣	٦٧.....	الآية: ٧٩
٩٩.....	الآية: ١٣٣	٦٨.....	الآيات: ٨٠، ٨١
١٠٠.....	الآيات: ١٣٣، ١٣٤	٦٩.....	الآيات: ٨٢، ٨٣
١٠١.....	الآيات: ١٣٤ - ١٣٦	٧٠.....	الآيات: ٨٣ - ٨٥
١٠٢.....	الآيات: ١٣٦، ١٣٧	٧١.....	الآيات: ٨٥، ٨٦
١٠٣.....	الآيات: ١٣٧، ١٣٨	٧٢.....	الآيات: ٨٦، ٨٧
١٠٤.....	الآيات: ١٣٨ - ١٤٠	٧٣.....	الآيات: ٨٧، ٨٨
١٠٥.....	الآيات: ١٤١، ١٤٢	٧٤.....	الآيات: ٨٨، ٨٩
١٠٦.....	الآيات: ١٤٢، ١٤٣	٧٥.....	الآيات: ٨٩ - ٩١
١٠٧.....	الآية: ١٤٣	٧٦.....	الآيات: ٩٢، ٩٣
١٠٨.....	الآيات: ١٤٣ - ١٤٥	٧٧.....	الآيات: ٩٤، ٩٥
١٠٩.....	الآية: ١٤٥	٧٨.....	الآيات: ٩٥ - ٩٧
١١٠.....	الآية: ١٤٦	٧٩.....	الآيات: ٩٧ - ٩٩
١١١.....	الآيات: ١٤٦، ١٤٧	٨٠.....	الآيات: ٩٩، ١٠٠

١٤٨ .....	الآيتان : ١٨٢ ، ١٨٣	١١٣ .....	الآيتان : ١٤٧ ، ١٤٨
١٤٩ .....	الآيات : ١٨٣ - ١٨٥	١١٤ .....	الآيتان : ١٤٨ ، ١٤٩
١٥٠ .....	الآيات : ١٨٥ - ١٨٧	١١٥ .....	الآيتان : ١٤٩ ، ١٥٠
١٥١ .....	الآية : ١٨٧	١١٦ .....	الآية : ١٥٠
١٥٢ .....	الآيتان : ١٨٧ ، ١٨٨	١١٧ .....	الآيات : ١٥٠ - ١٥٢
١٥٣ .....	الآيتان : ١٨٨ ، ١٨٩	١١٨ .....	الآيات : ١٥٢ - ١٥٤
١٥٤ .....	الآيتان : ١٨٩ ، ١٩٠	١١٩ .....	الآيتان : ١٥٤ ، ١٥٥
١٥٥ .....	الآية : ١٩٠	١٢٠ .....	الآية : ١٥٥
١٥٦ .....	الآيات : ١٩٠ - ١٩٣	١٢١ .....	الآيتان : ١٥٥ ، ١٥٦
١٥٧ .....	الآيات : ١٩٣ - ١٩٦	١٢٢ .....	الآيتان : ١٥٦ ، ١٥٧
١٥٨ .....	الآيات : ١٩٦ - ١٩٩	١٢٣ .....	الآية : ١٥٧
١٥٩ .....	الآيتان : ١٩٩ ، ٢٠٠	١٢٥ .....	الآيتان : ١٥٧ ، ١٥٨
١٦٠ .....	الآيات : ٢٠٠ - ٢٠٢	١٢٦ .....	الآيات : ١٥٨ - ١٦٠
١٦١ .....	الآيتان : ٢٠٣ ، ٢٠٤	١٢٧ .....	الآيتان : ١٦٠ ، ١٦١
١٦٢ .....	الآية : ٢٠٥	١٢٨ .....	الآيات : ١٦١ - ١٦٣
١٦٣ .....	الآيتان : ٢٠٥ ، ٢٠٦	١٢٩ .....	الآية : ١٦٣

### سورة الأنفال

١٦٤ .....	الآية : ١	١٣١ .....	الآيتان : ١٦٣ ، ١٦٤
١٦٥ .....	الآيتان : ١ ، ٢	١٣٢ .....	الآيات : ١٦٤ - ١٦٦
١٦٦ .....	الآيات : ٢ - ٤	١٣٣ .....	الآية : ١٦٧
١٦٧ .....	الآيتان : ٤ ، ٥	١٣٤ .....	الآيتان : ١٦٧ ، ١٦٨
١٦٨ .....	الآية : ٥	١٣٥ .....	الآية : ١٦٩
١٦٩ .....	الآية : ٦	١٣٦ .....	الآيتان : ١٦٩ ، ١٧٠
١٧٠ .....	الآيتان : ٦ ، ٧	١٣٧ .....	الآية : ١٧١
١٧١ .....	الآيتان : ٨ ، ٩	١٣٨ .....	الآيتان : ١٧١ ، ١٧٢
١٧٢ .....	الآيتان : ٩ ، ١٠	١٣٩ .....	الآية : ١٧٢
١٧٣ .....	الآيتان : ١٠ ، ١١	١٤٢ .....	الآيات : ١٧٢ - ١٧٥
١٧٤ .....	الآيتان : ١١ ، ١٢	١٤٣ .....	الآية : ١٧٥
١٧٥ .....	الآية : ١٢	١٤٤ .....	الآيتان : ١٧٥ ، ١٧٦
١٧٦ .....	الآيتان : ١٣ ، ١٤	١٤٥ .....	الآيات : ١٧٦ - ١٧٨
١٧٧ .....	الآيتان : ١٤ ، ١٥	١٤٦ .....	الآيات : ١٧٨ - ١٨٠
		١٤٧ .....	الآيات : ١٨٠ - ١٨٢

٢٠٩.....	الآية: ٦٠	١٧٨.....	الآيتان: ١٥، ١٦
٢١٠.....	الآيتان: ٦١، ٦٢	١٧٩.....	الآيتان: ١٦، ١٧
٢١١.....	الآيات: ٦٢ - ٦٥	١٨٠.....	الآيات: ١٧ - ١٩
٢١٢.....	الآية: ٦٥	١٨١.....	الآيات: ١٩، ٢٣
٢١٣.....	الآيتان: ٦٦، ٦٧	١٨٢.....	الآيتان: ٢٣، ٢٤
٢١٤.....	الآية: ٦٧	١٨٣.....	الآية: ٢٤
٢١٥.....	الآيتان: ٦٧، ٦٨	١٨٤.....	الآيتان: ٢٥، ٢٦
٢١٦.....	الآيات: ٦٨ - ٧٠	١٨٥.....	الآية: ٢٦
٢١٧.....	الآيات: ٧٠ - ٧٢	١٨٦.....	الآية: ٢٧
٢١٨.....	الآيات: ٧٢ - ٧٤	١٨٧.....	الآيات: ٢٧ - ٣٠
٢١٩.....	الآيتان: ٧٤، ٧٥	١٨٨.....	الآية: ٣٠
٢٢٠.....	الآية: ٧٥	١٨٩.....	الآيتان: ٣٠، ٣١
<b>سورة التوبة</b>		١٩٠.....	الآيات: ٣١ - ٣٣
٢٢٣.....	الآيتان: ١، ٢	١٩١.....	الآيات: ٣٣ - ٣٥
٢٢٤.....	الآية: ٢	١٩٢.....	الآيتان: ٣٥، ٣٦
٢٢٥.....	الآيتان: ٢، ٣	١٩٣.....	الآيات: ٣٦ - ٣٨
٢٢٦.....	الآية: ٣	١٩٤.....	الآيات: ٣٨ - ٤١
٢٢٧.....	الآيات: ٣ - ٥	١٩٥.....	الآية: ٤١
٢٢٨.....	الآيتان: ٥، ٦	١٩٦.....	الآيتان: ٤١، ٤٢
٢٢٩.....	الآيتان: ٦، ٧	١٩٧.....	الآيتان: ٤٢، ٤٣
٢٣٠.....	الآيتان: ٧، ٨	١٩٨.....	الآيات: ٤٣ - ٤٦
٢٣١.....	الآيتان: ٨، ٩	١٩٩.....	الآيتان: ٤٦، ٤٧
٢٣٢.....	الآيات: ٩ - ١٢	٢٠٠.....	الآيتان: ٤٧، ٤٨
٢٣٣.....	الآيتان: ١٢، ١٣	٢٠١.....	الآيتان: ٤٨، ٤٩
٢٣٤.....	الآيات: ١٣ - ١٦	٢٠٢.....	الآيتان: ٤٩، ٥٠
٢٣٥.....	الآيتان: ١٦، ١٧	٢٠٣.....	الآيتان: ٥٠، ٥١
٢٣٦.....	الآيات: ١٧ - ١٩	٢٠٤.....	الآيتان: ٥٢، ٥٣
٢٣٧.....	الآيات: ١٩ - ٢٣	٢٠٥.....	الآيات: ٥٣ - ٥٥
٢٣٨.....	الآيتان: ٢٣، ٢٤	٢٠٦.....	الآيات: ٥٥ - ٥٧
٢٣٩.....	الآيتان: ٢٤، ٢٥	٢٠٧.....	الآيتان: ٥٧، ٥٨
٢٤٠.....	الآيتان: ٢٥، ٢٦	٢٠٨.....	الآيات: ٥٨ - ٦٠



٢٧٤ .....	الآيتان : ٦٢ ، ٦٣	٢٤١ .....	الآيات : ٢٦ - ٢٨
٢٧٥ .....	الآيتان : ٦٣ ، ٦٤	٢٤٢ .....	الآية : ٢٨
٢٧٦ .....	الآيات : ٦٤ - ٦٦	٢٤٣ .....	الآيتان : ٢٨ ، ٢٩
٢٧٧ .....	الآيات : ٦٦ - ٦٨	٢٤٤ .....	الآيتان : ٢٩ ، ٣٠
٢٧٨ .....	الآيتان : ٦٨ ، ٦٩	٢٤٥ .....	الآية : ٣٠
٢٧٩ .....	الآيتان : ٦٩ ، ٧٠	٢٤٦ .....	الآيتان : ٣٠ ، ٣١
٢٨٠ .....	الآيات : ٧٠ - ٧٢	٢٤٧ .....	الآيات : ٣١ - ٣٣
٢٨١ .....	الآيتان : ٧٢ ، ٧٣	٢٤٨ .....	الآيتان : ٣٣ ، ٣٤
٢٨٢ .....	الآيتان : ٧٣ ، ٧٤	٢٤٩ .....	الآية : ٣٤
٢٨٣ .....	الآية : ٧٤	٢٥٠ .....	الآيات : ٣٤ - ٣٦
٢٨٤ .....	الآيتان : ٧٤ ، ٧٥	٢٥١ .....	الآيتان : ٣٦ ، ٣٧
٢٨٥ .....	الآيتان : ٧٦ ، ٧٧	٢٥٢ .....	الآية : ٣٧
٢٨٦ .....	الآية : ٧٧	٢٥٣ .....	الآيتان : ٣٧ ، ٣٨
٢٨٧ .....	الآية : ٧٨	٢٥٤ .....	الآية : ٣٨
٢٨٨ .....	الآيتان : ٧٩ ، ٨٠	٢٥٥ .....	الآيات : ٣٨ - ٤٠
٢٨٩ .....	الآيتان : ٨٠ ، ٨١	٢٥٦ .....	الآية : ٤٠
٢٩٠ .....	الآيات : ٨١ - ٨٣	٢٥٧ .....	الآيتان : ٤٠ ، ٤١
٢٩١ .....	الآية : ٨٣	٢٥٨ .....	الآيتان : ٤١ ، ٤٢
٢٩٢ .....	الآيتان : ٨٣ ، ٨٤	٢٥٩ .....	الآيات : ٤٢ - ٤٤
٢٩٣ .....	الآيات : ٨٤ - ٨٦	٢٦٠ .....	الآيات : ٤٤ - ٤٦
٢٩٤ .....	الآيات : ٨٦ - ٩٠	٢٦١ .....	الآيتان : ٤٦ ، ٤٧
٢٩٥ .....	الآيتان : ٩٠ ، ٩١	٢٦٢ .....	الآيتان : ٤٧ ، ٤٨
٢٩٦ .....	الآية : ٩١	٢٦٣ .....	الآيات : ٤٨ - ٥٠
٢٩٧ .....	الآيتان : ٩٢ ، ٩٣	٢٦٤ .....	الآيات : ٥٠ - ٥٣
٢٩٨ .....	الآيتان : ٩٣ ، ٩٤	٢٦٥ .....	الآيات : ٥٣ - ٥٥
٢٩٩ .....	الآيات : ٩٤ - ٩٦	٢٦٦ .....	الآيات : ٥٥ - ٥٧
٣٠٠ .....	الآية : ٩٧	٢٦٧ .....	الآيتان : ٥٧ ، ٥٨
٣٠١ .....	الآيات : ٩٧ - ٩٩	٢٦٨ .....	الآيات : ٥٨ - ٦٠
٣٠٢ .....	الآيتان : ٩٩ ، ١٠٠	٢٦٩ .....	الآية : ٦٠
٣٠٣ .....	الآيتان : ١٠٠ ، ١٠١	٢٧٢ .....	الآية : ٦١
٣٠٤ .....	الآيتان : ١٠١ ، ١٠٢	٢٧٣ .....	الآيتان : ٦١ ، ٦٢

الآية: ١٠٢: ٣٠٥	الآيات: ٤ - ٦: ٣٣٦
الآية: ١٠٣: ٣٠٦	الآيات: ٦ - ٩: ٣٣٧
الآيات: ١٠٣ - ١٠٥: ٣٠٧	الآيات: ٩ - ١١: ٣٣٨
الآيات: ١٠٥ - ١٠٧: ٣٠٨	الآية: ١١: ٣٣٩
الآية: ١٠٧: ٣٠٩	الآيتان: ١١، ١٢: ٣٤٠
الآيتان: ١٠٧، ١٠٨: ٣١٠	الآيات: ١٢ - ١٥: ٣٤١
الآية: ١٠٨: ٣١١	الآيتان: ١٥، ١٦: ٣٤٢
الآيتان: ١٠٨، ١٠٩: ٣١٢	الآيات: ١٦ - ١٨: ٣٤٣
الآية: ١٠٩: ٣١٣	الآيتان: ١٨، ١٩: ٣٤٤
الآيات: ١٠٩ - ١١١: ٣١٤	الآيات: ١٩ - ٢١: ٣٤٥
الآية: ١١١: ٣١٥	الآيتان: ٢١، ٢٢: ٣٤٦
الآيتان: ١١١، ١١٢: ٣١٦	الآيتان: ٢٢، ٢٣: ٣٤٧
الآية: ١١٢: ٣١٧	الآيتان: ٢٣، ٢٤: ٣٤٨
الآيتان: ١١٣، ١١٤: ٣١٨	الآية: ٢٤: ٣٤٩
الآيتان: ١١٤، ١١٥: ٣١٩	الآيات: ٢٤ - ٢٦: ٣٥٠
الآيات: ١١٥ - ١١٧: ٣٢٠	الآيتان: ٢٦، ٢٧: ٣٥١
الآية: ١١٧: ٣٢١	الآيتان: ٢٧، ٢٨: ٣٥٢
الآيتان: ١١٧، ١١٨: ٣٢٢	الآية: ٢٨: ٣٥٣
الآية: ١١٨: ٣٢٣	الآيتان: ٢٩، ٣٠: ٣٥٤
الآيتان: ١١٩، ١٢٠: ٣٢٥	الآيتان: ٣٠، ٣١: ٣٥٥
الآيتان: ١٢٠، ١٢١: ٣٢٦	الآيات: ٣١ - ٣٥: ٣٥٦
الآيتان: ١٢١، ١٢٢: ٣٢٧	الآية: ٣٥: ٣٥٧
الآيتان: ١٢٣، ١٢٤: ٣٢٨	الآيتان: ٣٥، ٣٦: ٣٥٨
الآيات: ١٢٤ - ١٢٧: ٣٢٩	الآيتان: ٣٦، ٣٧: ٣٥٩
الآيتان: ١٢٧، ١٢٨: ٣٣٠	الآيتان: ٣٧، ٣٨: ٣٦٠
الآيتان: ١٢٨، ١٢٩: ٣٣١	الآيتان: ٣٨، ٣٩: ٣٦١
<b>سورة يونس</b>	
الآيتان: ١، ٢: ٣٣٢	الآيات: ٤١ - ٤٣: ٣٦٣
الآية: ٢: ٣٣٣	الآيتان: ٤٤، ٤٥: ٣٦٤
الآيتان: ٢، ٣: ٣٣٤	الآية: ٤٥: ٣٦٥
الآيتان: ٣، ٤: ٣٣٥	الآيتان: ٤٥، ٤٦: ٣٦٦

٣٩٨ .....	الآيات : ٩٤ - ٩٨	٣٦٧ .....	الآيات : ٤٥ - ٤٩
٣٩٩ .....	الآية : ٩٨	٣٦٨ .....	الآيتان : ٥٩ ، ٥٠
٤٠٠ .....	الآيتان : ٩٩ ، ١٠٠	٣٦٩ .....	الآيتان : ٥١ ، ٥٢
٤٠١ .....	الآيات : ١٠٠ - ١٠٣	٣٧٠ .....	الآيات : ٥٢ - ٥٤
٤٠٢ .....	الآيات : ١٠٣ - ١٠٥	٣٧١ .....	الآيات : ٥٤ - ٥٦
٤٠٣ .....	الآيات : ١٠٥ - ١٠٧	٣٧٢ .....	الآيات : ٥٦ - ٥٨
٤٠٤ .....	الآيات : ١٠٧ - ١٠٩	٣٧٣ .....	الآيتان : ٥٨ ، ٥٩

### سورة هود

٤٠٦ .....	الآيات : ١ - ٣	٣٧٤ .....	الآيات : ٥٩ - ٦١
٤٠٧ .....	الآية : ٣	٣٧٥ .....	الآيتان : ٦١ ، ٦٢
٤٠٩ .....	الآيتان : ٤ ، ٥	٣٧٦ .....	الآية : ٦٣
٤١٠ .....	الآيتان : ٥ ، ٦	٣٧٧ .....	الآيات : ٦٣ - ٦٥
٤١١ .....	الآيتان : ٦ ، ٧	٣٧٨ .....	الآيتان : ٦٥ ، ٦٦
٤١٢ .....	الآيتان : ٧ ، ٨	٣٧٩ .....	الآيتان : ٦٦ ، ٦٧
٤١٣ .....	الآيات : ٨ - ١٢	٣٨٠ .....	الآيات : ٦٧ - ٧٠
٤١٤ .....	الآية : ١٢	٣٨١ .....	الآيتان : ٧٠ ، ٧١
٤١٥ .....	الآيات : ١٢ - ١٤	٣٨٢ .....	الآية : ٧١
٤١٦ .....	الآيتان : ١٤ ، ١٥	٣٨٣ .....	الآيتان : ٧١ ، ٧٢
٤١٧ .....	الآيتان : ١٥ ، ١٦	٣٨٤ .....	الآيات : ٧٢ - ٧٤
٤١٨ .....	الآيتان : ١٦ ، ١٧	٣٨٥ .....	الآيات : ٧٥ - ٧٧
٤١٩ .....	الآية : ١٧	٣٨٦ .....	الآيات : ٧٨ - ٨١
٤٢٠ .....	الآيات : ١٧ - ٢٠	٣٨٧ .....	الآيات : ٨١ - ٨٣
٤٢١ .....	الآيات : ٢٠ ، ٢٣	٣٨٨ .....	الآيتان : ٨٣ ، ٨٤
٤٢٢ .....	الآيتان : ٢٣ ، ٢٤	٣٨٩ .....	الآيات : ٨٤ - ٨٦
٤٢٣ .....	الآيتان : ٢٤ ، ٢٥	٣٩٠ .....	الآيتان : ٨٦ ، ٨٧
٤٢٤ .....	الآيات : ٢٥ - ٢٧	٣٩١ .....	الآيتان : ٨٧ ، ٨٨
٤٢٥ .....	الآيتان : ٢٧ ، ٢٨	٣٩٢ .....	الآيتان : ٨٨ ، ٨٩
٤٢٦ .....	الآيات : ٢٨ - ٣١	٣٩٣ .....	الآية : ٩٠
٤٢٧ .....	الآية : ٣١	٣٩٤ .....	الآية : ٩٠
٤٢٨ .....	الآيات : ٣١ - ٣٤	٣٩٥ .....	الآية : ٩٠
٤٢٩ .....	الآيات : ٣٤ - ٣٦	٣٩٦ .....	الآيات : ٩١ - ٩٣
		٣٩٧ .....	الآيتان : ٩٣ ، ٩٤

٤٥٩.....	الآية : ٧٨	٤٣٠.....	الآيتان : ٣٧ ، ٣٦
٤٦٠.....	الآيتان : ٧٩ ، ٨٠	٤٣١.....	الآيتان : ٣٨ ، ٣٧
٤٦١.....	الآية : ٨٠	٤٣٢.....	الآيات : ٣٨ - ٤٠
٤٦٢.....	الآيات : ٨١ - ٨٣	٤٣٣.....	الآية : ٤٠
٤٦٣.....	الآيتان : ٨٣ ، ٨٤	٤٣٥.....	الآية : ٤١
٤٦٤.....	الآيتان : ٨٤ ، ٨٥	٤٣٦.....	الآيتان : ٤١ ، ٤٢
٤٦٥.....	الآيتان : ٨٦ - ٨٨	٤٣٧.....	الآيات : ٤٢ - ٤٤
٤٦٦.....	الآيتان : ٨٨ ، ٨٩	٤٣٨.....	الآية : ٤٤
٤٦٧.....	الآيات : ٨٩ - ٩١	٤٣٩.....	الآيتان : ٤٤ ، ٤٥
٤٦٨.....	الآيات : ٩١ - ٩٣	٤٤٠.....	الآيتان : ٤٥ ، ٤٦
٤٦٩.....	الآيات : ٩٣ - ٩٧	٤٤١.....	الآيتان : ٤٦ ، ٤٧
٤٧٠.....	الآيتان : ٩٧ ، ٩٨	٤٤٢.....	الآيتان : ٤٧ ، ٤٨
٤٧١.....	الآيات : ٩٨ - ١٠٠	٤٤٣.....	الآيتان : ٤٨ ، ٤٩
٤٧٢.....	الآيتان : ١٠١ ، ١٠٢	٤٤٤.....	الآيات : ٤٩ - ٥١
٤٧٣.....	الآيات : ١٠٣ - ١٠٥	٤٤٥.....	الآيات : ٥١ - ٥٤
٤٧٤.....	الآيتان : ١٠٥ ، ١٠٦	٤٤٦.....	الآيات : ٥٤ - ٥٧
٤٧٥.....	الآيات : ١٠٦ - ١٠٨	٤٤٧.....	الآيات : ٥٧ - ٥٩
٤٧٦.....	الآية : ١٠٨	٤٤٨.....	الآيات : ٥٩ - ٦٢
٤٧٨.....	الآيتان : ١٠٩ ، ١١٠	٤٤٩.....	الآيتان : ٦٢ ، ٦٣
٤٧٩.....	الآيتان : ١١٠ ، ١١١	٤٥٠.....	الآيات : ٦٣ - ٦٥
٤٨٠.....	الآية : ١١١	٤٥١.....	الآيات : ٦٥ - ٦٨
٤٨١.....	الآيات : ١١١ - ١١٣	٤٥٢.....	الآيتان : ٦٨ ، ٦٩
٤٨٢.....	الآيتان : ١١٣ ، ١١٤	٤٥٣.....	الآيتان : ٦٩ ، ٧٠
٤٨٣.....	الآيات : ١١٤ - ١١٦	٤٥٤.....	الآيتان : ٧٠ ، ٧١
٤٨٤.....	الآية : ١١٦	٤٥٥.....	الآيتان : ٧١ ، ٧٢
٤٨٥.....	الآيات : ١١٦ - ١١٩	٤٥٦.....	الآيات : ٧٢ - ٧٤
٤٨٦.....	الآيتان : ١١٩ ، ١٢٠	٤٥٧.....	الآيات : ٧٤ - ٧٧
٤٨٧.....	الآيات : ١٢٠ - ١٢٣	٤٥٨.....	الآيتان : ٧٧ ، ٧٨